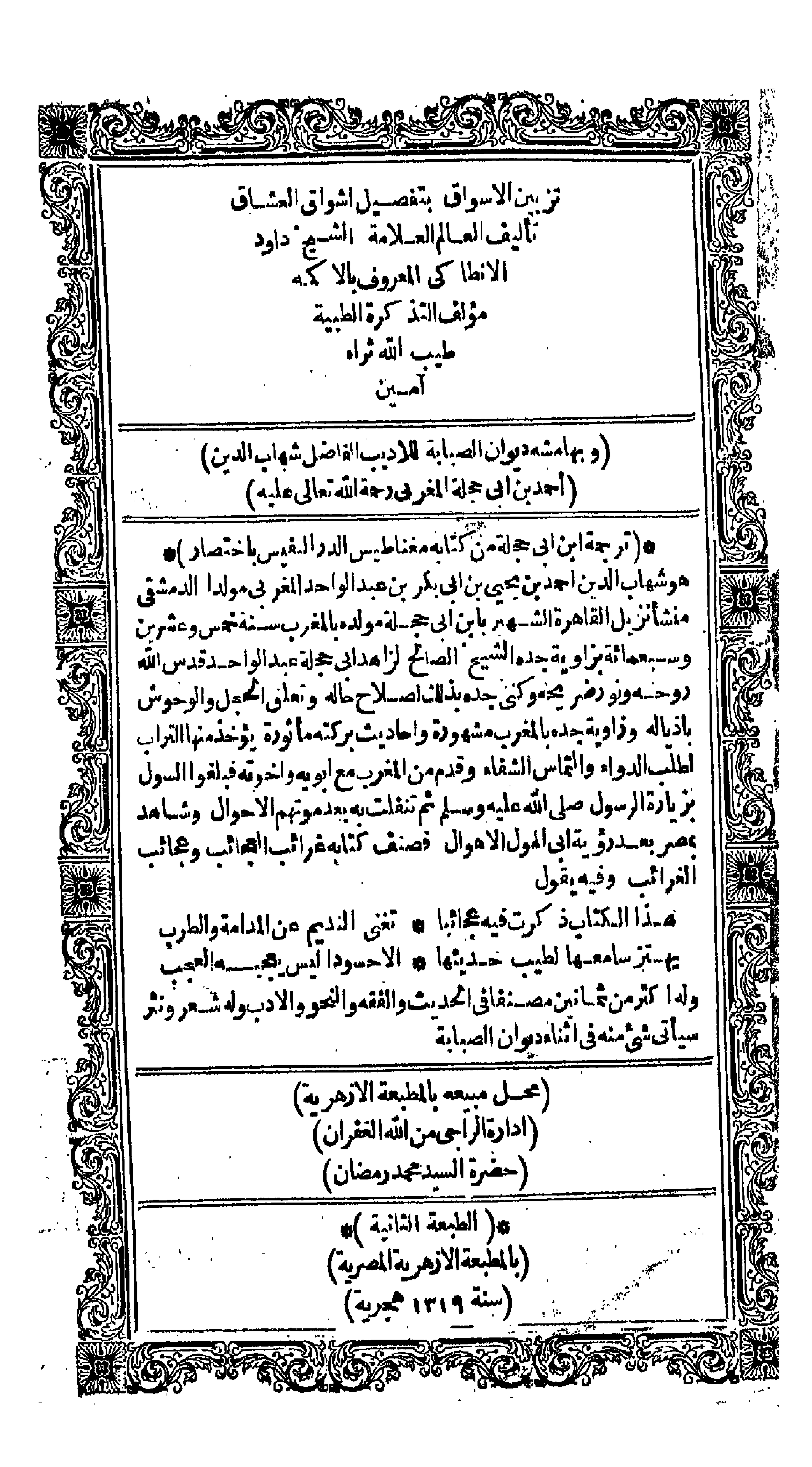


تزيين الاسواق بتفصيل اشواق العشاق

تأليف العالم العلامة الشيخ داود الانطاكى المعروف بالاكمه مؤلف التذكرة الطبية طيب الله ثراه آمين

(وبهامشه ديوان الصبابة للاديب الفاضل شهاب الدين)
(احمد بن ابى حجلة المغربى رحمة الله تعالى عليه)

* (ترجمة ابن ابى حجلة من كتابه مغناطيس الدر النفيس باختصار) *

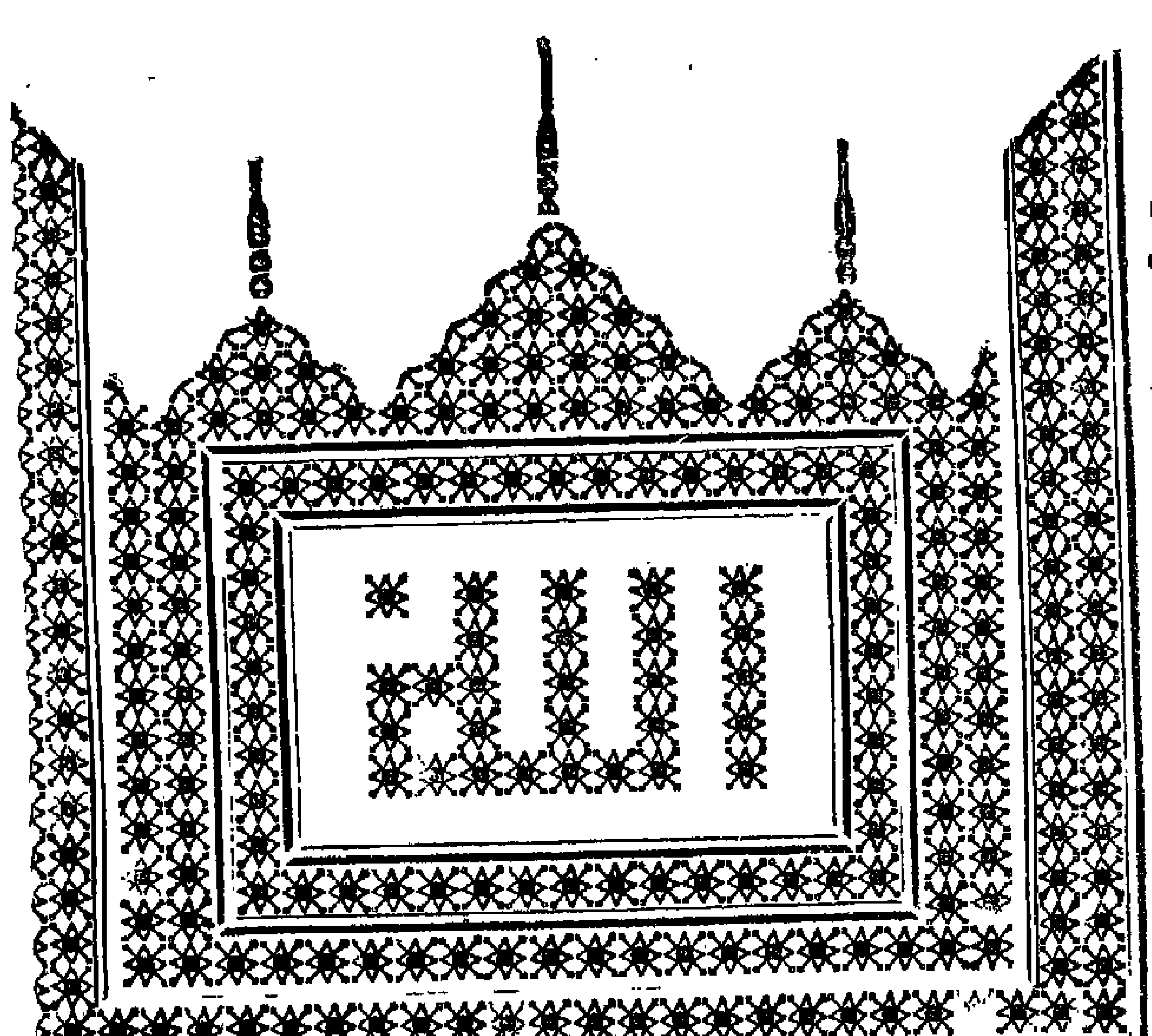
هو شهاب الدين احمد بن يحيى بن ابى بكر بن عبد الواحد المغربى مولدا الدمشقى منشأ نزيل القاهرة الشهير بابن ابى حجلة مولده بالمغرب سنة خمس وعشرين وسبعمائة بزاوية جده الشيخ الصالح الزاهد ابى حجلة عبد الواحد قدس الله روحه ونور ضريحه وكنى جده بذلك اصلاح حاله وتعلق الحجل والوحوش باذياله وزاوية جده بالمغرب مشهورة واحاديث بركته مأثورة يؤخذ منها التراب لطلب الدواء والتماس الشفاء وقدم من المغرب مع ابويه واخوته فبلغوا السول بزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم تنقلت به بعد موتهم الاحوال وشاهد بمصر بعد رؤيته ابى الهول الاهوال فصنف كتابه غرائب العجائب وعجائب الغرائب وفيه يقول

هذا الكتاب ذكرت فيه عجائبا * تغنى النديم عن المدامة والطرب
يهتز سامعها لطيب حديثها * الا الحسود فليس يعجبه العجب

وله اكثر من ثمانين مصنفا فى الحديث والفقه والنحو والادب وله شعر ونثر سيأتى شئ منه فى اثناء ديوان الصبابة

(محل مبيعه بالمطبعة الازهرية)
(ادارة الراجى من الله الغفران)
(حضرة السيد محمد رمضان)

* (الطبعة الثانية) *
(بالمطبعة الازهرية المصرية)
(سنة ١٣١٩ هجرية)



(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى أطلع فى بروج اعتدال القدود شموس المحاسن والجمال وأهل فى منازل السعود بدور اللطائف والكمال وزين أغصان القدود برمان النهود ورياض الوجوه نرجس اللحاظ وورد الخدود وألف بين ما نظم فى الثغور وقلائد النحور وجعل تسريح الابصار لذوى البصائر واطاقة الافكار من اسباب الافتتان بتأمل الحسان فنزلهم وان اختلفت أغراضهم منزلة الاغراض لرشق قسى الحواجب بسهام الالحاظ (نحمده) على تعديل أمزجة فرعها صحة التأمل فى حسن التجمل وتصفية نفس زمها الاستبصار والتبصر فى الفرق بين الجهل والتعقل ونصلى ونسلم على من بعث بنهى النفس عن الهوى والارشاد الى طريق العدل والاستوا والامر باعلاء العقل على النفس وقهر شهوات الجسم وتقييد مدارك الحس فحث على تهذيب النفس الابية عن الرذائل الدنية سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه المتخلقين باكرم الاخلاق والاوصاف واجل اللطافة والعفاف ما نضرت الحدائق ونظرت الحدق وتألق المفلق وتألق الفلق

(وبعد) فلما دل تنويع اصل الايجاد وتفريع عالم الكون والفساد مع قدرة الموجد على جعل ما أوجد من اصل واحد على سأم النفس من ملازمة الشئ الواحد فى كل حال واستراحتها فى اختلاف الاطوار بالنظر والانتقال وكان أعظم مطلوب منها تحصيل العلوم التى هى سبب السعادة الدينية وتشييد المبانى الشرعية وجب اسعافها بالمفاكهات الانيقة والاخبار اللطيفة الرشيقة لتنشط من عقال التعب وتستريح فتعود الى المطلوب منها خفيفة من كل الوصب والنصب وذلك هو العلوم الادبية كالتواريخ

والاخبار

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى جعل للعاشقين باحكام الغرام رضا وحبب اليهم الموت فى حب من يهوونه فلا تكن يا فتى بالعذل معترضا فكم فيهم من عاشق ومحب صادق

وأى محب رام الوصل فامتنعوا

فسام صبرا فاعيا نيله فقضا

(أحمده) حمد من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى وشبب بذكر محبوبه

ان كان تهاميا فى حجاز أو شاميا فى نوى

طو رايمان اذا لاقيت ذا يمن

وان لقيت معديا فعدنانى

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الحميد المجيد شهادة من أصبح موته لبعده أقرب من حبل الوريد وقال لعاذله لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق

وانك لتعلم ما نريد

ولو أن ما بى من حبيب مقنع

عذرت ولكن من حبيب معمم

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله شهادة من أخلص فى موالاته وتبرأ من الاثم حين تولى عنه محبوبه بخاتم ربه وبراءته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين يحبهم ويحبونه ويقفون عند ما أمرهم ولا يتعدونه ما ذر شارق وهام عاشق

(أما بعد) فان كتابنا هذا كما قيل

كتاب حوى أخبار من قتل الهوى

وسار بهم فى الحب فى كل مذهب

مقاطيعه مثل المواصيل لم تزل

تشبب فيه بالرباب وزينب

فهم ما هم تعرفهم بسيماهم قد تركهم الهوى كهشيم المحتظر وأصبحوا من علة الجوى على قسمين فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر فهم ما بين قتيل وشهيد

الاخبار ولطائف الحكايات والاشعار ولما من الله تعالى على بعد تحرير العلوم العقلية وتهذيب النفس بالدقائق الحكمية بالهجرة الى الديار المصرية فمثلت بها بين يدى الاماثل وخدمت من سما فيها من أرباب الفضائل من أصاسبحانه وتعالى كجارى عوائده السنية بتحصيل ما أمكن من العلوم الشرعية بيد أنى رميت فى خلال الاشتغال بما شوش الفكر وغير البال وهيج أليم البلبال

من هموم وحاجة واغتراب * كدرت منى القوى النفسيه

فهى فى كل ساعة فى ازدياد * غبت منه عن مدرك الحسيه

فانا وهى فى التلازم صرنا * كالهيولى والصورة الجنسيه

لا أجد من يفرج الكرب اذا شكوت اليه ولا من أعول اذا ضاق الامر عليه كأن الزمان كما قيل

فى المساوى بدا التساوى * فلا معين ولا معين

فغير ذلك ادراكى الثاقب فقصرت على بلوغ المآرب فاعملت الحيلة فيما به أريح النفس وأنفى اللبس فانقدح فى الفكر بعد طول التعب ان أمتطى غارب الادب فارست من الاصحاب من هوله كالعناصر فمال اليه ذهنى الفاتر فشرعت فى جمع شئ فى محاسنه المختلفة وضمها بحيث تكون فى الجنس وان اختلفت بالنوع مؤتلفه فكان اول ما سطرته واحكمت قواعده وحررته طبقات ذكرت فيها اخبار الحكماء ولطائف الاطباء ثم لم أزل أجيل النظر فى مجاميع مختلفة الى ان وقع اختيارى على اختصار اسواق الاشواق المأخوذ من مصارع العشاق المنسوب الى ابى بكر محمد بن جعفر البغدادى السراج رحمه الله فانه وان كان قد جمع فيه بين جد القول وهزله وظرائف نكت العشق واهله ورقيق اللفظ وجزله اذ هو صنيعة وحيد زمانه ورئيس اقرانه وواحد عصره ونادرة دهره مولانا ابى الحسن ابراهيم بن حسن بن عمر الرباط الشهير بالبقاعى تغمده الله برضوانه واسكنه فسيح جنانه الا انه كتاب طال فى غير طائل وجمع ما لا حاجة بهذه الصناعة اليه من المسائل كذكر الاسانيد والتكرار الذى هو شأن الاحاديث النبوية لتوثيق الاحكام الدينية وكالاخلال بمحاسن الاخبار ولطائف الاشعار التى هى بهذا الفن أعلق من الجوى باهل الهوى وعدم الترتيب المستلزم لاختلال التهذيب وكالاعراض عن ذكر غالب اسباب وقوع بعض العشاق فى شرك الحب الى غير ذلك مما يظهر لمتأمل كتابنا مع اصله اذا طرح الهوى وانتظم فى سلك الانصاف واهله فالفت هذا الكتاب الذى هو فى قلادة هذا الفن درة بيضاء وفى جبهة جواده غرة غراء أكملت فيه فوائده ورددت شوارده واضفت ما نبذه ظهريا ولم آت شيأ فريا فزاد على اصله بامور اثنى عشر احدها وهو الاعظم تبديل ما فى الباب العاشر الذى سماه بالشارع الجامع لما فى المصارع بما هو خليق بهذا الاسم وجدير بهذا الرسم ضمنته ما حل مما تقدمه محل الاصول من الفروع كحكاية الغيرة اصلا ونحو حكاية ديك الجن وكتم الاسرار ونحو صاحب الجارية فى مرقة وتأمل الخيال ونحو من عشق فى يومه الى غير ذلك وجمعت فيه ديوان الصبابة وغيره وهو غط ما بسط قبل وثانيها حسن التقسيم فى الابواب وثالثها لطف الترتيب وضم الانواع المتماثلة ورابعها حذف الاسانيد والتكرار مع ذكر ما اختلف باشارات كأو وقيل وخامسها ذكر السبب الموقع لصاحب الحكاية فيها وسادسها تمييز

وشقى وسعيد على اختلاف طبقاتهم واشكالهم وتباين مراتبهم وأحوالهم وغير ذلك مما تصبح به او راقه يانعة الثمر وتمسى به صفحاته فى كل ناحية من وجوهها اقمر

فاذا نظرت الى الوجود باسره

شاهدت كل الكائنات ملاحا

على ان جماعة من المصريين غلبوا من تقدم بالتأليف فى هذا الباب ولم يفرق غالبهم فى التشبيب بين زينب والرباب

وكل يدعى وصلا بليلى

وليلى لا تقر لهم بذا كا

فرسم كتابنا هذا بذكر العامرية مهجور وهو بالنسبة الى ما الفه الشهاب محمود مشكور ومن وقف عليه علم صحة هذا الكلام وأنشد فى تصديق هذه الدعوى اذا قالت حذام مؤلف طوق الحمامة بالنسبة الى جملته يحول وصاحب منازل الاحباب ممن عرف المهر فبات دون المنزل وعذرت طيفك فى الجفاء لانه

يسرى فيصبح دوننا بمراحل

* (آخر) *

فيا دارها بالخيف ان مزارها

قريب ولكن دون ذلك أهوال

فان قلت الفضل للمتقدم وهل غادر الشعراء من متردم قلت نعم فى الخمر معنى ليس فى العنب وأحسن ما فى الطاوس الذنب

فدع كل صوت بعد صوتى فاننى

أنا الصائح المحكى والآخر الصدا

فكم ترك الاول للآخر ولا اعتبار بقول الشاعر

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى

ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل فى الارض يألفه الفتى

وحنينه أبدا لاول منزل

فقد سقط فى يديه وقيل فى الردعليه

من جهل شيء من احواله ممن علم بـآثاره وأقواله وسابعها تفصيل من علق الاحرار من اهل الرق والمسلمين من اهل الشرك وامثال ذلك من قديم ومحدث وثامنها ذكر ما في الاصل من الالفاظ اللغوية مفسرا ذلك بازائه مبدلا ذلك بأوضح منه وتاسعها شرح ما في الاشعار من الغريب وعاشرها تعليل الاسباب المتعلقة بهذا الفن بالعلل الحكمية مأخوذا من الاصول والادلة الفلسفية والقواعد الطبية وحادي عشرها ذكر تعلق هذا الفن بانواع المواليد الثلاثة وكيفية دخولها فيها وثاني عشرها الزيادات في الابواب فربما كانت انواعا مستقلة أو تكميلا لما وجد بعضه في الجملة وربما زاد عليه باشياء غير المذكورة في مطاوي معانيه فترعن استحضارها الذهن هنا كل ذلك مما استخرجه فكري القاصر وذهني الفاتر أو ظفرت به في كتب ربما اسمي بعضها فيه هذا كله مع اني والله لم اخل في يوم من أيام عمله من مشوش طارئ على ما عندي مما سبقت الاشارة الى ذكره ولما كمل واتسق وانتظم في اكمل نسق (سميته) بتزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشاق ورتبته على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة والله المسؤل أن ينفع به فيما قصد بترتيبه وان يوفقنا الى اصح القول وتهذيبه انه أكرم من اعطى المراد وسئل فجاد (فالمقدمة) فيما جاء فيه من الاخبار والآثار ويلي ذلك اربعة فصول الاول في الترغيب فيه والثاني في رسمه والثالث في مراتبه والرابع في علاماته *(والباب الاول)* في مصارع محبي الله تعالى وفيه فصل فيمن قتله التذكر بنحو سماع آية *(والباب الثاني)* في عشاق الجواري وهو ستة اقسام الاول فيمن اشتهر الثاني فيمن جهل الثالث في عشاق الاماء الرابع فيمن حظي بالتلاق بعد تجرع كأس الفراق الخامس فيمن وسموا بالفساق من العشاق السادس فيمن نكث الصحبة وحل عقد المحبة وفي كل قسم أصناف وانواع بحسب ما احتمله المقام من صحة الانقسام *(والباب الثالث)* في عشاق الغلمان وهو أربعة اقسام الاول فيمن استلب الهوى نفسه الثاني فيمن جهل حاله الثالث فيمن ظفر بمطلوبه الرابع فيمن منعه الزهد والعبادة ان يقضي مراده والحقت ذلك بخاتمة تشتمل على ذكر الدوا للسلو عن الهوى *(والباب الرابع)* في ذكر دخول العشق فيما سوى البشر وهو نوعان الاول في الجن والثاني في الحيوان والنبات والمعدن والعناصر والافلاك *(والباب الخامس)* قد اشتمل على فصول كل فصل منها قد احتوى على النكت والعجائب واللطائف والغرائب من اصول هذه الصناعة وقد ألزمت نفسي ان أفتتح كل فصل منه بكلام استاذ الحقيقة ورئيس أهل الطريقة مسكت كل لافظ ومبين ما في الطريق من القواطع والعوارض سيدي عمر بن الفارض غمرنا الله تعالى ببركاته وطيبنا بنفحاته متبعا ذلك بما تيسر من حل ألفاظه حسب ما سنح في الذهن ثم أقول بعد انتهاء متعلق الطريقة رجع الى كلام المترجمين من أهل الظاهر وأختم الفصل بما سمحت به القريحة الفاترة والفكرة القاصرة من لطائف النظم المناسب لما ذكره من أهل الصناعة هنالك واتبعت الفصول بتتمة في لطائف الغزل الخاص والعام وتقسيم ذلك *(وأما الخاتمة)* ففي لطائف ونكت متفرقة لا ألتزم تعلقها بالعشق وبها يتم الكتاب

(المقدمة فيما جاء في العشق من الاحاديث والآثار وفي حده ومراتبه)

أفخر بآخر من كلفت بحبه
لا خير في حب الحبيب الاول
أتشك في أن النبي محمدا
ساد البرية وهو آخر مرسل
وقال ديك الجن الحمصي يرد على حبيب قوله المتقدم
كذب الذين تحدثوا ان الهوى
لا شك فيه للحبيب الاول
مالي أحن الى خراب مقفر
درست معالمه كأن لم يؤهل
فقال حبيب حين بلغه قول ديك الجن المذكور
كذب الذين تخرصوا في قولهم
ما الحب الا للحبيب المقبل
أفطيب في الطعم ما قد ذقته
من مأكل أو مطعم ما لم يؤكل
فقال ديك الجن أيضا حين بلغه قول حبيب هذا
ارغب عن الحب القديم الاول
وعليك بالمستأنف المستقبل
نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى
كهوى جديد أو كوصل مقبل
وقال أبو البرق وسلك بتهمما جادة الانصاف وبقوله يجب الاعتراف لانه احسن في المقال حيث قال
زادوا على المعنى فكل محسن
والحق فيه مقالة لم تجهل
الحب للمحبوب ساعة وصله
ما الحب فيه لآخر ولا اول
على أني لم اجد ما في منازل الاحباب من ذكرى حبيب ومنزل ولا تحملت على مصنفه فواعجبا من قابي المتحمل ولكن قصدت التنبيه على ان حسن التأليف مواهب وان للناس فيما يعشقون مذاهب ومعلوم ان الجنون فنون وكل حزب بما لديهم فرحون ولم يزل كتابنا هذا في مسوداته منذ حجج وبيوته من بحورها في لجج لا أبيح ما فيه

(اعلم) ان واهب الصور لما صدر عنه العقل كان أعظم صادر لقربه من الكمال الذاتى فالعود اليه وطلب القرب منه واجب على كل ذى نفس قدسية ومن ثم تطابقت الادوار شاهدة بذلك ويدل له عموم فقال له اقبل الحديث وعنه النفس الكلية ثم قسما الاجسام الفلكية والعنصرية كما هو فى محله الى ان كان أشرف النفوس وأرفعها على الاطلاق النفس الانسانية واشبه الشئ باصوله كما هو واضح مقرر فى محله بالبراهين انقسمت هذه النفس باعتبار أصولها الى ثلاثة أقسام احدها النفوس المعدنية وهى الجامدة التى لا تعقل ما يراد منها ولا تعرف الا ما تقوم به بنيتها او يصدر عنها وذلك اما بالخاصية او بامر اودعه صانعها فيها لمصالح يعلمها او يشهد لذلك ما يشاهد من صور فى الجبال والطين ونحوهما ثانيها النباتية وهى أرفع من الاولى باعتبار الذبول والتحلل الظاهر وثالثها الحيوانية وتفضل السابقة بالحركة الارادية والحساسية ونحوهما من العوارض ثم كل واحدة من هذه الثلاث تنقسم باعتبار ما تشابهه من الانواع كانقسامه فى نفسه وذلك كانقسام الاولى الى ما يكون صافى الجوهر جيده كالياقوت والذهب والثانية الى ما هو كثير النفع طيب الطعم والرائحة كالعنبر والعود والثالثة الى ما هو صالح للنفع والزينة كالخيل والى شجاع كالاسد وخبيث كالنمر وحافظ للعهد كالكلب وقوام على حفظ ما يستحفظ كالقرد ونظائر ذلك ولما كانت النفس الانسانية زبدة الكائنات وخاتمة طرفى سلسلة العلل والمعلولات لاجرم كانت مقتدرة على ان تتبع شهوات الجسم وعوارض الكثيف فتكون حيوانية بحتة أو تعمل فى خلاص النفس من ظلمة الطبيعة وقفص الجسم فتلحق بعالمها الاصلى وهى النفس الملكية المقرة بالمبدأ والمعاد الخالصة من محض الكثافة المنتظمة فى سلك محض اللطافة أو تجمع بين الامرين وتوافق بين الطريقين وهذه هى الانسان المطلق والاولى الحيوانى والثانية الملكى فقد بان لك ان الانسان منقسم كاصله ومميز بفعله ثم لا شبهة فى انقسام كل كالمنتسب اليه ويكون كماله منزلا عليه فالحكيم محتاج فى اصلاح الاولى الى ما يكون بمجرد حسن اللفظ والسياسة كالطيور أو بالضرب والاهانة كالدب والحمار أو باطعام الطعام كالخيل والكلاب او بالارسال والجذب والتحفظ من غدرها كالاسود والجمال والثانية وان تفاوتت مراتبها غنية عن الاصلاح الا من قبل مبدعها والثالثة هى المحتاجة الى العلاج وملاطفة المزاج والعشق الحقيقى لها غالبا لانه تابع للامزجة ولان عشق الملكى والحيوانى بسيط اذ الاول يكون لمحض ذات واجب الوجود ومبدع الفيض والجود والثانى لمحض قضاء شهوات الجسم الفاسدة الناشئة عن الفكر الجامدة اذا تقرر هذا فاعلم ان العشق بعد ان سمعت ما سمعت يختلف باختلاف المزاج على انحاء أربعة سريع التعلق والزوال كما فى الصفراويين وعكسه كما فى السوداويين وسريع التعلق بطىء الزوال كما فى الدمويين وعكسه كما فى البلغميين ومثل هذه مراتب الحفظ والنسيان واما المعتدل فيكون العشق فيه كذلك فعلى هذا يكون قولهم لكل احد صبوة الا من جفت خلقته أو نقصت بنيته او خرجت عن الاعتدال امزجته محمولا على الاعتدال النسبى الذى اذا حصل لشخص كان به على ما ينبغى ان يكون عليه لا الحقيقى لعزة وجوده ولزوم ندور العشق حينئذ والواقع خلافه ثم هو متى وقع على ما وصفناه أمكن حصول المزايا المذكورة فيه فقد قال الاستاذ ان اقل مزاياه تعليم الكرم والشجاعة والنظافة وحسن الاخلاق وذلك

من منازل الاحباب لساكن ولا امكن
عاشقا من المرور بتلك الاماكن
أغار اذا آنست فى الحى أنه
حذارا وخوفا أن تكون لحبه
حتى برز طالبه المرسوم الشريف الملكى الناصرى أدام الله نشر أعلامه ولا أخلى كنانته من سهامه ما نفذت مراسيم سهام المقل وتثنى قوام الحبيب الذى طاب به الزمان واعتدل فبادرت الى تجهيزه وسبك ابريزه حسب المرسوم الشريف من غير تسويف ولا تكليف ولم أبح زهر منثوره لغير حضرته الشريفة من الانام لانه كان يقال كل ما يصلح للولى على العبد حرام لا جرم انه جاء بنظره السعيد نزهة للنظر وقال الواقف على عتبة بابه ان السعادة لتلحظ الحجر فهو للسلطان بستان وللعاشق سلوان وللمحب الصادق حبيب موافق وللمهجور نجوة وللنديم قهوة وللناسى تذكرة وللاعمى تبصرة وللشاعر المجيد بيت القصيد وللاديب الماهر مثل سائر وللمحدث قصص وللحاسد غصص وللفقيه تنبيه وللحبيب بالقمر تشبيه
تبادره بالبدر منه بوادره
وتحلو له عند المرور نوادره
ففيه له فى كل يوم وليلة
حبيب ملم او نديم يسامره
ولى فيه نظم ان تضوع نشره
ففى طيه حلو الكلام ونادره
ولى فيه منثور غدا فى مقامه
وعرف سناه مشرق الروض عاطره
ولى فيه من سحر البيان رسائل
اذا ما بدا فى أحور الطرف ساحره
ولى فيه أسرار الحروف لانه
بنقطه دمعى قد بدو سرائره
فمنثور دمعى مثل نظم سطوره
بخدودى اذا ما خط فيها دفاتره

ان غاية مراد العاشق رضا معشوقه ورضا المعشوق يكون باتصاف العاشق بما يوجب المدح ويحسن المرتبة فى القلب فعلى ثبوت هاتين المقدمتين ينتج ما قلناه واللازم واقع فكذا الملزوم وبيان الملازمة ظاهر وايضاحه ان العاشق وان بخل جدا فلا يمكن بخله على المعشوق ومنه يتطرق الحال الى من يعلم انه متى بخل عليه أوصل الامر الى معشوقه وهكذا فيؤدى الحال الى مطلق الكرم وكذا باقى السجايا المذكورة ولذلك جاء الناموس الشرعى بمطابقة القانون الحكمى كما هو شأن الشارع فى غير هذا أيضا ليكون التطابق بين الحكمة والشرع فى كل شئ ولا عبرة بكلام بعض الاغنياء عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فمات دخل الجنة زاد الخطيب عنه فظفر ثم ابدل قوله دخل الجنة بقوله مات شهيدا وفى أخرى وكتم الحديث بسائره ذكر صححه مغلطاى واعله البيهقى والجرجانى والحاكم فى التاريخ بضعف سويد وتفرده به ورواه ابن الجوزى مرفوعا وأبو محمد بن الحسين موقوفا وأخرج الخطيب عن عائشة رفعه ايضا وحاصل الامر اما صحته أو حسنه والجواب عن تفرد سويد المنع بوروده عن غيره وحكايته تحديثا وكونه قبل عماه فلا تدليس واذ قد ثبت فهو شاهد بما قلناه لان غاية الغايات دخول الجنة وهو مستلزم لرضا الله الذى لا مطلب أعلى منه وقد جعلت مقدمة هذا المطلب العالى العفة وهو مذهب الحكماء بل أساس الحكمة وهى كما صرح به المعلم ثمرة الاصل الطاهر لان اعلى الخلق الرضا والمزاج المعتدل ومنها الكتم وهى ثمرة المروأة والشهامة وكلاهما مستلزم علو النفس وصحة المزاج فقد اتضح ما قلناه وعن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليعجب من شاب لا صبوة له ووجه الاعجاب القدرة على حكم زمام النفس وزجر جامح تركيب الشهوة وتوفر الدواعى وما تكلفه فى الاصل من ان المراد بالاعجاب اثره واضح لا يحتاج اليه لانه وما شاكله من الرحمة التى هى رقة القلب لا تكون الا لدى المزاج ولما علم بالضرورة تنزهه عن الاجسام والاعراض علم بزوغه من لوازمها فما وقع مما يوهم شيأ فالمراد لازمه ولصحة هذا الحديث واشتهاره بين الاكابر جاء تضمينه فى أشعارهم كثيرا فمن ألطف ما قيل فى ذلك قول ابن الصائغ

سأكتم ما ألقاه يا نور ناظرى * من الاجر كيلا يذهب الاجر باطلا
فقد جاءنا عن سيد الخلق أحمد * ومن كان برا بالعباد وواصلا
بان الذى فى الحب يكتم وجده * يموت شهيدا فى الفراديس نازلا
رواه سويد عن على بن مسهر * فيا فيه من شك ان كان عاقلا
وماذا كثير للذى مات مغرما * سقيما عليلا بالهوى متشاغلا

(وألطف من ذلك) ما حكاه التاج السبكى فى الطبقات الكبرى عن أبى نواس قال مضيت الى باب أزهر والمحدثون ينتظرون خروجه فما كان الا ان خرج وجعل يعظم واحدا بعد واحد حتى التفت الى فقال ما حاجتك فقلت

ولقد كتم رويتم * عن سعيد عن قتاده * عن سعيد بن المسيب
ان سعد بن عباده * قال من مات محبا * فله أجر شهاده

فقال أزهر نعم وذكر الحديث ولابى نواس أيضا

حدثنا الخفاف عن وائل * وخالد الحذاء عن جابر * ومسعر عن بعض أصحابه

تمد مداد الدمع أقلام هدبه
فدمعى حبرى والسواد محابره
خدمت بديوان الصبابة عاملا
فباشر قتلى من سبانى ناظره
فلولا الهوى ما مات مثلى عاشق
ولا عمرت بالعامرى مقابره
وفى غزلى ذكر الغزال ومربع
تطارحنى فيه الحديث جآذره
أنزهه عن وصف خدر عنيزة
ومنزل قفر سرن عنه أباعره
تجر قوافيه معان فدابها
جرير كعبد أو تقته حرائره
يشيب بها فود الوليد لانه
يسير وجنح الليل سود ضفائره
ولست أرى يوما بدارة جلجل
سوى شاعر دارت عليه دوائره
اذا ما نسى ذكرى حبيب ومنزل
فانى ان أهواه ما عشت ذاكره
أجاور فى سفح المقطم جيرة
فيا حبذا المحبوب حين تجاوره
فيا طيف من أهواه طرفى ان غفا
أتهجره بالله أم أنت زائره
وحقك لو سايرته بعض ليلة
لسايرت صبامات فى الحب سائره
يمثلك الشوق الشديد لطرفه
فتجرى به كالجارى محاجره
ويأتيه طيف من خيالك طارق
فيطرق اجلالا كانك حاضره
وبى من يحج الغصن رمح قوامها
اذا بات فى الروض النضير يناظره
اذا أقبلت فى الحلى والطيب قيل لى
حبيبك بستان تضوع أزاهره
وان رمت منها وهى غضبى التفاتة
ثنت عطفها نحو الغزال تشاوره
أيبرد ما ألقاه من حر هجرها
وقد حميت يوما على هواجره
تحصنت فى حصن الهوى من عواذلى
وبات لقاى جيش هم عساكره

برفعه الشيخ الى عامر * وابن جريج عن سعيد وعن * قتادة الماضي وعن غابر
قالوا جميعا بمقالة * علقها ذو خلق طاهر * فواصلته ثم دامت له
على وصال الحافظ الذاكر * كانت لها الجنة مبذولة * تمرح في مرتعها الزاهر
وأي معشوق جفا عاشقا * بعد وصال ناعم ناضر
ففي عذاب الله مثوى له * بعد اله من ظالم غادر

وفي رستاق الاتفاق في ملح شعراء الآفاق لابن المبارك الامام

حدثنا سفيان عن جابر * عن خالد عن سهل الساعدي
برفعه من مات عشقا فقد * استوجب الاجر من الماجد

(وأما) الآثار فكثيرة لا تكاد تحصى ولكن نورد ألطفها كما هو شأننا فمن ذلك ما روى عن المهدي قال أشتهي ان اصلي على جنازة عاشق مات في الحب وكان شريح يكثر الجلوس في الطرقات ويقول لعلي أرى صورة حسنة وكان ابن الليث قاضي مصر يكتب في فتيا فسمع جارية تقول ترى حكومة ياسيدي * على من تعشق ان يقتلا
فرمى القلم من يده وهو يقول لا وعن ابن عباس الهوى اله معبود فقيل له أتقول ذلك فقال نعم أليس الله تعالى يقول أفرأيت من اتخذ الهه هواه وقال العباس بن الاحنف

ويح المحبين ما أشقى جدودهم * ان كان مثل الذي بي للمحبينا
يشقون في هذه الدنيا بعشقهم * لا يدركون بها دنيا ولا دينا
يرق قلبي لاهل العشق انهم * اذا رأوني وما ألقى يرقونا

(وله أيضا) أيها النادب قوما هلكوا * صارت الارض عليهم طبقا
أندب العشاق لا غيرهم * انما الهالك من قد عشقا

وأخرج ابن الحسين الجاذري عن معن بن عيسى قال دخل ابن سحنون على مالك فقال ياامام اجعلني في حل من أبيات قلتها فيك فقال وقد ظن انه هجاه انت في حل من ذلك فانشد الابيات بين يديه وهي

سلوا مالك المفتي عن اللهو والغنا * وحب الحسان المعجبات الفوارك
ينبئكم اني مصاب وانما * أسلي هموم النفس عني بذلك
فهل في محب يكتم الحب والهوى * اثام وهل في ضمة المتهالك

فضحك وقال لا ان شاء الله وأظرف من ذلك ما اخرجه ابو نعيم في الحلية عن الربيع بن سليمان قال دخل شاب على الشافعي برقعة فوقع فيها بعد ما نظر وناوله اياها فتبعته على انها فتيا أكتبها فاذا هي سل العالم المكي هل في تزاور * وضم لمشتاق الفؤاد جناح
(فكتب تحته) أقول معاذ الله ان يذهب التقى * تلاصق اكباد بهن جراح
أنكرت كتابته مثل هذا الشاب وذكرته له فقال انه هاشمي وقد دخل بعرسه في هذا الشهر يعني رمضان فسأل عن الضم والتقبيل هل يفسدان الصوم فقلت له لا قال الربيع عاودته فاذا الامر كذلك فعجبت من فراسته وحكى في الاصل عن ابن حجر قال اخرج ابو نعيم ايضا عن ابن سيرين انهم كانوا يعشقون بلا ريبة وفي الطبقات الكبرى لابن السبكي وحكاه في الاصل مترددا قال كتب جلال الدولة الى ابي الطيب الطبري سؤالا صورته

ياأيها العالم ماذا ترى * في عاشق ذاب من الوجد * من حب ظبي اهيف اغيد

ولو لم يكن أعمى البصيرة عاذلي
لما عميت عمن هويت نواظره
يشبهها بالغصن والغصن عندها
يشاهدها يغضي ويطرق ناظره
ألا لغصن خد كالشقيق اذا بدا
وشعر كجنح الليل سود غدائره
لئن طاب ذلي في هواها فانني
وحقك ممن عز في مصر ناصره
مليك يهز الرمح اعطاف قده
كما اهتز غصن طار في الحب طائره
مليك تريه قبل ما هو كائن
بصيرته اضعاف ما هو ناظره
مليك اذا ما جئته حسن اللقا
جميل المحيا بارع الحسن باهره
مليك اذا ما صار كالبدر في الدجى
فأولاده مثل النجوم تسايره
مليك أرى من حوله كل عالم
يذكره في العلم ما هو ذاكره
مليك له في كل يوم وليلة
بشير توالت بالهناء بشائره
مليك أسود الغاب تحذر باسه
لان ملوك الارض طرا تحاذره
تروعهم شهب السما وبروقه
وما هي الا سمره وبواتره
اذا اقترعت أشكال حال اجتماعهم
فأي ضمير لم يدس فيه ضامره
وأي كماة لم يرعهم نزاله
وأي مكان ما علته منابره
وأي قصيد بحرها لم يرق له
وغائص فكري ناظم الدر ناثره
ولي فيه من غر التصانيف خمسة
وهذا الذي طوق الحمامة عاشره
يضوع به المنثور كالزهر عندما
تراوحه ريح الصبا وتباكره
فكم فيه لي من مرقص حول مطرب
بتشبيبه في الحي يطرب زائره
ولو لم يكن مثل السكر دان ما غدا
بحضرته يوما تطيب حواضره

سهل الهيا حسن القد * فهل ترى تقبيله جائزا * فى النحر والعينين والخد
من غير ما فحش ولا ريبة * بل بعناق جائز الحد
ان أنت لم تفت فانى اذا * أصبح من وجدى واستعدى

(فاجابه)

يا أيها السائل انى أرى * تقبيلك العين مع الخد * يفضى الى ما بعده فاجتنب
قبلته بالحد والجهد * فان من يرتع فى روضة * لابد ان يجنى من الورد
وان من تحسبه ناسكا * لابد ان يغلب بالوجد * فاستشعر العفة واعص الهوى
يسلم لك الدين مع الود * تغنيك عنه كاعب ناهد * تضمها بالملك والعقد
تملك منها كلما تشتهى * غير ما فحش ولا رد
هذا جوابى لقتيل الهوى * فلا تكن بالحق تستعدى

واخرج الخطيب البغدادى عن العنزى قال رأيت عاشقين اجتمعا فتحدثا من اول الليل الى الغداة ثم قاما الى الصلاة وفى معناه انشد العلامة محمود لنفسه وهو من لزوم ما لا يلزم

لله وقفة عاشقين تلاقيا * من بعد طول نوى وبعد مزار
يتعاطيان من الغرام مدامة * زادتهما بعدا من الاوزار
صدقا الغرام فلم يمل طرف الى * فحش ولا كف لحل ازار
فتلاقيا وتفرقا وكلاهما * لم يخش مطعن عائب أوزارى

ومنه ما حكى عن بعضهم قال حكت لى امرأة عن شخص هويها وهويته انه قال لها يوما هل لك أن نحقق ما قيل فينا فقالت معاذ الله أن أفعل ذلك وأنا اقرأ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقيل لاعرابى ليلة تزويج محبوبته أيسرك أن تظفر بها قال نعم قيل فما كنت تصنع بها قال أطيع الحب فى لثمها وأعصى الشيطان فى اثمها وعن الاصمعى قيل لاعرابى ما تصنع ان ظفرت بمحبوبتك قال أمتع عينى من وجهها وسمعى من حديثها واستر منها ما يحرم كشفه الا عند حله وأنشد ابن القاسم فى المعنى وان كان فيه بعد لانك تعتبر الحياء من الايمان اللازم للعفة وخوف الله تعالى

كم قد خلوت بمن أهوى فيمنعنى * منه الحياء وقد أودى بمعقولى
يأبى الحياء وشيبى ان ألم به * وخشية اللوم من قال ومن قيل

واصرح منه فى المقصود ما أنشده ابراهيم بن عرفة

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعنى * منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعنى * منه الفكاهة والتحديث والنظر
أهوى الحسان واهوى أن أجالسهم * وليس لى فى حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية * لا خير فى لذة من بعدها سقر

واخرج صاحب الاصل عن سعيد بن عقبة الهمذانى قال لاعرابى حضر مجلسه ممن الرجل قال من قوم اذا عشقوا ماتوا فقال عذرى ورب الكعبة ثم سأله علة ذلك فقال لان فى نسائنا صباحة وفى فتياننا عفة واخرجه فى الخلفيات أيضا وفى معناه أنشد حبيب

ما ان دعانى الهوى لفاحشة * الا عصانى الحياء والكرم
فلا الى محرم مددت يدى * ولا مشت بى لزلة قدم

ثم ألفته باسم مولانا السلطان على الوجه المشروح وتوليت لاجله عمله بنفسى فجاء كما قيل على الروح للروح

أهيم بمن هام الحبيب بحبه
ألا فاعجبوا من ذا الغرام المسلسل

وسلكت فى تأليفه الاختصار والاقتصار على النوادر القصار لانه كان يقال الوضع وضعان وضع له افتخار ووضع له نجار وقال يحيى بن خالد لولده اكتبوا احسن ما تسمعون واحفظوا أحسن ما تكتبون وحدثوا باحسن ما تحفظون وخذوا من كل شئ طرفا فانه من جهل شيأ عاداه *(وسميته)* ديوان الصبابة ليصبح الواقف عليه مولها ويعلم انه ان لم يكن أهلا للصبابة من لها

ما يعلم الشوق الا من يكابده
ولا الصبابة الا من يعانيها

أى والله

قلما يبرح المطيع هواه
كلفا ذا صبابة وجنون

(ورتبته) على مقدمة وثلاثين بابا وخاتمة أما المقدمة ففى ذكر حد العشق واشتقاقه وما قيل فى وصفه ورتبه وأسبابه وعلاماته ومراتبه واسمائه ومدحه وذمه وذكر اختلاف الناس فيه هل هو اختيارى أو اضطرارى ونحو ذلك وأما الابواب فالباب الاول فى ذكر الحسن والجمال وما قيل فيهما من تفصيل واجمال والباب الثانى فى ذكر المحبين والظرفاء من الملوك والخلفاء والباب الثالث فى ذكر من عشق على السماع ووقع من النزوع الى الحبيب فى نزاع والباب الرابع فى ذكر من نظر أول نظرة فاحترق من خد الحبيب بجمرة والباب الخامس فى ذكر تغير الالوان عند العيان من صفرة ووجل وحمرة وخجل وما فى معنى ذلك من عقد

هـذا ما جاء في الآثار من العشق مع العفة وأما ما يدل على كثرة وقوعه واختصاص قوم عزيد منه فكثير فمن ذلك ما أخرجه التنوخي عن عروة بن الزبير قال قلت لعذري انكم أرق الناس قلوبا بريد اصباهم الى الحب فقال نعم لقد تركت ثلاثين شابا خامرهم السل ما بهم داء الا الحب وقيل لشخص منهم مثله فقال كقوله وزاد لكن غلبتنا بنو عامر بجنونها في منازل الاحباب للشهاب محمود ليس حي أصدق في الحب من بني عذرة ولا تضرب الامثال فيه الا بهم وقال فزاري قلت يوما العذري أتعدون موتكم في الحب مزية وهو من ضعف البنية ووهن العقدة وضيق الرئة فقال أما والله لو رأيتم المحاجر البلج ترشق بالعيون الدعج من تحت الحواجب الزج والشفاه السمر تبسم عن الثنايا الغر كأنها شذر الدر لجعلتموها اللات والعزى وتركتم الاسلام وراء ظهوركم (وعن) أبي عمرو بن العلاء قال استنطقت اعرابيا عند الكعبة واستنسبته فاذا هو فصيح عذري فسألته هل علقه الحب فأنبأ عن شدة ولوع فسألته ما قال في ذلك فأنشد

تتبعن مرمى الوحش حتى رميننا * من النبل لا بالطائشات المخاطف

ضعائف يقتلن الرجال بلا دم * فياعجبا للقاتلات الضعائف

وللعين ملهى في البلاد ولم يقد * هوى النفس شيء كاقتياد الطرائف

وقال بعض حكماء الهند ما علق العشق بأحد منا الا وعزينا أهله فيه وحكى الحافظ مغلطاي ان العشق يختلف باختلاف أصحابه فان الغرام أشد ما يكون مع الفراغ وتكرار التردد الى المعشوق والعجز عن الوصول اليه فعلى هذا يكون أخف الناس عشقا الملوك ثم من دونهم لاشتغالهم بتدبير الملك وقدرتهم على مرادهم ولكن قد يتذللون للمحبوب لما في ذلك من مزيد اللذة كقول الحكم بن هشام

ظل من فرط حبه مملوكا * ولقد كان قبل ذلك مليكا * تركته جآذر القصر صبا

مستهاما على الصعيد تريكا * يجعل الخد واضعا تحت ترب * للذي يجعل الحرير أريكا

هكذا يحسن التذلل بالحر اذا كان في الهوى مملوكا

وقول الرشيد أيضا

ملك الثلاث الآنسات عناني * وحللن من قلبي بكل مكان

مالي تطاوعني البرية كلها * واطيعهن وهن في عصياني

ماذاك الا ان سلطان الهوى * وبه قوين اعز من سلطاني

وقال ابن الاحمر سلطان الاندلس

أيا ربة الخدر التي اذهبت نسكي * على كل حال انت لا بد لي منك

فاما بذل وهو أليق بالهوى * واما بعز وهو أليق بالملك

وقال ابن طاهر صاحب خراسان

فاني وان حنت اليك ضمائري * فما قدر حبي أن يذل له قدري

ودونهم أفرغ لقلة الاشتغال حتى يكون المتفرغ له بالذات أهل البادية لعدم اشتغالهم بعوائق ومن ثم هم أكثر الناس موتا به ثم اعلم ان العشق متى استولى لم يبق صفة سواه ولذلك يذهب الاخلاق العسرة وقوة النفس وفي معنى ذلك انشد بعضهم حيث قال في رسالة أرسلها الى محبوبته

اللسان وسحر البيان والباب السادس في ذكر الغيرة وما فيها من الحيرة وقرع سن ديك الجن والباب السابع في ذكر افشاء السر والكتمان عن أبناء الزمان والباب الثامن في ذكر مغالطة المحب واستعطافه وتلافي غيظه وانحرافه والباب التاسع في ذكر الرسل والرسائل والتلطف في الوسائل والباب العاشر في ذكر الاحتيال على طيف الخيال وغير ذلك مما قيل فيه على اختلاف معانيه والباب الحادي عشر في ذكر قصر الليل وطوله وخضاب شفقه ونصوله وما في معنى ذلك والباب الثاني عشر في ذكر قلة عقل العذول وما عنده من كثرة الفضول والباب الثالث عشر في ذكر الاشارة الى الوصل والزيادة والباب الرابع عشر في ذكر الرقيب والنمام والواشي الكثير الكلام والباب الخامس عشر في ذكر العتاب عند اجتماع الاحباب وفي معنى ذلك من الرضا والعفو عما مضى والباب السادس عشر في ذكر اغاثة العاشق المسكين اذا وصلت العظم السكين والباب السابع عشر في ذكر دواء علة الجوى وما يقاسيه أهل الهوى والباب الثامن عشر في ذكر تعنت المعشوق على الصب المشوق وغير ذلك من أقسام الهجر وصبر القابض فيه على الجمر والباب التاسع عشر في ذكر الدعاء على المحبوب وما فيه من الفقه المقلوب والباب العشرون في ذكر الخضوع وانسكاب الدموع والباب الحادي والعشرون في ذكر الوعد والاماني وما فيهما من راحة العاني والباب الثاني والعشرون في ذكر الرضا من المحبوب بايسر مطلوب والباب الثالث والعشرون في ذكر اختلاط الارواح كاختلاط الماء بالراح والباب الرابع والعشرون في ذكر عود المحب كالخلال وطيف الخيال وما في معنى ذلك من دقة خصر الحبيب وتشبيه الردف بالكثيب والباب الخامس

شكوت فقالت كل هذا تبرم * بحبي أراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الحب قالت اشدما * صبرت وما هذا بفعل شجي القلب
وأدنو فتقصيني فأبعد طالبا * رضاها فتعتد التباعد من ذنبي
فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها * وتجزع من بعدي وتنفر من قربي
فياقوم هل من حيلة تعرفونها * اشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربي

ومنهم من تحمله الانفة على أن يفارق بعد اظهار شدة شوق وقوة ميل وكذا شدة الاقبال من المحبوب فيتوهم حيث تشبع نفسه ان الشوق لا يعاوده فيفارق و يعود ذلك عليه بتلف نفسه والحق ان ذلك كله مع عدم التمكن وهو الموسوم بالاشراك والا فالصادق منه لا يرى وجود السوى المحبوب ومن ثم طعن على من يرى الدنيا مثالا لمحبوبه او يظن وجوده ودونوا ما صدر عمن بدأ بالسلوان ثم ندم فمن الطف ما قيل في ذلك قول الهذلي

و يمنعني من بعض اظهار ظلمها * اذا ظلمت يوما وان كان لي عذر
مخافة اني قد علمت اذا بدا * لي الهجر منها ما على هجرها صبر
واني لا أدري اذا النفس أشرفت * على هجرها ما يبلغن بي الهجر

وقال ابن الجهم

نوب الزمان كثيرة وأشدها * شمل تحكم فيه يوم فراق
يا قلب لم عرضت نفسك للهوى * اوما رأيت مصارع العشاق

(فصل في الترغيب في العشق والحث عليه) قيل ان بهرام جور لم يرزق سوى ولد فاخذ في ترشيحه للملك وهو ساقط الهمة الى ان اتفق المعلمون من الحكماء وغيرهم على أن لا نافع له غير العشق فسلط عليه الجواري يعبثن به الى ان علق بواحدة منهن فامرها الملك بالتجني عليه وانها لا تطلب الا رفيع الهمة ذا رغبة في العلم والملك فكان بسبب ذلك من اجل ملوك الفرس واعلمها وفي المعنى قال ابن الاحنف

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى * ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

(وقال بعضهم)

وما سرني اني خلي من الهوى * ولو ان لي ما بين شرق الى غرب

وقال ابن ابي كثير لابن ابي الزرقاء هل عشقت حتى تكاتب وتراسل فقال لا قال ان تفلح والله أبدا وانشد الشعبي أذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فانت وعير في الفلاة سواء وعجزه غيره فقال * فكن حجرا من يابس الصخر جلدا * وأنشد ابن معاذ

ولا خير في الدنيا اذا انت لم تزر * خليلا ولم ينظر اليك حبيب

وقالت امرأة فيه ايضا

رأيت الهوى حلوا اذا اجتمع الشمل * ومرا على الهجران لا بل هو القتل
ومن لم يذق للهجر طعما فانه * اذا ذاق طعم الحب لم يدر ما الوصل
وقد ذقت طعميه على القرب والنوى * فأبعده قتل واقربه خبل

(فصل في رسومه وحدوده وما جاء عن الحكماء وغيرهم في ذلك) قال بعضهم العشق مجهول لا يعرف ومعروف لا يجهل هزله جد وجده هزل وهذا في الحقيقة تعريف بالعوارض غير اللازمة واشارات الى اختلاف الحالات الكائنة منه فان الجهل يعتري العشاق عند

ترايد

حبيب والباب السابع والعشرون في ذكر طرف يسير من المقاطيع الفائقة والاغزال الرائقة مما اشتمل على ورد الخدود ورمان النهود وغير ذلك مما هنالك والباب الثامن والعشرون في ذكر طرف يسير من اخبار المطربين المجيدين من الرجال وذوات الحجال وما في معنى ذلك من ذكر مو الاتهم ووصف آلاتهم والباب التاسع والعشرون في ذكر من ابتلي من أهل هذا الزمان بحب النساء والغلمان والباب الثلاثون في ذكر من اتصف من العفاف بأحسن الاوصاف وأما الخاتمة ففي ذكر من مات من حبه وقدم على ربه من غني وفقير وكبير وصغير على اختلاف ضروبهم وتباين مطالبهم ولاجل ذكرهم أسست قواعد هذا الكتاب ودخلت فيه من باب وخرجت من باب ومن هنا نشرع في ذكر ما يجاب الراحة كراوح الخيش وتكون عند المطالعة كالطليعة للجيش وهذه المقدمة في ذكر رسم العشق ووسمه ومدحه وذمه وذكر اختلاف الناس فيه هل هو اختياري أو اضطراري ويشتمل ذلك على خمسة فصول

(الفصل الاول في رسم العشق ووسمه وما قيل في اسمه) أقول هذا الفصل عقدناه لذكر رسم العشق وحده وجزئيه المتلاطم ومده وما للناس فيه من الكلام البائن والقول المتباين اذ فيهم من التبس عليه فسماه باسم سببه او باسم ما يؤول اليه وغير ذلك مما التبس عليهم فيه الجواب واصابة الصواب وعذرهم الظاهر قول الشاعر

يقول أناس لو نعت لنا الهوى
ووالله ما أدري لهم كيف أنعت

فليس لشيء منه حد أحده * وليس لشيء منه وقت موقت

تزايد الحب فيوجب الحيرة في الامر وعكسه عند انفصاله عن الحيلة والهزل مباديه والجد تمكنه ونحو ما اجاب ابن اكثم به وقد سأله المأمون ما العشق فقال سوانح للمرء تؤثرها النفس و يهيم بها القلب فقال له ثمامة انما شأنك ان تفتي في مسئلة طلاق او محرم فقال المأمون قل يا ثمامة فقال العشق جليس ممتع واليف مؤنس وصاحب مالك وملك قاهر مسالكه لطيفة ومذاهبه غامضة واحكامه جائرة ملك الابدان وارواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها واعطي عنان طاعتها وقياد ملكها وقوى تصرفه توارى عن الابصار مدخله وغمض في القلوب مسلكه فقال له المأمون احسنت يا ثمامة وامر له بالف دينار وفي رواية انه قال له اذا امتزجت جواهر النفس بوصل المشاكلة نتجت لمح نور ساطع تستضيء به نواظر العقل ويتصور من ذلك اللوامح نور خاص بالنفس متصل بجواهرها يسمى عشقا اقول وهذا تعريف له بحقائقه ومواده الذاتية والاول تعريف بالعوارض والغايات وهذا بالحكمة اليق وايضاحه ان نور البصر يوصل ما يدركه الى المشترك وهو الى الواهمة حتى يرتسم في القوة العاقلة المعروفة بالنفس الناطقة فقوله بوصل المشاكلة يريد ان النظر الواقع عن تأمل عارف بتأمل المحاسن ودقائق لطيف الشمائل يوجب ارتسام أنوار في النفس تشبه الجواهر المجردة تزدوج بالنفس لاتحاد بينهما في اللطف والصفاء وهذا دليل على ان العشق لا يتصور من جاهل غليظ الطبع ووصفه بعض البلغاء بانه فضيلة تنتج الحيلة وتشجع الجبان وتسخي كف البخيل وتصفي ذهن الغبي وتطلق بالشعر لسان الاعجم وتبعث حزم العاجز الضعيف وهو عزيز يذل له عز الملوك وتضرع له صولة الشجاع وهو داعية للادب واول باب تفتق به الاذهان والفطن ويستخرج به دقائق المكايد والحيل واليه تستريح الهمم وتسكن به نوافر الاخلاق والشيم يمتع جليسه ويؤنس اليفه وله سرور يجول في النفوس وفرح يسكن في القلوب وقال سعيد ابن سالم وقد قيل له ان ابنك شرع في الرقيق من الشعر فقال دعوه ينظف ويلطف ويظرف يعني انه يطلع من رقيق الشعر على أسرار البلغاء وليس أرق من الغزل ولا أدق لما فيه من تعلق العشق ومدح المحبوب وذلك يؤدي الى ما ذكر فان العاشق اذا علم ما يقربه الى محبوبه بذل فيه امكانه والظرافة واللطافة والنظافة اعظم مقرب فكانه قال دعوه لعله يتصف بالعشق ولولا الحمل على ذلك لم يصلح سوق هذا هنا لانه على ظاهره ترغيب في مطلق الشعر فليتأمل ونقل ابن خلكان في ترجمة العلاف ما ملخصه ان العشق جرعة من حياض الموت وبقعة من رياض الثكل لكنه لا يكون الا عن اريحية في الطبع ولطافة في الشمائل وجود لا يتفق معه منع وميل لا ينتفع فيه عذل وفي معنى شدة العشق أنشد المؤمل

شف المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر

يكفي المحبين في الدنيا عذابهم * والله لا عذبتهم بعدها سقر

وعرفه ارسطو بانه جهل عارض صادف قلبا فارغا دق عن الافهام مسلكه وخفي عن الابصار موضعه وحارت العقول في كيفية تمكنه غير ابتداء حركته وعظم سلطانه من القلب ثم يتفشى على سائر الاعضاء فيبدي الرعدة في الاطراف والصفرة في الابدان واللجلجة في الكلام والضعف في الرأي والزلل والعثار حتى ينسب صاحبه الى الجنون زادت اعرابية يذهب العقل وينحل الجسم ويهمل الدمع يجدده مرور الايام ولا تفسده بل لا تغيره اساءة

فمن حذوه الملحة ورسومه الصحيحة قول فيثاغورس الذي اخذ عن أصحاب سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فيما ذكره صاعد في كتاب الطبقات العشق طمع يتولد في القلب ويتحرك وينمو ثم يتربى وتجتمع اليه مواد من الحرص وكلما قوي زاد صاحبه في الاهتياج واللجاج والتمادي في الطمع والفكر والاماني والحرص على الطلب حتى يؤديه ذلك الى الغم المقلق ويكون احتراق الدم عند ذلك باستحالة السوداء او التهاب الصفراء وانقلابها اليها ومن طبع السوداء افساد الفكر ومع فساد الفكر يكون زوال العقل ورجاء ما لا يكون وتمني ما لا يتم حتى يؤدي ذلك الى الجنون فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه وربما مات غما وربما نظر الى معشوقه فمات فرحا وربما شهق شهقة فتختنق روحه فيبقى اربعا وعشرين ساعة فيظنون انه مات فيدفنونه وهو حي وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه في تامور قلبه وينضم عليها القلب ولا ينفرج حتى يموت وتراه اذا ذكر من يهواه هرب دمه واستحال لونه قال الامام ابن الامام محمد بن داود الظاهري واذا كان ذلك كذلك فان زوال المكروه عمن هذه حالته لا سبيل اليه بتدبير الادوية ولا شفاء له الا بلطف رب العالمين وذلك ان المكروه العارض من سبب واحد قائم بنفسه يتهيأ التلطف فيه بزوال سببه فاما اذا وقع السببان وكان كل واحد منهما سببا فاذا كانت السوداء سببا لاتصال الفكر وكان اتصال الفكر سببا لاحتراق الدم والصفراء وقلبهما الى تقوية السوداء فهذا هو الداء العضال الذي يعجز عن معالجته الاطباء ومنها قول أفلاطون الآخذ الحكمة عن فيثاغورس المتقدم ذكره العشق قوة غريزية متولدة من وساوس الطمع واشباح التخيل نام باتصال الهيكل الطبيعي يحدث للشجاع جبنا وللجبان شجاعة يكسو كل انسان

المحبوب على الدوام ومن ثم قال الاصمعي وقد سأله الرشيد ماحقيقة العشق فقال انه شئ يستغرق القلب فى محاسن المحبوب ويذهله عن مساويه فيجد رائحة البصل من المحبوب أعظم من المسك والعنبر وتعاتب امرأتان من اهل المدينة فى الهوى فقالت احداهما تعذل الاخرى ذكروا فى الحكمة لا تلم من أساء بك الظن اذا جعلت نفسك غرضا للتهمة ومن لم يكن عونا على نفسه من خصمه لم يكن عنده شئ من عقدة الرأى ومن قدم على الهوى وهو يعلم مافيه من المتعبة سلط على نفسه لسان العذل وضيع الحزم فقالت المعذولة ليس الهوى الى الرأى فيملكه ولا الى العقل فيدركه اما سمعت قول الشاعر

ليس خطب الهوى بخطب يسير * لا ينبئك عنه مثل خبير
ليس امر الهوى يدبر بالرأ * ى ولا بالقياس والتفكير
انما الامر فى الهوى خطرات * محدثات الامور بعد الامور

وقيل هى لعلية بنت المهدى حكاه الصولى ووجد على صخرة العشق ملك غشوم مسلط ظلوم دانت له القلوب وانقادت له الالباب وخضعت له النفوس فالعقل أسيره والنظر رسوله واللحظ عامله والتفكر جاسوسه والشغف حاجبه والهيمان نائبه بحر مستقره غامض ويم تياره طافح وفائض وهو دقيق المسالك عسير المخرج وضرب بعض الحكماء مثلا للشهوة والعشق فقال هما كالنحل يستميل القلوب بحلاوة عسله وربما قتل بسمه وذلك لان الانسان اماذو عقل ملكي يتعقل الاشياء فينزجر وانفس شهوانية ترى اللذات فتنهمك ومن ثم اذا وقع عن صدق جعل المتحابين كنفس واحدة حكى الغنوى قال دعيت الى عيادة مريض أحبه آخر فدخلنا عليهما والمحب الصحيح يذب عنه فكان اذا شكا المريض شيأ شكا الآخر مثله فقدر ان قضى ونحن عنده فمال لمفارقته نفسه ففارق الصحيح نفسه ومثله ماحكاه فى ذيل الامالى عن التميمي ان اخوين من امرأة يقال لهما فضل وفضيل قضى احدهما فاما دفن طأطأ الآخر ينظره فلما سوى عليه اللبن انشد

سأبكيك لا مستقصيا فيض عبرة * ولا مبتغ بالصبر عاقبة الصبر

ثم عاد لزم المنزل حتى قضى من الغد

(فصل فى بيان مراتبه وماورد فى كيفية ترقيه حتى يستولى على الحواس النفسية ويستغرق القوى الحسية ويملك العقل والبدن ويورث الذل والمحن ويسهل الوقوع فى المهالك ويغرى على سلوك اوعر المسالك) اعلم انه ألطف موجود نشأ فى الوجود كما حققناه وحيث هو كذلك فتعلقه لابد وان يشاكله لاحتياج كل اثنين تألفا الى نسبة تأليفية ولا شبهة ان الروح الطف مافى البدن فلذلك كان العشق اول ماينشبث بها فهذا دليل على انه يقابل الامراض كلها ومن ثم قال المعلم العشق نصف الامراض وشطر الاعراض وقسيم الاسقام وجل الآلام وهذا واضح لان الروح هى الجزء اللطيف والبدن الجزء الكثيف والامراض تبدأ بالبدن والعشق بالروح ولاشك ان سريان اللطيف فى اللطيف اسرع ملاكا واعظم استملاكا ويليه اللطيف فى الكثيف كالحمى فى البدن ثم الكثيف فى الكثيف كالفالج فيه فعلى هذا يتجه كلام المعلم بل اقول ان العشق غالب الامراض وليست بالنسبة اليه الا كالعشر الى الكل والقطرة الى البحر وبرهانه ان الامراض غالبا تخص البدن وانما اشتغال الروح حينئذ بالتدبير والاذهى فى نفسها صحيحة واما العشق

ارسطاطاليس الآخذ للحكمة عن افلاطون المتقدم ذكره العشق عمى العاشق عن عيوب المعشوق وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمي ويصم وقول الشاعر

فلست براء عيب ذى الود كله
ولا بعض مافيه اذا كنت راضيا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدى المساويا

(وقول الآخر)

وعين السخط تبصر كل عيب
وعين أخى الرضا عن ذاك عميا

ومنها مامشى عليه أبو على ابن سينا وغيره من الاطباء العشق مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل وقد يكون معه شهوة جماع وقد لا يكون وقال بعض الادباء الظرفاء العشق عبارة عن طلب ذلك الفعل المخصوص من شخص مخصوص وهذا طريف وقال الجنيد العشق الفة رحمانية والهام شوقي أوجبها كرم الله تعالى على كل ذى روح لحصول به اللذة العظمى التى لا يقدر على مثلها الا بتلك الالفة وهى موجودة فى الانفس بقدر مراتبها عند اربابها فما أحد الا عاشق لامر يستدل به على قدر طبقته من الخلق ولاجل ذلك كان أشرف المراتب فى الدنيا مراتب الذين زهدوا فيها مع كونها معاينة ومالوا الى الاخرى مع كونها مخبرا لهم عنها بصورة اللفظ وقال الاصمعي سألت اعرابية عن العشق فقالت جل والله عن ان يرى وخفى عن ابصار الورى فهو فى الصدور كامن ككمون النار فى الحجر ان قدحته أورى وان تركته توارى وقال بعضهم الجنون فنون والعشق فن من فنونه واحتج بقول قيس

فعاقبته افساد البدن وتعطيل الفكر والحاق العقلاء باهل الجنون ثم مرتبته الثانية تتولد عن تكرار نظر او سماع خطاب يتمثل له في الذهن معنى يكون لحديد القلوب مغناطيسا جاذبا ولانظارها السفسطية برهانا غالبا ويسمى حينئذ العشق الحسي وقال فيثاغورس لا يسمى حسيا الا اذا تولد عن مباشرة الحس وهذا عندي ليس بشرط وان اشترط ففي حق البلداء من الناس ومن في حواسهم الباطنة ضعف والا فاحد الحاستين الاصليتين كاف في ايصاله الى الحس المشترك ثم مرتبته الثالثة الخيالية وهي عبارة عن استيعابه التخيل حتى لم يبق للعاشق تخيل الا صورة المعشوق وان شارك الناس في الامور الظاهرة كانت تلك المشاركة غير تامة وعلاماتها غلبة السهو ونقص الافعال والاحتياج الى محرك باعث ثم مرتبته الرابعة مرتبة الحفظ وهي الاستيلاء على الحفظ فتصرف القوة عن تحصيل كل كمال والنظر الى كل جمال وهذا هو العشق الذي يرى صاحبه الميل الى سوى المحبوب اشراكا والفكر في غيره ضياعا واشغال الزمان بما سواه فسادا او خروجا واليه اشار الفارضي بقوله

ولو خطرت لي في سواك ارادة * على خاطري سهوا قضيت بردتي

فتعبيره بالسهو اشارة الى تقصي المراتب واستيفاء الشروط وكانه يقول من المعلوم ان السهو لا يحدث الا من كثرة الواردات ولم يبق على قلبي وارد سواك فكيف أسهو ومن ثم اشار بعد ذلك الى طرح المراد واماطة العلائق واتحاد الطالب مع المطلوب وعدم الاثنينية بقوله

وكل الذي ترضاه والموت دونه * به أنا راض والصبابة ارضت

بعد ان كان قبل الوصول الى هذه المرتبة قد أثبت لنفسه مرادا حيث قال

وعيدك لي وعد وانجازه مني * ولي بغير البعد ان يرم يثبت

ثم الخامسة مرتبة الاستغراق وهي استيلاء الاشتغال بالمحبوب على النفس الناطقة بأسرها وارتسام صورة المحبوب في مرآة العاقلة وحدها مع محو ما سواها والى ذلك أشار العارف المذكور بقوله ولا غرو ان صلى الانام الى أن * ثوت بفؤادي فهي قبلة قبلتي

وقوله * ووجدي بها ماحي والفقد مثبتي *

يعني أن وجدي الصحيح بالمحبوبة محاني اي صورتي التي كانت مع العالم الدنيوي فكان فقدي لها هو الذي أثبتني وهذه المرتبة على الاصح من كلام كثير هي أول المراتب التي يقع ببلوغها اليأس من الانتفاع بالعلاج الذي ذكرته الاطباء كالنظر في الحساب والمحاورات وذكر مساوي المحبوب والنظر الى أمثاله وما يقارب به الى غير ذلك مما هو مقرر في مواضعه السادسة مرتبة الانقلاب وهي مرتبة ينقلب فيها ادراك العاشق في سائر آلاته فيصير اذا لمس الحجر أو ذاق الصبر أو سمع الايذاء أو رأى شيأ كالجيفة او شم رائحتها فضلا عن اضداد ذلك يعتقده المحبوب وربما تجرد عن صورته فشاهدها المحبوب واليه أشار بقوله

فلم تهوني ما لم تكن في فانيا * ولم تفن ما لم تجتلى فيك صورتي

وهذه المرتبة مع العناية والاخلاص تنقلب قدسية اذا كانت النفس الناطقة قبل ذلك قد تخلصت بالكمالات عن البهيمة والا الحقت صاحبها بالحيوانات وعنها عبرت الاطباء بالمانيا والسرسام والسهر السباتي والماليخوليا والسابعة مرتبة العدم الكلي والمفارقة الابدية وهي التي اذا بلغتها النفس لم تستقر في البدن وربما كانت مفارقتها بتذكر أو سماع ذكر او تنفس صعداء او امر من المحبوب وحاصلها أن يصير الموت اعظم أمنية للنفس كما اشار اليه بقوله

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم * العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه
وانما يصرع المجنون في الحين

اني جننت فهاتوا من جننت به
ان كان يشفي جنوني لا تلوموني

وقيل لابي زهير المدايني ما العشق فقال الجنون والذل وهو داء أهل الظرف وقيل لابي وائل الاوضاحي ما تقول في العشق فقال ان لم يكن طرفا من الجنون فهو عصارة من السحر وقالت اعرابية هو تحريك الساكن وتسكين المتحرك وقال المأمون ليحيى بن أكثم ما العشق فقال سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثر بها نفسه فقال له ثمامة اسكت يا يحيى انما عليك أن تجيب في مسئلة طلاق أو محرم صاد صيدا فاما هذه فمن مسائلنا نحن فقال له المأمون قل يا ثمامة قال العشق جليس ممتع واليف مؤنس وصاحب مالك وملك قاهر مسالكه لطيفة ومذاهبه غامضة واحكامه جائرة ملك الابدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها قد أعطى عنان طاعتها وقوة تصرفها وقياد ملكها وتوارى عن الابصار مدخله وعمي عن القلوب مسلكه فقال له المأمون أحسنت يا ثمامة وامر له بألف دينار وهذا القدر كاف في معرفة العشق ورسمه

(الفصل الثاني في أسبابه وعلاماته)

أقول هذا الفصل عقدناه للكلام على أسباب العشق النفسانية وعلاماته الجثمانية على ان هذا النوع الاخير كثير والمتصف به من المحبين جم غفير وسنورد من ذلك ما يعذب وروده ويحقق كقلب العاشق بنوده ان شاء الله تعالى قال بعض الاطباء سبب العشق النفساني الاستحسان والفكر وسببه البدني ارتفاع بخار ردي الى الدماغ عن مني محتقن ولذلك أ كثر ما يعتري العزاب وكثرة الجماع تزيله بسرعة وقال ابن

فرتى بهاوجـداحياة هنيئة * وان لم أمت فى الحب عشت بغصتى

وقد صرت أرجوما يخاف فأسعدى * به روح ميت للحياة استعدت

الى غير ذلك مما لو منح الله تعالى شخصا مددا يستغرق المدد وحياة تستفرغ الابد وفراغا بذر الشواغل سـدى ونفحات قدسية تصقل مرآة عقله لقبوله الفيض ابدا وأفرغ ذلك كله فى تحرير ما أودعه عارف الزمان وسلطان الآفاق وفرد دائرة الاكوان وجامع فضائل العشاق سيدى عمر بن الفارض أعاد الله علينا وعلى المسلمين من فواضل بركاته وفضائل نفحاته من مراتب العشق وأدواره وتنقلاته واطواره لفنى الزمان ولم يدرك معاشره وبادت الاكوان ولم يعرف قراره ولولا ضيق هذا المختصر لاوضحت لك من بعض عجائب تدقيقاته فى أقل ابياته وكلماته ما يدعك فى حيرة الفكر وبحار التعجب غارقا ويسكتك وان كنت مصقاعا ناطقا ومن ثم قيل المحبوب خير من الحياة والمكروه بالطبع شر من الموت لتمنى كل عند حصول ذلك أما ما نقل عنه فى بيان مراتبه خصوصا ماذكره هنا فليس بالجيد اذ البعض دال على الاسماء والبعض على الماهية والبعض على السبب فلم يحققه غيرنا احد فاحفظ مقادير ما ظفرت به وها أنا أبين لك عدم انطباق ماذكروه على المطلوب قال ابن صاعد فى طبقات الامم عن فيثاغورس صاحب سليمان نبى الله عليه السلام العشق طمع يتولد فى القلب بغنى عن النظر ثم ينمو ويحدث اللجاج والاحتراق حتى ان الدم يهرب عند ذكر المحبوب وقد يموت من شهقة أو برؤية المحبوب بغتة وربما اختنقت الروح من نحو ذلك فدفن ولم يمت وفى سيرة الاسكندر أن هذا لابقراط زاد التميمى فى كتاب امتزاج النفوس عن جالينوس ان العشق من فعل النفس وذلك كامن فى الاعضاء الرئيسة فتى تمكن افسدها وهذا كله اشارة الى المراتب اجمالا وفى كتاب المتيمين نظر رجل الى معشوقته فغشى عليه فقال حكيم انه من انفراج قلبه اضطرب جسمه فقيل له ما بالنا لا نكون كذلك عند النظر الى اهلنا فقال محبة الاهل قلبية وهذه روحانية فهى أدق وألطف واعظم سريانا وفعلا وقال أفلاطون العشق غريزة تتولد عن الطمع زاد المعلم وهو يحدث عمى القلب عن عيوب المعشوق وبه جاءت السنة حيث قال حبك الشئ يعمى ويصم رواه أبو داود واحمد وانشد فيه

فلست براء عيب ذى الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدى المساويا

ورأيت فى نسخة * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا * وهى أليق بتحسين الكلام لما فيها من المقابلة وفى أخرى * ولا بعض ما فيه وان كنت رائيا * وهذا اليق بالمقام والطف واحسن دلالة على المقصود لما فيه من دفع التوهم من كونه ضعيف النظر فانه يقول لا أرى له عيبا مع انى صحيح النظر فهذا على حد قوله

فوالله ما أدرى وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر أم بثمان

وقال السكرى وابن ابى طاهر فى المنثور والمنظوم وابو عبيد البكرى فى كتابه اللآلى فى شرح الامالى ان البيتين لجرير بن الخطفى وقال السمعانى هما لعلى والاول اصح قال الحاتمى وقد سرق ابن عبد الاعلى هذا المعنى حيث قال

وعين السخط تبصر كل عيب * وعين أخ الرضا عن ذاك تعمى

الاكفانى فى كتابه غنية اللبيب عند غيبة الطبيب ان أكل الطيور المسموعة يورث العشق وقال أيضا فى الخلاصة علامته نحافة البدن وخلاء الجفن للسهر وكثرة ما يتصعد اليه من الابخرة وغور العين وجفافها الا عند البكاء وحركة الجفن ضاحكة كأنه ينظر الى شئ لذيذ ونفس كثير الانقطاع والاسترداد والصعداء ونبض غير منتظم لاسيما عند ذكر أسماء وصفات مختلفة فايها اشتد عند اختلاف النبض وتغير الوجه فهو وقال ارسطاطاليس الفلكى للعشق من النجوم زحل وعطارد والزهرة جميعا ولذلك اذا اشتركوا فى أصل المولد او اجتمعوا وتناظروا فى أشكال محمودة وقع بينهم العشق والمحبة فى بيت أحدهم او فى حده وكان رب البيت أو صاحب الحد ناظرا اليه أو كانت الكواكب المذكورة ناظرة فى أشكال محمودة أو متقارنة فزحل يهيئ الفكرة والتمنى والطمع والهم والهيجان والاحزان والوسوسة والجنون وعطارد يهيئ قول الشعر ونظم الرسائل والملق والخلاعة وتنميق الكلام والتذلل والتلطف والزهرة تهيئ العشق والوله والهيمان والرقة وتبعث فى النفس التلذذ بالنظر والمؤانسة بالحديث والمغازلة التى تبعث على الشبق والغلمة وتدعو الى الطرب وسماع الاغانى وما شابهه وقال بطليموس سببه أن تكون الشمس والقمر فى برج واحد أو متناظرين من تثليث او تسديس فتى كان كذلك كانا مطبوعين على مودة كل واحد منهما او تكون سهمى سعادتهما فى مولديهما فى برج واحد او يتناظر السهمان من تثليث أو تسديس بعد أن يكون نظر صاحب سهم المحبة والصداقة فذلك يدل على ان هذين المولودين محبتهما من جهة المنفعة ومنفعتهما من جهة واحدة وأن أحدهما يتقدم بودة صاحبه فتجلب

واما الشيخ فقد حده بانه مرض يشبه المالنخوليا تولده الفكرة من استحسان الصور والشمائل ولا يشترط اقترانه بشهوة جماع وقالت اعرابية العشق جل ان يرى وخفي عن الورى فهو كامن في الصدور كالنار في الحجر ان قدح أورى وان ترك توارى وهذا حد له بحقيقته في النفس ويؤيد عدم اشتراط الشهوة فيه والحسن قول بعضهم

وما الحب من حسن ولا من سماحة * ولكنه شئ به الروح تكلف

وعلامة ما يكون منه عن شهوة فقط زواله اذا زالت لانه عرض واما الكائن عن مشاكلة في النفس وارتسام في الذهن فهذا لا يزول ومتى صح ارتسم عند كل من المتحابين ما عند الآخر لصفاء جوهر النفس وخلوها للمحبوب وقد تكون العوارض المذكورة سببا لانقلابه الى الحد الاصلي كما ستجده واما نحو الرسيس والحب وغيرهما فاسماء اقترحتها الشعراء للتغزل والتشبيب لا تنطبق في الحقيقة على ما ذكرنا لكن ربما كان لبعض منها مناسبة فالرسيس من الرس وهو الثبات ورسوخ صورة المحبوب في النفس وزعموا انه اول المراتب ولا ينطبق على المعنى اللغوى ويليه الحب وهو في الحقيقة اول الالفة واشتق من حبة القلب او من حباب الماء او من حب البعير اذا برك او من حبب الاسنان وهو بياضها وحدت المحبة بالميل الدائم بالقلب الهائم او قيام للمحبوب بما يحب وعدم مشاركة شئ معه وفيه انشد المتنبي

يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل

وانشد بعضهم

ومن عجب انى أحن اليهم * واسأل عنهم من لقيت وهم معي

وتطلبهم عيني وهم في سوادها * ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي

والطف منه قوله

خيالك في عيني وذكرك في فمي * ومثواك في قلبي فاين تغيب

والحب اخص من العشق لانه عن اول نظرة واقصاه امتزاج الارواح والرأفة اشد لانها مبالغة في الرحمة قال الحرانى هى أرق الرحمة والرحمة اعم لوقوعها على غير ذى صلة بخلاف الرأفة ويقرب من الحب الود أو خالصه فيكون من الحب كالرأفة من الرحمة وفي معناه المقة والتتيم حالة يملك بها المعشوق العاشق فاذا زاد فهو الوله أعنى الخروج عن حد الترتيب وانشد في المعنى

الحب اوله ميل يهيم به * قلب المحب فيلقى الموت كاللعب

يكون مبدؤه من نظرة عرضت * او مزحة اشعلت في القلب كاللهب

كالنار مبدؤها من قدحة فاذا * تضرمت احرقت مستجمع الحطب

وانشد ايضا

ثلاثة احباب فحب علاقة * وحب تملاق وحب هو القتل

والشجو هو الحزن والطرب ايضا ضده ويطلق على القهر والغلبة وهو هنا عشق يقترن بالهم كما في ديوان الصبابة والخلة هى تمام المحبة سواء كانت بلا علة وهى الصداقة او بها وهى فرط العشق الذى لا يخالطه غيره أخذت من الخلو او التخلى فكأن القلب لما تخلى للمحبوب دون غيره اتصف بها والعلاقة وهى في الصحيح اسم لمبادى المحبة اخذت من علق بالتحريك اى حب وكسحاب الهوى وبهاء ويجوز ان يراد بها شدة اختلاط القلب بالحب ويقرب منها الغرام وهو أشد لانه ولع واشتغال بالحب والهوى مطلق الميل والارادة ويطلق على ذهاب العقل في العشق وعلى نفس المحبوبة واما العشق فاعم منها وقيل أخص وهو عجاب بالحب أو افراط فيه واخذ من العاشقة وهى شجرة تعلق وتلصق بما يليها وهى

المنفعة بينهما المحبة والمودة ويمتزجان ويؤيده هذا قول الخبزارزى

ولكن أرواح المحبين تلتقي

اذا كانت الاجساد منهن نوما

وأحسب روحينا من الاصل واحدا

ولكنه ما بيننا متقسما

ولو لم يكن هذا كذا ما تألمت

له مهجتي بالغيب لما تألما

ومن علاماته اغضاء المحب عند نظر محبوبه اليه ورميه بطرفه نحو الارض وذلك من مهابته له وحيائه منه وعظمته في صدره ولهذا يستهجن الملوك من يخاطبهم وهو يحدد النظر اليهم بل يكون خافض الطرف الى الارض قال الله تعالى مخبرا عن كمال أدب نبيه صلى الله عليه وسلم في ليلة الاسراء ما زاغ البصر وما طغى وهذا غاية الادب فان البصر لم يزغ يمينا ولا شمالا ولا طمح متجاوزا الى ما هو وراءه ومنها اضطراب يبدو للمحب عند رؤية من يشبه محبوبه أو عند سماع اسمه كما قيل

وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى

فهيج أشجان الفؤاد وما يدرى

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما

أطار بليلى طائرا كان في صدرى

دعا باسم ليلى أسخن الله عينه

وليلى بأرض الشام في بلد قفر

ومنها أنه يستدعى سماع اسم محبوبه ويستلذ الكلام في أخباره ويحب أهل محبوبه وقرابته وغلمانه وجيرانه ومن ساكنه كما قال الشاعر

فيا ساكني اكناف دجلة كلكم

الى القلب من أجل الحبيب حبيب

وقال آخر

أحب لحبها السودان حتى

أحب لحبها سود الكلاب

ومنها كثرة غيرته عليه ومحبة القتل والموت ليبلغ رضاه والانصات لحديثه اذا حدث واستغراب كل ما يأتي به ولو انه عين المحال وتصديقه وان كذب وموافقته وان ظلم والشهادة له وان جار واتباعه كيف سلك

البلابل ومن ثم تسميه العامة عاشق الشجر والغمرة سكر القلب بتذكار الحب واشتغاله به والشغف شدته مأخوذ من شغاف القلب أي غلافه او سويداؤه وبالمهملة رأس القلب عند نياطه ويؤنث كأن النوع من الحب المجعول هذا الاسم علما عليه قد بلغ هذا المحل والمراد من القلب هنا أمر معنوي في الانسان لا الشكل المعلوم وعنه ينتج الوله ثم الهيام واما الاستكانة فالخضوع او شوق ينزع النفس من البدن الى لقاء الحب ومن ثم قد يقتل عند الرؤية والشوق أرفع وهل يزيده الوصل او ينقصه خلاف واستدل للاول بقول الشاعر

وأعظم ما يكون الشوق يوما * اذا دنت الخيام من الخيام

وللثاني بقوله فالقت عصاها واستقر به النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

والاصح انه ان كان لمجرد شهوة نقص بقضائها بل ربما عدم والا بان كان كالا تكلفا وطبعا لا تطبعا وميلا نفسيا أنشأته المشاكلة فلا يزيده الوصل الا رسوخا على أنه لا دليل في الثاني على الدعوى لعدم ذكر الشوق في الشعر لانه ذكر استقرار النوى وهو البعد الذي هو اعم فيجوز تفسيره بفرد غير الشوق على ان المحققين اجمعوا على ان الشوق حال الغيبة يغاير الشوق حال الحضور كما انشد ابن الرومي في ذلك

أعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تداني
وألثم فاها كي تزول صبابتي * فيشتد ما القى من الهيمان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله * سوى ان ترى الروحين يمتزجان

واما الصبوة فلا تطلق حقيقة الا على الميل والافتتان الواقعين زمن الصبا لكن تطلق تجوزا على مطلق الميل للمشابهة والنزوع والاشتياق كالصبابة او هي رقة وحرارة في الشوق والوجد شدتها والكلف الاستغراق والاشتغال وبالكسر العاشق نفسه والشجن الهم والكرب تحمل النفس كل مشقة متعلقها الحب والكآبة شدة الحزن كالتفجع او هو توجع وبكاء على الفقد والبرح والغل شدة العشق أو الغل من الغلل يعني العطش والجامح ميل النفس والحنين شوق ممزوج برقة وكلف وتذكر يهيج الباعثة والبلبال شدة الشوق والجوى ضيق الصدر وكتم الهوى والارق والسهد شدة السهر وتواتر احوال المحبوب على القلب وفي معناه التحرق واللذع والولع وكذا اللوعة واللاعج واما الوصب والنصب فلوعة مع مرض وغم وكذا الكمد والدنف شدته قيل مع صفرة او الكمد تغير الى سواد والدنف الى صفرة وهو مولد والتبل والخبل الجنون وهذا في الاصح آخر المراتب والجزع عدم الصبر على الفرقة والهلع أشده والدله بالمهملة احتراق القلب بنار الحب والخلابة سلب العقل والهيام مجرد الحب أو هو السياحة فيه والبله حمق أو غفلة فيكون هنا استغراقا في الحب فهذه حقيقة أسمائه التي جعلها مراتبه وليست الا باعتبار صفة أو أول أو تسمية جزء او سبب بكل أو مسبب وعكس ذلك وانما المراتب ماقررناه وفي ترتيب هذه الاسماء خلاف يرد على من التزم ترتيبها ونحن قد أوضحنا نفس المعاني ومنها يسهل الترتيب والتنزيل على المراتب فتأمله

(فصل فيما ذكرله من العلامات) وهي أحوال يتصف بها البدن كتغير الالوان والعينين وتواتر النبض والخفقان وربما ازدادت هذه عند رؤية المحبوب أو سماع ذكره حتى انها قد تقضي بالهلاك وكذا اعتقال اللسان وأحوال يتصف بها الفكر كفساد الذهن والتعقل وقد

والاسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه والتعمد للقعود بقربه والدنو منه واطراح الاشغال الشاغلة عنه والزهد فيها والرغبة عنها والاستهانة بكل خطب جليل داع الى مفارقته والتباطؤ في المشي عند القيام عنه وجوده بكل ما يقدر عليه مما كان يتمتع به قبل ذلك حتى كانه هو الموهوب له وهذا قبل استعار نار الحب فاذا تمكن اعرض عن ذلك كله وبدله سؤالا وتضرعا كأنه يأخذه من المحبوب حتى أنه يبذل نفسه دون محبوبه كما كانت الصحابة يفدون النبي صلى الله عليه وسلم في الحرب بنفوسهم حتى يصرعوا حوله كما قيل

يفديك بالنفس صب لو يكون له
أعز من نفسه شيء فداك به

ومنها الانبساط الكثير الزائد والتضايق في المكان الواسع والمحاربة على الشيء يأخذه احدهما وكثرة الغمز الخفي والميل والتعمد للمس اليد عند المحادثة ولمس ما أمكن من الاعضاء الظاهرة وشرب ما أبقى المحبوب في الاناء قلت ومنها تقبيل نعله في غيبته وقد رأيت من فعل هذا فعنفته على ذلك فقال اسكت يا فلان ما تعلم ما في هذا من اللذة ثم ان وجدت هذا المذكور بمكة وأرسل معي كتابا الى محبوبه المذكور لانه جاور فقلت له كيف أمكن الصبر يا زيد عن عمرو فأنشد

ولله مني جانب لا اضيعه
وللهو مني والخلاعة جانب

ومنها تقبيل جدار الدار كما قيل

أمر على الديار ديار ليلى
أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي
ولكن حب من سكن الديارا

ومنها الاتفاق الواقع بين المحب والمحبوب ولاسيما اذا كانت المحبة محبة مشاكلة ومناسبة فكثيرا ما يتكلم المحبوب بكلام أو يريد أن يتكلم به فيتكلم المحب به بعينه وكثيرا ما يمرض المحب بمرض محبوبه قلت وقد اتفق هذا

مر ثم هذه قد يستدل عليها بالتطور والتنقل (قيل) أتى بشاب الى طبيب فلما تأمله لم يجد به ألما فقال وهو قابض على نبضه لامه قد اخذني البردفاتني بالفرجية فتغير نبض الشاب تحت يده فقال لامه ان هذا عاشق امرأة اسمها فرجية فقال وهو كذلك وأنشد

وداع دعا اذنحن بالخيف من منى * فهيج اشواق الفؤاد وما يدرى
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما * اطار بليلى طائرا كان فى صدرى

وفى معناه محبة كل ما ينسب الى المحبوب حتى الجدار وفيه قيل

امر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا

وأبلغ من ذلك هجر ما كان عليه زمن الوصل زمن الفرقة من نحو ملبس ومأكل والاستلذاذ بتقبيل النعل قال ابن أبى حجلة وقد رأيت من فعل ذلك وعنفته فادعى فى ذلك لذة عظيمة فقلت له بعدها وقد رأيته بمكة كيف تصبر على ما اعلم فيك فانشد يقول

ولله منى جانب لا اضيعه * وللهو منى والخلاعة جانب

(أقول) وفيه نظر عظيم حيث جعل حصة الله منه نصفا وعدد المقابل وهو دليل مزيد الاشتغال بالله حيث لم يجعل المقاسم واحدا خصوصا واللهو فى شعره اعم من ان يكون بالمحبوب اوغيره وأما التشبه بالمحبوب فى سائر الافعال والاقوال والميل الى ما يحبه والاستلذاذ باستعمال ما كان من اثره فامر معلوم لا يجهل ومطلوب بين العشاق حتى قيل ان شخصا وجد فى تركته اثنا عشر رجلا وفردة من السراويل لكونه رأى ميل محبوبه اليها وآخر الف هاون لسماع صوت هاون محبوبته واما اتحاد الاجساد والمرض حيث يمرض الآخر فكثير قيل مرض ابونواس ولم يعلم سبب مرضه حتى عاده شخص فاخبره بمرض عنان جارية الناطفى وانها انشطت فكتب اليها

انى حممت ولم اشعر بحمالك * حتى تحدث عوادى بشكواك
فقلت ما كانت الحمى لتطرقنى * من غير ما سبب الا بحماك
وخصلة كنت فيها غير متهم * عافانى الله منها حين عافاك
حتى قد اتفقت نفسى ونفسك فى * هذا وذاك وفى هذا وفى ذاك

وفى معناه انشد

وقف الهوى بى حيث انت فليس لى * متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة فى هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمنى اللوم

و يقرب من هذا قول الشافعى

مرض الحبيب فعدته * فمرضت من حذرى عليه
وأتى الحبيب يعودنى * فبرئت من نظرى اليه

اذا تقرر هذا فليكن الاخف منه كالغيرة و بذل النفس وترك ماسوى المحبوب بالطريق الاولى وكذا نظائرها كاستحلاء ما يتعلق به من نحو حديث وملبوس ورؤية ما ينسب اليه و بقوله حسنا صحيحا وان كان بالخلاف ولم ينسب نحو هذا الى المبالغة عند العشاق للاتيان باعظم منه كما سمعت (قال الزراع) ودع عندى جارية كان يهواها فذرفت احدى عينيه فغمض الاخرى عن الاذعة و بقيا اربعا وستين سنة حتى مات واما حصول العشق برؤية فى النوم او بالاثر أو بالسماع أو بالكلام أو الوصف أو اللمس او باول نظرة او بالمطاولة

شبر مرة للسلطان الملك الناصر أحمد لما كان بالكرك مع محبوبه الشهيب فانه كان يمرض لمرضه و يصح لصحته أخبرنى بذلك من لا ارتاب فى قوله ممن كان فى خدمته ملازما له وأما وقوع ذلك للمتقدمين فكثير فمن ذلك ما حكى عن أبى نواس انه مرض فدخل عليه بعض أصحابه يعودونه فوجدوا به خفة قال فانبسط معنا وقال من أين جئتم فقلنا من عند عنان جارية الناطفى فقال أو كانت عليلة قلنا نعم وقد عوفيت الآن فقال والله لقد انكرت علتى هذه ولم أعرف لها سببا غير انى توهمت ان ذلك لعلة نالت بعض من أحب ولقد وجدت فى يومى هذا راحة ففرحت طمعا أن يكون الله عافاه منها قبلى ثم دعا بدواة وكتب الى عنان

انى حممت ولم أشعر بحمالك
حتى تحدث عوادى بشكواك
فقلت ما كانت الحمى لتطرقنى
من غير ما سبب الا بحماك
وخصلة كنت فيها غير متهم
عافانى الله منها حين عافاك
حتى اذا اتفقت نفسى ونفسك فى
هذا وذاك وفى هذا وفى ذاك

ومنها انه اذا سئل عن أمر اجاب بخلافه وكثرة التثاؤب والتمطى والتكسل اذا نظر الى محبوبه ونكته فى الارض بابهام رجله وهذا كثيرا ما يقع للنساء وعضها على شفتها السفلى وضربها على عضديها أو ثدييها واظهار محاسنها لمن تهواه توهمه انها ترى ذلك لبعض أهلها ونظرها الى اعطافها ووضعها الحديث فى غير موضعه (اياك أعنى واسمعى ياجاره) ومنها الانقياد للمحبوب فى جميع ما يختاره من خير وشر فان كان المحبوب مشغوفا بالعلم اجتهد المحب فى طلبه أشد من اجتهاده وان كان مشغوفا بالنوادر والحكايات الحسان والاخبار الملمحة المستحسنة بالغ المحب فى طلبها وحفظها وان كان مشغوفا بحرفة أو صناعة اجتهد فى تعلمها ان امكنه ذلك

والمعاشرة وزيادته بالبعد لقوم والقرب لآخرين فبحسب الامزجة وقد أسلفت فى طالعة الكتاب تفصيل ذلك وقبول المزاج سرعة الانتقاش والفرق بين لطافة المزاج وكثافته ونحو ذلك مما ينبئك على تعليل هذا فليراجع وقد ظهر لى فى ذلك ان الناس اما ناظرون بلا حجب او بها امامن العاشق والمعشوق معا ومن احدهما فقط وتختلف الحجب لطفا وصفاء وعكسهما فهذه اسباب الاختلاف وان كانت لاهل الحقيقة بالذات

(الباب الأول فيمن استشهد من المحبين شوقا الى حضرة رب العالمين)

لما كان غاية المحبة اما وصولا الى المطلوبات الدنيوية أو الاخروية ومبدؤها من الحواس الظاهرة غالبا او الباطنة ومطالبها العالية ومقاصدها الذاتية اما اشتغال عن الحق بخيالات وهمية تنتقش فى العقل من الخلق أو ميل نفسى الى المبدع باستيحاش عمن سواه لاجرم قسمت المحبة قسمين اشرفهما متعلقا الثواب وهو الحب فى الله لانه لا يفنى متعلقه ولا تكيف غايته ولا ينفصل له شئ فى الحقيقة اذ ماسواه أوهام تضمحل وتزول واعراض تفنى وتحول ولا شبهة فى ان ادخار ما لا يتطرق اليه تغير ولا فناء اولى فى الحكمة عند العقلاء فلذلك صدرت به الابواب ومدار ما نذكره هنا فى الاصل على ذكر من افنى نفسه فى طاعة ربه واكثر اغترافه من الحلية لابى نعيم اذا تقرر هذا فالمحبة كما قال الحصرى وصول الى مقام الانس والنعمة باطنا والوحشة والبلاء ظاهرا بشرط الاشراف على الغيوب وفناء الكل فى بقاء المحبوب وهذا تعريف لها بحسب الغاية الخاصة وكان عليه ان يورد التعريف التام العام اولا ثم يفصل وقال الاستاذ ابو يزيد البسطامى هى استهلاك النفسانية مع بقاء الروحانية وهذا عندى قريب من الاول غير ان بعض شراح الفصوص قال ان فيه تعريفا بالمادة واظنه اخذ ذلك من قوله استهلاك وفيه تكلف ونقل الحدين البحرانى فى شرح التائية على قول الاستاذ فقالت هوى غيرى قصدت واقرهما واحسن منهما ما نقل عن شيخ الطريقة الجنيد رضى الله عنه وقد سئل ما المحبة فقال هى الصفاء فى الباطن مع حقائق الحق والوفاء فى الظاهر مع استعمال دقائق الشرع فهذا والله هو الحد التام وان كان الى الخاص اميل فان قوله الصفاء فى الباطن يريد به الخلوة الحقيقية التى هى قفل ابواب الحواس عن ممارسة الخلق ونشر القلب بالاستكانة والخضوع على اعتاب الحق ونفى الكدورات الحسية عن الحواس النفسية لالحاقها بالحضرة القدسية وذلك غير تام قبل نفى العوائق وقطع العلائق والخروج من شوائب الخلائق ليتحقق الصفاء والتخلق بتلك الحقائق

هنالك وجدت الكائنات تحالفت * على انها والعون منى معينتى

حيث انتفت معاندات الاغيار وتحققت ممازجات الاخيار حتى انتقشت المطلوبات الحقيقية فى مرآة الصور الخلقية وانبسطت اشعة الاحوال البسطية حيث انتفت الكدورات الوحشية

فلم تهونى مالم تكن فى فانيا * ولم تفن مالم تجتلى فيك صورتى

وقوله والوفاء فى الظاهر يعنى لكل معاهد بعهده وموعود بوعده وضال برده ومتغفل بتنبيهه وتقويته بجده لان العارف المتصف بما ذكر خليفة الله على خلقه ينفذ فيهم أوامره ويقيم شرائعه فان فعل ذلك ظاهرا و باطنا فهو النبى وخلفاؤه ومن فعله على الاول فهم السلاطين او على الثانى فهم الافراد الاقطاب جوامع الاسرار ومعادن الحقائق والاستبصار

فالمحبة النافعة ان يقع الانسان على عشق كامل يحمله عشقه على طلب الكمال والبلية كل البلية أن يبتلى الانسان بمحبة فارغ بطال صفر من كل خير فيحمله حبه على التشبه به وفى أخبار العشاق ان عاشقا عشق السراويلات من أجل سراويل معشوقته فوجد فى تركته اثنا عشر حملا وفردة من السراويل ذكره الصيمرى وعشق آخر الماونات من أجل صوت هاون محبوبته فوجد فى تركته عشرة آلاف منها وقد وقفت من هذا على أشياء كثيرة والجنون فنون

(الفصل الثالث فى مراتبه وأسمائه)

أقول هذا الفصل عقدناه لذكر مراتب الحب وسياقه وأسمائه واشتقاقه على اختلاف لغاته واتفاق رواته ومن المعلوم ان الشئ اذا كان عند العرب عظيما وخطره جسيما كالهزبر والرمح والخمر والسيف والداهية والمحبة المحرقة وما ادراك ماهيه وضعوا له أسماء كثيرة وكانت عنايتهم به شهيرة ولا شئ يعدل اعتناءهم بالحب الذى يسلب اللب فاول مراتبه الهوى وهو ميل النفس وقد يطلق و يراد به نفس المحبوب قال الشاعر

ان التى زعمت فؤادك ملها
خلقت هواك كما خلقت هوى لها

ثم العلاقة وهى الحب اللازم للقلب كما قال الشاعر

ولقد أردت الصبر عنك فعاقنى
علق بقلبى من هواك قديم

وسميت علاقة لتعلق القلب بالمحبوب ثم الكلف وهو شدة الحب وأصله من الكلفة وهى المشقة يقال كلفه تكليفا اذا أمره بما يشق عليه فكان الحبيب يكلف المحب ما لا يطيق و يتغافل عن قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقيل هو مأخوذ من الاثر وهو شئ يعلو الوجه كالسمسم والكلف ايضا لون بين السواد والحمرة وهى حمرة كدرة ثم العشق وهو اسم لما فضل عن المقدار الذى اسمه الحب وفى الصحاح العشق

علماء أمتي كانبياء بني اسرائيل وورثة الانبياء

فما المنا منهم نبي ومن دعا * الى الحق منا قام بالرسالة

واما قوله استعمال دقائق الشرع فاشارة الى معنى لا يدركه الا الخواص وان غاص عليه من غاص فان فيه اشارة الى حفظ الكليات التي عليها مدار النظام واستقصاء الجزئيات التي قصر عنها الكلام واجتهاد النفس في جمع ما تفرقت فيه الآراء وتشعبت اليه الاهواء بيد ان ذلك قباء لم يخط على كل ذي قد واشكال اقيسة فكر لم يستخلصها كل ذي جد اللهم حققنا بحقائق معارفك وارفعنا من حضيض زوايا الخمول الى أوج استقامة اطائفك وانقل أنفسنا من مراكز عكس الصعود الى اشرف منازل السعود وأما قول بعضهم وينسب الى ذي النون المصري المحبة ارق بلا رقاد وجسم بلا فؤاد وتهتك في العباد وتشتت عن البلاد فتعريف بصورة الحالة الراهنة من المحبة بعد قطع الطرق فان الارق الذي هو السهر من الفكر في الامور الطارئة على النفس لا يكون الا بعد تمكن تلك الامور في الذهن وان الجسم لا يكون بلا فؤاد الا اذا فني فهي كناية عن عدم الالتفات الى ما من شأنه ان يدرك بالقلب مما سوى الموجود المطلق بقرينة المقام وفيه تكاف وخلط لحالة الهائمين باحوال المحبين وباقي الكلام ظاهر وعندي ان المحبة ميل نفساني الى المراد يعضده الجزم بالاعتقاد ورؤية ما سوى المطلوب من الفساد وفي الدين ارتداد واليه اشار عارف الوقت والحقيقة وسلطان عشاق الخليقة بقوله

ولو خطرت لي في سواك ارادة * على خاطري سهوا قضيت بردتي

فقولنا ميل كالجنس ونفساني كالفصل والى المراد فصل قريب ولذلك أخره وهذا هو فعل المادة والصورة والجزم في الاعتقاد بالفاعلية وغاية ذلك الثبات على الحب حيث ثبت ان ما سواه فساد فقد جمع هذا الحد مطردا ومنعكسا أحوال المحبة على وجه العموم فمن أراد تخصيصه فبالفصول اللائقة ثم لهذه المحبة أوصاف وشروط منها ان لا يبالي المحب بما يرد من المحبوب وان يؤثر رضاه على نفسه فليتلذذ فيه بالبلاء كالعطاء وبالغيبة كالحضور والهجر كالوصل والفناء كالبقاء اذا كان ذلك رضا المحبوب قال العارف

فكل الذي ترضاه والموت دونه * به أنا راض والصبابة ارضت

فانظر الى هذا الاستاذ كيف أوضح طرق السلوك للسالك ودل على المطالب والمسالك وأوضح مرقاة الوصول للدارج ونكب عن المعادج الى أسنى المعارج حيث قال

* نعم بالصبا قلبي صبا لاحبتي * لان الزمان المذكور محل الميل الى مرادات النفس وشهواتها في البيت مع الجناس التام واستيفاء مادة الكلام تحرير أحوال الغرام بأقصى المرام ثم أكد ما اسس وابدع ما جنس وقوى جزئي الميل حتى صار كليا بما وشح من بديع نظامه واتى من لطيف كلامه بقوله

محجبة بين الاسنة والظبا * اليها انثنت ألبابنا اذ تثنت

ممنعة خلع العذار نقابها * مسربلة بردين قلبي ومهجتي

فجدوا أيها المقصرون وانتبهوا أيها الغافلون وبادروا أيها المشمرون فان المطلوب خطير والوصول عسير وليس هذا قطعا عن الطريق وتخذيلا للهمم كما زعمه بعض الشراح المتلبسين بهذه الصناعة الظانين ان الوصول الى هذا النفس بالظاهر من البلاغة

فرط الحب وهو عند الاطباء من جملة أنواع الماليخوليا والمراد بالماليخوليا تغير الظنون والفكر عن المجرى الطبيعي الى الفساد وهو أمر هذه الاسماء وقلما نطقت به العرب وكأنهم ستروا اسمه وكنوا عنه بهذه الاسماء فلم يكادوا يفصحون به ولا تكاد تجده في شعرهم القديم وانما أولع به المتأخرون ولم يقع هذا اللفظ في القرآن ولا في السنة الا في حديث ابن داود الظاهري كما يأتي بيانه وقال ابن سيده العشق عجب المحب بالمحبوب يكون في عفاف الحب ودعارته وقيل العشق الاسم والعشق المصدر وعشيق كثير العشق وامرأة عاشق وشجرة يقال لها عاشقة تخضر ثم تدق وتصفر قال الزجاجي واشتقاق العاشق من ذلك وقال الفراء العشق نبت لزج فسمي العشق الذي يكون بالانسان للزوجته ولصوقه بالقلب وقال ابن الاعرابي العاشقة اللبلابة تخضر وتصفر وتعلق بالذي يليها من الشجر فاشتق من ذلك العاشق ذكره في ديوان العاشقين والعشيق يكون للفاعل والمفعول وجمع العاشق عشق وعشاق ويقال في المرأة عاشقة وامرأة عاشق أيضا وقد تقدم ذكر ذلك والله أعلم ثم الشغف قال العزيزي في غريب القرآن شغفها حبا أصاب حبه شغاف قلبها والشغاف غلاف القلب ويقال هو حبة القلب وهي علقة سوداء في صميمه وشغفها حبا ارتفع حبه الى أعلى موضع في قلبها مشتق من شغاف الجبال أي رؤسها وقولهم فلان مشغوف بفلانة أي ذهب به الحب اقصى المذاهب وأما الشعف بالعين المهملة فهو احراق الحب القلب قال في الصحاح شعفه الحب أي أحرق قلبه وقد قرئ بهما جميعا شغفها حبا وشعفها وكذلك اللوعة واللاعج أعني مثل الشعف في الاحراق فاللاعج اسم فاعل من قولهم لعجه الضرب اذا آلمه وأحرق جلده ويقال هوى لاعج لحرقة الفؤاد من الحب وفي الصحاح لوعة الحب

والبراعة كلا بل هو تبيين وتحقيق ائلا يقدم على هذا الامر الامن أراد علو همته وغلو قيمته ايهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ولا يلتبس بالعلم غير أهله ولا يبسق الفرع على غير أصله

ذللحب أقوام كرام نفوسهم * منزهة عما سوى الحب يا خلي

الى غير ذلك مما دلت عليه ابياته الفائقة وعباراته الرائقة وألفاظه الشائقة التي هي لصوادق الهمم الى مقام الوصول سائقة ولولا ما في ذلك من التطويل الذي يستغرق المدد مع المدد ويستنفد الابد فضلا عن طول الامد لاوضحت لك ما في كلامه من الاسرار الحقيقية الدالة على ان أبيات القصيدة وضعت كدرج المرقاة في الابرام والنقض لا يجوز تقدم بعضها على بعض (ومن لطيف ما اتفق لي) انى خلوت بنفسي ليلة وكانت ليلة الجمعة سادس رجب الفرد من شهور احدى وسبعين وتسعمائة فاخذت أتفكر في كلامه متصفحا في دقائقه الى ان قام في فكري معارضة بين ما اتفق له من قوله وعيدك لي وعد البيت وقوله عذب بما شئت غير البعد وقوله وأصعب شئ دون اعراضكم سهل * وبين قوله وكل الذي ترضاه البيت فانه في جميع الابيات أشار الى انه راض بكل افعال المحبوب خلا البعد والهجر ثم أشار في هذا البيت الى الرضا بسائر الحالات ومنها البعد والهجر ثم قام عندي جواب ان ذلك عام خصص ثم غشيني النوم فرأيت كاني بالمدرسة الاشرفية وقد زينت بانواع الزينة وليس فيها غيري واذا برجل طويل غليظ شديد البياض في يده عكاز أخضر متوشح بثوبين ابيضين وعلى رأسه كالازار فقام عندي انه الشيخ فاذا هو هو فسلم علي ووضع يده على كتفي ووقفنا متقابلين وهو يقول لي هذا جواب الفقهاء ولم أقصده فقلت يا سيدي وما الذي قصدت قال اما تعلم ان المسافر أثقل ما يكون في مبادي سفره ثم لم يزل يخف اذا طالت طريقه حتى لم يبق الا هو ورمانى قلت نعم قال وكذلك السالك لم يزل يلقي مرادات نفسه حتى اذا وصل انطوى في دائرة المحبوب فلم يبق له مطلوب كما في الحديث القدسي فبي يسمع وبي يبصر فعلمت ان هذا الشأن لا يدرك بالعلوم الظاهرة ان لم تداركها نفحات من الحضرة الطاهرة فرجعت عما كنت عزمت عليه من الكتابة على القصيدة الا ان تداركني الالطاف الباهرة (وقال بعض العارفين) شرط المحبة ان تكون ميلا بلا نيل وشرطا بلا اجزاء ائلا تزول عند زوال العوض ويتأكد ذلك في أحباء الله عز وجل روى عن علي رضي الله عنه انه كان يقول في مناجاته الهي ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك ولكني وجدتك اهلا للعبادة ومن ثم قيل أفضل الحمد ما وقع دالا على استحقاق الله له بلا شرط نحو نحمدك يا من جلت صفاته عن الاحصاء بخلاف ما وقع في مقابلة شئ كالحمد لله على ما أنعم واخبر السراج عن ابي بكر الازدستاني بسنده الى ابن كثير قال لما تاب داود عليه السلام كان له يوم نوح تجتمع اليه فيه الناس حتى الوحوش والطير فينوح ويعظ مذكرا بالجنة ثم النار ثم الاهوال ثم الخوف من الله وفي كل واحدة يموت من كل طائفة خلق وولده قائم على رأسه فيقول حسبك يا أبت قد مات الناس ثم يقول له العباد لا تعجل بطلب الجزاء فيخر ساجدا مغشيا عليه فتأخذ كل طائفة من مات منها وتذهب ثم يدخل بيت عبادته وهو يقول يا اله داود أغضبان انت عليه أم راض الى ان يخر مغشيا عليه واخرج عبد العزيز بن علي الطحان عن ابن عطاء في معنى قوله عز وجل اني مسني الضر وانت أرحم الراحمين ان أيوب لم يزل يأكله الدود حتى لم يبق غير قلبه ولسانه

تحرقته فهذا هو الهوى المحرق ثم الجوى وهو الهوى الباطن وفي الصحاح الجوى الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن ثم التتيم وهو أن يستعبده الحب ومنه سمي تيم الله أي عبد الله ومنه قيل رجل متيم ثم التبل وهو أن يسقمه الهوى ومنه رجل متبول وفي الصحاح تبلهم الدهر وأتبلهم اذا أفناهم ثم التدله وهو ذهاب العقل من الهوى ويقال دلهه الحب أي حيره ثم الهيام وهو أن يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه ومنه رجل هائم والهيام بالكسر الابل العطاش وقوم هيم أي عطاش والصبابة رقة الشوق وحرارته والمقة المحبة والوامق المحب والوجد الحب الذي يتبعه الحزن وأكثر ما يستعمل في الحزن والدنف لا تكاد تستعمله العرب في الحب وانما ولع به المتأخرون وانما استعملته العرب في المرض والشجو حب يتبعه هم وحزن والشوق سفر القلب الى المحبوب قال في الصحاح الشوق والاشتياق نزاع النفس الى الشئ وقد جاء في السنة وأسألك النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك واختلف في الشوق هل يزول بالوصال أو يزيد فقالت طائفة يزول لانه سفر القلب الى المحبوب فاذا وصل اليه انتهى السفر

فالقت عصاه واستقر بها النوى
كما قر عينا بالاياب المسافر

وقالت طائفة بل يزيد واستدلوا بقول الشاعر

وأعظم ما يكون الشوق يوما
اذا دنت الخيام من الخيام

قالوا الان الشوق هو حرقة المحبة والتهاب نارها في قلب المحب وذلك مما يزيده القرب والمواصلة والصواب ان الشوق الحادث عند اللقاء والمواصلة غير النوع الذي كان عند الغيبة عن المحب

قال ابن الرومي أعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تداني والثم فاها كي تزول صبابتي ... فاكل

فيشتد ما ألقى من الهيمان كأن فؤادي ليس يشفي غليله * سوى أن ترى الروحين يمتزجان

فأكل بعضه بعضا حتى بقيت واحدة فدبت الى قلبه فقال ذلك لانه قال أى رب لم اخف من بلاء ما دام قلبي عارفا بجلالك وذكرك فأوحى الله اليه بم تنظر الى غدا قال بهاتين العينين قال لا ولكن أخلق لك عينين بسميان البقاء لتنظر الى البقاء بالبقاء (وقيل) خرج عيسى عليه السلام فى سياحته ليلة برد وريح ومطر فعاج الى كهف ليستظل فخرج اليه أسد فقال أنت احق بمكانك وعاد وهو يقول رب لكل ذى روح ملجأ الا عيسى فأوحى اليه كأنك استبطأتنى فوعزتى وجلالى لازوجنك بحوارى ولأولمن عليك أربعة آلاف سنة (وحكى) المنذرى عن ابن سعد يرفعه ان انصاريا بكى من خشية الله خوفا من النار حتى حبسه البكاء فى بيته فحكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه فلما اعتنقه خر ميتا فقال جهزوا صاحبكم فان الفرق بتحريك الراء يعنى الخوف فلذ بالمعجمة يعنى قطع كبده (وحكى) أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة عبد الواحد بن زيد عن الفضيل بن عياض ان ابن زيد سأل ربه ثلاث ليال ان يريه رفيقه فى الجنة فاذا بقائل يقول هى ميمونة السوداء قال فقلت وأين هى قال بالكوفة فخرجت فى طلبها فلما سألت عنها قالوا هى مجنونة وانها بموضع كذا ترعى غنيمات لنا فجئتها فرأيتها قد غرست عكازا وعليها جبة صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشرى والغنم ترعى مع الذئاب بلا ضرر وهى تصلى فلما رأتنى اوجزت فى صلاتها ثم قالت يا ابن زيد ليس هذا موضع الموعد فقلت ومن أين عرفتينى فقالت الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وفى رواية أخرى قالت جالت روحى وروحك فى عالم الملكوت فتعارفنا فقلت لها عظينى فقالت واعجبا من واعظ يوعظ ثم قالت يا ابن زيد لو وضعت معيار القسط على جوارحك لخبرتك بمكنون ما فيها يا ابن زيد ما من عبد أعطاه الله شيأ من الدنيا فابتغى اليه ثانيا الا سلبه الله حب الخلوة معه وبدله بعد القرب البعد وبعد الانس الوحشة وأنشدت

يا واعظا قام لاحتساب * يزجر قوما عن الذنوب
تنهى وأنت السقيم حقا * هذا من المنكر العجيب
لو كنت أصلحت قبل هذا * غيك أو تبت من قريب
كان لما قلت يا حبيبى * موقع صدق من القلوب
تنهى عن الغى والتمادى * وأنت فى النهى كالمريب

قال ثم سألتها ما بال الذئاب التى مع الغنم لا تضرها فقالت أصلحت ما بينى وبينه فاصلح ما بين الذئاب والغنم (وفى الكتاب المذكور) عن ابن المبارك قال بينما أطوف فى الجبال اذا أنا بشخص فلما دنا منى اذا هو امرأة عليها ثياب من صوف فلما دنا سلمت ثم قالت من أين قلت غريب قالت وهل تجد مع سيدك وحشة الغربة وهو مؤنس الضعفاء ومحدث الفقراء فبكيت فقالت ما بكاؤك ما اسرع ما وجدت طعم الدواء قلت هكذا العليل ثم قلت عظينى يرحمك الله فأنشدت

دنياك غرارة فذرها * فانها مركب جموح
دون بلوغ الجهول منها * منيته نفسه تطوح
لا تركب الشر فاجتنبه * فانه فاحش قبيح
والخير فاقدم عليه جهرا * فانه واسع فسيح

فقلت زيدينى قالت سبحان الله أوما فى هذا الموقف من الفوائد ما أغنى عن الزائد قلت لا غنى لى عنه فقالت أحبب ربك شوقا الى لقائه فان له يوما يتجلى فيه لاوليائه (وفيه) عن أبى الفيض ذى النون المصرى رضى الله عنه قال بينما انا فى السياحة اذ لقيتنى امرأة فقالت من أين قلت غريب فقالت كما قيل لابن المبارك الا انها زادت حيث نهيت عن البكاء بان

والبلبال الهم ووسواس الصدر والبلابل جمع بلبلة يقال بلابل الشوق وهى وساوسه والتباريح الشدائد والدواهى يقال برح به الحب والشوق اذا أصابه منه البرح وهو الشدة والغمرة ما يغمر القلب من حب أو سكر أو غفلة والشجن الحاجة حيث كانت وحاجة المحب أشد الى محبوبه وقال الراجز

انى سأبدى لك فيما أبدى
لى شجنان شجن بنجد
وشجن لى ببلاد السند

وقال آخر

تحمل أصحابى ولم يجدوا وجدى
وللناس أشجان ولى شجن وحدى

والوصب ألم الحب ومرضه فان أصل الوصب المرض والكمد الحزن المكتوم والكمد تغير اللون والارق السهر وهو من لوازم المحبة والحنين الشوق والجنون أصل مادته الستر والحب المفرط يستر العقل فلا يعقل المحب ما ينفعه ولا ما يضره فهو شعبة من الجنون ومن الحب ما يكون جنونا والود خالص الحب وألطفه وأرقه وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة والخلة توحيد المحبة فالخليل هو الذى يوحد حبه لمحبوبه وهى مرتبة لا تقبل المشاركة ولهذا اختص بها من العالم الخليلان ابراهيم ومحمد صلوات الله عليهما كما قال واتخذ الله ابراهيم خليلا وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وفى الصحيح عنه لو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وقيل انما سميت خلة لتخلل المحبة جميع أجزاء الروح قال الشاعر

قد تخللت مسلك الروح منى
وبذا سمى الخليل خليلا

وزعم من لا علم عنده ان الحبيب أفضل من الخليل وقال محمد حبيب الله وابراهيم خليل الله وهذا الزعم باطل لان الخلة خاصة

قالت البكاء راحة القلب فما كتم شئ أحق من الشهيق والزفير فاذا اسبلت الدمعة استرحت وهذا ضعف عند القوم فتعجب من ذلك وقال وصف لي رجل فقصدته فاقت على بابه أربعين يوما فلما رآني بعد دهاهرب مني فقلت له سألتك بالله الا ما وقفت فقال ما تريد فقلت تعرفني بما عرفته فقال ان لي حبيبا اذا قربت منه قربني وأدناني واذا بعدت صوب بي وناداني واذا قمت باليسير رغبني ومناني واذا عملت بالطاعة زادني وأعطاني واذا عملت بالمعصية صبر علي وتأناني فهل رأيت مثله انصرف عني ولا تشغلني ثم ولى يقول

حسب المحبين في الدنيا بأن لهم * من ربهم سببا يدني الى سبب
قوم جسومهم في الارض سائرة * وان أرواحهم تختال في الحجب
لهم على خلوة منه تسددني * اذا تضرعت بالاشفاق والرغب
يارب يارب انت الله معتمدي * متى أرى الله جهارا غير محتجب

(وعن ابي الفتح بن شخنون) قال كان سعدون صاحب محبة لله لهجا بالقول صام ستين سنة حتى خف دماغه فسماه الناس مجنونا لتردد قوله في المحبة فغاب عنا زمانا وكنت مشتاقا الى لقائه فبينما انا بفسطاط مصر على حلقة ذي النون واذا به وعليه جبة من صوف فنادى يا ذا النون متى يكون القلب أميرا بعد ما كان أسيرا فقال اذا اطلع الخبير على الضمير فلم ير فيه الا هو وقال فخر مغشيا عليه ثم افاق وهو يقول

ولا خير في شكوى الى غير مشتكي * ولا بد من شكوى اذا لم يكن صبر

ثم قال يا أبا الفيض ان من القلوب قلوبا تستغفر الله قبل ان تذنب قال نعم تلك قلوب تثاب قبل ان تطيع قال يا أبا الفيض اشرح لي ذلك قال يا سعدون أولئك اقوام اشرقت قلوبهم بضياء روح اليقين فهم قد فطموا النفوس من روح الشهوات فهم رهبان من الراهبين وملوك في العباد وامراء في الزهاد للغيث الذي أمطر في قلوبهم المولهة بالقدوم الى الله تعالى شوقا فليس فيهم من انس بمخلوق ولا مستر زق من مرزوق فهو في الملأ حقير وعند الله خطير ثم ولى وعن أبي سليمان قال مررت ليلة فسمعت في جبل اللكام رجلا يقول في دعائه سيدي وأملي ومولي ومن به تم عملي أعوذ بك من بدن لا ينتصب بين يديك وقلب لا يشتاق اليك ودعاء لا يصل اليك وعين لا تبكي عليك فعلمت انه عارف ثم صعق فتركته وانصرفت واذا انا برجل نائم فركضته وقلت قم فان الموت لم يمت فرفع رأسه وقال ما بعد الموت أشد منه (وعن عبد الله بن المبارك) قال مررت في سياحتي بالشام بطبيب يصف لكل ما يحب فقلت له يا طبيب أعندك دواء للذنوب فقال نعم فلما تفرق الناس قال لي يا هذا عليك بورق الفقر وعروق الصبر واهليلج الصفا وبليلج الرضا وغاريقون الكتمان وسقمونيا الاحزان فامرسهم بماء الاجفان ودعهم في طاجن القلق وأوقد تحتهم نار الفرق وصفهم بمنخل الارق واشربهم على الحرق فانه شفاؤك وانشد

يا طبيبا بذكره يتداوى * وصفوه لكل داء غريب
ليس يخفى عليك شئ عجيب * انما الصبر عنك شئ عجيب

(وسئل أبو بكر الشبلي) ما علامات العارف قال صدره مشروح وقلبه مجروح وجسمه مطروح قيل من العالم قال من عرف الله وعمل بما علمه الله واعرض عما نهاه الله قيل فما الصوفي قال من صفا قلبه ورمى الدنيا وجفا الهوى واتبع المصطفى قيل فما التصوف قال

اتخذ نبيا خليلا فصل من انعام الحب العام على الخاص والعام جللت بهذا حلة ثم حلة

بهذا فطاب الواديان كلاهما

والغرام الحب اللازم يقال رجل مغرم بالحب وقد لزمه الحب وفي الصحاح الغرام الولوع والغريم الذي يكون عليه الدين وقد يكون الذي له الدين قال كثير

قضى كل ذي دين فوفى غريمه
وعزة ممطول معنى غريمها

والوله ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد وله أسماء أخر غير هذه أضربت عنها خوف الاطالة والمحبة أم باب هذه الاسماء كلها وقيل الشوق جنس والمحبة نوع منه الا ترى ان كل محبة شوق وليس كل شوق محبة وخالف ذلك صاحب المنظوم والمنثور فقال زعموا ان العشق والوجد والهوى أن يهوى الشئ فيتبعه غيا كان أو رشدا والحب حرف تنتظم هذه الثلاثة فيه وقد يقال للعاشق والواجد والذي يهوى الامر محب وللناس في حد المحبة كلام كثير فقيل هي الميل الدائم بالقلب الهائم وقيل هي قيامك لمحبوبك بكل ما يحبه منك وقيل ذكر المحبوب على عدد الانفاس كما قال المتنبي

يراد من القلب نسيانكم
وتأبى الطباع على الناقل

وقيل هي مصاحبة المحبوب على الدوام كما قيل

ومن عجب اني احن اليهم
وأسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها
ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

وقيل هي حضور المحبوب عند المحب دائما كما قال الآخر

خيالك في عيني وذكرك في فمي * ومثواك في قلبي فأين تغيب
وفي اشتقاقها أيضا

التألف والاعراض عن التكلف وأحسن منه تصفية القلوب لعلام الغيوب وأحسن منه التعظيم لامر الله والشفقة على عباد الله وأحسن منه من صفا من الكدر وخلص من المكر وامتلأ من الفكر وتساوى عنده الذهب والمدر (وعن ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه) قال كنت يوما من الايام مارا بقبر فترحمت عليه وبكيت عليه فسألني من معي عنه فقلت قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن غرق في الدنيا ثم استنقذه الله بلغني انه سر يوما من الايام بما هو فيه ثم نام مع بعض محاظيه فرأى رجلا واقفا على رأسه وفي يده كتاب فناوله اياه ففتحه فاذا هو مكتوب بالذهب لا تؤثر فانيا على باق ولا تغتر بملكك وسلطانك وخدمك ولذاتك فان الذي أنت فيه جسيم لولا انه عديم وملك لولا ان بعده هلاك وفرح وسرور لولا ان بعده غرور فسارع الى أمر الله فانه يقول وسارعوا الى مغفرة من ربكم فانتبه مرعوبا وخرج الى هذا الجبل فما زلت أتعهده حتى مات ودفن ههنا (وحكي) أن ملكا أراد الركوب يوما فدعا بثياب الزينة فجيء بها فردها وقال أريد ثياب كذا فجيء بها فردها حتى جيء باصناف كثيرة ثم اختار ما أراد وفعل كذلك بالدواب فلما ركب نفخ ابليس في انفه فعلاه من التكبر ما لا يوصف حتى انه لم يخاطب أحدا فبينما هو في موكبه اذا برجل رث الهيئة قد قبض على لجام دابته وهو يقول لي اليك حاجة قال حتى أرجع قال لا بل مكانك قال اذكرها فقال ادن مني فطأطأ فقال له أنا ملك الموت فتغير واضطرب وسأله أن يعود فيودع أهله فأبى وقبضه مكانه (وحكي) انه عارض في ذلك الوقت رجلا زاهدا فقال له كما قال للملك فقال حبا وكرامة فقال له ملك الموت هل لك حاجة تمضي اليها فقال لا حاجة أحب الي من لقاء الله فقال اختر على أي حالة أقبضك فقال ألك ذلك قال نعم فتوضأ وصلى فلما سجد قبضه (وعن عتبة المعروف بالغلام) وسمي بذلك لكثرة خدمته انه كان مقيما بالجبانة فبلغ خبره على بن سليمان امير العراق فخرج حتى وقف عليه فسلم فرفع رأسه فرد عليه فقال له الامير كيف أصبحت قال متفكرا في القدوم على الله بخير أم بشر ثم بكى وأطرق رأسه منكسا الى الارض فقال الامير قد أمرت لك بالف درهم فقال قبلتها على أن تقضيني معها حاجة فقال وقد سر بذلك وما هي قال تقبل مني ما وهبتني فقال قد فعلت وانصرف ولقد كان عتبة هذا لا ينام الا أول الليل ثم يستيقظ فزعا مرعوبا ينادي النار النار قد شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات ثم يتوضأ ويقف للخدمة وان البكاء ليمنعه القراءة وكثيرا ما يقول اللهم يا عالما بحاجتي غير معلم بما أطلب وما أطلب الا فكاكي من النار اللهم ان الجزع قد أرقني من الخوف فلم يؤمني وكل هذا من نعمتك السابغة علي وكذلك فعلت باوليائك وأهل طاعتك الهي قد علمت لو كان لي عذر في التخلي ما أقمت مع الناس طرفة عين (وعن سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه) الناس ثلاثة أصناف صنف مضروب بسوط المحبة مقتول بسيف الشوق مضطجع على بابه ينتظر الكرامة وصنف مضروب بسوط التوبة مقتول بسيف الندامة مضطجع على بابه ينتظر العفو وصنف مضروب بسوط الغفلة مقتول بسيف الشهوة مضطجع على بابه ينتظر العقوبة (وعن حيان القيسي) العباد مع الله على ثلاث طبقات قوم ظنن بهم عن البلاء لئلا يسترق الجزع سرهم فيكون هذا حكمة أو يكون في صدورهم حرج من قضائه وقوم ظنن بهم عن مساكنة أهل المعاصي لئلا تغتم قلوبهم فمن اجل ذلك سلمت صدورهم للعالم وقوم صب

أقوال فقيل هي مشتقة من حبة القلب وهي سويداؤه ويقال ثمرته فسميت المحبة بذلك لوصولها الى حبة القلب وقيل هي مشتقة من اللزوم والثبات ومنه أحب البعير اذا برك فلم يقم وقيل من حباب الماء بفتح الحاء وهو معظمه أو ما يعلو الماء عند المطر الشديد فعلى هذا المحبة غليان القلب وقيل من حب الماء الذي يوضع فيه لانه يمسك ما فيه من الماء ولا يسع غيره اذا امتلأ به كذلك اذا امتلأ القلب من الحب فلا اتساع فيه لغير المحبوب وعلى ذكر حب الماء الذي يسميه المصريون الزير ما أحسن قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ملغزا في كوز الزير وفيه اعتراض يشينه وحسن نظم يزينه

وذي اذن بلا سمع ۞ له قلب بلا قلب
اذا استولى على حب
فقل ما شئت في الصب

۞(الفصل الرابع في مدحه وذمه)۞

أقول هذا الفصل عقدناه لمدح العشق وذمه وترياقه وسمه فكم مدحه عاقل وذمه متغافل هيهات فات من ذمه المطلوب ومن أين للوجه المليح ذنوب فمن خصاله المحمودة وفضائله الموجودة ما قاله العلامة قدامة العشق فضيلة تنتج الحيلة وتشجع الجبان وتسخي كف البخيل وتصفي ذهن الغبي وتطلق بالشعر لسان العجمي وتبعث حزم العاجز وهو عزيز يذل له عز الملوك وتضرع له صولة الشجاع وهو داعية الادب وأول باب تفتق به الاذهان والفطن وتستخرج به دقائق المكايد والحيل واليه تستريح الهمم وتسكن نوافر الاخلاق والشيم يمتع جليسه ويؤنس اليفه وله سرور يجول في النفوس وفرح يسكن في القلوب وقيل لبعض العلماء ان ابنك قد عشق فقال الحمد لله الآن رقت حواشيه ولطفت معانيه وملحت اشاراته وظرفت حركاته وحسنت عباراته وجادت رسائله وحلت شمائله فواظب على المليح واجتنب القبيح

عليهم العذاب صبا فما ازدادوا بذلك الاحبا (أقول) والتقسيم الاول شامل لطبقات العالم السعيد منهم والشقي الا ان القسم الاول أسعد السعداء وأما هذا التقسيم فهو تقسيم لاهل الله فقط على أن لنا أن نتكلف للاول ان يكون مثله وفي هذا تلميح الى التسليم البحت في القضاء والقدر والاول الى الاختيار (وعن سحنون بن حمزة الخواص) أن أبا بكر البصري وكان رجلا من أكابر الاولياء مات قبل الجنيد بيسير وكان قد سمى نفسه بالكذاب لبيت قاله وهو

فليس لي في سواك حظ * فكيف ماشئت فامتحني

فحصر بوله اثر قوله هذا فتضجر فسمى نفسه الكذاب في المحبة (غيره)

ولو قيل طأ في النار اعلم انه * رضا لك اومدن لنا من وصالك
لقدمت رجلي نحوها فوطئتها * سرورا لاني قد خطرت ببالك

وله أيضا

وكان فؤادي خاليا قبل حبكم * وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبي هواك أجابه * فلست اراه عن فنائك يبرح
رميت ببين منك ان كنت كاذبا * وان كنت في الدنيا بغيرك افرح
وان كان شئ في البلاد باسرها * اذا غبت عن عيني بعيني يملح
فان شئت واصلني وان شئت لا تصل * فلست أرى قلبي بغيرك يصلح

وله أيضا

يامن فؤادي عليه موقوف * وكل همي اليه مصروف
يا حسرتي حسرة اموت بها * ان لم يكن لي اليك معروف

(وعن الجنيد رضي الله عنه) قال انفذني السري في حاجة فلما قضيتها دفع الى رقعة وقال قد اجزتك هذه الرقعة ففتحتها فاذا فيها

ولما شكوت الحب قالت كذبتني * ألست أرى منك العظام كواسيا
وما الحب حتى يلصق الجلد بالحشا * وتخرس حتى لا تجيب المناديا
وتضعف حتى لا يبقى لك الهوى * سوى مقلة تبكي بها وتناجيا

(ودخل ابو بكر الشبلي) يوما المارستان فوجد غلاما اسود قد غل الى سارية فلما رآه قال يا أبا بكر قل لربك ما كفاه أن تيمني بحبه حتى قيدني وأنشد يقول

على بعدك لا يصبر * من عادته القرب
ومن قربك لا يصبر * من تيمه الحب
فان لم ترك العين * فقد أبصرك القلب

فصعق الشبلي وخر مغشيا عليه فلما أفاق وجد القيود مطروحة ولم ير الاسود (وعن علي بن سعيد العطار) قال مررت ببغداد بمكفوف مجذوم فاذا الزنبور يقع عليه فيقطع لحمه فقلت الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه وفتح من عيني ما أغلق من عينيه قال فبينما أنا اردد الحمد اذ صرع فبينما هو يتخبط نظرت اليه فاذا هو مقعد فقلت مكفوف يصرع مقعد مجذوم قال فما استتممت كلامي حتى صاح بي فقال ما دخولك فيما بيني وبين ربي دعه يفعل بي ما يشاء ثم قال وعزتك وجلالك لو قطعتني اربا اربا او صببت على العذاب صبا ما ازددت لك الاحبا وللشبلي رضي الله عنه

ان المحبين احياء ولو دفنوا * في الترب أو غرقوا في الماء أو حرقوا
أو يقتلوا بسيوف وسط معركة * أو حتف أنف وان أضناهم الفرق
لو يسمعون منادي الحب صاح بهم * يوما لباه من بالحب يحترق

(وعن

وقيل لآخر كذلك فقال لا بأس بذلك اذا عشق لطف وظرف ودق ورق وقيل لابن جمهور متى يكون الفتى بليغا فقال اذا صنف كتابا أو وصف هوى أو حبيبا وقد صدق فيما قال العباس بن الاحنف

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى
ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

وقال غيره

وما سرني اني خلي من الهوى
ولو أن لي ما بين شرق ومغرب

وقال آخر

ولا خير في الدنيا بغير صبابة
ولا في نعيم ليس فيه حبيب

وقال آخر

اسكن الى سكن تلذ بحبه
ذهب الزمان وأنت خال مفرد

وقال آخر

إذا لم تذق في هذه الدار صبوة
فموتك فيها والحياة سواء

وقال آخر

ولا خير في الدنيا اذا أنت لم تذر
حبيبا ولا وافى اليك حبيب

وقال آخر

ماذاق بؤس معيشة ونعيمها
فيما مضى أحد اذا لم يعشق

وقال المتنبي

وعذلت أهل العشق حتى ذقته
فعجبت كيف يموت من لا يعشق

وقلت أنا معظما لقول المتنبي هذا مع زيادة التورية

إن تسألوا عما لقيت من الهوى
فانا الذي مارسته وعرفته
خالفت في رشف الرضاب وطعمه
وعذلت اهل العشق حتى ذقته

(حكي) ان الملك بهرام جور كان له ولد واحد فاراد ترشيحه للملك بعده فوجده ساقط الهمة دنيء النفس فسلط عليه الجواري والقيان فعشق منهن واحدة فأعلم الملك بهرام بذلك ففرح وأرسل الى التي قيل انه عشقها أن تجني عليه وقولي اني لا أصلح الا الشريف النفس

(وعن احمد بن عيسى الجزار) قال دعتني امرأة الى غسل ولدها فلما جردته قبض على يدي فقالت سبحان الله أحياة بعد موت فقال ان المحبين لله احياء وان ماتوا * ودعا عبد الواحد يوما جماعة من الصوفية فآواهم وكان فيهم عتبة الغلام فقام لخدمتهم ولم يأكل فلما انصرفوا قال له عبد الواحد لم لا تأكل قال ذكرت أهل الجنة واجتماعهم على الموائد وقيام الخدم على رؤسهم فاشتقت الى ذلك فأبت نفسي الطعام فبكى عبد الواحد وتفرقا متعاهدين على ان لا يرويا ولا يشبعا من نوم ولا طعام وقيل ان عتبة عاهد الله على ان لا ينام الا مغلوبا وقرأ غلام يوما بين يدي صالح المزي بالمعجمة نسبة الى قرية بدمشق وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع فقال كيف يكون حميم وشفيع مطاع والمطالب لهم رب العالمين والملائكة تسوقهم بمقامع الحديد يسحبون تارة على الوجوه ويمشون أخرى ما بين باك ومناد بالويل ثم صاح باويلتاه وياسوء منظراه وبكى وبكت الناس فقام شاب فيه تأنث فقال أوكل ذلك في القيامة يا أبا بشر فقال وأكثر من ذلك لقد بلغني انهم يصرخون الى ان تنقطع اصواتهم فقال الشاب انا لله وانا اليه راجعون ثم بكى وخر ميتا بعد ان استقبل ودعا بالتوبة فرؤي بعد قليل في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال أدخلني الجنة ببركة مجلس صالح ودعا صالح يوما فمر به مخنث وهو يقول في دعائه اللهم اغفر لاقسانا قلبا واجمدنا عينا وأقربنا بالذنوب عهدا فسمع المخنث فمات فرؤي في المنام فقال كما قال الشاب وقال عبد الوارث نظرت الى رباح القيسي يقبل غلاما من أهله فقلت أتحبه قال نعم قلت ما كنت اظن ان في قلبك بقية لاحد فخر مغشيا عليه فلما أفاق مسح وجهه وقال انما هي رحمة منه القاها في قلوب العباد (وحكى) ابن سعيد التيمي قال نظرت الى جارية سوداء تسف الخوص وهي تقول

لك علم بما يجن فؤادي * فارحمن ذل ذلتي وانفرادي

فقلت لها ما علامة الحب وكان الى جانبها رجل يصرع فقالت يا بطال الحب ان تقول لهذا المجنون قم فيقوم ورمقته فقام والجني يقول ويحك لا عدت اليه ابدا فهذا ملخص ما ناسب ترجمة الباب وقد ذكر في الاصل ما لا علاقة له اذا أمعن النظر بهذا المحل وربما يأتي بعضه حيث نجد له محلا

(فصل من الباب في ذكر من فارقت روحه من الاحباب) قال عبد الرحمن الصوفي مررت في اسواق بغداد بسوق النخاسين فرأيت جمعا كبيرا على شاب مطروح فقلت ما باله قالوا سمع قارئا يقرأ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فسقط مغشيا عليه قال فلما سمع الكلام انتبه وهو يقول

ألم يأن للهجران ان يتصرما * وللغصن غصن البان ان يتبسما
وللعاشق الصب الذي مات وانحنى * أما آن أن يبكى عليه ويرحما
كتبت بماء الشوق بين جوانحي * كتابا على نقش الوشاة منمنما

ثم صاح وخر مغشيا عليه (وروى) عن ابن الحواري مثل ذلك الا انه زاد وللغصن غصن البان ان يتكلما وفي البيت الاخير كتابا حكى نقش الوشاة * وقام ابو زهير في مجلس المزي فقال له اقرأ فقرأ صالح وقدمنا الى ما عملوا من عمل الى قوله واحسن مقيلا فقال له اعدها فلم يزل يكررها حتى سقط ميتا وفي رواية الحافظ مغلطاي عن ابي القاسم في الامالي وابن ابي

فالى الهمة ملك أو عالم فلما قالت ذلك راجع العلم وما عليه الملوك من شرف الهمة حتى برع في ذلك وتولى الملك فكان من خيرهم وأنشدت ذلك في حكمة الى كسرى ان الملك لا يكمل الا بعد عشقه وكذلك العالم قالوا والعشق المباح مما يؤجر عليه العاشق كما قال شريك وقد سئل عن العشاق فقال اشدهم حبا أعظمهم أجرا قالوا وأرواح العشاق عطرة لطيفة وأبدانهم ضعيفة وأرواحهم بطيئة الانقياد لمن قادها حاشى سكنها الذي سكنت اليه وعقدت حبها عليه وكلام العشاق ومنادمتهم تزيد في العقول وتحرك النفوس وتطرب الارواح وتجلب الافراح ويتشوق الى سماع أخبارهم الملوك فمن دونهم ويكفي العاشق المسكين الذي لم يذكر مع الملوك ومع الشجعان الابطال انه يعشق ويشتهر بالعشق فيذكر في مجالس الملوك والخلفاء فمن دونهم تدور أخباره وتروى أشعاره ويبقى له العشق ذكرا خالدا ولولا العشق لم يذكر له اسم ولا جرى له رسم ولا رفع له رأس ولا ذكر مع الناس وقال المرزباني سئل أبو نوفل هل سلم أحد من العشق فقال نعم الجلف الجافي الذي ليس له فضل ولا عنده فهم فأما من في طبعه أدنى ظرف أو معه دماثة أهل الحجاز وظرف أهل العراق فلا يسلم منه وقال بعضهم لا يخلو احد من صبوة الا ان يكون جافي الخلقة ناقصا أو منقوص البنية أو على خلاف تركيب الاعتدال

فواعجبا للدهر لم يخل مهجة
من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

ويكفي العاشق انه يرتاح للمعروف واغاثة الملهوف كما قيل

ويرتاح للمعروف في طلب العلا
لتحمد يوما عند ليلى شمائله

وقال أبو النجاب رأيت في الطواف فتى نحيف الجسم بين الضعف يلوذ ويتعوذ ويقول ودِدت بان الحب يجمع كله * فيقذف في قلبي وينطلق الصدر

لا ينقضي مافي فؤادي من الهوى * ومن فرحي (٢٦) بالحب أو ينقضي العمر فقلت يا أمي أما لهذه البنية حرمة تمنعك من

هــذا الكلام فقال بلى والله ولكن الحب مـلأ قلبي فتمنيت المنى والله ماسرني مابقاني منه مافيه امير المؤمنين من الملك واني ادعوان يثبته الله في قلبي عمري ويجعله ضجيعي في قبري دريت به أم لا أدرى هـذا دعائي وله قصدت وفيه ترغبت مما يعطي الله سائر خلقه ثم مضى (قلت) ذكرت هنا ماقاله الاخطل وقد لامه عبد الملك على الخمر فقال

ليت شعري مايعجبك فيها وأولها امرار وآخرها خمار فقال لكن بينهما والله نشوة لا أبيعها بخلافتك يا أمير المؤمنين أخذه الشاعر فقال

ان يكن أول المدام كريها
أو يكن آخر المدام صداعا
فلها بين ذا وذاك هنات
وصفها بالسرور ان يستطاعا

وأما ماجاء في ذمه وشربان سمه فأكثر من أن يحصر فكم ترك الغني صعلوكا والمالك مملوكا كما قيل

ظل من فرط حبه مملوكا
ولقد كان قبل ذاك مليكا
تركته جآذر القصر صبا
مستهاما على الصعيد تريكا

وهذه الابيات لبعض ملوك الاندلس وسيأتي ذكرها في الباب الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وكم من عاشق أتلف في معشوقه ماله وعرضه ونفسه وضيع أهله ومصالح دينه ودنياه ووقع فيما يأباه أي والله

والعشق يجتذب النفوس الى الردى
بالطبع واحسدي لمن لم يعشق

قالوا وكم عاشق هرب من الحب الى مواقف التلف ليتخلص من التلف بالتلف وعلى هذا حكاية دعبل الشاعر قال كنت بالثغر فنودي بالنفير فخرجت مع الناس فاذا أنا بفتى يجر رمحه بين يدي فالتفت فنظر الي فقال أنت دعبل قلت نعم قال اسمع مني ثم أنشد

ابي

الدنيا في كتاب الخائفين عن صالح ومحمد بن واسع وحبيب وثابت البناني ومالك بن دينار انهم قالوا أتينا اباز هير الضرير المذكور وقت الظهيرة للزيارة فخرج الينا وكانه نشر من قبر فصلى وجلس كالمهموم فسلمنا عليه فقال لصالح اقرأ فقرأ الآية المذكورة فخر ميتا فقلنا هل له من احد فقال الحاضرون نعرف امرأة تأتيه من هنا بيعض حاجاته فاستحضرناها واخبرناها بالقصة فقالت لعل فيكم صالحا قلنا وما يدريك به قالت كثيرا ما كان يقول لي ان قرأ علي صالح قتلني فجهزناه رحمه الله تعالى (اخبرنا ابو الطيب) وكان صوفيا من اهل سر من رأى مدينة بالعراق قال حضرنا يوما في مجلس ومعنا رجل صوفي يقال له ابو الفتح فقرأ قارئ أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر فقال الرجل بلى وخر مغشيا عليه فلم يفق الى ان ذهب النهار ثم مضى فبلغني بعد ايام انه حضر بالكرخ مجلسا فانشدت فيه جارية الابيات المنسوبة الى عبد الصمد المغربي الاشبيلي المعروف بالمعدل

يابديع الدل والغنج * لك سلطان على المهج * ان بيتا انت ساكنه
غير محتاج الى السرج * وجهك المعشوق حجتنا * يوم تأتي الناس بالحجج

فاعتراه اضطراب شديد واقبل يقول للصبية كيف قلت فلما بلغت البيت خر ميتا * واخرج في الامالي عن عبد المؤمن القصة الا ان البيت الاخير * وجهك المأمول حجتنا * قلت ولعل الذي مات من سماعه الرجل هو هذا لان العارفين اذا سمعوا ما يدل على صاحب البقاء كان أكثر اخذا من نفوسهم ولاشبهة في ان المأمول أبلغ * وحكى أبو الفرج الصوفي قال كنا نجتمع للعدمة وكان بالقرب منا رجل اسمه القاسم الشركي يرعى عنيزات وكنا ندعوناه الى السماع أبى فربه صبي يوما يغني

ان هواك الذي بقلبي * صيرني سامعا مطيعا * أخذت قلبي وغمض عيني
سلبتني العقل والهجوعا * فدع فؤادي وخذ رقادي * فقال لا بل هما جميعا
فراح مني بجانبيه * وبت تحت الهوى صريعا

فاعتراه اضطراب شديد وأقبل يقول للصبي كيف قلت فخاف الصبي منه ومضى فجعل يقول له لا بأس عليك كيف قلت فلم يجبه وانصرف فرجع هائما الى رجل هناك بطبرية يقال له حامد الفاخوري وكان عارفا بالاشعار فجعل يردد الابيات عليه ثلاثة أيام وهو يضطرب حتى مات واخرج مغلطاي عن ابن أبي الدنيا والمنذري آخر الترغيب في فضل الخوف عن ابن عمرو وصححه الحاكم ان رجلا حبشيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله فضلتم علينا بالالوان والنبوة أفرأيت ان آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت أكون معك في الجنة قال نعم ثم قال لا صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله كان له بها عهد عند الله ومن قال سبحان الله كتب له بها مائة ألف حسنة فقال رجل يارسول الله كيف يهلك بعد هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان الرجل ليجيء يوم القيامة بعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد تستنفد ذلك كله لولا ما يتفضل الله من رحمته ثم نزلت هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا الى قوله وملكا كبيرا فقال الحبشي يارسول الله وهل ترى عيني في الجنة مثل ماترى عينك فقال نعم فبكى الحبشي حتى فاضت نفسه رضي الله عنه قال ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدليه في حفرته بيده رواه الطبراني عن أيوب بن عتبة * واخرج مغلطاي عن ابن

ابى الدنيا فى كتاب الخوف باسناده الى عاصم البصرى قال كنت اماما بمسجد ابن جراد وكان يتردد الى رجل فسألنى يوما مصحفا ينظر فيه فاعطيته اياه فخرج وهو يقول فسيكون لى ولهذا المصحف نبأ عظيم واختفى فلم أره بقية اليوم يحضر الصلاة فلما كان الصباح دخلت عليه فوجدته ميتا والمصحف على صدره فخرجت متفكرا فى أى شئ أكفنه واذا أنا بجماعة من العباد منهم حسان وحبيب وابن واسع ومع كل كفن وحنوط فقالوا أتعرف هنا رجلا مات فقلت لا أعرف الا رجلا غريبا كان يصلى هنا فقالوا انت أشقى من ان تعرف جهاما ثم دخلوا عليه وجعلوا يتنافسون فى تجهيزه ثم صلوا عليه ودفنوه ورأيت هذه الحكاية فى أنيس الجليس الا انه زاد ورأيت المصحف مفتوحا واول سطر فيه الله نزل احسن الحديث الآية *وفى الحلية عن ابن السماك قال دخلت البصرة على رجل اعرفه فسألته ان يدلنى على رجل من العباد فدخلنا على رجل منكس الرأس كثير الصمت لابس الشعر فلم يكلمنا وخرجنا فقال لى أتدخل على ابن العجوز فدخلنا على شخص يشبه الاول وعنده أمه عجوز فقالت لاتذكروا لولدى نارا ولا جنة فتفجعونى فيه فلما جلسنا عنده رفع رأسه فقال اما للعباد موقف يقفون فيه فقلنا بين يدى من خلقهم فشهق شهقة فارق الدنيا * وفيها قال دخل جماعة على ابى سعيد القطان فقرأ رجل منهم سورة الدخان فلما انتهى الى قوله ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين جعل يضطرب ويعلو صدره حتى غشى عليه واصاب صدره فادماه وجاءت النساء وخرجنا الى الباب فلما سكنت الغوغاء دخلنا عليه فاذا هو على فراشه يردد الآية حتى قضى عليه * وحكى مغلطاى عن ابن ابى الدنيا قال كرر ابن خليد قوله عز وجل كل نفس ذائقة الموت فناداه مناد كم تكرر هذه الآية فقد قتلت بها اربعة نفر من الجن لايرفعون رؤسهم حتى ماتوا ورأيت فى أنيس الجليس القصة وزاد فيه ان رجلا قصد الحاج فعدل عن الطريق تائها اثر نوم فاذا هو فى ارض لا يعهد مثلها واذا بقوم قد اقبلوا الى ماء هناك فتوضؤا ودعوه الى الصلاة بهم فصلى وقرأ الآية فخروا الى الارض وحركوا فوجدوا أمواتا وقائل يقول له يا عبد الله ان هؤلاء قوم من الجن قد اعتزلوا ههنا للعبادة وان الخوف لم يترك فيهم بقية وانت ان أردت الحاج فامض امامك فستظفر باصحابك طلوع الفجر قال الرجل فكان كذلك وعنه عن محمد بن صالح قال خرجنا ومعنا قارئ يقرأ فسمعته امرأة من اهل البصرة على سطح فاضطربت حتى غشى عليها واحتملت الى بيتها فلم تبرح حتى قضت نحبها وكان لها مشهد عظيم وعن محمد عن منصور بن عمار قال مررنا فى جوف الليل فاذا بشاب قائم يصلى وهو يقول فى مناجاته الهى ما أردت بمعصيتى مخالفتك ولقد عصيتك اذ عصيتك وما أنا بنكالك جاهل ولكن خطيئة عرضت واعانى عليها شقائى وغرنى سترك المرخى وقد عصيتك بجهدى وخالفتك بجهلى فالآن من عذابك من يستنقذنى وبحبل من اتصل ان انت قطعت حبلك منى واشباباه واشباباه فلما فرغ تلوت آية من كتاب الله وهى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا الآية فسمعت دكدكة وانقطاع الصوت فلما اصبحنا رجعنا على الاثر واذا بجنازة وعجوز قد اخذ منها الكبر فسألناها فقالت مر قارئ بولدى فقرأ آية فتفطرت مرارته ومات وعنه من طريق آخر الحكاية زاد فيها بعد قوله ان قطعت حبلك عنى واسوأتاه اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا فياليت شعرى أمع المثقلين نحط اومع المخفين نجوز ويحى كلما طال عمرى كثرت ذنوبى ويحى كلما كبر سنى

أنا فى أمرى رشاد * بين حب وجهاد بدنى يغزوه عدوى * والهوى يغزو فؤادى ثم قال كيف ترى قلت جيد والله قال فوالله ما خرجت الا هاربا من الحب ثم قاتل حتى قتل

(وقال الواو الدمشقى)

سبيل الهوى وعر وحلو الهوى مر
وبرد الهوى حر ويوم الهوى دهر

(وقال غيره)

العشق مشغلة عن كل صالحة
وسكرة العشق تنفى سكرة الوسن

(وقال عبد المحسن الصورى)

وكان ابتداء الذى بى مجونا
فلما تمكن أمسى جنونا
وكنت أظن الهوى هينا
فلاقيت منه عذابا مهينا

(وقال محمد اليزيدى)

كيف يطيق الناس وصف الهوى
وهو جليل ماله قدر
بل كيف يصفو لحليف الهوى
عشق وفيه البين والهجر

(وما أحسن قول عبد الله بن اسباط القيروانى)

قال الخلى الهوى محال
فقلت لو ذقته عرفته
فقال هل غير شغل قلب
ان أنت لم ترضه صرفته
وهل سوى ذفرة ودمع
ان لم ترد جريه كففته
فقلت من بعد كل وصف
لم تعرف الحب اذ وصفته

(تنبيه) الهوى أكثر ما يستعمل فى الحب المذموم قال الله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وقد يستعمل فى الحب الممدوح استعمالا مقيدا ومنه الحديث لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال ابن عباس الهوى اله معبود وقرأ أفرأيت من اتخذ الهه هواه فتلخص من الآية الكريمة والحديث الشريف أن الهوى ينقسم على قسمين هوى محمود وهو فى الخير والصلاح

كبرت خطاياي فيا ويلي كم اتوب وكم أعود ولا استحي من ربي قال منصور فلما سمعت كلام الشاب وضعت في على باب داره وقرأت الآية المذكورة وعلمت الباب فلما رجعت الحكاية الا انه ذكر عن العجوز ان الشاب كان يصنع الخوص ويبيعه ويقسمه بين القوت والصدقة وشراء الخوص ‹ عن ذي النون المصري قال بينما أنا اسير على جانب البحر في الليل واذا أنا بجارية عليها اطمار شعر وهي ناحلة ذابلة فدنوت منها لسماع ما تقول واذا هي متصلة الاحزان بالاشجان وقد عصفت الرياح واضطربت الامواج وظهرت الحيتان فصرخت وسقطت الى الارض فافاقت وهي تقول سيدي لك تقرب المتقربون في الخلوات ولعظمتك سبحت الحيتان في البحار الزاخرات وبجلالك قدسك تصافقت الامواج المتلاطمات انت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار والفلك الدوار والبحر الزخار والقمر النوار والنجم الزهار وكل شيء عندك بمقدار لانك العلي القهار وانشدت

احبك حبين حب الوداد * وحبا لانك اهل لذاك

فأما الذي هو حب الهوى * فحب شغلت به عن سواك

واما الذي انت اهل له * فكشفك للحجب حتى أراك

فما الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاك

ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا فوقفت متعجبا واذا بنسوة على احسن ما يكون من الحالات قد اقبلن فاحتملنها ثم غبن وأقبلن بها قد جهزت فقدمنني للصلاة وهن ورائي فلما افرغت مضين بها قال المختصر عن مغلطاي رأيت غير مامرة شيخا مغربيا يحمل على ظهره الخضر من باب زويلة الى الكتبيين ويكثر من انشاد شعر بلا وزن مضمونه ان الحال كم اخذ ماله المتروك عن والده وأوراقا كثيرة منها هذا الشعر وانه استمع ليلة المحدث في سيرة البطال وقد ذكر أن جماعة قتلوا في الجهاد فقال المغربي للمحدث وفيم قتل هؤلاء قال في سبيل الله قال المغربي وأنا ايضا أموت في سبيل الله فقال له المحدث اوهل فقعد الى جانبهم فحركه فاذا هو ميت وعن ابي الحسين أحمد بن أبي الحواري قال مررت في الشام بقبة واذا انا بامرأة تدق الحائط فقلت لها ما بالك فقالت امرأة ضالة دلني على الطريق فقلت اي الطريق تريدين قالت طريق النجاة قلت هيهات ان بيننا وبينه عقبات لا تقطع الا بسير حثيث وتصحيح المعاملة وقطع العلائق الشاغلة من أمور الدنيا والآخرة فقالت سبحان من امسك عليك جوارحك فلم تنقطع وحفظ عليك فؤادك فلم ينصدع ثم خرت مغشيا عليها فقلت للنساء حركنها فاذا هي ميتة ووصيتها الى جانبها ان كفنوني في أثوابي وخلوا ما بيني وبينه فان كان لي عنده خير فهو اسعد لي والا فبعدا لنفسي وفي الاصل قيل كان بالموصل رجل نصراني يكنى ابا اسمعيل وانه سمع يوما قارئا يقرأ وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون فبكى حتى غشي عليه ثم اسلم وصحب فتحا الموصلي فحدث عنه انه نظر يوما الى الدخان يفور من المدينة فبكى وقال قد قرب الناس قربانهم فليت شعري ما قربانى وجعل يبكي حتى فارق الدنيا هذا ما قرره من اول الباب الى هنا وفي كل نظر وذلك انه عقد الباب كله لعشاق الله ثم ذكر فصلا لمن مات بذلك على انه قد ذكر قبل الفصل من مات وبعده من لم يمت ثم فصل بآخر وقال انه لعشاق الحور العين وقد أمطنا ما يتوقف فيه النظر حيث لم نذكر الا ما يظهر فيه طرف المناسبة ومن هنا الى آخر الباب لم يخالف اوله فلا فائدة في

وهوى مذموم وهو في الشر والفساد وفي كتاب السهل المواتي في فضائل ابن عباس أن بعض الصوفية قال انما سمي الهوى هوى لانه يهوي بصاحبه الى النار قلت لو قال يهوي بصاحبه الى الهاوية لكان أنسب وقال بعضهم الهوى الهوان زيدت فيه النون كما قيل

فسألتها بإشارة عن حالها
وعلى فيها للوشاة عيون
فتنفست صعدا وقالت ما الهوى
الا الهوان أزيل عنه النون

وقوله تعالى أخلد الى الارض واتبع هواه قيل أخلد الى الارض أي سكن اليها ونزل بطبعه عليها وكانت نفسه أرضية سفلية لا سماوية علوية وبحسب ما يخلد العبد الى الارض ويهبط من السماء قال سهل قسم الله للاعضاء من الهوى لكل عضو حظا فاذا مال عضو منها الى الهوى رجع ضرره الى القلب وللنفس سبع حجب سماوية وسبع حجب أرضية فكلما دفن العبد نفسه أرضا أرضا سما قلبه سماء سماء فاذا دفن النفس تحت الثرى وصل قلبه الى العرش وحاصل القضية ان العشق والهوى أصل كل بلية وفيه ذل كل نفس ابية وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمرء أن يذل نفسه قال الامام أحمد تفسيره أن يتعرض من البلاء لما لا يطيق وهذا مطابق لحال العاشق فانه أذل نفسه لمعشوقه كما قيل

اخضع وذل لمن تحب فليس في
شرع الهوى أنف يشال ويعقد

وقال آخر

مساكين أهل العشق حتى قبورهم
عليها تراب الذل بين المقابر

وقال الشيخ شرف الدين بن الفارض

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
فما اختاره مضنى به وله عقل
وعش خاليا فالحب راحته عنا
فاوله سقم وآخره قتل

(الفصل الخامس في اختلاف الناس فيه هل هو اضطراري أو اختياري)

الفصل

الفصل فتأمل عن منصور بن عمار قال بينا انا في السياحة اذ مررت بخدم وقصر ملكي لا يمكن الاحاطة بوصفه فهممت ان ادخله فانتهروني فلم ابال بهم ودخلت فاذا انا بشاب في ارفع طبقات الجمال والملابس وقد استحضر صبية تناسبه فلما رآني هم بقتلي فقلت انا طبيب وقد رايت فيك داء فقال وما هو قلت ميلك الى الفاني وحبك ما لا يبقى وغفلتك عما عند الله ثم وصفت له الجنة والنار وما فيهما فتجرد من وقته وكان ملك البصرة فلما خرجنا وقد زال ما في القصر من البهجة تعلقت به الصبية وقالت على من تتركني ثم تجردت وخرجا هائمين فلما كان بعد عام وانا في الطواف اذا أنا به يتضرع وقد اخلقته العبادة حتى لم اعرفه الى أن قال لي اما تعرفني يا طبيب ثم ذكرني بالحالة ثم قال لي هل لك ان تنظر الى نسوان يعني الصبية قلت نعم فأخذ بيدي حتى اوقفني عليها فلما رأتني قالت مرحبا ايها الطبيب ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا فقال الرجل اني على اثرها فلا تبرح ثم نظر اليها وخر ميتا وعن عبد الواحد بن زيد قال اشتكيت ألما في ساقي حتى منعني القيام فتحاملت حتى عجزت فجمعت ازاري في المحراب وتوسدته فغفلت واذا انا بجارية كأنها جوهرة شفافة وعليها من الملابس ما يبهر العين رؤيته وخلفها جوار كأنهن الاقمار فقالت لبعضهن احملنه ولا تؤذينه ثم قالت افرشنه ومهدنه واقبلت تماس على ألمي ثم قالت قم الى صلاتك بلا اذى فانتبهت كالذي نشط من عقال وعنه من رواية أخرى انها قالت له انا لك فجد في طلبي فاني في طلبك قال فلم انم بعدها وفي أخرى عنه قال فما اخذتني السنة حتى رأيت شابا وبيده ورقة بيضاء فناولني اياها واذا فيها

يمام من شاء على غفلة * والنوم كالموت فلا تتكل
تنقطع الاعمال فيه كما * تنقطع الدنيا على المنتقل

وكان كثيرا ما يردد هذه ويقول فرق الموت بين المصلين ولذة الصلاة ويعدد افعال الخير واهل الوقائع متعددة وعن صاحب المصارع بسنده الى محمد بن الفرج قال نظرت الى جارية تباع فقلت بكم هذه قيل بالف دينار فرفعت رأسي الى السماء وقلت اللهم انت تعلم اني لا قدرة لي على ذلك واني لو سألتك اياها لوهبتها لي ولكني اسألك انفس منها عندك من لا تمرض ولا تسقم ومهرها عندي ان لا انام ليلا ولا اطعم نهارا ولا اضحك الى احد وها انا مجد في المهر فلم ير بعد ذلك على غير ما قال حتى مات * وعن رابعة العدوية قالت كان لي ورد في الليل قد اعتدته فرضت مرضا اعقبني فترة عنه فبينما انا راقدة اذ نظرت كأني في روضة كثيرة النبات والقصور وجارية تطارد طيرا اخضر تريد ان تأخذه فالتهيت بحسنها عنه وقلت دعيه لاني لم ار احسن منه فقالت ألا اريك احسن منه فقلت بلى فأخذت بيدي فأدخلتني الى قصر ثم قالت لجوار فيه افتحوا باب القبة ففتحوا لها باب فدخلت الى بيت يحار فيه البصر من تلألؤ نوره ثم رفع عن بستان وخرج منه وصائف بايديهن مجامر الند والعنبر فقالت لهن الى آخذه بيدي الى ابن فقالوا الى فلان قد قتل في البحر فقالت الا تجهزن هذه المرأة فقالوا قد كان لها حظ في ذلك فتركته فانتبهت فزعة ولم انم بعدها وبقي من هذا الباب بعض حكايات لا تناسب الترجمة ومع ذلك فائدتها قليلة فلذلك اضربنا عنها

* (الباب الثاني في احوال عشاق الجواري والكواعب وذكر ما صدر اليهم من العجائب) *
* (وفيه خمسة اقسام الاول فيمن اشتهرت سيرته وظهرت في الحب سريرته) * قد تقدم في

اقول هذا الفصل عقدناه لما تقدم ذكره وأسفر كالصباح سفره اذ للناس فيه كلام من الطرفين وتحير بين الصنفين فقائل بانه اضطراري وقائل بانه اختياري ولكل من القولين وجه مليح وقد رجيح ونحن نذكر من ذلك ما يعم به الانتفاع ونتكلم في طوله وعرضه بالباع والذراع فمن ذلك ما قاله القاضي أبو عمرو محمد بن احمد النوقاني في كتابه تحفة الظراف العشاق معذورون على كل حال مغفور لهم جميع الاقوال والافعال اذ العشق انما دعاهم على غير اختيار بل اعتراهم على جبر واضطرار والمرء انما يلام على ما يستطيع من الامور لا في المقضي عليه والمقدور وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الحامل كانت ترى يوسف عليه الصلاة والسلام فتضع حملها فكيف ترى هذه وضعته أباختيار منها كان ذلك أم باضطرار لا بل باضطرار وفقد اقتدار هذا مما لا يشك فيه ذو لب ولا يختلج خلافه في قلب (قلت) وجاء في تفسير قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه اي رأينه في اعينهن كبيرا وقيل حضن من الدهش وقال ابن عباس أمذين وأمنين من الدهش وقطعن أيديهن يحسبن أنهن يقطعن الاترج ولم يجدن الالم في أيديهن لاشتغال قلوبهن بحسنه وقال وهب كن أربعين امرأة فمات منهن تسع وجدا بيوسف وكمدا عليه وما أحسن قول بعض بني عذرة وقد قال له بعض العرب ما لاحدكم يموت عشقا في هوى امرأة يألفها انما ذلك ضعف نفس ورقة فيكم يا بني عذرة فقال أما والله لو رأيتم الحواجب الزج فوق النواظر الدعج تحتها المباسم الفلج لاتخذتموها اللات والعزى وقال الفضيل بن عياض لو رزقني الله دعوة مجابة لدعوت الله تعالى بها أن يغفر للعشاق لان حركاتهم اضطرارية لا اختيارية وروى أبو السائل المخزومي وكان من أهل العلم والدين بمكان متعلقا باستار

الكعبة وهو يقول اللهم ارحم العاشقين وقو قلوبهم واعطف عليهم قلوب المعشوقين فقيل له في ذلك فقال والله للدعاء لهم أفضل من عمرة من الجعرانة ثم أنشد

ياهجر كف عن الهوى ودع الهوى
للعاشقين يطيب ياهجر
ماذا تريد من الذين جفوتهم
قرحى وحشو قلوبهم جمر
متذبلين من الهوى ألوانهم
مما تجن قلوبهم صفر
وسوابق العبرات فوق خدودهم
در رتفيض كأنها قطر

والظاهر أن قوله افضل من عمرة من الجعرانة هو الذي جسر الفتح ابن خاقان على قوله من ابيات

أيها العاشق المعذب صبرا
[illegible] فخطايا أهل الهوى مغفوره
زفرة في الهوى أحط لذنب
من غزاة وحجة مبروره

قلت وقد بالغ في هذا الكلام حتى استحق الملام فليته اكتفى بما قيل في التمثيل

على أنني راض بأن أحمل الهوى
وأخلص منه لا علي ولا ليا

والظاهر أن الحامل له على هذا ما ذهب اليه الشافعي في أن الميت عشقا من الشهداء للحديث الوارد في ذلك وسيأتي ذكره في باب العفاف ان شاء الله تعالى وقال التميمي في كتابه امتزاج الارواح سئل بعض الاطباء عن العشق فقال ان وقوعه بأهله ليس باختيارهم ولا بحرصهم عليه ولا لذة لا كثرهم فيه ولكن وقوعه بهم كوقوع العلل المدنفة والامراض المتلفة لا فرق بينه وبين ذلك وقال المدائني لام رجل رجلا من أهل الهوى فقال لو كان لذي هوى اختيار لاختار أن لا يهوى ولكن لا اختيار لذي هوى قالوا والعشق نوع من العذاب والعاقل لا يختار العذاب لنفسه وفي هذا قال المؤمل

شف المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر

احوال العشق انه من الاحوال القديمة حتى ورد فيه ما سمعت من الاخبار والآثار وغالب ما يكون من قبل النساء حتى قال بعض العارفين واظنه الجنيد كان النساء حبائل الشيطان فهن حبائل العرفان اذ قد يتوصل العاقل من عشقهن الى معرفة مبدعهن لان المقدمات الصريحة تنتج الاغراض الصحيحة وبالحرى من امعن النظر في مخلوق زائل ترقى عند معرفة غايته الى دائم فاعل وهذا مثل قولهم الرياء قنطرة الاخلاص عن ابن عباس قال لما عتقت بريرة وكان زوجها حبشيا وفي رواية اسود وخيرت فاختارت الفسخ جعل يطوف في المدينة باكيا يترضاها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تزوجتيه فقالت ان امرتني بذلك فقال لا آمرك والكني شفيع وقد اخرج القصة البخاري وفي تتمة ذيل الامالي للقالي عن ابن الانباري قال دخلت على ابراهيم بن محمد وقد سامته جارية له البيع فاجابها وكان يحبها فانشد

ابت الغداة بوصلها غدار * فدموع عينك لا تجف غزار
واستبدلت بك صاحبا ومؤانسا * وكذا الغواني وصلهن معار

كان ابن عباس يوما جالسا بفناء الكعبة اذ وضع بين يديه شخص قد حمله قومه الى الكعبة يستشفون له فكشف عنه فانشد

بنا من جوى الاحزان والحب لوعة * تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكن ما ابقى حشاشة ما ترى * على ما ترى عود هناك صليب

فرأى رسما عافيا وحسا خافيا وجسما باليا فمكث اربعين يوما لا يسأل الله بعد صلاته الا المعافاة من العشق * واخرج ابن عساكر في الامالي ان هذا المذكور عذري وقال السيوطي في شرح الشواهد ان اسمه عروة بن قيس وانه ولع بجارية من العرب فزوجوه بها بشفاعة الحسين بن علي فاقام معها مدة وكانت أمه تقسم عليه ان يفارقها وهو يقول لها اخاف تلاف نفسي فلم ترض فلما كان يوم حر شديد وقفت حافية على الرمل واقسمت لا تزول او يفارق عروة الجارية ففارقها ففارقها فقاما به فجعل يزداد به الوجد حتى امتنع من الطعام والشراب وعاودا اهلها فابوا عليه فاقام اياما وحمل كما ذكر الى الكعبة فلم يغن عنه فلما عادوا به توفي في الطريق وحكي ان الاحوص بن جعفر الشاعر المشهور كان يهوى اخت زوجته ولا يفصح باسمها وفي الامالي ان اسمها نخلة فتزوجت برجل من العرب اسمه مطر فاشتد بالاحوص الغرام فباح به وانشد

أأن نادى هديلا ذات فلج * مع الاشراق في فنن حمام
ظللت كأن دمعك در سلك * هوى نسقا واسلمه النظام
تموت تشوقا طربا وتحيا * وانت جوى بدائك مستهام
كأنك من تذكر ام حفص * وحبل وصالها خلق رمام
صريع مدامة غلبت عليه * تموت لها المفاصل والعظام
واني من بلادك ام حفص * سقى بلدا تحل به الغمام
احل النعف من احد وادنى * مساكنها الشبيكة او سنام
سلام الله يا مطر عليها * وليس عليك يا مطر السلام
فلا غفر الاله لمنكحيها * ذنوبهم وان صلوا وصاموا
كأن المالكين نكاح سلمى * غداة يرومها مطر نيام

فان

فان يكن النكاح احل شئ * فان نكاحها مطر حرام
فلو لم ينكحوا الا كفاء * لكان كفيئها الملك الهمام
فطلقها فلست لها بكفء * والا يعل مفرقك الحسام

وساق في المطرب الحكاية بعينها الا انه زاد بيتا في الاول وهو

الا يا نخلة من ذات عرق * عليك ورحمة الله السلام

وقال في البيت الاخير والا يعلو مفرقك بدل يعل * واخرج ابو الفرج الاصفهاني عن زياد ابن غطفان قال كنا بباب بعض الولاة واذا باعرابي ينادي من اراد ان يسمع العجائب فليدن مني فدنوت منه واذا هو الرماح بن مالك القيسي فقلت ما عندك فقال اعلم اني علقت امرأة يقال لها ام جحدر فاتصلت بها وطال الامر واني عتبتها يوما فقالت لها الوصل عليك مردود فقالت ما قضى الله فهو خير وارتحلوا عنا وطال الامر وراجعني الشوق فنذرت مراجعتها ان دنت دارها فلما كان ذلك خرجت اتصفح احياء العرب حتى وجدت امرأتين امام البيت في كساء فسلمت عليهما فردت احداهن وسألت عن شاني فاخبرتها فاشارت لي بدخول بيت فدخلت واذا الساكنة ام جحدر وقامت لتدخل الي واذا بغراب ينعق فتغيرت فاقسمت عليها الا ما اخبرتني عن تغيرك فقالت ان الغراب يخبرني ان لا اجتماع ففارقتها وغدوت لما اصبح النهار فاخبرتني امرأة اخيها ان شاميا خطبها الى اهلها فزوجوه بها فعدت بالقرب من خبائها مترددا اياما الى ان مضى بها فكنت انشد

اجارتنا ان الخطوب تنوب * علي وبعض الآمنين نصيب
اجارتنا لست الغداة ببارح * ولكن مقيم ما اقام عسيب
فان تسأليني هل صبرت فانني * صبور على ريب الزمان صليب
جرى بانبتات الحبل من ام جحدر * ظباء وطير بالفراق نعوب
نظرت فلم اعيف وعافت وبينت * لها الطير قبلي واللبيب لبيب
فقالت حرام ان نرى بعد يومنا * جميعين الا ان يلم غريب
اجارتنا صبرا فيارب هالك * تقطع من وجد عليه قلوب

وما نقله هنا من ان ابن ميادة سرق الابيات فغير مسلم في الجميع وابن ميادة هو الرماح بن مالك ابن برد بن ميادة المشار اليه والابيات له ما عدا الاولين واما الثالث لم يورده والثلاثة لامرئ القيس بن حجر الكندي ولها حكاية عجيبة هي انه لما قتل والده مضى الى قيصر ملك الروم يستنصره فوعده النصر فاقام بالقسطنطينية اياما فرأته ابنة قيصر فعلقته وراسلته فاجتمع بها وفيها يقول الا عم صباحا القصيدة المشهورة وان القصة بلغت قيصر فكره قتله جهارا للشنعة فالبسه حلة قد دهن زيقها بالسم وامره بالمسير فلما بلغ جبلا يقال له عسيب عن القسطنطينية مسافة بين لعب فيه السم فنزل الى جانب قبر فلما احس بالموت سأل عن القبر فقيل هو قبر امرأة غريبة فقال ادفنوني الى جانبها وانشد البيتين الاولين وبعدهما

اجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

واما قوله فان تسأليني هل صبرت الى آخر الابيات فللرماح وما ذكر من ان الثالث لجاهلي لم يعلم له ناقل وقد ساق القصة ابن هشام في شرح الدريدية وذكرها ابن عساكر في تاريخه الكبير وقوله نظرت فلم اعيف يعني لم ادرك حال الفرقة من زجر الطير المعروف عندهم

يكفي المحبين في الدنيا عذابهم * والله لا عذبتهم بعدها سقر

حتى انه نال ما تمنى لانه عمى بعد قوله هذا وقال ابو محمد ابن حزم قال رجل لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين اني رأيت امرأة فعشقتها فقال عمر ذلك مما لا يملك وقال كامل في سلمى

يلومونني في حب سلمى كانما * يرون الهوى شيأ تمنيته عمدا
الا انما الحب الذي صدع الحشا * قضاء من الرحمن يلوم به العبدا

وقال الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية وقد فسر كثير من السلف قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به بالعشق وهذا لم يريدوا به التخصيص وانما ارادوا به التمثيل وان العشق من تحميل ما لا يطاق والمراد بالتحميل هنا التحميل القدري لا الشرعي الامري انتهى كلامه وقال عبيد الله بن طاوس في قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا قال اذا نظر الى النساء لم يصبر نقله عنه سفيان بن سعيد في تفسيره وقالوا قد رأينا جماعة من العشاق يطوفون على من يدعو لهم ان يعافيهم الله من العشق ولو كان اختياريا لازالوه من نفوسهم ومن هنا يتبين خطأ كثير من العاذلين ويظهر ان عذلهم في هذا الحال بمنزلة عذل المريض في مرضه ومن احسن قول بعضهم

يا عاذلي والامر في يده * هلا عذلت وفي يدي الامر

وانما ينبغي العذل قبل تعلق هذا الداء بالقلب وانصباب دمع العاشق الصب وذهب جماعة من الاطباء وغيرهم الى انه اختياري لا اضطراري وقد تقدم في حد العشق الذي ذكره ابن سينا وغيره انه مرض وسواسي يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل فهذا تصريح منهم بأن الانسان هو المختار في العشق بتسليط فكرته الواقع في اختيار فكرته قالوا ولان المحبة ارادة قوية والعبد يحمد ويذم على ارادته

بالعيافة وهو علم نفيس ولنا فيه رسائل وأخبر ابن دريد عن عمه قال عشقت حبيبة الحضرمية ابن عم لها فدرى قومها فحجبوها فأنشدت

هجرتك لما ان هجرتك أصبحت * بنا شمتا تلك العيون الكواشح
فلا يفرح الواشون بالهجر ربما * أطال المحب الهجر والحب ناصح
وبعد النوى بين المحبين والهوى * مع القلب مطوى عليه الجوارح

وهذا الذي ذكر من اول الباب الى هنا كالمقدمة لهذا الباب وقد آن الشروع في مقاصده وأصدرها بأحد العشاق الاربع قال الفارسي في تزيين النفس من لدن أدار الله الافق على نظام التربيع حيث جعل دائرة العالم العلوي أربعة والعناصر والرياح والطبائع كذلك جعل المذاهب وطريقة الحقيقة يعني مسالك الصوفية والعشاق كذلك وكل من هذه معروف في مواضعه فأما العشاق فجميل بثينة ومجنون ليلى وكثير عزة وقيس لبنى وهذا سر اشارة الاستاذ في الثانية وغيرها الى ما ذكرنا كقوله

بها قيس لبنى هام بل كل عاشق * كمجنون ليلى او كثير عزة

واقدم الكلام على جميل لانه كما يقال انسب الاربعة وأما تقديمه في نزهة النفوس المجنون فراعاة للاولية وجميل المذكور هو ابن عبد الله بن عامر يتصل نسبه بقضاعة كذا قاله مغلطاي عن أبي الفرج الاصفهاني كان شاعرا فصيحا منطقيا صادق الصبابة عفيفا منزها عن الرذائل عارفا بالنسب روى عنه كثير وهو عن هدبة بن الخشرم عن الحطيئة عن زهير ابن أبي سلمى بضم السين صاحب المعلقة نشأ في قومه بني ربيعة بوادي القرى بين المدينة ومكة فعلق بثينة بنت يحيى بن ثعلب من قومه صغيرين فلما انتشا خطبها فرد لان العرب كانت تستهجن ان تزوج من جرى بينهما عشق فكان يأتيها سرا يتحادثان فعلموا به فارادوا قتله وانها غمزته من ذلك فاستخفى وفي ذلك يقول

فلو ان الغادون بثينة كلهم * غيارى وكل حارب مزمع قتلي
لحاولتها اما نهارا مجاهرا * وأما سرى ليلى ولو قطعت رجلي

فلما شاع ذلك شبب حواش أخو بثينة باخت جميل وتفاخرا فغلبه جميل بشهادة العرب حتى قالوا له قل ما شئت في نفسك وأبيك وانت الباسل الجواد والحواش قل وانت دونه في نفسك ويقال ان سبب عشقه بثينة انه سرح ابله يوما بوادي البغيض وانسطح فاتت مع جوار يملأن الماء فعبثت بفصيل له فتسابا وهذا أخذ من قوله

وأول ما قاد المودة بيننا * بوادي بغيض يا بثين سباب
وقلت لها قولا فجاءت بمثله * لكل كلام يا بثين جواب

واستعدى اهلها عليه مروان بن هشام الحضرمي وكان واليا من قبل عبد الملك على تيماء وقيل ربعي بن دجاجة فتوعده فمضى مستخفيا الى الشام وقيل الى سيد من بني عذرة فاحسن مكانه وزين سبع بنات له رجاء أن يعلق واحدة منهن فيزوجه بها فكن يرفعن الخباء اذا اقبل جميل ففطن لذلك فانشد

حلفت لكيما تعلميني صادقا * وللصدق خير في الامور وأنجح
لتكليم يوم واحد من بثينة * ورؤيتها عندي ألذ وأملح
من الدهر او أخلو بكن وانما * أعالج قلبا طامحا حيث يطمح

واهذا يحمد مريد الخير وان لم يفعله ويذم مريد الشر وان لم يفعله وقد ذم الله تعالى الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا واخبران عذابهم اليم ولو كانت المحبة لا تملك لم يتوعدهم بالعذاب على ما لا يدخل تحت قدرتهم ومنه قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى ومحال ان ينهى الانسان نفسه عما لا يدخل تحت قدرته قالوا والعقلاء قاطبة مطبقون على لوم من يحب ما يتضرر بمحبته وهذه فطرة فطر الله عليها الخلق فلو اعتذر باني لا املك قلبي لم يقبلوا له عذرا * (قلت) * والقول الصحيح الذي ليس فيه رد ولا عن محبوبه صد التفصيل في ذلك وهو ان العشق يختلف باختلاف بني آدم وما جبلوا عليه من اللطافة ورقة الحاشية وغلظ الكبد وقساوة القلب ونفور الطباع وغير ذلك فمنهم من اذا رأى الصورة الحسنة مات من شدة ما يرد على قلبه من الدهش كما تقدم في حق النسوة اللاتي متن لما رأين يوسف عليه الصلاة والسلام وقد كان مصعب بن الزبير اذا رأته المرأة حاضت لحسنه وفيه يقول الشاعر

انما مصعب شهاب من الله
تجلت بنوره الظلماء

ومنهم من اذا رأى المليح سقط من قامته ولم يعرف نعله من عمامته قال الشاعر

فما هو الا ان يراها فجاءة
فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

فهذا وأمثاله عشقه اضطراري والمخالفة فيه مكابرة في المحسوس ومنهم من يكون اول عشقه الاستحسان للشخص ثم تحدث له ارادة القرب منه ثم المودة وهو ان يود لو ملكه ثم يقوى الود فيصير محبة ثم يصير خلة ثم يصير هوى ثم يصير عشقا ثم يصير تتيما والتتيم حالة يصير بها المعشوق مالكا للعاشق ثم يزيد فالتتيم فيصير والها والوله الخروج عن حد الترتيب والتعطل عن التمييز فهذا وأمثاله مبدأ عشقه اختياري

(وفى نزهة النفوس) لرؤية يوم واحد من بثينة * ألذ من الدنيا الدى وأملح

وهو احسن تركيبا واظهر فى اعمال افعل التفضيل وقوله من الدهر معمول حلفت وفى نسخة مدى الدهر وهو احسن وانسب فقال الشيخ ارخين الخباء فوالله لن يفلح أبدا يعنى لا يرجع عن العشق ويدل للاول قوله

اتانى عن مروان بالغيب انه * مقيد دمى او قاطع لسانيا
ففى العيش محياة وفى الارض مهرب * اذا نحن دافعن لهن المثانيا

ويحتمل تعدد الواقعة ولما عزل عاد وقيل مما استدل به على تمكن عشقه لها وانه لا يمكن سلوه عنها مع حكاية البنات المذكورة قوله فيما رواه الشهاب محمود فى منازل الاحباب عنه

علقت الهوى منها وليدا فلم يزل * الى الآن ينمى حبها ويزيد
وافنيت عمرى فى انتظار نوالها * وافنت بذاك الدهر وهو جديد

(وللعشاق من امثال ذلك كثير فمن ذلك قول عروة)

هواها هوى لا يعرف القلب غيره * فليس له قبل وليس له بعد

(وقول المجنون) ولما أبى الا جماحا فؤاده * ولم يسل عن ليلى بمال ولا أهل
تسلى باخرى غيرها فاذا التى * تسلى بها تغرى بليلى ولا تسلى

واعظم ما قيل فى هذا المعنى وأسجم وألطف وارق واصنع وامنع قول الاستاذ رحمه الله

حديثى قديم فى هواها وماله * كما علمت بعد وليس له قبل

فانه قد جمع مع معانى الابيات المذكورة الصناعات البديعية من المقابلة الضدية والطرفية ولعمرى انها لم تجتمع لغيره فيما نعلم وعن مغلطاى عن أبى الفرج وشت جارية بجميل وبثينة الى ابيها وانه الليلة عندها فاتى وأخوها مشتملين معتمدين سيفيهما القتله فسمعاه يقول لها بعد شكوى شغفه بها هل لك فى طف ما بى بما يفعل المتحابان فقالت قد كنت عندى بعيدا من هذا ولو عدت اليه لن ترى وجهى أبدا فضحك ثم قال والله ما قلته الا اختبارا ولو اجبت اليه لضربتك بسيفى هذا ان استطعت والا هجرتك ابدا أما سمعت قولى

وانى لارضى من بثينة بالذى * لو ابصره الواشى لقرت بلابله
بلى وبان لا استطيع وبالمنى * وبالامل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول ينقضى * أواخره لا نلتقى وأوائله

فقالا لا ينبغى لنا ايذاء من هذه حالته ولا منع التزاور وانصرفا وسأل عبد الملك يوما كثيرا عن حال جميل وبثينة فقال يا امير المؤمنين سايرته يوما اليها فلما وصلنا بالقرب منهم اقبلت مع نسوة فلما رأينه ولين ووقفا يتحادثان من أول الليل حتى طلع الفجر ثم قالت حين ازمعا الفراق ادن منى فدنا فأسرت اليه فخر مغشيا عليه فلما افاق انشد

فما ماء مزن فى جبال منيفة * ولا ما كنت فى معادنها النحل
باشهى من القول الذى قلت بعدما * تمكن فى حيزوم ناقتى الرحل

وعن كثير قال سألنى جميل اخذ موعد من بثينة فقلت هل بينكما موعد قال بوادى الدوم وهى تغسل الثياب فجئت اباها وجالس فحادثته قليلا ثم انشدته

وقلت لها يا عز ارسل صاحبى * على نأى دار والموكل مرسل
فان تجعلى بينى وبينك موعدا * وان تأمرينى بالذى فيه افعل

لانه كان يمكنه دفع ذلك وحسم مادته على أن هذا النوع أيضا اذا انتهى بصاحبه الى ماذكرناه صار اضطراريا كما قال الشاعر

العشق أول ما يكون مجانة
فاذا تمكن صار شغلا شاغلا

ولهذا قال بعض الفلاسفة لم أر حقا أشبه بباطل ولا باطلا أشبه بحق من العشق هزله جد وجده هزل أوله لعب وآخره عطب قال الشاعر

تولع بالعشق حتى عشق
فلما استقل به لم يطق
رأى لجة ظنها موجة
فلما تمكن منها غرق

قال صاحب روضة المحبين وهذا بمنزلة السكر مع شرب الخمر فان تناول المسكر الاختيارى وما يتولد عنه من السكر اضطرارى فمتى كان السبب واقعا باختياره لم يكن معذورا فيما اولد عنه بغير اختياره ولا ريب ان متابعة النظر واستدامة الفكر بمنزلة شرب المسكر فهو يلام على السبب ولهذا اذا حصل العشق بسبب غير محظور لم يلم عليه صاحبه كمن كان يعشق امرأته أو جاريته ثم فارقها وبقى عشقها غير مفارق له فهذا لا يلام على ذلك كما فى قصة مغيث وبريرة المشهورة وقد ظهر بهذا ان العشق يكون اضطراريا تارة وتارة اختياريا وذلك بحسب حالة العاشق كما تقدم فحينئذ يكون ادعاء من قال انه اضطرارى مطلقا أو اختيارى مطلقا غير مقبول عند ذوى العقول والله تعالى أعلم أقول الى هنا انتهى الكلام على هذه الفصول التى طاب زمانها واعتدل * وظهر بها فى وجنة الورد حمرة الخجل * وما بقى الا الدخول فى الابواب على الوجه المقترح والاتيان بما فتح الله سبحانه ومن دق باب كريم فتح

(• - تزيين) •(الباب الاول فى ذكر الحسن والجمال وما قيل فيهما من تفصيل واجمال)• أقول هذا باب عقدناه للكلام

وآخر عهد منك يوم لقيتني * باسفل وادي الدوم والثوب يغسل

فضربت سجاف البيت وقالت اخسأ فقال ابوها ماهذا فقالت كلب يأتينا من وراء هذه الرابية اذا نام الناس فمضيت وأخبرته فاقبل حتى اجتمعا ليلة وسارته كما سلف الا انه أنشد البيتين عند افاقته لم يغير فيهما غير أن قال * فـامكفهر في مجامر جنة * ولاما اشرت ومن مغلطاي قال دخلت بثينة على عبد الملك وقد اخلقها الدهر فقال لها اما الذي رأى فيك جميل حتى عشقك فقالت ما رأى فيك الناس حتى ولوك الخلافة فضحك حتى بدت له سن سوداء كان يسترها ودخل مصعب بن الزبير يوما على زوجته عائشة بنت طلحة وكان شغفا بها فوجدها تمشط فتمثل بهذا البيت

ماانس لاانس منها نظرة عرضت * بالحجر يوم جلتها ام منظور

فقيل له ان ام منظور المشار اليها في هذا البيت موجودة فاستحضرها واستحكاها عن سبب قول جميل هذا البيت فقالت كنت ماشطة لبثينة واني زينتها يوما فاقبل على بعير ما رآها بمؤخر عينيه فانشد البيت فامرها مصعب ان تصنع بعائشة كذلك وصنع هو كجميل وله فيها من الاشعار ما لا يحصى ما بين وصف ونسيب وذكر حكاية الى غير ذلك فمن مستجادها اللامية التي انشدها لعمر بن ابي ربيعة وكان من اجل معاصريه في الشعر لقيه يوما فتفاخرا واستنشده جميل فانشد

الم تسأل الاطلال والمتربعا * ببطن حليات دوارس بلقعا
اتانا رسول من ثلاث كواعب * ورابعة تستجمع الحسن اجمعا
فلما توقفنا وسلمت اقبلت * وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا
تبالهن بالعرفان لما عرفنني * وقلن امرؤ باغ اضل واوضعا
وقربن اسباب الهوى لمتيم * يقيس ذراعا كلما قسن اصبعا
فقلت لمطريهن بالحسن انما * ضررت فهل تستطيع نفعا فتنفعا

فانشده جميل اثر هذه القصيدة قصيدته المشهورة التي اولها

لقد فرح الواشون ان صرمت حبلي * بثينة او ابدت لنا جانب البخل
يقولون مهلا يا جميل وانني * لاقسم مالي عن بثينة من مهل
احلما فقبل اليوم كان اوانه * او اخشى فقبل اليوم اوعدت بالقتل

(ومنها)

اذا ما تناشدنا الذي كان بيننا * جرى الدمع من عيني بثينة بالكحل
كلانا بكى او كاد يبكي صبابة * الى الفه فاستعجلت عبرة قبلي
فياويح نفسي حسب نفسي الذي بها * وياويح اهلي ما اصيب به اهلي
خليلي فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

ومنها بيتان انشدهما وقد مر به رجل فاضافه فريدا فجعل يأكل ويبث وجدانه على ابنة عمه حتى اتى عليه وهما

ويعجبني من جعفران جعفرا * يلح على قرصي ويبكي على جمل
فلو كنت عذري العلاقة لم تكن * بطينا وانساك الهوى كثرة الاكل

ولما انشد جميل هذه القصيدة قال لعمر يا ابا الخطاب هل لك في هذا الروي شيء قال نعم وانشد

جرى ناصح بالود بيني وبينها * فقربني يوم الخضاب الى قتلي

على الحسن وأقسامه والحبيب وكلامه ولا شيما اذا ابتسم عن حبب واضطرب في ثغره الضرب فعذب مقبله وتساوى من حسنه في الحال ماضيه ومستقبله هنالك يحتوي من الجمال على القسمين اللذين هما الظاهر والباطن والظاعن والقاطن فالجمال الباطن المحمود لذاته كالعلم والبراعة والجود والشجاعة والجمال الظاهر ما ظهر من غصن قوامه الرطيب ووجهه الذي فاق البدر بلا غيبة للشمس عند المغيب فعند ذلك يشمت بالبدر بشاماته ويقول لخده الذي ازداد بها احسانا من زاده الله في حسناته فلذلك قيل الحسن الصريح ما استنطق الافواه بالتسبيح وقيل بل هو كما قيل

شيء به فتن الورى غير الذي
يدعى الجمال ولست أدري ما هو

قلت وهو الصحيح لانه لا يدرى كنهه ولا يعرف شبهه حتى كانه نكرة لا تتعرف ومجهول لا يعرف ولذلك قال بعضهم للحسن معنى لا تناله العبارة ولا يحيط به الوصف وقيل الحسن مشتق من الحسنة قلت والذي يظهر انه لهذا المعنى قيل للشامات حسنات قال بعضهم في سوداء مليحة

يارب سوداء تجلى * بحسنها الظلمات
ماذا يعيبون فيها * وكلها حسنات

وقلت أنا

ووجه زال رونقه فاضحت
محاسنه بلحيته عيوبا
قليل الحظ بالشامات أمسى
فما حسناته الا ذنوبا

وقيل الحسن أمر مركب من أشياء وضاءة وصباحة وحسن تشكيل وتخطيط ودموية في البشرة وقيل الحسن تناسب الخلقة واعتدالها واستواؤها ورب صورة متناسبة الخلقة وليست في الحسن بذلك وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا تم بياض المرأة في حسن شعرها فقد تم حسنها وقالت عائشة رضي الله عنها

وطارت بوجد من فؤادي ونازعت * قرينتها حبل الصفاء الى حبلي

فما انس مالأشياء لا انس موقفي * وموقفها يوما بقارعة النخل

فلما تواقفنا عرفت الذي بها * كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل

ومنها فسلمت واستأنست خيفة ان يرى * عدوي بكائي او يرى كاشح فعلي

فقالت وارخت جانب الستر انما * معي فتحدث غير ذي رقبة اهلي

فقلت لها مابي لهم من ترقب * ولكن سري ليس يحمله مثلي

وقيل ان جميلا لم ينشده في هذه المرة شيأ بل قال له امض بنا الى بثينة فقال له قد هجر علي فقال دلني على ابياتها افعل ومضى عمر فاجتمع بها ثم عاد ثانية وتلاقيا فانشد جميل رائيته وهي

خليلي عوجا اليوم حتى تسلما * على عذبة الانياب طيبة النشر

فانكما ان عجتما لي ساعة * شكرتكما حتى اغيب في قبري

وانكما ان لم تعوجا فانني * سأصرف وجدي فأذنا اليوم بالهجر

ومالي لا ابكي وفي الايك نائح * وقد فارقتني شختة الكشح والخصر

ايبكي حمام الايك من فقد الفه * واصبر مالي عن بثينة من صبر

يقولون مسحور يجن بذكرها * فاقسم مابي من جنون ولا سحر

واقسم لا انساك ماذر شارق * وما هب آل في معلمة قفر

ومالاح نجم في السماء معلق * وما اورق الاغصان من ورق السدر

لقد شغفت نفسي بثين بذكركم * كما شغف المجنون يا بثن بالخمر

ذكرت مقامي ليلة البان قابضا * على كف حوراء المدامع كالبدر

فكدت ولم املك اليها صبابة * اهيم وفاض الدمع مني على النحر

فياليت شعري هل ابيتن ليلة * كليلتنا حتى نرى ساطع الفجر

تجود علينا بالحديث وتارة * تجود علينا بالرضاب من الثغر

فليت الهي قد قضى ذا مرة * فيعلم ربي عند ذلك ماشكري

ولو سألت مني حياتي بذلتها * وجدت بها ان كان ذلك من امري

فلما سمعها عمر اعجب بها ثم قال لجميل دونك هذه وانشد * امن آل نعم انت غاد فمبكر * ومنها

وغاب قمير كنت ارجو غيوبه * وروح رعيان ونوم سمر

فحييت اذ فاجأتها فتولهت * وكادت بمكتوم التحية تجهر

وقالت وعضت بالبنان فضحتني * وانت امرؤ ميسور امرك اعسر

اريتك اذ هنا عليك الم تخف * رقيبا وحولي من عدوك حضر

فوالله ماادري اتعجيل حاجة * اتى بك ام قد نام من كنت تحذر

فقلت لها بل قادني الشوق والهوى * اليك وما عين من الناس تنظر

فيالك من ملهى هناك ومجلس * لنا لم يكدره علينا مكدر

يمج ذكاه المسك منها مفلج * رقيق الحواشي ذو غروب مؤشر

يرف اذا تفتر عنه كأنه * حصى برد او اقحوان منور

وترنو بعينيها الى كما رنا * الى ربرب وسط الخميلة جؤذر

فلما تولى الليل الا اقله * وكادت توالي نجمه تتغور

لم تكن كذلك والمليحة التي كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقيل الجميلة السمينة من الجمل وهو الشحم والمليحة أيضا من الملحة وهي البياض والصبيحة كذلك من الصبح لبياضه وقال بعضهم الظرف في القد والبراعة في الجيد والرقة في الاطراف والخصر والشأن كله في الكلام وأحسن الحسن مالم يحاجب بتزيين وقال امرؤ القيس

* وجدت بها طيبا وان لم تطيب *

وقال آخر

ان المليحة من تزين حليها
لا من غدت بحليها تتزين

وقال بعض أهل اللغة العرب تقول الحلاوة في العينين والملاحة في الفم والجمال في الانف والظرف في اللسان ومنه قول الحسن رضي الله عنه اذا كان اللص ظريفا لا يقطع أي اذا وقع دفع عن نفسه بطلاقة لسانه ومنطقه وما أحسن قول بعضهم البدن فيه الوجه والاطراف * وفي الوجه المحاسن وفيها الاستشراف * وفي المحاسن النكت التي هي الغاية في الاستحسان والاستظراف كالملاحة في العين ونكتة الملاحة الدعج وكالحسن في الفم ونكتة الحسن الفلج وكالطلاوة في الجبين ونكتة الطلاوة البلج وكالرونق في الخد ونكتة الخد الضرج ومما يستحسن في المرأة طول أربعة وهي أطرافها وقامتها وشعرها وعنقها وقصر أربعة يديها ورجليها ولسانها وعينيها والمراد بهذا القصر المعنوي فلا تبذر مافي بيت زوجها ولا تخرج من بيتها ولا تستطيل بلسانها ولا تطمح بعينيها وبياض أربعة لونها وفرقها وثغرها وبياض عينيها وسواد أربعة أهدابها وحاجبيها وعينيها وشعرها وحمرة أربعة لسانها وخدها وشفتيها مع لعس واشراب بياضها بحمرة وغلظ أربعة ساقها ومعصمها وعجيزتها

أشارت الى بأن القوم قد كان منهم * هبوب ولكن موعدلك عزور
فما راعني الامناد برحلة * وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر
فلما رأت من قد تنور منهم * وايقاظهم قالت أشر كيف تأمر
فقالت أباديهم فاما أفوتهم * واما ينال السيف ثارا فيثار
فقالت اتحقيق لما قال كاشح * علينا وتصديق لما كان يؤثر
اذا كان مالابد منه فغيره * من الامر أدنى للخفاء وأستر
أقص على اختي بدء حديثنا * ومالى مما يعلما متأخر *
لعلهما ان ينعتا لك حيلة * وان يرحبا صدرا بما كنت أحصر
فاقبلتا فارتاعتا ثم قالتا * أقلى عليك الخطب فالامر ايسر
يقوم فيمشي بيننا متسترا * فلا سرنا يفشو ولاهو يظهر
فكان مجنى دون من كنت أتقي * ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
فلما أجزنا ساحة الحي قلن لى * ألم تتق الاعداء والليل مقمر
وقلن أهذا دابك الدهر سادرا * أما تنتهي اوترعوى أوتفكر

وقد أنشد عمر هذه القصيدة لعبد الله بن عباس بحضرة نافع بن الازرق واتفق اهل ذلك العصر على انه ليس احد اشعر من جميل وابن أبي ربيعة وكان جميل يثني على ابن أبي ربيعة كثيرا وكان الناس يقولون هو في عينيته أشعر من جميل في لاميته والذي يظهر ان جميلا اشعر مطلقا عند التأمل ومن أشعار جميل ايضا قوله

ألا ليت ايام الصفاء جديد * ودهرا تولى يابثين يعود
فنبقى كما كنا نكون وأنتم * صديق واذما تبذلين زهيد
وما انس ما الاشياء لا أنس قولها * وقد قربت نحوى أمصر تريد
ولا قولها لولا العيون التي ترى * أتيتك فاعذرني فدتك جدود
خليلي ما اخفي من الوجد ظاهر * ودمعي بما أخفي الفؤاد شهيد
ألا قد ارى والله لارب غيره * اذا الدار شطت بيننا ستزود
اذا قلت مابي يا بثينة قاتلي * من الحب قالت ثابت ويزيد
وان قلت ردي بعض عقلي اعش به * مع الناس قالت ذاك منك بعيد
فما ذكر الخلان الاذكرتها * ولا البخل الاقلت سوف تجود
فلا انا مردود بما جئت طالبا * ولا حبها فيما يبيد يبيد
جزتك الجوازي يابثين سلامة * اذا ما خليل بان وهو حميد
وقلت لها بيني وبينك فاعلمي * من الله ميثاق له وعهود
وقد كان حبيكم طريفا وتالدا * وما الحب الا طارف وتليد
وان عروض الوصل بيني وبينها * وان سهلته بالمنى لصعود
فأفنيت عيشي بانتظار نوالها * وابليت بذاك الدهر وهو جديد
فليت وشاة الناس بيني وبينها * يدوف لها سما طماطم سود
وليتهم في كل ممسي وشارق * تضاعف اكبال لهم وقيود
ويحسب نسوان من الجهل انني * اذا جئت اياهن كنت أزيد

وماهنالك وسعة أربعة جبهتها وجبينها وعينها وصدرها وضيق أربعة فمها ومنخرها ومنفذ أذنيها وماهنالك وهو المقصود الاعظم من المرأة قيل وجدت جارية في زمن بني ساسان بهذه الصفات المذكورة جميعها فما كان أحقها ان يقال في حقها

لو ان عزة حاكمت شمس الضحى
في الحسن عند موفق لقضى لها

وحكى ان يغصور أحد ملوك الصين أهدى الى كسرى أنوشر وان ملك فارس هدية من جملتها جارية تغيب في شعرها وتتلألأ جمالا فبعث اليه كسرى بهدية من جملتها جارية طولها سبعة أذرع تضرب أهداب عينيها خديها كأن بين أجفانها لمعان البرق مقرونة الحاجبين لها ضفائر تجرهن اذا مشت

(فصل) قال في روضة المحبين كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى جمال الباطن بجمال الظاهر كما قال جرير بن عبد الله وكان عمر بن الخطاب يسميه يوسف هذه الامة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت امرؤ وقد حسن الله خلقك فأحسن خلقك وقال بعض الحكماء ينبغي للعبد ان ينظر كل يوم في المرآة فان رأى صورته حسنة فلا يشنها بقبيح فعله وان رآها قبيحة فلا يجمع بين قبح الصورة والفعل وقد نظم بعضهم هذا فقال

يا حسن الوجه توق الخنا
لا تفسدن الزين بالشين
وياقبيح الوجه كن محسنا
لا تجمعن بين قبيحين

ولما كان الجمال من حيث هو محبوبا للنفوس معظما في القلوب لم يبعث الله نبيا الا جميل الوجه كريم الحسب حسن الصوت كما قال علي بن أبي طالب وقد سئل أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف قال لا بل مثل القمر وفي صفته صلى الله عليه وسلم

فاقسم

فأقسم طرفي بينهن فيستوي * وفي الصدر بون بينهن بعيد
ألا ليت شعري هل ابيتن ليلة * بوادي القرى اني اذا لسعيد
وهل اهبطن أرضا تظل رياحها * لها بالثنايا القاويات وئيد
وهل القين سعدى من الدهر مرة * ومارث من حبل الوصال جديد
فقد تلتقي الاهواء من بعد يأسها * وقد تطلب الحاجات وهي بعيد
وهل ازجرن حرفا علاة شملة * بخرق تباريها سواهم قود
على ظهر مرحوب كان نسوره * اذا جار هلاك الطريق رقود
سبتني بعيني جؤذر وسط ربرب * وصدر كمثل لون اللجين وجيد
تزيف كما زافت الى سلفاتها * مباهية طي الوشاح ميود
إذا جئتها يوما من الدهر زائرا * تعرض منقوص اليدين صدود
يصد ويغضي عن هواي ويجتني * ذنوبا علينا انه لعنود
فاصرمها خوفا كأني مجانب * ويغفل عنا مرة فنعود
فمن يعط في الدنيا قرينا كمثلها * فذلك في عيش الحياة رشيد
يموت الهوى مني اذا ما لقيتها * ويحيا اذا فارقتها فيعود
يقولون جاهد يا جميل بغزوة * واي جهاد غيرهن أريد
لكل حديث بينهن بشاشة * وكل قتيل بينهن شهيد
اذا فكرت قالت قد ادركت وده * وما ضرني بخلي ففيم اجود
ومن كان في حبي بثينة يمتري * فبرقاء ذي ضال على شهيد
الم تعلمي يا أم ذا الودع انني * أضاحك ذكراكم وانت صلود

وممن كان يلهج بهذه القصيدة لرصانتها ولطفها معبد وكان من أشهر الناس بالدخول وضرب العود والغناء والغريض وكان أعظم منه حكي عنه في الاغاني ان الجن افتتنت به فاخرجوه الى مكة فاقام بها لا يفتح بابه وان معبدا أراد الاجتماع به فقصده وأقام يطرق الباب فلم يجب فهجس له انه لا يخرجه الا الغناء فأنشد * علقت الهوى منها وليدا * البيت فلم يشعر الا وقد فتح الباب وأذن له فدخل عليه فتحادثا وأنشده (وما انس ما الاشياء لا أنس قولها) الى خمسة أبيات ثم قال انما غنيتك ذلك لاني علمت انك تريد ان أغنيك

وما أنس ما الاشياء لا انس شادنا * بمكة مكحولا أسيلا مدامعه

وان الجن قد نهتني عنه قال معبد فقالت لم تعد ما أدبر ثم فارقته حين رأيته يستثقل المجالسة وطلبت ان يكمل لي السرور بأن أضم الى اجتماعي به اجتماعي بمن رأى جميلا لآخذ عنه القصيدة فنعت لي شيخ في بني عذرة فجئته فسألته عن جميل فحدث انه كان في ابل له واذا رجل فشاه فنزل به فلما ائتلفا قال له هل لك ان تصنع معي من الخير ما لو كانت لك الدنيا ذهبا وأنفقتها علي لم تبلغ معشاره قلت وما هذا قال تمضي الى وراء السفح فتنشد لي بكرة صفتها كذا قلت نعم ومضيت فوجدت العرب مجتمعين على جزور ينحر فاستطلعتهم عنها ثم استأذنتهم في البيوت وقلت لهم ان النساء أدرى بالمارة فأذنوا فانصرفت اتصفح الحي الى ان احتدم النهار ولم أظفر بطلبه واذا أنا بثلاث بنات فقلت لا أنصرف اليه وادع هذا اليسير فجئتهن فسلمت فرددن ثم استنشدتهن البكرة فقالت احداهن قد أصبت حاجتك ثم

كان الشمس تجري في وجهه فكان كما قال شاعره حسان بن ثابت

متى يبد في الداجي البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان او من قد يكون كاحمد * نظام لحق او نكال لملحد

(وقال ايضا)

فأجمل منه لم ترقط عيني * واكمل منه لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه اذا رآه يقول

امين مصطفى بالخير يدعو * كضوء البدر زايله الظلام

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رآه ينشد قول زهير

لو كنت من شئ سوى بشر * كنت المضي لليلة البدر

ونظرت اليه عائشة يوما ثم تبسمت فسألها عن ذلك فقالت كان ابا كثير الهذلي انما عناك بقوله

واذا نظرت الى اسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

وفي الجملة فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن في الذروة العليا وروي ان بعض الصحابة لقي راهبا فقال صف لي محمدا كأني انظر اليه فاني رأيت صفته في التوراة والانجيل فقال لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير فوق الربعة ابيض اللون مشرب بالحمرة جعد الشعر الدس بالقطط جمته الى شحمة اذنه صلت الجبين واضح الخد أدعج العينين أقنى الانف مفلج الثنايا كأن عنقه ابريق فضة ووجهه كدائرة القمر فأسلم الراهب وكان صلى الله عليه وسلم مع هذا الحسن قد ألقت عليه المحبة والمهابة فمن وقعت عليه عيناه احبه وهابه وقد كمل الله سبحانه له مراتب الكمال ظاهرا وباطنا فكان احسن خلق الله خلقا وخلقا صورة ومعنى وهكذا كان يوسف عليه الصلاة والسلام قال ربيعة قسم

رأى يوسف ليلة الاسراء وقد أعطى شطر الحسن وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستحسن ان يكون الرسول حسن الوجه حسن الاسم وكان يقول اذا أبردتم بريدا فليكن حسن الوجه حسن الاسم وقد روى الخرائطي من حديث ابن جريج عن أبي مليكة يرفعه من آتاه الله وجها حسنا واسما حسنا وجعله في موضع غير شائن له فهو من صفوة الله من خلقه وقال وهب قال داود يارب أي عبادك أحب اليك قال مؤمن حسن الصورة فقال أي عبادك أبغض اليك قال كافر قبيح الصورة ويذكر عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظره نفر من أصحابه على الباب فجعل ينظر في المرآة ويسوي شعره ولحيته ثم خرج اليهم فقالت يارسول الله وأنت تفعل هذا فقال نعم اذا خرج الرجل الى اخوانه فليتجمل نفسه فان الله جميل يحب الجمال وقال معاوية لرجل دخل عليه فرأى في وجهه ما يكرهه عما يمكن ازالته ما يمنع أحدكم اذا خرج من منزله ان يتعاهد أديم وجهه

(فصل) قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم أي في احسن تعديل لقامته وصورته وحسن شارته منتصبا يتناول مأكوله بيده مزينا بالعقل لا كالبهائم وعلى هذا حكاية الرشيد لما خلا بزوجته في ليلة مقمرة فقال لها ان لم تكوني أحسن من هذا القمر فأنت طالق فأفتى علماء زمانه بالحنث الا يحيى بن أكثم فانه قال لا يقع عليه الطلاق فقيل له خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم ولقد أفتى به من هو أعلم منا وهو الله سبحانه وتعالى حيث قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وجاء في تفسير قوله تعالى يزيد في الخلق مايشاء انه الصوت الحسن

أدخلتني بيتا وأتتني بقدح مفضض فيه تمر وصحفة شامية مفضضة فيها لبن فتناولت كفايتي ثم قالت ان بكرة تأتي هذه الشجرة فتطوف بها الليل فرجعت اليه وحدثته القصة فابتهج كالذي أصاب بغيته وانا لا أدري فلما جاء الليل وآنس ان قد نامت عمد الى رحله فاستخرج بردين ملوكيين من برود الخلافة فاتزر بأحدهما واتشح بالآخر ومضى فتبعته بحيث لم يشعر حتى تلاقيا فلم يكن بينهما الا ما يرضي الوشاة الى ان رأيا الصبح فلما أزمعا الفراق سبقته وعدت وجاء فصلى ثم نهض وهو مسرور وقال كل معي وشرب ثم أخبرني انه جميل وانها بثينة ثم أعطاني بردا واعتذر وودعني بعد ان قال هل لك ان تمضي فتنشدها أبياتا قلتها بعد منصرفي عنها فقلت نعم فأنشدني وما أنس ما الاشياء الابيات الخمسة فمضيت اليها فقلت قد جئت بالامس طالبها واليوم مسلما فذكرت ثناءه ووجده ثم قلت هل انت بارزة الى قالت نعم فسمعت جارية تقول لها يا بثينة ان عليه برد جميل ثم خرجت في زينة وقالت يا أخا تميم ان بردك لا يشبه ما عليك واستخرجت ملاءة مصبغة بالعصفر وأقسمت ان أتشح بها ففعلت وانشدتها ما قال ورجعت بملحفة بثينة وبرد جميل وحكى الشيخ لمعبد ان جميلا لما اجتمع ببثينة قالت له هل قلت شيأ فأنشدها

علقت الهوى منها وليدا ولم يزل * الى اليوم ينمي حبها ويزيد
وأفنيت عمري في انتظاري نوالها * وأفنيت بذاك الدهر وهو جديد

قال معبد فرجعت جذلان بما اجتمع لي مما طلبت وعن أبي زيد حين قرئت عليه هذه القصيدة ان هذين البيتين يليهما قوله فلا انا مردود البيت وفي نسخة ان قوله فما أنس ما الاشياء بعد قوله فما انا مردود ومنه برواية مغلطاي

وكأن طارقها على علل الكرى * والنجم وهنا قد دنا لتغور
نشوان ريح مدامة معلولة * بذكي مسك أو سحيق العنبر
اني لاحفظ غيبكم ويسرني * لو تعلمين بصالح ان تذكري
ويكون يوما لا أرى لك مرسلا * او نلتقي فيه على كأشهر
ياليتني أخشى المنية بغتة * ان كان يوم لقائكم لم يقدر
لو أستطيع تجلدا عن ذكركم * فأفيق بعد صبابتي وتفكري
لو تعلمين بما أجن من الهوى * لعذرت أو لظلمت ان لم تعذري
فلتبكين الباكيات ولم أبح * يوما بسرك معلنا لم أغدر

(ومنه)

منع النوم شدة الاشتياق * وادكار الحبيب يوم الفراق
ليت شعري اذا بثينة بانت * هل لنا بعد بينها من تلاق
ولقد قلت يوم نادى المنادي * مستحثا برحلة وانطلاق
ليت لي اليوم يابثينة منكم * مجلسا للوداع قبل الفراق
حيث ما كنتم وكنت فاني * غير ناس للعهد والميثاق

وعن ابن عياش قال لقيت عجوزا من بني عذرة فقلت لها هل تروي شيأ عن جميل ومحبوبته قالت نعم كنت يوما وبثينة قد انفردت تبرم غزلا والعرب قد اعتزلت الطريق خوف المارة الى الشام واذا برجل قد أقبل الينا فاستبيناه فاذا هو جميل فقالت له قد عرضتنا ونفسك شرا فمن أين جئت قال من هذه الهضبة ولي بها ثلاثة أنتظر الفرصة لاحدث بكم عهدا فاني ذاهب

الى مصر فحدثنا ساعة وهو لا يتماسك فجئته بقدح فيه تمر واقط فنال منه يسيرا ثم ودع ومضى فلم نلبث ان جاء اهل الحي ومنه

أرى كل معشوقين غيرى وغيرها * يلذان في الدنيا و يغتبطان

وامشي وتمشي في البلاد كأننا * أسيران للاعداء مرتهنان

أصلي فابكي في الصلاة لذكرها * لي الويل مما يكتب الملكان

ضمنت لها ان لا أهيم بغيرها * وقد وثقت مني بغير ضمان

ألا يا عباد الله قوموا والتسمعوا * خصومة معشوقين يختصمان

وفي كل عام يستجدان مرة * عتابا وهجرا ثم يصطلحان

يعيشان في الدنيا غريبين أينما * أقاما وفي الاعوام يلتقيان

وعن سهل الساعدى قال قال لي رجل هل تعود جميلا فانه مريض فدخلنا عليه فاذا هو يجود بنفسه فنظر الى وقال ما تقول في رجل لم يزن قط ولم يشرب خمرا ولم يسفك دما ويشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله منذ خمسين سنة قلت من هذا فاني اظنه ناج قال انا قلت عجيب منك تشبب ببثينة هذه المدة وانت كذلك قال انا في آخر يوم من الدنيا لانالتني شفاعة محمد ان كنت وضعت يدي عليها بريبة وأكثر ما كان مني ان أسند يدها الى فؤادي استريح ساعة ثم اغمي عليه فلما افاق أنشد

صرح النعي وما كنى بجميل * وثوى بمصر ثواء غير قفول

قومي بثينة فاندبي بعويل * وابكي خليلك دون كل خليل

ولما حضرته الوفاة قال من ينعاني الى بثينة قال رجل انا فاعطاه حلته فراح حتى جاء الحي فانشد

بكر النعي وما كنى بجميل * وثوى بمصر ثواء غير قفول

بكر النعي بفارس ذي همة * بطل اذا حم اللقاء مذيل

فسمعته بثينة فخرجت مكشوفة تقول

وان سلوى عن جميل لساعة * من الدهر لا حانت ولا حان حينها

سواء علينا يا جميل بن معمر * اذا مت بأساء الحياة ولينها

ثم قالت للناعي يا هذا ان كنت صادقا فقد قتلتني وان كنت كاذبا فقد فضحتني فقلت لها والله اني لصادق واخرجت الحلة فلما رأتها صرخت وصكت وجهها واقبل النساء يبكين معها حتى خرت مغشيا عليها ثم افاقت وانشدت وان سلوى البيتين فلم يسمع منها غيرهما حتى قضت

(اخبار كثير عزة)

هو ابو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الاسود الشهير بابي جمعة قد أوصله الكلبي في جمهرة النسب الى ماء السماء بن حارثة بن ثعلبة المشهور واحد اولاد الازد ومن اجداده عمرو بن ربيعة الذي دعا العرب عن دين ابراهيم الى عبادة الاصنام واقترح السوائب والبحيرة فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج يجر قصبه في النار وهو من خزاعة سموا بذلك لانقطاعهم عن الازد ايام سيل العرم وجاؤا الى الشام وهو صاحب عزة بنت جميل بن حفص ابن اياس بن عبد العزى يتصل نسبها الى عبد مناف علقها جارية قد كعبت نهودها بدليل قوله

نظرت اليها نظرة وهي عاتق * على حين ان شبت وبان نهودها

نظرت اليها نظرة ما يسرني * بها حمر انعام البلاد وسودها

والوجه الحسن ولهذا قال ابو فراس قد فاق بدر السماء حسنا والناس في حبه سواء فزاده ربه عذارا تمم به الحسن والبهاء لا تعجبوا ربنا قدير يزيد في الخلق ما يشاء (وحكى) عن بعض النساء انها كانت تكثر صلاة الليل فقيل لها في ذلك فقالت انها تحسن الوجه وأنا احب ان يحسن وجهي * وحكي ان المأمون استعرض جيشا فمر رجل قبيح الوجه فاستنطقه فرآه ألكن فامر باسقاطه وقال ان الروح اذا وقع اثرها في الظاهر كانت صباحة واذا وقع اثرها في الباطن كانت فصاحة وهذا الرجل لا ظاهر له ولا باطن وكل شخص له حكمان احدهما من جهة جسمه وهو منظره والآخر من جهة نفسه وهو مخبره وكثيرا ما يتلازمان ولذلك فرع اصحاب الفراسة من معرفة احوال النفس الهيئة البدنية حتى قال بعض الحكماء قلما توجد صورة حسنة تدبرها نفس رديئة وقد قال عليه الصلاة والسلام اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه فهذا كله يدل على ان الحسن وكمال الجسم من الفضائل و يدل عليه قوله تعالى وزاده بسطة في العلم والجسم والحسن اول سعادة الانسان لان الله تعالى بلطيف حكمته لم يخلق الصورة مختارة الصفات سليمة من الآفات الا واضاف اليها ما يناسبها من العقل والصفات وقلما تجد الخلق الا تبعا للخلقة تناسبا مطردا واصلا لا ينعكس واجماعا لا ينفرد وما خلق الله نبيا قط الا وقد بهر اهل زمانه بحسنه واحسانه فاذا نظرته اول مرة رأيته احسنهم صورة واتقنهم بنية فهو اولاهم مرتبة واعلاهم منقبة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يعذب الله حسان الوجوه سود الحدق قال الامام فخر الدين الرازي في اسرار التنزيل ما ملخصه حسن الصورة وان كان امرا مرغوبا فيه فان حسن السيرة افضل منه و يدل عليه وجوه منها ان حسن الصورة ممتع

مطالب الشهوة وحسن السيرة من مطالب الحكمة ولاشك ان الحكمة افضل من الشهوة فكان حسن السيرة افضل
من حسن الصورة لا محالة ومنها ان
يوسف عليه الصلاة والسلام اجتمع له
حسن الصورة وحسن السيرة ثم انه
بسبب حسن الصورة وقع في انواع من
البلايا منها ان اباه كان يحبه ازيد من
اخوته بدليل قوله تعالى اذ قالوا
ليوسف واخوه احب الى ابينا منا فلهذا
قصدوا قتله بدليل حكايته عنهم اقتلوا
يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه
ابيكم ومنها انه وقع بسبب الحسن في
اسر الرق ومراودة امرأة العزيز وادخاله
السجن بسبب ذلك فلما علم الملك بعد
ذلك حسن سيرته اصطفاه لنفسه وقال
له انك اليوم لدينا مكين امين ولم يقل
صبيح مليح فدل ذلك على ان حسن
السيرة افضل من حسن الصورة
ومعلوم ان حسن الصورة لا يبقى الا اياما
قلائل واما حسن السيرة فانه لا يزول
اثره ولا تبطل نتيجته (قلت) وممن
حصل له الاذى بسبب حسن صورته
نصر بن حجاج وذلك ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه مر ليلا فسمع امرأة تقول
هل من سبيل الى خمر فاشربها
ام هل سبيل الى نصر بن حجاج
فدعا نصر بن حجاج وهو من بني سليم
فرآه احسن الناس وجها وله شعر
فحلق شعره فكان احسن منه
بشعر فقال لا تساكني في بلدة فتشفع نصر
اليه ان لا يخرجه من المدينة فلم يقبل
عمر رضي الله عنه فلما ودعه نصر قال
له يا امير المؤمنين لقد سممتني قتل نفسي
فقال عمر كيف ذلك فقال قال الله تعالى
ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
او اخرجوا من دياركم فقرن هذا بهذا
فقال عمر ما ابعدت لكن اقول ما قال
شعيب عليه السلام ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت وما توفيقي الا بالله ولقد اضعفت لك يا نصر مطالك ليكون ذلك عوضا لك (اقول) ذكرت بحلاقه

وكان سبب دخول الهوى بينهما ان كثيرا مر بغنم له ترد الماء على نسوة من ضمرة بوادي
الخبت فارسلن له عزة بدريهمات تشتري بها كبشا الهن منه فنظرها نظرة متأمل فداخله
منها ما كان فرد الدراهم واعطاها الكبش وقال ان رجعت اخذت حقي فلما عاد سألته ذلك
فقال لا اقتضي الا من عزة فقلن له ليس فيها كفاءة فاختر احدانا فابى وانشد البيتين فجعلن
يهزأن به كارهة ثم داخلها ما داخله وانه خرج لزيارتها يوما ومعه اداوة ماء فجففت من الحر
ورفعت له نار فامها واذا بعجوز فناشدته من الرجل فقال صاحب عزة فقالت له انت القائل

اذا ما اتينا خلة كي تزيلنا ... ابين وقلنا الحاجبية اول
سنوليك عرفا ان اردت وصالنا ... ونحن لتلك الحاجبية اوصل

هلا قلت كما قال جميل

يارب عارضة علينا وصلها ... بالجد تخلطه بقول الهازل
فاجبتها بالقول بعد تأمل ... حبي بثينة عن وصالك شاغل
لو كان في قلبي كقدر قلامة ... فضل لغيرك ما اتتك رسائلي

والله لا سقيتك شيأ فتركها وانصرف ولما اشتدت حالته انشد

يزهدني في حب مية معشر ... قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى ... فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب
وما تبصر العينان في موضع الهوى ... ولا تسمع الاذان الا من القلب

هكذا رواه ابن اسحق وقال الشهاب محمود بذلك ونقل في الطبقات الابيات الا انه قال
* يزهدني في حب عزة معشر * ثم قال هذه الابيات لكثير وقد توهم قوم انها لذي الرمة
بدليل قوله * يزهدني في حب مية معشر * وليس كذلك وانما كان سهوا ودخل
كثير على عبد الملك بن مروان فقال له وقد كان يتهمه بالتشيع بحق علي هل رأيت اعشق
منك فقال لو اقسمت علي بحقك لاخبرتك فقال بحقي الا ما اخبرتني فقال يا امير المؤمنين
خرجت يوما واذا انا بصياد قد نصب شركه ليصطاد ما يسد به رمقه فقلت له ان ساعدك
شاركتني فيما يكون قال نعم فجاءت ظبية فوقعت في الاحبولة فسبقني اليها فحلها ثم مسح
وجهها وقبلها واطلقها وانشد

ايا شبه ليلى لا تراعي فانني ... لك اليوم من وحشية لصديق
اقول وقد اطلقتها من وثاقها ... فانت لليلى ما حييت طليق
فعيناك عيناها وجيدك جيدها ... ولكن عظم الساق منك دقيق

ودخلت عزة على ام البنين بنت عبد العزيز فقالت لها ما الحق الذي مطلته كثيرا اذ قال

قضى كل ذي حق فوفى حقوقه ... وعزة ممطول معنى غريمها

فقالت وعدته قبلة فقالت نجزيها وعلي اثمها وفي رواية ان الحكاية مع سكينة بنت الحسين
وفي الذيل من رواية الفارسي * قضى كل ذي دين فوفى ديونه * وفي اخرى غريمه
وللبيت حكاية من عجيب الاتفاق هي ان كثيرا كان له غلام يتجر على العرب فاعطى
النساء الى اجل فلما اقتضى ماله منهن ماطلته عزة فقال لها يوما وقد حضرت في نساء اما آن
ان تفي بما عندك فقالت كرامة لم يبق الا الوفاء فقال صدق مولاي حيث يقول قضى كل
ذي دين وانشد البيت فقلن له اتدري من غريمتك فقال لا فقلن هي والله عزة فقال اشهدكن

على انها فى حل مما عندها ومضى فاخبره ولامه بالحكاية وقال له وانت حر وما عندك لك
ورأيت فى روضة الدولتين لابى شامة ان الذى وهبه كثير الف دينار وأنشد حين اعتق
الغلام

سيهلك فى الدنيا شفيق عليكم * اذا غاله من حادث الدهر غائله
يود بأن يمسى سقيما لعلها * اذا سمعت عنه بشكوى تراسله
ويهتز للمعروف فى طلب العلا * لتحمد يوما عند عز شمائله

ودخلت عزة على عبد الملك فقال لها أتروين قول كثير

لقد زعمت انى تغيرت بعدها * ومن ذا الذى ياعز لا يتغير
تغير جسمى والخليقة كالتى * عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

فقالت لا أدرى هذا ولكن اروى قوله

كأنى أنادى صخرة حين اعرضت * من الصم لو تمشى بها العصم زلت
صفوحا فما تلقاك الابخيلة * فمن مل منها ذلك الوصل ملت

فضحك من ذلك وقيل انه سألها عن قول قضى كل ذى دين وهذان البيتان من قصيدة
طويلة رواها فى الذيل عن ابن دريد عن عمه عن جاده عن كثير وقال انها من عجائب شعره
وهى

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا * قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت
وما كنت ادرى قبل عزة ما البكا * ولا موجعات الحزن حتى تولت

وفى رواية ولا موجعات القلب البيت

فقد حلفت جهدا بما نحرت له * قريش غداة المازمين وصلت
أناديك ما حج الحجيج وكبرت * بفيفا غزال رفقة وأهلت
وكانت لقطع الحبل بينى وبينها * كناذرة نذرا فأوفت وحلت
فقلت لها ياعز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت
ولم يلق انسان من الحب ميتة * تغم ولا غماء الا تجلت

كأنى أنادى البيتين

أباحت حمى لم يرعها الناس قبلها * وحلت تلاعا لم تكن قبل حلت
فليت قلوصى عند عزة قيدت * بحبل ضعيف حزمنها فضلت
وغودر فى الحى المقيمين رحلها * وكان لها باغ سواى فدلت
وكنت كذى رجلين رجل صحيحة * ورجل رمى فيها الزمان فشلت
وكنت كذات الظلع لما تحاملت * على ظلعها بعد العثار استقلت
اريد الثواء عندها وأظنها * اذا ما أطلنا عندها المكث ملت
فما أنصفت أما النساء فبغضت * الى واما بالنوال فضنت
يكلفها الخنزير شتمى وما بها * هوانى ولكن للمليك استذلت
هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من اعراضنا ما استحلت

ومن اول القصيدة الى قوله فما انصفت لزوم ما لا يلزم ولم يخالفه الا فى البيت المذكور
والبيتين الذين بعده حكاية هى ان كثيرا سافر مع جماعة الى مكة فاتفق ان خرجت عزة
وزوجها فى ذلك العير فلما كان فى أثناء الطريق مرت بجمل له فسلمت على الجمل فبلغ
كثيرا ذلك فجاء الى الجمل فحله واطلقه من الحمل وأنشد

شعره فكان احسن منه بشعر قول بعضهم فى ذلك حلقوا رأسه ليزداد قبحا * غيرة منهم عليه وشحا كان صبحا عليه ليل بهيم
فمحوا ليله وأبقوه صبحا

وما أحسن قول السراج الوراق فى
مليح قلندرى

عشقت من ريقته قرقفا
وماله اذذاك من شارب
قلندريا حلقوا حاجبا
منه كنون الخط من كاتب
سلطان حسن زاد فى عدله
فاختار أن يبقى بلا حاجب

(وقال) ابن سنا الملك

حكيت جسمى نحولا
فهل تعشقت حسنك
وكان جفنك مضنى
فصرت كالك جفنك
وزادك السقم حسنا
والله انك انك

* (فصل) * قد تقدم ذكر ما يستحسن
من المرأة فلنذكر ههنا ما قالته الشعراء
فى تشبيه الاعضاء بالحروف لانهم
أكثروا من ذلك فشبهوا الحاجب
بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو
والفم بالميم والصاد والثنايا بالسين
والطرة المضفورة بالشين ومن أحسن
ما قيل فى ذلك قول مجاسن الشواء

أرسل فرعا ولوى هاجرى
صدغا فأعيا بهما واصفه
فقلت ذا من خلفه حية
تسعى وهذا عقربا واقفه
ذى ألف ليست لوصل وذى
واو ولكن ليست العاطفه

(وقول الآخر)

ياسين طرتها وصاد عيونها
انى أعوذها بسورة طه

(وقول ابن مطروح)

قالت لنا الف العذار بخده
فى ميم مبسمه شفاء الصادى

(وقول ابن نقادة)

صنم الجمال فصاده من عينها * والنون حاجبها بخال ينقط

حيتك عزة بعد الهجر وانصرفت * فحي ويحك من حياك يا جمل
ليت التحية كانت لي فارددها * مكان يا جمل حييت يا رجل

زاد أبو علي بيتا بين هذين وهو

لو كنت حييتها ما زلت ذا مقة * عندي ولا مسك الادلاج والعمل

ثم اتفق ان زوجها أمرها ليلة ان تقتبس نارا وقال في النزهة ان تستعطي سمنا فلقيها كثير فاخبرته بحاجتها فاخرج اداوة سمن وجعل يسكب في اناء عزة وهما يتحادثان فلم يشعرا حتى فرقت ارجلهما فلما رجعت انكر زوجها كثرة السمن واقسم عليها فاخبرته فحلف ليضربنها او لتخرجن فتشتم كثيرا بحيث يسمعها ففعلت فانشد يكافيها الختزير البيتين وفي منازل الاحباب انها وقفت عليه وهو يبري سهاما فجعل يبري ساعده فدخلت عليه فمسحت الدم بثوبها وان زوجها لم ينكر الا وجود الدم وقيل له انت اشعر ام جميل فقال كيف يكون اشعر مني وهو القائل

رمى الله في عيني بثينة بالقذى * وفي الغر من انيابها بالقوادح

وأنا القائل هنيئا مريئا البيت وليس فيما ذكر دليل على انه اشعر منه وانما يدل ذلك على ان كثيرا ارق قلبا واشفق على محبوبته واشد عشقا فلو سيق الكلام لذلك لكان ألصق بالمعنى وأولى وتمام القصيدة

و والله ما قاربت الا تباعدت * بصرم ولا اكثرت الا أقلت
فان تكن العتبى فأهلا ومرحبا * وحقت لها العتبى لدينا وقلت
وان تكن الاخرى فان وراءنا * مناويح لو سارت بها العيس كلت
فلا يبعدن وصل لعزة أصبحت * بعاقبة أسبابه قد تولت
خليلي ان الحاجبية طلحت * قلوصيكما اذ ناقتي قد اكلت
أسيئي بنا او احسني لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت
ولكن أنيلي واذكري من مودة * لنا خلة كانت لديك فضلت
واني وان صدت لمثن وصادق * عليها بما كانت لدينا ادلت
فما انا بالداعي لعزة بالجوى * ولا شامت ان نعل عزة زلت
فلا يحسب الواشون ان صبابتي * بعزة كانت غمرة فتجلت
واصبحت قد ابليت من دنف بها * ولا بعدها من خلة حيث خلت
وما مر من يوم علي كيومها * وان عظمت ايام اخرى وجلت
واضحت بأعلى شاهق من فؤاده * فلا القلب يسلاها ولا العين ملت
فيا عجبا للقلب كيف اعترافه * وللنفس اذ وطنتها كيف ذلت
واني وتهيامي بعزة بعد ما * تخليت عما بيننا وتخلت
لكالمرتجي ظل الغمامة كلما * تبوأ منها للمقيل اضمحلت
كأني واياها سحابة ممحل * رجاها فلما جاوزته استهلت

وخرج يوما من عند عبد الملك فاعترضته عجوز معها نار في روثة فقالت من انت قال صاحب عزة فقالت انت القائل

أنها

وما روضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها

والميم فوه فالحروف تألفت * مكنوبة والصبر (٤٢) عنها بكشط (وقول الآخر) لا تقل لي لا فمكتوب على *

وجهك المشرق نون وانعم
بحروف صورت من قدرة
ما جرى قط عليها قلم
نونها الحاجب والعين بها
طرفك الفتان والميم الفم

وقال شهاب الدين أحمد بن الخيمي

ان صدغ الحبيب والفم والعا
رض منه واو وصاد ولام
هي وصل بين المحاسن لما
تم حسنا و بالعذار التمام
غير أني أراه وصل وداع
فيه يقضي افتراقنا والسلام

(وقلت أنا)

حبيب تعالى قده حين سمته

وقال قوامي رمحه ما يقوم
وخط عذارى أعجم الخال لامه
ولم أدر أن اللام في الخط يعجم

(وقلت ايضا)

يرنو الي بعين نون حاجبها
كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان

(وقلت ايضا) في عكس هذا المعنى وهو تشبيه الحروف بالاعضاء في تقريظ قصيدة مدحت بها مولانا السلطان الملك الناصر حسن

فكم الف بها اضحى
رشيق القامة النضره
وكم شين بحاشية الكتاب تخالها طره
وعين أصبحت في العين
مثل العين والنقره

(وقلت ايضا) في تقريظ كتاب ورد علي من بعض الاحباب من رسالة افتتحها بقصيدة منها

رفضت النوم بعدك يا علي
فلا تعجب لدمعي ان توالا
ووافاني كتاب منك حال
حكت الفاته السمر الطوالا
وكم شاهدت من نقط ولكن * مثالك ما رأيت له مثالا
لئن امسيت به الفات قطع * فكم وصل به ضمن الوصالا
باطيب

باطيب من اردان عزة موهنا * اذا اوقدت بالمندل الرطب نارها

قال نعم قالت ويحك اذا اوقد المندل الرطب على هذه الروثة او بخرت به امك العجوز الشنعاء كانت كذلك فهلا قلت كما قال امرؤ القيس بن حجر الكندي

الم تريان كلما جئت زائرا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فناولها مطرف خز كان معه وقال استري على ذلك وهذه الحكاية نقلها قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في تاريخه ثم قال ان بعض مشايخ الادب قال ليس على كثير شيء فان قوله اذا اوقدت بالمندل الرطب نارها نعت للروضة المذكورة انتهى وهذا جيد لولم يطالب كثير من العجوز الستر فانه عرفنا بذلك انه ما اراد الا المعنى المعترض فيكون هذا تصحيح الاثبات قصده وتوفي كثير سنة خمس ومائة في اليوم الذي مات فيه عكرمة مولى ابن عباس ودفن في مقابر المدينة وله في عزة اشعار كثيرة من محاسنها قوله

يقولون سوداء العيون مريضة * فاقبلت من اهلي اليها اعودها
فوالله ما ادري اذا انا جئتها * أأبرئها من دائها ام ازيدها
اذا جئتها وسط النساء منحتها * صدودا كأن النفس ليس تريدها
ولي نظرة بعد الصدود من الجوى * كنظرة ثكلى قد اصيب وحيدها

وقيل ان هذه الابيات لذي الرمة لانه بعدما ذكر يقول

وكنت اذا ما جئت ميا ازورها * ارى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

ومنها وقد سأل عبد العزيز ان يرشده الى قبر عزة فلما وقف عليه انشد

وقفت على ربع لعزة ناقتي * وفي البر رشاش من الدمع يسفح
فيا عز انت البدر قد حال دونه * رجيع تراب والصفيح المضرح
وقد كنت ابكي من فراقك خيفة * فهذا لعمري اليوم انأى وانزح
فهلا فداك الموت من انت زينه * ومن هو اسوأ منك حالا واقبح
ألا لا ارى بعد ابنة النضر لذة * لشيء ولا ملحا لمن يتملح
فلا زال رمس ضم عزة سائلا * به نعمة من رحمة الله تسفح
فان التي احببت قد حال دونها * طوال الليالي والضريح الموجح
اريب بعيني البكا كل ليلة * فقد كان مجرى الدمع عيني يقرح
اذا لم يكن ما تسفح العين لي دما * وشر البكاء المستعار المسيح

ومنها

الا حييا ليلى اجد رحيلي * وآذن اصحابي غدا بقفول
تبدت له ليلى لتذهب عقله * وشاقتك ام الصلت بعد ذهول
اريد لانسى ذكرها فكأنما * تمثل لي ليلى بكل سبيل
اذا ذكرت ليلى تغشتك عبرة * تعل بها العينان بعد نهول

ومنها

حلفت برب الراقصات الى منى * خلال الملا يمددن كل جديل
يمين امرئ مستغلظ من الية * بكذب فيه الا قد اجل بقيل
لقد كذب الواشون ما بحت عندهم * بليلى ولا ارسلتهم برسول
فان جاءك الواشون عني بكذبة * فروها ولم يأتوا لها بحويل

طلت اللام فيه عذار خد
وخلت النقط فوق الخد خالا
وامسى طالع الطاآت فيه
يعلم لينه الغصن الكمالا

(وقال القاضي الفاضل) من رسالة كتب بها الى موفق الدين خالد القيرواني وقد وقف له على رسالة كتبها بالذهب جاء منها فمن الفات الفت الهمزات غصونها حمائم ومن لامات بعدها يحسدها الحب على عناق قدودها النواعم ومن صادات نقعت غلة القلوب الصوادي والعيون الحوائم ومن واوات ذكرت ما في وجنة الاصداغ من العطفات ومن ميمات دنت الافواه من ثغورها لتنال جنى الرشفات ومن سينات كأنها الثنايا في ثلث الثغور ومن دالات دالات على الطاعة لكاتبها بانحناء الظهور ومن جيمات كالمناسر تصيد القلوب التي تخفق لروعات الاستحسان كالطيور وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وخالد فيها خالد وتحيته فيها المحامد ويده تضرب في ذهب ذائب والناس تضرب في حديد بارد

(الباب الثاني في ذكر المحبين الظرفاء من الملوك والخلفاء)

أقول هذا باب عقدناه لذكر احسن الملوك طباعا واطولهم باعا واطيبهم عيشا واكثرهم طيشا وارقهم شعرا وادقهم فكرا واقربهم فرجوعا واكثرهم بالحبيب ولوعا اذهم في الحقيقة اولى الناس بذلك واحقهم بالنوم على تلك الارائك وذلك بحسب ما سولت لهم نفوسهم وزينه لهم جليسهم كما قيل

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي
اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى

فمنهم من قنع من محبوبه بالنظر حتى مات كمدا ولحق مثل نور الدين الشهيد بالشهداء وستأتي

فلا تعجلي ياليل ان تتفهمي * بنصح أتى الواشون ام بحيول

ومنها

تذكرت اترابا لعزة كالمهى * حبين بلفظ ناعم وقبول

وكنت اذا لاقيتهن كأنني * مخالطة عقلي سلاف شمول

ومنها

كفى حزنا للعين ان ردطرفها * لعزة عير آذنت برحيل

وقالوا نأت فاختر من الصبر والبكى * فقلت البكى اشفى اذن لغليلي

توليت محزونا وقلت لصاحبي * اقاتلتي ليلى بغير قتيل

لعزة اذ ماحل بالخيف اهلها * فاوحش منها الخيف بعد حلول

و بدل منها بعد طول اقامة * تبعث نكباء العشي جفول

لقد اكثر الواشون فينا وفيكم * ومال بنا الواشون كل مميل

ومازالت من ليلى لدن طرشاربي * الى اليوم كالمقصى بكل سبيل

ومنها

لا تعذرن بوصل عزة بعدما * اخذت عليك مواثقا وعهودا

ان المحب اذا احب حبيبه * صدق الصفاء وانجز الموعودا

الله يعلم لو اردت زيادة * في حب عزة ماوجدت مزيدا

رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا

لو يسمعون كما سمعت حديثها * خروا لعزة خاشعين سجودا

والميت ينشر ان تمس عظامه * مسا ويخلد ان يراك خلودا

وهذا الشعر رواه الحافظ مغلطاي كما هو عن جميل وقد رأيته في النزهة منسوبا اليه وبعد ماذكر بيتا استشهد به على مجيء التوكيد بالحرف قال وكثيرا مانقله النحاة هكذا

لالا أبوح بحب بثنة انها * اخذت على مواثقا وعهودا

قال القالي هو لكثير وذكر بثنة سبق قلم والاصل عزة وان الشعراء كثيرا ما يعدلون عن اسم من يريدون الى مالا يريدون تورية وغيرة وسيأتي لذلك ايضاح ومنها

تفرق ألواح الحجيج على منى * وفرقهم شعب النوى بين أربع

فلم أر دارا مثلها دار غبطة * وملقى اذا التف الحجيج لمجمع

أقل مقيما راضيا بمقامه * وأكثر جارا ظاعنا لم يودع

فشاقوا لما وجهوا كل وجهة * سراعا وأخلوا عن منازل بلقع

فريقان منهم سالك بطن نخلة * وآخر منهم سالك خبت يفرع

(أخبار قيس ولبنى)

هو قيس بن ذريح بن سنة وفي رواية ابن الحباب يتصل نسبه ببكر بن عبد مناة عذري وهو من خزاعة واسم أبيه علي اوهو وجده وكان ينزل بظاهر المدينة وهو رضيع الحسين بن علي بن أبي طالب وسبب علاقته بلبنى بنت الحباب الكعبية انه ذهب لبعض حاجاته فمر ببني كعب وقد احتدم الحر فاستسقى الماء من خيمة منهم فبرزت اليه امرأة مديدة القامة بهية الطلعة عذبة الكلام سهلة المنطق فناولته اداوة ماء فلما اصدر قالت له ألا تبرد عندنا وقد تمكنت من فؤاده فقال نعم فمهدت له وطاء واستحضرت مايحتاج اليه وان اباها جاء فلما وجده رحب به ونحر له جزورا وأقام عندهم بياض اليوم ثم انصرف وهو أشغف الناس بها فجعل يكتم ذلك الى ان غلب عليه فنطق فيها بالاشعار وشاع ذلك عنه وانه مر بها ثانيا فنزل عندهم وشكا

تحكايته في باب العفاف ان شاء الله تعالى ومنهم من أصبح دونه في العفاف واقام سالف محبوبه مقام السلاف ومنهم من خلع العذار واحتج بقول الشاعر في العقار

دع عنك لومي فان اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء

فجمع مابين ذات العقود وابنة العنقود ولكن مع صيانه ورجوع الى ديانه فهو وان طال به المجلس اختصر وان جنى فيه على محبوبه اعتذر كما قيل

ان أكن قد جنيت في السكر ذنبا
فاعف عني يا راحة الارواح
أي عقل يبقى هناك لمثلي
بين سكر الهوى وسكر الراح

ومنهم من نال بالراح اللذة المحظورة وأخرج بها وجنة الحبيب من صورة الى صورة فجارى النديم في الجريال وسما الى الحبيب سمو حباب الماء حالا على حال فافضى به ذلك الى هلكه وفساد ملكه كما اتفق للامين بن الرشيد وغيره قال الربيع قعد الامين يوما للناس وعليه طيلسان أزرق وتحته ابد أبيض فوقع في ثمانمائة قصة فوالله لقد أصاب وما أخطا وأسرع فما أبطا ثم قال يا ربيع أتراني لا احسن التدبير والسياسة ولكن وجدت شم الآس وشرب الكاس والاستلقاء من غير نعاس أشهى الي من مقابلة الناس وكذلك خلع قبله الوليد بن يزيد وبعده المتوكل وغيرهم من الخلفاء والامراء ممن آثر راحة النفس على طلب السياسة والذي أراه اطلاق ماذهبوا اليه بالصريح ومفارقة الجميع على وجه مليح كما قيل

لو رأى وجه حبيبي عاذلي
لتفارقنا على وجه مليح

(وما احسن قول أبي الفتح البستي)*

اذا غدا ملك باللهو مشتغلا
فاحكم على ملكه بالويل والحرب
أما ترى الشمس في الميزان هابطة * لما غدا وهو برج اللهو والطرب

ومن هنا نشرع في ذكر من ذل ... اليها

اليها حين تخايلها ما نزل به من حبها فوجد عندها اضعاف ذلك فانصرف وقد علم كل واحد ما عند الآخر فمضى الى أبيه فشكا اليه ذلك فقال له دع هذه وتزوج باحدى بنات عمك فغم منه وجاء الى أمه فكان منها ما كان من ابيه فتركهما وجاء الى الحسين بن على واخبره بالقصة فرثى له والتزم له ان يكفيه هذا الشأن فمضى معه الى ابى لبنى فسأله فى ذلك فأجابه بالطاعة وقال يا ابن رسول الله لو ارسلت لكفيت بيد أن هذا من ابيه أليق كما هو عند العرب فشكره ومضى الى ابى قيس ونقل السيوطى فى شرح الشواهد عن ابن عساكر ان الحسين ابن على لما بلغه انقباض ابى قيس من ذلك جاء اليه حافيا على حر الرمل فقام ومرغ وجهه على اقدامه وكان ذريح مليا فمضى مع الحسين حتى زوج قيسا بلبنى ونقل الجلال السيوطى ان الحسين ادى المهر من عنده ولما تزوجها اقام مدة مديدة على ارفع ما يكون من احسن الاحوال ومراتب الاقبال وفنون المحبة وان قيسا كان على ابلغ ما يكون من انواع البر بأمه فشغله الانهماك مع لبنى عن بعض ذلك فسنحت لابيه التفريق بينهما فقالت له يوما لو زوجته بمن تحمل لتجيء بولد كان ابقى لنسبك واحفظ لبيتك ومالك وانهما عرضا على قيس ذلك فامتنع امتناعا يؤذن باستحالة ذلك وقال لا اسيئها قط واقام يدافعهما عشر سنين الى ان اقسم ابوه او هى امه لا يكنه سقف او يطلق قيس لبنى فكان اذا اشتد الهجير يجيئه فيظله بردائه ويصطلى هو حتى يجيء الفيء فيدخل الى لبنى فيتعانقان ويتباكيان وهى تقول له لا تفعل فتهلك الى ان قدر ان طلقها فلما ازمعت الرحيل بعد العدة جاء وقد قوض فسطاطها فسأل الجارية عن امرهم فقالت سل لبنى فأتى اليها فمنعها اهلها واخبروه انها غداة غد ترحل الى اهلها فسقط مغشيا عليه فلما افاق انشد

وانى لمفن دمع عينى بالبكى * حذار الذى قد كان او هو كائن
وقالوا غدا او بعد ذاك بليلة * فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت اخشى ان تكون منيتى * بكفيك الا ان ما حان حائن

وقال ايضا يقولون لبنى فتنة كنت قبلها * بخير فلا تندم عليها وطلق
فطاوعت اعدائى وعاصيت ناصحى * واقررت عين الشامت المتملق
وددت وبيت الله انى عصيتهم * وحملت فى رضوانها كل موثق
وكلفت خوض البحر والبحر زاخر * أبيت على اثباج موج مغرق
كانى أرى الناس المحبين بعدها * عصارة ماء الحنظل المتفلق
فتنكر عينى بعدها كل منظر * ويكره سمعى بعدها كل منطق

وسقط غراب بحيث ينظره فنعق حين رحيلها فأنشد

لقد نادى الغراب ببين لبنى * فطار القلب من حذر الغراب
وقال غدا تباعد دار لبنى * وتنأى بعد ود واقتراب
فقلت تعست ويحك من غراب * وكان الدهر سعيك فى تباب

وتبعها حين ارتحلت ينظر اليها فلما غابت رجع فجعل يقبل اثر بعيرها فليم على ذلك فأنشد

وما احببت ارضكم ولكن * اقبل اثر من وطئ الترابا
لقد لاقيت من كلفى بلبنى * بلاء ما أسيغ له الشرابا
اذا نادى المنادى باسم لبنى * عييت فلا اطيق له جوابا

لمحبوبه من الملوك فاصبح مع كونه مالكا له كالمملوك وهم فى ذلك اشدة الياس على خلاف ما عليه الناس وذلك لان العشق واصحابه طبقات فمنهم من لا يطيب له العشق الا بالذل وهذا هو الغالب على العشاق الصادقين فى المحبة كما قال الشيخ شرف الدين بن الفارض

ولو عز فيها الحب ما الذى الهوى
ولم يك لولا الذل فى الحب عزتى

وكما قيل

تذلل لمن تهوى لتكسب عزة
فكم عزة قد نالها المرء بالذل

ومنهم من يرى توحيد المحبوب وعدم الشريك كما قيل

ليس فى القلب موضع لحبيب
…ن ولا أحدث الامور اثنان
فكما العقل واحد ليس يدرى
خالقا غير واحد رحمن
فكذا القلب واحد ليس يهوى
غير فرد مباعد او مدان
وكذا الدين واحد مستقيم
وكفور من عنده دينان
هو فى شرعة المودة ذو شر
ك بعيد من صحة الايمان

فمن كان على خلاف هذا ممن يرى الشريك فى المحبة كالرشيد وغيره كما يأتى بيانه فى بابه لم يكن محبا حقيقة وهذا الغالب على الملوك لكثرة ما لديهم واختلاف الشكل عليهم كما قيل

تنقل فلذات الهوى فى التنقل
ورد كل صاف لا تقف عند منهل

فالملوك ليسوا كغيرهم لقدرتهم على من يحبونه بالنقود الفضة والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة نعم قد يعشق الملك العظيم فلا يذهب به عشقه الى ترك تدبير ملكه وانما أكثر ما يظهر من أمر الملوك أن يضعوا محبوبهم فى مقام مالكهم وهم مالكوه كما قال الحكم بن هشام ملك الاندلس

ظل من فرط حبه مملوكا * ولقد كان قبل ذاك مليكا
تركته جآذر القصر صبا * مستهاما على الصعيد تريكا

ولما أجنه الليل أوى الى مضجعه فلم يطق قرارا فجعل يتململ و يتمرغ في موضعه و يقول

بت والهم يا لبينى ضجيعي * و جرت مذ نأيت عني دموعي
وتنفست اذ ذكرتك حتى * زالت اليوم عن فؤادي ضلوعي
يا لبينى فدتك نفسي واهلي * هل لدهر مضى لنا من رجوع

وقال ايضا

قد قلت للقلب لا لبناك فاعترف * واقض اللبانة ما قضيت فانصرف
قد كنت احلف جهدي لا أفارقها * أف لكثرة ذيك القيل والحلف
حتى تكنفني الواشون فافتلتت * لا تأمنن ابدا من غش مكتنف
هيهات هيهات قد امست مجاورة * اهل العقيق وأمسينا على سرف
حي يمانون والبطحاء منزلها * هذا لعمرك شكل غير مؤتلف

وارسلت اليه يوما أمه بنات يعبن لبنى عنده و يلهينه بالتعرض الى وصالهن فأنشد

يقر لعيني قربها ويزيدني * بها عجبا من كان عندي يعيبها
وكم قائل قد قال تب فعصيته * وتلك لعمري توبة لا أتوبها
فيا نفس صبرا لست والله فاعلمي * بأول نفس غاب عنها حبيبها

فلم ينصرفن وذمن على ما كن فيه فنادى يا لبنى فقلن مالك قال خدرت رجلي وكان من المعلوم عند العرب انه اذا خدرت رجل الرجل وذكر احب الناس اليه اسكنت ثم قال

اذا خدرت رجلي تذكرت من لها * فناديت لبنى باسمها ودعوت
دعوت التي لو ان نفسي تطيعني * لفارقتها في حبها فقضيت
برت نبلها للصيد لبنى عشية * وريشت باخرى مثلها وبريت
فلما رمتني أقصدتني بنبلها * وأخطأتها بالسهم حين رميت
وفارقت لبنى ضلة فكأنني * قرنت الى العيوق ثم هويت
فيا ليت اني مت قبل فراقها * وهل يرجعن قول المفرط ليت
فوطن لنفس منك هلكا فانني * كأنك بي قد يا ذريح قضيت

ورأيت الابيات في كتاب لا أعرف جامعه وفيها يقول

فيا ليت اني مت قبل فراقها * وهل ينفعن بعد التفرق ليت
فان يك تهيامي بلبنى غواية * فقد يا ذريح بن الحباب غويت

فوطن البيت ولما اشتد شوقه وزاد غرامه افضى به الحال الى مرض لزمه الوساد واختلال العقل واشتغال البال فلام الناس أباه على سوء فعله فجزع وندم وجعل يتلطف به فأرسل له طبيبا وقينات يسألون عن حاله و يلهونه فلما أطالوا عليه انشد

عند قيس من حب لبنى ولبنى * داء قيس والحب صعب شديد
فاذا عادني العوائد يوما * قالت العين لا أرى من أريد
ليت لبنى تعودني ثم أقضي * انها لا تعود فيمن يعود
ويح قيس لقد تضمن منها * داء خبل فالقلب منه عميد

فقال له الطبيب منذ كم هذه العلة بك ومنذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت فقال

تعلق روحي روحها قبل خلقنا * ومن بعد ما كنا نطافا وفي المهد
فزاد كما زدنا واصبح ناميا * وليس اذا متنا بمنفصم العقد

يجعل الخد واضعا فوق ترب * للذي يجعل الحرير أريكا هكذا يحسن التذلل بالحر * اذا كان في الهوى مملوكا

وقال الرشيد وقد عشق ثلاث جوار

ملك الثلاث الآنسات عناني
وحللن من قلبي بكل مكان
ما لي تطاوعني البرية كلها
وأطيعهن وهن في عصياني
ما ذاك الا أن سلطان الهوى
وبه قوين أعز من سلطاني

(وقال) المستعين بالله بن الحكم الاموي أحد خلفاء المغرب وأجاد

عجبا يهاب الليث حد سناني
وأهاب لحظ فواتر الاجفان
وأقارع الاهوال لا متهيبا
منها سوى الاعراض والهجران
وتملكت نفسي ثلاث كالدما
زهر الوجوه نواعم الابدان
ككواكب الظلماء لحن لناظر
من فوق أغصان على كثبان
حاكمت فيهن السلو الى الصبا
فقضى بسلطان على سلطان
فأبحن من قلبي الحمى وتركنني
في عز ملكي كالاسير العاني
لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى
ذل الهوى عز وملك ثاني
ما ضر أني عبدهن صبابة
وبنو الزمان وهن من عبداني

(قلت) وكم مثله من ملك قاهر وسلطان قادر تذل لهيبته الاملاك وتذعن لسطوته الفتاك هدم الهوى أركانه وأذل عزه وسلطانه فقصر جفنه في الليالي الطوال وأوقع مع عقله الحسن في أسر الاعتقال فقال

أما يكفيك انك تملكيني
وان الناس كلهم عبيدي
وانك لو قطعت يدي ورجلي
لقلت من الرضا احسنت زيدي

وقيل هما للرشيد وقيل هما للمأمون وقيل هما للمهدي (وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان) كان السلطان أبو عبد الله محمد بن السلطان الغالب بالله أحد ملوك الاندلس جميل الاحسن السياسة متظاهرا بالدين رأيته مرارا

واكنه

والكنه باق على كل حادث * وزائرتي في ظلمة القبر واللحد

فقال انما يسليك عنها اتذكر ما فيها من المساوى والمعايب وما تعافه النفس فقال

اذا عبتها شبهتها البدر طالعا * وحسبك من عيب لها شبه البدر

لقد فضلت لبنى على الناس مثل ما * على ألف شهر فضلت ليلة القدر

اذا ما مشت شبرا من الارض ارجفت * من البهر حتى ما تزيد على شبر

لها كفل يرتج منها اذا مشت * ومتن كغصن البان منضمر الخصر

وان أباه دخل وهو يخاطب الطبيب بذلك فجعل يؤنبه ويلومه فلما لم يفد ذلك عرض عليه التزويج فأنشد

لقد خفت ان لا تقنع النفس بعدها * بشئ من الدنيا وان كان مقنعا

وازجرعنها النفس ان حيل دونها * وتأبى اليها النفس الا تطلعا

فلما أيس منه استشار قومه في دائه فاتفقت آراؤهم على ان يأمروه بتصفح احياء العرب فلعل ان تقع عينه على امرأة تستميل عقله فاقسموا عليه ان يفعل ففعل وانه اتفق ان نزل بحي من فزارة فرأى جارية قد حسرت عن وجهها برقع خز وهي كالبدر حسنا وبهجة فسأل عن اسمها فقالت لبنى فسقط مغشيا عليه فارتاعت منه ونضحت وجهه بالماء وقالت ان لم تكن قيسا فمجنون فلما أفاق استنسبته فاذا هو قيس فأقسمت عليه ان ينال من طعامها فتناول قليلا وركب فجاء أخوها على أثره فاعلمته القصة فركب حتى استرده وأقسم عليه ان يقيم عنده شهرا فقال لقد شققت علي وأجاب فكان الفزاري يعجب به ويعرض عليه الصهارة حتى لامته العرب وقالوا نخشى ان يصير فعلك سنة فيقول دعوني ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام وقيس يقول له ان فيكم الكفاية ولكني في شغل لا ينتفع بي معه فألح عليه حتى عقد له على أخته ودخل بها فاقام معها اياما لا تهش نفسه اليها ولا يكلمها ثم استأذن في الخروج الى أهله فأذنوا له فخرج الى المدينة وكان له بها صديق فأعلمه ان لبنى قد بلغها تزويجه فغمت لذلك وقالت انه لغدار واني طالما خطبت فأبيت والآن أجيب هذا وان أبا لبنى قد اشتكى قيسا الى معاوية وانه يشبب بابنته فكتب الى مروان بهدر دمه وأمر ان يزوج ابنته بخالد بن خالدة الغطفاني وهو كندي حليف قريش فجعل النساء ليلة زفافها يغنينها

لبيني زوجها أصبح * لا حر بواديه له فضل على الناس * وقد باتت تناجيه

وقيس ميت حقا * صريع في بواكيه فلا يبعده الله * وبعدا للنواعيه

ولما بلغ ذلك قيسا اشتد به الغرام فركب حتى أتى محلة قومها فقالت له النساء ما تصنع هنا وقد رحلت مع زوجها فلم يلتفت حتى أتى موضع خبائها فتمرغ به وأنشد

الى الله أشكو فقد لبنى كما شكا * الى الله بعد الوالدين يتيم

يتيم جفاه الاقربون فجسمه * نحيل وعهد الوالدين قديم

(وأنشد حين بلغه هدر دمه)

فان يحجبوها أو يحل دون وصلها * مقالة واش او وعيد أمير

فلن يمنعوا عيني من دائم البكا * ولم يذهبوا ما قد أجن ضميري

الى الله أشكو ما ألاقي من الهوى * ومن كرب تعتادني وزفير

بغرناطة وانشد في شعر او حضرت عنده انشاد الشعراء ومن شعره ايا ربة الخدر التي اذهبت نسكي * على كل حال انت لابد لي منك

فاما بذل وهو أليق بالهوى

واما بعز وهو أليق بالملك

(وقال الملك الامجد)

من مثلي في عصري * بستاني في قصري

معشوقي مملوكي * غنى لي من شعري

(وقال الملك الظاهر) في مملوكه ايبك الجامدار

أنا مالك مملوك ظبي أغيد

ومن العجائب مالك مملوك

وأنا الفتى واني من وصله

بين البرية معدم صعلوك

ولكم سفكت دما بسيفي عنوة

ودمي بسيف لحاظه مسفوك

(وقال الملك الاشرف في مملوكه) وكان خازنداره دو بيت

أفدي قمرا تحار فيه الصفة

يسخو بدمي وهو أمين ثقة

ماذا عجبا يحفظ مالي ويرى

روحي تلفت به ولا يلتفت

وبقية ماله من المقاطيع ذكرتها في الباب الاول من نقل الكرام في مدح المقام وذكرت فيه أيضا حكاية محبوبه ابن مملوكه وما بان فيها عنه من حسن السيرة وهي من أغرب ما يحكى عن الملوك وقال الملك تميم

بالله جد لي بوعد صدق

وخل هذا الدلال عنكا

ولا تدعني أظل أشكو

مثل محياك ليس يشكا

(وحكي) عن المأمون انه غضب على جاريته عريب المغنية وكان كلفا بها فأعرض عنها واعرضت عنه ثم أسلمه الغرام وأقلقه الشوق حتى ارسل اليها يطلب مراجعتها فلما اجتمعا لم تلتفت اليه وكلمها فلم ترد عليه فأنشأ يقول

تكلم ليس يوجعك الكلام

ولا يزرى بحاسنك السلام أنا المأمون والملك الهمام * ولكني بحبك مستهام يحق عليك أن لا تقتليني * فيبقى الناس ليس لهم امام

ومن حرق للحب فى باطن الحشا * وليل طويل الحزن غير قصير
سأبكى على نفسى بعين غزيرة * بكاء حزين فى الوثاق أسير
وكنا جميعا قبل ان يظهر النوى * بأنعم حالى غبطة وسرور
فما برح الواشون حتى بدت لنا * بطون الهوى مقلوبة بظهور
لقد كنت حسب النفس لودام وصلنا * ولكنما الدنيا متاع غرور

(وقال أيضا) وان تك لبنى قد أتى دون قربها * حجاب منيع ما اليه سبيل
فان نسيم الجو يجمع بيننا * ونبصر قرن الشمس حين تزول
وأرواحنا بالليل فى الحين تلتقى * ونعلم أنا بالنهار نقيل
وتجمعنا الارض القرار وفوقنا * سماء ترى فيها النجوم تجول
الى ان يعود الدهر سلما وتنقضى * ترات براها عندنا وذحول

وحجت لبنى فى تلك السنة فاتفق خروجه ايضا فتلاقيا فابهت وارسلت اليه مع امرأة تستخبر عن حاله وتسلم عليه فأعاد السلام والسؤال وأنشد

اذا طلعت شمس النهار فسلمى * فانى يسلينى عليك طلوعها
بعشر تحيات اذا الشمس اشرقت * وعشر اذا اصفرت وحان رجوعها
ولو أبلغتها جارة قولى اسلمى * طوت حزنا وارفض منها دموعها

وحين انقضى الحج مرض مرضا انهكه فأكثر الناس من عيادته فجعل يتفكر لبنى وقدم رؤيته لها فأنشد

ألبنى لقد جلت عليك مصيبتى * غداة غد اذ حل ما أتوقع
تمنيننى نيلا وتلويننى به * فنفسى شوقا كل يوم تقطع
ألومك فى شانى وانت مليمة * لعمرى واجفى للمحب واقطع
واخبرت انى فيك مت بحسرة * ففاض من عينيك للوجد مدمع
اذا أنت لم تبكى على جنازة * لديك فلا تبكى غدا حين أرفع

فحين بلغتها الابيات جزعت جزعا شديدا وخرجت اليه خفية على ميعاد فاعتذرت عن الانقطاع واعلمته انها انما تترك زيارته خوفا عليه ان يهلك والا فعندها ما عنده ولكنها جلدة (وفى منازل الاحباب) يرفعه الى ابن عباس قال مررت بربع عفا رسمه واذا بشخص فسلمت عليه فلم يرد فمضيت واذا هو ينادينى فرجعت فرد على السلام واعتذر ثم ذكر انه تعتريه غيبة العقل أطوارا هذا ودمعه يسفح كالغيث فقلت له من انت قال قيس بن ذريح وانشد

امانيه لبنى ولم يقطع المدى * بوصل ولا هجر فييأس طامع
أبى الله ان يلقى الرشاد متيم * ألا كل شئ حم لاشك واقع
هما برحا بى معولين كلاهما * فؤاد وعين ماقها الدهر دامع
إذا نحن أفنينا البكاء عشية * فموعدنا قرن من الشمس طالع

قال الحافظ مغلطاى وأخبرت لبنى بمرضه فى حبها فقالت دفع الله وهم يتمارض فبلغته القصة فأنشد

تكذبنى بالود لبنى وليتها * تكلف منى مثله فتذوق
ولو تعلمين الغيب أيقنت اننى * لكم والهدايا المشعرات صديق
تتوق اليك النفس ثم أردها * حياء ومثلى بالحياء حقيق

المقدمة وتمام حكايتها ذكرتها فى الباب الثانى من السكردان وهى حكاية مليحة جدا ورأى المأمون ايضا غلاما مليحا لاحمد بن يوسف فقال ما اسمك قال فتح فقال المأمون

يا فتح يا فاتح البلوى
و يا عليما بطول شكوائى
الحمد لله لاشريك له
مولاك عبدى وانت مولائى

فبلغ ذلك أحمد فوهبه الغلام قلت فكان كما قيل

كل ما يصلح للمو * لى على العبد حرام

وقعد والده الرشيد يوما عند زبيدة وعندها جواريها فنظر الى جارية واقفة على رأسها فاشار اليها ان تقبله فاعتلت بشفتيها فدعا بدواة وقرطاس فرقع فيه

قبلته من بعيد * فاعتل من شفتيه

ثم ناولها القرطاس فرقعت فيه

فابرحت مكانى * حتى وثبت عليه

فلما قرأ ما كتبت استوهبها من زبيدة فوهبتها له فمضى بها واقام معها اسبوعا لا يدرى مكانهما فكتبت اليه زبيدة

وعاشق صب بنشوة
كانما قلباهما قلب
وروحاهما روح ونفساهما
نفس كذا فليكن الحب

(وحدث) أبو جعفر قال بينما محمد بن زبيدة يطوف فى قصر له اذ مر بجارية له سكرى وعليها مطرف خز وهى تسحب أذيالها من التيه فراودها عن نفسها فقالت يا أمير المؤمنين انك قد هجرتنى مدة ولم يكن عندى علم وافاتك فانظرنى الليلة حتى أتهيأ للقيالك وآتيك فى غد فلما أصبح انتظرها فلم تجئ فقام ودخل عليها وسألها انجاز الوعد فقالت يا أمير المؤمنين اما علمت ان كلام الليل يمحوه النهار فضحك وخرج من مجلسه فقال من بالباب من الشعراء فقيل

اذود سوام النفس عنك وماله * على احد الا عليك طريق
شهدت على نفسي بانك غادة * رداح وان الوجه منك عتيق
وانك لا تجزين مني صحابة * ولا انا للهجران منك اطيق
وانك قسمت الفؤاد فنصفه * رهين ونصف في الحبال وثيق
كان الهوى بين الحيازيم والحشا * وبين التراق واللهاة حريق
فان كنت لما تعلمي العلم فاسألي * وبعض لبعض في الفعال يفوق
سلي هل قلاني من خليل صحبته * وهل ذم رحلي في الرفاق رفيق
وهل يجتوي القوم الكرام صحابتي * اذا اغبر مخشي الفجاج عميق
واكتم اسرار الهوى فاميتها * اذا باح مزاح بهن بروق
هل الصبر الا ان اصد فلا ارى * بارضك الا ان يكون طريق

وروي ان قيسا انتقى ناقة من ابله وقصد المدينة ليبيعها فاشتراها زوج لبنى وهو لا يعرفه ثم قال له ائتني غدا في دار كثير بن الصلت اقبضك الثمن فجاءه وطرق الباب فادخله وقد صنع له طعاما وقام لبعض حاجاته فقالت المرأة لخادمتها سليه ما بال وجهه متغيرا شاحبا فتنفس الصعداء ثم قال هكذا حال من فارق الاحبة فقالت استخبريه عن قصته فاستخبرته فشرع يحكي امره فرفعت الحجاب وقالت حسبك قد عرفنا حالك فبهت حين عرفها لا ينطق ساعة ثم خرج لوجهه فاعترضه الرجل وقال ما بالك عد لتقبض مالك وان شئت زدناك فلم يكلمه ومضى فدخل الرجل فقالت له ما هذا الذي فعلت انه لقيس فحلف انه لا يعرفه وانشد قيس معاتبا لنفسه

اتبكي على لبنى وانت تركتها * وكنت عليها بالملا انت اقدر
فان تكن الدنيا بلبنى تقلبت * فللدهر والدنيا بطون واظهر
كأني في ارجوحة بين احبل * اذا فكرة منها على القلب تخطر

وقيل انه حين جاء ليقبض ثمن المطية رأى لبنى فعاد مبهوتا فسأله الرجل فقال له لا تركب لي مطيتين فقال انت قيس قال نعم قال ارجع لنخيرها فان اختارتك طلقتها وظن الرجل انها تبغض قيسا فخيرها فاختارت قيسا فطلقها الوقته (وحكي) ان سبب طلاقها ان قيسا قصد ابن ابي عتيق وكان اكثر اهل زمانه مروأة في ذلك فجاء الى الحسن والحسين واعلمهما ان له حاجة عند زوج لبنى وطلب ان يغدوا عليه فمضيا معه حتى اجتمعوا به وكلموه في ذلك فقال سلوا ما شئتم فقال له ابن ابي عتيق اهلا كان او مالا قال نعم فقال اريد ان تطلق لبنى ولك ما شئت عندي فقال اشهدكم انها طالق ثلاثا فاستحيوا منه وعوضه الحسن مائة الف درهم وقال له لو علمت الحاجة ما جئت وروي ان لبنى عاتبت قيسا على تزويج الفزارية فحلف لها ان عينيه لم تكتحل برؤيتها ولم يكلمها لفظة واحدة وانه لو رآها لم يعرفها واخبرته لبنى انها كارهة زوجها واعلمته انها لم تتزوجه رغبة فيه بل شفقة على قيس حين اهدر دمه ليخلي عنها فطلقها حين علم ما بينهما وارسل اخو الفزارية الى قيس حين ابطأ عنه يسأله الرجوع فاعاد الرسول بالخيار في امراته فاختار الرجل عدم الفرقة وقصد قيس معاوية فمدحه فرق له وكان ذلك قبل طلاق لبنى فقال له ان شئت كتبت الى زوجها بطلاقها فقال لا ولكن ائذن لي ان اكون ببلدها ففعل فنزل قيس حين زال هدر دمه بحبها وتظافرت مدائحه فيها

له مصعب والرقاشي وأبونواس فأمر بهم فدخلوا فلما جلسوا بين يديه قال ليقل كل واحد منكم شعرا يكون آخره كلام الليل يمحوه النهار فانشأ الرقاشي يقول

متى تصحو وقلبك مستطار
وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهاما
فتاة لا تزور ولا تزار
اذا استنجزت منها الوعد قالت
كلام الليل يمحوه النهار

(وقال مصعب)

أتعذلني وقلبي مستطار
كئيب لا يقر له قرار
بحب مليحة صادت فؤادي
بالحاظ يخالطها احورار
ولما ان مددت يدي اليها
لألمسها بدا منها نفار
فقلت لها عديني منك وعدا
فقالت في غد منك المزار
فلما جئت مقتضيا اجابت
كلام الليل يمحوه النهار

(وقال أبونواس)

وخود اقبلت في القصر سكرى
ولكن زين السكر الوقار
وقد سقط الردا عن منكبيها
من التخميش وانحل الازار
وهز الريح اردافا ثقالا
وغصنا فيه رمان صغار
هممت بها وكان الليل سترا
فقام لها على المعنى اعتزاز
وقالت في غد فضت حتى
اتى الوقت الذي فيه المزار
وقلت الوعد سيدتي فقالت
كلام الليل يمحوه النهار

فقال له ويلك أكنت مطلعا علينا أو ثالثنا في القصر فقال لا والله يا امير المؤمنين ولكن نظرت اليك فعرفت ما في نفسك وعبرت عما في ضميرك فأمر له باربعة آلاف درهم ولصاحبيه مثلها وذكرت هنا ما قلته في ابن نهار

أقول لموعدي زورا بليل * بدا كالبدر فيه ثم غابا

كلام الليل يا ابن نهار زبد * اذا طلعت عليه الشمس ذابا (وقلت) أتيت ديار المجنون من الكرى *

حتى غني بها معبد والغريض واضرابهما فرق الناس له هذا ولما اطلقت نقلت الى العدة بأمر ابن ابي عتيق فمن ذاهب الى انها اكملت عدتها وتزوجها واقاما الى الموت بدليل مدحه لابن ابي عتيق حيث قال

جزى الرحمن افضل ما يجازي * على الاحسان خيرا من صديق
فقد جربت اخواني جميعا * فما ألفيت كابن ابي عتيق
سعى في جمع شملي بعد صدع * ورأي حدت فيه عن الطريق
واطفأ لوعة كانت بقلبي * اغصتني حرارتها بريقي

ومن ذاهب وهم الاكثر الى انها ماتت في العدة وان مدحه لابن ابي عتيق حين لم يشك في عوده اليه وقد نهاه عن مدحه وقال له من سمع بهذا يعدني قوادا والقائلون بموت لبنى في العدة اجمعوا بان قيسا خرج حين بلغه ذلك حتى وقف على قبرها وانشد

ماتت لبينى فموتها موتي * هل ينفعن حسرة على الفوت
اني سأبكي بكاء مكتئب * قضا حياته وجدا على ميت

ثم بكى حتى اغمي عليه فحمل ومات بعد ثلاث ودفن الى جانبها وكان ذلك في سنة وله اشعار كثيرة منها ما حكاه الشهاب في منازل الاحباب عن ابي العباس على تردد في انه لابن الدمينة

وفي عروة العذري ان مت اسوة * وعمرو بن عجلان الذي قتلت هند
وبي مثل ما قد مات به غير انني * الى اجل لم يأتني وقته بعد
وفيض دموع العين بالليل كلما * بدا علم من ارضكم لم يكن يبدو

(ومنها) لقد عنيتني يا حب لبنى * فقع اما بموت او حياة
فان الموت ايسر من حياة * منغصة لها طعم الشتات
وقال الآخرون تعز عنها * فقلت ولا اذا حانت وفاتي

(ومنها) فلو وجدت وجدي بها ام واحد * ولا وجد النهدي وجدي على هند
ولا وجد العذري عروة في الهوى * كوجدي ولا من كان قبلي ولا بعدي

(ومنها) لو ان امرأ اخفى الهوى عن ضميره * لمت ولم يعلم بذاك ضمير
ولكن سألقى الله والنفس لم تبح * بسرك والمستخبرون كثير

(ومنها) عفا سرف من اهله فشوارع * فجنبا اريك فالبلاد الدواقع
فكلية فالاخياف اخياف ظبية * بها من لبينى مخرف فمرابع
لعل لبينى ان يحم لقاؤها * ببعض البلاد ان ما حم واقع
بجزع من الوادي خلا عن انيسه * عفا وتخطته العيون الخوادع
ولما بدا منها الفراق كما بدا * بظاهر الصفا الصلد الشقوق الشوائع
تمنيت ان تلقى لبينى والمنى * تعاصيك احيانا وحينا تطاوع
وما من حبيب وامق لحبيبه * ولا ذي هوى الا له الدهر فاجع
وطار غراب البين وانشقت العصا * ببين كما شق الاديم الصوانع
الا يا غراب البين قد طرت بالذي * أحاذر من لبنى فهل انت واقع
وانك لو ابلغتها قيلي اسلمي * طوت حزنا وارفض منها المدامع
اتبكي على لبنى وانت تركتها * وكنت كآت غيه وهو طائع

وأبيت اسهر فيك مع سماري
وتلوم ان اصبحت في يوم الجفا
مجنون ليلى فيك يا ابن نهار

(حكي) انه كان للمتوكل غلام اسمه شفيع وكان من احسن الفتيان فكان المتوكل يحبه جنونا فاحب يوما ان ينادم حسين بن الضحاك وان يرى ما بقي من شهوته وكان قد اسن فاحضره فسقاه حتى سكر وقال لشفيع اسقه فسقاه وحياه بوردة وكانت على شفيع ثياب موردة فمد حسين يده الى ذراع شفيع فقال المتوكل اتخمش اخص خدمي بحضرتي فكيف لو خلوت به ما احوجك الى الادب وكان المتوكل قد غمز شفيعا على العبث به فدعا بدواة فكتب

وكالوردة الحمراء حيا بزهرة
من الورد يمشي في قراطق كالورد
تمنيت ان اسقى بعينيه شربة
تذكرني ما قد نسيت من العهد
سقى الله دهرا لم ابت فيه ليلة
خليا ولكن من حبيب على وعد

ثم دفعها الشفيع فاعطاها المتوكل فاستملحها وقال احسنت يا حسين ولو كان شفيع ممن تحوز هبته لوهبته لك ولكن بحياتي يا شفيع الا كنت ساقيه بقية يومنا وامر له بمال كثير وكان شفيع مذكورا يكتب على طراز قبائه الايمن

بدر على غصن نضير
شرف الترائب بالعبير

ويكتب على الطراز الايسر

خطت صحيفة وجهه
في صفحة القمر المنير

(ومن غريب) ما يحكى ان يزيد بن عبد الملك بن مروان كان صبا بحبابة جاريته فخلا يوما في لهو معها وقال لاكذبن قول من قال ان الدهر لا يصفو لاحد يوما واحضر حاجبه وقال له

فلا

فلا تبكين فى أثر شئ ندامة * اذا نزعته عن يديك النوازع
فليس لامر حاول الله جمعه * مشت ولا ما فرق الله جامع
كانك لم تقنع اذا لم تلاقها * وان تلقها فالقلب راض وقانع
فياقلب خبرنى اذا شطت النوى * بلبنى وصدت عنك ما انت صانع
اتصبر للبين المشت مع الجوى * ام انت امرؤ ناسى الحياة فجازع
فما انا ان بانت سليمى بهاجع * اذا ما استقلت بالنيام المضاجع
وكيف ينام المرء مستشعر الجوى * ضجيع الاسى فيه نكاس روادع
فلا خير فى الدنيا اذا لم تزورنا * لبينى ولم يجمع لنا الشمل جامع
أليست لبينى تحت سقف يكنها * واياى هذا ان نأت لى نافع
ويلبسنا الليل البهيم اذا دجا * ونبصر ضوء الصبح والفجر ساطع
تطاكمت رجليها بساطا و بعضه * اطأ برجلى ليس يطويه مانع
وافرح ان تمسى بخير وان يكن * بها الحدث العادى ترعى الروائع
كانك بدع لم تر الناس قبلنا * ولن يطلعنك الدهر فيمن يطالع
وقد كنت ابكى والنوى لا اظنه * بنا وبكم لم ندر ما البين صانع
وهجركم هجر البغيض وحبكم * على كبدى منه كلوم صوادع
فواكبدى من شدة الشوق والاسى * وواكبدى انى الى الله راجع
واعجل للاشفاق حتى يشفنى * مخافة شحط الدار والشمل جامع
واعمد للارض التى من ورائكم * اترجعنى يوما اليك الرواجع
فياقلب صبرا واعترافا لما ترى * ويا حبها قع بالذى انت واقع
لعمرى لمن امسى وانت ضجيعه * من الناس ما اختيرت اليه المضاجع
الا انك لبنى قد تراخى مزارها * وللبين غم ما يزال ينازع
اذا لم يكن الا الجوى فكفى به * جوى حرق قد ضمنتها الاضالع
اباثنة لبنى ولم تقطع المدى * بوصل ولا صرم فييأس طامع
نهارى نهار الوالهين صبابة * وليلى تنبو فيه عنى المضاجع
وقد كنت قبل اليوم خلوا وانما * تقسم بين الهالكين المصارع

وهذان البيتان فى غير رواية ابى على

ولولا رجاء القلب ان يعطف النوى * لما حملته بينهن الاضالع
له وجبات اثر لبنى كانها * شقائق برق فى السحاب لوامع
نهارى نهار الناس حتى اذا بدا * لى الليل هزتنى اليك المضاجع
اقضى نهارى بالحديث وبالمنى * ويجمعنى بالليل والهم جامع
اذا نحن انفدنا البكاء عشية * فموعدنا قرن من الشمس طالع
وللحب آيات تبين للفتى * شحوب وتعرى من يديه الاشاجع
وما كل ما منيت نفسك خاليا * تلاقى ولا كل الذى انت تابع
تداعت له الاحزان من كل وجهة * فحن كما حن الظئور الرواجع
وجانب قرب الناس يخلو بهمه * وعاوده فيها هيام مراجع

لا تاذن لاحد يدخل على ولا تعلمنى بخبر ولو كان فيه ذهاب ملكى مدة هذا اليوم واقام معها فى اتم حال فتناولت رمانا فشرقت فماتت لوقتها فعرض له عليها طرف من الوله فحال بينه وبين الصبر ومنع من دفنها حتى ساله جماعة من بنى امية فى دفنها ولاطفوه فى ذلك فامر بدفنها وقال

فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى
فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

وقيل انه لم يقم بعدها الا سبعة أيام ومات أسفا عليها ومثل فعله هذا فى عدم دفنه محبوبته ما حكيته فى نقل الكرام فى مدح المقام فى الباب الرابع عن السلطان جلال الدين خوارزمشاه لما مات مملوكه قلج منع من دفنه فكان يحمل معه فى محفة وكلما حضر بين يديه طعام قال احملوا هذا الى قلج فقال له بعض الامراء أيها الملك قد مات قلج فضرب عنقه فلا حول ولا قوة الا بالله وتمام حكايته ذكرتها فى الكتاب المذكور

(الباب الثالث فى ذكر من عشق على السماع ووقع من النزوع الى الحبيب فى النزاع)

أقول هذا باب عقدناه لذكر من عشق قبل ان يرى فتم عليه ما تم لما جرى من دمعه ما جرى فاصبح لا يقر له قرار بعد ان كان قرير العين وشهد على عينيه بعالم ثريا فكان كمن كلف ان يعقد بين شعيرتين كم له رقص فيها على السماع وجمعه سهر من لياليه مثنى وثلاث ورباع فهو أعلى طبقة ممن عشق باللمس أو غيرها من بقية الحواس الخمس والظاهر ان ذلك لمشاكلة بينه وبين المحبوب فى نفس الامر او تعارف سابق فى عالم الذر كما قال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس وأحسن فى الاقتباس

محبة ما عرفت الدهر سلوتها * تسرى الى النفس او تجرى مع النفس
وما لها آخر لكن أولها * تعارف سابق فى حضرة القدس

ارالك اجتنبت الحى من غير بغضة * ولوشئت لم تجنح اليك الاصابع
كان بلاد الله مالم تكن بهـا * وان كان فيها الناس قفر بلاقع
الا انما أبكى لما هو واقع * وهل جزع من وشك بينك نافع
أحال عـلى الدهر من كل جانب * ودامت ولم تقلع عـلى الفجائع
فمن كان محزونا غـدا لفراقنا * فذا الآن فليبك لما هو واقع

وقد انتهت اخباره كما وجدت وكانى بغبى يعترض على نقلى له من مراتب من حظى بالتلاق الى مراتب من مات دونه من العشاق ولم يدر ان الحيثيات توجب بالتأمل الصائب والفهم الذكى الثاقب مالم يدركه الغافل الغبى اما تقدم هذه الاربعة فقد علم واما ذكرهذا هنا فقد قال فى النزهة والبدور السافرة وطوالع الازهار وغالب شراح ديوان الاستاذ ومن بحث عن أحوال العشاق انه رأس اهـل الهوى ولكن وقوعه فى فرقة المحبوب أوقعه فى هـذه المرتبة وقال المتكلمون على الديوان المذكور ان سلطان العشاق واستاذ العارفين على الاطلاق قد اشار الى تفضيله على الكل حيث شبه غرامه بغرامه وحسن لبنى ببهجة الحضرة الممدوحة حيث قال

بفرط غرامى ذكرقيس بوجده * وبهجتها لبنى أمت وأمت

لا يقال قد أفرد غيره بالذكر ايضا لان اساليب دقائق كلامه وأفانين مطاوى نظامه تجل عن ان تنال الا بشق الانفس والله يؤتى فضـله من يشاء فان قوله فان كنت ليـلى ان قلبى عامر ونحوه ليس تمويها بعظم الشأن كما فى البيت السابق اه قلت وقد يقال لا تفضـيل لقيس فى البيت على غيره فيجاب بأن قوله رضى الله عنه

بها قيس لبنى هام بل كل عاشق * كمجنون ليلى اوكثير عزة

صريح فى جعله فى مقابلة المجموع حيث ذكرهم بالحرف الدال على الانتقال عن الارفع ومثل بالامثـل وذلك يقتضى التفضـيل على الجميع وحكمة ذلك والله اعلم كونه قد عرف لذة الوصل والتلاق ثم رمى بغصة البعد والفراق وذلك عند العقلاء أبلغ واعظم وارفع فى مقاساة الغرام وأفخم وفيه تلميح بما ذكرفى التفضيل بين البشر والملائكة

(اخبار المجنون وصاحبته ليلى)

قد اختلف فى اسمه هل هو عامر او مهـدى او الاقرع ومعاذ اوقيس ابنه او ابن الملوح او البحترى بن الجعد والصحيح الاول لاشارة عارف الوقت فى البيت السابق وفى نسبه عامرى او كلابى او جعدى اوقشيرى او المجانين متعددة وهما اثنان فى بنى عامر اولم يكن احد وانما امرؤ تعشق واستكبر عن ان يصرح باسمه واسم محبوبته فحوه بالمجنون وليلى والصحيح انه من بنى عامر وهو عامر بن ملوح بن مزاحم يتصـل نسبه عنـد صاحب الاغانى الى كعب بن ربيعة بن صعصعة كان مديد القامة جعد الشعر أبيض اللون ولم ينله الهزال والجنون وتغير اللون الا من العشق وصاحبته هى ليلى بنت مهدى بن سعد تتصل بنسبه فى كعب بن ربيعة وكنيتها أم مالك وهذا اخذ من قوله ذلك فى شعره كثيرا نحو قوله

تكاد بلاد الله يا ام مالك * بما رحبت يوما على تضيق

وهذا كاستدلالهم بأن اسم أبيه ملوح بن مزاحم وانه مات قبل اختلاط عقله فعقر عليه ناقة بقوله

عقرت عـلى قبر الملوح ناقتى * بذى السرح لما أن جفاه أقاربه
وقلت لها كونى عقيرا فانتى * غداة غد ماش وبالامس راكبه

فى عالم الذر ناجانى البشير بها * اهلا بيتها طهرا من الدنس اشهى الى القلب من أمن على وجل

ومن جمال الكرى فى الاعـين النعس قولى المشاكلة بينه وبين المحبوب الى آخره فيه اشارة الى انك لا تجد اثنين يتحابان الا وبينهما مشاكلة واتفاق فى بعض الصفات لابد من هذا ولهذا اغتم ابقراط حين وصف له رجـل من أهل النقص انه يحبه فقال ما أحبنى الا وقد وافقته فى بعض أخلاقه ويؤيد هذا قول النبى صلى الله عليه وسـلم وقد سأل عائشة رضى الله تعـالى عنها عـن امرأة كانت تدخـل على نساء قريش فتضحكهن قدمت المدينة فنزلت على امرأة تضحك الناس بها فقال على من نزلت فـلانة فقالت على فـلانة المضحكة فقـال الحمد لله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وانشـد طرفة

تعارف أرواح الرجال اذا التقوا
فمنهم عدو يتقى وخليل

وقال أبو الهذيل العلاف لا يجوز فى دور الفلك ولا فى تركيب الطبيعـة ولا فى القياس ولا فى الحس ولا فى الممكن ولا فى الواجب أن يكون محب ليس لمحبوبه اليه ميل والظاهر ان هذا السر الذى ذكرناه من وجـود ما بينهما من المشاكلة فان قلت فقد رأينا من احب من لا يحبه ولا يلتفت اليـه قلت ذكر من ذلك أجوبة احسنها ان يقال المحبة على قسمين القسم الاول محبة غرضية فهذه لا يجب الاشتراك فيها بل يقابلها مقت المحبوب وبغضـه للمحب كثيرا الا اذا كان له معه غرض نظير غرضه فانه يحبـه لغرضـه منه كما يكون بين الرجل والمرأة لان لكل منهما غرضا مع صاحبه والقسم الثـانى محبة روحانية سببها المشاكلة والاتفاق بين الروحين فهذه لا تكون الا من الجانبين ولابد فلوفتش المحب محبة صادقة قلب محبوبه لوجد عنده من محبته نظير

فلا

فلا يبعدنك الله يا ابن مزاحم * فكل امرئ للموت لابد صائر به

وروي باسقاط هاء السكت وحذف البيت الاخير وذكروا ان سبب عشقه لليلى انه مر يوما على ناقة له وعليه حلتان من حلل الملوك بامرأة من قومه وعندها نسوة يتحدثن فاعجبهن فاستنزلنه للمحادثة فنزل وعقر لهن ناقته واقام معهن بياض اليوم فاقبل فتى اسمه منازل يسوق غنما فانصرفن اليه وتركن المجنون فقام مغضبا وانشد

أأعقر من جرا كرائم ناقتي * ووصلي مقرون بوصل منازل

اذا جاء قعقعن الحلي ولم اكن * اذا جئت اخفوا صوت تلك الخلاخل

فقوله من جرا كرائم يعني من اجلها وكرائم اسم المرأة التي كن عندها وروي ووصلي مفضول اي دون وصل منازل وهو أليق بالمقام وفي النزهة

اذا جاء قعقعن الحلي ولم يكن * اذا جئت بل اخفين صوت الخلاخل

يقول قد اظهرن صوت الحلي حين جاء منازل وهذه كناية عن قيامهن له ولم يكن ذلك عند مجيئي وهذا هو اللائق ولم يؤخذ من البيت السابق وقيل تداعيا المناضلة او الصراع فقال له المجنون قم الى حيث يرينك ولا تراهن فافعل ما تقول وانشد في ذلك

اذا ما انتضلنا في الخلاء نضلته * وان يرم رشقا عندها فهو ناضلي

فعلى هذا يكون ضمير عندها عائدا على النسوة وهذا دليل على شدة استحيائه فانه يقول له مادمت تنظر اليهن فانك تجمع فتغلبني وهذا على حد قوله

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي * فانت بمرأى من سعاد ومسمع

يقول جدي في السجع فان سعاد تنظرك وتسمعك قلت هذا ما نقل في الاصل عن ابن الكلبي ولا دليل فيه على تعلقه بليلى وانما الدليل فيما رواه صاحب نزهة المشتاق قال لما دعته النسوة الى النزول نزل وجعل يحادثهن ويقلب طرفه حتى وقعت عينه على ليلى فلم يصرف عنها طرفا وشاغلته فلم يشتغل ثم قال لهاهل عندكن ما تاكلن قالت لا فعمد الى الناقة فنحرها وقطعها وجاءته لتمسك معه اللحم فجعل يحز بالمدية في كفه وهو شاخص فيها حتى اعرق كفه فجذبتها من يده ولم يدر ثم قال لها الا تاكلين الشواء قالت نعم فطرح من اللحم شيئا على الغضى واقبل يحادثها فقالت له انظر الى اللحم هل استوى أم لا فمد يده الى الجمر وجعل يقلب بها اللحم فاحترقت ولم يشعر فلما علمت ما داخله صرفته عن ذلك ثم شدت يده بهدب قناعها ثم ذهب وقد تحكم عشقها من قلبه وقيل انها بعد هذا المجلس استدعته للمحادثة وقد داخلها الحب فقالت له هل لك في محادثة من لا يصرفه عنك صارف فقال ومن لي بذلك ثم نزل وعقر ناقته كما مر وانها كانت مغرمة بأحاديث الناس والاشعار وكان هو اروى الناس لذلك فكانت تستدعيه لتسمع منه وكان يجيبها الى ذلك فتداخلت بينهما المحبة وفي نديم المسامرة انهما نشآ صغيرين يرعيان الغنم بدليل قوله

تعلقت ليلى وهي ذات تمائم * ولم يبد للاتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم ياليت اننا * الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

فتحابا وانها حجبت عنه فداخله جنون وعلى كل الطرق لما عرف كل منهما ما عند الآخر وتمكنت المحبة منهما جعل يأتيها اذا اقبل الحجب ويذهب ليلا وفي ذلك يقول

نهاري نهار الناس حتى اذا بدا * لي الليل هزتني اليك المضاجع

ماعنده او فوقه او دونه وذكر بعضهم ان سبب المحبة ثلاثة اشياء امارؤية صورة او سماع نغمة او سماع صفة فهذه الثلاثة هي أصل ينبوع المحبة اذ لا يخلو حب احد من أن يستند الى شيء منها وقد قيل

ثلاث محبات فحب علاقة

وحب تملاق وحب هو القتل

واحوال الناس تختلف في ذلك (فمنهم) من يحب بمجرد الوصف دون المعاينة فيفني بما وصف له محبة ومارآه ولكن وصفه له واصف كما قيل

فانني ان أرى الديار بطرفي

فلعلي أرى الديار بسمعي

أخذه القاضي الفاضل فقال

علاوني عن الشام بذكرى

ان قلبي عليه بالاشواق

مثلته الذكرى لسمعي كأني

أتمشى هناك بالاحداق

وقال بعض الحكماء ان الله عز وجل جعل القلب أمير الجسد وملك الاعضاء فجميع الجوارح تنقاد له وكل الحواس تطيعه وهو مدبرها وبارادته تنبعث ووزيره العقل وعاضده الفهم ورائده العينان وطليعته الاذنان وهما في باب النقل سيان لا يكتمانه شيأ ولا يطويان عنه سرا يعني العين والاذن وقيل لافلاطون ايهما اشد ضررا السمع أم البصر فقال هما للقلب كالجناحين للطائر لا ينهض الا بهما ولا يستقل الا بقوتهما وربما قص أحدهما فتحامل بالآخر على تعب ومشقة قيل فما بال الاعمى يحب ومارأى والاصم يحب وما سمع فقال له لذلك قلت ان الطائر قد ينهض باحدى جناحيه ولا يستقل طيرانا فاذا اجتمعا كان ذهابه أمضى وطيرانه أقوى وكان يقال الحب أوله السماع ثم النظر كما ان أول الحريق الدخان ثم الشرر (حكي) عن أبي تمام انه سمع جارية تغني بالفارسية فشجاه صوتها فقال

ولم أفهم معانيها ولكن * شجت قلبي فلم اجهل شجاها

اقضي نهاري بالحديث وبالمنى * ويجمعني بالليل والهم جامع

قلت وقد تقدم ان البيتين لقيس بن ذريح وصرح في نزهة العشاق بذلك وقال ان المجنون كان يتمثل بهما وهذا هو الصحيح فانهما كانا متعاصرين حتى نقل في الاغاني ان قيسا مر بالمجنون وهو في مبادي مخالطة العقل والانفراد وكان كل منهما يشتهي لقاء صاحبه فسلم عليه فلم يرد فعرفه بنفسه فقام اليه واعتنقه وتباكيا واشتكى كل الى الآخر ما عنده فقال المجنون اقيس ان حي ليلى قريب فهل لك ان تبلغها سلامي فمضى حتى وقف بها ونسب نفسه فتعارفا وبلغها فاخبرته ان وجدها به اعظم ولكن قالت أنا عاتبة عليه حيث يقول

أتت ليلة بالغيل يا أم مالك * لكم خبر حب صادق ليس يكذب

ألا انما ابقيت يا أم مالك * صدى أينما تذهب به الريح يذهب

فأي ليلة كانت ومتى اختليت معه بالغيل او غيره فقال انها الا تحمليه على ما تقول الناس فلم يردسوا وانصرف قيس ليخبره فلم يجده وكان المجنون عند أبيه اعظم منزلة من اخوته وكان أبوه ذا ثروة فدفع له خمسين بعيرا وراعيها في مهر ليلى فلم يقبل ابوها مع انه دونهم لما مر من ان العرب كانت تكره تزويج اثنين انتشرت اخبارهما بالمحبة فخيروها بينه وبين رجل اسمه ورد وهددوها على ان تختاره ففعلت كارهة وفي ذلك يقول المجنون

ألا يا ليل ان ملكت فينا * خيارك فانظري لمن الخيار

ولا تستبدلي مني دنيا * ولا برما اذا حث القتار

يهرول في الصغير اذا رآه * وتعجزه ملمات كبار

فمثل تأيم منه نكاح * ومثل تمول منه افتقار

وابصر يوما في طريقه الى زيارتها جارية عسراء فتطير وانشد

وكيف يرجي وصل ليلى وقد جرى * بجد القوى من ليل أعسر حاسر

صريع المصاجب الزمان اذا انتحى * لوصل امرئ لم تقض منه الاواطر

وشكا ذلك اليها فقالت لا بأس عليك والله لا اجتمعت بغيرك الا كارهة وكانت قبل هذا القول قد امتحنته لتنظر ما عنده من المحبة انها اقعدت شخصا بحضرته فسارته او صرفت وجهها عنه الى غيره ثم نظرته قد تغير حتى كاد ان يتفطر فأنشدت تقول

كلانا مظهر للناس بغضا * وكل عند صاحبه مكين

وفي رواية وكل مظهر في الناس وبعده

واسرار الملاحظ ليس تخفى * وقد تغري بذي اللحظ العيون

وبهذين البيتين تظافرت الروايات وجاءت في رواية * وقد تغري بذي اللحظ الظنون *

وبعده   وكيف يفوت هذا الناس شئ * وما في الناس تظهره العيون

فسر بذلك حتى كاد أن يذهب عقله فانصرف وهو يقول

أظن هواها تاركي بمضلة * من الارض لا مال لدي ولا اهل

ولا احد افضي اليه وصيتي * ولا صاحب الا المطية والرحل

محا حبها حب الاولى كن قبلها * وحلت مكانا لم يكن حل من قبل

وفي رواية ولا وارث الا المطية والاولى اصح وانسب لان المطية لا ترث وتستصحب كما جاء في كلام العرب   ان الجمار مع الجمار مطية * واذا خلوت به فبئس الصاحب

واصل ذلك ان الصحبة في الاصل مجرد الاجتماع واماشدة المخالطة والمداخلة فصداقة

فكنت كأنني اعمى معنى * يحب الغانيات ولا يراها

قال ابن طاهر قلت لابي تمام اخذت هذا المعنى من احد فقال نعم من قول بشار

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة
والاذن تعشق قبل العين احيانا
قالوا لمن لا ترى تهوى فقلت لهم
الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

قلت والظاهر أن بشارا أخذ قوله هذا من كلام الحكيم المتقدم ذكره وتبعه أبو يعقوب الخزيمي فقال

قالت وتهزأ بي غداة لقيتها
يا للرجال لصبوة العميان
فاجبتها نفسي فداؤك انما
عيني وأذني في الهوى سيان

(وقال بشار أيضا) الحب انما يتولد بالقلب والفكر وأنشد في ذلك

يزهدني في حب عبدة معشر
قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى
فبالقلب لا بالعين يعشق ذو اللب
وما تبصر العينان في موضع الهوى
ولا تسمع الاذنان الا من القلب

وقال الحصري وقد صدق فيما نطق انما أحست الحواس الخمس بواسطة توسطها النفس (وقد قال الخليل ابن أحمد)

ان كنت لست معي فالذكر منك معي
يرعاك قلبي وان غيبت عن بصري
العين تبصر من تهوى وتعشقه
وناظر القلب لا يخلو من النظر

وقال مظفر بن ابراهيم الاعمى في الاعتذار عن العشق مع العمى

قالوا عشقت وأنت اعمى
ظبيا كحيل الطرف ألمى
وحلاه ما عاينتها
فتقول قد شغفتك وهما
وخياله بك في المنا
م فما أطاف ولا ألما
من أين أرسل للفؤاد * وانت لم تنظره سهما

ومتى رأيت جماله * حتى كساك هواه سقما

(وخرج)

(وخرج يوما) في سفر مع قوم فافضت به الطريق الى مسلكين احدهما يمر برهط ليلى ولكنه يزيد مرحلة فتقدم الى القوم وسألهم ان يسلكوها او يمكثوا له حتى يرجع فابوا عليه فقال أنشدكم الله لو أن شخصا محرما بكم ضل بعيره أكنتم تستعفونه قالوا نعم فقال ان ليلى لاعظم من ذلك وانشد

أأترك ليلى ليس بيني و بينها * سوى ليلة اني اذن لصبور
هبوني امرأ منكم أضل بعيره * له ذمة ان الذمام كبير
وللصاحب المبرور أعظم حرمة * على صاحب من ان يضل بعير
عفا الله عن ليلى الغداة فانها * اذا وليت حكما علي تجور

(واستنشد شخصا) عن عروة بن حزام فاخبره بحاله وانه مات براحة فتعجب من كثرة ذكر الناس له مع حسن حاله في العشق وانشد

عجبت لعروة العذري امسى * أحاديثا لقوم بعد قوم
وعروة مات موتا مستريحا * وها أنا ذا أموت كل يوم

ولما اشتهر امرهما في العرب وشاع شعره فيها منعه اهلها الزيارة وكان في حي ليلى امرأة من بني عامر قد تزوجها رجل من حريش ومات عنها وقد ترك لها صبية فكان يأتيها المجنون يتعرف منها اخبار ليلى فبلغ اهلها ذلك فزجروا المرأة وجاء المجنون فاخبرته فانشد متمثلا ببيت امرئ القيس وضم اليه ثانيا له

أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب
فلا تزجريني عنك خيفة كاشح * اذا قال شرا واخيف لبيب

ثم تركها وكان يأتي غفلات الحي فلما علموا بذلك شكوه الى مروان فكتب الى عامله بهدر دمه اذا وجد عند ليلى فقرؤا عليه ذلك فانشد

لئن حجبت ليلى وآلى أميرها * علي يمينا جاهدا لا أزورها
وأوعدني فيها رجال ابوهم * ابي وابوها خشنت لي صدورها
على غير شيء غير اني احبها * وان فؤادي عند ليلى سميرها

ولما يئس من زيارتها قلق لذلك قلقا أدى لزوال عقله فهام على وجهه يلعب بالتراب والعظام لا يعقل غير ذكرها وانها جزعت لذلك جزعا ادى الى سقمها فحج بها اهلها فرآها ثقفي فخطبها اليهم فاجابوا بعد ان ردوا جماعة ونمي الى المجنون ذلك فانشد

ألا ان ليلى العامرية اصبحت * تقطع الا من ثقيف حبالها
هم حبسوها محبس البدن وابتغى * بها المال اقوام ألا قل مالها
اذا ما التقت والعيس صفر من البرى * من العين جلى عبرة العين حالها

هذا ما تظافرت به الاخبار وفي رواية الا ان ليلى العامرية اصبحت وفيها والعيس صفر من البكا وقد حرف هذا البيت وفي رواية الاغاني اقد حبسوها محبس البدن وفي اخرى بعده

خليلي هل من حيلة تعلمانها * فيدني بها تكليم ليلى احتيالها
فان انتما لم تعلماها فلستما * باول باغ حاجة لا ينالها
كان مع الركب الذين اغتدوا بها * غمامة صيف زعزعتها شمالها
نظرت بمفضى سيل حوضين والضحى * تحث باطراف المحارم آلها

العشق انصاتا وفهما
أهوى بجارحة السما
ع ولا أرى ذات المسمى
(وقال المدني)
أيا من لامني في حب
من لم يره طرفي
لقد افرطت في وصـ
ـفك لي في الحب بالضعف
فقال هل تعرف الجنـ
ـة يوما بسوى الوصف

وما احسن قول المهذب بن الشحنة من قصيدة مدح بها مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب مطلعها

واني امرؤ احببتكم لمكارم
سمعت بها والاذن كالعين تعشق
وقالت لي الآمال ان كنت لاحقا
بأبناء أيوب فانت الموفق

وقلت انا من قصيدة امدح بها مولانا السلطان الملك الناصر حسن وفيه زيادة حسنة مطلعها

وحياة وجهك وهو بدر مشرق
قلبي عليك كما علمت واشفق
يا من اذا ما لاح آس عذاره
أمسى ولي بالعشق غصن مورق
ما لاح خدك بالعذار مكاتبا
الا ظننت بانه لي معتق

(ومنها)

كم ذا رقصت على السماع بذكره
والاذن قبل العين قالوا تعشق

وحاصل القضية ان من الناس من يعشق على السماع ويفنى في محبة من لا رآه لكن وصف له ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان تنعت المرأة لغير زوجها حتى كانه ينظر اليها والحديث في الصحيح قال في الواضح المبين ومنهم من يعشق اثرا رآه كما يحكى ان رجلا عشق أثر كف امرأة رآه في حائط فلما أيس اهله من صلاحه تركوه حتى مات (ومنهم) من يحب في النوم شكلا لا يعرفه فيهيم به كما قيل

بمنزلة الاجفان هيج شوقها * مجامعة الا لاف ثم رآها
اذا التفتت من خلفها وهي تعتلي * على العيس جلى عبرة العين حالها

وحين تحقق عنده تزوجها انشد

دعوت الهي دعوة ماجهلتها * وربي بما تخفي الصدور خبير
لئن كان يهدي برد أنيابها العلا * لافقر مني انني لفقير
فقد شاعت الاخبار أن قد تزوجت * فهل يأتيني بالطلاق بشير

وجعل يمر ببيتها فلا ينظر اليه فانشد

الا ايها البيت الذي لا أزوره * وان حله شخص الى حبيب
هجرتك اشفاقا وزرتك خائفا * وفيك على الدهر منك رقيب
سأستعتب الايام فيك لعلها * بيوم سرور في الزمان تؤوب
وافردت افرادا الطريد وباعدت * بي النفس حاجات وهن قريب
لئن حال واش دون ليلى لربما * اتى اليأس دون الامر فهو غصيب
ومنيتني حتى اذا ما رأيتني * على شرف للناظرين يريب
صددت واشمت العدو بصرمنا * اثابك ياليلى الجزاء مثيب

والبيتان الاولان لمحمد بن أمية هذا ما نقله والصحيح ان البيت الاول للمجنون ذكر ذلك في النزهة وأقره في تسريح الناظر غير انه قال في الثاني والثالث انهما ليسا للمجنون وفيه وفي رواية هنا * بيوم سرور في الزمان تؤوب * والمعنى واحد وبقي ابيات من هذه القصيدة اخرتها لان لها حكاية وحين بلغه نقلها الى الثقفي انشد

كأن القلب ليلة قيل يغدى * بليلى العامرية او يراح
قطاة غرها شرك فباتت * تجاذبه وقد علق الجناح
فلا في الليل نالت ما ترجى * ولا في الصبح كان لها براح

وفي تسريح الناظر عن الامالي قال اجتمع الى المجنون عزوة من قومه ممن كان ينادمه حال صحته وقد ذهبوا به حين بني الثقفي بليلى فعزموا على ان يسافروا به متنزهين في احياء العرب ليذهب ما به فسار واوهو معهم تعاوده الصحة دوراوالجنون دوراوهم يردون كل متنزه ويعرضون عليه من بنات العرب كل من اجمع على حسنها وانهم غفلوا عنه ليلة ثم افتقدوه فرأوه قد ذهب فركب ابن عم له في طلبه فرآه عند مشرعة وبين يديه ظبية لا حراك بها وهو يمسح عنها التراب ويقبلها ويبكي هذا ما في تسريح الناظر زاد في نزهة المشتاق انه كان ينشد

أياشبه ليلى لا تخافين انني * لك اليوم من وحشية لصديق

فقال له اذهب بنا فلم يجب فقال اذهب لنمر بليلى فقام معه فلما جاء الى اصحابه جلس متفكرا لا يخاطبهم حتى جاء الليل فلما كان السحر هبت نسمة وابرق برق مما يلي حي ثقيف فانشد

طربت وشاقتك الهمول الدوامع * غداة دعا بالبين اسفع نازع
شحاه نعيا بالفراق كأنه * حريب سليب نازح الدار جازع
فقلت ألا قد بين الامر فانصرف * فقد راعنا بالبين قبلك رائع
سقيت سماما من غراب فانني * تبينت ما اخبرت اذ هو واقع
الم تر اني لا محب ألومه * ولا ببديل بعدهم انا قانع

يا ليت شعري من كانت وكيف سرت * اطلعة الشمس كانت ام من القمر * أظنها العقل ابداها تدبره *
أو صورة الروح ابدتها الى الفكر
او صورة مثلت في النفس من املي
فقد تحير في ادراكها البصر
أو لم يكن كل هذا فهي حادثة
اتى بها سببا في حتفي القدر

ومنهم من يعشق باللمس قيل وهو رأس الشهوة (ومنهم) من يعشق بالشم كما قيل

والعين تعشق ما تهوى وتبصره
كذاك يعشق فيك الانف والاذن

(ومنهم) من اخبرني انه دخل الى حمام فرأى فيه شعرة طويلة سوداء لبعض النساء ولم يعلم لمن هي فاخذها واقامت عنده زمانا واصابه من حب صاحبتها ما اشرف به على التلف كما قيل

تلفت بشعرة ومعت غيري
يقول سلمت من تلفي بشعره

(ومنهم) من يعشق جنية رآها في نومه ووصفت نفسها له وجاءته غير مرة على زعمه كما حكى ابو الفرج الاموي ان جعفر بن ابي جعفر المنصور كان يتعشق امرأة من الجن حتى كثر ولعه بذلك فصار يصرع في النوم مرات حتى مات من ذلك فحزن عليه ابو جعفر حزنا شديدا وكان جعفر خليعا ماجنا ولما نهى المنصور مطيع بن اياس عن صحبة ابنه جعفر قال واي مستصلح فيه واي غاية لم يبلغها في الفساد فقال ويلك وباي شيء هذا قال يزعم انه يعشق امرأة من الجن وهو مجتهد في خطبتها وداب به جمع اصحاب العزائم عليها وهم يعدونه ويمنونه فوالله ما فيه فضل لغير ذلك من جد ولا هزل ولا كفر ولا ايمان ومن شعره فيها

لابنة الجني في الحي طلل
دارس الآيات عاف كالخلل

قلت هذا الذي يقال في حقه الجنون فنون (ومثل هذا ما اخبرني) به صاحبنا جمال الدين بن عبد الله قال

الم

الم ترداراْلحي في رونق الضحى * بحيث انحنت للهضبتين الاجارع
وقد يتناءى الالف من بعد صحبة * و يصدع ما بين الخليلين صادع
وكم من هوى او جيرة قد ألفتهم * زمانا فلم يمنعهم البين مانع
كاني غداة البين ميت حوية * أخو ظما سدت عليه المشارع
يخاص من اوصال ماء صبابة * فلا الشرب مبذول ولا هو ناقع
و بيض تطلي بالعبير كأنها * نعاج الفلا جيبت عليها البراقع
تحملن من وادي الاراك وأومضت * لهن بأطراف العيون المرائع
فما جئن ربع الدار حتى تشابهت * هوادجها والجون منها الجوامع
وحتى حللنا الجور من كل جانب * وخاضت صدور الرقم منها الاكارع
فلما استوت تحت الخدور وقد جرى * عبير ومسك بالعرانين رادع
أشرن بان حثوا الجمال فقد بدا * من الصيف يوم لافح الظل مانع
فلما لحقنا بالحمول تباشرت * بنا مقصرات غاب عنها المطالع
يعرضن بالدل المليح وان يرد * جناهن مشغوف فهن موانع
فقلت لاصحابي ودمعي مسبل * وقد صدع الشمل المشتت صادع
أليلى بابواب الخدور تعرضت * لعيني أم قرن من الشمس طالع

ومرض قبل الاختلاط فقلق قلقا شديدا ودخل عليه جماعة وهو ابوه للعيادة فسمعوه ينتحب باشد تحرق وتوجع وينشد

ألا ايها القلب الذي لج هائما * بليلى وليدا لم تقطع تمائمه
أفق قد أفاق العاشقون وقد أنى * لما بك ان تلقى طبيبا تلائمه
فما لك مسلوب العزاء كأنما * ترى نأي ليلى مغرما انت غارمه
أجدك لا ينسيك ليلى ملمة * تلم ولا ينسيك عهدا تقادمه

فاستتروا حتى أتم نشيده ودخلوا عليه فحادثوه في السلو فزاد في الهيام ولما عوفي جعل يعاود موضعها ويتمرغ في التراب و يبكي الى الليل وعزم على التوحش والخروج فراجعه ابن عمه في ذلك فكان يعزم عليه ان لا يفعل و يشاغله الى ان بلغه ان ليلى دخلت الى جارة لها فنضت اثوابها واغتسلت ونظرت الى نفسها وقالت ويح ابن الملوح لقد عاق في عظيما على غير استحقاق فانشدك الله أصادق هو في وصفي أم كاذب فقالت بل صادق ثم خرجت من عندها وعادت لاخذ سوالك نسيته فلما صار في يدها قالت سقى الله من اعطانيه فقالت لها جارتها ومن اعطاكيه قالت قيس فخرج هائما وانشد

نبئت ليلى وقد كنا نبخلها * قالت سقى الله منه منزلا خربا
قالت لجارتها يوما تسائلها * لما استحمت والقت عندها السلبا
يا حبذا راكبا كنا نهش له * يهدي لنا من أراك الموسم القضبا
ناشدتك الله الا قلت صادقة * أصادق وصفه المجنون أم كذبا

وقيل انما خروجه من نظره اليها يوم رحلها زوجها أو قومها حين بلغهم زيارته لها وكان حضوره يوم رحيلها على خفية رجاء ان يسكن ما به فزاغ واختشى قومها ان تفتضح فيقتل لما تقدم من انه كان قد هدر دمه ان دخل الحي وحذر فقال الموت أولى وخرج على وجهه

قال الثعالبي في فقه اللغة زعموا ان التناكح قد وقع بين الانس والجن لقوله تعالى وشاركهم في الاموال والاولاد لان الجنيات انما تصرع الرجال من الانس على العشق وطلب الفساد وكذلك رجال الجن لنساء بني آدم

(فصل في ذكر ما ينخرط في سلك العشق على السماع والشهادة على الغائب)

كقول ديك الجن وقيل عبد المحسن الصوري

بأبي فم شهد الضمير له
قبل المذاق بانه عذب
كشهادتي لله خالصة
قبل العيان بانه رب

(وما احسن قول الآخر)

أهيم الى العذب من ريقه
كما هيم العاشقين العذيب
شهدت عليه وما ذقته
يقينا ولكن من الغيب غيب

(وقال بشار بن برد)

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر
الا شهادة أطراف المساويك

(وقال المتوكل الليثي)

كأن مدامة صهباء صرفا
تصفق بين راووق ودن
تعل به الثنايا من سليمى
فراسة مقلتي وصحيح ظني

(وقال امرؤ القيس)

وثغر لما طيب واضح
لذيذ المقبل والمبتسم
وما ذقته غير ظني به
وبالظن يقضي على ما اكتتم

(وقال ابن حمديس الصقلي)

وما ذقت فاها ولكنني
نقلت شهادة عود الاراك

(وقال البهاء زهير)

فتنت به حلوا مليحا حديثه
فيا عجبا شيء كيف يحلو ويملح
وقد شهد المسواك عندي بطيبه
ولم أرعدلا وهو سكران يطفح

(وقال ابن النقيب)

قالوا فلان يصوغ كذبا * يكسوه من الفاظه الاوضح

وعن الهزلي عن رجل من بني عامر اوهو رباح بن سعد بن اثالة قال خرجت اثر سماء ار بعنا بها واحيت الارض بعد الجدب فبينا أنا بوادي القرى أو الغيل اذ لاح لي شخص الى جانب حجر يبكي فقصدته وسلمت عليه واذا هو المجنون فقلت ما يبكيك فقال هذا السيل ثم تنفس الصعداء ثم أنشد الابيات التي وعدنا بها وهي تمام القصيدة التي اولها ألا أيها البيت وقيل انه أنشد القصيدة كاملة في هذا الوقت وفي النزهة ان خالد بن كلثوم ضم هذه الى ثلاث من عند نفسه والا فالمجنون لم ينشدها الا متفرقة وهي

جرى السيل فاستبكاني السيل اذ جرى * وفاضت له من مقلتي غروب
وما ذاك الا حين ايقنت انه * يكون بواد انت منه قريب
يكون أجاجا دونكم فاذا انتهى * اليكم تلقى طيبكم فيطيب
فيا ساكني اكناف نخلة كلكم * الى القلب من اجل الحبيب حبيب
أظل غريب الدار في أرض عامر * الى كل مهجور هناك غريب
وان الكثيب الفرد من أيمن الحمى * الى وان لم آته لحبيب *
ولا خير في الدنيا اذا أنت لم تزر * حبيبا ولم يطرق اليك حبيب

وقيل ان آخر مجالس المجنون من ليلى انه لما اختلف عقله ومزق ما عليه وتوحش جاءت امه اليها فاخبرتها بذلك وسألتها ان تزوره فعساها ان تخفف ما به فقالت اما نهارا فتعذر خيفة اهلي وسآتيه ليلا فلما أمكنتها الفرصة أتته وهو مطرق يهذي فسلمت عليه ثم قالت له

اخبرت انك من اجلي جننت وقد * فارقت أهلك لم تعقل ولم تفق

فرفع رأسه اليها وأنشد

قالت جننت على رأسي فقلت لها * الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع الانسان في الحين

زاد عليهما في نديم المسامرة

لو تعلمين اذا ما غبت ما سقمي * وكيف تسهر عيني لم تلوميني

ثم فارقته فهام من ثم مع الوحش وقيل سئل عن سبب خروجه فقال لقيتها يوما فشكيت اليها ما نزل بي من حبها وقلت ان لم ترحميني ذهب عقلي فقالت هو المطلوب فهمت ارادها وقيل كان هيمانه مقاصة لقوله

قضاها لغيري وابتلاني بحبها * فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا

ثم ان الاسانيد الصحيحة والآثار المتظافرة دالت على انها كانت من الغرام به والميل اليه ايضا بمنزلة عظيمة حكى رباح بن عامر وكان من الحريشيين قال دخلت من نجد اريد الشام فاصابني مطر عظيم فقصدت خيمة رفعت لي فاذا بامرأة فسألتها التظليل فاشارت الى ناحية فدخلت وقد اقبل رعاة وابل وغنم كثيرة ثم قالت للعبيد سلوه من اين الرجل فقلت من نجد فتنفست الصعداء ثم قالت نزلت بمن فيها فقلت ببني الحريش وفي رواية ببني جعدة فرفعت ستارة كانت بيننا واذا بامرأة كأنها القمر ثم قالت أتعرف رجلا فيهم يقال له قيس و يلقب بالمجنون قلت اي والله سرت مع ابيه حتى اوقفني عليه وهو مع الوحش لا يعقل الا ان ذكرت له ليلى فبكت حتى أغمي عليها فقلت لم تبكين ولم اقل الا خيرا فقالت انا والله ليلى المشؤمة عليه غير المساعدة له أو قالت غير المكافئة او المواسية له ثم انشدت

حلو حديث فقلت من لي * لو انه صادق الحلاوة (قلت) وبقي هنا حكاية تتعلق بمن عشق على السماع من الحمقى والمغفلين وهي ما حكاه الجاحظ قال عبرت يوما على معلم كتاب فوجدته في هيئة حسنة وقماش مليح فقام الي وأجلسني معه ففاتحته في القراآت فاذا هو فيها ماهر ففاتحته في شيء من النحو فوجدته فيه ماهرا ثم في اشعار العرب واللغة فاذا به كامل في جميع ما اردته منه فقلت والله قوي عزمي على تقطيع دفتر المعلمين فكنت كل يوم اجالسه وأزوره قال فاتيت في بعض الايام الى زيارته فوجدت الكتاب مغلقا فسألت عنه جيرانه فقالوا مات عنده ميت فقلت أروح اعزيه فجئت الى بابه فطرقته فخرجت الي جاريته فقالت ما تريد فقلت اريد مولاك فقالت مولاي جالس وحده في العزاء ما يعطي لاحد الطريق اليه فقلت قولي له صديقك فلان يطلبك فدخلت وخرجت الي وقالت بسم الله فعبرت اليه فاذا هو جالس وحده فقلت اعظم الله أجرك لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وهذا سبيل لا بد منه فعليك بالصبر ثم قلت له هذا الذي توفي ابنك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فاخوك قال لا قلت فمن قال حبيبتي فقلت في نفسي هذه اول المناحس ثم قلت سبحان الله النساء كثير وتجد غيرها وتقع عينك على أحسن منها فقال وكاني بك قد ظننت أني رأيتها فقلت في نفسي هذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لا رأيته فقال اعلم اني كنت في الطارمة واذا برجل عابر وهو يغني ويقول

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة
ردي على فؤادي اينما كانا

فقلت في نفسي لولا ان أم عمرو هذه ما في الدنيا مثلها ما قيل فيها هذا الشعر فهويتها فلما كان بعد يومين عبر ذلك الرجل وهو يغني و يقول

ألا ليت شعري والخطوب كثيرة * متى رحل قيس مستقل فراجع

بنفسي من لا يستقل برحله * ومن هو ان لم يحفظ الله ضائع

ولما أيس من ليلى حين ارتحلت مع زوجها واشتد هيمانه اجمع قومه ان يتقدموا الى أبيه في حمله الى مكة فلعل الله ان يخفف عنه ففعل وسار معه ابن عمه زياد بن كعب فروا بحمامة على دوحة تنوح فوقف المجنون صاغيا اليها وتخلف معه ابن عمه فقال له سر بنا فقد أبعد الرفاق فتنفس الصعداء وأنشد

ا ان هتفت يوما بواد حمامة * بكيت ولم يعذرك بالجهل عاذر

دعت ساق حر بعد ما غاب الضحى * فهاج لك الاحزان ان ناح طائر

تغنى الضحى والصبح في مرجحنة * كثاف الاعالي تحتها الماء حائر

كان لم يكن بالغيل أو بطن ايكة * أو الجزع من قول الاشاءة حاضر

يقول زياد اذ رأى الحي هجروا * أرى الحي قد ساروا فهل أنت سائر

واني وان غال التقدم حاجتي * ملم على أوطان ليلى فناظر

ودخل مكة فنظر الى الناس وهم يدعون ربهم محرمين فانشد

دعا المحرمون الله يستغفرونه * بمكة وهنا ان تمحى ذنوبها

وناديت ان يا رب اول سؤلتي * لنفسي ليلى ثم انت حسيبها

فان أعط ليلى في حياتي لا يتب * الى الله خلق توبة لا أتوبها

فزجره أبوه من ذلك وأمره أن يدعو الله ان ينسيه ذكرها وأخذه حتى امسكه استار الكعبة ثم قال له قل اللهم انسني ذكرها وامح من قلبي حبها فقال اللهم احبني بها وارزقني حبها وزدني بها كلفا وفيها تلفا وأنشد مكملا في الابيات السابقة

يقر لعيني قربها ويزيدني * بها عجبا من كان عندي يعيبها

فكم قائل قد قال تب فعصيته * وتلك لعمري توبة لا أتوبها

فيا نفس صبرا لست والله فاعلمي * باول نفس غاب عنها حبيبها

ولما اجتمع الناس بمنى سمع هاتفا يهتف بليلى فخر مغشيا عليه الى الصباح ثم افاق متغيرا حائل اللون وانشد

عرضت على نفسي العزاء فقيل لي * من الآن فايأس لا اعزك من صبر

اذا بان من تهوى واصبح نائيا * فلا شيء اجدى من حلولك في القبر

وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى * فهيج احزان الفؤاد وما يدري

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما * اطار بليلى طائرا كان في صدري

دعا باسم ليلى ضلل الله سعيه * وليلى بارض عنه نازحة قفر

ثم انساب منهم وكانت هذه سياحته الكاملة فجعل يقتات بعشب البر حتى طالت اظفاره وغطاه شعره فالفته الوحوش فكان يرد الماء معها ثم يهيم على وجهه حتى يقع بالشام فيرى أقواما وارضا ينكرها فيقول أين جبل نوباد من بني عامر وهو جبل كان يرعى هو وليلى عنده الغنم فيقولون له أين أنت من نوباد ويعرضون عليه الثياب والطعام فيأبى ويقول دلوني عليه فيرحمونه ويقولون له اتبع نجم كذا يوصلك اليه فيمضي حتى يقع باليمن فيكون له مثل ذلك الى ان يظفر احيانا بالجبل فينشد حين ينظره

اذا ذهب الحمار بام عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت انها ماتت فحزنت وقعدت في العزاء ثلاثة ايام بهذا اليوم قال الجاحظ فعادت عزيمتي وقويت همتي على ترك تقطيع الدفتر بحكاية ام عمرو

* (الباب الرابع في ذكر من نظر اول نظرة فاحترق من خد الحبيب بجمرة) *

أقول هذا باب عقدناه لذكر من أوقعه النظر في الضرر المؤدي الى السهر اذ هو داعية الارق وزناد الحرق كم دعا الى الجماع المحرم بالاجماع فهو سهم مسموم وفعل مذموم وفي مبدئه يمكن استدراكه واسيره يرجى فكاكه فاذا تكرر ادى الى ما صعوبته كيت وكيت أما ترى الحبل بتكراره البئت كما قيل

كل الحوادث مبداها من النظر

ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها

فتك السهام بلا قوس ولا وتر

والمرء ما دام ذا عين يقلبها

في اعين العين موقوف على الخطر

يسر مقلته ما ضر مهجته

لا مرحبا بسرور جاء بالضرر

(قوله) وفي مبدئه يمكن استدراكه الى آخره وذلك ان الرجل تمر به المرأة فيكون ظاهر هيئتها وشكلها وصورتها مشاكلا لطبعه فتتحرك نفسه وتنبعث همته من أول نظرة فاذا تكرر نظره اليها ازداد حبه لها وان جلس حتى يراها صار الذي به أضعاف ما كان فان نظرت اليه نظرة افتتن بحبها وقع في أسر حبها ودخل في عداد العاشقين وهذا مما يؤيد قول من ذهب الى أن العشق اختياري لانه لم يصر عاشقا الا بعد وقوع هذه المقدمات وكان يمكنه حسم مادة ذلك بعد النظرة الاولى اللهم الا فيما اندر كما تقدم في ذكر النسوة اللاتي رأين يوسف عليه السلام ففتن من اول نظرة وكان يقال النظر من المحب موت عاجل ومن المحبوب سهم قاتل وكان يقال رب

واجهشت للنوباد حين رايته * وكبر للرحمن حين رآنى
واذريت دمع العين لما عرفته * ونادى باعلى صوته فدعانى
فقلت له قد كان حولك جيرة * وعهدى بذاك الصرم منذ زمان
وقلت له اين الذين عهدتهم * بقربك فى حفظ وطيب أمان
فقال مضوا واستودعونى ديارهم * ومن ذا الذى يبقى على الحدثان
وانى لابكى اليوم من حذرى غدا * فراقك والحيان مؤتلفان
سجالا وتهتانا و بلا وديمة * وسحا وتسجالا وتنهملان

وعن فتى من قيس اوهو رباح بن مالك قال لما أخذ المجنون الى مكة للاستشفاء كما مر مررت يوما واذا أنا بجماعة قد تعلقوا بشخص متغير اللون ناحل البدن وقدهم ان يلقى نفسه من جبل فسألت عنه فاذا هو المجنون خرج ليتنسم صبا نجد فقلت علام تحبسونه قالوا نخاف ان يجنى على نفسه ولو تقدمت اليه فاخبرته انك من نجد لسكنت روعه ففعلت فجعل يسألنى عن موضع موضع و يبكى احر بكاء ثم انشد

ألا حبذا نجد وطيب ترابها * وارواحها ان كان نجد على العهد
ألا ليت شعرى عن عويرضتى قبا * اطول الليالى قد تغيرتا بعدى
وعن جارتينا بالنخيل الى الحمى * على عهدنا أم لم يدوما على العهد
وعن علويات الرياح اذا جرت * بريح الخزامى هل تهب على نجد
وعن اقحوان الرمل ماهو صانع * اذا هو اثرى ليلة بثرى جعد
وهل اسمعن الدهر اصوات هجمة * تطالع من وهد خصيب الى وهد
وهل انفضن الدهر افنان لمتى * على لاحق المتنين منذاق الوخد

ومر يوما على جبلى نعمان وهو موضع من نجد به جبلان ليسا بالعظمين بينهما فاصل يسير فقال لرفقة معه هذا مكان يقرب من منزل كانت تنزل به ليلى قال فاى الرياح تهب منه قالوا الصبا فحلف لا يبرح من مكانه حتى تهب فمضوا وتركوه ثم عادوا بعد ثلاث فاقاموا معه حتى هبت فانشد

ايا جبلى نعمان بالله خليا * سبيل الصبا يخلص الى نسيمها
اجد بردها او تشف منى حرارة * على كبد لم يبق الا صميمها
فان الصبا ريح اذا ما تنسمت * على نفس مهموم تجلت همومها

قلت قال فى النزهة بعد ذكره هذه الابيات ان ابا الفرج بن الجوزى تزوج امرأة اسمها نسيم الصبا فاقام معها مدة ثم وقعت بينهما وحشة ففارقها فاشتد بها كلفه وزاد غرامه وراسلها فابت عليه وطال بينهما الامر وانها حضرت مجلس وعظه يوما فلاحت منه نظرة فرآها وقد استترت بجاريتين فتنفس الصعداء وأنشد يا جبلى نعمان الابيات فاستحيت ثم ذهبت وقد داخلتها الرقة له فحكت لبعض النساء ذلك فمضين فاخبرنه فراسلها فاجابت فتزوج بها ومر يوما بعد ما تمكن منه التوحش بليلى ظاعنة فلما رآها سقط مغشيا عليه فاخذ بعض قومها فمسح عنه التراب وسألوها ان تكلمه رقة عليه فاستعذرت من الخوف فارسلت امرأة تأمنها بالسلام والاستعطاف والاستعذار وانها لولا الخوف لاتته فلما بلغته المرأة ذلك ثاب اليه عقله وانشد

اقول لاصحابى هى الشمس ضوءها * قريب ولكن فى تناولها بعد
لقد عارضتنا ريح ليلى بنفحة * على كبدى من طيب أرواحها برد

عشق غرس من لحظه وخوب جنى من لفظه وكان يقال من اطلق طرفه كثر أسفه وكان يقال من كثرت لحظاته دامت حسراته (وقال اعرابى) العشق نبت بذره النظر وماؤه المزاودة ونماؤه الوصل وقتله الهجر وحصاده التجنى (وقال الصورى)

غرست الهوى باللحظ ثم احتقرته
واهملته مستأنسا متسامحا
ولم تدر حتى اينعت شجراته
وهبت رياح الوجد فيه لواقحا
فامسيت تستدنى من الصبر عازبا
عليك وتستدعى من النوم نازحا

(وقال الاصمعى) كنت فى بعض مياه العرب فسمعت الناس يقولون قد جاءت فتحرك الناس فقمت معهم فاذا بجارية قد وردت الماء ما رايت مثلها قط فى حسن وجهها وتمام خلقتها فلما رأت كثرة تشوف الناس اليها أرسلت برقعها فكانه غمامة غطت شمسا فقلت لم تمنعينا النظر الى وجهك هذا الحسن فانشأت تقول

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا
لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كله أنت قادر
عليه ولا عن بعضه أنت صابر

ثم نظر اليها اعرابى وقال انا والله عن قل صبره وانشد

أوحشية العينين اين لك الاهل
أبالحزن حلوا أم محلهم السهل
واية أرض أخرجتك فاننى
أراك من الفردوس ان فتش الاصل
فخبرينا ما طعمت وما الذى
شربت ومن اين استقل بك الرحل
لان علامات الجنان مبينة
عليك وان الشكل يشبهه الشكل

(أقول) هذا والله هو السحر الحلال والعذب الزلال قد اشتمل على مذهب اليمن الكلامى والبدر السامى فكانى بها وقد ذكرت له الاهل ووصفت من حيها وخدها الحزن والسهل

فمازالت مغشيا على وقد مضت * اناة ولا عندى جواب ولا رد

اقلب بالايدى واهلى تعولني * يفدوني لو يستطيعون ان يفدوا

ولم يبق الا الجلد والعظم عاريا * ولا عظم لى ان دام مابى ولا جلد

ادنياى مالى فى انقطاعى وغربتى * اليك ثوابا منك دين ولا نقد

عديني بنفسي انت وعدا فربما * جلا كربة المكروب عن قلبه الوعد

وقد يبتلى قوم ولا كبليتى * ولا مثل وجدى فى الشقاء بكم وجد

غزتنى جنوب الحب من كل جانب * اذا حان من جند قفول اتى جند

وسئل يوما وهو حاضر من الغمرة ما احسن ما رايت قال ليلى فقيل له ذلك معلوم وانما نعنى غيرها فقال ما رايت شيأ غيرها وذكرتها الا سقط من عيني الاظبيا رايته يوما فذكرت ليلى فزاد في عيني حسنا فانطلقت اعدو خلفه حتى كلت رجلاى وغاب من عيني فاخذت راحتى ثم انطلقت حتى وجدته وقد فتك به ذئب فاخذت سهما وضربت به الذئب فلم يخط قلبه فشققت بطنه واخرجت ما اكل فضممته الى ما بقى من الظبى ودفنته وانشد

ابى الله ان يبقى لحى بشاشة * فصبرا على ماشاءه الله لى صبرا

رأيت غزالا يرتعى وسط روضة * فقلت ارى ليلى تراءت لنا ظهرا

فياظبى كل رغدا هنيئا ولا تخف * فانك لى جار ولا ترهب الدهرا

وعندى لكم حصن حصين وصارم * حسام اذا اعملته احسن الهبرا

فما راعنى الا الذويب قد انتحى * فاعلق فى احشائه الناب والظفرا

فبوأت سهمى فى كتوم غمزتها * فخالط سهمى مهجة الذئب والنحرا

فاذهب غيظى قتله وشفى جوى * بقلبي ان الحر قد يدرك الوطرا

واجتمع اليه النساء يوما فقلن له اما آن لك ان تصرف عنك هوى ليلى ليرد اليك عقلك فانها امرأة من النساء وفينا عنها كفاية فاختر احدانا فقال لهن لو ملكت افعلت ولكنى مغلوب فقلن مااعجبك منها قال كل شئ رايته وسمعته فقلن صفها فانشد

بيضاء خالصة البياض كأنها * قمر توسط جنح ليل مبرد

موسومة بالحسن ذات حواسد * ان الجمال مظنة للحسد

وترى مدامعها ترقرق مقلة * سوداء تعرب عن سواد الاثمد

خود اذا كثر الكلام رايتها * تحمى الحمى واذا تكلم تقصد

وقال له رجل من قومه انى قاصد حى ليلى فهل عندك شئ تقوله لها قال نعم انشدها اذا وقفت بحيث تسمعك هذه الابيات

الله يعلم ان النفس قد هلكت * باليأس منك ولكنى امنيها

منيتك النفس حتى قد اضربها * وابصرت خلفا مما امنيها

وساعة منك الهوها ولو قصرت * اشهى الى من الدنيا وما فيها

قال الرجل فمضيت حتى وقفت بخيامها فلما امكنتنى الفرصة انشدت بحيث تسمع الابيات فبكت حتى غشى عليها ثم قالت ابلغه عنى السلام وانشده

نفسى فداؤك لو نفسى ملكت اذا * ما كان غيرك يجزيها او يرضيها

صبرا على ما قضاه الله فيك قلى * مرارة فى اضطرارى منك اخفيها

هنالك يأتيها سعيا على الرأس لا سعيا على القدم وتكون وجناتها أحب اليه من حمر النعم وينشد

أرينى مكان البدر ان أفل البدر
وقومى مقام الشمس ان بعد الفجر
ففيك من الشمس المنيرة ضوءها
وليس لها منك التبسم والثغر

(وحكى) انه دخل أصبهان مغن كان يتغنى بهذين البيتين

سماعا يا عباد الله منى
وكفوا عن ملاحظة الملاح
فان الحب آخره المنايا
وأوله شبيه بالمزاح

قلت وفى هذا دليل على ان العين هى التى تجلب الحين واذا كان ذلك كذلك فلنذكر هنا مناظرة وقعت بين القلب والعين ولوم كل منهما صاحبه والحكم بينهما وهى لما كانت العين رائدة ومحبة القلب زائدة وهذه لها لذة النظر وهذا له لذة الظفر كانا فى الهوى شريكى عنان وفرسى رهان فلما وقعا فى السهاد والحرق وأضر بصاحبهما الارق قال القلب يقول الارجانى اطرفه الجانى

تمتعتما يا مقلتى بنظرة
واوردتما قلبى أشر الموارد
أعينى كفا عن فؤادى فانه
من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

وقال أبو الطيب المتنبي

وأنا الذى اجتلب المنية طرفه
فمن المطالب والقتيل القاتل

(وقول الآخر)

عوقب قلبى وجنى ناظرى
وربما عوقب من لا جنى

(وقول الآخر)

نظر العيون الى العيون هو الذى
جعل الهلاك الى الفؤاد سبيلا
مازالت اللحظات تغزو قلبه
حتى تشحط بينهن قتيلا

(وقول الآخر) يا من يرى سقمى يزيد وعلى اعيب طبيبى * لا تعجبن فهكذا * تجنى العيون على القلوب

قال الرجل فلما بلغه ذلك بكى حتى غشي عليه ثم أفاق وهو يقول عجبت لعروة العذري البيتين السابقين في صدر القصة ولما أيس اهله منه وخالط الوحوش اخذوا يحتالون على اصلاحه فقال ابو يوما الشخص أريد ان تمر به فتذكر له ليلى وانك من عندها وانها تذكره كثيرا فاذا أعطاك سمعه وتمكنت منه فاذكر له انها تشتمه وتنقصه فعساه ان يداخله كرهها قال الرجل فمضيت حتى اجتمعت به واعلمته بذلك حتى ذكرت انها تشتمه فأنشد

تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضى * ويصدع قلبي ان يهب هبوبها
اذا هبت الريح الشمال فانها * جوابي بما يهدى الى جنوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما * هوى كل نفس حيث كان حبيبها
وحسب الليالي ان طرحنك مطرحا * بدار قلى تمسي وانت غريبها
حلال لليلى شتمنا وانتقاصنا * هنيئا ومغفور لليلى ذنوبها

هذا ما ذكر في الاصل وانكر في النزهة ذلك وقال ان أبا المجنون مات قبل اختلاط عقله كما سبق وفي تسريح الناظر ان الذي أمر الرجل بذلك زياد بن كعب احد بني عم المجنون وهو الاوجه وقيل للمجنون يوما اتحب ليلى قال نعم حبا خالط الدم ومازج الاعضاء قيل فما يغني حبك اياها وهي مريضة وانت لا تعودها فتنفس الصعداء وأنشد

يقولون ليلى بالصفاح مريضة * فماذا اذا يغني وانت صديق
شفى الله مرضى بالصفاح فانني * على كل شاك بالصفاح شفيق

وعن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن المسور بن مخرمة وكان واليا على الصدقات من قبل مروان أو عبد الملك وله صحبة عند الذهبي قال قدمت على بني عامر لاخذ اموال الصدقة فرأيت شخصا عاريا يلعب بالتراب فأمرت له بثوب فقيل لي لو كان يلبس لكان في مال ابيه كفاية فانه سيد الحي ولكنه قد تولع بحب امرأة قصيرته هكذا قال فقمت اليه وكلمته فلم يعقل فقيل لي ان أردت ان يفهم ما تقول فاذكر له ليلى فقلت أتحب ليلى قال نعم فقلت له اتريد ان ازوجك بها قال او يمكن ذلك قلت نعم فقال بالله من جميل لو ان أهل الارض شكروك معي لم يفوا فعند ذلك قام فلبس ثيابه واقام معه يوعده منه الى يوم يجتمع لهم فهم ليأخذه فاخبروه باهدار السلطان دمه فصرفه وقيل هموا بقتاله فصرفه انما كان خوف الفتنة فقال المجنون له والله انك لم تف بالوعد ثم مزق ما عليه وانصرف وفي الكتاب ما يشعر بان القصة مع محمد ابن نوفل وليس كذلك لما ستعرفه من ان نوفلا لم يزل من ذلك اليوم متطلبا لاخبار المجنون جامعا لاشعاره وانه قدم سنة من السنين يسأل عنه فقالوا لم نعرف له خبرا فركب في طلبه حتى لاح له ورآه باركا بين قطيع من الغزلان وقد غطاه شعره فقصد نوفل الشجرة مستخفيا وشربت الظباء وانصرفت فوقف المجنون يرعى هذا ما في الاصل وفي نزهة المشتاق انه انصرف معهم ولم يمكنه الاجتماع به فرجع متأسفا وشكا ما به الى شيخ كبير في بني سعد فقال له الشيخ ان للمجنون دابة يألفها وانها تحمل له الطعام والخبز احيانا فيأكل منهما ولو صحبتها امكن ان تظفر به ففعل فهرب المجنون منهما فرجع واخبر الشيخ فقال له الشيخ قد قرأت في سالف الاخبار ان سلطانا قال لوزيره اخبرني عن اعظم رائحة واقوى لذة واشد خاطر على الارض وقد امهلتك ثلاثا فان لم تجب حللتك بالسيف فمضى مهموما وكان له ابنة قد اتخذت قصرا مفتوحا الى الاربع جهات على قارعة الطريق للنزهة فلما رأت اباها

(وقال ابن مدرك) جرحت بلحظي خد الحبيب * فما طالب المقلة الغافله ولكنه اقتص من مهجتي * كذاك الديات على العاقله

فلما سمعت العين انشاده وفهمت مراده أشارت اليه وأخذت في الانكار عليه فقالت بالعجب من ظالم يتظلم وأخرس يتكلم أنفس من الخبر الذي شاع وذاع انك أنت الملك ونحن الاتباع ترسلني فيما تريد كالبريد وتعقب ذلك بالتهديد أما سمعت قول أبي هريرة رضي الله عنه القلب ملك والاعضاء جنوده فان طاب الملك طابت جنوده وان خبث الملك خبثت جنوده وقال سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله فبين ذنبي وذنبك اذاك كما بين عماي وعماك وقال علام الغيوب فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب فلما سمعت النفس ما دار بينهما من الجدال قالت في الحال

أنا ما بين عدويـن هما قلبي وطرفي
ينظر الطرف ويهوى الـ
قلب والمقصود حتفي

(وقال آخر)

يقول قلبي لطرفي اذ بكى جزعا
تبكي وأنت الذي حملتني الوجعا
فقال طرفي له فيما يعاتبه
بل أنت حملتني الآمال والطمعا
حتى اذا ما خلا كل بصاحبه
كلاهما بطويل السقم قد قنعا
نادتهما كبدي لا تعتبا فلقد
قطعتماني بما لاقيتما قطعا

(وقال آخر)

عاتبت قلبي لما * رأيت جسمي نحيلا
فالزم القلب طرفي
وقال كنت الرسولا
فقال طرفي لقلبي
بل انت كنت الدليلا
فقلت كفا جميعا * تركتماني قتيلا

قالت فكانا كما تقول العامة فقابين

استعطفته حتى اخبرها فاستسهلت الامر وقالت له اذا عدت اليه من الغد فأخبره ان أقوى رائحة رائحة الخبز واعظم الاشياء لذة الجماع واشد حافر على الارض البغال فلما أعلمه قال له اخبرني من أين لك ذلك فصدقه الامر فاستحضر البنت وقال لها ائن لم تخبريني عن تعليل ذلك والاضربت عنقك فانك بكر لم تعلى أحوال النساء ولا لذة الجماع فقالت أبد الله الملك ان قصري منفتح للاهوية فلم اجد من لدن قطنت به رائحة يستكيف بها الهواء أعظم من الخبز ولم يتحرك جدار القصر من شيء غير البغال واما الجماع فانى اخذته من شدة ألم الوضع وماشاهدت من مقاساة النساء فيه فلو لم يكن الجماع أعظم لذة ماعدن اليه والرأى عندى ان تصنع خبزا وتجعله فى طابق يضم بخاره وتفتحه حيث يشمه فانه يقف لعهد عهده به فتذكر له ليلى فيزداد أنسا قال الرجل فضيت وعملت برأى الشيخ وطبيت الخبز بالافاويه حتى اذا اقبل وهته من خلال الاراكة كشفت الخبز وصعدت لتشرب الظباء فشم بن وسرن ووقف يشم الرائحة فانشدته من الشجرة

أتبكي على ليلى ونفسك باعدت * مزارك من ليلى وشعبا كما معا

فاندفع يقول فما حسن ان يأتى الامر طائعا * وتجزع ان داعى الصبابة أجزعا

بكت عينى اليسرى فلما زجرتها * على الجهل بعد الحلم اسبلتا معا

واذكر ايام الحمى ثم انثنى * على كبدى من خشية ان يصدعا

فليست عشيات الحمى برواجع * اليك ولكن خل عينيك تدمعا

معى كل عز قد عصى عاذلاته * بوصل الغوانى من لدن ان ترعرعا

اذا راح يمشى فى الرداءين اسرعت * اليه العيون الناظرات التطلعا

ثم سقط مغشيا عليه فتمثلت بقوله

يادار ليلى بسقط الحى قد درست * الا الثمام والا موقد النار

ابلى عظامك بعد اللهم ذكركها * كما نحت قدح الشوحط البارى

ماتقتو الدهر من ليلى بموت كذا * فى موقف وقفته او على دارى

فرفع رأسه وقال من انت حياك الله فقلت له نوفل اخبرنى ما صنعت بعدى فانشد الاحبيت ليلى الابيات ثم اخذ يفاوضنى فى الكلام حتى سنح له قطيع ظباء فطفق يعدو حتى اختلط بها وفارقته فلم اره بعده قلت وفى النزهة انه تطلبه مرة اخرى غير هذه فوجده بين حجرين ميتا فأخذه ودفنه وسيجىء ذكر ما رأى له من الاشعار منقوشا فى التراب أورده آخر القصة على النمط السابق فى غيره ومر برجلين قد اصطادا ظبية وز بطاها فعزم عليهما ان يطلقاها فأبيا عليه فأطلقها بشاة من غنمه وانشد

شربت بكبش شبه ليلى ولو أبوا * لاعطيت مالى من طريف وتالد

فيا بائعى شبه الليلى قتلتما * وجنتما ما ناله كل عابد

فلو كنتما حرين ما بعتماقى * شبيها لليلى بيعة المتزايد

واعتقتماها رغبة فى ثوابها * ولم ترضيا فى ناقص غير زائد

وقيل ان الرجلين اخوه وابن عمه وانه أنشدهما متعرضا بخلهما

ياأخوىّ اللذين اليوم قد أخذا * شبه الليلى بحبل ثم غلاها

انى أرى اليوم فى أعطاف شاتكما * مشابها أشبهت ليلى فخلاها

صفاء عين وما احسن قول الآخر فوالله ما ادرى انفسى الومها * على الحب ام عينى القريحة أم قلبى

فان لمت قلبى قال لى العين أبصرت * وان لمت عينى قالت الذنب للقلب

فعينى وقلبى قد تشاركن فى دمى * فيارب كن عونا على العين والقلب

قلت والحاكم بينهما الذى يحكم بين الروح والجسد اذا اختصما كما ورد فى الخبر عن سيد البشر لاتزال الخصومة يوم القيامة بين الخلائق حتى تختصم الروح والجسد فيقول الجسد للروح أنت التى حركتنى وأمرتنى وصرفتنى والا فانا لم أكن أتحرك ولا أفعل شيأ بدونك فتقول الروح له وأنت الذى أكلت وشربت وتمتعت فانت الذى تستحق العقوبة فيرسل الله سبحانه وتعالى ملكا يحكم بينهما فيقول مثلكما مثل مقعد بصير وأعمى يمشى دخلا بستانا فقال المقعد للاعمى انا أرى فيه من الثمار ولكن لا استطيع القيام وقال الاعمى أنا أستطيع القيام ولكن لا أبصر شيأ فقال المقعد تعال فاحملنى فانت تمشى وأنا أتناول فعلى من تكون العقوبة فيقولان عليهما فيقول فكذلك أنتما

* (فصل فى ذكر سحر الجفون ونبل العيون) *

فمن ذلك قول بشاروهو أغزل بيت قالته الشعراء فيما حكاه قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان

أنا والله أشتهى سحر عينيـ * ـك وأخشى مصارع العشاق

(ونقل) شيخنا الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبى فى تاريخ الاسلام عن ابن حيوس انه قال من اغزل ما أعلم قول عبد المحسن الصورى

يا الذى ألهم تعذيـ * بى ثناياك العذابا

ما الذى قالته عينا * ك لقلبى فأجابا

قلت وهما اغزل من قول جرير ان العيون التى فى طرفها حور * يقتلننا ثم لا يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به *

وانه عرض عليهما القتل حين أبيا افلاتهما لانه كان أجلدمنهما وفى رواية فداها بقلوص ولما ذهبت تعدوانشدا ياشبه ليلى الابيات وزادهنا

فعيناك عيناها وجيدك جيدها * ولكن عظم الساق منك دقيق

قدوردت هذه الرواية من طرق كثيرة وفى احداها يا صاحبى اللذان وهو واسلم من الزحاف هذا ما لخص من صحيح أخباره واما ماقيل من انه مر بزوج ليلى وهو فى حى بنى عامر عند ابن عم له يصطلى فوقف على رأسه وانشد

بربك هل ضممت اليك ليلى * قبيل الصبح اوقبلت فاها

وهل زفت عليك قرون ليلى * زفيف الاقحوانة فى نداها

فقال اما اذ احلفتنى فنعم فصرخ المجنون وقبض الجمر بكلتا يديه وسقط مغشيا عليه فأكل الجمر لحم راحتيه وقام زوج ليلى مغموما وماقيل أيضا من ان ابا المجنون طرقه ضيوف ليلا فارسله الى أبى ليلى ليقترض منه سمنا فامرها ابوها ان تخرج اليه بنحى فتملأ وعاءه فجعلت تسكب فيه ويتحادثان حتى غرقت ارجلهما وانه جاءها ليلة أخرى يستقبسها نارا فخرجت اليه بقضبة فكان يتحدث معها ويقطع من بردعليه يعلق به النار وكلما احترقت قطعة اخذ أخرى حتى صار عريانا فلم يصح اسناده عندنا كقصة غيره ومثل ذلك ماقيل من ان جنونه كان مجازاة لقوله قضاها الغيرى اوسماع هاتف أنشده

كلانا مغرم فى حب ليلى * بفى وفيك من ليلى التراب

فاختلط عقله واما حال موته فالصحيح ماقدمناه وقيل ان رجلا شاميا كان مغرما باشعاره واشعار قيس بن ذريح قدم للاجتماع به أوالرجل من بنى جعدة اومرة اوهو الصباح بن عامر الكنانى أقوال فسأل اهله عنه فاخبروه انه متوحش من الانس الاصديقا له يذهب اليه فى كل يوم يكتب مايقول من الاشعار ودابة تذهب اليه بطعام فمضى اليهما يسألهما الحيلة فى الاجتماع عليه فقالا له اقصده فى موضع كذا فستجده جالسا قدخط حوله التراب وهو يعبث باصابعه فيه فاذا رآك اخذ الاحجار وهم بضربك فاصرف بصرك عنه وأطل الجلوس ثم انشد مايحضرك من شعر قيس فانه مغرم به فاذا فعلت بلغت ماتريد منه فمضى الرجل يقتفى أثره حتى وجده على ماوصف فلما انس به قال رحم الله قيسا حيث يقول

نبيت ونضحى كل يوم وليلة * على منهج تبكى عليه القبائل

قتيل للبنى صدع الحب قلبه * وفى الحب شغل للمحبين شاغل

فقال انا والله اشعر منه حيث أقول

سلبت عظامى لحمها فتركتها * معرقة تضحى اليه وتخصر

واخليتها من مخها وكانها * قوارير فى اجوافها الريح تصفر

اذا سمعت ذكر الفراق تقطعت * علائقها مما تخاف وتحذر

خذى بيدى ثم انهضى بى تبينى * بى الضر الاانى أتستر

ثم انساب يعدو وفارقته فلما كان اليوم الثانى جئت على العادة وانشدت قول قيس

تبادر ام تروح غدا ارداحا * ولن يستطيع مرتهن براحا

سقيم لايصاب له دواء * أصاب الحب مقلته فباحا

وعذبه الهوى حتى براه * كما القيت بالسفن القداحا

ومن اضعف خلق الله انسانا (وانشد) صاحب (٦٤) المرقص والمطرب لولم امت بالعظ قال العذل * ماقيمة السيف الذى لايقتل

(وقال ابن سهل الاشبيلى) فى مطلع موشحه

الحاظها للقتل * فى كرها أوفى نصيب

ترمى وكلى مقتل * وكلها اسهم مصيب

(وقال الملك الناصر داود صاحب الكرك)

بابى أهيف اذا رمت منه

لثم ثغر يصدنى عن مرامى

قدحمى خده بسور عذار

مقلتاه أضحت عليه مرامى

* (فصل فى وصف العيون الضيقة وغيرها) * قال ابن النبيه

يصد بطرفه التركى عنى

صدقتم ان ضيق العين بخل

(وقال أيضا)

من بنى الترك لين العطف قاسى ال

قلب سهل الخداع صعب المراسى

ضيق العين وهو من صفة البخ

ل فان جاد كان ضد القياس

بحذ القوس فاكتست وجنتاه

ثوب ورد طرازه من آس

ورمى عن قوسين سهمين هذا

فى فؤادى وذاك فى القرطاس

(وقال ابن قرناص)

علقته تتريا * يشجى القلوب بعينه

لايرتجى الجود منه

بالوصل من ضيق عينه

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)

بهت العذول وقد رأى الحاظه

تركية تدع الحليم سفيها

فثنى الملام وقال دونك والاسى

هذى مضايق لست أدخل فيها

(وقال الشيخ صفى الدين الحلى)

لى من تتم رشا اذا غازلته

كادت لواحظه بشعر تنطق

ان شاء يلقانى بخلق واسع

عند اللقاء لقاه طرف ضيق

(حكى) الخرائطى عن بعض العلويين قال بينما أنا واقف على الحسن بن هانئ فكاد

فكاد يذيقه جرع المنايا * ولو اسقاه ذلك لاستراحا

فقال أنا أشعر منه حيث أقول

فما وجد مغلوب بصنعاء موثق * لساقيه من ثقل الحديد كبول

قليل الموالى مستهام مروع * له بعد نومات العشاء عويل

يقول له الحداد انت معذب * غداة غد أو مسلم فقتيل

باعظم منى روعة يوم راعنى * فراق حبيب ما اليه سبيل

ثم فعل فعلته بالامس وعاودته فقلت احسن والله قيس حيث يقول

ألا يا غراب البين ويحك أنبنى * بعلمك فى لبنى وأنت خبير

فان أنت لم تخبر بشئ علمته * فلا طرت الا والجناح كسير

ودرت بأعداء حبيبك بينهم * كما قد ترانى بالحبيب أدور

وفى رواية ابن الاعرابى

ألا يا غراب البين هل انت مخبرى * بخير كما خبرت بالنأى والشر

وخبرت أن قد جد بين وقربوا * جمالا لبنى منقلات من العذر

وهجت فذى عين لبنى مريضة * اذا ذكرت فاضت مدامعها تجرى

وقلت لذاك الدهر مازال فاجعا * صدقت وهل شئ بباق على الدهر

فقال له المجنون احسن والله لكنى اشعر منه حيث أقول * كان القلب البيتين فامهلته حتى فرغ ثم قلت واحسن قيس أيضا حيث يقول * وانى لمفن دمع عينى بالبكا * الابيات السابقة فى قصة قيس قال فبكى حتى ظننت انه فاضت نفسه ثم قال احسن والله وانا اشعر منه حيث أقول

وادنيتنى حتى اذا ما سبيتنى * بقول يحل العصم سهل الاباطح

تناءيت عنى حين لا لى حيلة * وغادرت ما غادرت بين الجوانح

قال ولم أزل أعاوده ا كتب ما يقول الى ان تطلبته فوجدته بين أحجار ميتا وفى رواية ان هذا الرجل لم يجتمع به وأخرى رآه ميتا ملقى ولا قد دلت عليه دابته وانه لم يكتب اشعاره الا من عند صديقه المتقدم ذكره وبالجملة فمحل الاجماع انه وجد ميتا فاحتمل وغسل ودفن وحضر جنازته جميع بنى جعدة وسعد والحريش وحضر ابو ليلى فاظهر جزعا شديدا وتنصل واعتذر بانه لم يعلم ان امره يفضى الى هذه الحالة ولو يعلم لاحتمل العار وزوجه ولما غسل وجدوا الرقعة مكتوبا فيها

ألا أيها الشيخ الذى ما بنا يرضى * شقيت ولا هنئت من عيشك الخفضا

شقيت كما أشقيتنى وتركتنى * أهيم مع الهلاك لا اطعم الغمضا

كأن فؤادى فى مخاليب طائر * اذا ذكرت ليلى يشد به قبضا

كأن فجاج الارض حلقة خاتم * على فما تزداد طولا ولا عرضا

وقيل ان ليلى توفيت قبله وانه سمع هاتفا يقول

أمنعية بالموت ليلى ولم تمت * كأنك عما قد اظلك غافل

فسقط ميتا وهذا أمر يتعذر الوصول الى تحقيقه وله اشعار كثيرة بلا أسباب من محاسنها قوله

أتانى هواها قبل ان أعرف الهوى * فصادف قلبا فارغا فتمكنا

ومنها تقول العدا لابارك الله فى العدا * تقاصر عن ليلى ورثت رسائله

فوقف عليه اعرابى ومعه ابن له فقال أعد على فاعاد عليه فقال يا ابن أخى أويلك أنت وحدك من هذا ويلى أنا وأنت وويل ابنى هذا وويل هذه الجماعة وويل جيراننا كلهم (وقال سبط التعاويذى)

بين السيوف وعينيه مشاركة

من أجلها قيل للاغماد اجفان

(وقال رشيد الدين الفارقى)

ان فى عينك معنى

حدث النرجس عنه

ليت لى من غضه سهما فقى قلبى منه

(قال محمد بن العفيف التلمسانى)

لحاظك أسياف ذكور فعالها

كما زعموا مثل الارامل تغزل

(وله أيضا)

يا عاشقين حاذروا

مبتسما عن ثغره

فطرفه الساحر قد

شككتم فى أمره

يريد أن يخرجكم

من أرضكم بسحره

(وقال أيضا)

قضاة الحسن ماضيهى بطرف

تمنى مثله الرشا الربيب

رمى فاصاب قلبى باجتهاد

صدقتم كل مجتهد مصيب

(وقلت أنا من قصيد)

حبيب نازل فى كل قلب

وسيف لحاظه يهوى النزالا

يرى قتل المحب بلا دليل

ولا سيما اذا أبدا الدلالا

اذا استقبلت سيف اللحظ منه

رأيت الموت من ماضيه حالا

(وقلت أيضا من قصيد)

تغار الشمس منها حين تبدو

ولو أصبحت ليلى تدب على العصا * لكان هوى ليلى جديدا أوائله

ومنها

فلو تلتقي في الموت روحي وروحها * ومن بين رمسينا من الارض منكب

لظل صدى رمسي وان كنت رمة * لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

قلت قال في النزهة وشتان ما بين هذا وما بين قول توبة في ليلى الاخيلية

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت * على ودوني جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

اقول وفحوى الكلام ان قول المجنون ابلغ لان تلاقي روحي ميتين أعظم في جانب المبالغة من تلاقي حي وميت وكلام توبة من الثاني ويمكن نقل هذا الى مبحث حكمي وعكس كلام صاحب النزهة فقد اجمعت الحكماء بل وأصحاب الشرع بان استلذاذ الارواح وادراكها بعد مفارقة الهيا كل الجسمية اشد وأقوى فتأمله ومنها

فلو زرت بيت الله ثم رأيتها * بابوابه حيث استجار حمامها

لمست ثيابي ان قدرت ثيابها * ولم ينهني عن مسهن حرامها

ولو شهدتني حين تأتي منيتي * جلا سكرات الموت عني ابتسامها

ومنها

اقول لالاف ذات يوم لقيته * بمكة والانضاء ملقى رحالها

بربك اخبرني الم تأثم التي * أضر بجسمي من زمان خيالها

فقال بلى والله سوف يمسها * عذاب وبلوى في الحياة تنالها

فقلت ولم أملك سوابق عبرة * سريع الى جيب القميص انهمالها

عفا الله عنها ذنبها وأقالها * وان كان في الدنيا قليلا نوالها

ومنها

وأحبس عنك النفس والنفس صبة * بذكراك والممشي اليك قريب

مخافة أن يسعى الوشاة بظنة * وأحرسكم أن يستريب مريب

لقد جعلت نفسي وأنت اخترمتها * وكنت أعز الناس عنك تطيب

فلو شئت لم أغضب عليك ولم يزل * لك الدهر مني ما حييت نصيب

أما والذي يبلو السرائر كلها * ويعلم ما تبدي به وتغيب

لقد كنت مما تصطفي النفس خلة * لها دون خلان الصفاء حجوب

ومنها

ألا ليت ليلى أطفأت حر زفرة * أعالجها لا استطيع لها ردا

اذا الريح من نحو الحمى نسمت لنا * وجدت لمسراها ومنسمها بردا

على كبد قد كاد يبدي بها الهوى * ندوبا وبعض القوم يحسبني جلدا

واني يمانى الهوى منجد النوى * سبيلان القى من خلافهما جهدا

سقى الله نجدا من ربيع وصيف * وماذا ترجى من ربيع سقى نجدا

بلى انه قد كان للعيش مدة * وللعيش والركبان منزلة حمدا

أبى القلب ان ينفك من ذكر نسوة * رقاق لم يخلقن شوها ولا نكدا

اذا رحن يسحبن الذيول عشية * ويقتلن بالالحاظ انفسنا عمدا

مشاعيط لات رج بخصورها * روادف وعثات ترد الخطا ردا

وتهتز ليلى العامرية اذ مشت * ولاثت بثوب القز اغدر جعدا

اذا حرك المدرى ضفائرها العلا * مزجن بذي الريحان والعنبر الوردا

(وقلت ايضامن قصيدة) آلت لواحظه على اهل الهوى ان لاترى قتلى بغير مهند ترنو وصارم لحظه في جفنه

ماضي الغرار ولم يمس باغمد

فاذا تجرد للمحب فلا تسل

من سيف جفن كالحسام مجرد

(وقلت أيضامن قصيدة)

غزال غزاني باللحاظ لانه

اذا ما بدا في حومة الحرب ضيغم

يكلمني الحاظه بسيوفها

ولم تر قبلي ميتا يتكلم

(وقلت من قصيدة)

تسل سيوفا من لواحظ طرفها

ولكن لها من عادة الجفن غامد

تجردها والدمع كالنيل سائح

فما تنثني الا وسيحان جامد

(وقلت أيضامن قصيد)

يرنو الي بعين نون حاجبها

كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان

أمير حسن من الاتراك حاجبه

على المحب له في مصر سلطان

غزت لواحظه في أهل مصر كما

غزا الانام بأرض الشام غازان

وأما الحور فقد اختلف الناس فيه فقال أبو عبيدة الحوراء الشديدة بياض العين في شدة سواد سوادها وقال يعقوب الحور سعة العين وكبر المقلة وكثرة البياض وقال قطرب الحوراء الحسنة المحاجر صغرت العين أم كبرت وقال أبو عمرو الظبية الحوراء السوداء العين التي ليس في عينها بياض ولا يكون هذا في الانس انما يكون في الوحش واشتقاق حور يدل على صحة ما قاله يعقوب وأبو عبيدة لانهم انما يوقعونه في الغالب على البياض مثل الدقيق الحوارى للدرمك الشديد البياض وقلما يتفق بياض العين الامع شدة سوادها الان بياضها مع الزرقة ليس هنالك في النقاء وقد اكثر الشعراء في وصف العين بالحور والسواد وقل في شعرهم وصف العين الزرقاء على انه جاء في حديث عائشة رضي الله عنها

ومنها

ومنها أبى القلب الا حبه عامرية * لها كنية عمرو وليس لها عمرو
تكاد يدي تندى اذا ما لمستها * وتنبت فى اطرافها الورق الخضر

ومنها وقد ضعف فعاده الناس ولم تعده ليلى فانشد

ألا ما لليلى لا ترى عند مضجعي * بليل ولا يجرى بذلك طائر
بلى ان عجم الطير تجرى اذا جرت * بليلى ولكن ليس للطير زاجر
أزالت عن العهد الذى كان بيننا * بذى الايك ام قد غيرتها المقادر
فوالله ما فى القرب لى منك راحة * ولا البعد يسليني ولا أنا صابر
ووالله ما ادرى بأية حيلة * وأى مرام او خطار اخاطر
وتالله ان الدهر فى ذات بيننا * على لها فى كل حال لجائر
فلو كنت اذ ازمعت هجرى تركت لى * جميع القوى والعقل منى وافر
ولكن أيامى بحقل عنيزة * وبالردم ايام حبا بها التجاور
وقد اصبح الود الذى كان بيننا * أمانى نفس والمؤمل حائر
لعمرى لقد كدرت يا ام مالك * حياتى وساقتنى اليك المقادر

ومنها فوا كبدى من حب من لا يحبنى * ومن زفرات ما لهن فناء
ارتيك ان لم اعطك الحب عن يد * ولم يك عندى اذا ابيت اباء
أتاركتى للموت انت فميت * وما للنفوس الخائفات لقاء

ومنها وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من اعين الجن نظرة * ولو عقلوا قالوا به نظرة الانس

ومنها وشغلت عن فهم الحديث سوى * ما كان فيك فانتم شغلى
وأرى جليسى اذ يحدثنى * ان قد فهمت وعندكم عقلى

ومنها سرت فى سواد القلب حتى اذا انتهى * بها السير وارتادت حمى القلب حلت
فللعين تهمال اذا القلب ملها * وللقلب وسواس اذا العين ملت
و والله ما فى القلب شئ من الهوى * لاخرى سواها اكثرت أم أقلت

ومنها ذكرت عشية الصدفين ليلى * وكل الدهر ذكراها جديد
على أليّة ان كنت ادرى * اينقص حب ليلى ام يزيد

ومنها ياويح من امسى تخلس عقله * فاصبح مذهوبا به كل مذهب
خليا من الخلان الا معذرا * يضاحكنى من كان يهوى تجنبي
اذا ذكرت ليلى عقلت وارجعت * روائع عقلى من هوى متشعب
وقالوا صحيح ما به طيف جنة * ولا الهم الا بافتراء التكذب
تجنبت ليلى اذ يلج بك الهوى * وهيهات كان الحب قبل التجنب
الا انما غادرت يا أم مالك * صدى اينما يذهب به الريح يذهب
ولم أر ليلى بعد موقف ساعة * بخيف منى ترمى جمار المحصب
وتبدى الحصا منها اذا قذفت بها * من البرد اطراف البنان المخضب
فاصبحت من ليلى الغداة كناظر * مع الصبح فى اعقاب نجم مغرب

ومنها وانى لمجنون بليلى موكل * ولست عزوفا عن هواها ولا جلدا

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الزرقة فى العين يمن (وقال بعض العرب) احبك ان قالوا بعينك زرقة *
كذلك عتاق الطير زرق عيونها

ومن هنا اخذ العبدى قوله حين قال له معاوية انك احمر فقال والذهب احمر فقال انك لازرق فقال والبازى ازرق

(الباب الخامس فى ذكر تغير الالوان عند العيان من صفرة وجل وحمرة خجل وما فى معنى ذلك من عقد اللسان وسحر البيان)

اقول هذا باب عقدناه لذكر تغير لونى المحبين اذا وقعت العين فى العين وهرب الدم الى شبكة الدماغ فقال له الحاجز الى اين وقد نصت الاطباء على السبب فى ذلك وجعلوا من اصفرار المحب واحمرار المحبوب سواد كل حالك وانا اورد هنا ما قالوه بنصه واصوغه كالخاتم بفصه واعقبه بذكر الوان الحسان بأحسن بيان وأوضح تبيان هذا مع ما يجر فى ذيل ذلك من التفضيل بين السمر والبيض ووقوع محب الحسان من الشعور والارداف فى الطويل العريض واختم ذلك بفصل فى ذكر ما يعترى المحب من خفقان قلبه وطيران عقله ولبه فاقول وبالله التوفيق (قال بعض الاطباء) سبب اصفرار وجه العاشق الفزع فان الدم لا يأوى مع الفزع وربما نظر المعشوق الى العاشق فجأة فيضطرب قلبه وتشتعل الحرارة ثم تخمد فاذا خمدت برد التامور فاذا برد التامور جمد الدم واستحال اللون الى السواد والخضرة ثم يستقر فيصفر واما احمرار وجه المعشوق فمن الخجل والخجل عرض من حركة تامور القلب فيتحلل الدم ولطفه فيظهر فى ادق مكان فى الوجه وذلك عند معالجة الحرارة العرضية ومجاهدتها الدم لما يندفع فيطلب الخلاص حتى ينتهى الى تحت الرأس فيمنعه الحاجز من النفوذ فيهبط الى الوجه فيحمر الوجه قالوا والوجه الرقيق البشرة الصافى الاديم

اذاذكرت ليلى بكيت صبابة * لتذكارها حتى يبل البكا الخدا

ومنها ألا ياحمام الايك مالك باكيا * أفارقت الفا أم جفاك حبيب

دعاك الهوى والشوق لما ترنمت * هتوف الضحى بين الغصون طروب

تجاوب ورقا قد أذن لصوتها * فكل لكل مسعد ومجيب

ومنها لقد غردت فى جنح ليل حمامة * على الفها تبكى وانى لنائم

كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا * لما سبقتنى بالبكاء الحمائم

ومنها اذا قربت دارى كلفت وان نأت * اسفت فلا بالقرب اسلو ولا البعد

وان وعدت زاد الهوى لانتظارها * وان بخلت بالوعد مت على الوعد

ففى كل حب لامحالة فرحة * وحبك مافيه سوى محكم الجهد

ومنها وهو كما قال فى النزهة من الاشعار التى قيلت على الاوهام قال لما حضر وابه فى مكة بات ليلة فجعل يحدث نفسه كالذى فى النوم ويعاتب امرأة حاضرة فقيل له فى ذلك فحلف ان ليلى كانت الى جانبه فى هذا الوقت ثم انشد

طرقتك بين مسبح ومكبر * بحطيم مكة حيث كان الابطح

فحسبت مكة والمشاعر كلها * وجبالها باتت بمسك تنفح

ومنها لئن نزحت دار بليلى لربما * غنينا بخير والزمان جميع

وفى النفس من شوقى اليك حرارة * وفى القلب من وجدى عليك صدوع

وأما قصيدته الموسومة بالمؤنسة فهى أطول قصيدة انشدها وواظب عليها قيل انه كان يحفظها دون اشعاره وانه كان لايخلو بنفسه الاو ينشدها وهى من محاسن الاشعار وأرقها لفظا وأعذبها سبكا والطفها شجوا وابلغها نسيبا وغزلا تهيج الشجون وتعين المحزون وللناس فى الاقتصار على بعضها والاستصفاء منها اختلاف كثيراحسنه

تذكرت ليلى والسنين الخواليا * وأيام لا اعدى على الدهر عاديا

ويوم كظل الرمح قصرت ظله * بليلى فلهانى وما كنت لاهيا

فياليل كم من حاجة لى مهمة * اذا جئتكم باليل لم ادر ماهيا

خليلى الاتبكيانى التمس * خليلا اذا انزفت دمعى بكى ليا

فما اشرف الايفاع الاصبابة * ولا انشد الاشعار الاتداويا

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن ان لاتلاقيا

لحى الله اقواما يقولون اننا * وجدنا طوال الدهر للحب شافيا

وعهدى بليلى وهى ذات مؤصد * ترد علينا بالعشى المواشيا

فشب بنو ليلى وشب بنو ابنها * واعلاق ليلى فى فؤادى كماهيا

اذا ما جلسنا مجلسا نستلذه * تواشوا بنا حتى امل مكانيا

سقى الله جارات لليلى تباعدت * بهن النوى حيث احتللن المطاليا

بثمرين لاحت نار ليلى وصحبتى * بقرع العصا ترجى المطى الحوافيا

فقال بصير القوم لمحة كوكب * بدافى سواد الليل من ذى يمانيا

فقلت لهم بل نار ليلى توقدت * بعليا تسامى ضوءها فبداليا

خليلى لا والله لا املك الذى * قضى الله فى ليلى ولا ماقضى ليا

قضاها

اذا خجل يحمر واذا فزع يصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته قال الشاعر حمرة خلط صفرة فى بياض

مثل ماحاك حائك ديباجا

وقالوا الحمرة لون الانسان يولدها الفرح والصحة والنعمة وصفرة لونه يولدها الفزع والبؤس والغم والسقم واما احسن الالوان فانه الاحمر بدليل ان الدم صديق الروح والحمرة لونه وافضل الياقوت وافخره الاحمر وأجود الذهب احمره وافضل العسل الذهبى والياقوتى وتمدح الارض بحمرة التربة واكرم الخيل اشقرها وهى ديباجها واكرم الابل حمرها وهى التى قال النبى صلى الله عليه وسلم وهو يعظم مقدار ذلك لو ان لى حمر النعم ولوان لى طلاع الارض ذهبا واحسن الانوار الورد والشقائق والجلنار واحسن الحال المصبوغة المعصفرة واحسنها ما كان صبغة القرمز واحسن الخمر الحمراء ولذلك وصفتها الشعراء بلون النار والعندم والعصفر والياقوت والعبقر واحسن الالوان المخلوقة النار ومن اجل ذلك اكتنى عبد العزى بن عبد المطلب ابالهب وكان يكنى قبل ذلك اباعتبة لانه كان من احسن الناس وجها وكانوا يشبهون احمرار وجهه بلهيب النار لانه كان مشرق الوجه ملتهبه كما كنى النبى صلى الله عليه وسلم ابا المهلب ابا صفرة لصفرة كانت فى وجهه ويقال فى المثل كأن وجهه النار وكأن فى وجنته الجمر وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اهلك الرجال الاحمران واهلك النساء الاحامرة والاحمران الخمر واللحم والاحامرة الذهب والزعفران والخمر واللحم قال الشاعر

ان الاحامرة الثلاثة ضيعت

مالى وكنت بهن قدما مولعا

الخمر واللحم السمين وساطلى

بالزعفران فلا ازال مروعا

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعجبه الطائر الاحمر وقال وهب بن عبد الله مارأيت ذالمة سوداء فى حلة حمراء

قضاها لغيري وابتلاني بحبها * فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا
وخبرتماني أن تيماء منزل * لليلى اذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت * فما للنوى ترمي بليلى المراميا
ولو ان واش باليمامة داره * وداري بأعلى حضرموت أتانيا
وماذا لهم لا احسن الله حالهم * من الحظ في تصريم ليلى حباليا
وقد كنت أعلو حب ليلى فلم يزل * بي النقض والابرام حتى علانيا
فيارب سو الحب بيني وبينها * يكون كفافا لا علي ولا ليا
فما طلع النجم الذي يهتدى به * ولا الصبح الا هيجا ذكرها ليا
ولا سرت ميلا من دمشق ولا بدا * سهيل لاهل الشام الا بدا ليا
ولا سميت عندي لها من سمية * من الناس الا بل دمعي ردائيا
ولا هبت الريح الجنوب لارضها * من الليل الا بت للريح حانيا
فان تمنعوا ليلى وتحموا بلادها * علي فلن تحموا علي القوافيا
فاشهد عند الله اني احبها * فهذا لها عندي فما عندها ليا
قضى الله بالمعروف منها لغيرنا * وبالشوق مني والغرام قضى ليا
وان الذي املت ياام مالك * أشاب فؤادي واستهان فؤاديا
أعد الليالي ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لا أعد اللياليا
واخرج من بين البيوت لعلني * احدث عنك النفس بالليل خاليا
اراني اذا صليت يممت نحوها * بوجهي وان كان المصلى ورائيا
ومابي اشراك ولكن حبها * وعظم الجوى اعيى الطبيب المداويا
احب من الاسماء ماوافق اسمها * واشبهه أو كان منه مدانيا
خليلي ليلى اكبر الحاج والمنى * فمن لي بليلى اومن ذا لها بيا
لعمري لقد أبكيتني ياحمامة الـ * ـعقيق وأبكيت العيون البواكيا
خليلي ما ارجو من العيش بعدما * أرى حاجتي تشرى ولا تشترى ليا
وتجرم ليلى ثم تزعم انني * سلوت ولا يخفى على الناس مابيا
فلم أر مثلينا خليلي صبابة * أشد على رغم الاعادي تصافيا
خليلان لا ترجو اللقاء ولا ترى * خليلين الا يرجوان تلاقيا
واني لاستحييك ان تعرض المنى * بوصلك أو ان تعرضي في المنى ليا
يقول اناس علّ مجنون عامر * يروم سلوا قلت اني لمابيا
بي اليأس أو داء الهيام اصابني * فاياك عني لا يكن بك مابيا
اذا ما استطال الدهر ياام مالك * فشأن المنايا القاضيات وشانيا
اذا اكتحلت عيني بعينك لم تزل * بخير وجلت غمرة عن فؤاديا
فانت التي ان شئت اشقيت عيشتي * وانت التي ان شئت أنعمت باليا
وانت التي مامن صديق ولا عدو * يرى نضو ما ابقيت الا رثى ليا
أمضروبة ليلى على ان ازورها * ومتخذ ذنبا لها ان ترانيا
اذا سرت في الارض الفضاء رأيتني * أصانع رحلي ان يميل حياليا

(واما قول الشاعر)
هجان عليها حمرة في بياضها
تروق به العينين والحسن أحمر
فانه عنى به الحسن في حمرة اللون مع البياض دون غيره من الالوان وقال ابن عبد ربه الحسن احمر وقد تضرب فيه الصفرة اطول المكث في الكن والتضمخ بالطيب
(قال اعرابي)
وما تسليت من صفراء حالية
كالعاج صفرها الا كنان والطيب
(وقال آخر)
كأن لون البيض في الادجي
لونك لولا صفرة الجادي
يريد انها تتضمخ بالجادي وهو الزعفران وصفرة البيضة لا تدرك صفرته وقالوا الجارية الحسناء تتلون تلون الشمس فهي بالضحى بيضاء وبالعشاء صفراء
(قال الشاعر)
بيضاء ضحوتها وصفـ
راء العشية كالعرار
(وقال بشار بن برد)
فخذي محاسن زينة
ومعصفرات هن أفخر
فاذا لبسنا فادخلي
في الحمران الحسن أحمر
وقال الحريري في درة الغواص أما قولهم الحسن أحمر فمعناه انه لا يكتسب مافيه الجمال الا بتحمل مشقة كما يحمار منها الوجه كما قالوا السنة الجدبة حمراء وكنوا عن الامر المستصعب بالموت الاحمر كما قيل
واذا رأت عيناك طرفا أسودا
فاعلم بان هناك موتا أحمرا
واحسن زينة النساء في اجسادهن الخضاب ولذلك أطنبت فيه الشعراء وشبهوه بالعناب وغير ذلك (قال ابونواس فيه)
يا قمرا ابصرت في مأتم * يندب شجوا بين أتراب

يمينا اذا كانت يمينا وان تكن * شمالا ينازعني الهوى عن شماليا
واني لاستغشي ومابي نعسة * لعل خيالا منك يلقى خياليا
هي السحر الا ان للسحر رقية * واني لا الفي لها الدهر راقيا
ومنها
اذا نحن ادلجنا وانت امامنا * كفى لمطايانا بذكراك هاديا
ذكرت نار شوقي في فؤادي فاصبحت * لها وهج مستضرم في فؤاديا
ألا ايها الركب اليمانون عرجوا * علينا فقد امسى هوانا يمانيا
أسائلكم هل سال نعمان بعدنا * وحب الينا بطن نعمان واديا
ألا يا حمامي بطن نعمان هجتما * على الهوى لما تغنيتما ليا
وأبكيتماني وسط صحبي ولم أكن * ابالي دموع العين لو كنت خاليا
و يا ايها القمريتان تجاوبا * بلحنيكما ثم اسجعا علانيا
فان أنتما استطربتما أو أردتما * لحاقا باطلال الغضى فاتبعانيا
ألا ليت شعري ما لليلى ومااليا * وما للصبا من بعد شيب علانيا
ألا ايها الواشي بليلى ألا ترى * الى من تشيها اولمن انت واشيا
اثن طعن الاحباب يا ام مالك * فما طعن الحب الذي في فؤاديا
فيارب اذ صيرت ليلى هي المنى * فزني بعينيها كما زنتها ليا
والا فبغضها الي وأهلها * فاني بليلى قد لقيت الدواهيا
على مثل ليلى يقتل المرء نفسه * وان كنت من ليلى على اليأس طاويا
خليلي ان ضنوا بليلى فقربا * لي النعش والاكفان واستغفرا ليا

(اخبار عروة بن حزام وصاحبته عفراء)

هو عروة بن حزام بن مالك بن حزام بن ضبة بن عبد بن عذرة شاعر لبيب حاذق متمكن في العشق قيل انه اول عاشق مات بالهجر من المخضرمين أو من العذريين ولشدة مقاساته في العشق ضرب به المثل بين العرب والمولدين قال المجنون عجبت لعروة العذري البيت وقال أبو عيينة

فما وجد النهدي اذ مات حسرة * عشية بانت من حباله هند
ولا عروة العذري اذ طال وجده * بعفراء حتى شفه مهجته الوجد
كوجدي غداة البين عند التفاتها * وقد طار عنها بين آترابها البرد

وقال آخر
وقبلك مات من وجد بهند * اخو نهد وصاحب جميل
وعروة والمرقش هام دهرا * باسماء فلم يغن العويل
قتيل الريح من قبل الغواني * فلا قود ولا يودى قتيل

وقال جرير
هل انت شافية قلبا يهيم بكم * لم يلق عروة من عفراء ما وجدا
مافي فؤادي من داء يخامره * الا التي لو رآها راهب سجدا
ان الشفاء وان ضنت بنائله * قرع البشام الذي تجلو به البردا

الى غير ذلك وعفراء هي بنت مصر أخي حزام كلاهما ابنا مالك من بطن من العذريين يقال له نهد قال في تسريح النواظر ان سبب عشقه لما أن اباه حزاما توفي ولعروة من العمر اربع سنين وكفله عمه مصر أبو عفراء فانتشأ جميعا فكان يألفها وتألفه فلما بلغ الحكم سأل عروة عمه تزويجها فوعده ذلك ثم اخرجه الى الشام بعيرله وجاء ابن أخ له يقال له أثالة بن سعيد بن

من فضة قد طوقت عنابا

(وما أحسن قول الواوا الدمشقي)

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت
وردا وعضت على العناب بالبرد

(وقال) المرزباني قال لي ابن دريد سهرت ليلة فلما كان آخر الليل أغمضت عيني فرأيت رجلا طويلا أصفر الوجه كوسجا دخل علي واخذ بعضادتي الباب وقال انشدني احسن ماقلت في الخمر فقلت ماترك أبو نواس لاحد شيأ فقال أنا أشعر منه فقلت ومن انت فقال أنا ابن ناجية من اهل الشام (وانشدني)

وحمراء قبل المزج صفراء بعده
بدت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا
عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

فقلت أسأت الترتيب فقال ولم قلت لانك قلت وحمراء فقدمت الحمراء ثم قلت بين ثوبي نرجس وشقائق فاخرت الحمرة فهلا قدمتها على الاخرى فقال وما هذا الاستقصاء في هذا الوقت يابغيض ثم انصرف (وقال المتنبي)

قالت وقد رأت اصفراري من به
وتنهدت فاجبتها المتنهد

(أخذه الآخر فقال)

قالت الترب معها منكرة
لو قفتي هذا الذي نراه من
قالت فتى يشكو الهوى متيم
قالت بمن قالت بمن قالت بمن

(وقال ابن النبيه)

وفي الكلة الحمراء بيضاء طفلة
بزرق عيون السمر تحمي احورارها

وقال عماد الدين بن دنوقا من أبيات

أرى العقد في ثغره محكما
يرينا الصحاح من الجوهر
وتكملة الحسن ايضاحها
وزيناه عن وجهك الازهر

ومنثور دمعي غدا احمرا * على آس عارضك الاخضر

ونعث رشادي بني الهوى * لاجلك يا طلعة المشتري

مالك بريد الحاج فنزل بعمه فصر فبينما هو جالس يوما تجاه البيت اذ خرجت عفراء حاسرة عن وجهها ومعصميها تحمل اداوة سمن وعليها ازار خز أخضر فلما رآها وقعت من قلبه بمكانة عظيمة فخطبها من عمه فزوجه بها وان عروة اقبل مع العير وقد حمل اثالة عفراء على جمل أحمر فعرفها من البعد وأخبر اصحابه فلما التقيا وعرف الامر بهت لا يحير جوابا حتى افترق القوم فأنشد

وانى لتعرونى لذكراك رعدة * لها بين جلدى والعظام دبيب

فما هو الا ان رآها فجاءة * فابهت حتى ما يكاد يجيب

فقلت لعراف اليمامة داونى * فانك ان ابرأتنى لطبيب

فمابى من حمى ولا مس جنة * ولكن عمى الحميرى كذوب

عشية لا عفراء منك بعيدة * فتسلو ولا عفراء منك قريب

بنا من جوى الاحزان والبعد لوعة * تكاد لها نفس الشفيق تذوب

ولكنما ابقى حشاشة معول * على ما به عود هناك صليب

وما عجبى موت المحبين فى الهوى * ولكن بقاء العاشقين عجيب

وقيل انه لم ينشد فى ذلك الموقف سوى البيتين الاولين واما قوله فقلت لعراف اليمامة الى قوله ولا عفراء منك قريب فانه أنشده حين اتى الى الطبيب وسبب ذلك انه حين وصل الحى أخذه الهذيان والقلق وأقام أياما لا يتناول قوتا حتى شفت عظامه ولم يخبر بسره احدا وانه حمل ليلة الى فضاء ليتنزه به فسمع رجلا يقول لولده على اى ناقة حملت الشعب يعنى قرب الماء فقال على العفراء فاغمى عليه ساعة ثم قام مخبولا وكان باليمامة عراف يعنى كاهن له قرين من الجن يعرفه الاخبار ودواء بعض الادواء وكان يقال له رياح بن راشد وكنيته ابو كحلاء مولى لبنى يشكر فحملوه اليه فلما رآه أخذ يعالجه بأنواع العلاج والرقى والصب عليه واصل ذلك ان العرب كانت اذا تخيلت بشخص سحرا جعلت على رأسه طبقا فيه ماء ثم أذابت الرصاص وسبكته فى ذلك الماء ودفنته فى فضاء من الارض فيزول عن الشخص ما به وان الكاهن فعل بعروة ذلك مرارا فلما لم ينجع اخبرهم ان ما به ليس الا من العشق وقيل انه عرف ذلك من يوم قدومهم به فلما أحس باليأس انشد فقلت لعراف اليمامة الابيات فحمل الى عراف آخر بنجد ففعل به مثل ذلك فانشد الابيات الآتية فى نونيته وهى قوله جعلت لعراف اليمامة واما قوله بنا من جوى الاحزان ويروى وبى من جوى الاحزان فعلى الاصح كما فى النزهة انه من هذا الشعر وقيل انشده حين حمل الى ابن عباس ليدعو له بمكة وقد سلف ان صاحب القصة غيره وان صح ابن عباس كرخلافه ولما أيس من الشفاء تمرض بين أهله زمانا حتى شاع انتحاله فى العرب مثلا وان ابن ابى عتيق مر به يوما فرأى أمه تلاطف غلاما كالخيال فسألها عن شأنه فقالت هو عروة فسألها ضوء النطاء عنه فلما شاهده قضى عجبا ثم استنشده فانشد جعلت لعراف اليمامة حكمة الابيات ولما علم الضجر من اهله قال لهم احملونى الى البلقاء فانى ارجو الشفاء فلما حل بها وجعل يسارق عفراء النظر فى مظان مرورها عاودته الصحة فاقام كذلك الى ان لقيه شخص من عذرة فسلم عليه فلما أمسى دخل على زوج عفراء فقال له متى قدم هذا الكلب عليكم فقد فضحكم بكثرة ما يتشبب بكم فقال من قال عروة قال انت أحق بما وصفته به والله ما علمت بقدومه وكان زوج عفراء موصوفا بالسيادة ومحاسن الاخلاق فى قومه فلما اصبح جعل يتصفح الامكنة

(وقلت أنا من قصيدة) لعمرك لا زيد يكون ولا عمرو
ولا ثغر الادون تقبيله ثغر
ولا ابيض الا اسود حظى عندها
ولا سمر الادون أعطافها السمر

(وقال بدر الدين بن المحدث)

يصفر لونى حين أنظر وجنة
منها تعلم حسنه الورد الجنى
يفنى الزمان وليس يفنى حبه
وقد انحنيت وما أراه ينثنى

(حكى) عن أبى أيوب وزير المنصور أنه كان اذا دعاه المنصور يصفر ويرعد فاذا خرج من عنده تراجع لونه فقيل له انا نراك مع كثرة دخولك على أمير المؤمنين وانسه بك تتغير اذا دخلت اليه فقال مثلى ومثلكم فى هذا مثل بازى وديك تناظرا فقال البازى للديك ما أعرف أقل وفاء منك لاصحابك فقال وكيف قال تؤخذ بيضة فيحضنك أهلك وتخرج على أيديهم فيطعمونك بأكفهم حتى اذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد الا طرت من هنا الى هنا وصحت وان علوت حائط دار كنت فيها سنين طرت منها وتركتها وصرت الى غيرها وأما أنا فأوخذ من الجبال وقد كبرت فتخاط عيناى وأطعم الشئ اليسير وأساهر فامنع من النوم وأونس اليوم واليومين ثم أطلق على الصيد وحدى وأطير اليه وآخذه وأجىء الى صاحبى فقال الديك ذهبت عنك الحجة أما والله لو رأيت بازيين فى سفود ما عدت اليهم أبدا وأنا فى كل يوم أرى السفافيد مملوءة ديوكا فلا تكن حليما عند غضب غيرك وأنتم لو عرفتم من المنصور ما أعرفه لكنتم أسوأ حالا منى عند طلبه لكم (قلت) والذى هرب منه وقع فيه على الصحيح الاشهر ولم يزل يصفر منه حتى أذاقه الموت الاحمر هذا بعد ان اخذ أمواله وتركه فى أسوأ حالة (حكى) انه كان يدهن حاجبه بدهن يسحر فيه المنصور فلا يتمكن منه اذا رآه حتى ضرب به المثل فقيل ادهن من أبج

حتى لقي عروة فعاتبه وأقسم بالمحرجات أنه لا ينزل الا عنده فوعده ذلك فذهب مطمئنا وان عروة عزم أن لا يبيت الليل وقد علم به فخرج فعاوده المرض فتوفي بوادي القرى دون منازل قومه وقيل وصلها الرواية ابن العاص قال استعملني عمر رضي الله عنه في جباية صدقات العذريين فبينما أنا يوما بازاء بيت اذ نظرت امرأة عند كسر البيت والى جانبها شخص لم تبق الا رسومه فجلست أنظر اليه فتموج ساعة ثم خفق خفقة فارق الحياة فقلت لها من الرجل قالت عروة فقلت كأنه قضى فقالت نعم ولما بلغ عفراء وفاته قالت لزوجها قد تعلم ما بينك وبيني وبين الرجل من الرحم وما عنده من الوجد وان ذلك على الحسن الجميل فهل تأذن لي ان أخرج الى قبره فاندبه فقد بلغني انه قضى قال ذلك اليك فخرجت حتى اتت قبره فتمرغت عليه وبكت طويلا ثم انشدت

ألا أيها الركب المخبون ويحكم * بحق نعيتم عروة بن حزام
فان كان حقا ما تقولون فاعلموا * بأن قد نعيتم بدر كل ظلام
فلا لقي الفتيان بعدك راحة * ولا رجعوا من غيبة بسلام
ولا وضعت انثى تماما بمثله * ولا فرحت من بعده بغلام
ولا بلغتم حيث وجهتم له * ونغصتم لذات كل طعام

وفي كتاب النزهة لابن داود ان ركبا شاهدوا موته فلما قدموا الحي وأنشد رجل منهم عند بيت عروة

ألا أيها القصر المغفل اهله * بحق نعينا عروة بن حزام

فعاودته عفراء ألا أيها الركب هكذا بيتا فبيتا الى اربعة والباقي في العفراء وهذا غير صحيح لان القبر في طريقها قبل منازلهم وفي هذه الرواية بدل قوله فلا لقي الفتيان * فلا هنئ الفتيان بعدك غادة * والاول ألطف وبدل فلا وضعت أنثى فقل للحبالى لا يرجين غائبا وفيه اضافة غير مناسبة اذ لا مناسبة بين الحمل والغيبة الابتأويل لا يليق بفصاحة العرب ولما فرغت من شعرها ألقت نفسها على القبر فحركت فوجدت ميتة وما قيل من انها منعت المجيء الى قبره ومن انه كان في عهد عثمان او معاوية وان الذي شهده الحاكي احدهما ومن ان عمر قال لو ادركتهما لجمعت بينهما غير صحيح الرواية كما في النزهة نعم حمل قول عمر على الرؤية وتمسك من قال ان عفراء لم تزر قبره بقولها

عداني ان أزورك يا خليلي * معاشر كلهم واش حسود
أشاعوا ما علمت من الدواهي * وعابونا وما فيهم رشيد
فاما اذ ثويت اليوم لحدا * فدور الناس كلهم اللحود
فلا طابت لي الدنيا فراقا * لبعدك لا يطيب لي العديد

ولما قضت دفنت الى جانبه فنبت من القبرين شجرتان حتى اذا صارتا على حد قامة التفتا فكانت المارة تنظر اليهما ولا يعرفان من اي ضرب من النبات وكثيرا ما أنشدت فيهما الناس فمن ذلك قول الشهاب محمود

بالله يا سرحة الوادي اذا خطرت * تلك المعاطف حيث الرند والغار
فما تقيهم عن الصب الكئيب فما * على معانقة الاغضان انكار

وقول صاحب الاصل

غصنان من دوحة طال ائتلافهما * فيها فعالت صروف الدهر فافترقا

ايوب وما افاده ذلك شيأ لانه فعل به ما فعل وقابله بما ليس له به قبل

ذوات النهود) * وهذا النوع الاخير مما يميل اليه المصريون في الغالب وللناس فيما يعشقون مذاهب

(فما قيل في تفضيل السمر)

لا أعشق الابيض المنفوخ من سمن
لكنني أعشق السمر المهازيلا
اني امرؤ أركب المهر المضمر في
يوم الرهان فدعني واركب الفيلا

(وقال علي بن الجهم)

وعائب للسمر من جهله
مفضل للبيض ذي محك
قولوا له دعنا اما تستحي
من جهلك الكافور كالمسك

(قال أبو جعفر الشطرنجي)

أشبهك المسك واشبهته
قائمة في لونه قاعده
لاشك اذ لونكما واحد
أنكما من طينة واحده

(وقال الشريف الرضي في تفضيل السود)

أحبك يا لون السواد فانني
رأيتك في العينين والقلب توأما
وما كان سهم العين لولا سوادها
ليبلغ حبات القلوب اذا رمى
اذا كنت تهوى الظبي ألمى فلا تلم
جنوني على الظبي الذي كله لما

(وقال مسلمة)

لام العواذل في سوداء فاحمة
كأنها في سواد القلب تمثال
وهام بالخال أقوام وما علموا
اني أهيم بشخص كله خال

(وقال ابن رشيق)

يعابك الحسن فاستحيي
يا مسك في صبغة وطيب
تيهي على البيض واستطيلي
تيه شباب على مشيب

ولا يرعك اسود اللون * كنقطة الشادن الربيب

(وقال آخر)

قضاء

فصار ذا في يد نحو به ليس له * منها براح وهذا في الفلاة لقا
حتى اذا ذو يا بوما وضمهما * بعد التفرق بطن الارض واتفقا
حنا على العهد في أرجائها فغدا * كل على الفه في الترب واعتنقا

قلت و بين هذين خلاف في اللفظ والمعنى و يحتمل رجوعه الى خصوص وعموم مطلق فان الاول أرق وأعذب وألطف ولكنه قاصر عن المراد وغير دال على خصوص المقام وفيه التكرار الذي عدته البلاغة عيبا فان الرند والغار مترادفان وفيه عيب خفي الاعلى الناقد فانه لم يجعل المتعانقين المتحابين بل أم السرحة يعني الشجرة أن تعانق تلك المعاطف يعني معاطف المعشوقة نيابة عن العاشق وعلل ذلك بالانكار على تعانق المتحابين وقد تظافرت كلمات المحبين باستسهال الذم في قضاء الوطر وأما الثاني فقد تضمن حكاية الحال مع حسن الاستعارة المكنية ودل على المقام ولكنه غير رقيق ولا خال عن السماجة وتوفي عروة بن حزام على ماذكر الذهبي في تاريخه في خلافة عثمان سنة ثلاثين من الهجرة ورأيت في كتاب مجهول التأليف ان وفاته كانت لعشر بقين من شوال سنة ثمان وعشرين ومن محاسن شعره قصيدته التي على حرف النون فقد ضمنها حكاية حاله بالفاظ رقيقه ومعان أنيقه وهي هذه

خليلي من عليا هلال بن عامر * بصنعاء عوجا اليوم وانتظراني
ولا تزهدا في الاجر عندي واجملا * فانكما بي اليوم مبتليان
ألم تعلما اني ليس بالمرج كله * أخ وصديق خالص فيدراني
أفي كل يوم انت رام بلادها * بعينين انسانا هما غرقان
وعيناي ما أوفيت نشزا فتنظرا * بما فيهما الا هما تكفان
ألا فاحملاني بارك الله فيكما * الى حاضر البلقاء ثم دعاني
على جسرة الاصلاب ناجية السرى * تقطع عرض البيد بالوخدان
الما على عفراء انكما غدا * بشحط النوى والبين مفترقان
فياواشيي عفراء ويحكما بمن * وما والى من جئتما تشيان
بمن لو اراه غائبا لفديته * ومن لو رآني غائبا لفداني
فياواشيي عفراء نغص عيشها * تقر بها عيناي ثم زماني
أغركما مني قميص لبسته * جديدا و برداي يمنة زهيان
متى تكشفا عني القميص تبينا * بي الضر من عفراء يافتيان
اذا تريا لحما قليلا واعظما * بلين وقلبا دائم الرجفان
على كبدي من حب عفراء قرحة * وعينان من وجدي بها تكفان
فعفراء أرجى الناس عندي مودة * وعفراء عني المعرض المتواني
أحب ابنة العذرى حبا وان نأت * وداينت فيها غير ما متداني
اذا رام قلبي هجرها حال دونه * شفيعان من قلبي لها جدلان
اذا قلت لا قالا بلى ثم أصبحا * جميعا على الرأي الذي يريان
فيارب انت المستعان على الذي * تحملت من عفراء منذ زمان
فياليت كل اثنين بينهما هوى * من الناس والانعام يلتقيان
فيقضي حبيب من حبيب لبانة * ويرعاهما ربي فلا يريان

المقاطيع الحسان في السكردان عند ذكر الملك الكامل شعبان رحمه الله * واما ماقيل في تفضيل البيض على السود فاكثر من أن يذكر له شاهد أو يمتد اليه ساعد المساعد قال الجاحظ والعرب تمدح بالبياض وتهجو بالسواد و ربما مدحوا بالسواد ولكن أصل ما يبنون عليه امرهم ذمه (قال كشاجم) يامشبها في فعله لونه

لم تعدما أوجبت القسمه
خلقك من خلقك مستخرج
والظلم مشتق من الظلمه

وأما القصيرة الغليظة من النساء فانها نوع مذموم عند صاحب كل منثور ومنظوم (قال الشاعر)

وأنت التي حببت كل قصيرة
الي ولم تشعر بذاك القصائر
عنيت قصيرات الحجال ولم أرد
قصار الخطا شر النساء البحاتر

والبحاتر من القصار الغلاظ

(وقال بعض السلف)

جعل الله البهاء والهوج مع الطوال والدهاء والدمامة مع القصار والخير فيما بين ذلك وما أظرف قول الشريف الناسخ

واحربا من هوى قصيرة
في الارض منها ألف الف قامه
اذا رنا الى الحقاف طرفها

قال القفا ما كاتب السلامه

وبعض الناس يفضل السمان و يقول السمنة نصف الحسن وهو يستر كل عيب في المرأة ويبدي محاسنها قيل ولهذا قيل جميلة لان الجميلة السمينة من الجمل وهو الشحم وقد تقدم ذكره

*(فصل في ذكر ما يعتري المحب من اصفرار لونه عند رؤية محبوبه وخفقان

 قلبه وطيران عقله ولبه) (قال صاحب روضة المحبين) وقد اختلف في سبب هذه الروعة

فيا ليت محيانا جميعا وليتنا * اذا نحن متنا ضمنا كفنان
ويا ليت انا الدهر في غير ريبة * خليان نرعى القصر مؤتلفان
هواى امامى ليس خلفى معرج * وشوق قلوصى في الغدو يمانى
هواى عراقى وثنى زمامها * لبرق اذا لاح النجوم يمانى
متى تجمعى شوقى وشوقك تظلعى * ومالك بالعبء الثقيل يدان
يقول لى الاصحاب اذ يعذلوننى * أشوق عراقى وانت يمانى
تحملت من عفراء ماليس لى به * ولا للجبال الراسيات يدان
كأن قطاة علقت بجناحها * على كبدى من شدة الخفقان
جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجدان هما شفيان
فقالا نعم نشفى من الداء كله * وقاما مع العوادى يبتدران
نعم وبلى قالا متى كنت هكذا * ليستخبرانى قلت منذ زمان
فما تركا من رقية يعلمانها * ولا سلوة الا وقد سقيان
وما شفيا الداء الذى بى كله * ولا ادخرا نصحا ولا ألوانى
فقالا شفاك الله والله ما لنا * بما حملت منك الضلوع يدان
فرحت من العراف تسقط عمتى * عن الرأس ما التاثها ببنان
معى صاحبا صدق اذا ملت ميلة * وكان بجنبى سرعة عدلانى
فيا عم يا ذا الغدر لازلت مبتلى * حليفا لهم لازم وهوان
غدرت وكان الغدر منك سجية * فألزمت قلبى دائم الخفقان
واورثتنى غما وكربا وحسرة * وأورثت عينى دائم الهملان
فلازلت ذا شوق الى من هويته * وقلبك مقسوما بكل مكان
وانى لاهوى الحشر اذ قيل اننى * وعفراء يوم الحشر ملتقيان
ألا يا غرابى دمنة الدار بيننا * ابالهجر من عفراء تنتحبان
فان كان حقا ما تقولان فاذهبا * بلحمى الى وكريكما فكلانى
كلانى اكلا لم ير الناس مثله * ولا تهضما جنبى وازدردانى
ولا تعلمان الناس ما كان قصتى * ولا يأكلن الطير ما تذرانى
ألا لعن الله الوشاة وقولهم * فلانة اضحت خلة لفلان
اذا ما جلسنا مجلسا نستلذه * تواشوا بنا حتى أمل مكانى
تكنفنى الواشون من كل جانب * ولو كان واش واحد لكفانى
ولو كان واش باليمامة ارضه * أحاذره من شؤمه لاتانى
يكلفنى عمى ثمانين ناقة * ومالى والرحمن غير ثمان
فوالله ما حدثت سرك صاحبا * أخالى ولا فاهت به الشفتان
سوى اننى قد قلت يوما لصاحبى * ضحى وقلوصانا بنا تخذان
ضحينا وسمتنا جنوب ضعيفة * نسيم لرياها بنا خفقان
تحملت زفرات الضحى فاطقتها * ومالى بزفرات العشى يدان
فيا عم لا اسقيت من ذى قرابة * بلالا فقد زلت بك القدمان

والفزع والاضطراب فقيل سببه ان للمحبوب سلطانا على قلب محبه أعظم من سلطان الرعية فاذا رآه فجأة راعه ذلك كما يرتاع من يرى من يعظمه فجأة فان القلب معظم للمحبوب خاضع له والشخص اذا فجأه المعظم عنده راعه ذلك وقيل سببه انفراج القلب له ومبادرته الى تلقيه فيهرب الدم منه فيبرد ويرعد ويحدث الاضطراب والرعدة وربما مات وبالجملة فهذا امر ذوقى وجدانى وان لم يعرف سببه ومن أحسن ماقيل فى الاعتذار عن خفقان القلب عند رؤية المحبوب قول الوراق الحظيرى

يقول لى حين وافى * قد نات ما ترتجيه
فما القلب قد جا * خفقه يعتريه
فقلت وصلك عرس * والقلب يرقص فيه

(ومثله قول الآخر)

لا تنكروا خفقان قلـ
ـبى والحبيب لدى حاضر
ما القلب الا داره * دقت له فيها البشائر

(وما أحسن قول ابن سناء الملك)

أما والله لولا خوف سخطك
لهان على ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا
وليس هما سوى قلبى وقرطك

(وقال معين الدين)

لم انسه اذ قال أين تحلنى
حذرا على من الخيال الطارق
فاجبت فى قلبى فقال تعجبا
أرأيت عمرك ساكنا فى خافق

(وقال آخر)

وسكنت قلبا خافقا
ما ساكنا فى غير ساكن

(وقال الطغرائى)

مرض النسيم وصح والداء الذى
اشكوه لا يرجى له افراق
هذا خفوق البرق والداء الذى
ضمت عليه جوانحى خفاق

(أورد) ابن الابار فى تحفة القادم قول ابن تقى من أبيات * حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته شيأ وكان معانقى

ومنيتى

ومنيتني عفراء حتى رجوتها * وشاع الذي منيت كل مكان
فوالله لولا حب عفراء ما التقى * على رواقا بيتك الخافقان
رواقان خفاقان لاخير فيهما * اذا هبت الارواح يصطفقان
ولم اتبع الاظعان في رونق الضحى * ورحلي على نهاضة الخديان
لعفراء اذ في الدهر والناس غرة * اذا خلقان بالصبي يسرانى
لادنو من بيضاء خفافة الحشى * بثينة ذي قارورة شنآن
كان وشاحيها اذا ما ارتديتهما * وقامت عنانا مهرة سلسان
وليس بأبدان لما ملتقاهما * ومتناهما رخوان يضطربان
وتحتهما حقفان قد ضربتهما * قطار من الجوزاء ملتبدان
أعفراء كم من زفرة قد أذقتني * وحزن ألج العين بالهملان
وعينان ماوافيت نشرا فتنظرا * بمافيهما الا هما تكفان
فهل حادياعفراء ان خفت فوتها * على اذا ناديت مرعو يان
ضروبان للتالي القطوف اذا ونى * بسيحان من يمضي به حذران
فما لكما من حاديين كسيتما * سرابيل مغلاة من القطران
ومالكما من حاديين رميتما * بحمى وطاعون الا تقفان
فويلي على عفراء ويلا كأنه * على الكبد والاحشاء حد سنان
ألا حبذا من حب عفراء ملتقى * نعم والا لاحيث يلتقيان
لوان أشد الناس وجدا ومثله * من الجن بعد الانس يلتقيان
ويشتكيان الوجد ثمة أشتكي * لاضعف وجدي فوق ما يجدان
فقد تركتني ما أعي لمحدث * حديثا وان ناجيته ونجاني
وقد تركت عفراء قلبي كأنه * جناح غراب دائم الخفقان

قوله خليلي خطاب بالنداء محذوف الاداة لاثنين وليس بشرط ان يكونا وجوديين فقد جرت عادة العرب بذلك حتى قيل انهم وان خاطبوا الواحد جعلوا الصيغة لاثنين اما ليجري مجرى التأكيد أو انهم يطلبون التعظيم أو انهما أقل الرفقة وقوله الى حاضر البلقاء يريد المكان الذي كانت به كما سبق في الحكاية ويروى الى حاضر الروحاء موضع بالبلقاء من طرف حوران وقوله حسرة الاصلاب صفة مشبهة كناية عن العجلة التي لم تدعه يشد كور الناقة ويروى نواخة السرى ومواره اي عجلة تبلغ المآرب وقوله بين لو أراه البيت كناية عن الاتحاد وشدة المحبة حتى لم يقع تأثير بينهما من نقل شئ وقوله متى تكشفا روى بدله متى ترفعا والاول أبلغ لاخصيته ولزوم رؤية البدن منه وقوله اذا تريا جواب متى وروى بدله تعرفا والاول ألطف وقوله كان قطاة البيت قد أخذه المجنون حيث قال

* قطاة غرها شرك فباتت * البيت وهذا من السرقات العامة التي تتفاوت بحسن الاختلاس والتظرف ومعنى هذا انه شبه كبده في شدة خفقانه من هياج نار العشق بقطاة علقت بجناح واحد وجعلت ترفرف بالآخر طالب الخلاص واما المجنون فقد تظرف ثم بالغ لانه جعل القلب هو القطاة بعينها وجعل المعلق هو الشرك واعلم ان ابن الاثير ألف كتابا سماه الجامع للمعاني للمنثور والمنظوم ذكر فيه من اقترح معنى ومن سرق منه وزاد عليه فقال في

ابعدته من أضلع تشتاقه * كي لا ينام على وساد خافق ثم قال

نسب بعض أهل عصرنا ابن تقي الى الجفاء في قوله
أبعدته عن اضلع تشتاقه
ولو قال
أبعدت عنه اضالعا تشتاقه
لكان احسن ثم ذكر بعدها ما فضلوه على قول ابن تقي المذكور قول ابن الحكم جعفر بن عثمان
ان كان لابد من رقاد
فاضلعي هاك عن وسادي
ونم على خفقها هدوا
كالطفل في هزة المهاد
(وقال) ابن الاثير في المثل السائر في أبيات ابن تقي المذكور وهذا من الحسن والملاحة بالمكان الاقصى واقد خفت معانيه على القلوب حتى كادت ترقص رقصا والبيت الاخير هو الموصوف بالابداع وبه وبامثاله اقرت الابصار بفضل الاسماع وقلت انا موافقا لاهل ذلك العصر في الرد على ابن تقي
أتاني زائر يشكي الملالا
واتبعه صدودا واستطالا
فقلت له تعود فقال لالا
دوام الوصل يورثك الملالا

(الباب السادس في ذكر الغيرة وما فيها من الحيرة وقرع سن ديك الجن)

أقول هذا باب عقدناه لذكر غيرة المحب على المحبوب حتى من نفسه وابناء جنسه والمحبوب فيها نوعان والمضر وبون بسوطها ضربان فالاول يحبه الله ورسوله ويتم به للعاشق سؤله والثاني مذموم وصاحبه ملوم فالنوع المحبوب منها ان يغار عند قيام الريبة والنوع المذموم ان يغار من غير ريبة بل من مجرد سوء الظن وهذه الغيرة تفسد المحبة ولا تترك منها حبة لانها توقع العداوة بين المحب والمحبوب وربما حملته على الوقوع فيما اتهمه به ويترتب عليها مفاسد كثيرة مما يؤدي الى فساد الصورة والحكايات في هذا الباب مشهورة (وقد روى)

هذا الموضع ان المجنون اظرف حيث أسند الخفقان الى القلب والتعليق الى الشرك واما انا فاقول ان قول عروة ابلغ لان الكبد ليس من شأنه الحركة ولا الخفقان كما هو دأب القلب فاسناد الخفقان الناشئ عن العشق اليه أبلغ ولان حركته تستلزم حركة القلب دون العكس ولا يساوي هذا المعنى كون القلب محل التعقل ومسكن المحبوب كما في كلامهم اذ الملحوظ حينئذ الروح الحيواني قوله عراف اليمامة قد سبقت قصته والعراف في الاصل الكاهن واستعماله هنا على الطبيب لاتحادهما لغة وما الثانية يعني ما ردتها وهي كناية عن شدة المرض وعمه المدعو عليه هو ابو عفراء وقد عرفت عذره وقوله ولو ان واش باليمامة قد استعاره المجنون حيث قال

ولو ان واش باليمامة داره * وداري بأعلى حضرموت اتانيا

وهي سرقة شنيعة مذمومة وهو هنا أظرف وابلغ من حيث الايهام لان قوله أحاذر من شؤمه يحتمل ان يكون ولو باقصى فارس وهذا هو اللائق بالمبالغة واما حضرموت واليمامة فكلاهما في اقليم واحد فلا يعظم مجيء الواشي

(اخبار عبد الله بن عجلان وصاحبته هند)

هو عبد الله بن عجلان بن عبد الاحب بن عامر بن كعب يتصل بقضاعة وهو فخذ من بني الحريش وسعد افترقوا من قضاعة على ما ذكر في الانساب اربعون فخذا وفي النزهة انه عذري وليس كذلك ولكن بينه وبينهم حيث لا ترمى العصا وذلك دون خمس جدود قال في كتاب الانساب كانت العرب تعد الرجل منها ما لم يفارقهم بخمس بطون فاذا بلغ ذلك قالوا قطع النسب ورميت العصا وكان عبد الله هذا يكنى أبا عمرة وهو شاعر مفلق وناطق مزلق رقيق أديب قال في بلغة الاشفاق في ذكر أيام العشاق وهو جزء لطيف لابن رشيق موضوعه ذكر مدة العشاق في العشق ان عبد الله هذا أقل العشاق ايام عاش مكابد المحبة وغصة العشق ثلاثين سنة وهو جاهلي ضرب به المثل كما ضرب بعروة فمما قيل فيه قول قيس

فلو وجدت وجدي بها أم واحد * ولا وجد النهدي وجدي على هند
ولا وجد العذري عروة في الهوى * كوجدي ولا من كان قبلي ولا بعدي

فقوله النهدي اشارة الى ابن عجلان هذا وقد سماه عمرا في ابيات سبقت في قصته وقوله على هند متعلق بوجدي فليحذر من فهم صاحب النزهة وقول البحتري

هوى لا جميل في بثينة ناله * بمثلي ولا عبد بن عجلان في هند

وهند هي بنت كعب بن عمرو بن ليث النهدي يتصل مع عبد الله في النسب قال في الظرائف ان سبب اعتلاقه بها انه خرج يوما الى شعب من نجد ينشد ضالة فشارف ماء يقال له نهر غسان وكانت بنات العرب تقصده فتخلع ثيابها وتغتسل فيه فلما علا ربوة تشرف على النهر المذكور رآهن على تلك الحالة فمكث ينظر اليهن مستخفيا فصدعن حتى بقيت هند وكانت طويلة الشعر فاخذت تمشطه وتسبله على بدنها وهو يتأمل شفوف بياض جسمها من خلال سواد الشعر ونهض ليركب راحلته فعجز وأقعد ساعة وكان يقال عنه قبل ذلك ان العرب كانت تصف له ثلاث رواحل قائمة فيطلقها ويركب الرابعة فعند ذلك داخله من الحب ما اعجزه وعطل حركاته فانشد فورا

لقد كنت ذا بأس شديد وهمة * اذا شئت لمسا للثريا لمستها

عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح ان من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يكره الله فالغيرة التي يحبها الله أن تكون في ريبة والغيرة التي يكرهها الغيرة في غير ريبة * وقال عبد الله بن شداد الغيرة غيرتان غيرة يصلح بها الرجل أهله وغيرة تدخل النار * وقال صاحب روضة المحبين الذي يحب الله ورسوله يغار لله ورسوله على قدر محبته واجلاله واذا خلا قلبه من الغيرة لله ورسوله فهو من المحبة اخلى وان زعم انه من المحبين فكذب من ادعى محبة محبوب من الناس وهو يرى غيره ينتهك حرمته ويسعى في أذاه ومساخطه ويستخف بامره وهو لا يغار لذلك بل قلبه بارد فكيف يصح لعبد ان يدعي محبة الله وهو لا يغار لمحارمه اذا انتهكت ولا لحقوقه اذا ضيعت وأقل الاحوال أن يغار له من نفسه بترك ارتكاب معاصيه والتفريط في حقه واما الغيرة على المحبوب فانه تحمد حيث يحمد الاختصاص به ويذم الاشتراك فيه شرعا وعقلا كغيرة الانسان على زوجته وامته والشيء الذي هو يختص به وهذه الغيرة تختص بالمخلوقين ولا تتصور في حق الخالق لانه سبحانه وتعالى يحب على جميع المخلوقين ان يحبوه ويذكروه ويعبدوه ويحمدوه خلافا لبعض جهلة الصوفية ممن كان اذا رأى من يذكر الله او يحبه يغار منه وربما سكته ان أمكنه ويقول غيرة الحب تحملني على هذا وانما ذلك حسد وبغي وعدوان ونوع معاداة لله ومزاحمة لطريق رسله أخرجوها في قالب الغيرة وشبهوا محبته بمحبة الصور وهذه الغيرة انما تحسن في محبة من لا تحسن المشاركة في محبته كغيرة الانسان على محبوبه من الآدميين كما تقدم ذكره * قال القشيري قيل لبعضهم اتحب ان تراه قال لا قيل ولم قال أنزه ذلك الجمال عن نظر مثلي قال الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية وهذه ايضا غيرة فاسدة وغاية صاحبها ان يعفى عنه وان يعد ذلك من شطحاته

أيدي

أتتني سهام من لحاظ فارشقت ✽ بقلبي ولو استطيع رداً رددتها

ثم قال هذه والله الضالة التي لا ترد ثم عاد وقد تمكن الهوى منه فاخبر صديقاً له فقال اكتم مابك واخطبها إلى أبيها فانه يزوجك بها وان أشهرت عشقها حرمتها ففعل وخطبها فاجيب وتزوج بها واقاما على احسن حال وانعم بال لا يزداد فيهما الاغراما فمضى عليهما ثمان سنين وانها أقامت على ذلك لم تحمل وكان ابوه ذا ثروة ليس له غيره فاقسم عليه ان يتزوج غيرها ليولد له ولد يحفظ النسب والمال فعرض عليها ذلك فابت أن تكون مع أخرى فعاودا باه فامره بطلاقها فابى فالح عليه وهو لم يجب الى ان بلغه يوما ان عبد الله قد تمكن السكر منه فعدها فرصة وأرسل اليه يدعوه وقد جلس مع اكابر الحي فنعته هند وقالت والله لا يدعوك لخير وما اظنه الا عرف انك سكران فيريد ان يعرض عليك الطلاق ولئن فعلت لمت واظن انك فاعل قال في النزهة وكان قد دخل على هند قبل ذلك اليوم عجوز كاهنة تضرب الحصا واخبرت هندا انها ستطلق فابى عبد الله الا الخروج فجاذبته ويدها مخلقة بالزعفران فاثرت في ثوبه فلما جلس مع ابيه وقد عرف اكابر العرب حاله فاقبلوا يعنفونه ويتناوشونه من كل مكان حتى استحى فطلقها فلما سمعت بذلك احتجبت عنه فوجد وجداً كاد ان يقضي معه وانشد

طلقت هندا طائعا ✽ فندمت بعد فراقها ✽ فالعين يذرف دمعها
كالدر من آماقها ✽ متحلبا فوق الردا ✽ فتجول في رقراقها
خود رداح طفلة ✽ ما الفحش من اخلاقها ✽ ولقد ألذ حديثها
واسر عند عناقها ✽ ان كنت ساقية ببز ✽ ل الادم او بحقاقها
فاسقي بني نهد اذا ✽ شربوا خيار زقاقها ✽ فالخيل تعلم كيف ال
حقها غداة لحاقها ✽ بأسنة زرق منحسـن القوم حذ رقاقها
حتى ترى قصد القنا ✽ والبيض في اعناقها

ولم يزل شوقه ينمو ووجده يسمو حتى لزم الوساد وتوفي على ما ذكر في النزهة قبل عام الفيل بأربعة اعوام وكان سبب وفاته على الاصح انه قصد هندا وقد تزوجت في نمير وهي قبيلة من عامر وكان بينهم وبين بني نهد ثارات ودماء كثيرة فحذره ابوه من ذلك ومناه الاجتماع بعكاظ في الاشهر الحرم حيث تكف الجاهلية عن الحرب فابى وخرج سراً حتى أتاها فرآها جالسة على حوض وزوجها يسقي ابلاله فلما تعارفا شد كل منهما على صاحبه ودنا منه حتى اعتنقا وسقطا الى الارض فجاء زوجها فوجدهما ميتين وقيل ان عجوزا دخلت عليه في مرضه فأخبرتهم انه عاشق وان يطبخوا له شاة ويرفعوا قلبها ويقدموها اليه ففعلوا فجعل يحاولها بضعة بضعة فقال اما الشاة كم قلب فقال له اخوه أعاشق انت ولم تدر فتأوه ومات وقيل رأى زوج هند يطوف وعليه ثوب فيه كف بالخلوق كالذي في ثوبه حين جاذبته فمات وقيل انه ترنم بهذه الابيات يوما ومد بها صوته فمات وهي

ألا ان هندا أصبحت منك محرما ✽ واصبحت من ادنى حموتها حما
فاصبحت كالمقمور جفن سلاحه ✽ يقلب بالكفين قوسا واسهما

وقيل ان هذه الابيات لمسافر بن عمرو أنشدها حين ولع بهند بنت عتبة وأراد زواجها فخرج الى النعمان بن المنذر بالحيرة ليطلب مهرها وقيل حملت منه فخرج هاربا وأصابه من عشقها مرض كبر معه فاستحضر له النعمان اطباء العرب فاجمعوا على كيه فكوي وبرئ فقدم ابو

المذمومة واما ان يعد في مناقبه وفضائله ان يقال له أتحب أن ترى حبيبك فيقول لا فلا ورؤيته أعلى نعيم الجنة وهو سبحانه وتعالى يحب من عبده ان يسأله النظر اليه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان من دعائه اللهم اني أسألك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك وقول هذا القائل أنزه ذلك الجمال عن نظر مثلي من خدع الشيطان والنفس وهو شبه ما يحكى عن بعضهم انه قيل له الا تذكره فقال أنزهه أن يجري ذكره على لساني وقد وقع بعضهم في شيء من ذلك فلاموه فأنشد

يقولون زرنا واقض واجب حقنا
وقد أسقطت حالي حقوقهم عني
اذا هم رأوا حالي ولم يأنفوا لها
ولم يأنفوا مني أنفت لهم مني

وبعضهم من ترك الحج غيرة على بيته أن يزوره مثله وقد لمت شخصا على ترك الصلاة فقال لي اني لا أرى نفسي اهلا ان أدخل بيته فانظر الى تلاعب الشيطان بهؤلاء واما الغيرة على المحبوب من الآدميين فالناس فيها ضروب وحسنات غالبها ذنوب فمنهم من يغار على المحبوب من النسيم اذا هب أو سمع أنه في الدرب

أغار اذا آنست في الحي أنة
حذرا وخوفا ان تكون لحبه

(وقال آخر)

تغار من الطيف الملم جماتها
ويغضب من مر النسيم غيورها

(وقال ابن الاثير في المثل السائر)

سافرت الى الشام سنة سبع وثمانين وخمسمائة فدخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أربابها يلهجون ببيت من الشعر لابن الخياط وهو أغار اذا آنست في الحي البيت المتقدم فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من قول أبي الطيب المتنبي

لو قلت للدنف المشوق فديته ✽ مما به لاغرته بفدائه

والمتنبي اخذه من قول العباس بن الاحنف ألم تر أني ذا شجن يزوج بحبيبي

سفيان أوهو غيره فسأله عن مكة فلما انتهى الى زواج هند شهق شهقة فمات وقيل خرج فمات فى الطريق وقيل هى يعنى الابيات للمغيرة فى اسماء النهشلية والصحيح ان ابيات المغيرة هذه

تحدثنا أسماء ان سوف نلتقى * أحاديث طسم انما كنت حالما

ألا اصبحت اسماء حجرا محرما * واصبحت من أدنى حموتها حما

ولابن عجلان اشعار كثيرة من محاسنها قوله

قد طال شوقى وعادلى طربى * من ذكر خود كريمة الحسب

غراء مثل الهلال صورتها * أو مثل تمثال صورة الذهب

ومنها

ألا ابلغا هندا سلامى وان نأت * فقلبى مذ شطت بها الدار مدنف

ولم أر هندا بعد موقف ساعة * بأنعم من اهل الديار تطوف

أتت بين أتراب تمايسن اذ مشت * دبيب القطا أوهن منهن ألطف

يباكرن مرآت خليا وداده * ذكيا وبالايدى مدال ومسوف

أشارت الينا فى حياء وراعها * سراة الضحى منى على الحى موقف

وقال تباعد يا ابن عم فاننى * منيت بذى صول يغار ويعنف

ومنها

خليلى زورا قبل شحط النوى هندا * ولا تأمنا من دار ذى لطف بعدا

ولا تعجلا لم يدر صاحب حاجة * أغيا يلاقى فى التعجل أم رشدا

ومرا عليها بارك الله فيكما * وان لم تكن هند لوجهيكما قصدا

وقولا لها ليس الضلال أجازنا * ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا

غدا يكثر الباكون منا ومنكم * وتزداد دارى من دياركم بعدا

(اخبار ذى الرمة وصاحبته مى)

هو غيلان بن معدى بن عمرو الكنانى القحطانى أو هو سعدى وقيل ابن عقبة بن بهوس بن ربيعة يتصل من عبد مناف بالياس بن مضر وهو الاصح أديب شاعر رقيق النظام جزل الكلام وافر الحظ من الفصاحة والشعر ورقة المزاج خبير بأحوال العشق والرمة بالضم وتكسر قطعة حبل تجعل فى عنق البعير ووهب طريف بن غطفان بعيرا لشخص بالحبل الذى فى عنقه فقيل أعطاه برمته فضرب مثلا لمن يعطى الشئ جميعه وبالكسر العظام البالية وسمى بذلك لانه كان كثيرا ما يجعل فى عنقه أو على عاتقه الحبل او انه سمى بذلك لشدة نحوله فى العشق ومى هى بنت طلابة بن قيس بن عاصم الغسانى احد ملوك العرب والده قيس نظير المنذر بن ماء السماء كان ذا حظ فى الملك تميل اليه العرب ويعطى القياد حتى ضربت به الامثال قال طرفة بن العبد بعد اشتكاء وحظه * ولو شاء ربى كنت قيس بن عاصم * يعنى فى ارتفاع الجد وسعة الملك قال فى النزهة وكان ذو الرمة لطيف المنظر حسن الهيئة طويلا الى رقة وبياض واسع الصدر عجل المشية وكانت مى جارية الى القصر ماهى سمراء بدينة الا ان فى كلامها عذوبة وفى طرفها تغزل قال فى الظرائف ان سبب اعتلاقه بها انه مر يوما بالحى وقد أدركه الاوام فنظر الى بيت قد شرع رواقه وارتفعت أطباقه وعلا عموده وأطنابه ومدت أوتاده وأسبابه فقصده حتى وقف بازائه واذا هو بامرأة تتمشط حاسرة الرأس قد أسبلت شعرها كأنه عثا كيل النخل ووجهها يشف من خلاله فناداها هل من اداوة تبرد الغليل فابرزت اليه ماء قد شيب بابن فشرب ثم ناشدته الراحة فنزل وقدمت اليه طعاما

الاحسدنك ذاك المحبوبا حذرا عليك وانى بك واثق * ان لا ينال سواى منك نصيبا ومنهم من يلحق فى الغيرة يومه بأمسه ويغار على المحبوب من تزيين كلام نفسه كما قال البحترى

إنى لاحسد ناظرى عليكا
حتى أغض اذا نظرت اليكا
وأراك تخطر فى شمائلك التى
هى فتنتى فاغار منك عليكا
ولو استطعت منعت لفظك غيرة
كى لا أراه مقبلا شفتيكا
خاص الهوى لك واصطفتك مودتى
حتى أغار عليك من ملكيكا

ومنهم من يغار عليه من ازاره ولبس ازاره

أرى الازار على ليلى فاحسده
ان الازار على ماضم محسود

قلت ولهذا البيت حكاية لطيفة وهى ما حكى عن الحسن بن زيد أمير المدينة انه قال يوما لابى السائب وكان قد جعله وكساه فكان يركب معه فى موكبه ويسلم على النساء اذا مر بهن فنهاه الامير عن ذلك فسار معه يوما وعليه قلنسوة ففعل كعادته فأنشده الامير * أرى الازار على ليلى البيت فقال له أبو السائب بابى انت وأمى من الذى قال هذا البيت فقال قيس فتخلف أبو السائب عن مسايرته ثم لحق ولا قلنسوة عليه فقال له الامير أين القلنسوة قال تصدقت بها على الشيطان الذى ألقى هذا البيت على لسان قيس ومنهم من يغار عليه من ارتشاف السلاف كما قال كشاجم

وعذبى تضيب فى كثيب
تشارك فيه لين واندماج
أغار اذا دنت من فيه كاس
على در يقبله زجاج
واشفق ان دنا المصباح منه
على بدر يقابله سراج

أخذه المتنبي فقال فى ممدوحه أغار من الزجاجة حين تجرى * على شفة الامير أبى حسين

فاكل

فأكل ولم تزل تنادمه وهو يعجب بها ويحترك لها قلبه الى ان انصرف بعد بياض النهار وقد علق من قلبه بحبها الا عجز عن اطفائه وغرام كل عن اخفائه فجعل يعاودها الزيارة فقيل له في تقليل ذلك وان بلادها بعيدة عن بلاده وان ذلك يوجب له نصبا ومشقة فانشد

وكنت اذا ما جئت ميا أزورها * أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودجليسها * اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

وجلس قوم يتحادثون فافضوا الى حديث ذي الرمة وفيهم عقبة بن مالك الفزارى وهو يومئذ شيخ قد جاوز المائة فقال مني خذوا خبره أتاني يوما فقال ان حي مية خلوف فهل تسعدني في الزيارة فركبنا حتى أتيناها فلما نظر النساء الى ذي الرمة عرفنه فجئن حتى جلسن عنده وتفاوضوا في الحديث فقالت ظريفة من النساء اسمعنا يا ذا الرمة ما قلت فالتفت الى وقال لي قم فأنشدت قوله

وقفت على ربع لمية ناقتي * فمازلت أبكي عنده وأخاطبه

فلما انتهيت الى قوله

نظرت الى اظعان مي كأنها * ذرا النخل أو أثل تميل ذوائبه
فاسبلت العينان والقلب كاتم * بمغرورق نمت عليه سواكبه
بكى وامق حال الفراق ولم تحل * حواثلها اسراره ومعاتبه
هو الالف قد حان الفراق ولم تحل * محاولها اسراره ومعاتبه

قالت الظريفة لكن اليوم فلتحل ثم مضيت فلما انتهيت الى قوله

وقد حلفت بالله مية ما الذي * أحدثها الا الذي أنا كاذبه
اذا فرماني الله من حيث لا أرى * ولا زال في أرضي عدو أحاربه

قالت مي ويحك يا ذا الرمة خف عواقب الله عز وجل ثم مضيت حتى انتهيت الى قوله

اذا سرحت من حب مي سوارح * على القلب آبته جميعا عوازبه

فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت مية ما أصحه وهنيأ له قال فتنفس ذو الرمة تنفيسة كاد حرها يذهب بلحيته ثم مضيت حتى انتهيت الى قوله

اذا نازعتك القول مية أو بدا * لك الوجه منها ونضى الدرع سالبه
فيالك من خد أسيل ومنطق * رخيم ومن خلق تعلل شاربه

وفي رواية القالي اذا راجعتك بدل اذا نازعتك فقالت الظريفة هذا القول قد تنوزع والوجه بدا فمن لنا بان ينضى الدرع سالبه فقالت مي ماذا تريدين وتضاحك فقالت الظريفة ان لهذين لشأنا فقوموا بنا فقمت ومضيت وجلست بحيث أراهما فجعلا يتطارحان ولا وان يبرح من مكانه ولم اسمع منهما غير ان قالت كذبت والله ولم أعلم علام كذبته ثم جاءني ومعه قارورة دهن قد اتحفته بها فقال لي شأنك وهي ثم قال وهذه قلائد قد أعطتنيها فوالله لا قلدتها بعيرا وعقدها في سيفه وانصرفنا فلما ظعن الحي جاءني فقال امض بنا نودع الآثار فجئناها حتى وقفنا على اطلال مية فانشد

ألا فاسلمي يا دار مي على البلا * ولا زال منهلا بجرعائك القطر
وان لم تكوني غير شام بقفرة * تجر بها الاذيال صيفية كدر

وانفضحت عيناه بالعبرة فقلت مه فقال اني لجلد وان كان مني ما ترى ثم انصرفنا فوالله

وقد عيب عليه ذلك لكونه خاطب ممدوحه بما المخاطب به المليحة ومنهم من ينزل نفسه منزلة الاجنبي فيغار على المحبوب من نفسه كما قال أبو تمام

بنفسي من اغار عليه مني
واحسد مقلة نظرت اليه
ولو أني قدرت طمست عنه
عيون الناس من حذري عليه
حبيب بث في جسمي هواه
وأمسك مهجتي رهنا لديه
فروحي عنده والجسم خال
بلا روح وقلبي في يديه

(وقال ايضا)

أغار عليك من قلبي
وان أعطيتني أملي
واشفق ان أرى خديـ
ـك نصب مواقع القبل

(وقال الآخر)

يا من اذا ذكر اسمه في مجلس
لذ الحديث به وطاب المجلس
اني لمن نظري اغار وانني
بك من سواي من الانام لانفس

ومنهم من يغار عليه من وصاله له مخافة أن يكون مفتاحا لغيره كما قال علي بن عبد الله الجعبري

ربما سرني صدودك عمدا
وطلابيك وامتناعك عني
حذرا أن اكون مفتاح غيري
فاذا ما خلوت كنت التمني

(وقال آخر)

ولما رمت باللحظ غيري حسبتها
كما أثرت بالعين تؤثر بالقلب
واني لارجو ان تدوم بعهدها
ولكن سوء الظن من شدة الحب

(وقد بالغ ابن مطروح حيث يقول)

فلو اضحى على تلفي مصرا
لقلت معذبي بالله زدني
ولا تسمح بوصلك لي فاني
أغار عليك منك فكيف مني

ومنهم من يمتنع من ذكر محبوبه مخافة تعريضه لحب غيره له كما قال علي بن عيسى الرافعي

ولست بواصف يوما حبيبا

مارأيت اشد صبابة ولا احسن صبرا منه وكان آخر العهد به وله اشعار كثيرة فن الطفها القصيدة الحائية التى اولها

أمنزلتى مى سلام عليكما * على النأى والنأى يودو ينضح

ومنها

ذكرتك اذمرت بنا أم شادن * امام المطايا تشرئب وتنصح

من المؤلفات الرمل أدما بحرة * شعاع الضحى فى متنها يتوضح

رأينا كانا عامدون اصيدها * ضحى فهى تنبو تارة وتزحزح

هى الشبه اعطافا وجيدا ومقلة * ومية أبهى بعد منها واملح

ومنها

على حين راهقت الثلاثين وارعوت * لداتى فكاد الحلم بالجهل يرجح

اذا خطرت من ذكر مية خطرة * على القلب كادت فى فؤادى تجرح

تصرف أهوى القلب منى ولا أرى * نصيبك من قلبى لغيرك يمنح

فبعض الهوى بالهجر يمحى فينمحى * وحبك عندى يستجد ويربح

ولما شكوت الحب كيما تثيبنى * بوجدى قالت انما انت تمزح

بعادا وادلالا على وقد رأت * ضمير الهوى قد كان بالجسم يبرح

لئن كانت الدنيا على كما أرى * تباريح من ذكراك فالموت أروح

ومنها

خليلى عدا حاجتى من هوا كما * ومن ذا يواسى النفس الا خليلها

ألما بمى قبل أن تطرح النوى * بنا مطرحا أو قبل بين يزيلها

وان لم يكن الا تعلل ساعة * قليلا فانى نافع لى قليلها

ومنها

خليلى عوجا من صدور الرواحل * بجمهور حزوى فابكيا فى المنازل

لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد أو يشفى وحى البلابل

ومنها

ولما تلاقينا جرت من عيوننا * دموع كففنا غربها بالاصابع

ونلنا سقاطا من حديث كانه * جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع

ومنها

اذا هبت الارياح من نحو جانب * به آل مى زاد قلبى هبوبها

هوى تذرف العينان منه وانما * هوى كل نفس أين حل حبيبها

(اخبار مالك وصاحبته جنوب)

هو مالك بن الحرث بن الصمصامة بن أخرش الجعدى من بنى أخرش اخو ذى الرمة قال فى الانساب هم أكبر فخذ من قحطان ولم يعقب أخو ذى الرمة غيره وغير مسعود وهمام وهم قبائل معروفة وكان مالك شجاعا جلدا اذا نجدة ولكنه مات بالعشق على نحو ثمان وعشرين من عمره (وجنوب) هى بنت قيس بن أصبغ بن محصن بن أخرش الجعدى علقها شابين وسبب ذلك انه جاء يوما الى اخيها الاصبغ يسترفقه الى حى من كنانة لحاجة عرضت لمالك عندهم لما بينهما من الصحبة والقرابة فرأى جنوب وقد ألقت ما عليها خلا سب اخضر شفاف فرآها على بغتة فوقعت من قلبه فعاد وقد تمكن حبها منه فافضى بذلك الى رجل من أصحابه فوشى به الى اخيها وكان معروفا بالشجاعة فحلف ليقتلنه ان تيقن ذلك فضمهما يوما مجلس وقد اقبلت جنوب فلم يستطع ان يكلمها وأخذته رعدة فضمه شخص الى صدره وفطن الاصبغ فقام خجلا وبقى مالك مغشيا عليه فلما أفاق انشد

خليلى ان حانت وفاتى فادفنا * برابية بين المقابر فالنفر

اعرضه لاهواء الرجال وما بالى أشوق قلب غيرى * ودون وصاله ستر الحجال وكثير من الجهال وصف امرأته ومحاسنها الغيرة فكان ذلك سبب فراقها واتصالها بالموصوف له وذلك من قلة عقله وحمقه وقد رأيت جماعة بهذه الصفة ومنهم من بالغ فى الغيرة حتى قتل محبوبه مخافة أن يموت هو فيتمتع بمحبوبه بعده غيره كما ذكر ذلك عن جماعة من جملتهم ديك الجن الحمصى وقد افردت لحكايته رسالة مستقلة وسميتها قرع سن ديك الجن وكتبت بها الى مولانا السلطان الملك الناصر حسن فى سنة ستين وسبعمائة وهو فى سرياقوس وكان قد تقدم ما يوجب ذلك فلذلك افتتحت الرسالة المذكورة بقولى يقبل الارض وينهى ان ديك الجن المذكور من جملة جنونه انه كان يهوى جارية وغلاما له فن شدة حبه لهما وغيرته عليهما خشى ان يموت وان غيره يتمتع بهما بعده فعمد اليهما فذبحهما بسيفه واحرق جسديهما وصنع من رماد الجارية برنية للخمر ومن رماد الغلام برنية اخرى كذلك وكان يضعهما فى مجلس انسه عن يمينه وشماله فكان اذا اشتاق الى الجارية قبل البرنية المعمولة من رمادها وملأ منها قدحه وانشد

يا طلعة طلع الحمام عليها
وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها التراب وطالما
روى الهوى شفتى من شفتيها
واجلت سيفى فى مجال خناقها
ومدامعى تجرى على خديها
فوحق نعليها وما وطئ الثرى
شئ اعز على من نعليها
ما كان قتلتها لانى لم اكن
أبكى اذا سقط الغبار عليها
لكن بخلت على سواى بحسنها
وأنفت من نظر العيون اليها

واذا اشتاق الى الغلام قدم البرنية المعمولة من رماده وملأ منها قدحه وبكى

لكيما تقول العبدليـــة كلما * رأت جدثي سقيت يا قبر من قبر

وفي النزهة فادفنا عظامي ما بين الرابيـة فالفرقال والرابية طريق بين نجد وتهامة تسلكه العرب والفرقربة مشهورة وهذه الرواية أصح وانسب بالمعنى وفيها ابدل سقيت حييت ثم ان العرب نجعوا النجعـة وسعة يعني مكانا المطر وأعشب سابقا فوقف مالك يتصفح الظعن متخفيا حتى مرت جنوب فاخذ بخطام بعيرها وانشد

رأيتـك ان أزمعـتم اليوم نيـة * وغالك مصطاف الحمى ومرابعه
أترعين ما استودعت أم انت كالذي * اذا ما نأى هانت عليه ودائعه

فبكت ثم قالت أرعى والله ولا تهون عندي ودائعه فاطلقها ومضى في نشيده يقول

ألا ان ورداً دونه قـلة الحمى * منى النفس لو كانت تنال شرائعه
وكيف ومن دون الورود عوائق * واصبغ حامي ما احب ومانعه
فلا أنا فيما صـد في عنه طامع * ولا ارتجي وصل الذي هو قاطعه

ثم انصرف فبات ليـلة قلقا فلما اصبح ركب وضرب الفضاء ليتنزه نفسـه فبينما هو على ماء يستريح اذ سمع شخصا يشتـكي الى شخص ثقل رأسه وقلة سمعه فقال له منذ كم أصابك قال من أمس فقال هـذا من الهواء الذي كان بارحة أمس فانه جنوب وهواء الجنوب ضار فلما طرق الكلام رأسـه قال اي والله ولا اضر من هواها أجد وسقط كالمصروع فجاؤا اليـه واحتملوه بعـد ان قارب الفراق ثم مضوا به الى الحي فقام ليلتين ثم قضى (وفي النزهة) انهم دعوا له بطبيب فلما ابصره أنـكر حاله فدعا بشراب وسقاه فلما تمكن منه انشد

خليـلي ان العبدلية أزمعت * على الصد والهجران فاستدنيا عنسي
فلا صبر لي بعد الفراق على الجفا * ولا راحـة الا التوسـد في رمسي
فصـبر محب عن حبيب يحبه * محال وهـل جسم يعيش بلا نفس

ثم شهق شهقة خرجت نفسه قلت وهذه الابيات قد نقلتها من جزء لطيف سماه صاحبه جلاء الاذهان في منتخب شعر قتلى الحسان وفي النزهة نقله عن ذي الرمة ورواه بلفظ ان المنقرية يعني مية وفي لطائف الفوائد وطرائف الشوارد لابن عبـدربه ان مالـكا هـذا لما قضى اتصل نعيه بجنوب وقد قدم اليها ابن فلما امتصته ووقع الـكلام في أذنها اضطربت خفقا ثم اضطجعت فاذا هي ميتة

(أخبار عبد الله بن علقمة وصاحبته حبيش)

هو عبد الله بن علقمة بن زرارة من قحطان (وصاحبته حبيش) بنت سعد بن اسلم من خزيمة قبيلة من اليمن ولم يذكره في النزهة ولكني رأيت في طرائف الاخبار ان سبب اعلاقه بها انه أضاف اهلها فاجلسوه في متحدث لهم فخرجت حبيش وعلى وجهها سب أخضر فوقفت تحلب ناقة وهو ينظر فضرب الهواء السب فكشف وجهها ويديها وكانت طويلة الى الرقة واسعة الصـدر كان وجهها البدر فلما عاينها غاب عن حسه ساعة ثم عاوده الشعور فسكت خيفة أن يظهروا على حاله ثم جاءت اليـه باللبن ليشرب فلما تناوله ارتعد حتى سقط من يده ففطنت لما به وكان شابا كأنه القمر فداخلها ما داخله ولم يكونا متقاربين في المنزل لانهـما من فخذين فافترقا على ما داخلهما من الهوى وان الغلام ارسل امه بهدية اليها وتبعها واقاما عندها فلم يزل كذلك يذهب مع امه و يعود اليها أياما وكان في أوائل الهجرة فارسل رسول

وأنشد قوله فيه

أشفقت أن يرد الزمان بغدره * أو أبتلى بعد الوصال بهجره
فرأنا استخرجته من ذخره
لبليتي واثرته من خدره
فقتلته وله على كرامة
ملء الحشا وله الفؤاد باسره
عهدي به ميتا كأحسن نائم
والطرف يسفح دمعتي في نحره
لو كان يدري الميت ماذا بعده
بالحي منه بكى له في قبره
غصص تكاد تفيض منها نفسه
ويكاد يخرج قلبه من صدره

(اقول) هذا الذي يقال له الجنون فنون فانا لله وانا اليه راجعـون من فعل هـذا المجنون على انه من ارق الناس شعرا واكثرهـم للمحبوب ذكرا فمن شعره الفائق ونظمه الرائق قوله في الدعاء على المحبوب

كيف الدعاء على من خان او ظلما
ومالكي ظالم في كل ما حكما
لا واخذ الله من اهوى بجفوته
عني ولا اقتص لي منه ولا انتقما

(اقول) صار الطالب مطلوبا وهـذا الفقه المقلوب ما كفاه انه فعل بالاحباب ما لا تفعله الـكلاب حتى يقول لا واخذ الله من اهوى بجفوته ويمزج رقة شعره بقسوته فهو في الخفة والطيش وقتـل المحبوب لا في ايش ولا على ايش فمن غلب عليـه هواه كما تراه ففعل بمحبوبه ما فعل واقام ضربه بالسـيف مقام القبل

احبابه لم تفعلون بقلبه
ما ليس تفعله به أعداؤه

وقد اثبت هـذه الرسالة بكمالها في الباب الاول من كتابي مرآة العقول ومما ينخرط في سلك هـذه الحكاية ما حكاه الشيخ اثير الدين ابو حيان في تفسيره عند قوله تعالى يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك ونقـل عن العزيز انه كان قليل الغيرة وتربة اقليم مصر اقتضت هذا يعني قلة الغيرة ثم قال وأين هذا مما جرى لبعض

الله صلى الله عليه وسلم سرية الى جذيمة وعليهم خالد بن الوليد فصادفوا العرب ظاعنين وراوا عبد الله وراء القوم بسوق قلوصا له فأمسكوه وعرضوا عليه الاسلام فقال وما هو فقالوا كذا وكذا فقال أرأيتم ان أنا لم اسلم فما انتم صانعون قالوا نضرب عنقك فقال هل لكم ان تتركونى أمضى الى الظعن قالوا بلى ونحن فى أثرك فمضى يتصفح الهوادج حتى وقف على هودج حبيش فناداها اسلمى حبيش فقد نفد العيش وفى رواية انقطع فقالت حبيش اواسلم عشرا او تسعا وترا او ثمانا او ثلاثا تترا على الخلاف فى السيرة والمستدرك والتهذيب ثم انشد

أريتك ان طالبتكم فوجدتكم * بحرزة او ادركتم بالخوانق
اما كان حقا ان ينول عاشق * تكلف ادلاج السرى والودائق
فانى لا سرى لدى أضعته * ولا راق عينى بعد وجهك رائق
على ان ما ناب العشيرة شاغل * ولا ذكر الا ان يكون توامق
فها انا ما سوى لديك مكبل * وما ان رآنى بعدها اليوم ناطق

فاجابته أرى لك اسبابا اظنك مخرجا * بها النفس من جنبي والروح زاهق

فاجابها فان يقتلونى يا حبيش فلم يدع * هواك لهم منى سوى غلة الصدر
فانت التى قفلت جلدى على دمى * وعظمى واسبلت الدموع على النحر

فاجابته ونحن بكينا من فراقك مرة * وأخرى وقاسيناك العسر باليسر
فانت ولا تبعد فنعم أخو الندى * جميل المحيا فى المروأة والبشر

وفى رواية بعد قوله تكلف ادلاج السرى والودائق

فلا ذنب لى قد قلت أنا هناما معا * أثيبى بود قبل احد الصفائق
أثيبى بود قبل ان يشحط النوى * وتنأى الليالى بالحبيب المفارق

ثم ضربه غلام فأطار يده وقدم فضربت عنقه وقيل او ثقوه اولا حين أدركوه وانه رأى رجلا منهم فقال له اما تستطيع ان تعرضنى على النساء قبل ان تقتلونى فقال سهل ما طلبت وعلى كلا الاحوال أنهم قتلوه وانها نزلت حين رأت ذلك فقبلته وشهقت شهقة او شهقتين فماتت ولما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال اما كان فيكم رجل رحيم وفى نديم المسامرة للمقدسى ان عبد الله حين فشا أمره مع حبيش قالوا لامه ان ولدك قد تولع بهذه وليست من حيكم فاعرضى عليه نساءكم لعله يشتغل بواحدة منهن عنها ففعلت فقيل له ما ترى فيهن قال حسنا وجمالا فقيل أيما احسن هن ام حبيش فتنفس الصعداء ثم قال ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان فمضى مثلا فى العرب

(اخبار نصيب وصاحبته زينب)

هو ابن محجن نصيب بضم النون وفتح الصاد المهملة الشهير بالشاعر الزنجى مولى راشد بن عبد العزى من كنانة وصاحبته ام بكر زينب بنت صفوان بن غازى كنانية فى الاصح وليست زنجية كما زعم وسبب الوصلة بينهما ان نصيبا كان يرعى ابلا لمولاه وكانت رعاة مولاه تخالط رعاة صفوان فى المبرك بوادى البوار وكانت زينب تأتى رعاة ابيها فتأخذ لبنا وان نصيبا تولع ببرى القسى واراشة السهام وحز الاوتار فبرع فى ذلك حتى اشتهر فى احياء العرب وكان يجلس لفعل ذلك وتذهب الرعاة فتقوم عنه بالخدمة وتتخلف الحلوب من النوق فى المعاطن فتأتى زينب وهى جارية صغيرة فتأخذ اللبن فينظرها وكان حاذقا حسن التأمل فى

ملوك بلادنا وهو أنه كان مع ندمائه المختصين به فى مجلس أنسه وجارية تغنى من وراء الستارة فاستعاد بعض جلسائه بيتين من الجارية وكانت قد غنت بهما فالبس حتى اتى برأس الجارية مقطوعا فى طشت وقال له الملك استعد البيتين من هذا الرأس فسقط ذلك الرجل المستعيد ومرض مدة حياة ذلك الملك (قلت) لو مات كان معذورا فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ومثل هذا أيضا ما فعله جعفر بن سليمان وذلك انه لما اشترى جاريته الزرقاء وكانت جارية نفيسة غالية الثمن وهى بثمانين الف درهم وكانت من القينات الحسان ذوات الالحان فقال لها يوما هل ظفر منك احد ممن كان يهواك بخلوة او بقبلة فخشيت أن يبلغه شئ كانت فعلته بحضرة جماعة او يكون قد بلغه فقالت لا والله الا يزيد بن عون العبادى قبلنى وقذف فى فى لؤلؤة بعتها بثلاثين الف درهم فلم يزل جعفر يطلبه ويحتال له حتى وقع فى يده فضربه بالسياط حتى مات (قلت) قد استراح والله من هذا الصداع كله وانشد عبد المحسن الصورى حيث قال فى عدم الغيرة على محبوبه

تعلقته سكران من خمرة الصبا
به غفلة عن لوعتى وتحيبى
وشاركنى فى حبه كل ماجد
يشاركنى فى مهجتى بنصيب
فلا تلزمونى غيرة ما الفتها
فان حبيبى من احب حبيبى

وقد بالغ الآخر فقال يتبجح بالقيادة

اقول بحمد الله لا عن كراهة
وغيرة وادى على رغم انفه

وما احسن قول ابى الحسين الجزار

قلت لما اسكب الساقى على الارض الشرابا
غيرة منى عليه * ليتنى كنت ترابا

وقال نور الدين الاشعرى واحسن ما شاء

تميل الريح بالاغصان لطفا * كما مالت بشاربها العقار

دقائق المحاسن ولطائف الشمائل وهي من ذلك في أرفع المراتب فنشأ عنده من حبها ما غير باله واشغل حاله فشبب بها وفشا ذلك فاتت العرب مولاه فقالت ان عبدك هذا قد برع في الشعر ونخشى ان يهجو واحدنا ويشبب بنسائنا وليس لنا في أحد الخلتين سيرة فقال له مولاه اني بائعك فانظر لنفسك فاقبل حتى دخل على الامير وهو يومئذ عبد العزيز بن مروان فانشد

لعبد العزيز على عترته * وغيرهم منن ظاهره

فبابك اسهل أبوابهم * ودارك مأهولة عامره

وكلبك ارأف بالزائرين * من الام بالابنة الزائره

وكفك حين ترى السائلين * لاثرى من الليلة الماطره

فمنك العطاء ومنا الثناء * بكل محبرة سائره

فامر له بالف دينار فقال أصلحك الله اني عبد لا آخذ الجوائز ولكن أباع فقال لخادمه امض به الى باب الجامع فاذا انتهت الرغبات فيه فاخبرني فمضى فلما نودي عليه بذل فيه شخص خمسين دينارا فقال نصيب قولوا يحسن كذا وجعل يعدد صنائعه وهو يوفي بها حتى انتهى الى آلف دينار فاخذه الامير فكان في خدمته الى ان توفي فاوصى به سليمان بعد ان اعتقه على ماذكر بعض المعتنين بذكر محاسن الحبش والزنج فكان من أكبر سماده وكان يلهج بالعشق وقال ابن فاتك في محاسن العبيد ان سليمان استخفى ليلة فسمع نصيبا وقد استخلى بنفسه يبكي ويقول متمثلا بكلام المجنون قضاها لغيري البيت فاستحضره فقال ماهذه التي قضاها لغيرك وابتلاك بحبها أوعاشق انت قال اي والله جعلت فداك من العشق فقال ولمن قال لجارية في كنانة علقتها فمنعت منها لقلة حسبي وحقارة نسبي عند العرب فكنت أجلس في ممرها لاختالسها النظر وفي ذلك أقول

جلست لها كيما تمر لعلني * اخالسها التسليم ان لم تسلم

فلما رأتني والوشاة تحدرت * مدامعها خوفا ولم تتكلم

مساكين أهل العشق ما كنت اشترى * حياة جميع العاشقين بدرهم

فوعده سليمان بتزويجها (ففي النزهة) ومحاسن العبيد لابن فاتك انه زوجه بها وأقام معها وانها توفيت عنده في خلافة سليمان وقيل انه تزوج بها على يد اليزيد بن الوليد وماذكره هنا من ان يزيد استخبره هل عشقت فقال نعم عشقت جارية حمراء يعني من البيض ومنعت منها مدة فلما توفي من كان يمنعها كتبت اليها

فان اك حالكا فالمسك لوني * وما لسواد جلدي من دواء

ولي كرم عن الفحشاء ناء * كبعد الارض عن جو السماء

ومثلي في رجالكم قليل * ومثلي لا يرد عن النساء

فان ترضي فردي قول راض * وان تأبي فنحن على السواء

فقالت المال والعقل يغطيان غيرهما فتزوجته يدل على ان ليس ليزيد في تزويجها شئ وقيل انه تزوجها على يد ابن ابي عتيق وفي تسريح النواظر انه لم يتزوجها وانها اعتذرت حين أرسل اليها بان العرب تعيرها بزواج الزنجي والمتواتر خلاف ذلك أخبر التنوخي والتوزي كلاهما عن ابن الجزار بسنده الى العتبي قال شهدت هوادج مزينة حين نزلنا الى مكة فلما نزل الحاج خرج من أعظمها هودجا امرأة وقدمه لها امها دافجلست واقبل زنجي حتى جلس

وتجمع بينهم من بعد بعد * وأوراق الغصون لها ازار

وتخنق غيرة عند التلاقي * فهل ابصرت قوادا يغار

(الباب السابع في افشاء السر والكتمان عند عدم الامكان)

أقول هذا باب عقدناه لذكر افشاء السر وضده وهزل كل منهما وجد اذ للمحبين فيهما مذهبان فمنهم من أباح اباحته ورأى في افشائه راحته ومنهم من رأى كتمانه من الديانه فجعل من مراتب الحب في أعز مكانه حيث قال باح مجنون عامر بهواه

وكتمت الهوى فمت بوجدي

فاذا كان في القيامة نودي

من قتيل الهوى تقدمت وحدي

نعم من الناس من كتمه فاراه كتمانه عدمه ومنهم من أفشاه فوقع فيما يخشاه ولكل من المذهبين شاهد وبحر دمع زائد لا يخوض غريقه ولا تسلك طريقه فالعاشق منهما بين داءين كلاهما الاخطر وسيفين لابد من قتله باحدهما على الصحيح الاشهر كما قال شهاب الدين السهروردي المقتول بحلب

وارحمة للعاشقين تحملوا

ستر المحبة والهوى فضاح

بالسر ان باحوا تباح دماؤهم

وكذا دماء العاشقين تباح

واذا هم كتموا تحدث عنهم

عند الوشاة المدمع السفاح

والذي أراه في ذلك كله وتمييز وابله من طله ان المحب اذا علم من محبوبه الوفاء وعدم الجفاء فالواجب عليه افشاء السر الى الحبيب وابداء العلة الى الطبيب كما قيل

وبح بالسر ترفي أهلها

واياك في غيرهم أن تبوحا

وقد ظرف ابو جعفر الشطرنجي حيث قال

قل لمن شئت انني بك مغرم * ثم دعه يروضنه ابليس وقد قال بعض من مارس الحب وحلب اشطره افشاء الحب سره الى

الى جانبها فرسا في ابل وهو يقول

بزينب الم قبل ان يدخل الركب * وقل ان تملينا فما ملك القلب

فوثبت المرأة فضربت الذي الى جانبها وقالت قد فضحتنا فسألنا عنهما فقيل هي زينب وهو نصيب ونحو هذا عن الزبير عن الحزامي وعن ابن خلف وابن الجوهري في اخبار السودان وكل يصف المرأة بالبياض ماعدا الاول فانه قال انها زنجية وعن ابن خلف من طريق آخر بينما نحن في الركب اذا بزنجي يمشي والى جانبه امرأة كأنها البدر والمسك يسطع منهما فقلت له من انت قال انا الذي اقول

ألا ليت شعري ما الذي هو حادث * غدا غربة النأي المفرق والبعد

لدى ام بكر حين يقذفها النوى * بنا ثم يخلو الكاشحون بها بعدي

اتصرمني عند الذين هم العدا * فتشمتهم بي ام تدوم على العهد

فصاحت المرأة لا والله بل تدوم على العهد وتوفي نصيب سنة ثلاث عشرة ومائة وقيل احدى عشرة وفي كتاب ابن الجوهري كانت وفاته تاسع شوال من السنة المذكورة وقيل توفيت قبله ورؤي باكيا عليها وهو يقول

أيا دهر ماهذا التلون مرة * عثرت فاقصيت الحبيب المهيبا

وابدلتني من لا أحب دنوه * واسقيتني صبا من المذنب مشربا

ومن لطائف شعره

كسيت ولم املك سوادا وتحته * قميص من الصوهي بيض بنائقه

وماضر اثوابي سواد وانني * لكالمسك لا يخلو عن المسك ناشقه

ولا خير في ود امرئ متكاره * عليك ولا في صاحب لا توافقه

اذا المرء لم يبذل من الود مثله * بعافية فاعلم باني مفارقه

ومنها

وما في الارض اشقى من محب * وان وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكيا ابدا حزينا * مخافة فرقة أو لاشتياق

فيبكي ان نأوا شوقا اليهم * ويبكي ان دنوا خوف الفراق

فتسخن عينه عند التنائي * وتسخن عينه عند التلاقي

(اخبار المرقش وصاحبته اسماء)

هو عمرو او عوف بن سعد بن مالك بن قيس بن ثعلبة بن ربيعة اعلى قبائل طيئ ولد باليمن قيل خروج ربيعة ثم انتقلوا الى العراق فنشأ بها وله اخوان أنس وحرملة رفعهم ابوهم الى نصراني ببغداد يتعلمون الكتابة وكان سعد والده يرى دين النصرانية ومات فقام عمرو مقامه في العرب فكان شجاعا مهابا في العرب خرج يوما وقد قطع وادي نجران بأسد ونمر فلم يطق أحد ان يمر منهما فلما رأى عمرو الاسد وثب عليه فزاوغه ووثب فصار على ظهره فامسك اذنيه مستثبتا ثم دق رأسه وسلخ جلده فلما أحس بالنمر التف في جلد الاسد ونام وافعا سيفه فوثب النمر لينزل عليه فتلقاه بالسيف ثم سلخه واخذ جلده عليه واقبل على العرب فسموه المرقش وقيل سمي بذلك لقوله

الدار قفر والرسوم كما * رقش في ظهر الاديم قلم

ومن ولد اخيه حرملة رجل دعته العرب بالمرقش الاصغر لشبهه ذلك واسماء هي بنت عوف

ابن

المحبوب وشكوى ما يقاسيه طرف من الدهر (قالت) بل هو السحر كله ومعظمه وجله وقد عرف ذلك من جربه وادبه الحب وهذيه وعلى هذا حكاية أحمد بن واصل قال لما كلفت عباسة بنت المهدي بجعفر بعد أن زوجها به الرشيد وشرط عليه أن لا يقربها واشتد وجدها به وعشقها له ولم يطاوعها على ما أحبت وخاف على نفسه من الرشيد أن يظهر امرها فكتبت له

عزمت على قلبي بأن يكتم الهوى
فصاح ونادى انني غير فاعل

فان لم تصلني بحت بالسر عنوة
وان عنفتني في هواك عواذلي

وان كان موت لا أموت بغصتي
وأقررت قبل الموت انك قاتلي

فنالت منه ما أرادت وهل حصل لها ذلك الا بافشاء سرها وشكوى ضرها * وقال ابن شاذان الكاتب قالت لي عريب جارية المأمون كنت مع الواثق وهو يطوف على حجر جواريه عند خروجه الى انبار متنزها فدخل على فريدة جاريته وكان يحبها جدا وكان أيضا يهوى وصيفة لها ولم يكن يعلم ذلك غيري فلما رأته عند مولاتها دخلت خزانتها وقامت على رأسها وعليها عصابة مكتوب عليها بالذهب هذان البيتان

عيني تبكي حذر البين
ما أسخن الفرقة للعين

لم أر في الحب ولوماته
أوجع من فرق القلبين

فقال لي الواثق فهمت ياعريب فقلت نعم ياسيدي فكتب على الارض بقضيب في يده

ظهر الهوى وتهتكت أستاره
والحب خير سبيله اظهاره

فاعص العواذل في هواك مجاهرا
فالذ عيش المستهام جهاره

فحفظت الابيات وتضاحكنا ففطنت فريدة فقالت ياسيدي علمت ما أنتما فيه فامنن على امتك بقبولها

ابن سعد بن مالك ايضا وكان عمرو قد الفهامن التربية صغير بن فخطبها الى عمه فانعم ومضى عمرو الى جار الفلاة فدحه وحظى عنده فامسكه مدة وان الفلاء وقع بالبادية وطرقها جدب فقدم مرادي على عوف يخطب اسماء فزوجه بها على مائة ناقة واحتملها الى قومه وعمدوا الى عظام كبش فذبحوه ودفنوا عظامه وصير وها قبرا فلما قدم عمرو اخبروه انها ماتت واروه القبر فلزمه حتى ضنى وتغير حاله فبينما هو يوما منتحب اذ سمع ولدا قد اقتتل مع آخر على كعب يقول هذا اخذته من عظام الكبش الذى دفن وقيل لعمر وانها اسماء فدعاه وساله الخبر فحين عرف ذلك دعا بزوج ابنته وسار في طلب المرادى فقيل ان اخوته شعروا به فردوه فمات وتظافرت الاخبار بانه وصل الى واد بقرب مراد وقد ثقل في المرض فقال زوج ابنته لما اتركيه واذهبي بنا فقد اجهدنا فلما سمع ذلك كتب على مؤخر الرحل

يا صاحبي تلبثا لا تعجلا * ان الرواح رهين ان لا تفعلا
فلعل لبثكما يقرب بيننا * او يسبق الاسراع سيئا مقبلا
يا راكبا اما عرضت فبلغن * انس بن سعد ان لقيت وحرملا
لله دركما ودر ابيكما * لا يفلت العبدان حتى يقتلا
من مبلغ الاقوام ان مرقشا * أضحى على الاصحاب عبأ مثقلا
وكانما ترد السباع بشلوه * اذ غاب جمع بني ضبيعة منهلا

فلما رأى اخوته الكتابة قتلا الرجل والمرأة واما عمرو فحين ذهبا عنه بقي مطروحا فأوى الى غار هنالك وكان بالقرب راع من مراد فبينما هو به اذا هو بغنم وراعيها فلما بصر به الراعي قال له من انت قال له المرقش انا رجل من مراد فراعي من انت فاعلمه باسم الذى هو عنده فاذا هو زوج اسماء فقال له هل تكلم مولاتك قال لا ولكن تاتيني جارية من عندها الاخذ اللبن قال في النزهة وكانت اسماء قد مرضت ايضا شوقا اليه فلم تغتذ الا بقدح من لبن في اليوم فنزع عمرو خاتمه وقال للراعي القه في القدح فستصيب به خيرا فلما رأته دعت الجارية فاخبرتها ان لا علم لها فنادت زوجها واخبرته القصة فاستحضر الراعي فلما عرفه ركب واركب زوجته فادركوا عمرا وبه رمق فاحتملوه عندهم فمات وقيل انشد عند موته

سما لخوي خيال من سليما * فأرقني واصحابي هجود * فبت ادير امرى كل حال
واذكر اهلها وهم بعيد * على ان قد سما طرفي لنار * يشب لها بذي الارطى وقود
حواليها مهابيض التراقي * وآرام وغزلان رقود * نواعم لا تعالج بؤس عيش
اوانس لا تروح ولا ترود * يرحن معا بطاء المشي رودا * عليهن المجاسد والبرود
سكن ببلدة وسكنت اخرى * فقطعت المواثق والعهود * فما بالي افي ويخان عهدى
وما بالي اصاد ولا اصيد * ورب اسيلة الخدين بكر * منعمة لها فرع وجيد
وذى اشر شنيب النبت عذب * نقي اللون براق برود * لهوت بها زمانا في شبابي
وزين بها النجائب والقصيد * أناس كلما اخلقت وصلا * عناني منهم وصل جديد

(وله) أغالبك القلب اللجوج صبابة * وشوق الى اسماء ام انت غالبه
يهيم ولا يعني باسماء قلبه * لذات الهوى امراره وعواقبه

وعلى قوله يا راكبا البيتين اورد المصنف الحكاية المشهورة دليلا على ذكاء العرب واسندها الى مجهول واصلها قال في روضة القلوب ان اسامة بن غسان بن حارث الكناني

فقال الواثق قد فعلت خذيها اليك يا عريب فاخذت بيدها فما ملك نفسه حتى انصرف من خلفي مضرعا فخلا بها وامر لي بالف دينار ومنهم من لا يجري ذكر العشق على لسانه البتة ويسكت حتى كأن به السكتة ولم أر في ذلك مما يتنافس فيه المتنافس أحسن من قول ابن قلاقس

كتمت الهوى عن العواذل ضنة
عليهم بمن أصبوا اليه واهواه
ولو قلت اني عاشق فطنوا به
لعلمهم أن ليس يعشق الاهو

ومنهم من يبوح باسمه ويرى التصريح باسمه

فبح باسم من تهوى ودعني من الكنى * فلا خير في اللذات من دونها ستر

(وقال) ابراهيم بن عبد الله رأيت على خد جارية مكتوبا بالغالية

كل يوم أذوب من ألم الشو
ق وقلبي من الصدود قريح
لم أجد خلوة اليك فاشكو
ما بقلبي لعله يستريح
ويح قلبي كانه لحد قبر
ضم اعضاء ميت فيه روح

وفي البيت الثاني من هذه الابيات تنبيه على ان افشاء السر الى الحبيب لا يكون الا خلوة فينبغي أن لا يعلم به خلا ولا صديقا ما وجد الى ذلك طريقا كما قيل

يا موقد النار المسا بافلي كبدى
اليك أشكو الذي بي لا الى أحد
اليك اشكو الذي بي من هواك فقد
طلبت غيرك للشكوى فلم أجد

وقال الاحوص

لعمرك ما استودعت سري وسرها
سوانا حذارا أن تضيع السرائر

(ومن ظريف) ما مر بي في هذا الباب ان بعض العشاق أنشد يوما محبوبته قول الشاعر

سري وسرك لم يشعر به احد
الا الاله والا أنت ثم أنا

فقالت له لا تنس القوادة فانها الا بدان تدري بسرنا وتطلع على أمرنا ومن احسن ما سمعته في ذم مفشي السر

قال ابو صبر في تميم فخرج يستجيش له نصرة وذلك قبل يوم اوارة باعوام يسيرة فلما طال عليه المدى وقد صحب عبدين لخدمته ولحقته علة فعزما على قتله فلما احس ذلك قال لهما هل انتما مبلغا ابنتى هذين البيتين قالا وما هما قال تقولان

ألا يا بنات الحى ان اباكما ✽ لله دركما ودر ابيكما

فلما أتيا الحى اخبرا بموته فقالوا هل اوصى بشئ فقالا لا ضرعلينا فيما ذكره وذكرا لهم القول فقالت احدى بناته اقتلوا العبدين فقد قتلا أبى فقالوا ومن اين لك ذلك قالت ان هذا الكلام سفه وهذر وقد كان مصونا عن ذلك وانما كتم عنهما تكملة البيتين والاصل

ألا يا بنات الحى ان اباكما ✽ اضحى قتيلا فى التراب مجندلا
لله دركما ودر ابيكما ✽ لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فاستخبروهما فأقرا بالقصة قلت وفى البيت خزم بالحرف الاول وهو عيب مشهور وسائغ الاستعمال فى الصناعة وقوله بنات الحى ثم عدل الى التثنية فى قوله ان اباكما جريا على الغالب فى خطاب العرب فانهم يستعملون التثنية فى موضع الجمع والافراد قال ابن النحاس وأصل ذلك ان البدوى كان اكثر ما يكون مع راعيه ورفيقه أو انه نزل ابنتيه منزلة الجمع تعظيما ثم عاد الى اصله وقد حكى فى شرح العبدونية هذه القصة عن المهلهل وقال فى صدر البيت الاول من مبلغ الاقوام ان مهلهلا والباقى على حكمه

✽(أخبار عتبة بن الحباب وصاحبته ريا)✽

هو عتبة بن الحباب المنذر بن الجموح الانصارى وصاحبته هى ريا بنت الغطريف السلمى علقها بمسجد الاحزاب يوم متنزه وأصل ذلك ان عبد الله بن معمر القيسى حين دخل المدينة قال بينما اذ زرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا وجلست اذا أنا بشخص ينشد بصوت شجى ولا اراه

أشجاك نوح حمائم السدر ✽ فاهجن منك بلابل الصدر
يا ليلة طالت على دنف ✽ يشكو الفراق وقلة الصبر
أسلمت من تهوى لحر جوى ✽ متوقد كتوقد الجمر
ما كنت اعلم انى كلف ✽ حتى تلفت وكنت لا أدرى
فالبدر يشهد اننى كلف ✽ مغرى بحب شبيهة البدر

وفى رواية صاحب الاصل تقديم هذا وصدر الذى قبله ما كنت احسب اننى شجن فتبعت الصوت فرأيت شابا حرقت الدموع خده فقال لى اجلس احدثك انا فلان كنت يوما بمسجد الاحزاب اذا بنسوة يتنزهن فيهن جارية لم ارمثلها وقفت على وقالت ما تقول فى وصل من يطلب وصلك ثم مضت فلم أعرف خبرها ثم غشى عليه ساعة فلما أفاق انشد

أراكم بقلبى من بلاد بعيدة ✽ تراكم ترونى فى القلوب على البعد
فؤادى وطرفى يأسفان عليكم ✽ وعندكم روحى وذكركم عندى
ولست ألذ العيش حتى اراكم ✽ ولو كنت فى الفردوس او جنة الخلد

فشرعت فى تسليته فقال هيهات او يؤب القارظان مثل مشهور واصله أن أخوين خرجا يجتنيان القرظ نبت معروف فلم يعلم لهما خبر قال عبد الله فلما طلع الصبح قلت له قم بنا الى مسجد الاحزاب فانشد

يا للرجال ليوم الاربعاء أما ✽ ينفك يحدث لى بعد النوى طربا

أتم من الزجاج بما حواه
قلت وما يبعد أن يكون المتصف بهذه الصفة من ذرية القائل
وما اكتم الاسرار لكن انمها
ولا اترك الاسرار تغلى على قلبى
فان قليل العقل من بات ليله
تقلبه الاسرار جنبا على جنب
واين هذا من قول القائل
وقائلة ما بال جسمك لا يرى
سقيما واجسام المحبين تسقم
فقلت لها قلبى بحبك لم يلح
لجسمى فجسمى بالهوى ليس يعلم
ويحكى ان سكينة بنت الحسين بن على رضى الله عنهم مرت فى جواريها بعروة ابن أذينة وهو يغنى فقالت الجوار يها من الشيخ فقلن عروة فمالت نحوه فقالت يا ابا عامر انك تزعم انك لم تعشق قط كيف وانت تقول
قالت وأبثثتها سرى فبحت به
قد كنت عندى تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولى فقلت لها
غطى هواك وما ألقى على بصرى
وقالت كل ما ترى حولى من الجوار أحرار ان كان هذا الكلام خرج عن قلب سليم قط (حكى) عن احمد بن ابى عثمان الكاتب انه كان صديقا لابى الفضل عبد الغفار الانصارى فعشق أحمد جارية لام جعفر اسمها نعمى وهام بها فاطلعه على سره و وصفها له فعشقها عبد الغفار الانصارى فاعتل علة طويلة فاتصل خبره بام جعفر وظنت ان به علة فوجهت اليه طبيبا فانشد
ارسلت ام جعفر لى طبيبا
لشكاتى فضل علم الطبيب
ودوائى واصل دائى لديها
فى يدى شادن غرير ربيب
خبروها بان نعمى دوائى ✽ كى تداوى مريضها عن قريب فسمعت أم جعفر الابيات وسألت عن قصته

فلما وقفت عليها ووهبته الجارية وهجر احمد عبد الغفار وقال جعلتك موضع السر فافسدت علي والمفاسد المترتبة على

ما ان يزال غزال فيه يظلمني * يهوي الى مسجد الاحزاب منتقبا
يخبر الناس ان الاجر همته * أوانه طالب للاجر محتسبا
لو كان يبغي ثوابا ما أتى ظهرا * مضمخا بفتيت المسك مختضبا

فمضينا الى المسجد فحين صلينا الظهر أقبل النسوة ولم نر الجارية فيهن فقلن له ما ظنك بطالبة وصال فقال واين هي قلن له مضى بها ابوها الى السماوة فانشد

خليلي رياقد اجد بكورها * وسارت الى ارض السماوة عيرها
خليلي قد غشيت من كثرة البكا * فهل عند غيري عبرة استعيرها

فقلت له قد وردت بمال جزيل اريد به الحج وقد عزمت على ان ابذله في حاجتك فهل لك أن تسير معي الى قومها وابيها فقال نعم فسافرنا الى أن وفينا اباها ففرش لنا الانطاع ونحر لنا الجزائر فقلنا لا نأكل له طعاما أو يقضي حاجتنا فقال اذكروها فاعلمناه بخطبة عتبة فقال من عتبة فقلنا من الانصار قال ذاك اليها فقلنا له اخبرها فدخل عليها واعلمها فشكرت عتبة فقال قد دعني الى أمرك معه واقسم لا ازوجك به فقالت ان الانصار لا يردون رداقبيحا فان كان ولا بد فاغلظ عليهم المهر فقال نعم ما اشرت به ثم خرج فقال قد اجبت ولكن على الف دينار وخمسة آلاف درهم هجرية ومائة ثوب من الابراد والخز وخمسة اكراس من العنبر فضمنا له ذلك وقلنا اذا احضرناها اجبت قال اجبت فاحضرنا ذلك فلم نلبث بعد بعين يوما ثم اخذناها ومضينا فحين قاربنا المدينة خرج علينا خيل كثيرة حسبناهم بامر أبيها فقاتلناهم زمانا فجاءت طعنة في نحر عتبة فسقط ودمه يفور فجاءتنا النجدة فاذا هو ميت فحين علمت الجارية بموته جاءت حتى انكبت عليه وانشدت

تصبرت لا اني صبرت وانما * اعلل نفسي انها بك لاحقه
ولو انصفت روحي لكانت الى الردى * امامك من دون البرية سابقه
فما احد بعدي وبعدك منصف * خليلا ولا نفس لنفس موافقه

ثم شهقت شهقة فماتت فواريناهما معا قال عبد الله فاقمت سبع سنين ثم رجعت الى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فقلت لا ابرح أو ازور عتبة فجئت فاذا أنا بشجرة عليها ألوان من الورق قد نبتت على القبر فسألت عنها فقالوا شجرة العريسين

(اخبار الصمة وصاحبته ريا)

هو ابو مالك الصمة بن عبد الله بن مسعود بن رقاش القشيري التغلبي من بني ربيعة كان أديبا شجاعا عارفا بأيام العرب ووقائعها ومواضعها وكثيرا ما يسند اليه ابن دريد والاصمعي قال ابن الفواد والوزير انه ادرك أوائل الاسلام (وريا) هي بنت مسعود بن رقاش ايضا كانت ذات ظرافة وفراسة ومعرفة وحسن نشأت مع الصمة صغيرين وكانا يتذاكران الادب وملح الاشعار فأعجب بها وتمكنت منه ولم يكن عندها منه مقدار ما عنده منها فلما شكا ما يجد منها الى بعض أصدقائه ارشده الى تزوجها فخطبها الى عمه فأنعم على مائة من الابل فمضى الصمة الى ابيه فاعطاه تسعا وتسعين فأبى مسعود الا التمام وعبد الله الا ذلك وحلف كل على ما قاله واوقفوا الامر فحملت الصمة الانفة على ان خرج عنهما الى العراق فقالت ريا ما رأيت رجلا اضاعه ابوه وعمه ببعير الا الصمة لما عندهما من العلم بحبه لها فلما طال عليه الامر وتنازعه الشوق والشهامة المانعة له من العود بلا طالب مرض حتى أضناه السقم وقيل أتى

افشاء السر الى الغير كثيرة ولهذا قال أبو العلاء المعري

فظن بسائر الاخوان شرا
ولا تأمن على سر فؤادا

وقال الصاحب محيي الدين الجزري من رسالة فواعجبا كيف لا يتفطن من لا اعيه ولا ينشق لكثرة ما احوم حول القول فيه ولا اوفيه ان شرحت فاضت نفوس فضلا عن عيون وترامت الى مهاوي الاثم الظنون ولو ابديت بعضه اخاف ان يفطن الناس وان افضت فيه اخشى ان لا يحمله سمع ولا يسعه قرطاس (ومن احسن ما سمعته في كتمان السر قول النابغة) وكان الامام علي رضي الله عنه يتمثل به وهو

لا تفش سرك الا اليك
فان لكل نصيح نصيحا
فاني رأيت وشاة الرجا
ل لا يتركون اديما صحيحا

وكتب بها عبد الملك بن مروان الى الحجاج وكان قد استكتمه امرا في كتاب كتبه اليه فظهر وقال عمرو بن العاص ما استودعت احدا سرا فافشاه فلمته لاني كنت اضيق منه صدرا به حين استودعته اخذه الشاعر فقال

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه
فصدر الذي يستودع السر اضيق

(وقال آخر)

اذا انت لم تحفظ لنفسك سرها
فسرك عند الناس افشى واضيع

(وقال ابو جعفر الشطرنجي)

فلا تخبر بسرك بل امته
وصير من حشاك له حجابا
فما اودعت مثل النفس سرا
ولا اغلقت مثل الصدر بابا

(وحكى) الماوردي ان عبد الله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر فقال

ومستودعي سرا تضمنت ستره * فاودعته من مستقر الحشى قبرا

فقال ابنه

عبدالله وهو صبي واحسن ماشاء وما السر في قلبي كنا وبحفرة * لاني ارى المدفون ينتظر الحشرا

كاهنا بالعراق فسأله عما اضمر فاخبره انه لايتزوج بها ابدا فضعف والصحيح كما حكاه صاحب قوت القلوب في اخبار المحب والمحبوب انه قدم رجل يقال له غاوي بن رشيد بن طلابة المذحجي على مسعود فخطب منه ريا وامهرها ثلثمائة ناقة برعاتها فزوجه بها فحملها الى مذحج فبلغ الصمة ذلك فلزم الوساد وطال امره فدخل عليه رجل كان يألفه فمنعه وسلاه فانشد

امن ذكر دار بالرقاشين اعصفت * بها بارحات الصيف بدأو رجعا
حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وسعيا كاما
فما حسن ان يأتي الامر طائعا * وتجزع ان داعي الصبابة اسمعا
كأنك لم تشهد وداع مفارق * ولم ترش عيني صاحبين تقطعا
بكت عيني اليمنى فلما زجرتها * عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا

الرقاشين اسم واد بين نجد واليمن كانت تنزله بنو ربيعة والبارحات رياح معلومة صيفية تستبشر بها العرب والضمير يعود على الوادي * وفي قوت القلوب اعصفت بها سافحات الصيف يريد بالدار والسافحات ايضا رياح لكنها لاتخص الصيف فيشكل التعيين هنا وقوله وسعيا كاما معطوف على قوله ونفسك باعدت يريد ان السعي والنفس ابعداه عن المحبوبة وغلط في قوت القلوب حيث اعرب وسعيك كما نصبا بالياء على انه معمول باعدت عطفا على مزارك وقوله فما حسن ان يأتي الامر وبكت عيني اليمنى البيتين قد استعارهما المجنون وباقي الشعر واضح ويقال ان في القصيدة طولا

ولما رأيت البشر اعرض دوننا * وجالت بنات الشوق تحتي نزعا
تلفت نحو الحي حتى وجدتني * وجعت من الإصغاء ليتا واخدعا
واذكر ايام الحمى ثم انثني * على كبدي من خشية ان تصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا
اما وجلال الله لو تذكرينني * كذكراك ما كففت للعين مدمعا
فقالت بلى والله ذكرى لو انه * تضمنه صم الصفا لتصدعا

ولما طالت عليه دعا له صاحبه العراقي بطبيب حاذق فلما تأمله قال انما يشكو العشق لاغيره وارى ان يلزم النزهة والفرح نحو البساتين ليتشاغل عما هو فيه فاخرجه صاحبه مع بعض الخدم الى الثغور فبينما هو يوما على شاطئ نهر وقد جد به الكرب اذ سمع امرأة تنادي ابنتها ياريا فسقط مغشيا عليه فاحتملوه الى بستان هناك واضجعوه فلما افاق انشد

تعز بصبر لاوجدك لاترى * سنان الحمى احدى الليالي الغوابر
كأن لساني من تذكر الحمى * واهل الحمى يهفو به ريش طائر

ولم يزل يرددها حتى قضى ولما وصل خبره الى ريا داخلها من الوجد ما امسكت معه عن الطعام والشراب وجعلت تبكي حتى ماتت ومن لطيف شعره قوله

الامن لعين لاترى قلل الحمى * ولا جبل الاوشال الا استهلت
الاقاتل الله الحمى من محلة * وقاتل دنيانا بها كيف ولت
غنينا زمانا باللوى ثم اصبحت * براق الهوى من اهلها قد تخلت
فما وجد اعرابية قذفت بها * صروف النوى من حيث لم تك ظنت
تمنت احاليب الرعاء وخيمة * بنجد ولم يقدر لها ما تمنت

ولكنني اخفيه حتى كانني
من الدهر يوما ما احطت به خبرا
(وقال آخر)
ياذا الذي اودعني سره
لاترج ان تسمعه مني
لم اجره بعدك في خاطري
كأنه مامر في اذني
(وقال بشار)
لاخرجن من الدنيا وحبكم
بين الجوانح لم يعلم به احد
(وقال طلحة بن ابي بكر)
لاتظهرن محبة لحبيب
فترى بعينك منه كل عجيب
أظهرت يوما للحبيب مودتي
فاخذت من هجرانه بنصيب
(قيل) اسر رجل الى رجل حديثا فلما فرغ قال احفظته قال بل نسيته وقال ابن المعتز كلما كثرت خزان الاسرار زادت ضياعا ومن كلام الحكماء احفظ ذهبك كما تكتم مذهبك ومنها مقتل الرجل بين فكيه ومن كلام القاضي الفاضل وامت الاسرار في قلبك والحد موتاها في جنبك فقبيح بك ان يرى لك سر الاصدر بك (ووصف اعرابي قوما) فقال سيوفهم آفات الاعمار وصدورهم قبور الاسرار وما احسن قول ابن عباد من ابيات
وضاق على السجن حتى كانني
حللت به للضيق في صدر احمق
فياليتني كالدمع في جفن عاشق
فاخرج او كالسر في صدر احمق
(وقال العباس بن الاحنف)
يا خجلتي فليس يكتم سرا
ووجدت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب اخفاه طي
فاستدلوا عليه بالعنوان

(الباب الثامن في مغالطة الحبيب واستعطافه وتلافي غيظه وانحرافه) أقول هذا باب عقدناه لذكر مغالطة

اذا

اذا ذكرت نجدا وطيب ترابها * وبرد الحصى من ارض نجد ارنت

(ومنه) ارى الدهر بالتفريق والبين مولعا * وللجمع ما بين المحبين آبيا

فاف عليه من زمان كأنني * خلقت واياه نطيل التماديا

(اخبار كعب وصاحبته ميلاء)

هو ابو خثعم كعب بن مالك او عبد الله او خثعم بن لابي بن رباح بن ضمرة طائي من عرب الحجاز يعرف بالمخبل وكان جوادا سخيا شجاعا مألوف الصورة (وميلاء) هي بنت لابي بن رباح اصغر اخواتها كانت اجمل نساء الحجاز وكان كعب قد خطب الى عمه اخت ميلاء وكانت تسمى أم عمرو فزوجه بها فشغف بها شديدا والقهاطو يلا وانه دخل عليها يوما فوجدها قد نضت ما عليها وهي عريانة فسترته حين نظر اليها فقال أنشدك الله هل تعلمين امرأة احسن منك فقالت نعم أختي ميلاء فقال ومن لي بان انظرها فاخبأته وارسلت اليها فحضرت فلما رآها وقعت من قلبه موقعا أدى الى زوال عقله من العشق فانطلق في طلبها فاستعرضها وشكا اليها مالقي من حبها فاعلمته انها اعظم من ذلك في حبه وشعرت أختها فتبعتهما فرأتهما يتشاكيان المحبة فمضت الى اخوتها وكانوا سبعة فاخبرتهم بذلك وقالت اما ان تزوجوا كعبا من ميلاء وتغيبوها عني فلما علم بمعرفة اخوتها به هرب الى الشام فمكث بها اياما وان شاميا خرج يريد الحج فضلت به الطريق فاسترشد امرأة وكانت بالتقدير المحتوم ميلاء والى جانبها اختها فانشد الشامي متمثلا

أفي كل يوم انت من بارح الهوى * الى الشم من اعلام ميلاء ناظر

بعمشاء من طول البكاء كأنما * بها خزر نارطرفها متحادر

تمني المنى حتى اذا قلت المنى * جرى واكف من دمعها متبادر

كما ارفض سلك بعد ما ضم ضمة * بخيط الفتيل اللؤلؤ المتناثر

قلت وهذا الشعر قاله كعب حين علق ميلاء قبل وقوعه الى الشام والمصنف تبع الشيزري في انه قاله بالشام واصل الحال غلط الشيزري في قوله الشم فانه قرأها الى الشام بدليل ان الشامي لما انشد الشعر سألته عن الرجل قال من الشام قالت او تعرف صاحب الشعر قال هو اعرابي اسمه كعب مع انه يحتمل ان تكون معرفتهما من ذكر اسمها ويكون ماذكر صحيحا ولما اخبرها باسم الاعرابي أقسما عليه ان لا يبرح حتى ينظره اخوتها فانهم يكرمونه ثم سألاه هل تروي له غير ذلك قال نعم وانشد

خليلي قد رضت الامور وقستها * بنفسي وبالفتيان كل مكان

ولم اخف يوما للرفيق ولم اجد * خليلا ولا ذا البث يستويان

من الناس انسانان ديني عليهما * مليان لولا الناس قد قضياني

منوعان ظلامان ما ينصفانني * بدلهما والحسن قد خلباني

يطيلان حتى يعلم الناس انني * قضيت ولا والله ما قضياني

خليلي اما أم عمرو فمنهما * واما عن الاخرى فلا تسلان

بلينا بهجران ولم ير مثلنا * من الناس انسانان يهتجران

اشد مصافاة وابعد عن قلى * واعصى لواش حين يكتنفاني

يبين طرفانا الذي في نفوسنا * اذا استعجمت بالمنطق الشفتان

الحبيب في نفسه والحاق يومه بأمسه وهو من اعظم الابواب حشوه وأكثرها رشوه وأحسنها اختراعا وأكثرها خداعا وأبلغها خطابه وأكثرها اصابه وسنورد من ذلك ما يعذب ايراده ويحسن عند أهل الانشاء انشاده ليعلموا ان الاديب على الحبيب يحتال ويجاري برقة ألفاظه الجريال فمن ذلك وهو من أحسن ما سمعته في مغالطة الحبيب

قم بنا يانور عيني * نجعل الشك يقينا

قال لي كم ياحبيبي * يأثم القائل فينا

(ومثله قول الآخر)

ما انس لا انس قولها بني

ويحك ان الوشاة قد علموا

ونم واش بنا فقلت لها

هل لك يا هند في الذي زعموا

قالت لماذا ترى فقلت لها

كي لا يضيع الظنون والتهم

(وقال العباس بن الاحنف)

كان لم يكن بيني وبينكم هوى

ولم يك موصولا بحبلكم حبلي

واني لاستحيي لكم من محدث

يحدث عنكم بالملالة والمطل

(وقال آخر)

نسبت الى ذنب ولم اك مذنبا

وحملتني في الحب ما لا أطيقه

وما طلبي للوصل حرصا على البقا

ولكنه أجل اليك أسوقه

(قلت) ما رضي بروح هواه يسوله حتى يسوق اليه الاجل ايضا (ومما قلته أنا في هذا المعنى)

لم أطلب الوصل من أجلي فديتك يا

من زاد حظي سوادا منه شامات

لكن خشيت بأن تبلى بعشق رشا

يقتص لي منك والدنيا مكافات

(وقال آخر)

قد أكثر الناس أنواع الحديث بنا

وفرق الناس فينا قولهم فرقا

فكاذب قد رمى بالظن غيركم * وصادق ليس يدري انه صدقا

(وقال آخر)

عن ابن عباس عن المصطفى
نبينا المبعوث بالرحمه
ان انقطاع الخل عن خله
فوق ثلاث ربنا حرمه
وأنت مذ شهر لنا هاجر
أما تخاف الله فينا فيه

(وقال جميل)

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا
سوى ان يقولوا انني لك عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبيبة
الي وان لم تصف منك الخلائق

(قلت) هكذا رأيته في غالب ما وقفت عليه من نسخ الحماسة وسمعت من أفواه أهل الادب أعني ان قافية البيت الاول عاشق والصحيح انها وامق لان المعنى على ذلك بيانه ان الوامق المحب لغير ريبة والعاشق المحب لريبة واذا كان ذلك كذلك لم تصح المغالطة الا بقوله وماذا عسى يقول الواشون سوى اني لك وامق أي محب لغير ريبة (وقال ابن رواحة الحموي)

ان كان يحلو لديك قتلي
فزد من الهجر في عذابي
عسى يطيل الوقوف بيني
وبينك الله في الحساب

(حكي) أن بعضهم أنشد شابا كان يحبه ماذا تقول اذا اجتمعنا في غد
وأقول للرحمن هذا قاتلي
فقال له الشاب أقول هذا أراد أن يفنيني فأمكنته (وقال ابن سنا الملك) من رسالة وأنا والله في امرك مغلوب والسبب اني أنا المحب وأنت المحبوب ولا تجالد عليك فأغرك وأخون حبك ولا تصنع عليك فأغشك وأغم قلبك اعمل ما شئت فانا الصابر وافعل كيف شئت فانا الشاكر وقل فلي سمع يعشق قولك والتفت ترى آمالي ترفرف حولك فافعل فانت المعذور واستطل فأنا المضرور بل المسرور وزر وارجع الى الود

فوالله ما ادري أكل ذوي هوى * على ما بنا أم نحن مبتليان
فلا تعجبا مما بي اليوم من هوى * ففي كل يوم مثل ما تريان
خليلي عن اي الذي كان بيننا * من الوصل او ماضي الهوى تسلاني
وكنا كريمي معشر حم بيننا * هوى فحفظناه بحسن صيان
تذود النفوس الحائمات عن الهوى * وهن باعناق اليه ثواني
فلام بأم العمر يشفي فقد بدا * به السقم لا يخفي وطول هوان
فما زادنا بعد المدى نقص حبه * ولا رجعنا عن علمنا بيان
خليلي لا والله مالي بالذي * تريدان من هجر الصديق يدان
ولا لي بالهجر اعتلاق اذابدا * كأنهما بالبين معتلقان
ولا لاهيا يوما الى الليل كله * ببيض لطيفات الخصور رواني
يعنيننا حتى يرعن قلوبنا * ويخلطن مطلا ظاهرا بليان
اعيني يا عيني حتام انتما * بهجران أم العمر تختلجان
فما انتما الا على طليعة * على قرب اعدائي كما تريان
فلو ان أم العمر اضحت مقيمة * بمصر ودوني الشهر شهر رحمان
اذن لرجوت الله يجمع بيننا * وانا على ما كان ملتقيان
من البيض تجلاء العيون كلاهما * مقيم وعيشي ضارب بجران
أفي كل يوم انت رام بلادها * بعينين انساناهما غرقان
اذا ذرفت عيناي قالت صحابتي * لقد ولعت عيناك بالهملان
ألا فاحملاني بارك الله فيكما * الى حاضر الروحاء ثم ذراني

هذا ما نقله الجل وأخرج هنا من الاغاني ان من قوله ولا لاهيا يوما الى آخر القصيدة لم ينشده الشامي قلت وقوله ففي كل يوم انت رام وقوله ألا فاحملاني البيتان مسروقان من كلام عروة بن حزام ثم نزل وجاء اخوتها فاكرموه ودلوه على الطريق بعد ان استخبروا منه عن كعب وموضعه ثم توجهوا في طلبه وضعفت ميلاء على ما رواه في نهاية الادب بصداع اصابها فلما احضر وابكعب نزل ناحية وصادف وقت فواتها فرأى الناس عند البيت مجتمعين فاحس قلبه بالشر فقال لصبي بازاء البيت الذي هو فيه من ابوك قال كعب وكان تركه صغيرا حين مضى الى الشام فقال له ما اجتماع الناس على طنب هذا البيت قال على خالتي ميلاء ماتت الساعة فلما سمع ذلك وضع يده على قلبه واستند الى طنب البيت وحرك فوجد ميتا فدفنوه الى جانبها رحمة الله عليهما

(القسم الثاني فيمن جهل اسمه او اسم محبوبته او شيء من سيرته او ما [illegible] حقيقته) ختمناه بصنف لطيف القوانين في ذكر عقلاء المجانين ونحن وان كنا قد ذكرنا من هذا النوع فيما سلف بعضا لكنهم انما قصوا واشياء ما ذكرنا بالنسبة الى هذا الكتاب لقلة قصه والا فهم مشهورون كثير الخلاف من يأتي بعد وستقف على كثير منهم كامل النسب والاسباب اذكره ان شاء الله تعالى لكنه غير قوي الشهرة ولم أتبعه في التنويع بأن اقول نوع فيمن نزل به الحال ونحو ذلك اذ لا طائل فيما صنع ولا فائدة فيما نوع ووضع وانما كان الاولى ان يذكر المشاهير ثم اهل الجاهلية وهكذا كما وقع ترتيبه هنا وهؤلاء القوم كثيرون

*(فمنهم

(فمنهم سامة بن لؤي بن غالب القرشي مشهور)

قال في النزهة نحر يوما للضيوف مائة من الابل فاكلوا قليلا وبقي الغالب فعاتبه أخوه كعب في ذلك وقال له لو أبقيت عليها الحاجة كان اولى فغضب منه ورحل مستخفيا فنزل على أزدي فنظرت اليه زوجته فوقع من قلبها وهي من قلبه وزوجها يرصدهما فلم يستطيعا ان يعرف كل منهما الآخر ماعنده فاستاكت أسامة ورمى السواك فاخذته وامتصته ففطن زوجها لذلك فعزم على قتله فسم له قدحا من لبن وقدمه اليه فغمزته فاراقه ثم ركب وسار فهوت ناقته في الخيلة الى عرفجة اترعاها فلما جذبتها خرجت حية فضربت ساق سامة فمات لوقته وبلغ الازدية فلم تزل تبكيه حتى ماتت ولولا ما في هذه الحكاية من الاعتبار بمصادفات الاقدار لم أوردها اذ لا مناسبة لها بهذا المعيار

(ومنهم عمرو بن عوف وبيا)

هوى جارية اسمها بيا فشغف بها طويلا فخطبها الى أهلها فلم يجيبوه وزوجوها من غيره فلما شعر زوجها بحال عمرو معها رحل بها حتى نزل اليمن بني الحرث بن كعب وطال الحال على عمرو فطاش عقله وطار لبه فاشار عليه أصدقاؤه ان يقصد مكة فيتعلق بأستار الكعبة ويسأل الله ان يجمعه عليها او صرف قلبه منها ففعل فبينما هو يطوف في الموسم اذ رآه شخص من بني الحرث فوقعت بينهما الفة فاخبره بالحال وغياب المرأة فاعلمه بمكانها منهم فقال عمرو هل لك في صنيعة يحسن شكرها قال نعم قل فقال عمرو ليتخلف كل منا عن أصحابه بعد النفر ثم نسير الى مكان يقرب منها وتمضي انت فتعلمها بمكاني ففعلا ومضى به الرجل حتى جعله في بيته وذهب فاعلم بيا فكانت تاتيه فيتحادثان ويتشاكيان ما القيا من الوجد فانكر زوجها غشيانها المنزل من غير عادة وحسن حالها بعد ما كانت فيه من الضجر فاظهر لها سفرا يغيب فيه عشرا ثم عاد بعد ليلتين وقد فرشت لعمرو بساطا امام البيت وتحادثا فنام كل على طرف من البساط آمنا فنبه عمرا فثار عليه بالسيف فقال من يجيبني منك يا عمرو وانا لم اهرب هنا الا منك فقال يا ابن العم والله لم يكن بيننا أكثر من الحديث وانما غلب على حبها من الصغر فقال زوجها حيث تحققت ان لا ريبة فلا باس عليك فاقاما جميعا حتى مات عمرو من العشق والعفة والوجد وحكي انها عمرت بعده فسئلت على اي شيء مات عمرو ووجدا بك مع انه لا حسن عندك فقالت ما كنت بالقبيحة ولقد كنت أروى الشعر واحسن الادب

(ومنهم بشير الشهير بالاشتر وجيداء)

هوى جارية من قومه اسمها جيداء فاشتد بها كلفه وزاد في حبها تلفه فمنعها اهلها عنه فثار بينهم شر وخصومة عظيمة فلما طال شوقه واضمحل حاله جاء الى صديق له يقال له عمير فقال له هل عندك صنيع تمن به على عسى ان تعود روحي الي قال أشر بما شئت فاني فاعل قال تمضي الى حي جيداء فاذا صادفت جاريتها فاخبرها بحالي فعسى ان تأخذ لي موعدا قال عمير فمضيت حتى لقيت الجارية فاخبرتها فمضت الى مولاتها فأخذت منها موعدا بان تأتي بعد العشاء عند شجيرات هنالك فلما كان الليل اقبلت فقام اليها بشير وهممت بالانصراف عنهما فقال والله ما بيننا أكثر مما ترى فكانت فجلسنا حتى مضى شطر من الليل فعزمت على الذهاب فكادت نفس بشير ان تزهق ثم سألها الاقامة معه بقية الليلة فقالت لا سبيل الى ذلك الا ان يكون في صاحبك هذا خير فقلت فيم شئتم فرمت بثيابها الي وقالت اذهب الى

الذي بيننا فكل ذنب لك مغفور (وقال أيضا) وأنا أستعيذ بالله من ذنب يوجب منك ويجمع عذبك ويصرف قلبك ويحيلك ثاني عطفك بغيرك على الفلك

لست على هجرك جلد القوى ولا على عتبك شاكي السلاح (وقال ابن السوادي) الشاعر المشهور

أشكو اليك ومن صدودك اشتكي
وأظن من شغفي بأنك منصفي
وأصده منك مخافة من أن يرى
منك الصدود فيشتفي من يشتفي

(وحكى) القاضي أبو عمر محمد بن يوسف الازدي قال كنت أساير أبا بكر محمد بن داود الاصفهاني ببغداد واذا بجارية تغني من شعره

أشكو اليك فؤادا أنت متلفه
شكوى عليل الى الف يعلله
سقم يزيد على الايام كثرته
وأنت في عظم ما ألقى تقلله
الله حرم قتلي في الهوى سفها
وأنت يا قاتلي ظلما تحلله

فقال محمد بن داود كيف السبيل الى استرجاع هذا فقلت له هيهات سارت به الركبان (وقال أبو عبد الله)

قلبي عليك أرق من خديكا
وقواي أوهى من قوى جفنيكا
لم لا ترق لمن تعذب قلبه
ظلما ويعطفه هواه عليكا

(وقال أبو العلاء المعري)

لغيري زكاة من جمال فان تكن
زكاة جمال فاذكري ابن سبيل

(وقال ابن سنا الملك)

وغانية لم تعد عشرين حجة
أقول لها قولا لديه صواب
عليك زكاة فاجعليها وصالنا
فعمرك في العشرين وهي نصاب

(وقال ناصر الدين النقيب)

لقد وجبت عليك زكاة حسن
وفيه كمثل ما في المال حق
ولا يعدل به عن فاني * لمصرفه الفقير المستحق

(وقال القاضي) شمس الدين بن خلكان رحمه الله من قصيدة

خدري كانت اناقسجي زوجي ويطلب القدح للعاب فلا تعطه حتى تطيل تمكنه ثم ارم به اليه فاني أفعل ذلك فاذا عاد باللبن فلا تأخذه حتى يضعه بنفسه أو يطول وقوفه فانه بعد ذلك لا يأتيك بقية الليلة قال عمير ففعلت ذلك فمراني بعد ان طال وقوفه باللبن وأراد وضعه واردت أخذه تجاذبنا فكب القدح فقال هذا طماح ثم عمد الى سوط مفتول فضربني حتى زايلتني نفسي وهممت ان أوجره بالسكين فخاصوني وردوا على الستر وجاءت أمها تعنفني وتوصيني بأن لا اخالف زوجي ظنا انني ابنتها وتقول مالك والاشتر ثم قامت عني على ان ترسل الى ابنتها الاخرى تؤنسني فلما جاءت جعلت تبكي وتدعو على من ضربني واضطجعت الى جانبي فوضعت يدي على فمها ثم قلت ان أختك مع بشير في موضع كذا وقد جرى لي من جهتها ما علمت وانت أولى بالستر على اختك فارتعدت ساعة ثم انست فبتنا معا في طيب ليلة من اللطف والعفة حتى اذا جاء الصباح واقبلت أختها فانكرت من معي فقلت هي اختك وستخبرك بما كان ثم مضيت الى بشير فاعلمته بالخبر فلما رأى تأثير السوط في بدني وخروج الدم قال لقد عظمت صنيعتك ووجب شكرك قال ابن طاهر فلم يقم بعدها بشير الا دون شهر وجاءه شخص فقصد مماجنته فقال وهو يتناول عنبا اتنفكه وجيد الاقد قضت الساعة فلم يسمع منه الا شهقة وحرك فاذا هو ميت فبلغ الخبر الجارية فهتكت سترها وجزت شعرها وألقت نفسها في بئر هنالك فماتت

(ومنهم مسعدة بن واثلة الصارمي)

قال في تسريح النواظر وكان غلاما حسن الوجه سخي الكف شجاعا وان أباه توفي فاختلف مع عمه على بكرات فرحل مغضبا حتى نزل على بني باهلة فاقام عندهم برهة فورد الماء يوما فصادف جارية على بعير تنشد عقاله وهمت بالنزول فلما رأته قالت هل لك في ان تكفيني كلفة التعب قال وفيم تتعبين وماذا تطلبين قالت مل هذه السقاية ورمت بها اليه فملأها لاثنها وهممت ان اتناولها شعرت من زندين كانما جبلت عظامها بالبلور والصافي ثم تناولت القربة فانكشف البرقع عن وجه كانما تستعير منه الشمس الضياء فداخلني ما خشيت معه زهاق نفسي قال ثم مضى متغير الحال فشكا الى صديق له ما جرى له وساله عن اسم الجارية فقال هي رملة بنت اثيلة بن مصقع واعلمه بمكانها فكان يمضي في كل يوم فيقف حتى يراها فيشكو اليها ما عنده من حبها قال الشيزري فداخلها من العشق ما داخله فلما علم أهلها بذلك حجبوها وبلغه علمهم فخرج حياء وخوفا فرأى حمامات على اراكة ينحن فهاجت بلابله فانشد

دعت فوق أغصان من الايك موهنا * مطوقة ورقاء في أثر آلف
فهاجت عقابيل الهوى اذ ترنمت * وشبت ضرام الشوق بين الشراسف

ثم أدركه الليل قريبا من حي خشي ان يكونوا من قومها فنزل قريبا منهم فسمع قائلا يقول

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

وكان يرى الطيرة فارتابت نفسه من ذلك وراجعه القلق ثم أخذته سنة فاذا هو بقائل ينشد

ولا شيء بعد اليوم الا تعلة * من الطيف أو تلقى بها منزلا قفرا

فزاد قلقه ثم عاودته السنة فسمع قائلا يقول

لن يلبث القرناء ان يتفرقوا * ليل يكر عليهم ونهار

خلع العذار وبح فيك مؤنبي
لكن خشيت بان تقول عواذلي
قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي

(وقال آخر)

تجني عليك اذا خلوت كثيرة
واذا حضرت فانني مخصوم
لا أستطيع أقول انت ظلمتني
الله يعلم انني مظلوم

(وقال المكرم)

الناس قد أثموا فينا بظنهم
وصدقوا بالذي أدري وتدرينا
ماذا يضرك في تصديق ظنهم
بان تحقق ما فينا يقولونا
حملي وحملك ذنبا واحدا ثقة
بالعفو أجمل من اثم الورى فينا

(وقال المتنبي)

زودينا من حسن وجهك ما دا
م فحسن الوجوه حال تحول
وصلينا نصلك الآن في الدنـ
ـيا فان المقام فيها قليل

(أقول) هذا البيت الاخير حسن في بابه فيما يتعلق بمغالطة الحبيب واستعطافه وأما الاول ففيه تنفير فليته أراح واستراح وترك التهكم بالوجوه الملاح على ان التلعفري اقتدى به في التهكم باحبابه (فقال دوبيت)

يا تارك ربع الصبر مني مهدوم
ما أن ترى لغائب الوصل قدوم
خف ربك في العشاق وارفق بهم
ولا تحسب ان دولة الحسن تدوم

(الباب التاسع في الرسل والرسائل والتلطف في الوسائل)

أقول هذا باب عقدناه لذكر مراسلة الاحباب وشكوى الجوى في الجواب وهو باب مطروق تأنق السوق طالما عرض فيه المحب على الرسول سلامة التحول لا سيما من عيل صبره واشتهر أمره فاصبح وهو في البيت طريح

لم يبق يوماعاشقان بحالة * الا وقد جاءتهم الاغيار
كل وان طال المدى متصرم * حكم الاله وسارت الاقدار

فقام فركب متفكرا وسار فلما برق الفجر اذا هو براع ينشد

كفى بالليالي مخلقات لجدة * وبالموت قطاعا حبال القرائن

فعرف صوته فقال فلان قال نعم فقال له ما دهاك قال قد ضاجعت رملة الثرى فسقط مغشيا عليه فلم يفق حتى حميت الهاجرة وحمل الى بيته فانشد

ياراعي الضأن قد ألقيت لي كمدا * يبقى ويقلقني ياراعي الضان
نعيت نفسي الى روحي فكيف اذا * أبقى ونفسي في اثناء كفاني
لو كنت تعلم ما اسررت في كبدي * بكيت مما تراه اليوم أبكاني

فلم يزل يردده حتى مات

(ومنهم ذرعة بن خالد العذري)

كان غلاما حسن الوجه عذب المنطق سخي الكف راوية عارفا بأيام العرب واشعارها اخرج يوما للصيد فلما ورد المشرعة وجد النساء يغترفن الماء ودونهن جارية قد انفرت عشط شعرها على جانب الغدير وقد اسبلته كأنه الليل المظلم ووجهها من خلاله كأنه البدر فى تمه فحين ابصرها سقط مغشيا عليه فقامت اليه فرشت عليه الماء فلما افاق وابصرها قال وهل مقتول يداوى به قاتله قالت كفيت ما تشكو وحادثته فثابت نفسه اليه وقد ادخلها ما داخله من الحب ثم رجع وهو يقول خرجنا للصيد فاصطادنا ثم انشد

خرجت أصيد الوحش صادفت قانصا * من الريم صادتني سريعا حبائله
فلما رماني بالنبال مسارعا * رقاني وهل ميت يداوى به قاتله
الا في سبيل الحب صب قد انقضى * سريعا ولم يبلغ مرادا يحاوله

قال ابن الفرات ثم انه لزم الوساد أياما وان امه اقسمت عليه حين سمعته يكرر الابيات الا ما اخبرها بحاله فاظهرها على الامر فعرفت الجارية فاذا هي ظريفة بنت صفوان بن واثلة العذري فمضت اليها واعلمتها القصة وقبلت رجليها على ان تزود بيتهم فعسى ان يشفى ولدها فقالت ان الوشاة كثيرون ولكن خذي هذا الشعر اليه فان امسكه فانه يشفى ثم جزت لها شيأ من شعرها فلما ذهبت اليه جعل يتنشقه فتراجعت نفسه شيأ فشيأ حتى اشتهى ما يأكل فقدم اليه فتناوله وقام فكان يأتي قريبا من الابيات فيسارقها النظر وتخالسه هي أيضا الى ان فطن اهلها فالوا على قتله وبلغه فوقع الى اليمن وكان كلما اشتد شوقه قبل الشعر وجعله على وجهه فيستريح لذلك فلما كان يوم من الايام وقد خرج لبعض حاجاته سقط منه الشعر فلما أيس منه عزم على العود فمنع فقال دعوني فاني أرجو ان اظفر أو اموت فصحبه غلام قال ابو شراعة فرأيته في الطريق وعليه بردان وهو يعلم الصبي الابيات ويقول له اذا حاذيت موضع كذا فانشدها رافعا صوتك ولك احد هذين البردين فتبعتهما حتى بلغ الموضع فانشد

مريض بأفناء البيوت مطرح * به ما به من لاعج الشوق يبرح
وقالوا الاجل اليأس عودي لعل ما * تشكاه من آلام وجدك يسمح
وليس دواء الداء الا بحيلة * اضر بنا فيها غرام مبرح
اذا ما سألناها نوالا تنيله * فصم الصفا منها بذلك أسمح

فتبعت الصبي وهو لا يشعر بي فلما حاذاها رفع عقيرته بالابيات ينشدها فسمعت من بعض

واستعمل في مراسلة الحبيب حتى الريح كما قيل فيا نسيم الصبا أنت الرسول له * والله يعلم اني منك غيران

بلغ سلامي الى من لا أكلمه
اني على ذلك الغضبان غضبان
لا يارسولي لا تذكر له غضبي
فذا الذي تمويه وبهتان
وكيف أغضب لا والله لا غضب
اني لما رام من قتلي لفرحان
أكل يوم لنا رسل مرددة
وكل يوم لنا في العتب الوان
أستخدم الريح في حمل السلام لكم
كأنما أنا في عصري سليمان

فهو من الهوى على خطر ومن اقامة الهجر على سقر لا يقر له قرار ولا يصطلى لوجنة محبوبه بنار لا جرم انه يتعلل بالنسيم العليل ويقول لاستنشاق النسيم منه قليلك لا يقال له قليل (ومن أحسن ما سمعته في هذا الباب) قول الواوا الدمشقي

بالله ربكما عوجا على سكني
وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحدثاه وقولا في حديثكما
ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا في ملاطفة
ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما في وجهه غضب
فغالطاه وقولا ليس نعرفه

(أخذه) من قول عمر بن أبي ربيعة من أبيات يصف بها قوادة

فاتتها طبة عالمة * تمزج الجد مرارا باللعب
تغلظ القول اذا لانت لها
وتراخى عند سورات الغضب

قيل ان ابن أبي عتيق قال لعمر لما سمع قوله هذا ما احوج المسلمين الى خليفة يدبر امرهم مثل قوادتك هذه (ومثل قول الواوا قول الآخر)

ألا يا نسيم الريح بلغ رسالتي
سلمى وعرض بي كأنك مازح
وان أعرضت عني فوه مغالطا * بغيري وقل ناحت عليه النوائح

(وقول الآخر وهو بيت) باللطف اذا لقيت من أهواه

هبت لنا ريح شمالية
متت الى القلب باسباب
أدت رسالات الهوى بيننا
عرفتها من بين أصحابي
(وكان) الصاحب بن عباد رحمه الله اذا سمع هذين البيتين ترنح لهما وقد عقدت للنسيم بابا مستقلا فى كتابى سلوك السنن فى وصف السكن وذكرت فيه أشياء تليق بهذا الباب منها قول أمين الدين ابن عطايا
أنا أهوى غصن النقا وهو لاه
وفؤادى بحبه فى التيه
يا نسيم الصبا ترفق عليه
وتلطف به ولا تؤذيه
وتحمل رسالة ليس الا
ك أمينا فى حملها أرتضيه
واذا لم يكن رسولى نسيما
نحو غصن النقا فمن يثنيه
(وقال ابن الخياط الدمشقى)
يا نسيم الصبا الولوع بوجدى
حبذا أنت لو مررت بهند
ولقد رابنى شذاك فبالله
متى عهده باطلال نجد
(وقال مهيار الديلمى)
حملوا ريح الصبا نشركم
قبل أن تحمل شيحا وخزامى
وابعثوا الى فى الدجى طيفكم
ان أذنتم لجفونى أن تناما
(حكى) ان نور الدين على بن سعيد المغربى صاحب المرقص والمطرب مر مع جماعة من الادباء المصريين وفيهم أبو الحسين الجزار فروا فى طريقهم بمليح نائم تحت شجرة وقد ذهب الهوى فكشف ثيابه عنه فقال أبو الحسين الجزار قفوا لينظم كل منا فى هذا شيأ فقال فما لبث أن قال نور الدين المذكور

الريح اقود ما يكون لانها * تبدى خفايا الردف والاعكان وتميل بالاغصان عند هبوبها

الابيات قائلا يقول

رعى الله من هام الفؤاد بحبه * ومن كدت من شوقى اليه اطير
لئن كثرت بالقلب اتراح لوعة * فان الوشاة الحاضرين كثير
فيمشون يستشرون غيظا وشرة * وما منهم الأب وغيور
فان لم أزر بالجسم رهبة مصدر * فللقلب آت نحوكم فيزور

وفى النزهة * فان لم أزر بالجسم خيفة معشر * وهو أحسن ثم رجع الصبى فانشد ابياتها فغشى عليه ساعة ثم افاق وهو ينشد

اظن هوى الخود الغريرة قاتلى * فياليت شعرى ما بنو العم صنع
أراهم وللرحمن درصنيعهم * تراكى دمى هدرا وخاب المضيع

ثم مضى متنكرا حتى دخل بيته ولزمه أياما الى ان زفت طريفة الى رجل منهم يقال له ثعلب فلما بلغه الخبر اضطرب ساعة ثم أغمى عليه فحرك فاذا هو ميت وبلغها فلزمت البكاء اياما ولم تمكن الرجل من نفسها فلما كانت ذات ليلة خرجت من بعد انتصاف الليل فتبعها حتى انتهت الى نهر فالقت بنفسها فيه فاخرجها وليس بها حراك ثم احتملها الى الخيمة فلما أصبح الصبح جاءت امها فوجدت بها رمقا ولكنها لم تفقه كلاما فاشارت ان تسقى الماء فسقوها فقضت من وقتها وفى روضة القلوب انها غرقت ولم تخرج الا ميتة

(ومنهم شخص)

قال التوزى مسندا عن بعضهم انه رآه وقد تهيأ الى الحج فلما دخل بغداد رآه وقد اقبل تحت قصر ومعه تفاح فجعل يرشق به الى القصر وجوار تتناوله بأيديها فقال له ويحك ألم ترد الحج فانشد

ولما رأيت الحج قد آن وقته * وابصرت بزلك العيس بالركب يعسف
رحلت مع العشاق فى طلب الهوى * وعرفت من حيث المحبون عرفوا
وقد زعموا ان الجمار فريضة * وتارك مفروض الجمار يعنف
فهيأت تفاحا ثلاثا واربعا * فزمفرلى بعض وبعض مغلف
وقمت حيال القصر ثم رميته * فظلت له ايدى الملاح تلقف
وانى لأرجو ان تقبل حجتى * وماضمنى للحج سعى وموقف

(ومنهم رجل من بنى كندة) فعده من بنى عذرة أو رده مجهولا وكذا ابن ابى الاصبع فى الطبقات فى ترجمة الحرث بن كلدة وفى النزهة قال لا نعلم اسمه وحكايته مشهورة وهى ان أخاه استخلفه على بيته وخرج لغرض فصادف يوما ان دخل وزوجة اخيه سافرة فرآها فلما علمت بذلك سترت وجهها بيديها فكان ما لقيه من رؤيته معصمها اضعاف ما لقيه من وجهها فخرج وقد اشتعل الحب فى قلبه فاقام أياما يكابد العناء حتى لزم الوساد وجاء اخوه فابصره وقد ذوت أعضاؤه وذهبت محاسنه وتغير جسمه فلم يترك عرافا ولا طبيبا حتى دعا له فلم ينجع شيأ فوصف له الحرث بن كلدة وكان أحذق اهل زمنه فلما رآه قال ليس به الا العشق فقالوا وما السبيل الى معرفة ذلك قال تسقوه الخمر فعساه ان يصرح ففعلوا ثم غدا عليهم فقالوا له قد ذكر العشق ولكن لم يصرح باسم المحبوب فقال زيدوه ففعلوا فصرح بريا زوجة اخيه فقال أخوه اشهدكم انها طالق ثلاثا لانى أعتاض عنها ولا اعتاض عن اخى فبشروه فقال هى على كامى ان تزوجتها ومات بعد قليل وقيل خرج هائما ولم يدر أين مات

وان اخاه حين فقده مات اسفا ولما سقوه الخمر غنى ابياتا حذفتها هنا وفي مختصر الطبقات اسخافتم افاختلاف في أيهما اكرم * ونظير ذلك في السماحة ماوقع للحكم بن المطلب المخزومي فانه هوى جارية فاشتراها بمال عظيم واراد الدخول بها فلبس أفخر ثيابه ومضى ليعلم اباه وكان ابوه يحب اخاه عتبة أكثر منه فاقسم عليه ان يهب الجارية لاخيه ففعل فابى اخوه واعتقها حتى قيل انه مات بحبها وله عطايا مشهورة قيل ان رجلا جاز بالزمه دين ثلاثة آلاف دينار فقصد خالد بن عبد الله القسري يجد ابا قصاد في الحكم وكان جابيا حينئذ فلما وقف على قصته وهب له اربعة آلاف دينار وقال له وفر عليك المشاق

(ومنهم غلام)

قال في النزهة هذلي واسمه راشد بن صفوان الهذلي قال الجلال السيوطي في شرح الشواهد عن ابن عساكر ان اسمه غاوي وكان له كلب اسمه راشد وكان له صنم يأتي اليه كل صبيحة فيسجد له ويذهب الى الصيد فجاء يوما فرأى الثعالب قد بالت على رأس الصنم فكسره وانشد

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم اقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقص عليه الخبر فاسلم فقال له ما اسمك قال غاوي قال وكلبك قال راشد قال لا انت راشد وكلبك غاوي ثم ذهب وكان يغدو على بني عامر لالفة بينه وبين رجل منهم فلمح جارية منهم يقال لها هيفاء بنت عبد الله بن عامر وكانت من اجمل نساء العرب فغادره من حبها ما كاد ان يأتي على نفسه ثم ان الجارية تزوجت بشخص من جهينة فلما حملها الى حيه وطال على الغلام الشوق وانقطاع الاخبار ذهب عقله فكان يهيم غاديا فصادف صيادا قد اصطاد خشفا فوقف ينظر اليه ويبكي ثم انشد

وذكرني من لا ابوح بذكره * محاجر ظبي في حبالة قانص

فقلت ودمع العين يجري بحرقة * ولحظي الى عينيه لحظة شاخص

ألا ايهذا القانص الظبي حله * وان كنت تأباه فعشر قلائص

خف الله لا تحبسه ان شبيهه * حبيبي فقد أرعدت فيه فرائصي

فقال له الصياد دونك فخله فتقدم اليه وقبله وأطلقه واتبعه نظره حتى غاب ثم قال للصياد ائتني غدا في موضع كذا واقبل يسوق عشرا من الابل فابى الصياد قبولها فاقسم عليه الا ما أخذها فقبلها وانصرف

(ومنهم قيس بن منقذ بن مالك الكناني المشهور بابن الحدادية)

كان يهوى نعمى الخزاعية وكانت كنانة وخزاعة يتقاربون في المنزل لان بينهم نسبا لم ترم فيه العصاف كان قيس يجلس الى نعمى فيتحادث معها فدخل بينهما الهوى وقيل انها رأته وقد ركب يوما في ملعب وزينة ففخر على اكثر من حضر بالشجاعة فدعته للمحادثة وقد نزلت مع اترابها على منتزه فنزل وتحادثت معه ساعة فاقبل راع يسوق غنما فاشترى قيس منه عنزة وذبحها للنساء فلما أكان وقد ترك الفاضل منها على الارض ثم تمثل بهذا البيت ويقال انه لحاتم الطائي

اذا لم يكن للطير في زاد عزوة * نصيب فليسوا في الورى بكرام

وفي النزهة اذا لم يكن للوحش والمعنى قريب فانتشأ الود بينهما ولم يزالا على ذلك برهة الى ان أجدبت سنوهم فارتحلوا منتجعين وافترقت القبيلتان فلما كان يوم من الايام نظرت

ما بقي احد منا يأتي بمثل هذا فسير وابنا

(وقال على الصفار)

اذا هب النسيم بطيب نشر
طربت وقلت ايه يا رسول
سوى اني اغار لان فيه
شذاك وانه مثلي عليل

(وكان القاضي محيي الدين) بن عبد الظاهر يحب شابا مغنيا اسمه نسيم وله فيه عدة مقاطيع منها قوله

ان كانت العشاق من أشواقهم
جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فانا الذي أتلو لهم ياليتني
كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

(فقلت) انا كاني حاضر اخاطبه مضمنا

ان كنت في عشق النسيم متيما
وزعمت ان هواه ليس بمتلف
فانا أقول لمن تحرش بالهوى
عرضت نفسك للبلا فاستهدف

وقال القاضي محيي الدين أيضا في محبوبه النسيم

يامن غدا لي من عوا
صف هجره الريح العقيم
أترى يطيب لي الهوى
ويقال قد رق النسيم

(وقلت أنا كاني حاضر اخاطبه)

بالله ان رق النسيم واخذت
نارتوجعها بذا التبريح
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ودع العذول وقوله في الريح

(وقال القاضي محيي الدين أيضا)

شكرا النسمة أرضكم
كم بلغت عني تحيه
والكم أطالت بل أطا
بت في رسالتها الذكيه
لا غروان حفظت أحا
ديث الهوى فهي الذكيه

كنانة الى موضع ديارها فوجدوا البروق ملبية والسحب فضية فعلموا ان الغيث عمها فارتحلوا الى ان نزلوا بها فنظر قيس فى مواضع خزاعة فتذكر اجتماعهم فتنفس الصعداء وانشد

اذا ما نأت نعمى فهل انت جازع * قد اقتربت لو ان ذلك نافع
قد اقتربت لو ان فى قرب دارها * نوالا ولكن كل ما صين مانع
فان تلق لى نعمى هديت سفيها * وسل كيف ترعى بالمغيب الودائع
وظنى بها حفظ الغيب ورعية * لما استرعيت والظن بالغيب واسع
وقد يلتقى بعد الشتات اولو النوى * ويسترجع الحى السحاب اللوامع
وماذات جيد نازعت حبل حابل * لتنجو ثم استسلمت وهى طائع
باحسن منها ذات يوم لقيتها * لها ناظر نحوى كذى البيت خاشع
كان فؤادى بين شقين من عصا * حذار وقوع البين والبين واقع
فقلت لها يانعم حلى محلنا * فان الهوى والشمل يانعم جامع
فقالت وعيناها يفيضان عبرة * باهلى بين لى متى أنت راجع
فقلت لها تالله يدرى مسافر * اذا اضمرته الارض ما الله صانع
وانى لعهد الود راع واننى * لوصلك مالم يطونى الموت طامع

ثم لم يزل متعللا بالامانى يعتوره الخبال أياما الى ان بلغه ان خزاعة تحملت بالشام من اليمن فارتحل حتى وقع بهم فقيل انه عندذلك تهاسقط ميتا وقال فى النزهة أقام عندهم الى ان أغارت عليهم بنو فزارة فقتل يومئذ

(ومنهم توبة بن حمير بن أسيد الخفاجى)

وكان شجاعا مبرزا فى قومه سخيا فصيحا مشهورا بمكارم الاخلاق ومحاسنها وخفاجة على ماذكر فى النزهة فخذ من قحطان وكانت تنزل ببنى الاخيل كعب بن معاوية ويغزون معهم ويتحدثون فى المسرح وكان رئيس بنى الاخيل حذيفة بن شداد بن كعب وكان له ابنة قد شاع فى العرب ذكرها بالحسن والفصاحة وحفظ أنساب العرب وأيامها وأشعارها فغزوا يوما فلما رجعوا حانت من توبة التفاتة وقد برزت النساء بالبشر والاسفار للقاء القادمين من الغزو فرأى ليلى فافتتن بها فجعل يعاودها فيتحادث معها الى ان اخذت قلبه وأطارت لبه فشكا لها يوما ما نزل به منها فاعلمته ان بها منه اضعاف ذلك فاقاما على التزاور الى ان جيء زوجها فقلق توبة لذلك حتى خامره الجزع فكان يذهب بعقله احيانا فاشاروا عليه بتعاطى الاسفار والخوض فى الحادثات فعزم على الشام فمر بجميل فانزله واحسن خدمته ثم تداعيا الصراع وكانا فى موقف تشرف منه بثينة عليهما فصرعه جميل ثم نضله ثم قهره على ظهر الفرس ولم يكن له كفؤا فقال له توبة كانك تحسب ذلك منك ولم تدر انه بريح هذه الجالسة واشار الى بثينة ثم دعاه الى واد يخفى عنها وتصارعا فيه فصرعه توبة ثم مضى فى طريقه فمر باشجار فى وادى الغيل وعليها حمائم تغرد فعاودته الاشجان فانشد

نأتك بليلى دارها لاتزورها * وشطت نواها واستمر مريرها
وخفت نواها من جنوب بعفيرة * كما خف من نيل المرامى جفيرها
يقول رجال لايضرك نأيها * بلى كل ما شق النفوس يضيرها
أليس يضر العين ان تكثر البكى * ويمنع منها نومها وسرورها

اهدى تحيتكم واشبه لطفكم * وروى شذاكم أن ذا ريح ذكى فقلت أنا لما وقفت على قوله هذا وقول القاضى محيى الدين المتقدم عليه
ان ابن أبيك لم تزل سرقاته
تأتى بكل قبيحة وقبيح
نسب المعانى فى النسيم لنفسه
جهلا فراح كلامه فى الريح
وقد ذكرت فى النسيم اشياء مليحة فى كتابى سلوك السنن المذكور واقتصرت منها على هذا القدر هنا خوف الاطالة ويجب أن يكون الرسول من اهل الصيانة وممن يرجع الى ديانة لئلا يطمع فيصير خليلا بعد ان كان رسولا كما اتفق لرسول ابن سناء الملك الذى قال فيه
راح رسولا وجاءنى عاشق
وعاقه عن رسالتى عائق
وعاد لا بالجواب بل بجوى
أخرسه والهوى به ناطق
(وقال الآخر)
راح الرسول اليه وهو مفند
رجع الرسول اليه وهو متيم
ولهذا قال ابن الاثير ليس على الحسن امانه وفى مثله تعذر الخيانه (وقال المتنبى)
مالنا كلنا جو يارسول
انا اهوى وقلبك المتبول
وكلما عاد من بعثت اليها
غارمنى وخان فيما يقول
أفسدت بيننا الامانات عينا
ها وخانت قلوبهن العقول
أى عيناها بسحرها أفسدت امانة الرسول فى الرسالة وخانت العقول قلوبها اى فارقت العقول القلوب بسببها قال الارجانى
قسما لقد رجع النسيم عليلا
لما سرى منى اليك رسولا
وذرى بحبك انه قد خاننى
فقد العمر من الحياة نبولا ومن احسن ما سمعته فى الرسائل والتلطف فى الوسائل ما حكى عن الملك العزيز

لكل لقاء نلتقيه بشاشة * وان كان حولا كل يوم نزورها
خليلي روحا راشدين فقدابت * ضرية من دون الحبيب ونيرها
يقر بعيني أن ارى العيس تعتلي * بنا نحو ليلى وهي تجرى صقورها
ومالحقت حتى تقلقل عرضها * وساخ من بعد المرام عسيرها
واشرف بالارض اليفاع لعلني * ارى نار ليلى او يراني بصيرها
فناديت ليلى والحمول كأنها * مواقير نخل زعزعتها دبورها
فقالت أرى أن لاتفيدك صحبتي * لهيبة اعداء تلظى صدورها
فمدت لي الاسباب حتى بلغتها * برفقي وقد كاد ارتقائي يضيرها
فلما دخلت الخدر اطت نسوعه * واطراف عيدان شديد سيورها
فارخت لنضاخ الذفارى منصة * وذي سيرة قد كان قدما يسيرها
واني ليشفيني من الشوق ان ارى * على الشرف النائي المخوف أزورها
وان اترك العيش الحسير بأرضها * يطيف بها اعقبانها ونسورها
حمامة بطن الواديين ترنمي * سقاك من الغر الغوادي مطيرها
ابيني لنا لازال ريشك ناعما * ولازلت في خضراء دان بريرها
وقد تذهب الحاجات يسترها الفتى * فتخفى وتهوى النفس مالا يضيرها
وكنت اذا مازرت ليلى تبرقعت * فقد رابني منها الغداة سفورها
وقد رابني منها صدود رأيته * واعراضها عن حاجتي وقصورها
ارتك حياض الموت ليلى وراقنا * عيون نقيات الحواشي تديرها
الا يا صفي النفس كيف تقولها * لوان طريدا خائفا يستجيرها
تخبر ان شطت بها غربة النوى * ستنعم ليلى أو يفادى أسيرها
وقالت أراك اليوم أسود شاحبا * واني بياض الوجه حر حرورها
وغيرني ان كنت لما تغيرت * هواجر لاأكتنها واسيرها
اذا كان يوم ذوسموم اسيره * وتقصى من دون السموم ستورها
وقد زعمت ليلى باني فاجر * لنفسي تقاها اوعليها فجورها
فقل لمقيل ما حديث عصابة * تكنفها الاعداء ناء نصيرها
فان لاتناهوا اركب اللهو نحوها * وخفت برجل اوجناح يطيرها
لعلك ياقيسا ترى في جزيرة * معذب ليلى ان رأني أزورها
وادماء من حر الهجان كأنها * مهاة صوار غير ماامس كورها
من الناعبات المشي نعبا كأنما * يناط بجذع من أراك جريرها
من العركنانيات حرف كأنما * مريرة ليف شد شدا مغيرها
قطعت بها موماة أرض مخوفة * مخوف رداها حين يستن مورها
ترى ضعفاء القوم فيها كأنهم * دعاميص ماء نش عنها غديرها
وقسورة الليل التي بين نصفه * وبين المشا قدريب منها اسيرها
ابت كثرة الاعداء ان يتجنبوا * كلابي حتى يستثار عقورها
ومايشتكي جهلي ولكن عزتي * تراها باعدائي ابيناطرورها

فحزن ولم يمكنه أن يجتمع بها ومضى على ذلك مدة أيام فسيرت اليه مع خادم كرة عنبر فكسرها فوجد فيها زرذهب فلم يفهم مرادها بذلك وجاء القاضي الفاضل فعرفه الصورة فقال في الحال

أهدت لك العنبر في وسطه
زر من التبر رقيق اللحام
فالزر في العنبر تفسيره
زرهكذا مستترا في الظلام

وقال علاء الدين المغربي من رسالة النيرين وهي من المحب الكئيب الى حبيب الحبيب افتتحها بقوله يقبل الارض وينهي بين يدي المالك الرحيم سلطان الملاح وليث الكفاح منها

ذهب النيل وعادا * وغرامي يتمادى
كلما قلت غدا بة
قص بعض الوجد زادا
كل قلب غير قلبي * نال في الحب المرادا
وأنا المسكين وحدي
نلت في الحب العنادا

(قال الراوي) ثم ان علاء الدين قال وانا المسكين وحدي بت في صحن القطائف وعملت الخل ناطف وصلبت ابليس بدقنه وتركته يخنض ويصفق ويغني تلالاه تلالاه * ياعو ينات الغزالة رحم الله من قتلني واي فخر في قتل مثلي وهل أنا الاشويعر مخارف مهذرة قد جعل رسائله وسائله وقصائده مصايده يستحلب ضرع الضراعه ويبط قناع القناعه ان جاع أكل من تقطيع الاعاريض وان عطش شرب من بحور القريض في زمان لافرق فيه عند اهله بين القادح والمادح والصالح والناشح

(وقد ذقت منه ماالبس بقلمه
أبو الحسين القلاع من ضرسي)

بل اي شئ احسن من خشفين مترفين اليفين يتراضعان ثدي المحبة ويترشفان كأس المحبة ويقتطفان ثغر الوصال ويتسالمان أنواع الدلال ويتواصفان لواعج

أخــترمي ريب المنون ولم أزر * جواري من همدان بيضا نحورها
تنوء باعجاز ثقال وأسـوق * جدال وأقدام لطاف خصورها
أظن بها خـيرا واعـلم انهـا * ستنفك يوما او يفك اسـيرها
ارى اليوم يأتي دون ليلى كانما * اتت حجة من دونها وشـهورها
عـلي دماء البـدن ان كان بعلها * يرى لي ذنبا غـير اني ازورها
واني اذا ما زرتها قلت يا اسـلمي * ويا أبي قول اسلمي ما يضيرها

وهذه القصيدة قال صاحب النزهة انشـدها كلها حين سمع سجع الحمائم وقيل انشـدها متقطعة بحسب الوقائع وثم جمعتها الشعراء وها انا اورد ذكر غريبها وما وقع لبعض ابياتها من الحكايات قيل لما وقفت ليلى على قوله ولما دخلت الخدر غضبت غضبا شـديدا ثم امسكت عن كلامه برهـة فتوسـل اليها وعرض عليها انه يريد ان يسـقي نفسه السم ان لم تـكلمه فسمعت ثلاثة من اهلها بحيث يخفون عليـه واستحضرته فلما آنسـته قالت اي خدر دخلت معي حتى تقول ما تقول فقال هـذا استرسال الشـعراء ثم ذكر لها امثال ذلك وتنصل ففرحت بسماع اهلها ذلك وقوله منصة يريد بها الستر وقوله حمامة بطن الواديين ترنمي هو اول بيت تفوه به من القصيدة الى قوله وكنت اذا ما زرت ليـلى ثم ضم الباقي وأما قوله وكنت اذا ما زرت ليلى فالحقـه بعدا كلها وسبب انشاده انه كان يزورها على خيفـة وخفية فلما اشتد التحريج عليها جعلت بينها و بينه أمارة فقالت اذا مررت فوجدتني مبرقعة فاجلس مطمئنا فلا حرج حينئـذ فلما قوي خرصهم وتوعدهم اهلها واجمعوا ان يفتكوا به اذا رآها خرجت يوم ميعاده سافرة على كثيب بحيث يراها على البعـد فلما اقبل ورآها سافرة مضى في طريقه متنكبا وهو يقول وكنت اذا ما زرت ليلى الابيات ثم دخل الشام فاقام بها يسيرا فلم يأخذه قرار وتاقت نفسه الى العرب فكان يخرج الى الربوة ليسلي نفسه فلم يكن له دأب الا البكاء فاقام اياما لا يأذنه حال ولا ينعم له بال فخرج يريد البادية فرحـين قابل حيا بصغير يلعب فقـال له هل انت عارف بليلى قال نعم قال امض اليها وانشد

* وكنت اذا ما زرت ليلى تبرقعت * وعدا لي فاحسن منقلبك فمضى الغلام فانشد البيت لليلى فعلمت ان توبة قد ورد الحي فقالت للغلام قل له انها الآن مبرقعـة فمضى الغلام اليه واعلمه بذلك فاعطاه دينـارين واقبل فجدد زيارتها ثم قال اما امكنيني من تقبيـل يدك وفي الروض النضير انه سألها قبلة فانشدت

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه * وانت لاخرى صاحب وخليل

ففطن انها استرابت منه فخاف انه لم يردسوا وان نفسـه قد حدثته بان يجربها فاستشاطت شوقا ثم ودعها على استحياء ومضى فما استقر به المنزل حتى عزمت خفاجة على غزو الهذليين فخرج فقتـل في الوقعة ولما وقع وبه رمق ادركه ابن عمـه فقال له هل لك حاجة قال نعم تبلغ ليلى هذه الابيات وانشد

الا هل فؤادي من صبا اليوم ظافع * وهـل ما وأت ليـلى به لك ناجح
وهل في غـد ان كان في اليوم عـلة * سراح لما تلوي النفوس الشحائح
ولو ان ليـلى الاخيليـة سـلمت * علي ودوني جندل وصـفائح

الغرام ويتباسطان مباسـطة الحمام ولا يحضرهما غير مزاح ومراح ولا يلثمهما غير كاس راح

اثنان كالفرد من طول اعتناقهما
باتا بليل حميد غير مذموم

يسـفران عن نيرين ويبتسمان عن درين ويتسارقان النظر بلواحظ جؤذرين كانهـما اقتسما فنـون الحسـن والاحسان بكفة الميزان ان تثاقلا بعتاب أو تراسلا بكتاب فـدر منثور وسحر غير محظور وان تسابقا في ميدان الهـوى أو تراشقا بسـهام الجوى قالوا نرموتور والساحر مسحـور وهي رسالة لطيفة ظريفة كلها من هـذا النوع اقتصرت منهـا على هذا القـدر خوف الاطالة وقـد ذكرتها بكمالهـا في الجـزء الثـاني من حاطب ليـل وقلت أنا مما كتبته الى بعض الاصحاب

كتبت اليكم والسطور حروفها
بهـا أعين ترنو لكم وترمق
ولي قلم أمسى لرطب لسانه
سلام مشوق قد براه التشوق

(الباب العاشر في الاحتيال على طيف الخيـال وغـير ذلك مما قيل فيه عـلى اختلاف معانيه)

أقول هـذا باب عقـدناه لذكر طيف الخيال الزائر وما قيل في سيره من المثل السائر اذ للشـعراء في اقتناصه تحيـل وحسـن تخيل طالما أكثروا من ذكره واستخرجوه من وكره فقربوا عليه بعد المسافه ولم يعافـوا الحاق زجره بالعيـافه ومن المشهورين فيه بالاجاده أبو عبـاده وغيره كابن النقيب المتحيل على اصطياد خيال الحبيب حيث قال واحسـن في المقـال

نصبت جفوني للخيال حبائلا
لعل خيالا في الكرى منه يسنح
وكيف اذا غمضتهن اصيد
ومن عادة الاشراك للصيد تفتح

وما أحسن قول الشيخ جمال الدين بن نباتة في التورية ومولع بفخاخ * يمدها وشباك قالت لي العين ماذا * لــامت

لسامت تسليم البشاشة او زقا * اليها صدى من جانب القبر صائح
ولو ان ليلى فى السماء لاصعدت * بطرفى الى ليلى العيون الكواشح
ولو ارسلت وحيا الى عرفته * مع الريح فى موارها المتناوح
أأغبط من ليلى بما لا اناله * ألا كل ما قرت به العين صالح
سقتنى بشرب المستضاف فصردت * كما صرد اللوح النطاف الصحاصح
وهل تبكين ليلى اذا مت قبلها * وقام على قبرى النساء النوائح
كما لو اصاب الموت ليلى بكيتها * وجاد لها جار من الدمع سافح
وفتيان صدق قد وصلت جناحهم * على ظهر مغبر التنوفة نازح
بمائرة الضبعين معقودة النسا * امين القرى مجفرة غير جانح
وماذ كرنى ليلى على نأى دارها * بنجران الا البرهات الصحاصح

قوله ولو ان ليلى البيتين قد سبق الكلام عليها فى قصة المجنون وزقا بالزاى وقوله وهل تبكين ليلى يعنى وهل هى باكية اذا مت فليلى فى البيت فاعل حذر اعما توهم هنا وفى النزهة وماذ كرتنبيه على بعد دارها وقيل ان هذه القصيدة انشدها حين خرج قبل ورود الوقعة وانما انشد عند موته قوله

عفا الله عنها هل ابيتن ليلة * من الدهر لا يسرى الى خيالها

وان ابن عمه حين جاء انشده الابيات او هذا البيت فاجابته

وعنه عفا ربى واحسن حاله * فعزت علينا حاجة لا ينالها

وقيل مات عشقا وكيف كان لما بلغ نعيه ليلى خلعت الزينة وأقامت على الحزن حتى ماتت بعده لكن بعده بسنين كثيرة فقد قيل ان وفاة توبة كانت سنة سبعين وقيل احدى وسبعين ووفاة ليلى كانت احدى ومائة قيل مرت بقبر توبة فقال زوجها هذا قبر توبة الكذاب فقالت لم يكن والله كذابا فقال لها أليس يقول ولو أن ليلى الاخيلية البيتين سلمى عليه لننظر فامتنعت فاقسم عليها أن تفعل فلما اسلمت خرج من طاقة القبر بومة فاجفلت الناقة فوقعت ليلى ميتة فدفنت الى جانبه وقيل طير كانت العرب تزعم انه يقيم فى هامة المقتول حتى يؤخذ بثاره وحكى انها هى التى قصدت ذلك وهذه القصة رواها فى النزهة عن متفرقين ووثقها واما هنا فقد حكى ما قررناه الا السبب عن ليلى نفسها وانها حكت ذلك للحجاج حين قدمت عليه تجتديه من جدب الزمان فوهب لها مائة من الابل برعاتها وذلك فيما اخرجه المدائنى عن مولى عنبسة قال كنت مع استاذى عند الحجاج اذ قال له الحاجب ان بالباب امرأة فقال أدخلها فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه الى الارض واستجلسها ثم استنسبها فانتسبت فقال ما جاء بك قالت اخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله الرفد فقال لها صفى لنا الفجاج فقالت الفجاج مغبرة والارض مقشعرة والبرك معقل وذو العيال مختل والهالك المقل والناس مسنتون رحمة من الله يرجون وأصابتنا سنون مجحفة مبطلة لم تدع لنا هبعا ولا ربعا ولا عافطة ولا نافطة أذهبت الاموال وفرقت الرجال واهلكت العيال فانظر الى هذه الفصاحة والبلاغة ولذلك انقاد لها مع تجبره فقولها اخلاف النجوم تريد به الانواء فان العرب يعرفون بمساقط النجوم لانواء يستدلون بها على صحة السنة وخصبها وكثرة الامطار فكانها تعد بذلك فاذا لم تأت بذلك فقد أخلفت وقلة الغيوم تريد به لازمها الغالب

عبد الله السر وجى واحسن ماشاء
أنعم بوصلك لى فهذا وقته
يكفى من الهجران ما قد ذقته
أنفقت عمرى فى هواك وليتنى
أعطى وصولا بالذى أنفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره
وسلوت كل الناس حين عشقته
أنت الذى جمع المحاسن وجهه
لكن عليه تصبرى فرقته
كم جال فى ميدان حبك فارس
بالصبر منى فى هواك سبقته
قال الوشاة قد ادعى بك نسبة
فسررت لما قلت قد صدقته
بالله ان سألوك عنى قل لهم
عبدى وملك يدى وما اعتقته
أو قيل مشتاق اليك فقل لهم
أدرى بذا وأنا الذى شوقته
يا حسن طيف من خيالك زارنى
من فرحتى بلقاه ما حققته
فمضى وفى قلبى عليه حسرة
لو كان يمكننى الرقاد لحقته

(وقال أبو تمام)

زار الخيال لها الا بل أزاره
فكرا اذا نام فكر الناس لم ينم
ظبى تقنصته لما نصبت له
من آخر الليل أشراكا من الحلم

(وقال ايضا)

يا لها لذة تنزهت الار
واح فيها سرا من الاجسام
مجلس لم يكن لنا فيه عيب
غير انا فى دعوة الاحلام

(وقال البحترى) وهو من المكثرين فى وصف الخيال المجيدين فيه ولكثرة ولوعه به واشتهاره ضرب به المثل فقيل خيال البحترى (ومن ذلك قوله)

اذا ما الكرى اهدى الى خيالها
شفى قربه التبريح او نقع الصدى
اذا انتزعته من يدى انتباهة * ظننت حبيبا راح منى او غدا
فلم أر مثلينا ولا مثل شأننا

وهو المطر وفيه عطف الاخص على الاعم وكلب البرد شدته والعرب تطلق هذا الاسم على أيام مخصوصة من تاسع كانون أعني كيهك الى ثامن عشر شباط اعني أمشير والفجاج هنا الارض وغبرتها كناية عن عدم نداوة الارض فان ذلك يثير الغبار واقشعرار الارض عدم نباتها والبرك الابل وعقلها كناية عن عدم ماتحمله والاجشال اليبس والاملاق والهبعاء الحسنة والربعاء السيئة ومن الاصمعي الهبعاء ما يزرع في سوى الربيع والربعاء ما يزرع فيه أوهما مطران أو الابل والغنم ضعيف وفي تهذيب الاصلاح للتبريزي هما كلمتان يراد بهما الاخبار عن نفاد ما في اليد مثل ما عنده سبد ولا لبد والعافطة العنز والنافطة النعجة ويقال ايضا الاثاغية ولا راغية اي لاغنم ولا ابل ثم مدحته حتى استعفى وقال لم يصب وصفي منذ دخلت العراق غيرها ثم قال لخازنه اقطع لسانها فاراد ذلك فقالت ويحك انما اراد بالعطاء فراجعه فغضب وامر بعودها ثم قال لجلسائه هذه ليلى التي مات توبة من حبها ثم قال لها أنشدينا ما قال فيك فانشدت حمامة بطن الواديين فقال وما قلت انت فيه فقالت كثيرا أيها الامير فقال هات فانشدت

نظرت ومن دون عماية منكب * وبطن الركايا نظرته النواظر
أوانس ان لم يقصر الطرف دونهم * فلم تقصر الاخبار والطرف قاصر

وهي قصيدة ترثيه فيها بكلام حسن غير أن فيها طولا

(ومن محاسنها في توبة)

أتته المنايا بين زغف حصينة * واسمر خطي وجرداء ضامر
على كل جرداء السراة وسابح * دوان بشبالة الحديد زوافر
عوابس تعدو الثعلبية ضمرا * فهن سراح بالشكيم الشواجر
فلا يبعدنك الله يا توب انما * لقاك المنايا دارعا مثل حاسر
فان لم يكن بالقتل برافكم * ستلقون يوما ورده غير صادر
فتى لا تخطاه الرفاق ولا يرى * لقدر عيالا دون جار مجاور
ولا تأخذ الابل المهارى زماحها * لتوبة من صرف السرى في الصنابر
اذا ما رأته قائما بسلاحه * تقته الخفاف بالثقال البهازر
اذا لم يجز منها برسل فقصره * ذرى المرهفات والقلاص التواجر
قرى سيفه منها مشاشا وضيفه * سنام المهارى السباط المشافر
وتوبة احيى من فتاة حيية * واجرا من ليث بخفان خادر
ونعم الفتى ان كان توبة فاجرا * وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر
فتى ينهل الحاجات ثم يعلها * فتطلعه عنها ثنايا المصادر
كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * قلائص يفحصن الحصى بالكراكر
ولم يبتن ابرادا عتاقا لفتية * كرام ودحل قيل في الهواجر
ولم يتجل الضيفان عنه وبطنه * خميص كطي السبت ليس بجادر
فتى كان للمولى سناء ورفعة * وللطارق السارى قرى غير فاتر
(ومنها) فاقسمت أبكي بعد توبة هالكا * وأحفل من نالت صروف المقادر
على مثل همام وكابن مطرف * تبكي البواكي أو كبشر بن عامر

تعذبا يقاظا وننعم هجدا

(وقوله)

ولم أنس اسعاف الكرى بدنوها * وزورتها بعد المدى وما تدري
اذا الليل أعطانا من الوصل بلغة
نفتنا تباشير الصباح الى الهجر

(وقوله أيضا)

بعثت طيفها الي ودوني
سير شهرين للمهاري العتاق
زارونا من الشام خفيا
مستهاما صبا بأرض العراق
فقضى ما قضى وعاد اليها
والدجى في بروده الاخلاق

(وقوله)

وليلة هومنا على العيس ارسلت
بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثي
بعطفي غزال بت وهنا أغازله
فكم من يد لليل عندي حميدة
وللصبح من خطب تذم غوائله

(وقال عبد الصمد بن المعذل)

واصل النوم بيننا بعد هجر
فاجتمعنا ونحن مفترقان
غيران الارواح خافت رقيبا
فطوت سرها عن الابدان
منظر كان لذة القلب الا
أنه منظر بغير عيان

قال المرتضى هذه الابيات تروى للحميدوني وهي كثيرة من مثله ودخل ابن القطان الشاعر البغدادي يوما على الوزير الزينبي وعنده الحيص بيص قال قد عملت بيتين لا يمكن أن يعمل لهما ثالث لاني قد استوفيت المعنى فيهما فقال الوزير وما هما فانشد

زار الخيال بخيلا مثل مرسله
فما شفاني منه الضم والقبل
ما زارني قط الا كي يوافقني
على الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الوزير للحيص بيص ما تقول في دعواه فقال ان أعادهما صنع لهما ثالثا فاعادهما فقال الحيص بيص وما دري ان نومي حيلة نصبت * لطيفه حين اعيا اليقظة الحيل

غلامان كانا استوردا كل سورة * من المجد ثم استوثقا فى المصادر
ربيعى حيا كانا يفيض نداهما * على كل مغمور نداه وغامر
كان سنا ناديهما كل شتوة * سنا البرق يبدو للعيون النواظر

(ومن مراثيها فيه أيضا)

أيا عين بكى توبة بن الحمير * يبتهج كفيض الجدول المتفجر
لتبكى عليه من خفاجة نسوة * بماء شؤون العبرة المتحدر
سمعن بهيجا اضلعت فذكرنه * وما يبعث الاحزان مثل التذكر
كان فتى الفتيان توبة لم يسر * بنجد ولم يطلع مع المتغور
ولم يرد الماء السدام اذا بدى * سنا الصبح فى بادى الحواشى منور
ولم يغل بالجود الجياد يقودها * أسرته يوم المشان فاقسر
ولم يغلب الخصم الضجاج ويملأ الجفان سديفا يوم نكباء صرصر
وصحراء موماة يحار بها القطا * قطعت على هول الجبان بمنسر
يقودون قبا كالسراحين لاحها * سراهم وسير الراكب المتهجر
فلما بدت أولى العدو سقيتها * بصياب مسكوب المزاد المقير
ولما أهابوا بالنهاب حويتهم * تخاطى البضيع كره غير أعسر
بمكر كر الاندرى مشابر * اذا ما ونينا مخصف الشد محضر
وألوت باعناق طوال وراعها * صلاصل بيض سابغ ومسور
لم تر أن العبد يقتل ربه * فيظهر جد العبد من غير مظهر
قتلتم فتى لا يسقط الروع رمحه * اذا الخيل جالت فى القنا المتكسر
فيا توب للهيجا ويا توب للندى * ويا توب للمستنبح المتنور
ويا رب مكروب اجبت ونائل * بذلت ومعروف لديك ومنكر

وأنشدته غير ذلك ثم الاحاجة لنا الى ذكره اذ ليس على شرطنا فانعم عليها فوق ما سألت ثم قال لها هل بقى لك حاجة قالت نعم تدفع الى النابغة احكم فيه بما أرى وكان يتهاجى هو واياها فلما سمع بذلك هرب الى الشام فتبعته ثم استأذنت عبد الملك فيه فاذن لها وأظنه الذى سألها عن توبة أكان كما يقول الناس فقالت يا أمير المؤمنين كان والله سبط البنان حديد السنان عفيف المئزر جميل المنظر لا معاوية كما قيل هنا ثم انها لم تزل فى طلب النابغة حتى توفيت بقومس بلدة من اعمال بغداد على جانب الفرات وقيل بحلوان والمدى بينهما قريب وهذا يعارض ما سبق من موتها عند قبر توبة وظاهر تظافر الروايات صحة الاول

(ومنهم عامر بن سعيد بن راشد) وينسب الى كعب بن الاميل الطائى كان يهوى ابنة عمه جميلة بنت واثلة بن راشد قال فى النزهة ان ولادتهما كانت فى ليلة واحدة ونشأ غير متفرقين حتى بلغا الحلم وقد اشتد كلف كل منهما بصاحبه وكان سعيد ذا ثروة وكان أخوه واثلة قد اتفق معه على تزويج ابنته من عامر فاتفق ان وقع بين تميم ومزينة فانهبت مزينة فلم يترك لسعيد ثنية ولا ناب ووقع فيه جراح كثيرة فمات أثر الوقعة بأيام وقد املق أهله فامتنع واثلة من تزويج عامر وحجبت جميلة عنه فاختبل واعتوره الجنون وقال الشيزرى لم يمنعه منها الاملاقه وانما كان أبوها يمنعه من أن يشيع عشقها فلما مات أشاعه فى العرب

(وقال آخر) الارب طيف منك بات معانقى * الى ان دعا داعى الصباح فقيلا وأول من وصف الطيف عمرو بن قمئة فيما حكاه المرتضى فى كتاب الطيف والخيال فقال

نأتك امامة الا سؤالا
والا خيالا يوافى خيالا
خيال يخيل لى نيلها
ولو قدرت لم تخيل نوالا

وأول من طرد الطيف طرفة ابن العبد حيث قال

فقل لخيال الحنظلية ينقلب
اليها فانى واصل حبل من وصل

(وتبعه جرير فقال)

طرقتك صائدة الفؤاد وليس ذا
وقت الزيارة فارجعى بسلام

وأعجب من جرير فى طرد الخيال الراعى حيث هجاه فقال

طاف الخيال باصحابى فقلت لهم
أتلك ليلى أتت أيلام الغول

وقد رد على جرير مولانا قاضى القضاة تاج الدين بن السبكى وأحسن ما شاء حيث قال

ياليت شعرى هل احب
جرير اذ أبدى اعتذاره
ان كان يصدق حبه
فالقلب منه كالحجاره
لا بل أشد قساوة
فانظر له أبدى عواره
اذ قال قولا لم يقله
عاشق أو ذو جساره
طرقتك صائدة الفؤا
د وليس ذا وقت الزياره

(وقال فى الرد عليه ايضا)

هذا مقالك يا جري
ر لدى اشنع ما يقال
هل ثم وقت ليس يصـ
لح للزيارة والوصال
ام قيل قبلك فارجعى
ولذاك ذنب لا يقال
ام كان حبك كاذبا * فنامه ينفى الخيال
أم كان قلبك من حديد فليس تؤذيه النبال

وشبب بها فامتنع عمه لما سبق لك بيانه من عادة العرب ولما اشتد به الحال أشار النساء على والدته ان تعرض عليه العذريات فكان كلما رأى واحدة يشكرها ثم يتنفس الصعداء ويقول ماء ولا كصداء المثل السابق فلما كان بعد مدة قدم رجل من طيئ على والده فخطب جميلة منه وذكر النسب فزوجها منه فلما زفت اليه وقع عامر على الوساد فاعتزلت به أمه عن العرب الا ترى الزفاف قال الاخفش سعيد بن مسعدة خرجت في طلب ضالة لي فوقفت على هذا البيت أو قال نزلنا على ماء لطيئ فاذا أنا بخيمة منفردة فقصدتها وأخرج الحكاية في نديم المسامرة عن أبي عمرو بن العلاء عن تميمي فاسندها الى الاصمعي وأخرج الدقاق عن الاسدي ان المباشر للحكاية هو الاصمعي وعلى كلا التقديرين فمحل الاتفاق ان الرجل حين انتهى الى البيت رأى عجوزا عليها بقية الجمال ساهية متفكرة وفي كسر البيت شخص كالخيال منحني عليه قطيفة قال فسألتها عنه فقالت هو ولدي وشأنه كذا وأعادت القصة ثم قالت هل لك ان تعظه فوعظته وزهدته حتى قلت له انها امرأة كغيرها الا ترى كيف يقول كثير

هل وصل عزة الا وصل غانية * في وصل غانية من وصلها خلف

فقال هو مائق يعني أحمق وأنا وامق يعني صادق الالفة فلست كهو وانما أنا كاخي تميم يعني جميلا حيث يقول

ألا لا يضير الحب ما كان ظاهرا * ولكن ما أخفى الفؤاد يضير

الا قاتل الله الهوى كيف قادني * كما قيد مغلول اليدين أسير

ثم أنشد

ألا ما للمليحة لا تعود * أبخل بالمليحة أم صدود

مرضت فعادني عواد قومي * فمالك لم ترى فيمن يعود

فقدتك بينهم فبكيت شوقا * وفقد الالف يا أملي شديد

فلو كنت المريضة لا تكوني * لعدتكم ولو كثر الوعيد

ولا استبطأت غيرك فاعلميه * وحولي من ذوي رحمي عديد

ثم فاضت نفسه فجزعت فقالت العجوز لا تخف فقد استراح مما كان فيه ولكن ان أحببت كمال الصنيعة فانعه الى الابيات ففعلت فخرجت جارية عليها أثر العرس وهي اجمل من رأيت فتخطت رقاب الناس حتى وقفت عليه فقبلته وأنشأت

عداني ان أزورك يا منايا * معاشر كلهم واش حسود

أذاعوا ما علمت من الدواهي * وعابونا وما فيهم رشيد

فاما اذ حللت ببطن أرض * وقصر الناس كلهم اللحود

فلا بقيت لي الدنيا فواقا * ولا لهم ولا أثرى عديد

ثم خرجت ميتة فخرج شيخ وهو يقول لئن لم أجمع بينكما حيين لاجمعن بينكما ميتين ودفنهما في قبر هذا ما اتفق عليه سوى الوعظ فلم يرو عن الاخفش وبعض تغيير في الابيات فان الاخفش لم يرو الثالث وروى التميمي لم تعدني اي بدل لا تعود

* ومرضت فعادني أهلي جميعا * وفي النزهة فما استبطأت غيرك وهو الاقعد وفي قولها عن التميمي * عداني أن أعودك يا حبيبي * معاشر فيهم وفيها انها قالت له حين نعي بفيك الحجر الصلت من تنعى قلت فلانا قالت أوقد مات قلت نعم وعن الاصمعي انه حين سأله عن حاله لم ينطق فقال له من حوله اذكر له الشعر فانشد

(وقلت انا) واخجلتا لك يا جويـر في المحافل والمشاهد طارقتك صائدة الفؤا * د فكنت صيا غير صائد

فرددت طيف خيالها

هذا خيال منك فاسد

الطيف أعشق منك اذ

وافى اليك وانت راقد

لا عاد منك ما بقي

في الناس للعشاق عائد

(وقلت أيضا من قصيدة)

يطالبني قلبي به فكأنني

غريم وقلبي في تقاضيه مغرم

ولي منه في ليلي الكرى ونهاره

خيال ملم أو حبيب مسلم

(وقال شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني)

يا حبذا طيفك من قادم

يا أحسن العالم في العالم

طيف تجلى نوره ساطعا

حتى رأته مقلة النائم

يا غائبا يحكم في مهجتي

على طالت غيبة الحاكم

عار على حسنك أن يشتكي

حظي منه انه ظالمي

وقد احسن التهامي في تفضيل الخيال على الحقيقة حيث قال

وصل الخيال ووصل الخود ان بخلت

سيان ما اشبه الوجدان بالعدم

الطيف أحسن وصلا ان لذته

تخلو من الاثم والتنغيص والندم

وقد بلغ النهاية في اللطف كشاجم حيث اعتذر على لسان الحبيب عن تأخر الخيال فقال

لقد بخلت حتى بطيف مسلم

على وقالت رحمة لحبيبي

أخاف على طيفي اذا جاء طارقا

وسادك أن يلقاه طيف رقيبي

وما احسن ايضا اعتذار المغربي وقد ضمنه ابن عنين وكتب به من اليمن الى اخيه بدمشق

بأعجب كتبك في القطيعة عالما * أن الصحيفة اعوزت من حامل

سبق القضاء بأنني لك عاشق * حتى الممات وأين منك مذاهبي

فانشد

أخلو بذكرك لا اريد محدثا * وكفى بذلك نعمة وسرورا

أبكي فيطربني البكاء وتارة * يأتي فيأتي من أحب أسيرا

فاذا أتى سمح بفرقة بيننا * أعقبت منه حسرة وزفيرا

وفيها قال انه عامر بن غالب وجميلة بنت أميل

(ومنهم ما حكى الاصمعي) قال بينا أنا اسير اذ جنني الليل فأويت الى جبانة فتوسدت قبرا فاذا أنا بهاتف منه يقول

انعم الله بالخيالين عينا * وبمسراك يا سعاد الينا

وحشة ما لقيت من خالل القبر عسى ان نزلك اوان ترينا

فدخلت حين طلع الصبح الى الحي فاذا أنا بجنازة فتبعتها حتى جاؤا بها فدفنت الى جانب القبر الذي سمعت منه الصوت فحدثتهم بذلك فأخبروني ان هذا الرجل منهم احب ابنة عمه هذه فتزوج بها فلم تقم الا قليلا فلما حضرته الوفاة تعاهدا على أن لا تتزوج بعده فاشتد بها الوجد حتى ماتت الليلة قلت وهذا جائز ان يقع من النفوس المجردة اذا تصادق اعتلاقها فان اللذات بعد مفارقة لها كل الجسمانية اعظم

(ومنهم فتى اسدي) أحب ابنة عمه وكان اسمها سعدى فمنعه أبوه أن يتزوج الا بارفع منها وأبى الغلام الا هي فلما أيس أبوها زوجها من رجل فاشتد وجد الغلام وانه لقيها يوما فأنشد

لعمري يا سعدى لطال تأيمي * ومعصيتي شيخي فيك كلاهما

وتركي للعيين لم ابغ منهما * سواك ولم يربع هواي عليهما

(فقالت الجارية)

حبيبي لا تعجل لتفهم حجتي * كفاني ما بي من بلاء ومن جهد

ومن عبرات تعتريني وزفرة * تكاد لها نفسي تسيل من الوجد

غلبت على نفسي جهارا ولم أطق * خلافا على أهلي بهزل ولا جد

وان يمنعوني ان أموت بزعمهم * غدا خوف هذا العار في جدث وحدي

فلا تنس ان تأتي هنالك فتلتمس * مكاني فتشكو ما تحملت من جهد

فقد اوضحت له انها هالكة من الغد بعشقه فلما كان الموعد جاء فوجدها ميتة فاحتملها الى شعب بذرى جبل يقال له صرفات بفتح المهملة وضمها ملتزما لها فمات واختفى أمرهما حولا حتى مر شخص من العرب فسمع هاتفا على الجبل يقول

أنا الكريمان ذوا التصافي * الذاهبان بالوفاء الصافي

والله ما لقيت في تطوافي * أبعد من غدر ومن اخلاف

* من ميتين في ذرى اعراف *

فصعد الناس فوجدوهما على تلك الحالة فواروهما

(ومنهم عمرو بن كعب بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء ملك العرب المشهور) قال ابن عساكر وكان من فرسان العرب وحماتها وكرمائها وشجعانها وان جده النعمان صاحب الخورنق هو الذي كفله حين مات أبوه وهو صغير فلما زهد النعمان في الملك كما هو مشهور ضاع أمر الغلام قال في الشامات فأخذه عمه أبو النجاد فلما بلغ عنده وكان له بنت تعرف بالعقيلة

وعذرت طيفك في الجفاء لانه * يسري فيصبح دوننا بمراحل

(وقال آخر) وزارني طيف من أهوى على حذر
من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولي به فرحا
وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا
ثم انتبهت وآمالي تخيلني
نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا

(وقال ابن المعتز)

ابصرته في المنام معتذرا
الي مما جناه يقظانا
ولان حتى اذا هممت به
وجدته عند الصبح لا كانا

(قيل) من نكد الدنيا ان الانسان يرى في منامه انه شم طيبا او واصل حبيبا أو نال عزا أو وجد كنزا فاذا انتبه لم ير من ذلك شيأ وربما رأى انه قد احدث فاذا انتبه رأى ذلك يقينا في ثيابه كما قيل فيه

أرى في منامي كل شيء يسرني
ورؤياي بعد النوم أدهى وأقبح
فان كان خيرا فهو اضغاث حالم
وان كان شرا جاءني قبل اصبح

(وقال المعري)

الى الله اشكو انني كل ليلة
اذا نمت لم اعدم خواطر اوهام
فان كان شرا فهو لا شك واقع
وان كان خيرا فهو اضغاث احلام

(وما احسن قول ابن التلميذ)

عاندت اذ لم يزر خيالك في الـ
ـنوم فشوقي اليك مسلوب
فزارني منعما وعاندني
كما يقال المنام مقلوب

(وقال ابن الاحنف)

واحلم في المنام بكل خير
فاصبح لا اراه ولا يراني
ولو ابصرت شرا في منامي
لقيت الشر من قبل الاذان

(وما اظرف قول ابن المعتز)

الم الخيال بلا جهده * وأبدلني الوصل من صده وكم نومة لي قوادة * أتت بالحبيب على بعده

(ومثله قول الآخر)

وهي من اجمل نساء العرب واعلمهن بالادب واحوال العرب أياما وقائم فعلقت نفس عمرو بها واشتد ولوعه وزاد غرامه فخطبها الى عمه فطلب منه مهرا يعجز عنه فأشار عليه بعض أصحابه بالخروج الى أبرويز بن كسرى لما كان بين جدودهما من الوصلة فلما ذهب في الطريق مر بعراف فبات عنده فاستعلم منه الامر فأخبره انه ساع فيما لا يدرك فعاد فوجد عمه قد زوج العقيلة الفزاري فهام على وجهه الى اليمامة فلما بنى بها الفزاري وكان عندها من العشق لعمرو أضعاف ما عنده لها فكانت تشد الفزاري اذا جن الليل الى كسر البيت وتبيت في الخدر فاذا أصبح الصبح تطلقه فيستحي ان يخبر العرب بذلك فأقام على هذا الحال سبعين ليلة فلما كثر توبيخ العرب له واختلاف ظنونهم به خرج فلا يدرى اين ذهب واقامت العقيلة ببيت ابيها لا تتناول الا الاقل مما يمسك الرمق ودأبها البكاء على عمرو وهو كذلك ولم يمكنهما الاجتماع قال الفرياني في عجيب الاتفاق في تطابق احوال العشاق فمرض عمرو مرضا كاد ان يأتي على نفسه فكان لا يرى الاشخاص الى السماء متمسكا بسبب قد علقه بيديه من العشاء الى الصباح وهو ينشد

اذا جن ليلي فاضت العين أدمعا * على الخد كالغدران أو كالسحائب

أو طلوع الفجر والليل قائل * لقد شدت الافلاك بعد الكواكب

فما أسقى الاعلى ذوب مهجتي * ولم أدر يوما كيف حال الحبائب

فلما كان بعد ايام دخل عليه صديقه فوجده قاصا بالضحك مستبشرا فسأله فقال

لقد حدثتني النفس أن سوف نلتقي * ويبدل بعد بيننا بتدانى

فقد آن للدهر الخؤن بانه * لتأليف ما قد كان بالثماني

ثم شهق شهقة فاضت نفسه فيها قال الفرياني فضبط اليوم الذي مات فيه فوجد موت عقيلة في ذلك اليوم أيضا واخرج المصنف عن ابن دريد عن الفرزدق قال خرجت في طلب غلام آبق فلما صرت على ماء لبني حنيفة جاءت السماء بالامطار فلجأت الى بيت من جريد النخل فيه جارية سوداء فانزلتني فلم ألبث الا رشما اخذت الراحة وقد دخلت لي جارية كأنها القمر فحيت ثم قالت ممن الرجل قلت تميمي قالت من أيها قبيلة قلت من نهشل بن غالب فقالت اذا انتم الذين يقول فيكم الفرزدق

ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

بيتا زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

قلت نعم قالت قد هدمه جرير بقوله

أخزى الذي سمك السماء مجاشعا * وأحل بيتك بالحضيض الاوهد

قال فأعجبتني فلما رأت ذلك في عيني قالت أين تؤم قلت اليمامة فتنفست الصعداء ثم قالت

تذكرت اليمامة ان ذكرى * بها أهل المروأة والكرامه

الا فسقى المليك أجش جونا * تجود بصوبه تلك اليمامه

أحيي بالسلام أبا نجيد * فأهل للتحية والسلامه

قال فأنست بها فقلت أذات خدر أم ذات بعل فقالت

اذا رقد النيام فان عمرا * تؤرقه الهموم على الصباح

تقطع قلبه الذكرى وقلبي * فلا هو بالخلي ولا بصاح

حكاه خيالا في الكرى فأتى له

(وقال بعض مشايخ العصر)

لو أن طيفك في المنام جليسي * مابت اشكو لوعتي ورسيسي

قر اداوعلى تجرة ريقه * ولحاظه وحديثه المأنوس

ما فهد تى في قربه وحضوره * ووفاته الا على ابليس

وما احسن قول القاضي الفاضل رحمه الله هذا على ان الطيف لا اعتدله عنه وان ركب المجاهل وقطع المراحل وتخطى الى اغصان القنا وخاض جداول الظبا ووطئ شوك النصال وعثر بحبال الخيال ودنا واعين الشهب حولى رو ان واطراف القسي دوان وكيف اعتد له عنه والفكر مدنيه وانا يقظان ويمثل مالم يكن من قربه كما مثلت العيون منه ما كان (حكى) عن بعض المغفلين انه تعب في تحصيل امرأة كان يهواها مدة طويلة فلما حصلت عنده في البيت وضع رأسه ونام فقالت له لأي شئ فعلت هذا فقال من عشقي فيك انام لعلي اري خيالك في النوم (وحكى) عن بعض البخلاء انه قال لمحبوبته وضعت خدي على الارض لكي ترضي فقالت اعطني دينارا حتى اخليك تضع خدك على خدي ولقد بلغ نهاية اللطف قول القائل

قالت لطيف خيال زارني ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقال خلفته لو مات من ظما * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

قالت صدقت الوفا في الحب عادته * يا برد ذلك الذي قالت على كبدي

(وقول الآخر)

فهلا منعتم اذ منعتم كلامها * خيالا توافينا على البعد هاديا

سقى الله اليمامة دار قوم * بها عمرو يحن الى الرواح

فقلت لها من عمرو فانشدت

اذا رقد النيام فان عمرا * هو القمر المنير المستنير

ومالي في التبعل من براح * وان رد التبعل لي أسير

ثم سكتت كانها تسمع كلاما ثم انشأت تقول

يخيل لي أبا كعب بن عمرو * بانك قد حملت على سرير

فان يك هكذا يا عمرو اني * مبكرة عليك الى القبور

ثم شهقت شهقة فماتت

(ومنهم ما حكاه الاصمعي) وقد قال له الرشيد حدثني باعجب ما رأيت قال اخبرني السعيد بن عمرو الكلابي وقد جاوز المائة قال كنت كثير الاسفار فررت قاصدا اليمامة ببيت يلوح وقد قرب الليل فاردت المبيت عنده فقالت لي امرأة منه اضيف انت قلت نعم فقالت على الرحب والسعة ولكن تمهل حتى يأتي رب المنزل فعدلت الى طوى هنالك فسقيت ناقتي وجلست واذا بسوداء تحمل جفنة ثريد معها تمر ورطب فقالت تعال بهذا فقلت في دونه كفاية فاكلت واخرجت دقيقا فاطعمت ناقتي وتوسدت ذراعها واذا بقيم قد حال بيني وبين البيت ثم غفلت عيني فلم افق الا والوشاب على احسن ما يكون ومعه عبيد قد اقبلوا بحطب ونار فاضرموها وجاؤا بكبش فذبح وكشط وطبخوا وثردوا وقدم الينا فاكلنا ثم قال لي كن هنا حتى آتيك الصباح فلما اشرف الصبح جاء ففعل كما فعل ليلته فلما أكلنا قال لم اقض حقك فاقم عندي يومك فقلت سمعا وطاعة فركب ومكثت ساعة واذا الجارية تقول لي اجب ابنة عمك فقلت كيف أكلمها وقيمها غائب قالت من وراء حجاب فاقبلت فسلمت فقالت يا ابن العم اتريد اليمامة قلت نعم قالت فاحفظ عني هذه الرسالة وأعد الي جوابها وانشدت اعلى العهد مالك بن سنان * أم سقاه افاوق الغدر ساق

ان يكن خان أو تناءى فاني * لعلى العهد ما استطاع رماقي

ما ألم الرقاد مذ بنت الا * بجفون قريحة الآماق

فعليك السلام مالألأ النور * وما دب في الثرى عرق ساق

ثم قالت ليكن انشادك الابيات بالحضرمة فلما خرجت في اليوم الثاني خرج الشاب فقال يا ابن عمي هل انت مبلغ عني رسالة وعائد الي بجوابها قلت نعم قال قف بقران بني سحيم وانشد

أيا سرحتي قران بالله خبرا * عن البكرة العيساء كيف نزاعها

فلو ان فيها مطمعا لمتيم * نأت دارها عنه وخيف امتناعها

اهان عليه جوب كل تنوفة * يخاف عليه جورها وضياعها

تغربت عن نفسي وايقنت انها * تريد وداعا يوم جد وداعها

فلما دخلت اليمامة وقفت حيث وصف وانشدت الابيات واذا بجارية حاسرة كانها مهرة تنشد تحمل هداك الله مني تحية * اليه جديد كل يوم سماعها

وخبران عن العيساء ان قد توجعت * عليها مراعيها وطال نزاعها

لقد قطع البين المشتت الفة * عزيز علينا ان يحم انقطاعها

ثم شهقت شهقة فماتت فلما اردت الانصراف وقفت بالحضرمة وأنشدت ابيات المرأة

(وقال ثوبة بن الحميري)

فان تمنعوا ليلى وطيب حديثها

فلن تمنعوا مني البكا والقوافيا

فهلا منعتم اذ منعتم حديثها

خيالا يوافينا على البعد هاديا

(الباب الحادي عشر في قصر الليل وطوله وخضاب شفقه ونصوله وما في معنى ذلك) أقول هذا باب عقدناه لذكر من طال سهاد جفنه القصير فامسى وماله الى اسفار الصباح سفير فهو ينشد من شدة الحرق وكثرة الارق

يا ليل طل أو لا تطل

لابد لي أن أسهرك

لو بات عندي قمري * ما بت أرعى قمرك

ولم تزل العشاق تشكو من الليل وطوله ويصفونه بسواد الوجه عند حلوله وعذرهم في ذلك ظاهر وكيف لا وقد قال فيه الشاعر

مات الظلام بليل

أحييته حين عسعس

لو كان لليل صبح * بعيش كان تنفس

(وقال شرف الدين أحمد بن منقذ)

لما رأيت النجم ساه طرفه

والقطب قد ألقى عليه سباتا

وبنات نعش في الحداد سوافر

أيقنت ان صباحهم قد ماتا

(وقال ايضا)

ولرب ليل تاه فيه نجمه

قطعته سهرا فطال وعسعسا

وسألته عن صبحه فاجابني

لو كان في قيد الحياة تنفسا

قلت وقبل الشروع في ايراد مقاطيع هذا الباب نذكر هنا حكاية لطيفة تتعلق بطول الليل وقصره وهي ما حكاه أبو محمد اسمعيل بن منصور الجواليقي قال وقف على والدي وهو جالس في حلقة يقرأ فيها عليه الطلبة شاب فقال يا سيدي قد سمعت بيتين من الشعر ولم افهم معناهما فقال له قل فانشد وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها

فاجابني فتى لم يحل عن وفائه ابن سنان * لا ولا غاله انتشاء الفراق
ان بين الحشا لهيب اشتياق * ليس يطفي جواه الا التلاقي
انما ابقت الهموم خيالا * باليا مثل كاهباء الرماق

ثم شهق شهقة فمات فلما رجعت الى الحي اخبرت المرأة بموت ابنها فشهقت شهقة فارقت نفسها وعلت الاصوات فاقبل الشاب فقال لي ما شأنها فاعلمته الخبر ثم انشدته جواب ابياته فقال فها انا ايضا ميت ثم اضطجع فكأنما كانت نفسه بيده وهذه الحكاية اخرجها في نديم المسامرة والشهاب في منازل الاحباب والحافظ مغلطاي في الواضح وامثال هذه عندهم يعرف بالعشق المسلسل ونظيره ما حكاه الشيرزي عن العتبي قال تذاكرنا العشق يوما وبيننا شيخ ساكت فقلنا له الا تحدثنا بما عندك في هذا فقال جلسنا يوما للشرب ومعنا قينة فغنت

علامة ذل الهوى * على العاشقين البكا ولا سيما عاشق * اذا لم يجد مشتكى

فقال شاب كان في المجلس احسنت والله يا سيدتي أتأذني لي ان اموت فقالت مت راشدا ان كنت عاشقا وكان يهوى القينة فاضطجع فاذا هو ميت فتنغص مجلسنا ثم دخلت الى اهلي فاخبرتهم بالقصة وكان لي ابنة تهوى الشاب ونحن لا ندري فلما سمعت الخبر قامت الى خلوة وانكرت قيامها فدخلت اليها فاذا هي متوسدة كما وصفت لها الشاب ميتة فلما اخرجنا بجنازتها او بالشاب وجدنا جنازة ثالثة واذا هي القينة ماتت حين بلغها موت ابنتي لانها كانت تهواها *(ومنهم ما اخرج الحافظ عن ابن دريد عن عبيد الثعالبي غلام ابي الهذيل)* قال رجعت من تشييع جنازة وقد اشتدت الهاجرة فملت الى ظل اتفيأ به فسمعت صوتا مطربا فطرقت الباب استسقي الماء فخرج شاب على احسن صورة غير ان العلة لم تبق الا رسمه فادخلني الى موضع انيق بالفرش وجاءت جارية فغسلت رجلي ثم بعد يسير جاءت بالطست فقلت قد غسلت قالت نعم ولكن اغسل يديك للغداء فغسلت وجاؤا بطعام فاقبل يضاحكني ويأكل متغصصا والعبرة تخنقه ثم جاء بشراب فسقاني وشرب ثم قال قم بنا الى نديمي فدخلت معه الى بيت لطيف فيه قبر قد صب حوله الرمل فجلسنا فشرب وسقاني ثم انشد يقول

اطأ التراب وانت رهن حفيرة * هالت يداي على صداك ترابها
اني لاغدر من مشى ان لم اطأ * جفون عيني ما حييت جنابها
لو ان حشو جوانحي متلبس * بالنار اطفأ حرها واذابها

ثم اكب على القبر مغشيا عليه فجاء خادم فرش عليه الماء فافاق فشرب وسقاني وانشد

اليوم ثاب لي السرور لانني * ايقنت اني عاجلا بك لاحق
فغدا اقاسمك البلا ويسوقني * طوعا اليك من المنية سائق

ثم قال وقد وجب عليك حق فاحضر غدا جنازتي فدعوت له بطول البقاء وانصرفت فقال عقبتني ان لم تقل جاور خليلك مسعدا في رمسه * كيما ينالك في البلا ما ناله

فانصرفت عنه فلم اعرف نوما حتى اصبحت فاتيته فاذا هو قد مات فدفن الى جانبها قلت نقل في عجيب الاتفاق وليس من شأنه هذا ان الشاب كان يهوى ابنة عمه ومنع منها زمانا ثم مات ابوها فتزوج بها فاقام معها ثلاث ليال ثم حمت ساعة من نهار فجلس واخذ راسها على ركبته فطلبت الماء فشربت فشرقت فماتت فدفنها في بيته واقام يبكي وقد هجر الطعام

والشراب

سمعها والدي قال له يا ولدي هذا شيء من معرفة النجوم وتسييرها الا من صنعة اهل الادب فانصرف الشاب من غير حصول فائدة فاستحيا والدي لكونه سئل عن شيء ليس عنده منه علم وآلى على نفسه ان لا يجلس في حلقة حتى ينظر في علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر فنظر في ذلك وحصل معرفته ثم جلس وقال معنى البيت المسؤل عنه ان الشمس اذا كانت في آخر القوس كان الليل في غاية الطول لانه يكون آخر فصل الخريف واذا كانت في آخر الجوزاء كان الليل في غاية القصر لانه في آخر فصل الربيع فكأنه يقول اذا لم يزرني فالليل عندي في غاية الطول وان زارني كان الليل عندي في غاية القصر وقد انصف القائل

لا اظلم الليل ولا ادعي
ان نجوم الليل ليست تسير
ليلي كما شاءت فان لم تزر
طال وان زارت فليلي قصير

(وما احسن قول الارجاني)

وما ليلنا الا سواء وانما
تفاوته انا نهران ونغتم

(وما احسن ما قيل في قصر الليل)

قول ابي اسحق الصولي

وليلة من الليالي الزهر
قابلت فيها بدرها ببدري
لم تك غير شفق وفجر
حتى تولت وهي بكر الدهر

(وقال الرضي)

يا ليلة كاد من تقاصرها
يعثر فيها العشاء بالسحر

(وقال آخر)

سألت الليل لم ولي هزيما
وقد بات الحبيب على اقتراحي

فقال كواكبي غارت وسارت * مخامرة على الى الصباح (ومن احسن ما قيل في طول الليل قول العباس

والشراب واللبس والنوم فكانت مدته الى ان لحق بها ثلاثة عشر يوما وايضا من نظير المسلسل ما روى عن يونس النحوى قال نزلت بصديق لى ببادية يقال له مالك العذرى فاذا نحن بامرأة تقول قد تكلم فاستبشر النساء بذلك فسألت صديقى عن الخبر فقال رجل منا احب ابنة عمه وتزوجها رجل وحملها الى الحجاز فصار ملقى على فراشه من نحو حول لا ينطق فقلت احب ان انظره فقمنا حتى وقفنا عليه فقالت امه يا ولدى هذا عمك مالك ففتح عينيه وأنشد

ليبكنى اليوم اهل الودو الشفق * لم يبق من مهجتى الا شفا رمق
اليوم آخر عهدى بالحياة فقد * اطلقت من ربقة الاحزان والقلق

ثم تنفس فاذا هو ميت فقمنا عنه فلما رجعنا اذا نحن بشابة بيضاء ناعمة الثياب تبكى بحرقة وجزع فسألناها عن السبب فانشأت

اليوم ابكى لصب شف مهجته * طول السقام واضنى جسمه الكمد
ياليت من خلف القلب المقيم به * عندى فاشكو اليه بعض ما اجد
أتشعر بك اسرى لى النسيم به * ام انت حيث يناط السحر والكبد

ثم شهقت شهقة خرت ميتة فسألنا عنها فاذا هى تهوى الشاب قلت قال فى النزهة عن الرياشى عن يونس هذا قال اجتمعت بصديق بعد ذلك اليوم بمدة لا تزيد عن شهرين فقال لى اتعرف الشاب الذى مات يوم كذا قلت نعم قال قدم علينا الحجازى زوج ابنة عمه فاخبر ان المرأة من لدن حملها لم تنفك عن المرض حتى قضيت يوم كذا فاذا هو اليوم الذى مات فيه الشاب

(ومنهم ما حكاه الكاتب) قال كنا فى منتزه وقد اقبل ابن عائشة يسوس غلاما لا يستطيع ان يملك نفسه فسألناه عن امره فقال من العشق فتذاكرنا اخبار العشاق فقلت ألا احدثكم بأعجب من هذا قالوا هات قلت اخبرنى بعض العرب قال مررنا بماء وعليه صبية يتغاطسون وقريب منهم شاب عليه اثر الجمال الا انه كالمنتحل من علة فسلمت عليه فقال ممن الراكب قلت من الحمى فقال من كم عهدك به قلت قريبا فتنفس الصعداء وأنشد

سقى بلدا امست سليمى تحله * من المزن ما يروى به ويشيم
وان لم اكن من قاطنيه فانه * يحل به شخص على كريم
ألا حبذا من ليس يعدل قربه * لدى وان شط المزار نعيم
ومن لامنى فيه حبيب وصاحب * فرد بغيظ صاحب وحميم

ثم اغشى عليه فنضحنا عليه الماء فأفاق ثم أنشد

اذا الصب الغريب رأى خضوعى * وانفاسى تزين بالخشوع
ولى عين أضر بها التفاتى * الى الاجزاع مطلقة الدموع
الى الخلوات يأنس فيك قلبى * كما أنس الغريب الى الجميع

فقلت له ان كان لك حاجة فيها اشفاء نفسك فمرنى بها فانى مطيع فقال اعلم انك محل ولكن لم تدرك منى الاصابة لا تتلافى ففارقته فبلغنى انه لم يبت تلك الليلة

(ومنهم ما حكاه فى منازل الاحباب) وقال كان فى بنى عذرة فتى ظريف يهوى محادثة النساء فعلق جارية فاضنته حتى لزم الوساد وسئلت فى أمره فامتنعت حتى اذا بلغ الموت جاءته فحين رآها أنشد

أريتك ان مرت عليك جنازتى * تمر على ايدى طوال وشرع
أما تتبعين النعش حتى تسلمى * على رمس ميت فى الحفيرة مودع

ابن الاحنف) أيها الراقدون حولى اعينو * نى على الليل واتركوا الاعتذارا
حدثونى عن النهار حديثا * أو صفوه فقد نسيت النهارا

(وقال آخر)

عهدى بنا ورداء الليل مشتمل * والليل أطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلى مذ بانوا فديتهم * ليل الضرير فصبحى غير منتظر

(وقال ابن العتاهية)

لقد ساهرتنى عيون الدجى * وقد نام عنى عيون الملاح
اذا ما شكا الليل هجر الصباح * شكوت الى الله هجر الصباح

(وقال ابن الزقاق)

لى مسكن شطت به غربة * جادت لها عينان بالمزن
ما احسن الفجر ولا راقنى * بياضه مذ بان فى الظعن
كأنما الصبح لنا بعده * عين قد ابيضت من الحزن

(وما أحسن قول القاضى الفاضل)

بتنا على حال يسر الهوى * وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل وقلنا له * ان غبت عنا هجم الصبح

(وقال ياقوت)

كأن الثريا راحة تشبر الدجا * لتعلم طال الليل أم قد تعرضا
فليل تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

اخذه الشيخ صدر الدين بن الوكيل فقال

بكف الثريا وهى جذما يقاس لى * شقاق الدجا من الشرق والغرب
ولو ذرعوها بالذراع لما انقضت * فما تنقضى بالليل أو ينقضى نحبى

وقد أحسن الارجانى فى الاعتذار عن طول الليل فقال

لا ادعى جور الزمان ولا أرى * ليلى تزيد على الليالى طولا
لكن مرآة الصباح تنفست * للهم اصدأ وجهها المصقولا

(وقال مضر بن الفقعسى)

فحلفت انها لم تعلم انه بلغ به الحب الى هذا الحال وأخذت تستعطفه فتمثل بقول بشر بن حضرم الكلاعي

اتت وحياض الموت بيني و بينها * وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

ثم اغشي عليه وانكبت تقبله فاذا هو ميت فلم تمكث بعده الا قليلا

(ومنهم ما حكاه ابن الجوزي) ان رجلا عاشق جارية نصرانية واخذ هواها منه حتى ازال عقله فحمل الى البيمارستان فأقام به مدة وكان له صديق يتعاهده فقال له يوما وقد أشرف على التلف قد ايست من ملاقاة فلانة في الدنيا وأخاف ان لا ألقاها في الآخرة ان مت مسلما ثم تنصر ومات فخرج من عنده فوجدها عليلة وهي تقول قد أيست من فلان في الدنيا فأنا اسلم لالقاه في الآخرة ثم اسلمت وماتت

(ومنهم الحرث المشهور بابن الفرند من خزاعة) وقال في الشامل انه من قحطان نشأ وابنة عمه عفراء بنت الاحمر ممتزجين بالالفة الى ان بلغا فتزوج بها فأقاما مدة ينمو الهوى بينهما الى ان عزمت يوما على ان تزور أباها فجهزها اليه فاقامت مدة وكل منهما يأبى ان يجيء بنفسه وزادت الوحشة بينهما وحلف أبواهما على ان لا يأتي احدهما الآخر مخافة ان تزري العرب به فمرض الحرث فكتب اليها

صبرت على كتمان حبك برهة * ولي منك في الاحشاء أصدق شاهد

هو الموت ان لم تأتني منك رقعة * تقوم لقلبي في مقام العوائد

فاجابته كيف الذي تخشى وصرت الى المنى * ونلت الذي تهوى برغب الحواسد

و والله لولا ان يقال تظننا * بي السوء ما جانبت فعل العوائد

فلما قرأ ما في الرقعة وانتشق ريحها وكانت أعطر زمانها غشي عليه فاذا هو ميت فقيل لها ما كان عليك لو أحييته بزورة قالت خشيت ان يقال صبت اليه ولكني قاتلة نفسي عن قريب فلم يشعر بها الا وهي ميتة

(ومنهم عياش الكناني) قال هشام خرجنا في حاجة وهو معنا فمررنا ببني حنيفة فرأى جارية منهم فوقعت من قلبه موقعا عظيما فتخلف عنا وراسلها فأبت وكان لا يخطئ سهمه اذا رمى فصحب قوسا واقبل في الليل وهي نائمة بين اخوتها فايقظها فلما شعرت به قالت لئن لم تذهب لاوقظنهم فيقتلونك فحلف ان أعطته يدها يضعها على فؤاده تسكينا لما به انصرف ففعلت فانصرف فلما كان من قابل أتى وفعل كفعلته فقالت له كالاول فحلف ان أمكنته من رشفة مضى ففعلت وشعر به الحي فتبعوه فدرج على جبل واعقب الوقت سماء فرجع النساء واخذ الجارية من الوجد أضعاف ما عنده فخرجت مع جارية من الحي وقد أزهر القمر فرآها على بعد وقد أسبلت شعرها من الندى فحسبها بعض من يطلبه فرماها بسهم فلم يخط قلبها ونزل فوجدها متضمخة وقد أشفقت على الهلاك فقتل نفسه

(ومنهم ما رواه اعرابي أو هو جبلة بن الاسود) قال خرجت في طلب ضالة فوقعت على راع عنده غنم يرعاها وقد اتخذ بيتا في كهف هنالك فسألته القرى فرحب بي وأنزلني ثم جاء بشاة فذبحها وجعل يشوي ويقدم الي ويحادثني حتى اكتفيت فلما جن الليل اذا بفتاة كأحسن ما يكون من النساء قد اقبلت اليه فجلسا يتحادثان حتى طلع الفجر فمضت وسألته الذهاب فأبى وقال الضيافة ثلاثا فاقمت فلما جاء الليل رأيته يقوم و يقعد متضجرا ثم أنشد

وليل تقول الناس من ظلماته * سواء صحيحات العيون وعورها كأن لنا منه بيوتا حصينة * مسوح أعاليها وساح كسورها

(وقال آخر)

ولي سنة لم ادر ما سنة الكرى
كان جفوني مسمعي والكرى عذل

(وقلت أنا)

مذ غبت عني شمس الدين ما اكتحلت
عيني بغير ذرور السهد والسهر
كم بت أرعى نجوم الليل من أرق
يا اشبه الناس كل الناس بالقمر

وقال الشريشي فاما أكثر الشعراء فهم من الليل أفزع والى النهار انزع لان الليل أجمع لاشتات الهموم والفكر واجلب لشوارد الاحزان والذكر وقال امرؤ القيس

وليل كموج البحر ارخى سدوله
علي بانواع الهموم ليبتلي

(وقال قيس بن ذريح)

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى
ويجمعني والهم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى اذا بدا
لي الليل هزتني اليك المضاجع

(وقال ابن المعتز)

لا تلق الا بليل من تواصله
فالشمس نمامة والليل قواد
كم عاشق وظلام الليل يستره
لاقى الاحبة والواشون رقاد

(وقال المتنبي)

كم زورة لك في الاعراب خافية
أدهى وقد رقدوا من زورة الذيب
أزورهم وسواد الليل يشفع لي
وانثني وبياض الصبح يغري بي

هذا البيت أمير شعر المتنبي على كثرة الجيد فيه وفيه مقابلة خمسة بخمسة وقد اخذه بعضهم فقال

أقلى النهار اذا أضاء صباحه
وأظل أنتظر الظلام الدامسا
فالصبح يشمت بي فيقبل ضاحكا
والليل يرثي لي فيدبر عابسا

وقد احسن في اخذه فان فيه ايضا مقابلة خمسة بخمسة قال ابن يحيى في قول المتنبي

ما

مابال مية لا تأتي كعادتها * أعاجها طرب ام صدها شغل

لكن قلبي عنكم ليس يشغله * حتى الممات ومالي غيركم امل

لو تعلمين الذي بي من فراقكم * لما اعتذرت ولا طابت لك العلل

نفسي فداؤك قد احللت لي سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل

لوان غادية منه على جبل * لمادوانهد من اركانه الجبل

فسألته عن شأنه فقال هذه ابنة عمي وانا أحبها فخطبتها من عمي فأبي على لفقري وزوجها من رجل وقد جاءها الى هذا الحي فخرجت عن مالي وعملت راعيا لهم فهي تأتيني على غفلة من زوجها فأنظر اليها ونتحادث ليس غيره والآن قد قلقت لفوات ميعادها وفي الطريق أسد قد كسروا اخاف ان يكون اصابها فعلي رسلك حتى اعود وأخذ السيف ومضى قليلا ثم عاد يحملها وقد أصابها الاسد فطرحها ثم غاب ورجع يجر الاسد مقتولا فطرحه وانكب يقبلها ويبكي ثم قال لي أسألك بالذمة الا ما دفنتني واياها في هذا الثوب وكتبت على القبر هذا الشعر فاني لا بقاء لي بعدها ثم انكب عليها فاذا هو ميت وقيل انكب على السيف فخرج من ظهره وفي رواية ونمنا الى الصباح فوجدته ميتا فلففتهما ودفنتهما وكتبت على القبر الشعر الذي أوصى به وهو

كنا على ظهرها والدهر في مهل * والعيش يجمعنا والدار والوطن

ففرق الدهر بالتصريف الفتنا * فاليوم يجمعنا في بطنها الكفن

ثم فرقت الغنم ومضيت الى عمه فاخبرته بذلك فكاد ان يقضي اسفا على عدم الجمع بينهما

(ومنهم كامل بن الرضين) وكان يحب ابنة عم له يقال لها أسماء فافتتن بها حتى أنحله السقم ولزم الوساد فسأل أبوه اباها ان يزوجها منه فقال له اجله الى لازوجه بها ففعل فلما علم بذلك قال أو انا بموضع تسمعني به قالوا نعم فشهق شهقة فمات فقالت قد كنت قادرة على زيارته فتركتها خوف الريبة فلا تبعته ثم مرضت فقالت لاخص نسائها صوري لي صورته ففعلت فلما اعتنقتها فارقت نفسها فدفنت الى جانبه وكتب على قبريهما

بنفسي من لم يتعابهواهما * على الدهر حتى غيبا في المقابر

أقاما على غير التزاور برهة * فلما أصيبا قربا بالتزاور

فياحسن قبر زار قبرا يحبه * ويا زورة جاءت بريب المقادر

(ومنهم مرة النهدي) وكان قد شغف بابنة عمه ليلى وكانت اوحد نساء زمانها احسنا فكتم حبه لها حتى تزوجها فاقاما مدة لا يزداد حالهما الا شغفا الى ان أمره الخليفة بالتجهيز الى غزو خراسان فشكا اليها عدم القدرة على فراقها فقالت اصنع ما شئت فحملها معه حتى اودعها عند صاحب له وتحمل الغزو فلما رجع كره ان يدخل ابتداء فجلس بازاء القصر فخرجت جارية فسألها ما صنعت المرأة التي خلفتها عندكم فقالت ذاك القبر الجديد قبرها فتردد حتى خرجت اخرى فاخبرته مثل ذلك فمضى الى القبر فجعل يتمرغ ويبكي ثم انشد

أيا قبر ليلى لو شهدناك أعولت * عليها نساء من فصاح ومن عجم

ويا قبر ليلى ما تضمنت قبلها * شبيها لليلى في عفاف وفي كرم

ويا قبر ليلى اكرمن محلها * يكن لك ما عشنا علينا بها نعم

ويا قبر ليلى ان ليلى غريبة * بأرض لم يشهدك خال به وعم

المذكور انه مأخوذ من قول ابن المعتز (فالشمس نمامة والليل قواد)

قال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس قال لي شيخنا تقي الدين بن دقيق العيد قل لهؤلاء علماء المعاني والبيان والبديع أتحسنون ان تقولوا مثل قول المتنبي أزورهم وسواد الليل البيت فاذا قالوا لا قل فاي فائدة فيما تصنعونه يريد بذلك ان العمل غير العلم والمباشرة دون الوصف *(ومثل قوله هذا)* ما حكاه بعضهم عن بعض الوعاظ انه كان على منبره يتكلم في المحبة وامور العشق وأحواله ومد أطناب الاطناب في ذلك فقام اليه بعض الجماعة فقال

بعيشك هل ضممت اليك ليلى
قبيل الصبح أو قبلت فاها

وهل زفت عليك فروع ليلى
زفاف الاقحوانة في نداها

فقال الواعظ لا والله فقال له فاسكت

(وقال المتنبي)

وكم لظلام الليل عندك من يد
تخبر ان المانوية تكذب

وقال ردى الاعداء تسري اليهم
وزارك فيه ذو الدلال المحجب

المانوية قوم يعتقدون ان الخير كله من النور والشر كله من الظلام فكذبهم بانه وجد الخير في الظلام حيث ستره عن أعدائه ووقاه شرهم وكان عونا له على زيارة من يحبه *(وقال ابن رشيق)*

أيها الليل طر بغير جناح
ليس في العين راحة في الصباح

كيف لا أبغض الصباح وفيه
بان عني الوالوجوه الصباح

(حكى الاصمعي) قال حضرت الرشيد وعنده مسلم بن الوليد اذ دخل أبو نواس فقال ما احدثت بعدنا يا أبا نواس فقال يا أمير المؤمنين ولو في الخمر فقال قاتلك الله ولو في الخمر فانشده

ياشقيق الروح من حكم
نمت عن ليلى ولم أنم

الابيات حتى أتى على آخرها فقال احسنت والله يا غلام اعطه عشرة آلاف درهم وعشر خلع فاخذها وخرج

ولم يزل كذلك حتى مات ودفن الى جانبها

(ومنهم رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف) تزوج ابنة عمه فشغف بها حتى لم يستطع فراقها فنفد ما معه وضاق حاله ولم يكتسب شيأ يقتات به فقالت له يوما لو خرجت الى هشام ابن عبد الملك فسألته شيأ لما منعك فجهز نفسه فلما صار قرب الرصافة غمي عليه ساعة ثم أفاق وانشد

بينما نحن بالبلاكث بالقا * ع سراعا والعيس تهوي هويا

خطرت خطرة على القلب من ذكـ * ـراك وهنا فما استطعت مضيا

قلت لبيك اذ دعاني لك الشو * ق وللحاديين ردا المطيا

فكررنا صدور عيس عتاق * مضمرات طوين بالسير طيا

ذاك مما لقين من دلج السيـ * ـر وقول الحداة بالليل هيا

ثم قال للجمال ارجع قال يا سبحان الله قد وصلت الى الرصافة فاقسم لا يخطو الا راجعا فلما عاد صادفه رجل من بني عمه فاخبره ان زوجته قد ماتت فلم يسمع منه الا شهقة وفارقته نفسه

*(فصل فيمن أناخ به الحب ثقله * حتى أذهب عقله)* *وهؤلاء المعروفون عند اهل القوانين بعقلاء المجانين وقد افردوا كثيرا بالتأليف وجعلتهم من المجانين لاشتراكهم بهم فيما قدمت من الشروط

(فمنهم ما اخرجه مغلطاي عن الاديب) *قال عشق فتى عندنا جارية فلم يزل يزداد ولعه بها حتى ذهب عقله فكان آونة يسكن الى الناس واخرى يسكن الخربات ويتوحش فمررت به يوما في خربة يثير التراب على وجهه فسألته عن حاله فانشد

تمنى حبها وأضناني * وفي بحار الهموم ألقاني

كيف احتيالي وليس لي جلد * في دفع ما بي وكشف احزاني

يارب اعطف بقلبها فعسى * ترحم ضعفي وطول اشجاني

ففارقته ومضيت فلما كان بعد مدة اذا انا به يتمرغ على الارض فلما ابصرني قال يا عم أنا الليلة ميت فدعوت له ومضيت فلما اصبحت غدوت عليه فاذا هو قد قبض

(ومنهم ما ذكره ابن المرزبان في الذهول والنحول عن سعيد بن ميسرة) *قال صحبنا شابا فكان لا يلهج الا بهذه الابيات

الا انما التقوى ركائب أدلجت * وأدركت الساري بليل فلم ينم

وفي صحبة التقوى غناء وثروة * وفي صحبة الاهواء ذل مع العدم

فلا تصحب الاهواء واهجر محبها * وكن للتقى الفا تكن في الهوى علم

فسألناه لمن الابيات قال لاخ لي كنت أحبه حبا شديدا ولم أر أخرج منه مع التقوى فسألته الدنيا تلهج بهذه أم الاخرى فقال لامر لا أخبرك به حتى ينفذ من يدي ودام على ذلك حتى لزم الفراش فكانت الاطباء تختلف اليه ولم تؤثر معه شيأ وكان يصرخ الليل كله فاجمعنا على ان ندعه وشأنه فكان يجلس نهاره على الباب وكلما مر به شخص يسأله الى اين يذهب فيقول الى موضع كذا فيقول لو مررت على من نريد لحملناك حاجة فقال له صاحب له أنا مار حيث تريد فقال

تقرا السلام على الحبيب تحية * وتنبه بتطاول الاسقام

وتفيده ان التقي ذم الهوى * لما غدا مستوغلا بزمام

قال نعم فما كان باسرع من ان رجع فقال بلغتهم رسالتك فقالوا

(وحكي) عن المطرز الشاعر انه مر وفي رجليه نعل له بالية وهي تثير الغبار فرآه الشريف المرتضى فامر باحضاره وقال له أنشدني ابياتك التي تقول فيها

فان لم تبلغني اليكم ركائبي

فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فانشده اياها فلما انتهى الى هذا البيت أشار الشريف الى نعله البالية وقال أهذه كانت من ركائبك فاطرق المطرز ساعة ثم قال لما عادت هبات سيدنا الشريف أيده الله تعالى الى مثل قوله

وخذ النوم من جفوني فاني

قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبي الى مثل ما ترى لانك خلعت ما لا تملكه على من لا يقبل فاستحيا الشريف منه وكان الشيخ صدر الدين ابن الوكيل رحمه الله تعالى يقول والله قول المطرز عندي أحسن من قول الشريف* وقال أبو البشر المظفر الاعمى دخلت على الملك الكامل فقال لي أجز

هذا النصف قد بلغ العشق منتهاه

فقلت وما دري العاشقون ما هو

فقال وانما غرهم دخولي

فقلت فيه فهاموا به وتاهوا

فقال ولي حبيب يرى هواني

فقلت وما تغيرت عن هواه

فقال رياضة النفس في احتمالي

فقلت وروضة الحسن في حلاه

فقال اسمر لدن القوام ألمى

فقلت يعشقه كل من يراه

فقال ريقته كلها مدام

فقلت ختامها المسك من لماه

فقال ليلته كلها رقاد

فقلت وليلتي كلها انتباه

ثم ان مظفر الدين أكملها مدحا في السلطان الملك الكامل تغمده الله برحمته ومنه وكرمه.

(الباب الثاني عشر في قلة عقل العذول وما عنده من كثرة الفضول)

أقول هذا باب نقدناه لذكر من أكثر القيل والقال من العذال واستحق بما سلك محبته عند عذله نتف السبال

اثن كان تقوى الله ذمتك ان تنل * أمورا نهى عنها بنهى حرام
فزرنا لنقضى من حديث لبانة * ونشفى نفوسا آذنت بسقام

قال فوثب قائما ثم انشد يقول

سأقبل من هذا وفيه لذى الهوى * شفاء وقد يسلو الفتى جدوامق
اذا اليأس حل القلب لم ينفع البكا * وهل ينفع المشوق دمعة عاشق

قال ومضى فقمت خلفه وحدى حتى اتى منزل رجل من اهل الفضل والرأى والدين وكانت له ابنة من اجل النساء فوقف على الباب وقال

فها أنا ذا قد جئت اشكو صبابتى * واخبركم عما لقيت من الحب
واظهر تسليما عليكم لتعلموا * بان وصولى ثم ذا منكم حسبى

قال فلما فهمت القصة وخشيت ان يظهر أمره قلت له ما جلوسك على باب القوم ولم يأذنوا لك قال بلى قلت كيف وهم يقولون بالله ربك لا تمر ببابنا * انا نخاف مقالة الحساد فقال يا صاح أقد قالوا هذا قلت نعم فجعل يهذى ويقول

ان كان قد كرهوا زيارة عاشق * فلرب معشوق يزور العاشقا

ثم رجع فلزم الوساد حتى مات

(ومنهم ما حكاه الوراق عن الصوفى) قال حدثنى صديق لى قال دخلت البيمارستان ببغداد فرأيت شابا نظيف الثياب قد شد الى سارية ووراءه وسادة وبيده مروحة فسلمت عليه وقلت له ماذا تريد فقال قرصين وفالوذج فاحضرتهما فلما فرغ قلت له هل تطلب غير هذا قال وما أظنك تقدر عليه قلت اذكره فلعل الله ان يساعدنى عليه فقال تمضى الى زقاق الغفلة فتقف بباب كذا وتقول مجنونكم من ذا المحلة فمضيت وفعلت ما قال فخرجت الى عجوز فقالت قل له عليلكم من ذا اعله فرجعت اليه واخبرته بذلك فشهق شهقة فمات فرجعت الى الباب فوجدت الصراخ وقد ماتت الجارية

(ومنهم ما حكاه السامرى) قال مررت أنا وصديق لى بدير هرقل فقال هل لك ان تدخل فتنظر الى ما فيه من ملاح المجانين فدخلنا واذا بشاب نظيف الثياب حسن الهيئة جميل المنظر فحين بصر بنا قال مرحبا بالوفد قرب الله بكم بأبى من اين أقبلتم فقلنا جعلنا فداءك ومتع الله بك اقبلنا من كذا ثم قلنا له ما اجلسك ههنا وانت لغير هذا المكان اهل وهؤلاء غيرك مجل فتنفس الصعداء وهو مشدود الى الجدار فى سلسلة وصوب طرفه الينا وانشد

الله يعلم اننى كمد * لا استطيع ابث ما اجد
روحان لى روح تضمنها * بلد وأخرى حازها بلد
اما المقيمة ليس ينفعها * صبر وليس يقربها جلد
واظن غائبتى كشاهدتى * بمكانها تجد الذى اجد

قلت وسيأتى منه انه ينسب هذا الشعر لخالد الكاتب ولا يمكن ان يقال ان هذا المحكى عنه هو لان خالدا لم يحبس وانما كان سائحا كما سيأتى فلم يبق الا استعارة احدهما من الآخر قال الراوى ولما فرغ من شعره التفت الينا فقال هل احسنت فقلنا نعم ثم ولينا فقال بأبى ما اسرع ذهابكما أعيرانى سمعكما فعدنا اليه فأنشد

لما اناخوا قبيل الصبح عيسهم * ورحلوها وسارت بالهوى الابل
وقلبت من خلال السجف ناظرها * ترنو الى ودمع العين منهمل

وكيف لا وهو لكثرة فضوله وقلة محصوله يدخل بين الروح والجسد والوالد والولد طالما اصبح بين المحبين قفا بين صفا من لا يفتح له باب ولا يرد عليه جواب وأتعب من ناداك من لا تجيبه * واغيظ من عاداك من لا تشاكل وما التيه خلقى فى الهوى غير اننى * بغيض الى الجاهل المتعاقل فليته استراح واراح وصان عرضه المباح فقد اكثرت الشعراء فى الرد عليه واعتذرت المحبون اليه كما قيل

يا عاذلى فى هواه * اذا بدا كيف اسلو
يمر بى كل وقت * وكلما مر يحلو

وكان يقال ليس من العدل سرعة العذل وكان يقال رب ملوم لا ذنب له وكان يقال

* لعل لها عذرا وانت تلوم *

فكم عاذل زاد الحب بعذله لجاجة وجنونا اكثر من الحاجة

لا بد ان هوى يلوم انه
كالريح يغرى الناس بالاحراق

(وقال الآخر)

وما عذولى ناهيا عنكم
لكنه بالصبر أمار
قال اسلهم ان لم تطق هجرهم
قلت له النار ولا العار

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)

يا من اذا باعت الابصار اسودها
بحبة فوق خديه فقد ربحت
يزيدنى العذل تبريحا الذيه
فليت عذال قلبى فيك لا برحت

(وما احسن قول باديناه محمد بن العفيف التلمسانى)

أسرفت فى اللوم ولم تقتصر
وزدت فى لومك يا ذا العذول
قد رضيت نفسى بمحبوبها
وانما المولى كثير الفضول

(وقال والده واحسن ما شاء)

ولى على عاذلى حقوق هوى
شكرى عليه ببعضها يجب
لام فلما رآه هام به * فكنت فى عشقه انا السبب

(وقال الآخر) قد اجتهد اللاحى وجاء بلومه

فودعت ببنان عقدها عنم * ناديت لاجات رجلاك يا جل
ويلي من البين ماذا حل بي وبها * يا نازح الدار حل البين وارتحلوا
يا حادي العيس عرج كي أودعها * يا حادي العيس في ترحالك الاجل
انى على العهد لم أنقض مودتهم * فليت شعري وطال العهد ما فعلوا

فقلنا له مجنونا انتظر ما يفعل ماتوا فقال قسمت عليكم ماتوا قلنا نعم فجذب نفسه في السلسلة جذبة دلع منها لسانه وبرزت عيناه وانبعث الدم من شفتيه وشهق فاذا هو ميت فاندمنا على شيء أعظم منه وحكاها المبرد كما هي وزاد ان قال فوجدنا في الدير مجانين ليس فيهم أنظف من شاب عليه بقايا ثياب ناعمة فدنونا منه فقال أنشدوني شيأ من الشعر أو أنا أنشدكم فقلنا له انشد فأنشد الشعرين فلما قال ما فعلوا قال رجل بغيض معنا ماتوا فقال وأنا ايضا أموت فقال له افعل ما شئت فتجذب حتى مات وأخرج الزجاج في أماليه عن المبرد الحكاية ايضا لكنه قال فقال انا انشدوني فقلت لرفيقي انشده فأنشد

قبلت فاها على خوف مخالسة * كقابس النار لم يشعر من العجل
ماذا على رصد في الدار لو غفلوا * عني فقبلتها عشرا على مهل
غضي جفونك عني وانظري أمما * فانما افتضح العشاق بالمقل

فقال انا وهذا القائل على طرفي نقيض فانه يرى محبوبه وانا مقصى فقلنا له انت عاشق قال نعم قلنا لمن قال أنت سؤل قلت محسن ان اخبرت قال عقد لي أبي على ابنة عم لي ثم توفي وترك مالا كثيرا فاستولى عمي على المال ونسبوني الى الجنون قال المبرد هذا كله والقيم يقول احذروه فانه يتغير ثم التفت الي فقال أنشدني انت فانك من أهل الادب فلم يحضرني الا قول الشاعر

قالت سكينة والدموع ذوارف * تجري على الخدين والجلباب
ليت المغيري بالذي لم أجزه * فيما أطال تبصري وطلابي
كادت ترد لنا المنى أيامه * اذ لا الام على هوى وتصابي
خبرت ما قالت فقلت كأنما * ترمي الحشا بصوائب النشاب
اسكين ماماء الفرات وطيبه * مني على ظمأ وحب شراب
بألذ منك وان نأيت وقلما * يرعى النساء أمانة الغياب

(ومنهم ما حكاه الاسدي عن ابيه) قال دخلت دير هرقل فوجدت شابا حسن الهيئة مكبلا بالحديد فقلت له من الذي أوجب لك هذه الحالة فانشد

نظرت اليها فاستحلت بنظرتي * دمي ودمي غال فأرخصه الحب
وغاليت في حبي لها ورأت دمي * رخيصا فمن هذين داخلها العجب

(ومنهم ما حكاه ابن غنيم) قال مررت بخربة فرأيت مجنونا مصفدا بالحديد يتمرغ في التراب ويقول

ألا ليت ان الحب يعشق مرة * فيعرف ماذا كان بالناس يصنع
يقولون فز بالصبر انك هالك * وللصبر مني ألف مرة أجزع

(ومنهم ما حكاه أبو الحسن المؤدب) قال انحدرت من بالس أريد العراق فبينما انا في بعض أزقة الموصل اذ سمعت ضجة فسألت فقيل دار المجانين فدخلت فاذا أنا بشاب في الحديد قد تضرج بالدم فلما بصر بي قال من أين قلت من بالس قال وأين تريد قلت العراق قال أتعرف بني فلان قلت نعم قال هم الذين صيروني الى ما ترى في عشقهم وأنشد

وزخرف لي زور الكلام يمينه وقال اسل عن هذا وعد عن غرامه * فقلت له هذا الفضول بعينه (وحكى) ابن وكيع انه كان يهوى غلاما نصرانيا يتنيس فلامه بعض اصحابه عليه ولم يكن رآه فاتفق ان الغلام مر بهما فلما رآه صاحب ابن وكيع استحسنه وقال لو عشقت هذا ما لمتك ولم يعلم انه محبوبه الذي لامه عليه فقال ابن وكيع في الحال

أبصره عاذلي عليه * ولم يكن قبلها رآه
فقال لي لو عشقت هذا * ما لامك الناس في هواه
قل لي الى من عدلت عنه * فليس أهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدري * يأمر بالحب من نهاه

(وقال شيخ الشيوخ بحماة)

زعموا انى هويت سواكم * كذبوا ما عرفت الا هواكم
قد علمتم بصدق مرسل دمعي * فسلوه ان كان قلبي سلاكم
قال لي عذلي متى تبصر الرشد وتسلو فقلت يوم عماكم

(وقال أيضا)

ان قوما يلحون في حب سعدى * لا يكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها فلاموا عليها * أخذوا طيبا واعطوا خبيثا

(وقال أيضا)

من منصفي من عاذل جاهل * يحون باللوم ان لا يحون
ان قلت ما نصحك الا أذى * قال وما عشقك الا جنون

(وقال محمد بن شرف القيرواني)

قل للعذول لو اطلعت على الذي * عاينته لعناك ما يعنيني
أتصدني أم للغرام تردني * وتلومني في الحب أم تغريني
دعني فلست معاقبا بجنايتي * اذ ليس دينك في المحبة ديني (وما احسن قول الآخر) يقول لي العاذل في

زموا المطايا واستقلوا ضحى * ولم يبالوا قلب من تيموا
ماضرهم والله يرعاهم * لو ودعوا بالطرف أو سلموا
مازلت اذرى الدمع فى أثرهم * حتى جرى من بعد دمعى دم
ما انصفونى يوم بانوا ضحى * ولم يفوا عهدى ولم يرحموا

(ومنهم الفورك وهو من المشاهير فى عقلاء المجانين) قال الابلى رأيته والصبيان يرمونه بالحجارة فلما رآنى قال اماترى مايصنع هؤلاء بى مع ما أنا فيه من العشق والجنون فقلت له است مجنونا قال بلى والله وبى عشق شديد قلت فما انشدت فيه شيأ قال بلى وأنشد

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو * فهذا له حد وهذا له حد
هما استوطنا جسمى وقلبى كليهما * فلم يبق لى قلب صحيح ولا جلد
وقد سكنا تحت الحشا وتحالفا * على مهجتى أن لا يفارقها الجهد
فاى طبيب يستطيع بحيلة * يعالج من داءين مامنهما بد

وقال يوما وقد لقيته وفى عنقه حبل يقودونه ياأبا بكر ماذا يعذب الله عباده قلت بجهنم فقال صفها فقلت له ومن الذى يقدر أن يصف عذاب الله فقال انا والله فى عذاب اعظم منه وكشف عن جسم نحيل وعظام بالية وانشد

انظر الى ماصير الحب * لم يبق لى جسم ولا قلب
أنحل جسمى حب من لم يزل * من شأنه الهجران والعتب
ما كان اغنانى عن حب من * من دونها الاستار والحجب

وقال له ابن الزيات متى حدث بك العشق قال من زمان طويل ولكن كنت اكتمه حتى غلب فقال انشدنى ماقلت فيه فانشد

كتمت جنونى وهو فى القلب كامن * فلما استوى والحب اعلنه الحب
وخلى والجسم الصحيح بذيبه * فلما أذاب الجسم ذل له القلب
فجسمى نحيل للجنون وللهوى * فهذا له نهب وهذا له نهب

(ومنهم خالد بن يزيد) يكنى اباالقاسم ويعرف بالكاتب خراسانى الاصل بغدادى المنشأ احد كتاب الجيش فى الدولة العباسية ومن المشهورين باللطف والرقة وحسن الشعر ثم اعتراه الجنون قيل من السوداء نقله فى النزهة وقال انها كانت تعتريه زمن الباذنجان فاذا جاء الشتاء حسن حاله وحكى فى امتزاج الارواح ورياض اللطائف انه خرج الى بعض الاعمال باذربيجان فشهد مجلسا وفيه قينة فاعجب بها وطلب أن يستصحبها فامتنعت فداخله حبها حتى خامر عقله فكان يصحو احيانا ويغمو احيانا فترك العمل مدة ثم استعمله محمد بن عبد الملك فى كتابة بعض الاعمال فمر بماجنة تغنى

من كان ذا شجن بالشام يطلبه * ففى سوى الشام امسى الاهل والشجن

فسقط مغشيا عليه حين سمع ذلك وتذكر حال الماجنة وأنها اخبرته انها تطلب الشام ثم افاق ورجع ودمى العمل وكان يركب قصبة ويطوف ببغداد وأهلها يطلبونه خصوصا ارباب الدواوين ليسمعوا شعره قيل قال له ابن الجهم يوما هب لى قولك

* ليت ماأصبح من رقة خديك بقلبك * فقال من الذى يهب ولده ورآه يوما والصبيان يضربونه فادخله بيته ثم قال له بعدما اخذ الراحة ماذا تريد فقال هريسة ورطبا فاحضرهما

لقد راعنى بدر الدجى بصدوده
ووكل أجفانى برعى كواكبه
فياعاذلى دعنى وماه يعودلى
ويامهجتى صبرا على ما كواك به
(وقال عرقلة)
قال العواذل ما الذى استحسنته
منه وما يسبيك قلت جميعه
(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله)
ياخيبة العاذل الذى قد
أطال فى العذل واستطالا
عذبنى ثم قال تسلوا
عن حب ماما فقلت لالا
(وقال أيضا)
أيها العاذل الغبى تأمل
من غدا فى صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين
ان فى الليل والنهار عجائب
(وقال) القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر
كم على عاذلى وكم لحبيبى
ذاك تكبيرة وذا تهليله
ياثقاتى واين منى ثقاتى
أين من يبتغى الى الوسيله
أنا ميت فقبلونى اليه
فحياتى وحقه تقبيله
(وقال النور الاسعردى)
أقول لعاذلى لما نهانى
وقد وجد المقالة اذ جفانى
علمت بانه مر التجنى
وقالت انه حلو اللسان
(وقال أبو الفتح قادوس فى الاكتفاء)
من عاذرى فى عاذل * يلوم فى حب رشا
اذا طلبت وصله * قال كفى بالدمع شا
(ومثله قول شيخ الشيوخ بحماة)
أغضب العشاق منه اننى
لم أبع فى حبه رشدى بغى
(وقال أيضا)

 قلت قد اضنيت جسمى قال قد * قلت كى تذهب بروحى قلت كى

واموا فطامي عن هوى * غذيته طفلا وكهلا
فوضعت في جيبي يدي * وقلت خلوني والا

فلما أكل قال له اسمعني شيأ من شعرك فانشد

تناسيت ما اودعت سمعك باسمعي * كأنك بعد الضر خال من النفع
فان كنت مجبولا على الصد والجفا * فمن اين لي صبر فاجعله طبعي
هل الحب تجنيه على التفاتة * فافرح بعد اليأس مني ومن نفعي
علام الجفا يا من كلفت بحبه * اتلفني بالهجر منك وبالقطع
لئن كان اضحى فوق خديك روضة * فان على خدي غديرا من الدمع

فقال له احسنت والله وجدلك وجدا عظيما ثم قال له اسمعني شيأ غير هذا قال حسبك ان ينالك بريستك وطيبك اكثر مما سمعت وخرج من عنده (وله ايضا)

يا تارك الجسم بلا قلب * ان كنت اهواك فما ذنبي
يا مفردا بالحسن افردتني * منك بطول الهجر والحب
ان تك عيني ابصرت فتنة * فهل على قلبي من عتب
حسيبك الله لما بي كما * انك في فعلك بي حسبي

(ودخل) على ابن عبادة فرفع مجلسه فقال ابن الاعرابي من هذا فقال اوما تعرفه قال لا قال هو خالد الكاتب فقال له ابن الاعرابي اسمعنا من شعرك فانشد

لو كان من بشر لم يفتتن البشرا * ولم يفق في الضياء الشمس والقمرا
نور تجسم منه حلا ومنعقدا * سلك تضمن في تنظيمه دررا

(فقال) له ابن الاعرابي كفرت هذه صفة الخالق لا المخلوق انشدنا غير هذا فقال

اراك لما جحت في غضبك * تترك رد السلام في كتبك

حتى اتى على قوله اقول للسقم عد الى بدني * حبا لشئ يكون من سببك
فقال له انك لفوق ما وصفت به ووقف عليه ابراهيم بن المهدي عشية وقد تلفع برداء أسود فقال له انت القائل قد بكى العاذل لي من رحمة * فبكائي لبكاء العاذل
قال نعم قال يا غلام ادفع له ما معك فقال خالد وما ذاك قال ثلثمائة دينار قال لا اقبلها او تعرفني من انت قال انا ابن المهدي فاخذها وانصرف ابراهيم فلما بويع له بالخلافة طلبه فقال له انشدني من شعرك فانشد

عش فحبيك سريعا قاتلي * والضنى ان لم تصلني واصلي
قد طغى الشوق بقلب دنف * فيك والسقم بجسم ناحل
فهما بين اكتئاب وضنى * تركاني كالقضيب المائل

(وحكي) عن حمزة الشاعر نحو ما سبق عن ابن الجهم من رؤيته مع الصبيان وادخاله واطعامه لكنه قال فاطعمته رطبا فقط واستنشدته فانشد

قد حاز قلبي فصار يملكه * فكيف اسلو وكيف اتركه
رطيب جسم كالماء تحسبه * يخطر في القلب منك مسلكه
يكاد يجري من القميص من النعمة لولا القميص يمسكه

* (فصل في ذكر من جرع كأس الضنى وصبر على مكابدة العنا واتصف بذلك كله من النساء وثبت بعد فراق محبوبه على النوى او كان منها داعية الاعتدا) * وحكى صاحب النزهة قال نشأ ببني حران شاب ببعض التجار يدعى اصفا وكان كامل الحسن والظرف واللطافة والعفة

(ومثله قول الوداعي)

يا لائمي في هواها أفرطت في اللوم جهلا
ما يعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

(وما أحسن) قول ابن سناء الملك في هذا المعنى

أهوى الغزالة والغزال وربما
نهنهت نفسي عفة وتدينا
ولقد كففت عنان عيني جاهدا
حتى اذا أعييت أطلقت العنا

(وقوله أيضا)

دنوت وقد أبدى الكرى منه ما أبدى
فقبلته في الخد تسعين أو احدى

(وقوله أيضا)

وظبي حكى ريم الفلا في نفاره
فما باله لم يحكه في التلفت
يدافعني عن وصله بتهجم
فياليته لو كان يدفع بالتي

(وقال شيخ الشيوخ بحماة)

اليكم هجرتي وقصدي
وفيكم الموت والحياة
أمنت أن توحشوا فؤادي
فآنسوا مقلتي ولاتوا

(وقال ابن المعتز)

زاحم كمي كمه فالتويا
واتقى قلبي قلبه فاستويا
وطالما ذاقا الهوى فاكتويا
يا قرة العين ويا همي ويا

(وقال ابن مطروح)

والله لا خطر السلو بمهجتي
ما دمت في قيد الحياة ولا اذا

(رجع الكلام في العذل)

(وقال الآخر دوبيت)

لما نظر العذال وجدي بهتوا
في الحال وقالوا لوم هذا عنت
ما تحسب الا انه عذله
يسمع من يعقل من يلتفت

(وقال الآخر) قالوا اسله واطرح هواه * فقد بدا كذبه وافكه

وكان له ابنة عم تسمى لطيفة وكانت على ارفع ما يكون من مراتب الجمال ومحاسن الاخلاق والخصال فتوفي ابوها وتركها صغيرة فكفلها عمها حتى بلغت فكانت تنظر الى ابن عمها فيعجبها الى ان تمكن حبه منها فمرضت وهي تكتم امرها وكانت امرأة عمها فطنة مجربة للامور فامتحنتها فوجدتها تغيب عن حسها احيانا فاذا دخل الغلام صحت والتمست ما تاكل فاخبرت اباه فقال بالمانعة ثم زوجه منها فاوقع الله حبها في قلبه فاقاما على احسن حال مدة وهو يأمرها ان تكون دائما متزينة متطيبة ويقول لها الا احب ان اراك الا كذا فلم يزالا على ذلك فضعف الشاب فمات فوجدت عليه وجدا وطار عقلها فكانت تتزين بانواع زينتها كما كانت وتمضي فتمكث على قبره باكية الى الغروب قال الاصمعي مررت انا وصاحب لي بالجبانة فرأيتها على تلك الحالة فقلنا لها اعلام ذا الحزن الطويل فانشأت

فان تسألاني فيم حزني فانني * رهينة هذا القبر يا فتيان
واني لاستحييه والترب بيننا * كما كنت استحييه حين يراني

فعجبنا منها ثم انحرفنا فجلسنا بحيث لا ترانا ننظر ما تصنع فانشأت

يا صاحب القبر يا من كان يؤنسني * وكان يكثر في الدنيا موالاتي
قد زرت قبرك في حلي وفي حلل * كأنني لست من اهل المصيبات
لزمت ما كنت تهوى ان تراه وما * قد كنت تألفه من كل هيآتي
فمن رآني رأى عبرى مولهة * مشهورة الزي تبكي بين اموات

ثم انصرفت فتبعناها حتى عرفنا مكانها فلما جئنا الى الرشيد قال حدثني باعجب ما رايت فاخبرته بامر الجارية فكتب الى عامله على البصرة ان يمهرها عشرة آلاف درهم ففعل ووجه بها اليه وقد انهكها السقم فتوفيت بالمدائن قال الاصمعي فلم يذكرها الرشيد مرة الا ذرفت عيناه (وحكي) بعض اهل المدينة قال دعاني صاحب لي لاسماع جارية تغني فدخلنا عليها فاذا هي مخضرة الوجه متغيرة تكثر من السهو والاطراق كانها مشغولة فعزمت عليها ان تخبرني بما بها فقالت برح الذكر ودوام الفكر وخلوة النهار وتشوقي الى من سار والذي ترى مما وصفت لك فان كنت ذا ادب صرفت العتب عن ذي الكرب واجتهدت في الطلب لدوائه من اشرف على العطب واخذت العود فغنت تقول

سيوردني التذكار خوض المهالك * فلست لتذكار الحبيب بتارك
الى الله الا ان اموت صبابة * ولست بما يقضي الاله بمالك
كأن بقاي حين شط به النوى * وخلفني فرداً صدور التبارك
تقطعت الاخبار بيني وبينه * لبعد النوى واستد سبل المسالك

فوالله لقد خفت ان تسلب عقلي بغنائها فقلت جعلني الله فداك وهذا الذي صيرك الى ما ارى يستحق ذلك مع ان الناس كثير فلو تسليت بغيره فلعل ما بك يسكن او يخف فقد قال الاول

صبرت على اللذات لما تولت * والزمت نفسي صبرها فاستمرت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان أطمعت تاقت والا تولت

فقالت قد رمت ذلك فكنت كما قال قيس ولما ابى الا جماحا البيتين فاسكتني حسنها عن المحاورة وما رأيت كمنطقها وحسنها وأدبها (وحكي) الزبير بن بكار قال دخلت على الامير ابن طاهر حين قدم من الحجاز فتبسم في وجهي ثم قال

وعذول رابني في نصحه
كلما زدت ابا زاد لجاجا
ما عذولي قط الا عاشق
ستر الغيرة بالعذل وداجى
(وقال آخر)
لو رأى وجه حبيبي عاذلي
لتفارقنا على وجه جميل
(أنشدني الشيخ برهان الدين بن القيراطي)
ذهب العمر بلوم
وصدود من غزال
في سبيل الحب عمر
ضاع في قيل وقال
(وقال الشيخ ابراهيم بن المعمار)
لو رأى حسن وجهه * عاذلي في التبسم
ذهبت روحه كما * قيل في دور درهم
(وقال ايضا)
لح العذول ولامني * فيمن أحب وعنفا
فهممت ألطم رأسه * مما ملئت تأسفا
لكنما زلقت يدي
ووقعت على اصل القفا
(وما أظرف قول النور الاسعردي)
وقالوا دع المعشوق واهجره دائما
ألم تره بعد الملاحة ينتف
اينتف من أجلي ويتعب دائما
وأهجره تالله ما أنا منصف
(وقال آخر)
قل للعذول أطلت اللوم في قمر
يزيد في كل يوم حسنه نورا
ان كنت تزعم ما في حسنه عجب
قم فانظر الورد في خديه منثورا
(وقال محيي الدين البغدادي)
ان لامني من لا رآه فقد
جار على الغائب بالحكم
وان لحاني من رآه فقد
أضله الله على علم

(وقال البهاء زهير) انت الحبيب الاول * ولك الهوى المستقبل
عندي لك الود الذي * هو ما عهدت واكمل

اثن باعدت بيننا الانساب * فقد قربت بيننا الآداب

وان أمير المؤمنين اختارك لتأديب ولده فامر لك بعشرة آلاف درهم وعشر تخوت وبغال تحمل عليها متاعك فشكرت فضله فلما عزمت على الانصراف قال زودنا أيها الشيخ حديثا نذكرك به فقلت احدثك بما رأيت أو بما سمعت قال بما رأيت قلت بينا أنا بين المسجدين أوقال على اثاوة الاعرج اذا أنا برجل صاد ظبيا وهم ليذبحه فنشب الظبي بقرنيه فدخلا في جوفه فسقط وسقط الظبي ميتين أوقال رأيت حبالة منصوبة وظبيا مذبوحا ورجلا ميتا فجاءت امرأة حاسرة وهي تقول

يا حسن يا بطل لكنه أجل * على الاساءة ما أودى بك البطل

يا حسن قلقل أحشائي وأزعجها * وذاك يا حسن عندي كله جلل

أمست فتاة بني نهد علانية * وبعلها في أكف القوم يبتذل

قد كنت راغبة فيه أضن به * فحال من دون ضن الرغبة الاجل

ثم شهقت فماتت فلم أر أعجب من الثلاثة وفي رواية وبعلها فوق ايدي القوم يحتمل فوهب له عشرة آلاف درهم ثم قال أتدرون ما استفدنا من الشيخ قالوا لا قال قوله علانية يعني ظاهرة وهذا حرف لم أسمعه من العرب (وحكي) ان امرأة أحبت رجلا وكان ممتنعا عنها زمانا فراسلته أن يتزوج بها ففعل وكانت بينهما الفة شديدة فمكثا على ذلك مدة فمرض فمات فجعلت المرأة تتردد الى قبره ولزمته يوما تبكي وتنشد

كفى حزنا اني أروح بحسرة * وأغدو على قبر ومن فيه لا يدري

فيا نفس شقي جيب صبرك عنده * ولا تبخلي بالله يا نفس بالعمر

فما كان يأبى ان يجود بنفسه * لينقذني لو كنت صاحبة القبر

ثم زادت في النحيب وانكبت على القبر فاذا هي ميتة (وحكي) الربيع قال مررت بجارية على قبر تقول بنفسي فتى أوفى البرية كلها * وأقواهم في الموت صبرا على الحب

قال فقلت لها بم صار كذلك قالت كان اذا عنف في حبي بصبر واذا ألحي عليه يسكت واذا زاد به الغرام ينشد هذين البيتين

يقولون ان جاهرت قد عضك الهوى * وان لم أبح بالحب قالوا تصبرا

فما للذي يهوى ويكتم حبه * من الامر الا ان يموت فيقبرا

ولم يزل يكررهما حتى مات فها أنا مقيمة على حفظ عهده لا ابرح حتى يتصل القبران ثم صرخت وسقطت فاجتمع النساء فحركنها فاذا هي ميتة فدفنت الى جانبه (وحكي) رجل من تميم قال ضلت لي ابل فخرجت في طلبها فاذا انا بجارية كانها القمر تعشي بصر من ينظر اليها فلما رأتني قالت مالك قلت ضلت لي ابل فلم اعرف خبرها فقالت هل ادلك على من عنده علمهن قلت بلى قالت ان الذي اعطاكهن هو الذي اخذهن وهو احق بردهن فسله من طريق التيقن لا من طريق الاختبار فاعجبني كلامها ووقفت انظر اليها ثم راودتها عن نفسها فقالت هبك ليس لك مانع من ادب أما لك زاجر من الحياء فقلت ان يرانا الا الكواكب فقالت أين مكوكبها فقلت الك بعل قالت قد كان ولكن دعي الى ما خلق له فصار الى ما خلق منه ثم انشأت

اني وان عرضت أشياء تضحكني * لموجع القلب مطوي على الحزن

اذا دجا الليل احياني تذكره * وزادني الصبح اشجانا على شجني

القلب فيك مقيد * والدمع فيك مسلسل

يامن يهدد بالصدود * نعم تقول وتفعل

قد ضج عذرك في الهوى

لكنني أتعلل

قل للعذول لقد أطلـ

ـت الان تقول وتعذل

عاتبت من لا يرعوي

وعذلت من لا يقبل

غضب العذول اخف من

غضب الحبيب واسهل

(وقال أبو العتاهية) لقيت أبا نواس في المسجد الجامع فعذلته وقلت له أما آن لك أن ترعوي وتزدجر فرفع رأسه الي وقال

أتراني يا عتاهي * تاركا تلك الملاهي

أتراني مفسدا بالـ

ـنسك عند القوم جاهي

فلما ألححت عليه في العذل أنشأ يقول

لا ترجع الانفس عن غيها

ما لم يكن منها لها زاجر

فوددت اني قلت هذا البيت بكل شئ قلته وقال جوبان القواس

أصغي الى قول العذول بجملتي

مستفهما عنه بغير ملال

لتلقطي زهرات ورد حديثكم

من بين شوك ملامة العذال

قلت هذا هو العاشق واهب الوامق الاتراه كيف صغى الى عذوله الفاعل الصانع وجنى من عذله جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع فهو في هذا المقام من الاثبات كما قال ابو الشيص من أبيات

أجد الملامة في هواك لذيذة

حبا لذكرك فليلمني اللوم

(وقال ابن رشيق) وقد زاد على أبي الشيص في قوله هذا ابن جابر الخزاعي حيث يقول

هددت بالسلطان فيك وانما

أخشى صدودك لا من السلطان * اهوى الملامة فيك حتى لودري * اتخذ الرشامي الذي يلحاني

وكيف ترقد عين صار مؤنسها * بين التراب وبين القبر والكفن
ابلى الثرى وتراب الارض جدته * كأن صورته الحسناء لم تكن
ابكي عليه حنينا حين اذكره * حنين والهة حنت الى وطن
ابكي على من حنت ظهري مصيبته * وطير النوم عن عيني وارقني
والله لا انس حتى الدهر ما سجعت * حمامة او بكى طير على فنن

فقلت لها عندما رأيت من جمالها وفصاحتها هل لك في زوج لا تذم خلائقه وتؤمن بوائقه فاطرقت مليا ثم انشدت تقول

كنا كغصنين في اصل غذاؤهما * ماء الجداول في روضات جنات
فاجتث خيرهما من جنب صاحبه * دهر يكر بفرحات وترحات
وكان عاهدني ان خانني زمني * ان لا يضاجع انثى بعد مثواتي
وكنت عاهدته ايضا فعاجله * ريب المنون قريبا من سنيات
فاصرف عنانك عمن ليس يردعه * عن الوفاء خلاف في التحيات

(وحكى) ابراهيم الموصلي قال كان كثيرا ما يصف لي زلزل جارية عنده فلما مات مولاها وسمعت عرضها للبيع ركبت حتى دخلت عليها فاذا هي جارية كاد الغزال ان يكونها لولا ما تم منها ونقص منه فسألتها ان تغني فأخذت العود وغنت

اقفر من اوتاره العود * فالعود للاقفار معمود
واوحش المزمار من صوته * فما له بعدك تغريد
من للمزامير ولذاتها * وعازف اللذات مفقود
فالخمر تبكي في اباريقها * والقينة الخمصانة الرود

فركبت الى امير المؤمنين فاعلمته بها فاستحضرها فلما اوقعت من قلبه قال لها هل لك ان اشتريك فقالت اما اذا اشتريتني فلا خير لك في فرجها واعتقها واجرى عليها مؤنة (ومن وفاء النساء) ان كسرى ابرويز ترك جارية كانت حظية فطلب ولده اخذها فعالجت ناوس كسرى ففتحته ودخلت فمصت خاتما مسموما كان في اصبعه فماتت

*(القسم الثالث فيمن خالسته عيون الاماء فاسلمته الى العناء
وكادت ان تقضي عليه لولا المداركة بالوفاء)*

ومما ينبغي ايراده هنا مصدرا الحكاية المشهورة عن حبابة وهي جارية في الاصل للاحوص وقيل لرجل مدني وانها كانت تسمى العالية وانه دخل بها على يزيد بن عبد الملك في خلافة اخيه وعليها ازار له ذنبان وبيدها دف فغنته

ما احسن الجيد عن مليكة واللبات اذ زانها ترائبها
ياليتني ليلة اذا هجع الناس ونام النيام صاحبها
في ليلة لا يرى بها احد * يسعى علينا الا كواكبها

فاشتراها باربعة آلاف دينار فبلغ اخاه فعزم على ان يحجر عليه فردها فاشتراها رجل من افريقية وقد تولعت بها نفس يزيد وكان قد تزوج سعدى بنت عبد الله بن عثمان وزنجية بنت عبد الله بن جعفر وامهر كلا منهما عشرين الف دينار وقفاف من سليمان الحجر فلم يزل كاتما وجده الى ان افضت اليه الخلافة فارسلت سعدى مولى لها في طلب حبابة فبلغه

قلت والذي اقوله انا في المقام ان صاحب هذا الكلام غريم الغرام ونديم كؤوس المدام الا تراه كيف بالغ حتى جعل للعذول جماله فاصبحت حالته كما قيل ضغث على اباله فهو كما قال بعض السادات من اهل الولايات لو تعلم العوام ما في قلوبنا من حلاوة العفو لتقربوا الينا بالجنايات ومثل قوله هددت بالسلطان قول الآخر

وان نذرت فيك العشية قتلتي
فالموت عندي في هواك سلام
ومن اعجب الاشياء خوفي في الهوى
وفي كل يوم في جمالك حمام

(وقلت انا)

وعاذل بالغ في عذله
وقال لما هاج بلبالي
بعارض المحبوب ما تنتهي
قلت ولا بالشيب والوالي

(وقلت ايضا)

عذلوا على من رام قتلي في الهوى
فكلامهم ضرب من الهذيان
جهلوا وما علموا بان الطعن في ا
محبوب غير الطعن في الميدان

(وقلت ايضا)

كم خالف العذال قولي في الذي
في كل يوم حسنه يزداد
ان قلت امسى في الملاحة مفردا
قالوا انثنى عطفه المياد

(وقلت ايضا)

ياعاذلي لا تلحني * في حب هذا القبطي
واقطع بوصل بيننا * بالله راس القط

(وقلت ايضا)

مليح الترك لا سيما الخطابي
عليه الشيخ يعذر للتصابي
فدعني من ملامك يا عذولي
فني للخطا عين الصواب

(وقلت فيمن اسمها حكم الهوى) حكم الهوى صدت فبت لاجل ذا * ولهان من فرط الصبابة والجوى

انهـا فى المدينـة فمضى اليها فقيل بمصر فمضى اليها فقيـل بافريقية فمضى حتى اجتمع بمولاها فاشتراها منه بمائة الف درهم بعد امتناعه من بيعها لولا انى أخبرته بأن الخليفة سيأخذها منه قهرا ولما ارتحل بها مولى سعدى أنشد الافريقى وقد تبعتها نفسه

أبلغ حبابة أسـقى ربعها المطر * ما للفؤاد سوى ذكراكم وطر

ان سار صحبى لم أملك تذكركم * أو عرسوا تستهيم النفس والفكر

ولما مر بها على مكة شيعها الناس وقيـل من المدينـة وكانوا ماتى رجل الى ذى خشب وسألوها ان تزودهم صوتا فانشـدت

سلكوا بطن محيض * ثم ولوا راجعينا   أورثونى حين ولوا * طول حزن وانينا

ثم كتبت أسماءهم حتى عرضتهم على يزيد فوهب كلا ألف درهم ولما وصـل بها لى سعدى ألبستها الحلل ووهبتها جواهر وطيبا كثيرا ثم قالت للخليفة قد وهبك الله الملك فهل بقى عليك شئ وهى تعلم ما فى نفسـه فقال لا فقالت بل انا أعلم فاخبرنى عسى ان أوصلك اليه فقال العالية يعنى حبابة فقالت أو تعرفها اذا رأيتها قال نعم فأخـذت بيده حتى أدخلتـه عليها فسر وعظمت منزلة سعدى عنده وكانت عاهدت حبابة ان لا تدع لها حاجة عند الخليفة الا قضتها وان يجعل الخلافة لولدها ففعلت وكانت ربيحة قد اشترت سـلامة وهى أيضا جارية كانت لمدنى وكان قد رآها يزيد فوقعت من نفسـه موقعا عظيـما فلما اجتمعتا عنـده قال انا الآن كما قيل   فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

وأول ما عظمت به عنـده ان دخل يوما فسمعها تغنى من وراء السـتر ولا علم لها به

كان لى يا يزيد حبك حينا * كاد يقضى على حين التقينا

فكشف السـتر فوجدها مستقبلة الجدار فعلم انها لم تشعر به فالقى نفسـه عليها وارتفعت منزلتها عنده وكان أصـل الشعر كان لى يا سفين فغيرته وكانت حبابة أجل نساء زمانها قد حوت اللطافة والمعرفة بالادب والآلات والغناء وأخـذته عن اهله مثل معبد وجميلة وام عوف وغيرهم وكان يزيد قبل خلافته يختلف الى ام عوف ويقترح عليها ان تغنى

متى أجر خائفا تسرح مطيتـه * وان أخف آمنا تنبو به الدار

سيروا الى وأرخوا من أعنتكم * انى لكل امرئ من وتره جار

فسأل حبابة ان تغنيـه ولم يمكنها الطعن على ام عوف فبكتت يزيد بحبـها بان غنت أثر الصوت   أبى القلب الا ام عوف وحبها * عجوزا ومن يحبب عجوزا يفندا

فضحك وقال لمن هذا فقالت لمالك فكان كثيرا ما يسألها ان تغنيه وغنت يوما

لعمرك اننى لاحب سلعا * لرؤيتها ومن بجنوب سلع

تقر بقربها عينى وانى * لاخشى ان تكون تريد فجعى

حلفت برب مكة والهدايا * وأيدى السابحات غداة جمع

لانت على التنائى فاعلمنه * أحب الى من بصرى وسمعى

ولما أنشدته البيت الاول تنفست الصعداء فقال يزيد مالك وله والله لو أردته حجرا حجرا لجئت به اليك فقالت ما اصنع به انما أريد صاحبه اوساكنه واقترح عليها وعلى سـلامة يوما ان يغنى كل منهما ما فى نفسه ومن أصابت فلها ما تطلب فغنت سـلامة فلم تصب وغنت حبابة   خلف من بنى كنانة حولى * بفلسطين يسرعون الركوبا

ياعاذلى لاتلحنى فى حبها * نفذ القضاء وهكذا حكم الهوى (وقلت) اقول لظبى قلبه يشتكى الاسى

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل

نصحتك علما بالهوى والذى ارى

مخالفتى فاختر لنفسك ما يحلو

(وقلت من قصيدة)

وازنت ميلى للعذول وقده

فرأيت ميلى للقوام رجيحا

ياعاذلى لا اصلحتك يد النوى

حتى توسد فى التراب صفيحا

ولقد نصحت بنى الصبابة فى الهوى

لكنهم لا يقبلون نصيحا

(وقلت من قصيدة مدحت بها مولانا السلطان الملك الناصر)

فيامن جاء يعذل مستهاما

على حلو الشمائل ما عرفك

(وقلت ايضا من قصيدة امدحه بها خلد الله ملكه مطالعها)

لك من حبيبك ما تحب وتشتهى

فاجعل مدامك من مقبله الشهى

واذا بدا لك ثغره متبسما

فاضحك على ذقن العذول وقهقه

(وقلت ايضا من قصيدة ارسلتها الى مولانا قاضى القضاة تاج الدين السبكى بدمشق الشام)

ياساكنى السفح لى فى حيكم سكن

وانتم فى سويدا القلب سكان

دمعى يزيد كما ناس لبعدكم

والعاذلون على نوراء نيران

(ومنها)

قد كان ما كان من هجرانه زمنا

وقد وفى الآن فالعذال لا كانوا

انا الذى لا ابالى فى الغرام بما

يروى فلان ولا ما قال فلتان

(ومنها)

برهنت حسن الذى اهوى وقلت له

ما للعذول على ما قال برهان

ما لامنى مذ رآنى فى الهوى رجبا

يزح شعبان فيما دمت شعبان * (تنبيه) * كانت أسماء الشهور عند العرب غير هذه الاسماء

فاصابت

فاصابت به مافي نفسه فقال احتكمي فقالت تهب لي سلامة ومالها فاني وقال اطلبي غيرها فابت الاهي فقال انت أولى بها وبمالها فغمت سلامة لانها كانت ارفع منها زمن التعليم عند معبد حتى كان يأمرها ان تدرب حبابة فذكرتها ذلك فقالت لا ترين الاخيرا ثم طلب يزيد شراءها فاعتقها او زوجتها منه واختلفتا يوما في صوت لحنه معبد من شعر لجرير وهو قوله

ألا حي الديار بسعداني * أحب لحب فاطمة الديارا

أراد الظاعنون ليحزنوني * فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

فاستحضره يزيد ليقضي بينهما وقد أخبرانه الى حبابة أميل فقضى لها فقالت سلامة انما قضيت للمنزلة ولكن ائذن لي يا أمير المؤمنين في صلته لماله علي من الحق فاذن لها فمضى معبد فوجد سلامة قد سبقت حبابة بالصلة ولم تزل تفتقده حتى رجع وهذان البيتان غنتهما قينة للفرزدق عند الاحوص فقال الفرزدق ما ارق اشعاركم يا اهل الحجاز فقال الاحوص انما هو لجرير يهجوك به فقال ويل ابن المراغة ما كان أحوجه مع عفافه الى صلابة شعري وأحوجني مع شهوتي الى رقة شعره وقيل ان معبدا حين حضر عند الخليفة غنى قول كثير

ألم يأن لي يا قلب ان أترك الهوى * وان يحدث الشيب الملم لي العقلا

على حين صار الرأس مني كأنما * علت فوقه ندافة العطب أغزلا

فيا لاعزان واش وشى بي عندكم * فلا تكرميه ان تقولي له أهلا

كما لو وشى واش بودك عندنا * لقلنا تزحزح لا قريبا ولا سهلا

فاهلا وسهلا بالذي شد وصلنا * ولا مرحبا بالقائل اصرم لنا حبلا

فطرب يزيد حتى جعل الوسادة على رأسه ودار في الدار وهو يقول السمك الطري أربعة ارطال عند بيطار حيان فلما رجع الى مجلسه ذكر اختلافهما السابق لمعبد فقضى لحبابة كما سبق فقالت له سلامة يا ابن الفاعلة تعلم ان الحق معي ولكن قضيت للمنزلة فضحك يزيد وأحسن صلته وكان البيذق من المهرة في الغناء وكان يختلف الى حبابة فلما طال عند يزيد قصدها ليستعطيها وسمعت به فادخلته وقد جلست مع الخليفة فقالت له ان هذا أبي وشكرت من صوته واشارت اليه ان اقرأ فقرأ حتى بكى يزيد ثم اومأت ان غن فغنى شعر سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بتلحين ابن شريح

من لقلب مصفد * هائم القلب مكمد * انت زودته جوى

بئس زاد المزود * ثاويا تحت تربه * وهي رمس بفدفد

غير اني أعلل النفس باليوم أو غد

فطرب يزيد فضرب بمدهن من ذهب مفصص بالياقوت فاشارت اليه ان خذه فجعله في كمه فقال يزيد لحبابة انظري الى ابيك كيف اخذ مدهننا فقالت ما احوجه اليه ثم خرج فامر له بثمانين دينارا وغنته يوما الشعر السابق او القصة بتلحين ابن شريح فطرب وقال هل رأيت اطرب مني فقالت نعم معاوية بن عبد الله بن جعفر فغضب واحضره فارسلت حبابة فاعلمته ان لا يطرب الا عندما تغني الصوت المذكور فلما غنته رقص وطرب وجعل يقول الدخن بالنوى فامر له يزيد بصلات اجتمعت ثمانية آلاف دينار وقال لها مرة اخرى من اطرب مني فقالت مولاي الذي باعني فاستحضره مقيدا فلما دخل عليه وقد ارسلت من عرفه القصة ايضا غنت فالقى نفسه على الشمعة حتى حرقت لحيته وهو يقول الحريق يا اولاد الزنا

المستعملة الآن لانهم كانوا يسمون رجب الاصم ويسمون شعبان العاذل وبهذا يظهر معنى قولي في البيت الاخير على أن الشعراء استعملوا هذا المعنى قديما وحديثا

(ومن أحسن ما سمعت فيه)

وشادن مبتسم عن حبب
مورد الخد مليح الشنب
يلومني العاذل في حبه
وما درى شعبان اني رجب

(وقلت أنا أيضا)

يسطو علي من الدلال كانه *
غازان اذ يسطو على جرمانه
ان ردني عنه قضيب قوامه
فانا القتيل بلحظه وبيانه
اني وحقك في هواه متيم
صباغ دار جبا على شعبانه

وقولهم سبق السيف العذل هو مثل من أمثال العرب يضرب في الامر الذي لا يقدر على رده وأصله ان سعدا وسعيدا ابني ضبة بن أدخر جا في طلب ابل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد فكان أبو ضبة اذا رأى رجلا مقبلا قال أسعد ام سعيد ثم انه في بعض مسيره أتى الى مكان ومعه الحرث بن كعب في الشهر الحرام فقال له الحرث قتلت ههنا فتى هيئته كذا وكذا واخذت منه هذا السيف فتناوله ضبة فعرفه فقال ان الحديث شجون ثم ضرب به فعذله فقال سبق السيف العذل فتداولت الشعراء ذلك ونظموه (ومن احسن ما سمعته فيه قول السراج الوراق)

قلت اذ جرد لحظا * حد به دنى الاجل
يا عذولي كف عني
سبق السيف العذل

وعلى ذكر العذل والملام ذكرت قول أبو نواس في المدام

دع عنك لومي فان اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء

قال المفضل الضبي دخلت على الرشيد يوما فقال دلني على بيت أوله لاكثم بن صيفي في اصابة الرأي وجودة الموعظة وآخره لبقراط في

فضحك الخليفة ووصله بألف دينار ثم لم يزل منعكفا على الاقامة معها والمحافظة على اللهو والطرب والشرب قيل انه جعل فسقية من الخمر في مجلسه وكان اذا طرب سقط فيها وغرق حلة قيمتها الف دينار وقيل ذكر اخوه سليمان بحضرة الرشيد فقال الاصمعي كان رجلاهما اذا قدم اليه السماط لا يصبر حتى يبرد بل يتناول اللحم بكمه واما اخوه يزيد فكان يسقط في الخمر بثيابه فقال الرشيد للاصمعي ما اعلمك بالناس والله ان ثيابهما عندي وان الدهن في اكمام سليمان واثر الخمر في ثياب يزيد ولما استمر على حاله وكان قد ولي الخلافة اثر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وقد اعتاد الناس العدل والاصلاح ثقل عليهم حاله وتعطلت الحاجات فضجوا فدخل عليه مسلمة أخوه فعنفه ولامه ووعظه وذكره عدل عمر وقيل انه قال من نفسه والله ما عمر بأحوج الى الله مني فهجر الجواري والشراب أياما وقال لمسلمة أرجو ان لا تعتبني بعد اليوم ثم جلس للناس فثقل ذلك على حبابة فارسلت الى الاحوص فعمل شعرا واستحضرت معبدا فلحنه ثم احتالت على اسماعه الخليفة قيل عارضته وهو خارج الى الصلاة وقيل رشت خادما مقربا منه فاوقفها بحيث يسمع وانشدته فطرب وقال مروا مسلمة او قال صاحب الشرط فليصل بالناس ولعن من يلومه في ذلك وعاد فاعتكف على ما كان عليه وقيل ان الذي أمره بالكف عن ذلك مولى خراساني كان ذا رتبة عنده وانه قال له سأحضرك معهن وأقول انك اعمى فان عنفتني رجعت وفعل فشعرن به وقن يضربنه فوقاه يزيد ثم قال له أدوم على ذلك ام لا فقال دم فاستمر والشعر الذي أنشده الاحوص هو هذا

ألا لا تلمه اليوم ان يتبلدا	فقد غلب المحزون ان يتجلدا
بكيت الصبا جهدي فمن شاء لامني	ومن شاء آسى في البكاء وأسعدا
واني وان فندت في طلب الصبا	لاعلم اني لست في الحب أوحدا
اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى	فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
فما العشق الا ما تلذ وتشتهي	وان لام فيه ذو الشنان وفندا
وعهدي بها صفراء رود كأنما	نضى عرق منها على اللون عسجدا
مهفهفة الاعلى وأسفل خلقها	جرى لحمه من دون ان يتخددا
من المدمجات اللحم جدلا كأنها	عنان صناع مدمج الفتل عضدا
كأن ذكي المسك منها وقد بدت	وريح الخزامى عرفه ينفح الندى
واني لأهواها واهوى لقاءها	كما يشتهي الصادي الشراب المبردا
فقلت الا يا ليت أسماء اصقبت	وهل قول ليت جامع ما تبددا
علاقة حب كان في زمن الصبا	فأبلي وما يزداد الا تجددا
نظرت رجاء بالموقرات فكم ارى	أكاريس يحتلون خاخا فمنشدا
فاوفيت في نشز من الارض يافع	وقد يسعف الايفاع من كان مقصدا
كريم قريش حين ينسب والذي	أقرت له بالملك كهلا وأمردا
وليس عطاء كان منه بمانع	وان جل عن اضعاف اضعافه غدا
اهان تلاد المال في الحمد انه	امام هدى يجري على ما تعودا
تردى بمجد من ابيه وجده	وقد اورثا بنيان مجد مشيدا

معرفة الدواء فقلت يا امير المؤمنين لقد هوات على فقال هو وقول أبي نواس دع عنك لومي البيت قال وبقي لهذا البيت حكاية لطيفة حكاها الحريري في درة الغواص عن حامد بن العباس انه سأله على بن عيسى في ديوان الوزارة عن دواء الخمار وقد علق به فاعرض عن كلامه فقال ما أنا وهذه المسألة فخجل حامد منه ثم التفت الى قاضي القضاة ابي عمر فسأله عن ذلك فتنحنح القاضي لاصلاح صوته ثم قال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على كل صنعة بصالحي أهلها والاعشى هو المشهور بهذه الصناعة في الجاهلية وقد قال

وكأس شربت على لذة
وأخرى تداويت منها بها

ثم تلاه أبو نواس فقال

دع عنك لومي فان اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء

فاسفر حينئذ وجه حامد وقال لعلي بن عيسى ما ضرك يا بارد ان تجيب ببعض ما أجاب به قاضي القضاة وقد استظهر في جواب المسئلة بقول الله تعالى أولا ثم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ثانيا وبين الفتيا وأدى المعنى وتبرأ من العهدة فكان خجل علي بن عيسى من حامد بهذا الكلام أكثر من خجل حامد منه لما ابتدأ بالمسئلة وقال الشيخ صدر الدين بن الوكيل

ان الذي جعل الهموم عقاربا
جعل المدام حقيقة درياقها
لم يصلب الراووق الا عندما
قطع الطريق على المدام وعاقها
ومعنفي في الخمر لو قد ذاقها
ما لامني لكنه ما ذاقها
قال اطرح صفراء يعلو نجرها
لهب القلوب اذا اشتكت احراقها

فاجبته ذقها وخذ من بعد ذا * في طرق لومك ان اردت فراقها وقد اصف شيخ الشيوخ بحماة حيث قال

ولو

ولو كان بذل المال والجود مخلدا * من الناس انسانا لكنت المخلدا
فاقسم لا انفك ماعشت شاكرا * لنعمالك ماطار الحمام وغردا

هكذا وجدت القصيدة وان بترها المصنف الان في بعض أبياتها تغييرا في نسخة بدل اذا لم تكن تعشق * اذا كنت عزهاة عن اللهو والصبا * يعني بالعزهاة بالمهملة فالزاي مجب اللهو والطرب وبدل قوله واني وان فندت واني وان أغرقت وبدل قوله لكنت المخلدا لكان ولما سمعه قال لحبابة من يقول هذا قالت الاحوص فاستحضره واحسن صلته وتراسلت فيه يوما هي وسلامة فغنيتا الى ان قالت حبابة كريم قريش فقال يزيد من يعني قالت انت فقالت سلامة اسمع باقيه واكملته فاجزل صلة الاحوص وكانت اذا غنته حبابة الشعر يطرب حتى يقول احسنت ياحبيبتي أتأمريني ان اطير فتقول له الى من تكل الامة فيقول اليك واشتد طربه بها يوما فقال لها قد استخلفتك واستعملت فلانا عنك فقالت قد عزلته فقال أوليه وتعزلينه وقام مغضبا فلم تكترث به وارتفع النهار فدعا خادما لها فقال له ماتصنع حبابة قال قد اتزرت بازار خلوقي وهي تلعب بلعبها فقال هل تقدر ان تمر بها علي ولك حكمك ففعل فلاعبها ساعة واستلب لعبة وفر فانطلقت في طلبه تخطر حتى مرت عليه فوثب واعتنقها وهو يقول وليته وهي تقول عزلته واصطلحا واقاما على ذلك الى ان قال يزيد يوما قد بلغني ان السرور لم يصف لشخص يوما كاملا واني مجرب ذلك ودعا بحبابة فاوصاهم ان لا يدخلوا عليه احدا واحتجب معها ببستان له بقرية من الغوطة تسمى بيت رأس على زعم المؤرخون ان يزيد بن معاوية وضع رأس الحسين بها حين قدموا به فلم يزل معها على عادتهما حتى انتصف النهار وانه ضاحكها ثم رشقها بعنبة او حبة رمان وقيل هي ابتلعتها فشرقت بها فماتت واشتد غم يزيد وحزنه واقام ثلاثا يرشفها ويضمها ولم يمكن أحدا من دفنها حتى تغيرت فلامه الناس وعذلوه فاذن في تجهيزها ثم لم يستطع النهوض الى الصلاة عليها فقيل حمل على رقاب الناس وقيل قال له مسلمة انا اكفيك مع انه لم يحضر ثم ضم اليه جوير ية كانت تخدم حبابة فانس بها فقال لها يوما ههنا كنا نجلس قالت نعم فانشد

كفى حزنا للهائم الصب ان يرى * منازل من يهوى معطلة قفرا

وخرج الى قبرها فبكى طويلا ثم تمثل بقول كثير

فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى * فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد
وكل خليل زارني فهو قائل * من اجلك هذا ميت اليوم أو غد

ثم مكث خمسة عشر يوما وعاوده القلق فامر بنبشها فقيل منعه اخوه وقال له يظن الناس انك اتيت في عقلك فخلاه وذلك فرجع وقيل استخرجها وجعل يقبلها فقيل له قد تغيرت فقال اراها احسن منها اليوم وانه مات حينئذ وقيل اقام اربعين يوما ثم مات ودفن الى جانبها قالوا ولم يعلم خليفة مات عشقا سواه واما سلامة فاقامت بعدهما حتى توفيت على ماقيل في عهد المنصور (وحكي) عن رجل انه قال دخل على غلامي ومعه كتاب ففتحته واذا فيه

تجنبك البلاء ونلت خيرا * ونجاك المليك من الغموم
فعندك لو منحت شفاء نفس * واضعاف من الكلوم

فعلمت انه عاشق وامرت باذخاله فلم يجده فعرضت الكتاب على جواري وقلت من عرفت منكن امر صاحب هذا فهي له ومائة دينار فحلفن انهن لم يعرفن ذلك وبقي الكتاب

أعشق وقولك مقبولا على ولي

(وقال الآخر)

لو تعلم الورق حنيني نحوكم
لمزقت من طرب اطواقها
ولو يذوق عاذلي صبابتي
صبا معي لكنه ماذاقها

(حكي) ان السلطان صلاح الدين قال يوما للقاضي الفاضل انسامدة لم نر فيها العماد الكاتب فامله ضعيف امض اليه وتفقد أحواله فلما دخل القاضي الى دار العماد الكاتب وجد أشياء انكرها في نفسه مثل آثار مجالس انس وطيب واثر بخور وآلات طرب فانشده

ما انا صحبتك خبايا الود من رجل
مالم ينلك بمكروه من العذل
محبتي فيك تأبى أن تسامحني
بان أراك على شيء من الزلل

(الباب الثالث عشر في ذكر الاشارة الى الوصل والزيارة)

أقول هذا باب عقدناه لذكر الزائر والمزور وماقيل فيهما من منظوم ومنثور وغير ذلك من عيادة الحبيب ومايستدل به عليه من روائح الطيب كما قيل

ولوان ركبا يمموك لقادهم
نسيمك حتى يستدل بك الركب

نعم طالما اهدى الحبيب بزيارته سرورا وأمسى له الفضل زائرا او مزورا كما قيل ان زارني فبفضله أو زرته

فلفضله فالفضل في الحالين له

فالزيارة من الحبيب لا تمل ولو الحق فيها الوابل بالطل ومن أحسن ماقيل في زيارة الحبيب وهو ودده من قريب قول العكوك

بأبي من زارني مكتتما

خائفا من كل شئ جزعا * زائرا نم عليه حسنه * كيف يخفى الليل بدرا طلعا * رصد الغفلة حتى أمكنه

والدراهم سنة في جانب البيت فبينا انا وما جالس اذ دخل على غلامي بكتاب مثل الاول وفيه ماذا أردت الى روح معلقة * عند التراقي وحادي الموت يحدوها
حبست حاديها ظلما فعاء بها * في السير حتى تخات في تراقيها
والله لو قيل لي تأتي بفاحشة * وان عقباك دنيانا وما فيها
لقلت لا والذي أخشى عقوبته * ولا باضعافها ما كنت آتيها
لولا الحياء لبحنا بالذي كتمت * بنت الفؤاد وابدينا امانيها
قطابته فلم اجده ايضا فغمني ايضا امره وقلت للخادم لا يأتينك احد بكتاب الا قبضت عليه حتى أراه وكان قد قرب الحاج فلما وقفت بعرفة اذا بشاب على ناقة الى جانبي وقد اخذ منه النحول والسقم الا ان عليه آثار الجمال والادب فسلم علي وقال هل تعرفني قلت زدني قال انا صاحب الكتابين قلت قد وهبت لك الجارية ومائة دينار فامض واعرفها وتسلمها فقد تعبت من امرك قال لم اطلب شيئا اما تقول قلت فعرفني اسمها لاكرمها من اجلك قال ما كنت بالذي يبوح بشي وانصرف بعد ان انشد
لعمرك ما استودعت سري وسرها * سواها حذارا ان تضيع السرائر
اصون الهوى خوفا عليك من العدا * مخافة ان يغري بذكرك ذاكر
(ومنهم) ابو عبد الله الخشاني عشق جارية سوداء يقال لها صفراء ومرض من حبها حتى لزم الوساد فقيل لولاها لو ارسلت بها اليه فعساه ان يجد الشفاء فلما دخلت عليه قالت كيف اصبحت قال بخير ما رأيتك قالت ما تشتهي قال قربك قالت فما تشتكي قال هجرك قالت فيم توصي قال بك ان سمح لي قالت اني اريد الانصراف قال لا تعجلي ثواب الصلاة علي فلما رآها ولت شهق شهقة فمات
(ومنهم) شاب بصري قال في النزهة اسمه ظريف بن نعيم الغفاري كان باعظم حالة من الجمال وامكن رتبة من المال وانه اقترح على ابيه وكان من أكابر تجار البصرة ان يرسله بمتجر الى بغداد فمانعه زمانا وكان يقول له نحن غير محتاجين الى اكتساب بالاسفار فلا تفجعني فيك فأبى الا السفر فجهزله جملا وسار حتى دخل بغداد فاقام بها مدة يتنزه ويسرح في ملاذها ناظره ويشرح بمنازهها خاطره الى ان اشار عليه بعض ندمائه بحضور الدكة يعني المكان الذي تباع به الجواري فحضر مع خواص التجار وجي بجارية بهرت الحاضرين واشغلت الناظرين فكانت كلما اراد احد تقليبها لم تمكنه من النظر الى أكثر من عضو واحد وكانت كلما أراد أحد شراءها عابته حتى وقعت عينها على البصري فأحبته وأطمعته بنفسها فساوم مولاها حتى اخذها بمائة الف درهم ثم انطلق بها الى منزله فلما كان الليل اذا بطارق فخرج فاذا هو صاحب شرطة الحجاج فاخذوه حتى دخلوا به عليه فقال له على بالجارية التي اشتريتها فقال أصلح الله الامير انها زوجي فلا تكن سببا هلاكي فامر بالقبض عليه وأرسل من جاء بالجارية فلما رآها علم انها لم تبق له ان عرف الخليفة ذلك فوجهها الى الشام من ليلتها الى عبد الملك وحبس الشاب فلما زال عقله أطلقه واخذ ماله وتوجه الشاب الى دمشق فاقام بها مدة متنغص الحياة فاراد ان يحتال على الاجتماع بالجارية فلم يمكن فوقع في قصة ان رأى امير المؤمنين ان يأمر جاريته نعمى ان تغني لي ثلاثة اصوات اقترحها ثم يفعل ما شاء فليفعل فلما رأى القصة اشتد غضبه ثم عاوده الحلم فلما انصرف

زارني والدجى أحم الحواشي
والثريا في الغرب كالعنقود
وكأن الهلال طوق عروس
بات يجلى على غلائل سود
ليلة الوصل ساعدينا بطول
طول الله فيك غيظ الحسود
(وقال الآخر)
زارت على غفلة الرقيب
كظبية روعت بذيب
وكان وقت الوصال منها
أقصر من جلسة الخطيب
(قال الشيخ العلامة علاء الدين مغلطاي في كتابه الواضح المبين أنشدنا عبد العزيز بن سرايا الحلي لنفسه زاعما انها أصدق كلمة قالها الاوائل)
يقولون لي بالله ما أنت فاعل
اذا زارك المحبوب قلت أنيكه
(وقال يعقوب الشيباني)
قلت اذ زار من أحب وجنح الل
يل روض أبدى النجوم نهارا
ملك الحب زاره ملك الحس
ن فزادا على الوجود اقتدارا
فافرشوا الورد اطلساحين يمشي
واجعلوا عسجد الكؤس نثارا
واصرفوا حاجب الهلال فقدنم
يسري الى العيون مرارا
واحجبوا أبيض الصباح وقولوا
لغواشي الظلام كن بردارا
وعلى ذكر البردار وما أحسن قول الآخر دوبيتا
يا ليل بك الثناء والمدح يليق
اذ أنت لاهل العشق خل وصديق
اذ أنت جعلت بردار الهم
لا تعط عليهم قط للصبح طريق
(وقال ابن النبيه)
قلت لليل اذ حبانى حبيبا

الناس احضر الشاب والجارية وقال مرها بما شئت فقال لها غني لي قول قيس بن ذريح لقد كنت حسب النفس الى اربعة ابيات فغنت فخرق اثوابه ثم قال لها غني قول جميل * الا ليت شعري هل ابيتن ليلة * الى ستة ابيات فغنت فغشي عليه ثم افاق فقال غني قول المجنون * وفي الحيرة الغادون من بطن وجرة * الى اربعة ابيات فلما غنت قام فالقى نفسه من شاهق فمات فقال عبد الملك لقد عجل على نفسه ايظن اني اخرجت جارية واعود بها اخذها يا غلام فاعطها الورثته اوفتصدقوا بها عليه فلما انزلوا بها نظرت الى حفيرة معدة للسيل فجذبت يدها من الغلام وهي تقول

من مات عشقا فليمت هكذا * لا خير في عشق بلا موت

والقت نفسها في الحفيرة فماتت وسأل القوم عن الغلام فقيل انه قدم من كذا وكذا يوما ورؤي في الاسواق وهو يقول

غدا يكثر الباكون منا ومنكم * وتزداد داري من دياركم بعدا

وقيل ان القصة وقعت بين يدي سليمان بن عبد الملك وانه اقترح في الصوت الاول قول امرئ القيس * أفاطم مهلا بعد هذا التدلل * الى ثلاثة ابيات وفي الثاني * غدا يكثر الباكون منا ومنكم * البيتين (وفي الثالث)

تألق البرق نجديا فقلت له * يا ايها البرق اني عنك مشغول
يكفيك مني عدو ثائر حنق * بكفه كعباب الماء مصقول

وانه كان يطالب كل مرة النبيذ فيسقي (ومنهم) الشريف البياضي عشق جارية لبنت فخر الملك فوجد بها وجدا عظيما وتطاول امره حتى شاع في الناس ذكره ولم يزل حتى مرضت فمرض ايضا هو فلما توفيت طاش عقله وبقي شهرا فما دون ثم لحق بها وله فيها اشعار كثيرة

(منها) خليلي هل حرا بالعراق فناديا * الا من رأى قلبا من الوجد باليا
وان انتما اعييتما في ابتغائه * ولم تجداه فابغيا لي ناعيا

(ومنها) دع الوقوف على الاطلال والدمن * فليس ينفع مسكون بلا سكن
اما تراني لا أثني على طلل * بعد الفراق ولا آوي الى وطن
وكيف يأنس قلبي بالديار وقد * اصاب فيها الردى من كان يؤنسني
ان الذين أذاقوني فراقهم * افنيت بعدهم دمعي من الحزن
لله من لعبت ايدي المنون به * ضنا بما فيه ان يبقى على الزمن
جعلت روحي له من روحه عوضا * مقيمة معه في ذلك الكفن
فصار كالحي اذ روحي تحل به * وصرت كالميت اذ لا روح في بدني
وكيف تصحب روحي بعده جسدي * وكان ان غاب تأبى ان تصاحبني

(ومنهم) ما اخرجه ابن الجوزي في تنوير الغبش عن التنوخي والثوري يرفعانه الى اسمعيل ابن جامع قال وقع بيني وبين ابي وحشة فذهبت الى خالي باليمن فكنت عنده من غرفة تشرف على نهر فنظرت يوما الى سوداء قد اقبلت تملأ قربة فوضعتها واستراحت ثم انشدت

الى الله اشكو بخلها وسماحتي * لها عسل مني وتبذل علقما
فداوي مصاب القلب أنت قتلته * ولا تتركيه هائم القلب مغرما

ثم ملأت القربة ومضت فنزلت أعدو حتى لحقتها استعيد الصوت فابت وقالت اني في شغل

قول شمس الدين محمد بن العفيف) ومليح كالبدر زار بليل * فعلا حسنه الدجى اذ تجلى
ما دري منزلي ولكن قلبي * بلهيب الجوى هداه ودلا
وعجيب منه فقيه ذكي * يجهل النزاع كيف استدلا

(وقال الآخر)

يا حبيبي وأنت ما * زلت بالوصل منعما
زرتني بعض ليلة * بت فيها ساهرا وما
حين وليت غائبا * أفل البدر في السما
ليت شعري من الذي * من أخيه تعلما

(وقال بشار بن برد)

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر
الا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا مرة في الدهر واحدة
ثني ولا تجعلها بيضة الديك

قيل ان الديك يبيض في السنة بيضة ولهذا قال بشار ذلك وقال ابن الساعاتي في تاريخه في سنة ست وتسعين وستمائة باض ديك ببغداد وسألت جماعة عن ذلك فاخبروني به (قلت) وأخبرني الآن بعض الصوفية المقيمين عندي بالصهريج انه باض عندهم ديك بيضة صغيرة وجعل يصيح مثل الدجاجة ثم أقام بعد ذلك سبعة أيام ومات (رجع الكلام وقلت أنا)

لي حبيب له حبيب موافي
كل يوم يأتي اليه مرارا
قلت زرني مقام حي عندي
شغل الحلي أهله أن يعارا

(وقلت أيضا من قصيدة)

زار الحبيب ووجهه الورد خجلان
فاصفر حين تثني قده البان
قد كان ما كان من هجرانه زمنا
وقد وفي الآن فالعذال لا كانوا
ما ضر في ضيق عيشي حين واصلني
سم الخياط مع الاحباب ميدان

(فصل في شم الطيب على الحبيب)

ما أحلى قول ابن سكرة

اهلا وسهلا بمن زارت بلا عدة * تحت الظلام ولم تحذر من العسس
تسترت بالدجى عمدا فما استترت * وناب اشراقها البلاء عن القبس

عن ذلك قلت عماذا قالت على درهمان فاعطيتها اياهما واستعدت الصوت حتى حفظته فلما أصبحت فاذا هو قد ذهب مني واقبلت السوداء على عادتها فاستعدته منها فقالت كانك تستكثره بأربعة دراهم كاني بك وقد اخذت عليه أربعة آلاف دينار فلما كنا عند الرشيد اوقال عند المأمون وبين يديه أربعة اكياس كل واحد الف دينار وقال من أطربني فله الف دينار فغنيته البيتين فرماني بكيس واستعاد الصوت فرماني بالآخر حتى أعطاني الاربعة فحدثته القصة فقال لم تكذب السوداء (ومنهم) ما أخرجه بن اسحق قال انحدرت مع محمد بن ابراهيم من سر من رأى ودجلة في طغيانها فاحضر الشراب فاندفعت جارية تغني

وارحمة للعاشقينا * ما ان أرى لهم معينا

كم يشتمون ويضربو * ن ويهجرون فيصبرونا

فقالت له مغنية أخرى فيصنعون ماذا قالت هكذا ورمت بنفسها في الماء وكان على راس محمد غلام اشتراه بألف دينار فحين رأى فعل الجارية ألقى بنفسه وهو يقول

أنت التي عرفتني * كيف الهوى لو تعلمينا

لا خير بعدك في البقا * والموت زين العاشقينا

فدفع من طلبهما فقيل وجدا متعانقين وقيل استخرجا ودفنا وفي رواية الحافظ ان القصة وقعت في بيت محمد المذكور وكان على الدجلة وان الغلام هو الذي ألقى نفسه قبل حين سمع الجارية فتبعته انها غنت هذا الصوت

يا قمر القصر متى تطلع * أشقى وغيري بك يستمتع

ان كان ربي قضى كل ذا * منك على راسي فما اصنع

(ومنهم) شخص كان يهوى مغنية عند عبد الله بن جعفر فشغف بها حتى كان يأت الباب لسماع صوتها فلما فطن به زينها ونزله بها اليه فوجده نائما فنبهه وقال له دونكها فامض بها الى منزلك فلما رآها فحص برجله وحرك فاذا هو ميت وكانت هذه الجارية قد طلبها يزيد فابى عبد الله أن يدفعها اليه فقيل انها ماتت بعد ذلك بيسير وان موتها كان عشقا

(القسم الرابع في ذكر من حظى بالتلاق بعد تجرع كأس الفراق)

وهذا القسم هو الذي ترجمه من ساعده الزمان بطلوبه حتى ظفر بمحبوبه وذلك اما الشفاعة أو جاه اوحيلة او عناية أزلية وهم ايضا بالنسبة الى النساء اما متعلق بالاحرار او رمى بالعشق من جهة الجواد (فمن الصنف الاول) عبد الله بن ابي بكر الصديق عشق عاتكة فكلف بها حتى كاد ان يطير عقله فلما تزوج بها أقام سنة لا يشتغل بسواها ثم قدم عليه تجارة من الشام فخرج ليتعاطى امرها فقيل له حين خرج انه لم يعد ينظر الى عاتكة فعاد في الاثر فجلس معها وترك التجارة فلما كان يوم جمعة وهو معها اذ فاتته الصلاة وهو لا يدري وجاء ابوه فوجده عندها فقال له اجمعت فقال وهل صلى الناس فقال قد الهتك عاتكة عن التجارة فلم ترتب في ذلك ولم تقل شيأ وقد الهتك عن الصلاة طلقها فطلقها طلقة واعتزلت ناحية فلما كان الليل قلق قلقا شديدا فانشد

أعاتك لا انساك ما ذر شارق * وما ناح قمري الحمام المطوق

لها منطق جزل ورأي ومنصب * وخلق سوي في حياء ومصدق

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها * ولا مثلها في غير شيء يطلق

ولو طلواها الذجى عنا لاظهرها * برق الثنات وعطر الثغر والنفس (أخذه المعتمد بن عبادة فقال واحسن ماشاء

ثلاثة منعتها عن زيارتنا

خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق

ضوء الجبين ووسواس الحلي وما

تحوي معاطفها من عنبر عبق

هب الجبين بفضل الكم تستره

والحلي تنزعه ما حيلة العرق

(وقال)

يوم يقول الرسول قد اذنت

فأت على غير رقبة ولج

أقبلت أهوى الى رحالهم

أهدى اليها بريحها الارج

(قيل) ويستدل بالطيب على السالك في المواطن التي يكون الناس فيها غير معروفين مثل الحمام ومعركة الحرب وموسم الحج ومازالت الشعراء تصف مواطن الحبيب بالطيب كما قال فيه ابن النبيه

ان جاء من يبغي لهم منزلا

فقل له يمشي ويستنشق

وقال محمد بن عبد الله النميري في زينب أخت الحجاج من قصيدة

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت

به زينب في نسوة خفرات

له أرج من مجمر الهند ساطع

تطلع رياه من الكفرات

يخمرن أطراف البنان من التقى

ويطلعن نصف الليل معتجرات

(ومنها)

ولما رأت ركب النميري أعرضت

بكره لان يلقينه حذرات

ولهذا البيت حكاية لطيفة اتفقت اتفاقا لهم مع الحجاج وهي مشهورة بين أهل الادب أضربت عن اثباتها هنا خوف الاطالة وقال الطغرائي

قربنا في ظلال الليل معتسفا

فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل

(وقال آخر) وليس نسيم المسك ما تجدونه * ولكنه ذاك الثناء المخلف (وقال آخر)

وكان

وكان أبو بكر على سطح يصلي فسمعه فرق له فقال راجعها فقال قد راجعتها ثم أشرف على غلام له فقال له انت حر واشهد انى راجعت عاتكة ثم ضمها اليه واعطاها حديقة على أن لا تتزوج بعده فلما قتل بالطائف رثته بابيات منها

وآليت لا تنفك عيني حزينة * عليك ولا ينفك جلدي اغبرا

فلله عينا من رأى مثله فتى * اكر واحمى في الهياج واصبرا

اذا شرعت فيه الاسنة خاضها * الى الموت حتى يترك الجون أشقرا

وتزوجها عمر بعد ان استفتى عليا في ذلك فافتى بأنها ترد الحديقة الى اهله وتتزوج ففعلت فذكرها علي بقوله وآليت لا تنفك البيت ثم قال كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ثم تزوجت بعده بالزبير وبعده بالحسين بن علي حتى قال ابن عمر من اراد الشهادة فليتزوج عاتكة وخطبها علي فقالت اني لاضن بك عن القتل وخطبها مروان بعد الحسين فقالت ما كنت متخذة حموا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومنهم ما حكاه معبد المغني) قال بينا انا جالس اذ طرق بابي فقلت للغلام أخرج فانظر من بالباب فخرج وعاد مستأذنا فاذنت فدخل غلام فوضع بين يدي ثلثمائة دينار وقال غن لي

بالله يا طرفي الجاني على كبدي * لتطفئن بدمعي لوعة الحزن

لا لا ابوحن حتى يحجبوا سكني * فلا اراه ولو ادرجت في الكفن

فعملت لها لحنا شجيا وغنيته به فاغمي عليه فنضحت عليه الماء فلما أفاق جعل يقبل يدي ورجلي على ان اعيد الصوت فقلت اخشى ان تموت فقال من لي بذلك فغنيته الصوت فخر مغشيا عليه فلم ازل انضحه بالورد والطيب حتى افاق فجعلت الدنانير بين يديه وقلت خذها وامض عني فقال لك مثلها ان أعدته فشرهت عيني فقلت له ان اقمت عندي واكلت طعامي حتى تقوى نفسك واخبرتني بقصتك اعدته ففعل وحدثني انه خرج غب سماء وقد سال العقيق مع فتية الى متنزه فاذا هم بنسوة بينهن فتاة قد فضحت الشمس بعينين لا يرتد ان الا باقتناص النفس فاوقعت به وعاد مسلوب العقل فاقام لم يعرف لها خبرا حتى كاد ان يقضي فقالت له قرابته لا بأس عليك اذا اربع الوقت خرجنا بك اوان الفرج فلا نعود الا بخبرها قال فلما جاء الابان خرجنا الى المتنزه فاذا نحن والنسوة كفرسي رهان فقلت لبعض قرابتي قولوا لهذه الجارية لقد احسن من قال

رمتني بسهم اقصد القلب وانثنت * وقد غادرت جرحا به وندوبا

فقالت الجارية قد احسن من اجاب

بنا مثل ما تشكو فصبرا لعلنا * نرى فرجا يشفي السقام قريبا

فامسكت عن الجواب واتبعتها حتى عرفت المنزل فكنا نجتمع ونتحادث الى ان علم اهلها فحجبوها وخطبتها فامتنعوا محتجين بالشهرة فها انا على ما ترى قال معبد فغنيته الصوت ومضى فلما حضرت مع جعفر غنيته اياه فطرب وسأل عنه فاخبرته القصة فامرني باحضاره فاحضرته اليه فطيب قلبه وركب الى الخليفة فحدثه بالحديث فاستحضرنا جميعا وطلب ان اغنيه الصوت فغنيته فطرب وكتب الى عامله على الحجاز باحضار الرجل وأهله فلما حضروا امهرها الخليفة وزوجها منه (ومنهم رجل عذري) دخل على معاوية في جمع فلما اخذ كل مجلسه قام فانشد

لو كان يوجد ريح مسك فائح * لوجدته منهم على اميال

(وقال ابن الرومي) اعقبته من طيب ذكر قد كادت تكون ثناءك المعمورا

(وقال المتنبي)

وتفوح من طيب الثناء روائح
لهم بكل مكانة تستنشق

(فصل) ومن أحسن ما سمعته في العيادة قول الطغرائي

خبروها انى مرضت فقالت
اضنى طارفا شكا أم تليدا

وأشاروا بان تعود وسادي
فابت وهي تشتهي أن تعودا

وأتتني في خفية وهي تشكو
ألم الشوق والمزار البعيدا

ورأتني كذا فلم تتمالك
ان أمالت على عطفا وجيدا

(أنشدني) من لفظه لنفسه الشيخ جمال الدين بن نباتة

وملولة في الحب لما أن رأت
أثر السقام بعظمي المتهاض

قالت تغيرنا فقلت لها نعم
أنا بالسقام وأنت بالاعراض

(وما احسن قول السليماني)

وأنا الذي أضنيته وهجرته
فهل صلة أو عائد منك للذي

(وقال الآخر)

لا تهجروا من لا تعود هجركم
وهو الذي بلبان وصلكم غذي

ورفعتم مقداره بالابتدا
حاشاكم أن تقطعوا صلة الذي

(ومن عظيم ما يحكى) عن الملك المعظم عنزة بن الملك العادل ان شرف الدين ابن عنين كتب اليه وهو ضعيف

انظر الي بعين مولى لم يزل
يولي الندى وتلاف قبل تلافي

أنا كالذي احتاج ما يحتاجه
فاغنم ثوابي والثناء الوافي

فحضر اليه الملك المعظم بنفسه ومعه صرة فيها ثلثمائة دينار وقال انت الذي وهذه صلتك وأنا العائد قلت وقد استخدم ابن عنين الصلة والموصول وأجاد وعامله الملك

معاوي ياذا الحلم والفضل والعقل * وذا البر والاحسان والجود والبذل
اتيتك لما ضاق في الارض مسلكي * وانكرت مما قد اصيب به عقلي
ففرج كلاك الله عني فانني * لقيت الذي لم يلقه احد قبلي
وخذلي هداك الله حقي من الذي * رماني بسهم كان اهونه قتلي
وكنت ارجي عدله اذ اتيته * فاكثر ترداد مع الحبس والكبل
فطلقتها من جهد ما قد اصابني * فهذا امير المؤمنين من العدل

فاستدناه وقال له ماشانك قال تزوجت ابنة عمي وكانت من المبرزات في الجمال والحياء فانفقت عليها الى ان املقت فرفع ابوها القصة الى ابن ام الحكم فضيق على السجن والقيود حتى طلقت كارها فاعطى أباها عشرة آلاف درهم وتزوج بها فاتيتك مستغيثا بعدلك فكتب معاوية اليه يغلظ عليه و يامره بالتخلي عنها و يقول في آخر الكتاب

ركبت ذنبا عظيما لست اعرفه * فاستغفر الله من جور امرئ زاني
قد كنت تشبه صوفيا له كتب * من الفرائض أو آيات فرقان
حتى أتاني الفتى العذري منتحبا * يشكو الي بحق غير بهتان
أعطي الاله عهودا لا أخيس بها * أولا فبرئت من ديني وإيماني
ان أنت راجعتني فيما كتبت به * لاجعلنك لحما بين عقبان
طلق سعاد وفارقها بمجتمع * وأشهد على ذاك نصرا وابن ظبيان
فما سمعت كما بلغت من عجب * ولا فعالك حقا فعل انسان

فلما وقف عليه قال وددت لو خلى بيني وبينها سنة ثم عرضني على السيف ثم طلقها فاخرجها فلما وصلت الى معاوية وقد تعجب الناس من حسنها وقالوا هذه لا تصلح لاعرابي انما تكون لامير المؤمنين فعجب منها ثم استنطقها فاذا هي فتنة فقال له هل لك عوض عنها قال نعم اذا بان رأسي عن بدني ثم انشد

لاتجعلني والامثال تضرب بي * كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعاد على حران مكتئب * يمسي و يصبح في هم وتذكار
قد شفه قلق ما مثله قلق * وأشعر القلب منه اي اشعار
والله والله لا أنسى محبتها * حتى اغيب في رمس وأحجار
كيف السلو وقد هام الفؤاد بها * وأصبح القلب عنها غير صبار

فغضب معاوية من ذلك وخيرها بينه و بين ابن ام الحكم و بين ابن عمها فانشدت

هذا وان أصبح في اطمار * وكان في نقص من اليسار
اكبر عندي من أبي وجاري * وصاحب الدرهم والدينار
اخشى اذا غدرت حر النار * خلي سبيلي ما به من عار
لعلنا نرجع للديار * وان عسى نظفر بالاوطار

فقال خذها لا بارك الله لك فيها وأمر أن تقيم الى تمام العدة فلما انقضت دفعها اليه مع نافة وعشرة آلاف دينار (ومنهم) ما حكاه في منازل الاحباب عن بعض الجهدونية قال صحبت المتوكل الى الشام وكنت مغرما بالفراديس لظرفها لحنين بلغناها قال المتوكل هل لك في ان تتصفح الكنائس والرياض فتتنزه فيها فقلت نعم فاخذ بيدي وجعلنا نستقري الاما كن

المعظم في السبق الى فهم مقصوده معاملة الجواد ولو وقع هذا من مثل سيبويه لكان اذل دليل على فضله وسداد نبله فما الشأن بوقوعه من هذا الملك المعظم شأنه العظيم سلطانه فكم أقر لابن عنين عينا وو في عنه دينا فقال به السول وطرب من الصلة والعائد بيره الموصول لاجرم انه ملأ بمدائحه ديوانه وقال فيه من قصائده الطنانه

كريم الثنا عار من العار باسل
جميل المحيا كامل الحسن والحسنى
لعمرك ما آيات عيسى خفية
هي الشمس للاقصى سناها وللادنى

(ولي أنا من قصيدة) في هذا الوزن أمدح بها مولانا السلطان الملك الناصر مخاصها

تطاول غصن البان يحكي قوامه
فقلت له والله قد جئت في المنى
ولكن بدر التم والبحر قصرا
عن الناصر السلطان في الحسن والحسنى

(ومن ظريف ما اتفق لابن عنين هذا مع الملك المعظم انه حضر في وقت بين يديه مع جماعة من الشعراء فقال لهم السلطان لابد ان تهجوني في وجهي فقبلوا الارض واستعفوا من ذلك فقال لابد من ذلك وألح عليهم فقال ابن عنين

نحن قوم ماذ كرنا الامرئ
قط الا واشتهى أن لا يرانا

فقال له السلطان صدقت فقال (شعرنا مثل الخرا اذ قت الخرا) فقال السلطان لا والله وحياتك الله فقال (صقع الله به أصل لحانا) رجع الكلام الى العيادة ما أحسن قول السراج الوراق

قال صديقي ولم يعدني
وعارض السقم في تزايد
لقد تغيرت يا صديقي
و يعلم الله من تغير

(وقال أيضا)

مرضت لله قوما * ما فيهم من جفاني
عادوا وعادوا وعادوا * على اختلاف المعاني

وشاهد

ونشاهد ما فيها من العجائب وحسن ثياب النصارى حتى خلوت براهب الكنيسة فجعل الخليفة يسأله عن كل من يمر حتى اقبلت جارية لم ير مق احسن منها وبيدها مجمرة تبخر فسأله عنها فقال هي ابنتي قال ما اسمها قال شعانين فقال لها المتوكل يا شعانين اسقيني ماء فقالت يا سيدي ليس هذا الاماء الغدران وأنا لا أستنظفه لك ولو كانت حياتي ترويك لجدت بها واسرعت بكوز فضة فاومأت الى ان اشربه فشربته ثم قال لها ان هويتك تساعديني فقالت انا الآن أمتك وأما اذا صدق الحب في المحبة فالخوف في من الطغيان اما سمعت قول الشاعر

كنت لي في أوائل الامر حبا * ثم لما ملكت صرت عدوا

أين ذاك السرور عند التلاقي * صار مني تجنبا ونبوا

فطرب حتى كاد أن يشق ثوبه ثم قال لها هبيني نفسك اليوم فصعدت به الى غرفة مشرفة على الكنائس وجاء الراهب بخمر لم ير مثله وعاف المتوكل طعامهم فاستحضر أطعمة من عنده فلما اخذ منه الشراب أحضرت آلة وغنت

يا خاطبا مني المودة مرحبا * روحي فداؤك لاعدمتك خاطبا

أنا عبدة لهواك فاشرب واسقني * واعدل بكاسك عن جليسك اذ أبى

قد والذي رفع السماء ملكتني * وتركت قلبي في هواك معذبا

فارغبها حينئذ فاسلمت وتزوجها فكانت من احظى النساء عنده (ويقرب) من ذلك ما حكي عن الوليد بن يزيد انه عشق نصرانية وراسلها فابت عليه فكاد أن يطيش عقله فتنكر يوم عيد للنصارى وبايع صاحب بستان تتنزه فيه بنات النصارى فادخله فلما رأته قالت للبواب من هذا قال لها مصاب فجعلت تمازحه حتى اشتفى بالنظر اليها فقيل أتدرين من هذا قالت لا قالوا لها هو الخليفة فاجابت حينئذ وتزوج بها وفيها يقول

أضحى فؤادك يا وليد عميدا * صبا قديما للحسان صيودا

من حب واضحة العوارض طفلة * برزت لنا نحو الكنيسة عيدا

مازلت أرمقها بعيني وامق * حتى بصرت بها تقبل عودا

عود الصليب فويح نفسي من رأى * منكم صليبا مثله معبودا

فسألت ربي أن أكون مكانه * وأكون في لهب الجحيم وقودا

وفي ذلك يقول ايضا لما اشتهر أمره بها

ألا حبذا سعدى وان قيل انني * كلفت بنصرانية تشرب الخمرا

يهون علينا ان نظل نهارنا * الى الليل لا أولى نصلي ولا عصرا

وكان يقال لم يبلغ مدرك هذا المبلغ لانه لم يطلب الا ان يكون صليبا في الزنار (ومثل) ذلك ما حكي عن ابن العباس بن الفضل انه عشق نصرانية بدير سرماجيس فكان لا يفارق البيع شغفا بها فوجدها يوما في بستان جلست معه اسبوعا فقال في ذلك

رب صهباء من شراب المجوس * قهوة بابلية خندريس

قد تجليتها بناي وعود * قبل ضرب الشماس بالناقوس

وغزال مكحل ذي دلال * ساحر الطرف ساحري عروس

قد خلونا بظبية نجتليه * يوم سبت الى صباح الخميس

بين ورد وبين آس جني * وسط بستان دير سرماجيس

ولهذا البيت أشباه ونظائر ذكرتها في كتابي الطارئ على السكردان منها ما حكي عن القاضي ابو بكر بن العربي وقد وقف على حلقته وهو مشتغل بالعلم شاب مليح بيده رمح فقال له بعض الفقهاء اذهب بهذا الرمح فهز الرمح وقال الساعة أضربك به فانشأ القاضي أبو بكر في الحال لنفسه

يهددني بالرمح ظبي مهفهف
لعوب بالباب البرية عابث
فلو كان رمحا واحدا لاتقيته
ولكنه رمح وثان وثالث

وقد سألت جماعة من اهل العلم والادب عن استخراج الثالث من هذا البيت فلم يجد أحد منهم بطائل

(وقال ابن النقيب)

تعجبت مما تشكو وما أنت واجد
فظلت دموع العين في الخد تسفح
وارسلت خطي في العيادة نائبا
وما كل خط للعيادة يصلح

(وقال المعتمد بن عبادة)

مرضت فامسكت الزيارة عامدا
وما عن قلى أمسكتم الا لا هجر
ولكنني أشفقت من أن أزوركم
فابصر آثار الكسوف على البدر

(وقال الشهاب محمود) في القول بالموجب

رأتني وقد نال مني النحول
وفاضت دموعي على الخد فيضا
فقالت بعيني هذا السقام
فقلت صدقت وبالخصر أيضا

وأورد في كتابه حسن التوسل قول الارجاني

غالطتني اذ كست جسمي الضنى
كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندي في الهوى
مثل عيني صدقت لكن سقاما

(وقلت) أنا حين وقفت على قول الارجاني هذا بديها

شكوت الى الحبيبة سوء حظي * وما قاسيت من ألم البعاد
فقالت ان حظك مثل عيني * فقلت نعم ولكن في السواد

بتثنى فى حسن جيد غزال * فى صليب مفضض أبنوس
كم أثمت الصليب فى الجيد منها * كهلال مكال بشموس

(و يقرب) من ذلك ما حكاه الصلاح الصفدى فى تاريخه قال رأيت بحماة رجلا وافر الحظ من الخط وقد أوثقه الوبد ليكتب عنده فكان لا يمكنه من الخروج فحكى انه عاق نصرانية بشيزر فكان يكتب الى المغرب بحماة ثم يذهب اليها فيجلس معها الى الصباح و يأتى وأقام على ذلك طويلا وانها قالت له يوما ان احببتنى فاكوعلى رأسك صليبا ففعل وأنا رأيته

(ومنهم الشحمى) وهو رجل من فزارة او هو من زبالة عشق ابنة عمه وكلف بها وأبى عمه ان يزوجه بها فتسور عليها ليلة فاحس به فقبض عليه وأتى به الى خالد القسرى فاقام جماعة فشهدوا انه سارق وسأله فاقر ليسترها فامر بقطع يده فرفع اخوه الى خالد رقعة يقول فيها

أخالد قد وطئت والله عشوة * وما العاشق المظلوم فينا بسارق
اقر بما لم يأته المرء انه * رأى القطع خيرا من فضيحة عاشق
ولولا الذى قد خفت من قطع كفه * لالفيت فى امرله غير ناطق
اذا مدت الكعبان فى السبق للعلا * فانت ابن عبد الله اول سابق

فتحسس خالد على الامر فلما استصح احضر أباها وأمره أن يزوجها من الغلام فابى فاجبره وساق المهر من عنده * (ومنهم محمد بن صالح العلوى) * قال لما اخرجنا على المتوكل اخذت انا وأصحابى قافلة الحاج فجمعنا مالا ومتاعا لا يحصى وكنت قد جلست على كرسى وأصحابى يجمعون الى المال اذا أنا بامرأة قد رفعت سجاف هودج فاضاء منها الموضع ولا اضاءته بالشمس فقالت أين الشريف صاحب السرية فلى اليه حاجة قلت انه يسمع كلامك فقالت أنا حمدونية بنت عيسى بن موسى تعلم مكاننا عند الخليفة وأنا اسألك أن تأخذ منى ثلاثين الف دينار مع انى أعطيتك ما فى يدك ولكن أسألك بفضلك ان لا يكشف لى أحد وجها فناديت أصحابى فلما اجتمعوا قلت من أخذ منكم من هذه القافلة عقالا آذنته بحرب فردوا حتى الأطعمة وخفرتهم الى المأمن فلما ظفر بى الخليفة وحبسنى بسرمن رأى دخل على السجان يوما فقال ان بالباب امرأتين من أهلك يريدان الدخول عليك ولولا ان دفعتا الى دملج ذهب ما اذنت لهما فقد منع الخليفة ان يدخل عليك احد فخرجت فاذا انا بها ومع امرأة وجارية تحمل شيأ فلما بصرت بى قالت اى والله هو و بكت لما أنا فيه ثم قبلت قدمى وقالت لو استطعت ان آتيك بنفسى لفعلت ولكنى لا أقصر فى خلاصك ودونك هذه النفقة ورسولى يأتيك فى كل يوم بما تريد حتى يفرج الله عنك ودفعت الى خمسمائة دينار وثيابا وطيبا وطعاما وانصرفت وقد اضرمت بقلبى نارا قدحتها النظرة الاولى فانشدت

طرب الفؤاد وعاودت أحزانه * وتشعبت بشعابه أشجانه
وبداله من بعد ما اندمل الهوى * برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه * صعب الذرى متمنع اركانه
فبدا لينظر أين لاح فلم يطق * نظرا اليه وصده سجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به اجفانه
ياقلب لا يذهب بحلمك باخل * بالنيل باذل تافه منانه

وقد بهتوا لما رأونى شاحبا
وقالوا به عين فقلت وعارض

(وقال ابن النقيب)

وما بى سوى عين نظرت لحسنها
وذاك لجهلى بالعيون وغرتى
وقالوا به فى الحب عين ونظرة
لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتى

(والاصل فى هذا كله)

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى
وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة
ولو صدقوا قالوا به أعين الانس

(وما أحسن قول بلدينا محمد بن العفيف التلمسانى فى مليح يعمل الكوافى)

اسم حبيبى وما يعانى
قد شغلا خاطرى وبابى
قالوا على فقلت قدرا
قالوا كوافى فقلت قلبى

(وقول الشيخ صدر الدين بن الوكيل)

و بى من قساقلبا ولان معاطفا
اذا قلت أدنانى يضاعف تبعيدى
أقربرقى اذ أقول اناله
وكم قالما أيضا ولكن لتهديدى

(وقال السراج الوراق)

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحى
لهموم نفس ليت لا حاجتها
قد كان عندك يا فلان صريقة
فاجبتهم بعت الحمار و بعتها

* (الباب الرابع عشر فى الرقيب النمام والواشى الكثير الكلام) *

أقول هذا باب عقدناه لذكر كل رقيب غائر فى العين كثير المين يرى المحب بعين المقت فى كل وقت و يرميه فى الحضرة والمغيب بكل سهم مصيب فكم ترك المحب مضنى وافقره فيمن أحب وما استغنى فهو كالضبع قاطع اللذات تعويق الحركات قبيح المنظر سيئ المخبر كثير اللجاج حجر فى دكان زجاج فهو والنمام فى الاذى فرسا رهان

واقنع بما قسم الاله فامره * مالايزال على الفتى اتيانه

والبؤس ماض لايدوم كمامضى * عصر النعيم وزال عنك أوانه

ولم يزل رسولها يعاودني بالاحسان وملاطفة المحبان الى ان خرجت وعظم امري عند الخليفة فخطبتها فامتنع ابوها فكان سجن هواها اعظم من السجن فلم أر الا ان اتيت ابراهيم بن المقتدر فأخبرته بذلك وكان أبوها صنيعته فركب اليه فلم يفارقه حتى زوجني بها ولابن صالح فيها وفي ابراهيم مدائح كثيرة تركتها * (ومنهم جعد بن مهجع العذرى) * قال عمرو بن أبي ربيعة انه كان فتى مغرما بمحادثة النساء وحفظ طرف الاخبار وملح الاشعار مع أنه غير عاهر الخلوة ولا سريع السلوة وكان يحضر الموسم فتقصده الناس لتسمع منه فانقطع سنة فسألت عنه العذريين فقال لي رجل تريد أبا المسهر قلت نعم اياه اعني فتنفس الصعداء ثم قال قد اصبح والله كما قال

لعمرك ماحبي لاسماء تاركي * صحيحا ولا اقضي به فاموت

قلت ومابه قال مثل ما بك من تيهكما في الضلال قلت فمن انت قال اخوه قلت كانك واياه على طرفي نقيض ثم انطلقت اقول

أرائحة حجاج عذرة وجهة * ولما يرح في القوم جعد بن مهجع

خليلان نشكي ما نلاقي من الهوى * متى ما اقل يسمع وان قال أسمع

فلا يبعدنك الله خلا فانني * سألقى كما لاقيت في الحب مصرعي

فلما كان الموسم من قابل وأنا بعرفة رأيت شابا لم تبق الا رسومه فعرفته بناقته فسلمت عليه وسألته عن حاله فشكا الي ما به فقلت له ان هذا يوم دعاء فادع الله ان يزيل ما بك فلم يزل يدعو حتى حان الغروب فسمعته يقول

يارب كل غدوة وروحه * من محرم يشكو الضحى ولوحه

* أنت حسيب الخصم يوم الدوحه *

فقلت له وما الدوحة قال اذا انصرفنا حدثتك فلما انصرفنا حدثني ان له أخوالا من كلب وانه حول ماله اليهم خشية التلف فأقام معهم وانه خرج يوما على فرس وقد صحب شرابا فاشتد الحر ورفعت له دوحة فقصدها ونزل تحتها فما استقر حتى بان له شخص عليه درع اصفر وعمامة سوداء يطرد سخلة وأتانا فقتلهما وقصد الدوحة ونزل بها فادنته فغاب عقلي لفظه فدعوته الى الشراب فشرب وقام ليصلح من شان فرسه فتزحزح الدرع عن ثدي كحق العاج فقلت امرأة انت قالت نعم ولكن شديدة العفاف حسنة الاخلاق والمفاكهة فتحادثنا ساعة فأخذها النوم فوالله لقد هممت بها لولا العفة لما داخلني ثم راجعت المروءة فلما انتبهت وعزمت على الذهاب سألتها عن الزيارة فذكرت ان لها اخوة شرسة وأبا كذلك ثم مضيت وها أنا كما ترى فقلت ثبت نفسك فاني موصلك الى مطلوبك ثم قمت فشددت على ناقتي وصحبت الف دينار ومطرف خز وقبة خضراء من أدم ومضينا حتى نزلنا بالشيخ فاحسن ملقانا فقلت له قد أتيتك خاطبا قال فوق الكفاءة انت والمرغوب في مثله فقلت لم اخطب الا لصاحبي هذا وهو ابن أختكم فقال الحسيب الكريم ولكن أخيرها بينكما فلما انصرفتني فأوما صاحبي الى ان دعه فقلت افعل فخيرها ففوضت الامر الي فحمدت الله فزوجتها من صاحبي وأمهرتها الفا وكسوت الشيخ المطرف وسألته ان يبني بها

رضيع البيان ومن أبلغ ما سمعته في الرقيب

أنا والحبيب ما خلونا ولا طر * فة عين الا علينا رقيب

ما خلونا بحيث أن يمكن الدهـ

ـر باني أقول انت الحبيب

بل خلونا بقدر ماقلت أنت الـ

ـح فوافى فقلت كيم الطبيب

(وقول ابن المعتز)

وابلائي في محضر ومغيب

من حبيب مني بعيد قريب

لم ترد ماء وجهه العين الا

شرقت قبل شربها برقيب

(وقال ايضا)

قد دنت الشمس للمغيب

وحان شوقي الى الحبيب

طوبى لمن عاش عشر يوم

له حبيب بلا رقيب

قيل لبعض العرب ما امتع لذات الدنيا فقال ممازحة الحبيب وغيبة الرقيب

قال الصاحب بن عباد

قال لي ان رقيبي * سيئ الخلق فداره

قلت دعه وجهك الجنـ

ـة حفت بالمكاره

(وقال آخر)

لسهم الحب جرح في فؤادي

وذاك الجرح من عين الرقيب

يوكل ناظريه بنا ويحكي

مكان الكاتبين من الذنوب

فلو سقط الرقيب من الثريا

لصب على محب اوحبيب

(وقال آخر)

يسقيك من كفه مداما

ألذ من غفلة الرقيب

كأنها اذ صفت ورقت

شكوى محب الى حبيب

(وقال أبونواس)

لاحظته فتبسما * وخلا المكان فسلما

وبدا الرقيب فقلت لا

سلم الرقيب من العمى

(وقال الصفي الحلي)

ومليح له رقيب قبيح * يتمنى وغيره يتمنى

ليس فيه معنى يقال ولكن

من ليلته ففعل وجئته من الغد فقلت كيف كانت ليلتك وكيف وجدت صاحبتك قال ابدت لى كثيرا مما اخفته عنى قديما وسألتها عن ذلك فانشدت

كتمت الهوى انى رأيتك جازعا * فقلت فتى بعد الصديق يريد
فان تطرحنى اوتقول فتية * يضير بها برح الهوى فتعود
فوريت عما بى وفى الكبد والحشا * من الوجد برح فاعلمن شديد

فباركت له وانصرفت *(ومنهم ما حكاه اسدى وهو من العجائب المستظرفة)* قال ضلت لى ابل فطلبتها فى قضاعة حتى اذا دهمنى الليل امسيت فى بيت تفرست انه كنز للضيف فناديت اهله فلبتنى امرأة كالشمس جمالا وقالت انزل على الرحب واجلستنى عند نار فاصطليت وأتتنى بعشاء كثير فاكلت وهى تحادثنى واذا ابل كثيرة قد اقبلت الى البيت وقد اقبل شخص فبادرت اليه ومعها ولد تلاعبه فتناوله وجعل يلثمه وانا ظننته عبد القباحته حتى جلس الى جانبها فقال لها من الضيف قالت اسدى فعلمت انه زوجها فجعلت أتأمل ما بينهما من المباينة ففطن لذلك فقال كانك تعجب منا قلت اى والله واى العجب قال احدثك بوصولها الى قلت ما اشوقنى الى ذلك قال اعلم انى كنت سابع سبعة اخوة اذا رأيتنى ظننتنى عبدهم وكانوا يطرحونى للرعى ونحوه فضل لنا بعير فقالوا امض فى طلبه فقلت ما انصفتمونى فقال ابى اذهب يالكع والا جعلته آخرا يامك وتهددنى بالضرب فمضيت وانا على اسوأ حالة من البرد والجوع فدفعنى المساء الى عجوز عليها سمة الخير والشرف والى جانبها هذه العزبة فجعلت تسخر بى وتقول هل لك اذا نام الناس ان تدخل على فانى لم أر احسن منك فقلت دعينى من هذا واقبل ابوها واخوتها سبعة فناموا بازاء الخيمة فاقرانى الشبع والدفء فدخلت الستر فلما شعرت بى قالت من تكون قلت الضيف قالت اخرج لا حياك الله ولا صبحك فخرجت فزعا فتلفانى كلبهم يريدان يأكلنى وانا ارده بعصاى حتى علق بجبة صوف على فتجاذبنا حتى سقطت انا واياه فى حفرة لا ماء فيها وكانت الصبية شعرت بذلك فاقبلت حتى اذا بصرت بى قالت وددت والله ان اجعلها قبرك لولا خشية الضرر ثم ادلت لى حبلا وقالت ارق فحين قاربت فم الحفرة انهارت من تحت اقدامها فسقطنا جميعا فلما كان الصباح وافتقدوها فلم يجدوها وكان ابوها عارفا بالقيافة فاقبلوا بالسيوف والاحجار على قتلنا فقال ابوها انى لاعرف من ابنتى ما لا ريبة فيه فامسكونا واخرجونا فاقبل على ابوها فقال افيك خير لازوجك بها اتقاء الشهرة فقلت حين شممت الحياة وهل عندى الا الخير فزوجنى بها على خمسين بكرة وأمة وعبد فرجعت الى ابى فاخبرته بذلك فاحضرها واقبلت بها اليهم فاخذوها وبنيت بها وها هى تسمع ما اقول

(ومن الصنف الثانى) ماحكى عن على رضى الله عنه انه كان له مؤذن شاب وكان عنده جارية وكان اذا رآها المؤذن يقول لها انى احبك فاخبرت عليا بذلك فقال لها قولى له وانا ايضا احبك فماذا تريد فقالت له ذلك فقال اذا نصبر حتى يوفينا أجورنا من يوفى الصابرين اجرهم فمضت واخبرت عليا فدعا به وزوجه منها *(وحكى)* عن عبد الله بن جعفر انه كان يحب جارية له فبلغه انها تهوى عبدا من عبيده فقال لها فى ذلك فقالت أعيذك بالله من هذا فاقسم عليها ان تصدقه فاطرقت ساكتة فزوجها منه ثم داخله من حبها ما كاد ان يذهب عقله فدعا الغلام فقال له هل تنزل عنها بعشرة آلاف درهم فقال ولا مائة الف فقال

هو عند الغداة جاء لمنى (وقال آخر) قالت صفا الوقت ولكن * الرقيب كالقذى قالت اذا غاب الرقيب
ارضنى قالت اذا

(وقال آخر)

احب العذول لتكراره
حديث الحبيب على مسمعى
واهوى الرقيب لان الرقيب
يكون اذا كان حبى معى

(وقال أبو جعفر أحمد بن الابار)

زارنى خيفة الرقيب مريبا
يتشكى القضيب منه الكثيبا
قال لى ما ترى الرقيب مطلا
قلت ذره اتى الجناب الرحيبا
عاطه أكؤس المدام دراكا
وأدرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها بخمر عينك صرفا
واجعل الكاس منه ثغرا شنيبا
ثم لما ان نام من نتقيه
وتلقى الكرى سميعا مجيبا
قال لابد أن تدب عليه
قلت أبغى رشا وآخذ ذيبا
قال فابدأ بنا وثن عليه
قلت كلا لقد رأيت عجيبا
فوثبنا على الغزال ركوبا
ودببنا على الرقيب دبيبا
هل رأيتم او هل سمعتم بصب
نال محبوبه ونال الرقيبا

(قال ابن بسام) لقد تظرف ابن الابار وابر واحسن ما شاء وقدر واظنه لو قدر على ابليس الذى تولى هذا المذهب لدب عليه ولم يخلص من يديه وابن المعتز كنى ولم يصرح حيث قال

فكان ما كان مما لست اذكره
فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

(وقال ابو نواس)

اذا هجع النيام فقل عنى
وعمن كان يصلح للدبيب
الذالنيك ما كان اقتصابا
بمنع الحب او خوف الرقيب (وقال ابو الوليد محمد بن حسان الحنفى) نشر النسيم بعرفكم يتعرف

بارك

بارك الله لك فيها فلم يكن الا قليل ومات العبد فاعادها ابن جعفر وقيل انه حين دخل بها انشد

رضيت بحكم الله فى كل امره * وسلمت امر الله فيه كما مضى
بلانى وابلانى بحب دنيـة * وصبرنى حتى انمحى الحب فانقضى
لعمرى ماحبى بحب ملالة * ولا كان حبى زائلا فتنقضا
ولكن حبى معه دل يزينه * ويعرض احيانا اذا الحب اعرضا

(حكى) الرياشى قال اشترى بصرى جارية على ارفع ما يكون من الجمال والفصاحة فكلف بها وكان مثريا فانفق عليها ما فى يده حتى اذا املق ولم يبق معه شئ اشارت عليه ببيعها شفقة عليه فلما احضر بها السوق اخذت الى ابن معمر وكان عاملا على البصرة فاشتراها بمائة الف درهم فلما قبض المال وهم بالانصراف انشدت

هنيأ لك المال الذى قد حويته * ولم يبق فى كفى غير التذكر
اقول لنفسى وهى فى غشى كربة * أقلى فقد بان الحبيب او اكثر
اذا لم يكن للامر عندى حيلة * ولم تجدى شيأ سوى الصبر فاصبرى

فاشتد بكاء مولاها وانشد

فلولا قعود الدهر بى عنك لم يكن * يفرقنا شئ سوى الموت فاصبرى
اروح بهم فى الفؤاد مبرح * أناجى به قلبا طويل التفكر
عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا ان يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر قد شئت خذها ولك المال فانصرفا راشدين فوالله لا كنت سببا الفرقة محبين *(وحكى)* عن ابن دأب انه مرض مرضا شديدا وطال به الامر فدعوا له أطباء الروم فعالجوه بضروب من العلاج فلم يؤثر فيه شئ فامر واهله ان يوكلوا به امرأة تسقيه من الخمر دون السكر لعله يبوح بما عنده فارسل اليه عمه بجارية فلما سقته وغنت عنده انشد يخاطب الجارية المغنية وحاضنة كانت له يقول

دعونى لمابى وانهضوا فى كلاءة * من الله قد أيقنت ان لست باقيا
واذ قد دنا موتى وحانت منيتى * وقد جلبت عينى الى الدواهيا
أموت بشوق فى فؤاد مبرح * فياويح نفسى من به مثل مابيا

فاعلموا عمه بذلك فرحمه وبعث اليه بجارية ظريفة كثيرة الادب فاستخرجت ما عنده بلطف فأخبرها انه رأى جارية أخته فى نومه فعشقها فأصابه هذا الحال فاعلمت أخته فوهبت له الجارية فبرئ من علته *(وحكى رجل)* قال عشق عبد اسود لصديق لى بالمدينة جارية رجل ايضا وكان يواصلها سرا فلما علم مولاها جاء الى مولى العبد فاخبره بذلك فضرب العبد وسجنه فتوله واطار عقله فدخلت عليه يوما فقلت له ما هذا الحال قد فضحتنا بهذه السوداء فهل عندها ما عندك فبكى وانشد

كلانا سواء فى الهوى غير أنها * تجلد احيانا ومابى تجلد
تخاف وعيد الكاشحين وانما * جنونى عليها حين أنهى وأوعد

فخرجت واعلمت مولاه فحلف لا يبيتن حتى يجمع بينهما فاشتراها باثنى عشر دينارا وزوجها منه *(وحكى)* عن ابن جعفر ايضا انه وجد بجارية عنده اسمها عمارة وجدا شديدا فكان لا يستطيع فراقها سفرا ولا حضرا فقدم على معاوية سنة من السنين لاخذ حقه فزاره يزيد

واخو الغرام بحبكم يتشرف * شرف النسيم فى هواكم انه
طورا يذوب وتارة يتلهف * صب اذا كتم الغرام ولم يبح
نمت عليه به الدموع الذرف
لطفت معانيه فهب مع الصبا * ورقيبه بهبوبه لا يعرف
لم يدر زورته الرقيب لانه * أخفى عليه من النسيم وألطف
وكانما يفد النسيم دياركم * وله على تلك الديار توقف

(قال عروة بن عبد الله) كان عروة بن أذينة الليثى نازلا فى دار أبى العقيق فسمعته ينشد لنفسه

ان التى زعمت فؤادك ملها * خلقت هواك كما خلقت هوى لها
فاذا وجدت لها وساوس سلوة * شفع الضمير الى الفؤاد فسلها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها * بلباقة فادقها وأجلها
لما عرضت مسلما لى حاجة * أخشى صعوبتها وارجو حلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبى * ما كان أكثرها لنا وأقلها
فدنا وقال لعلها معذورة * فى بعض رقبتها فقلت لعلها

فاتانى أبو السائب المخزومى فقلت له بعد الترحيب والبشر الك حاجة قال نعم أبيات لعروة بلغنى انك سمعته ينشدها فانشدته الابيات فلما بلغت الى قوله فدنا وقال لعلها معذورة طرب وصاح وقال هذا والله الدائم الصبابة الصادق لا كالذى يقول

ان كان أهلك يمنعونك رغبة * عنى فاهلى بى أضن وأرغب

لقد عدا الاعرابى طوره وانى لارجو أن يغفر الله لصاحب هذه الابيات لحسن ظنه بها وطلب العذر لها قال فعرضت عليه الطعام فقال لا والله ما كنت لاخلط بهذه الابيات طعاما حتى الليل وانصرف (وقال ابن رشيق)

تأذى بلحظى من احب وقال لى * اخاف من الجلاس ان يفطنوا بنا

فغنت الجارية بحضرته فاخذت بمجامع قلبه وتمكن حبها من نفسه وكان ذا دهاء فكتم أمرها فلما أفضت اليه الخلافة استشار أهل مصره فى امرها وانه لا يهنأ له قرار دونها فقالوا له ان ابن جعفر عند الناس بمنزلة وتعرف ما كان عليه مع ابيك ولا نأمن عليك فى ذلك فالزم المهلة واجتهد فى الحيلة فاخذ فى تدبير ذلك حتى ظهر له فاحضر رجلا عراقيا معروفا بالدهاء والحيل واطلعه على امره فقال له مكنى مما اريد ولك على ان آتيك بها فقال لك ذلك وسترى منى ما يسرك ثم أعطاه مالا وثيابا وجواهر وخرج العراقى كبعض التجار حتى نزل بساحة عبد الله ابن جعفر وبلغه فاحسن ملتقاه وأخذ العراقى فى التودد اليه فارسل اليه بقماش وجواهر وهدايا تزيد على ألف دينار وسأله قبولها فقبلها ونقله الى خواصه فزاد فى الهدايا الى ان صار من ندمائه فاحضر الجارية فلما غنت اعجب بها العراقى حتى قال ما ظننت ان فى الدنيا مثل هذه فقال له كم تساوى عندك قال الخلافة قال عبد الله تقول ذلك لتزين لى شأنها وتطلب بذلك سرورى قال يا سيدى أنا تاجر اجمع الدرهم الى الدرهم ولو بعتنيها بعشرة آلاف دينار لاخذتها قال قد بعتك قال اشتريت وقام العراقى فرحا بما ظفر به وبات ابن جعفر متفكرا فما أصبح الا وقد جاء العراقى بالمال فقال له ابن جعفر انما كنت مازحا فقال له يا سيدى انت تعلم ان المزح فى البيع جد وهذا لا يليق بمثلك وانت معروف بالكرم والصلات فكيف ترضى ان يشيع عنك مثل هذا وطال بينهما الكلام الى ان خدعه فاخرجها له وهو كالمجنون لا يملك نفسه فرحل بها من يومه واقام ابن جعفر حزينا باكيا لا يقر له قرار فلما دخل العراقى الشام وجد يزيد قد مات فاجتمع بولده معاوية فقص عليه الخبر وكان صالحا فقال له اخرج عنى بها فلا ترينى وجهك فخرج العراقى وكان قد قال للجارية انا لست من رجالك وانما اخذتك للخليفة فاستترت فلم ير لها وجها فلما قال له معاوية ما قال جاء اليها وقال قد صرت لى ولكن استترى فانى معيدك الى مولاك ثم رحل بها حتى دخل على ابن جعفر فلما تلاقيا أخبره بالقصة وانه لم يكن تاجرا ولكن كان مطلوبه الجارية ليزيد وانه حين رأى قد هلك لم ير نفسه اهلا لها فاعادها اليه ولم يراها وجها ثم أخذها فسلمها اليه فلما تلاقيا وتعانقا خرا مغشيين ساعة ثم ادخلها ورفع منزلة العراقى حتى صار اعظم الناس عنده ووهب له المال وانصرف واقاما على ما كانا عليه (وحكى) فى الاغانى عن ابن ابى مليكة عن جده قال كان فى المدينة رجل ناسك كثير العبادة فمر يوما بجارية تغنى شعر أعشى بنى قيس وهو

بانت سعاد فامسى حبلها انقطعا * واحتلت العود فالحدين فالفرعا

وانكرتنى وما كان الذى نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا

فهام حتى كاد ان يخرج عقله وذهب اليه عطاء وطاوس يلومانه فى ذلك فانشد

يلومنى فيك اقوام اجالسهم * فما أبالى اطار اللوم ام وقعا

وسمع ابن جعفر بذلك فاشترى الجارية باربعين ألف درهم ثم احضر الناسك وكان الصوت الذى سمعه من الجارية بتلحين عزة الميلاء فاحضرها وقال له تحب ان تسمع الصوت من صاحبته قال نعم فامرها فغنت فسقط مغشيا عليه فقال ابن جعفر قد اثمنا فيه الماء الماء فاتى بالماء فجعل ينضحه حتى افاق فقال له اسمعته من الجارية قال قد رأيت ما وقع لى منه مع من لا احبها فكيف منها فقال أتعرفها قال وهل اعرف غيرها فاخرجها له وسلمها اليه وقال هى لك والله ما رأيتها فقبل يديه ورجليه وقال قد اعدت عقلى واحييت نفسى ودعا له فقال يا غلام

وقال اذا كررت لحظك دونهم * على فما يخفى دليل مريبنا فقلت بلينا بالرقيب فقال ما * بلينا ولكن الرقيب بلى بنا

(وقال آخر)

ورقيب عدمته من رقيب
أسود الوجه والقفا والصفات
هو كالليل فى الظلام وعندى
هو كالصبح قاطع اللذات

(وسألت) فى وقت صاحبنا الشيخ برهان الدين القيراطى هل تحفظ شيأ مليحا فى هجو الرقيب فسكت لحظة وأنشدنى لنفسه

قال لى صاحب يروم قريضا
فى هجاء الرقيب فهو قبيح
عندكم فى الرقيب شئ مليح
قلت ما فى الرقيب شئ مليح

(وقلت) أنا من قصيدة

فديتك قد غاب الرقيب فغن لى
وقل فى ثقيل نحسه متغيب
رقيب نفى عن أرض ليلى عشية
وأخرج منها خائفا يترقب

(وقلت أيضا)

عاذلى فى الحبيب دعنى فانى
برحت بى فى حبه البرحاء
راقب الله فى محب حبيب
من نجوم السماء له رقباء

(وقلت) أيضا من قصيدة

فبت ولى شغل عن العذل شاغل
يذود الكرى عنى من السهد ذائد

(وقلت) أيضا من رسالة وأما الرقيب فامره عجيب وفاق الباب فى وجهه نصر من الله وفتح قريب فهو بالنهار من الذين يراؤون وبالليل ابن فاعلة لا ينام ولا يخلى الناس ينامون فاذاه اذا ورد من بعيد أقرب من حبل الوريد والعاشق بينه وبين العذول ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهو ان قعد قامت القيامة وان راح لا كتب الله عليه سلامة

* (فصل فى النمام والواشى وما اطرف ما سمعت فى ذلك) * قال لى عودى غداة رأونى * ما الذى تشتهيه واجتهدوا بى أجل

قلت مقلي به لسان وشاة * قطعوه فيه بصنع عجيب وأضافوا اليه كبد حسود * فقتث فوقها عيون رقيب

اجعل معه مثلهما لا وثيابا وطيبا يتطيب به فاخذ ذلك وانصرف (وحكى) انه كان ببغداد رجل من ذوى النعم فعشق قينة على أوفر ما يكون من الجمال والمعرفة بالغناء والضرب فانفق عليها ما معه حتى ضاق حاله فاشار عليه بعض اصدقائه ان يأذن لها فى الغناء عند الناس فانها مطلوبة و يحصل له بذلك الثروة فغم لذلك واخبره ان الموت عنده اسهل من ذلك وقالت له الرأى ان تبيعنى فتحصل من ثمنى على غناك أو اكون انا فى ثروة فانه لا يشترى مثلى الا غنى فحضر بها السوق فاشتراها هاشمى من اهل البصرة بالف وخمسمائة دينار فلما قبض المال وتفارقا صار كل منهما على اقبح حال من البكاء واجتهد فى الاقالة قال فخرجت لا أدرى الى اين اذهب اذ لا يمكننى الدخول الى البيت وقد أوحش منها فدخلت مسجدا فجعلت الكيس تحت رأسى ونمت فما انتبهت الا وشاب قد أخذ الكيس فقمت لاعدو خلفه فاذا رجلى مشدودة فما تخلصت الا وقد ذهب فاشتد ما بى فجئت فلففت وجهى والقيت نفسى فى دجلة طالبا ان أغرق فاستنقذنى الحاضرون ظانين انى وقعت غلطا فلما أخبرتهم بقصتى فمنهم من عنف ومنهم من رحم فخلا بى شيخ منهم فوعظنى وقال لست أول من افتقر بعد غنى اما كفاك ذهاب مالك حتى تذهب نفسك وتصير فى النار فسكن ما بى قليلا ثم عاودنى القلق فاخبرت صديقا لى فاعطانى خمسين درهما واشار على ان اخرج من بغداد فعسى ان اجد من اكتب عنده من الا كابر لحسن خطى فعزمت على واسط لان لى بها اصدقاء من الكتاب فجئت فرأيت زلالا مهيأ فطلبت النزول معهم فقالوا انه لك بدرهمين ولكن الزلال لهاشمى لا يريد معه غيره يا فتى يا بزينا كانك بعض الملاحين فوقع بقلبى ان الزلال للذى اشترى جاريتى فاتسلى حينئذ بصوتها الى واسط فاشتريت الجبة ولبستها كالملاحين فما وقفت الا وجاريتى قد اقبلت ومولاها فضربت لها ستارة فلما انحدروا وجاء العشاء أكلوا وشربوا فقال للجارية الى كم هذا الحزن والمدافعة عن الغناء أأنت اول من فارقت مولاها والحوا عليها فاخذت العود وغنت

بان الخليط بمن علمت فادلجوا * عمد القتال ثم لم يتحرجوا
وغدت كأن على ترائب نحرها * جمر الغضى فى ساعة يتأجج

ثم غلب عليها البكاء ونهضت فانتفضت وصرعت فنضحوا على الماء واذنوا فى اذنى فافقت ولم يزالوا يتلطفون بها حتى عادت فغنت

فوقفت انشد بالذين احبهم * وكأن قلبى بالشفار يقطع
فدخلت دارهم أسائل عنهم * والدار خالية المنازل بلقع

فشهقت فكادت تتلف وصرعت فقالوا كيف جلستم مجنونا اطرحوه فلحقنى امر عظيم فتصبرت فلما اشارف القوم المنزل فى بعض الطريق أوقفوا الزلال وصعدوا يتنزهون وخلا الزلال فعمدت على غفلة الى العود فاصلحته على طريقة معروفة بينى وبينها فلما رجعوا وكان الوقت مقمرا تلطفوا بها وقالوا ترين ما نحن عليه فى هذا الوقت فبالله عليك الا ما انشرحت معنا فاخذت العود فشهقت شهقة منكرة ثم قالت هذا العود على طريقة كان يحبها مولاى و يضرب معى وانه لمعنا فقالوا لها والله لو كان معنا ما امتنعنا عن عشرته ليخفف ما بك فقالت هو معنا لا محالة فقالوا للملاحين هل حملتم احدا واشفقت ان ينقطع السؤال فقلت انا يا سيدى فاحضرنى وقال انى والله ما وطئتها وانا رجل قد وسع الله على ما اخذتها الا

لاتسمعي قول الوشاة فانهم * زادوا الكلام ونقصوه وتمموا فناى ان ترضي ولو عنيتي * أي والطلاق ثلاثة لي يلزم

وهذا ماخوذ من كلام بعض العشاق وقد قيل له ما الذى تشتهيه فقال أعين الرقباء وألسن الوشاة وأكباد الحساد

وقال الآخر

لى عندكم يوم التواصل دعوة
يا معشر الجلساء والندماء
أشوى قلوب الحاسدين بها وأا
سنة الوشاة وأعين الرقباء

وقال صلى الله عليه وسلم أبغضكم الى المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة وقال صلى الله عليه وسلم أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الاذى منهم رجل يأكل لحوم الناس ويمشى بالنميمة

(وقال وضاح اليمنى)

فاعص الوشاة فانما
قول الوشاة هو الفتن
ان الوشاة اذا أتو
ك تنصحوا ونهوك عن

(حكى) انه غنى مغن بحضرة السلطان عماد الدين زنكى صاحب الشام بقول الشاعر

و يلى من المعرض الغضبان اذ نقل الا
واشي اليه حديثا كله زور
سلمت فازور يثنى قوس حاجبه
كأنى كأس خمر وهو مخمور

فاستحسنهما السلطان وقال لمن هما فقيل لابن منير فامر باحضاره ليتخذه نديما ويجعل له من حضرته مقاما عظيما

(وقال السرى)

والقائل بالشر والجميل مداهنا
فلى منك خل ما علمت مداهن
انم بما استودعته من زجاجة
يرى الشئ فيها ظاهرا وهو باطن

(وقال شهاب الدين بن الاثير)

انى بحبك مستهام مغرم
وسوى هواك على القلوب محرم

لسماع غنائها فكن معنا الى منزلنا فاعتقها واتزوجك بها ولا اريد منك الا ان تحضرها كل ليلة وراء ستارة فنسمع غناءها وتنصرف فقالت كيف امنع ذلك عنك وانت سبب حياتي فقال للجارية ارضيت بذلك قالت نعم وشكرته وزاد سروره فجعلت تغني وانا اقترح عليها الاصوات فتضاعف سرور الرجل ودمنا على ذلك حتى بلغنا سر من رأى ليلا ونحن ثملون فصعدت حتى ربطت الزلال لقضاء الحاجة فاخذني النوم ولم يدر بي حتى سافر فافقت بحر الشمس فلم اجدهم وعدت الى المحنة فعاز بي سمارية فنزلت معهم الى البصرة فدخلتها لم اعرف بها موضعا ولا احدا ولم اكن سألت الرجل عن اسمه ولا موضعه فرأيت رجلا من بغداد مارا فقمت لاشكو اليه حالي ففاتني فتبعته حتى عرفت موضعه وجئت الى بقال فاخذت منه ورقة لاكتب حالي الى الرجل فاستحسن البقال خطي واسترث حالي وسألني عنه فلم اشرح له اكثر من انه لم يبق في يدي شئ فقال هل لك ان تكتب عندي في كل يوم بنصف درهم وما تحتاج اليه فتضبط مالي فاجبته فرأى بعد شهر الزيادة بضبطي وحفظي ما كان يسرق له فزادني اكرامي فزوجني بعد حول بابنته واشركني في ماله غيراني في خلال ذلك منكسر النفس حزين القلب فلما كان ذات يوم رأيت الناس مجتازين بانواع الزينة فسألت عن ذلك فقيل عيد الشعانين للنصارى والناس تخرج للفرجة فوقع في نفسي ان اخرج معهم وان عسى ان اظفر باصحابي فاستأذنت الرجل فاصلح لي ما احتاج اليه وخرجت فما وصلت الا والزلال بعينه في اواسط الناس فلم املك ان طرت اليهم فحين راوني فرحوا بي وقالوا نحن منذ فقدناك شككنا انك غرقت فخرجت الجارية من ثيابها وكسرت العود وجزت شعرها فلما وصلنا البصرة خيرناها فيما تريد فاختارت لبس السواد وتمثيل قبر تجلس عنده تبكي ثم اخذوني وادخلوني عليها وهي على تلك الحالة فلما رأتني شهقت شهقة ما شككت في موتها فلما افاقت قال مولاها قد وهبتها لك قلت لا ولكن افعل ما تقدم من العتق والتزويج ففعل بالشروط السابقة واعطاني ثيابا وخمسمائة دينار وقال هذا مقدار ما كنت أجريه عليك الى اليوم وهو مستمر لك فبعثت الى البقال فاعلمته بذلك وطلقت ابنته واقمت مع الجارية في احسن حال (وحكى) ان جعفر بن يحيى حين قدم البصرة مع الرشيد قال لاسحق بن ابراهيم قد بلغني ان هنا جارية لم ير مثلها لكن لا يريها مولاها الا في بيته فاخرج بنا ننظر اليها فخرجنا والنخاس مستخفين حتى طرقنا الباب فخرج شاب متغير اللون في ثوب خشن فادخلنا دارا خربة ففرش لنا حصيرا واجلسنا ودخل فخرجت جارية بذلك الثوب الا انها تفوق الشمس حسنا وجمالا فاخذت العود وغنت

ان يمس حبلك بعد طول تواصل * خلقا وبيتك موحشا مهجورا
فلقد أراني والجديد الى البلا * دهر ابوصلك راضيا مسرورا
كنت المنى واعز من وطئ الحصى * عندي وكنت بذاك منك جديرا

ثم غلبها البكاء حتى منعها الغناء فنهضت الى البيت تعثر في القميص فسمعنا لهما بكاء وشهيقا ثم خفيت اصواتهما حتى ظننا انهما ماتا ايضا ثم خرج الشاب بالثوب بعينه وقال اشهدكم انها حرة واريد ان تزوجوني بها ففعلوا وغم جعفر امرهما وقال له ما حملك على هذا قال حديثي طويل ان شئت حدثتك به قال قل فقال انا ابن فلان وقد كنا من ذوي النعم وهذا يعرف ذلك واشار الى النخاس ثم قال وكانت هذه الجارية لامي فنشأت انا واياها فادخلنا المكتب

(وقال آخر) شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستبيح دم الحجاج في الحرم خصاله است احصيها الاكثرها
لكنها جمعت في نون والقلم

يشير الى قوله تعالى هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم وجاء في التفسير ان الهماز الذي يهمز الناس اي يذكرهم بالمكروه ويأكل لحومهم بالطعن والغيبة وعن الحسن هو الذي يلوي شدقيه في أقفية الناس وقيل الهمزة المؤاخذ بالمواجهة واللمزة بظهر الغيب وقيل بالعكس وقيل الهمزة جهرا واللمزة سرا بالحاجب والعين والنمام ناقل الكلام السيئ وقد أكثرت الشعراء من ذمه وخالفهم ابن رشيق فقال

لم كره النمام اخواننا
أساء اخواني وما احسنوا
ان كان نماما فمكوسه
من غير تكذيب لهم مأمن

(وقال آخر)

اسمع نصيحة عارف
جمع النصيحة والمقه
اياك واحذران تكو
ن من الثقات على ثقه

(وقال آخر)

ومجلس راق من واش يكدره
ومن رقيب له باللوم ايلام
ما فيه ساع سوى الساقي وليس به
بين الندامى سوى الريحان نمام

(وقال آخر)

لا افتضاحي في عوارضه
سبب والناس لوام
كيف يخفى ما اكابده
والذي أهواه نمام

(وقال الشيخ صدر الدين بن الوكيل)

أخفيت حبك عن جميع جوارحي
فوشت عيوني والوشاة عيون
و وددت ان جوانحي وجوارحي
مقل تراك وما لهن عيون
ياليت قيسا في زمان صبابتي * حتى اريه العشق كيف يكون

فيرعينا

فبرعنا في الادب واخرجت هي لتعليم الغناء فلم اطق فراقها فصرت معها فلما برعت فيه طلبت أمي بيعها فايقنت بالموت فصدقتها الخبر فوهبتها الى وجهزوها الى ودخلت بها بعدان امتنعت من تزويج بنات الاكابر واظهرت الزهد والعفة كل ذلك لقصور شهوتي عليها والناس يظنونه عفة فاقمنا في ارغد عيش الى ان مات ابي فلم احفظ النعمة فانفقت الاموال واكثرت من الهبة واسرفت حتى لم يبق عندي الا هذا الثوب أتناوبه انا واياها فاشفقت عليها فقلت لها حين دخل الخليفة الرأى اني ابيعك واعلم اني هالك اثر ذلك ولكني اختار ان تعيشي بخير فلما عرضت عليكم ودخلت الى قالت لو كان عندك مني ما عندي منك ماذكرت بيعا فقلت أتحبين ان اعتقك واتزوج بك وتقيمي معي على هذا الحال فقالت ان كنت صادقا في الحب فافعل فخرجت وفعلت ذلك فعذره جعفر قال اسحق فلما ركبنا قلت له انك تبذل الأموال وتغني المحاويج افلا ترق لهذا قال بلى ولكن قد غبت القوت الجارية ثم التفت الى النخاس وقال كم صحبت من المال قال ثلثمائة الف دينار قال ادفعها اليه وامره ان يأتيني غدا فلما اعطاه النخاس المال واخبره ان الذي كان عنده جعفر وانه يدعوك اليه كادان يطير فرحا واقبل اليه من الغد وقد تزين فأخبر به الخليفة فأجرى عليه رزقا وجعله من الكتاب لما رأى عنده من الظرف والادب وامر كلا من العسكر ان يهاديه ففعلوا واقام في النعم (واغرب من ذلك) ما حكى ان اندلسيا كان مغرما بجارية يحبها حبا شديدا وانه أراد بيعها لوحشة فلما حقت الصفقة كادان يطير عقله فحكم المشتري في ماله فأبى فتشفع عنده باكابر بلدته فلم يجب فمضى الى الملك واخبره بحاله فأحضر المشتري وشفع عنده وبذل له مالا كثيرا فامتنع وادعى محبتها فلما رأى الاندلسي اليأس منها القى نفسه من شاهق فأبهت الملك وامر ان يأتي فقدرانه لم يصب بشئ وجيء به الى الملك فقال الله اكبر قد ظهر الحكم في ذلك ثم قال للمشتري قد رأيت ما فعل هذا من حبها فان كنت تحبها كما تقول فافعل كفعله فان عشت فانت احق بها فقال افعل ثم هم بذلك ورجع فأمران يلقى غصبا فلما حقق ذلك قال اعطيته اياها فأخذت منه واعيدت الى مالكها (وحكى) ان المأمون افتتن بجارية من جوارى ابيه الرشيد وكان يكتم امره وكانت من خواص الخدمة فبينما هي يوما تصب على يديه وقد التفت اذ أشار اليها المأمون بقبلة فغمزته مشيرة بحاجبها الى انها خائفة ففترت في صب الماء ففطن الرشيد فحلف ان لم تخبره ليفتكن بها فأعلمته فنظر الى المأمون وقد كادان يقضي من الخوف فضمه وسكن ما به ثم قال له اتحبها قال نعم قال قم فاختل بها في هذه الخلوة ففعل فلما خرج قال له انشد في هذه فأنشد

ظبي كنيت بطرفي * عن الضمير اليه
قبلته من بعيد * فاعتل من شفتيه
وردا خبث رد * بالكسر من حاجبيه
فابرحت مكاني * حتى قدرت عليه

(وحكى) ان ابراهيم بن المهدي زمن اختفائه من المأمون مكث عند عمته علية بنت المنصور وكان عندها جارية قد احسنت تأديبها وتعليمها حتى صارت من الطف اهل زمنها وكانها بخدمة ابراهيم فعلقها وزاد به الوجد وهو يكتمه حياء حتى سكر يوما فغنى

يا غزالا لي اليه * شافع من مقلتيه
والذي اجللت خديه فقبلت يديه

أقول هذا باب عقدناه لذكر معاتبة ألذ من الاماني وبث هوى أرق من النسيم المتوالي نعم في العتاب فوائد جمة وازالة كرب فلا يكن أمركم عليكم غمة وهو على أقسام عتاب هو في تأكيد المودة يحصل الحاصل وعتاب لتكذيب الناقل وعتاب لتمييز الحق من الباطل ومن المعلوم ان للعتاب بين الاحباب أصلا وفصلا وقطعا ووصلا لا بد منه ولا غناء عنه اللهم الا عند من لا يراه البته ولا يعاتب الحبيب الا فلته كالبحتري حيث يقول

أعاتب الحب فيما جاء واحدة
ثم السلام عليه لا أعاتبه

وفي أمثال العرب أسوأ الآداب كثرة العتاب (وقال الاحنف) العتاب مفتاح التقالي والعتاب خير من الحقد (وقد قال بشار في تقليل العتاب)

اذا كنت في كل الامور معاتبا
صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
اذا كنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت وأي الناس راقت مشاربه

(وقال سعيد بن حميد الكاتب)

أقلل عتابك فالبقاء قليل
والدهر يعدل مرة ويميل
ولعل أيام الحياة قصيرة
فعلام يكثر عتبنا ويطول

(وقال آخر)

وبعض العتاب اذا ما رفعت
يباعد هجرا ويدني وصالا
فعاتب اخاك ولا تجفه
فان لكل مقام مقالا

(ومن أظرف ما سمعته في من جفا من الاحباب ثم بادر بالعتاب قول بعضهم)

عتبت على ولا ذنب لي
بما الذنب فيه ولا شك لك
وحاذرت لومي فبادرتني * الى اللوم من قبل ان أبدرك
فكنا كما قيل فيما مضى * خذ اللص من قبل ان يأخذك (ومنهم)

تهوى بتعداد الذنوب
ما نافش الاحباب الا
من يعيش بلا حبيب
ومنهم من يراه ولا يأباه كما قيل
تصالح عاشقان على عتاب
فما افترقا الى يوم الحساب
فلا شئ كوصل بعد هجر
ولا شئ ألذ من العتاب
فلا هذا يمل حديث هذا
ولا هذا يمل من الجواب
(وقال آخر)
واحسن ايام الهوى يومك الذى
تروع بالهجران فيه و بالعتب
اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا
فاين حلاوات الرسائل والكتب
(كتب) الحسن الى غلام كتابا يستعطفه فوقع الغلام فى كتابه يزاد هجرا الى يوم القيامة فقال الحسن
كتبت الى الحبيب ببيت شعر
أعاتبه فاغضبه جوابى
أجبنى يا ملول على كتابى
فان النفس تسكن بالجواب
فوقع فى الكتاب يزاد هجرا
وابعادا الى يوم الحساب
(وذكرت هنا قول ابن رشيق)
وظبى من بنى الكتاب يسبى
قلوب العاشقين بمقلتيه
رفعت اليه استقضى رضاه
وأساله خلاصا من يديه
فوقع قد رددت فؤادهذا
مسامحة فلا يعدى عليه
(وقال الشيخ العلامة أبو الثناء شهاب الدين محمود مضمنا)
و يثنا على حكم الصبابة مطمعى
زفيرى واحشائى وشربى المدامع
وحبى يعاطينى كؤس ملامة
و انشدنى و الهم للقلب صادع أتطمع من ليلى بوصل وانما تقطع اعناق الرجال المطامع

بابى وجهك ما اكثر حسادى عليه انا ضيف وجزاء الضيف احسان اليه

ففطنت لطافها بما أراد فأخبرت مولاتها فوهبته اله فلما رآها مقبلة اعاد الصوت فقبلت رأسه فنهاها فأخبرته أنها له فقرت عينه (وحكى) ان رجلا مكيا كان عنده جارية وكانت على أحسن صورة وألطف هيئة قد كملت فوق حسنها بالبراعة بالغناء والضرب حتى ان الناس كانوا يقصدون الحج لينظروا اليها لانه كان لا يخرجها الا زمن الموسم يطلب فيها الزيادة وانه كان بمكة فتى ناسك قد عرف عند الناس بالعبادة فوقع عنده من حب الجارية ما غير حاله وهيج بلباله وانحل بدنه وأهاج شجنه فكان يقنع فى كل سنة بالنظر اليها زمن الموسم ثم يمكث باقى السنة عليلا فى بيته فدخل عليه صديق له فعاين من حاله ما حير قلبه و اطار لبه فتلطف به حتى عرف أمره وما هو عليه من امر الجارية ورغب اليه أن لا يفشى سره فخرج حتى اجتمع بمولاها فحدثه القصة فزينها واخرجها كيوم الموسم فلما اجتمع الناس قال اشهدكم أنى وهبت هذه الجارية لهذا الفتى فقيل له كيف تفعل هذا وقد بذلت فيها الاموال قال دعونى انى احييت كل من على الارض لان الله يقول ومن احياها فكأنما أحيا الناس جميعا (وحكى) عن الحرث بن سليمان قال كنا بمجلس سليمان بن عبد الملك فأتاه سعيد بن خالد فقال له انا اشكو اليك من ظالمى وانتقص حرمتى قال من قال موسى شهوات قال على به فاحضر فقال له انت شتمت هذا قال لا وأيد الله أمير المؤمنين انما مدحت ابن عمه فاغتاظ فقال سليمان وعلام مدحته قال موسى يا أمير المؤمنين عشقت جارية حتى كادت نفسى تتلف فى حبها ولم اكن اقدر على ثمنها فشكوت حالى الى أصدقائى فلم يجبنى احد فشكوت اليه فاستمهلنى ثلاثا فأتيته وهو جالس فقال للغلام عنده اخرج الوديعة فاذا بالجارية فقال هذه طلبتك قلت نعم فقال تسلمها ثم قال للغلام أخرج ما عندى من النفقة فأخرجها فاذا هى مائة دينار فصرها مع طيب فى ملحفة ودفع الكل الى فقال سليمان وما قلت فيه فأنشد

أباخالد أعنى سعيد بن خالد * أخا العرف لا أعنى ابن بنت سعيد
ولكننى أعنى ابن عائشة الذى * أبو أبويه خالد بن أسيد
عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى * فان مات لم يرض الندى بعقيد
دعوه دعوه انكم قد رقدتم * وما هو عن احسانكم برقود

فأحضره سليمان وقال أحق ما يقول عنك موسى قال قد كان ذلك فقال كم عليك من الديون قال ثلاثون الفا قال هى لك ومثلها وثلث مثلها قال موسى فلقيته صبيحة اليوم فقلت كم عندك من المال قال والله لم يبق منه شئ قلت ففيم أنفقته قال فى تفريج عن صديق واعطاء محتاج وصلة رحم (وحكى) عن الربيع قال سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول اشتريت جارية وكنت أحبها فاقول لها

ومن السعادة أن تحب * وأن يحبك من تحبه
ومن الشقاوة أن تحب * ولا يحبك من تحبه
(فتقول) و يصدعنك بوجهه * وتلح أنت فلا تغبه

(وحكى) عن ابراهيم بن ميمون قال حججت فاذا أنا بسوداء قائمة ساهية فانكرت حالها فمكثت ساعة ثم انشدت

أعمرو علام تجنبتني * أخذت فؤادي وعذبتني

فلو كنت يا عمرو اخبرتني * أخذت حذاري فما نلتني

فقلت لها ومن عمرو قالت زوجي أوهمني انه يحبني حتى تزوجته وعندي من الحب له ما عنده لي فتركني ومضى الى جدة فقلت هل لك أن أجمع بينكما قالت ومن لي بذلك فمضيت حتى وقفت بالساحل فصرت أنادي من يخرج من المركب يا عمرو وكانت قد وصفته لي بانه احسن ما أدري فاذا أنا بفتى على ما وصفت فانشدته الشعر فقال قد رأيتها قلت فما يمنعك منها قال والله عندي أضعاف ما عندها وانما منعني الاكتساب قلت فكم يكفيك في كل سنة قال ثلثمائة درهم فاعطيته ثلاثة آلاف درهم وقلت هذه بعشر سنين فاذا فنيت أو قاربت فائتني أوجه اليك بمثلها ثم جمعت بينهما فكان أعظم عندي من الحج (وحكى) ان بعض التجار قدم لاصدقائه طعاما وفيه ديكبريكة وقال ابن الجوزي سكباج وأبى أن يأكل معهم فامتنعوا الاجله فقال كلوا فلولا أذى يلحقني منها الا كلت ثم عاود نفسه وقال أتحمل وآكل فلما فرغوا وجيء بالغسول غسل يده أربعين فقالوا له ابك وسواس قال لا ولكن هذا الاذى الذي قلت لكم وله حديث عجيب قالوا وما هو قال اوصاني أبي وكان من ذوي النعم ولا وارث له غيري أن أحسن الانفاق والتكسب وأن أسبق الى السوق واتجر فيه فحفظت ما قال فبينا أنا يوما في السوق سحرا وقد عرفني الناس بذلك فكان ربما يأتي ذو حاجة في وقت لا يجد غيري فاقضيها فاكتسبت بذلك مالا وجاها فبينا أنا يوما جالس اذا بامرأة على حمار وخادم يمسكه فنزلت عندي فرحبت بها فرأيت نعمة وشكلا بهرني فقلت ماذا تريدين قالت ثيابا صفتها كذا فقلت اجلسي حتى يتكامل الناس وقد ذهبت عقلي وأطارت لبي فجمعت لها ثيابا بخمسة آلاف درهم فاخذتها وانصرفت ولم تعطني شيأ ولم أطق من دهشتي ان أقول لها في ذلك ووقع عندي أنها محتالة فقلت أبيع ما عندي وأعطي الناس والزم بيتي فمضى على ذلك أسبوع فبينا أنا جالس اذ أقبلت على العادة فقمت وأجلستها ونسيت ما كان عندي فقالت قد أبطأنا عليك فقلت رفع الله قدرك عن هذا فأخرجت المال جميعه فأعطيته لاربابه مع ما ربحت في ذلك ثم طلبت ثيابا بألف دينار فاخذتها ومضت فعاودني ما مضى فأبطأت فقلت والله هذه حيلة أوفت خمسة آلاف درهم وأخذت ألف دينار ثم طالت غيبتها شهرا وطالبني الناس فعزمت على بيع عقاري ومالي اوقال بعت وأوفيت واذا هي قد أتت على العادة ونزلت عندي فأنسيت ذلك فأخرجت المال جميعه وطلبت غيره فشاغلتها باحضار التجار فقالت هل لك زوجة قلت لا والله وطمعت فيها فأخذت خادمها على خلوة وأرغبته في ان يكلمها فضحك وقال هي والله أعشق منك لها فرجعت وكانها في ذلك فضحكت وقالت الخادم يأتيك برسالتي ومضت ولم تأخذ شيأ اذ لم يكن بها حاجة من الاصل الا العشق فما كان بعد أيام حتى جاء الخادم فأكرمته وشرح لي انها مملوكة لام المقتدر وقد رغبت في جمالها فهي ريحانة فلما آفت بك مضت فشكت اليها حبك ورغبت اليها ان تزوجها بك فأبت دون أن تراك وقد أخذوا في حيلة يدخلونك بها اليها فان تمت تم أمرك وهي أن تجلس الليلة بمسجد كذا فمضيت اليه فلما كان السحر اقبل خدام معهم صناديق فوضعوها واذا أنا بالخادم والجارية فأدخلوني في صندوق منها وجعلوا في الباقي ثيابا وحملوها الى الدار فلما جازوا بطبقة من البوابين يريدون ان

فبت كأني ساورتني ضئيلة * من الرقش في أنيابها السم ناقع

قلت هذا التضمين فيه نظر وقبره لان أعتبر وكيف لا وقد مزج قائله السم بالرضاب والحق الحبيب بالحباب فاصبح وقد ضاقت عليه الحيلة وشبه ثغر محبوبه بانياب ضئيلة فقابل صفو عتابه بالكدر فيا قلبه القاسي أحديدا انت أم حجر وما أظنه ملأ كؤس هذا الملام الا من ملام أبي تمام حيث تجاوز الحد في الاستعارة وخرج وعلى كتفه من الملام كاره فقال

لا تسقني ماء الملام فانني

صب قد استعذبت ماء بكائي

فهلا تنزه عن الانخراط في هذا السلك واقتدى بقول ابن سنا الملك

وأملي عتاب يستطاب فليتني

أطلت ذنوبي كي يطول عتابه

وفي غزلي ذكر العذيب وبارق

وما هو الا ثغره ورضابه

او تخلق باخلاق الناس وتأسى بقول أبي فراس

اساء فزادته الاساءة حظوة

حبيب على ما كان منه حبيب

يعد على الواشيات ذنوبه

ومن أين للوجه المليح ذنوب

على أنه رحمه الله يجوز أن يكون قصد معنى جليل القدر فحينئذ يكون كلامي

حديث خرافة يا أم عمرو

وكم من عائب قولا صحيحا

وآفته من الفهم السقيم

(وقال الآخر)

واذا الحبيب اتى بذنب واحد

جاءت محاسنه بالف شفيع

(واحسن منه) قول عتيق بن محمد الوراق

كلما اذنب ابدى وجهه

حجة فهو ملي بالحجج

كيف لا يفرط في اجرامه

من اذا شاء من الذنب خرج

(وقال الحكم بن قنبر المازني)

كأنما الشمس من أعطافه لمعت

مستقبل بالذي يهوى وان كثرت * منه الاساءة معذور بما صنعا

يفتشوا ذلك فتمنعهم حتى عارض خادم وقال لا بد من تفتيش هذا الصندوق فادركني من الخوف ما اصاب معه البول مني فصاحت افسدت المتاع وكسرت عليه اواني ماء الورد فقال اذهبي فضوا حتى اخرجوني في خلوة وجعلت تطعمني وتسقيني حتى اتني يوما فعرضتني على السيدة فرضيتني لما فاحتالت في خروجي وامرتني بأن اتزين في احسن زينة الى باب الخلافة ففعلت فأخذوني واجلسوني في بيت وجعلوا يدخلون ويخرجون ويذكرون ان هذا وقت زفاف فلانة على البزاز يذكرون صاحبتي ففرحت فرحا طار عقلي غير اني جعت جوعا احرق احشائي واستطعمت الخدام فلم يطعموني لانهم لم يعرفوني حتى جاء خادم يعرفني فشكوت اليه الجوع فقدم لي ديكبريكة فأكلت وغسلت يدي غسلا ظننت معه النقاء فلما خلوت بها رفستني وقالت عجبت كيف تفلح وانت عامي سفلة وهمت بالخروج فتعلقت بها واخبرتها القصة ثم قلت يلزمني صوم الابد والحج ماشيا والطلاق والعتاق وصدقة مالي ان لا آكلها بعد اليوم الا واغسل يدي اربعين مرة فضحكت ودعت بطعام وشراب فأكلنا وشربنا ولما مضى أسبوع اعطتني مالا وامرتني ان اشتري به دارا فاشتريت وتحولنا وقد صحبت نعمة عظيمة فأقمنا على احسن حال (وحكى) التنوخي في المستجاد ونقله في نديم المسامرة قال حمل الى المأمون من البصرة عشرة قد رموا بالزندقة فلما اجتمعوا للنزول في السفينة جاء طفيلي فنزل معهم وقال ما اظن هؤلاء اجتمعوا الا لوليمة فلما قيدوا اندم وعلم ان لا خلاص له فحين ضربت اعناقهم وكان المأمون يعرفهم سأل عنه فقالوا لم نعرفه فسأله فقال زوجتي طالق ان كنت اعرف منهم احدا والهم وانما رأيتهم مجتمعين فظننت انها وليمة فقال المأمون يبلغ التطفل باصحابه الى هذا عزروه لئلا يعود الى مثلها فقال ابن المهدي هبه لي يا امير المؤمنين واحدثك عن التطفل بحديث عجيب قال وهبته لك فحدثني قال يا امير المؤمنين ركبت يوما حتى مررت بموضع فشممت رائحة طعام وأبازير ما شممت مثلها قط ورأيت معصما من الشباك اخذ بقلبي ايضا فاشتهيت ان آكل منه وأخذت في الحيلة اذ لم أكن اعرف احدا من اهل المكان فجئت الى خياط قريب من المنزل فسألته عن اسم صاحب المكان فقال لي عن اسمه وانه تاجر يحب عشرة مثله فقلت ايشرب الخمر قال نعم واظن عنده اليوم جماعة من أصحابه فكنت ساعة فاذا هم مقبلون فقال لي هؤلاء اصحابه فحركت دابتي حتى لحقت بهم فقلت قد ابطأتم وفلان ينتظركم ثم دخلنا وهم يظنون أني من جماعة صاحب المنزل وهو يظن اني معهم فأكرمني كل منهم وقدم الطعام فأكلنا فقلت في نفسي هذا الطعام قد قضيت منه شهوتي وبقي الكف والمعصم ثم رفع الطعام ووضع الشراب وجاءت جارية ومعها عود فغنت

توهمها طرفي فأصبح خدها * وفيه مكان الوهم من نظري أثر

وصافحها كفي فآلم كفها * فمن ضم كفي في انامها عقر

فهيجت بلابلي وطربت لحسن شعرها ثم غنت ايضا

اشرت اليها هل عرفت مودتي * فردت بطرف العين اني على العهد

فحدت عن الاظهار عمدا لسرها * وحادت عن الاظهار ايضا على عمد

فصحت وطربت وطرب القوم حتى لم نملك نفوسنا ثم غنت ايضا

اليس عجيبا ان بيتا يضمني * واياك لا نخلو ولا نتكلم

حسنا او البدر من ازراره طلعا

في وجهه شافع يمحو اساءته

من القلوب وجيه حيثما شفعا

وهذا مأخوذ من قول أبي نواس في سياقه

وجهي اذا اقبلت يشفع لي

وبلاطرفك حسن ما خلقي

وفيه زيادة بذكر ما خلقها ولكن بيت الحكم احكم بناء وأعذب ثناء

(وقال أبو فراس)

قل لاحبابنا الجناة علينا

درجونا على احتمال الملال

أحسنوا في فعالكم او أسيئوا

لا عدمناكم على كل حال

(وقال ايضا)

الا أيها الجاني ونسأله الرضا

ويا أيها المخطي ونحن نتوب

لحا الله من يرعاك في القرب وحده

ومن لا يرد الغيب حين تغيب

(وقال الآخر)

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم

وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

(وقال الآخر)

واذا ما غضبت يوما عليه

لذنوب يطول فيها المقال

عطفتني عواطف الحب حتى

أترضاه كي يزول الملال

(وقال الآخر)

حججي عليك اذا خلوت كثيرة

واذا حضرت فانني مخصوم

لا استطيع اقول انت ظلمتني

والله يعلم انني مظلوم

(وقال الفراء)

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى

فؤادي ولكن للعتاب مواضع

(وقال ابن المعتز)

إقبل معاذير من يأتيك معتذرا

إن بر عندك فيما قال او فجرا

فقد اطاعك من يرضيك ظاهره * وقد اجلك من يعصيك مستترا

سوى اعين تبدى سر اثر انفس * وتقطيع انفاس على النار تضرم
اشارة افواه وغمز حواجب * وتكسير اجفان وكف تسلم

فسدتها على الحذق والاصابة غير انى قلت بقى عليك شئ فرمت العود وقالت متى كنتم تحضرون فى مجالسكم البغضاء فقالوا منى فقلت قد فاتنى ما امات ان لم ائتلاف فلو بهم فقلت هل عندكم عود قالوا نعم واحضروه فاحكمت اصلاحه وغنيت

ما للمنازل لا تجيب حزينا * أصممن ام قدم البلا فبلينا
لا بل بلين فهن داسا كنا * لمتيم واثرن منه دفينا
راحوا العشية روحة مذكورة * ان متن متنا او حيين حيينا

فقبلت عند ذلك يدى وقالت معذرة اليك وزاد القوم فى اكرامى فلما رأيت مزيد بسطهم اندفعت ايضا فغنيت

افى العدل ان تمسين لا تذكرينى * وقد سجمت عيناى من ذكرك الدما
الى الله اشكو بخلها وسماحتى * لها عسل منى وتبذل علقما
فردى مصاب القلب انت سلبته * ولا تتركيه ذاهل العقل مغرما
الى الله اشكو انها اجنبية * وانى لها ما عشت بالود محرما

فرأيت من طرب القوم ما فارقوا به عقولهم فامسكت عنهم خشية ان يتلفوا ساعة ثم غنيت

هذا محبك مطوى على كمده * وجدا مدامعه تجرى على جسده
له يد تسال الرحمن راحته * مما به ويد اخرى على كبده
يا من راى كلفا فى حبه دنفا * كانت منيته فى عينه ويده

فقالت الجارية هذا والله الغناء لا ما نحن فيه وسكر القوم حتى غابوا الا صاحب المنزل لجودة شربه فأمر بحملهم الى منازلهم وخلانى فسألنى من انا فاخذت اورى فاقسم على الا ما عرفته بنفسى وقال وقد ذهب أكثر عمرى هدرا اذلم أعرف مثلك فلما عرفته بنفسى وثب قائما وقال لا اقضى باقى ليالى فى خدمتك الا قائما فاقسمت عليه ان اجلس فجلس واخذ يستخبرنى عن سبب مجيئى فاخبرته بالقصة حتى انتهيت الى انه لم يبق على الا المعصم فقال تناله ان شاء الله تعالى وعرض على جوار يه فلم أر الغرض فقال يا سيدى لم يبق عندى الا امى واختى فقلت ابدأ باختك فاتى بها فاذا هى الغرض فقلت هاهى فقال قد والله أقررت عينى ثم دعا بالشهود من ليلته فعقدلى عليها وأدخلنى بها فلما أصبحنا حول معها متاعا لا يوجد مثله الا عندك يا أمير المؤمنين وهذا ولدى فلان منها

(القسم الخامس فى ذكر من وسموا بالفساق من العشاق) وهؤلاء هم الذين وقعوا فى المعاصى أو هموا بها فسموا الفساق لجلالة العشق وعظمته عند اهله فانهم يرون تصور السلو معصية بل تصور وخطور غير المحبوب فى الذهن كذلك ولا نعلم أحدا حقق هذا المناط للسالكين وبينه حق البيان للمتمسكين أجل من العارف الجامع لحقائق المعارف سيدى عمر ابن الفارض أعاد الله علينا من مدده حيث يقول

ولو خطرت لى فى سواك ارادة * على خاطرى سهوا قضيت بردتى

فان الخطور مجرد جواز الميل على القوى من غير ان يتمسك منه بشئ وهذا عند العقلاء كسرى لعدم احتياجه الى مقدمات والارادة مجرد الميل والخاطر باب الحدس والسهو استيلاء

(وقات أنا من رسالتى قرع الباب وانتظار الجواب) فنعوذ بالله من ذلة العاقل ونبرأ اليه من التمادى فى الباطل وهذا الحق ليس به خفاء فدعنى من بنيات الطريق فقد حصحص الحق وقرع العتاب حلقة الباب فقال طق

(وقال الآخر)

وهبه ادعوى بعد العتاب ألم تكن
مودته طبعا فصارت تكلفا

وكانى بمولانا وقد وقف على عتبة العتاب وقال من دق الباب سمع الجواب فاجابهم

فان كنتم تلقون فى ذاك كلفة
دعونى أمت وجدا ولا تتكلفوا

(فصل فى العفو والرضا والصفح عما مضى)

جاء عن على رضى الله عنه فى قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل انه الرضا بغير عتاب وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا الا تحبون أن يغفر الله لكم وقال صلى الله عليه وسلم من لم يقبل من معتذر صادق أو كاذب لم يرد على الحوض

(وقال الشاعر)

ذنبى اليك عظيم * وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا * فاصفح بفضلك عنه
ان لم اكن فى فعالى * من الكرام فكنه

(وقال آخر)

ما أحسن العفو من القادر
لا سيما عن غير ذى ناصر
يا غاية القصد وأقصى المنى
وخير مرعى مقلة الناظر
ان كان لى ذنب ولا ذنب لى
فما له غيرك من غافر
أعوذ بالود الذى بيننا
أن تفسد الاول بالآخر

(كان) أبو محمد اليزيدى ينادم المأمون فغلب عليه الشراب ذات ليلة فعربد فأمر المأمون بحمله الى منزله برفق فلما افاق استحيا وانقطع عن الركوب أياما فلما طال عليه ذلك كتب الى المأمون أبياتا منها

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع

الطبيعة الثانية على المزاج البشرى وهو صفة للعطو رقسرية ايضا ومن ثم لم يحكم الشرع مع غاية شرفه واحتياطه فى الاصلاح على الخارج به شئ رحمة وتخفيفا فقد بان ان الاستاذ يقول ان شرح المحبة مبنى على المراقبة المخالطة للقوى العقلية مخالطة نزل السهو فيها منزلة العمد فكأن المحبوب هو قوى المحب التى بها يعقل كما أشار اليه ايضا فى الدلالة على غاية المرتبة بقوله

فلم تهونى مالم تكن فى فانيا * ولم تفن مالم تجتلى فيك صورتى

وهذا القسم هو الباب السادس من الكتاب وهو اصناف

(الصنف الاول فى ذكر من حمله هواه على أذية من يهواه وهؤلاء اما نساء أو رجال وكل من القسمين اما بالغ مناه أو مكفوف أذاه)

(فمن الاول ما حكى) عن مرثد انه شغف بصحبة عمرو بن قمئة حتى صار يأكل معه ومع زوجته فعلقته المرأة فارسلت اليه على حين غفلة من مرثد تقول ان عمك يدعوك فجاء فلم يجده فقامت اليه فراودته عن نفسه فابى فقالت لئن لم تفعل ما آمرك لأسوأنك فقال ان الاذى ان افعل ما تحبين وخرج فامرت بجفنة فوضعت على موضع قدمه وكان ملتصق الاصابع فلما جاء مرثد أخبرته ان رجلا من اقرب ما يكون اليك ساومنى نفسى فامتنعت فجهد فى ان تخبره فابت وقالت انا لا اصرح باسمه ولكن هذا قدمه فعرفه وهجره فانشد فى ذلك

لعمرك ما نفسى بجد رشيدة * تؤامرنى شرا لاصرم مرثدا
عظيم رماد القدر لا متعبس * ولا مؤيس منها اذا هو أخمدا
فقد ظهرت منه بوائق جمة * وأفرع من لومى مرارا وأصعدا
على غير ذنب ان أكون جنيته * سوى قول باغ جاهد فتجهدا

وقيل انه حلف ليضربنه بالسيف فهرب الى الحيرة وأرسل بهذين البيتين

رمتنى بنات الدهر من حيث لا أدرى * فما بال من يرمى وليس برامى
فلو انها نبل اذا لاتقيتها * ولكنما أرمى بغير سهام

انتهى ما ذكره وفى النزهة ان مرثدا اتى يوما من سفره فى الليل وكان الظلام شديدا فسمع زوجته وهى لا تشعر به تقول

لعمرك ان القلب شط به النوى * ولم تسعف الايام للدنف الصب
بليت بمن لم يدر حالى بحبه * الا ان عمرا فى الهوى قاسى القلب

فعلم انها مولعة به وان ذلك كان كيدا منها فقتلها وأرسل اليه فاصلح امره معه فعلى هذا تكون هذه الحكاية من الرابع (ومن الثانى) قصة سوسن المشهورة وللناس فيها كلام كثير غير ان المصنف رحمه الله لشدة معرفته باختلاف الالسن واللغات نقلها من نص الله عز وجل عليها فى التوراة فذكر ان فى سفر دانيال عليه السلام من هذه القصة ما ترجمته لما كان فى السنة الثالثة من ملك يواكيم ملك يهوذا قدم بختنصر ملك بابل الى أورشليم يعنى بيت المقدس بالعربية وأسلمها الرب فى يده ثم نزلت ببيت صنمه بشنعار وهو موضع مشهور ببيت المقدس ولما استقرت آراؤهم على الشريعة الناموسية الموسوية حكم شخصين قاضيين عرفا بالعبادة والزهد فى بنى اسرائيل فكانا يحكمان فى الشعب ويأويان الى بيت يواكيم وكان له زوجة يقال لها سوسن وكانت فى أرفع رتبة من الجمال والحسن وبهجة المنظر والصلاح لان والديها كانا صديقين فى بنى اسرائيل وكانت فى كل يوم تنزل الى بستانها تمشى للنزهة

ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو
ولا شيء ان كنت عند خليفة
وفى مجالس ما ان يجوز به اللغو
فلما قرأها المأمون وقع فى الرقعة سر الينا فقد عفونا عنك فلا عتب عليك
وبساط النبيذ يطوى معه أخذه الشاعر فقال

انما مجالس الشراب بساط
فاذا ما انقضى طوينا بساطه

(وقال ابن سناء الملك)

وأما ذلك الحبيب فانه حضر متنصلا وجاء متذللا واستجار بحرم الحرمة وخفض جناح الذل من الرحمة واعتذر بان الادلال دلاه بغرور وأوقعه فى امور أخرجه من الظلمات الى النور فقبل عذره وقبل ثغره وامتثل امره وثنى عنان القلب اليه حسن تثنيه وأذهبت حلاوة جنى ريقه حرارة تجنيه

واذا الحبيب أتى بذنب واحد
جاءت محاسنه بالف شفيع

(وقال الآخر)

وزعمت أنى ظالم فهجرتنى
ورميت فى قلبى بسهم نافذ
فنعم ظلمتك فاعذرى وتجاوزى
هذا مقام المستجير العائذ

(وقال ابن زيدون)

يا اقرا مطلعه المغرب
قد ضاق فى حبك المذهب
ألزمتنى الذنب الذى جئته
صدقت فاصفح انى المذنب
فان من أغرب ما مر بى
أن عذابى فيك مستعذب

(وقال آخر)

وما قابلت عفوك باعتذار
ولكنى اقول كما تقول
سأطرق باب عفوك باعتذار
ويحكم بيننا الخلق الجميل

(الباب السادس عشر فى اغاثة العاشق المسكين اذا وصلت العظم السكين)

ورآها القاضيان فوقعت منهما واشتغلا بها عن النظر في الحكومات وكتم كل عن الآخر حتى اذا كان منتصف النهار من يوم شديد الحر قال كل منهما لصاحبه قد اشتد الحر فليذهب كل منا فيستريح وخرجا مضمرين العود رجاء الظفر بالجارية فلما التقيا الخص كل عن عود الآخر فاظهرا ما عندهما من حبها واتفقا عليها وانها دخلت مع جاريتين البستان فعزمت على الحموم وقد استخفيا فارسلت الجاريتين ليأتياها بزيت وغسول فظهرا واغلقا الابواب وقالا لها ان لم تجيبينا والا قلنا انا وجدنا معك شابا ومن اجل ذلك ارسلت الجاريتين وانت تعلمين مكاننا من بني اسرائيل قالت سوسن والله لا أغضب الرب أبدا وصرخت فصرخ القاضيان ومضى احدهما ففتح الباب وجاء العبيد فاخبراهم بالقصة فبقوا مبهوتين لانهم لا يعلمون عليها سوءا ثم اتى بوا كيم فاعلموه بالامر وانهما لم يقدرا على امساك الشاب فجمع الشعب وتقدم الشيخان فكشفا عن سوسن وقالا نشهد على هذه انها دخلت البستان ومعها جاريتان فارسلتهما واغلقت الابواب فجاء حدث من وراء شجرة فضاجعها فحين رأينا المعصية صحنا فانفلت الشاب فبكت سوسن ورفعت طرفها الى السماء وقالت يا الله يا دائم يا عالم الخفيات انت تعلم انهما كذبا على ثم اقاما عليها القتل وكان دانيال عليه السلام شابا عمره ثلاث عشرة سنة فجاء وصاح عليهم ان قفوا فانها بريئة مما رميت به ثم امر بالتفريق بينهما فقال لاحدهما من تحت اي شجرة جاء الحدث فقال من تحت شجرة بطم فقال كذبت وهذا ملاك الله شاهد عليك بالكذب ثم اخره وقدم الآخر وقال له من تحت اي شجرة جاء الحدث فقال من تحت شجرة زيت فقال كذبت واقامهما فنشرا ونزلت نار فاحرقتهما وحفظ الله الدم الزكي وعظم أمر دانيال عليه السلام (ومن الرابع ما حكى) في نديم المسامرة انه كان بالبصرة رجل اسمه عباد وكان يدعى بالمخنث لما كان يظهر من التزيي بزي النساء فاجتمع ليلة مع قوم وتذاكروا الشجاعة فقالوا له هازئين به هل تقدر ان تذهب فتدق هذا الوتد بالضريح الفلاني وكان معروفا بالوحشة بعيدا عن العمارة فمضى حتى صار فيه فحين شرع يدق الوتد سمع صريرا سلسلة تدنو كلما دق حتى صار عنده فاذا هو قرد قد ذهب من صاحبه فاخذه وهم ليخرج اذ سمع امرأة تخاطب رجلا فتقول ما الذي صنعت حتى تقتلني فيقول اقتلك واموت خير من ان تصيري الى زوجك واموت غما فخرج عباد حينئذ عليهما وصرخ على القرد فتعلق بالرجل ففطنهما جنسا فرمى السلاح فاخذه عباد وفك المرأة واستخبرها فاخبرته بابيها فعرفه وان هذا ابن عمها كان يهواها فخطبها الى ابيها فابى وهم يتزوجها من غيره وانها خرجت لتفترج فكبسها هذا مع جماعة فتفرق النساء اللواتي كن معها واخذها هو فصيرها الى هذه الحالة فاخذها عباد الى اهلها واخبر اصحابه بالقصة فكذبوه فاراهم ذلك فصار يعد من الشجعان (ومن الثالث) ما حكى عن حبوبة بن حباب الطائي انه حين قتل ابوه رجلا من كلب من فخذ برة ووجبت عليه الدية رهنه صغيرا مع امه وخرج ليجمعها فمات فاقاما عندهم وانه كان شابا حسنا جميلا فولع به النساء حتى شاع أمره فطردوه فوقع بعد ما قتل اخا امرأة اشتهر بها الى بلقين فاجاروه ففعل عندهم ما فعل في كلب واشتدوا عليه فجاء الى امه ليلا فاخفته واخبرت فاقر لها فقالت ادفعيه الي فاخذته فجعلته في متاع لها خارج البيت ومر عدي بن قيس بن كلب فقال ما هذا قالت متاعي وانا على سفر واريد ان تجيره فقال قد أجرته وحمله الى بيته وقد انكره ففتش فرآه فقال لا حياك الله وخرج فاقام عنده زمانا

اقول هذا باب عقدناه لذكر أكثر الناس فتوة وافرزهم مروءة وارقهم قلبا واحسنهم مربى من اصبح بين المحبين قديم هجر وهجرة وامسى له بكؤس المحبة ألف سكرة لا جرم انه اعان ذوي المحبة ووازن بنفسه من في قلبه من الغرام مثقال حبة فسعى في اصلاح حاله وساواه بنفسه وماله ولله در القائل في هذا المعنى الطائل

تف مشوقا او مسعدا او حزينا
أو معينا أو عاذرا او عذولا

فان كنت خاليا من ذلك كله أعني باطماع كذوب على النوى اذا لم تقاتل يا جبان فتشجع قلت أولا اقل من ذلك يا ابنة مالك ولله در القائل في ذلك

لو تعلم الناس من شوقي بمن كلفي
ما بت أعلله استسقو بعاد

واستشفعوا الى الفي باجمعهم
وجاءنا ندهم في زي قواد

(ومن أعجب) ما سمعته في اغاثة العاشق والاخذ بثاره ما حكاه الجاحظ قال بلغني ان عاشقا مات بالهند عشقا فبعث ملك الهند الى المعشوق فقتله * وقال الخرائطي كان رجل نخاس عنده جارية لم يكن له مال غيرها وكان يعرضها في المواسم فتغالى الناس فيها حتى بلغت مبلغا كثيرا من المال وهو يطلب الزيادة فعلقها رجل فقير فكاد عقله أن يذهب فلما بلغه ذلك وهبها له فعوتب في ذلك فقال اني سمعت الله يقول ومن أحياها فكأنما احيا الناس جميعا فلا احيي الناس جميعا (وحكى) الخرائطي انه كان لبعض الخلفاء غلام وجارية من غلمانه وجواريه متحابين فكتب الغلام اليها يوما

ولقد رأيتك في المنام كأنما
عاطيتني من ريق فيك البارد
وكان كفك في يدي وكأننا
بتنا جميعا في فراش واحد
فطفقت يومي كله متراقدا * لاراك في نومي وانت براقد

(فأجابته الجارية)

خيرا رأيت وكل ما ابصرته *

فعاق ابنته وطال بينهما الامر فانشد فيها

مازلت أطوى الحى أسمع حسهم * حتى وقفت على ربيبة هودج
فوضعت كفى عند مقطع خصرها * فتنفست صعدا ولما تنهج
وتناولت رأسى لتعلم مسه * بمخضب الاطراف غير مشنج
قالت وعيش ابى وحرمة والدى * لانبهن الحى ان لم تخرج
فخرجت خيفة اهلها فتبسمت * فعلمت ان يمينها لم تحرج

و بلغ عدى بن أوس ذلك فقتله (ومن الثالث) قصة وضاح اليمن المشهورة واسمه اسمعيل أو عبد الله او عبد الرحمن بن كلال وكان من أمره انه كان يبرقع وجهه خوف الفتنة بحسنه وانه نشأ مع ام البنين بنت عبد العزيز صغيرين فكان لا يصبر احدهما عن الآخر فلما بلغت حجبت فازداد شوقهما فحين أفضت الخلافة الى الوليد بن عبد الملك وقيل ابن يزيد والصحيح الاول لما سبق فى قصة حبابة وذكرنا وجاءت بنت يزيد بحجبها فازداد بوضاح الامر حتى نحل فخرج الى الشام فكان يطوف بالقصر الى ان ظفر بجارية لام البنين فاخبرها بمكانه وانه ابن عم مولاتها فاخبرتها فادخلته فى صندوق فكانت اذا أمنت تمكث معه واذا خافت ادخلته الصندوق وجئ للوليد بجوهر نفيس فامر خصيا بحمله اليها فحين دخل الخصى وجد وضاحا فادخلته الصندوق واستوهبها الخادم لؤلؤة فابت فمضى واخبر الوليد فدخل عليها فنازعها واستوهب الصندوق فابت فراجعها فوهبته اياه واحتمله الى مجلسه فلما جاء الليل أمر غلمانه فحفروا الى الماء ثم قال مشافها للصندوق خفية قد بلغنا عنك أمر فان كان صحيحا فقد كفيناك والا فما علينا فى دفن الخشب ورماه ورمى الخصى حيا وقيل ضرب عنقه حين اخبره واهال التراب ولم يبن لها غيظا وقيل فارقها وانها كانت تأتى المكان فتبكى فوجدت ميتة فيه وقيل انه لم يقتله بذلك وانما شبب بها حين رآها فى طريق الحاج فبلغه تشبيبه بها فاستشار فيما يفعل به فقيل له اكرمه كما فعل معاوية بأبى دهبل حين شبب بأخته فابى الا قتله (ومنه ايضا) سحيم وهو حبشى نشأ فى بنى الحسحاس وكان أعجميا غليظا ثم تخرج فى الشعر وشاع ذكره حتى اشترى لعثمان فقال لا حاجة لى به اذا شبع شبب بالنساء واذا جاع هجا فرده فاشتراه رجل منهم اسمه ابو معبد فعاق ابنته وانهم خرجوا الى سفر فتشوق ابو معبد الى ابنته فكان يتمثل بهذا البيت

عميرة ودع ان تجهزت غاديا * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فاكمل العبد القصيدة بما يزيد على مائة بيت فيها فى التشبيب بابنة مولاه

وبتنا وسادانا الى علجانة * وحقف تهاداه الرياح تهاديا
توسدنى كفا وتثنى بمعصم * على وتحوى رجلها من ورائيا
وهبت شمال آخر الليل قرة * ولا ثوب الا درعها وردائيا
فمازال ثوبى طيبا من نسيمها * الى الحول حتى أنهج الثوب باليا

فذهب جندل به ليبيعه فانشد

وما كنت أخشى جندلا ان يبيعنى * بشئ ولو أمست انامله صفرا
أخوكم ومولى مالكم وربيبكم * ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دهرا
اشوقا ولما يمض بى غير ليلة * فكيف اذا سار المطى بنا عشرا

انى لأرجو ان تكون معانقى * فتبيت منى فوق ثدى ناهد
ستناله منى برغم الحاسد
وأراك بين خلاخلى ودمالجى
وأراك فوق ترائبى ومجاسدى

فبلغ الخليفة خبرهما فانكحهما وأحسن اليهما على شدة غيرته (وقال) ابو الفرج بن الجوزى سمع المهلب فتى يتغنى فى جارية له فقال المهلب

لعمرى انى للمحبين راحم
وانى ببر العاشقين حقيق
سأجمع منكم شمل ودمبدد
وانى بما قد ترجوان خليق

ثم وهبها له ومعها خمسة آلاف دينار (وروى) عن عثمان بن عفان رضى الله عنه انه جاءته جارية تستعدى على رجل من الانصار فقال لها عثمان ما قصتك فقالت يا امير المؤمنين احب ابن أخيه فما انفك اراعيه فقال له عثمان اما أن تهبها لابن اخيك او اعطيك ثمنها من مالى فقال اشهدك يا امير المؤمنين انها لابن اخى * واتى على ابن ابى طالب كرم الله وجهه بغلام من العرب وجد فى دار قوم بالليل فقال له ما قصتك فقال له لست بسارق ولكنى اصدقك

تعلقت فى دار الرياحى خودة
يذل لها من حسنها الشمس والبدر
لها فى بنات الروم حسن ومنصب
اذا افتخرت بالحسن صدقها الفخر
فلما طرقت الدار من حر مهجة
ابيت وفيها من توقدها جمر
تبادر اهل الدار بى ثم صيحوا
هو اللص محتوما له القتل والاسر

فلما سمع على شعره رق له وقال للمهلب اسمح له بها ونعوضك عنها فقال يا امير المؤمنين اسأله لنعرف نسبه فقال النهاش بن عتبة العجلى فقال خذها فهى لك (وحكى) التميمى فى كتابه امتزاج النفوس ان معاوية بن أبى سفيان اشترى جارية من البحرين فاعجب بها اعجابا شديدا فسمعها يوما تنشد

فرق له فرده ولامه قومه وأرادوا قتل العبد فضن به ثم رفعه الى الحجاج فعزره ثمانين وانصرف به فانشد

أبا معبد بئس العراضة للفتى * ثمانون لم تترك لحافكم جلدا
كسوني غداة البين سمرا كأنها * شياطين لم تترك قرارا ولا عهدا
فما السجن الاظل بيت دخلته * وما السوط الا جلدة خالطت جلدا
ابا معبد والله ما حل حبها * ثمانون سوطا بل يزيد بها وجدا
فان يقتلوني يقتلوا ابن وليدة * وان يتركوني يتركوا اسدا وردا
غدا يكثر الباكون منا ومنكم * وتزداد داري من دياركم بعدا

فلما علم مولاه اصراره احرقه (ومن الاول) المتجردة وهي امرأة المنذر بن ماء السماء وكانت من اعظم نساء العرب جمالا فلما مات عنها اخذها ولده النعمان فكان يجالسها مع نديميه النابغة والمنخل فشغفت بالمنخل وامتزجا فامر النعمان يوما النابغة ان يصفها فقال

واذا طعنت طعنت في مستهدف * رابي المجسة بالعبير مقرمد
واذا نزعت نزعت عن مستحصف * نزع الحزور بالرشاء المحصد

فقال المنخل هذا وصف معاين وحرض النعمان على قتله فهرب وكان عفيفا فلما خرج النعمان الى الصيد رجع بغتة فوجد المتجردة مع المنخل قد البسته احد خلخاليها وشدت رجله الى رجلها فقتله وله فيها

ان كنت عاذلتي فسيري * نحو العراق ولا تحوري
ولقد دخلت على الفتا * ة الخدر في اليوم المطير
والكاعب الحسناء تر * فل في الدمقس وفي الحرير
فدفعتها فتدافعت * مشي القطاة الى الغدير
ولثمتها فتنفست * كتنفس الظبي البهير
فرنت وقالت هل بجسـ * ـمك يا منخل من فتور
ماشف جسمي غير حبـ * ـك فاهتدي عني وسيري
واحبها وتحبني * ويحب ناقتها بعيري
ولقد شربت من المدا * مة بالصغير وبالكبير
فاذا سكرت فانني * رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فانني * رب الشويهة والبعير
يا هند هل من نائل * يا هند للعاني الاسير

(ومن الرابع) ما يحكى عن سليمان بن عبد الملك وكان شديد الغيرة انه خرج لغرض ومعه سنان وكان فارسا معروفا بالشجاعة والمحبة لسليمان وكان حسن الغناء وكان يتركه كثيرا لمعرفته بغيرة سليمان فزاره ضيوف فاكرمهم فقالوا يا سنان لم تكرمنا مالم تسمعنا الغناء وكان قد اخذت منه الخمر فانشد

محجوبة سمعت صوتي فارقها * في آخر الليل لما بلها السحر
تثني على فخذها مثني معصفرة * والحلي منها على لباتها خصر
لم يحجب الصوت احراس ولا غلق * فدمعها لطروق الصوت منحدر

ابياتا منها وفارقته كالغصن يهتز في الثرى * طريرا وسيما بعدما طر شاربه فسألها فقالت هو ابن عم لي فردها اليه وفي قلبه منها شرر النيران * وذكر الخرائطي أن المهدي خرج الى الحج حتى اذا كان بزبالة وجلس يتغدى اذا بشاب بدوي دخل عليه وبكى وقال يا أمير المؤمنين اني عاشق ورفع صوته فقال للحاجب ويحك ماهذا قال انسان يصيح اني عاشق قال ادخلوه فادخلوه فقال من عشيقتك قال ابنة عمي قال ألها أب قال نعم قال فماله يزوجك بها قال ههنا شئ يا أمير المؤمنين قال ماهو قال اني هجين والهجين الذي امه أمة ليست بعربية قال له المهدي فما يكون قال انه عندنا عيب فارسل في طلب أبيها فاتى به فقال هذا ابن اخيك قال نعم قال فلم لا تزوجه كريمتك فقال له مثل مقالة ابن اخيه وكان من اولاد العباس عنده جماعة فقال هؤلاء كلهم بنو العباس وهم هجن فما الذي يضرهم من ذلك قال هو عندنا عيب فقال له المهدي زوجه اياها على عشرين الف درهم عشرة آلاف للعيب وعشرة آلاف مهرها قال نعم فحمد الله واثنى عليه وزوجه اياها واتى ببدرتين فدفعهما اليه فأنشأ الشاب يقول

ابتعت ظبية بالغلاء وانما
يعطي الغلاء بمثلها امثالي
وتركت اسواق القباح لاهلها
ان القباح وان رخصن غوالي

وعرض خالد بن الوليد عبد الله القسري محبته يوما فكان فيه يزيد بن فلان العجلي فقال له خالد في اي شئ حبست يا يزيد قال تهمة اصلح الله الامير قال أفتعود ان اطلقتك قال نعم أيها الامير وكره ان يعرض بقصته لئلا يفتضح معشوقه فقال خالد احضروا رجال الحي حتى تقطع يده بحضرتهم وكان ليزيد اخ فكتب شعرا ووجه به الى خالد اخالد هذا مستهام متيم * رمته لحاظ انه غير سارق اقر بما لم يأته المرء انه *

في ليلة النصف ما يدري مضاجعها * أوجهها عنده أبهى أم القمر
لو خليت لمشت نحوي على قدم * يكاد من رقة للمشي ينفطر

فلما سمع سليمان الصوت خرج فزعا يتفهمه وكانت عنده جارية اسمها عوان وكان يحبها حبا شديدا وهي مشهورة بالجمال فجاء اليها فرآها على صفة الابيات وكانت يقظانة فلما فطنت به قال يا أمير المؤمنين قاتل الله الشاعر حيث قال

ألا رب صوت جاءني من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد
قصير نجاد السيف جعد بنانه * الى امة يدعى معا والى عبد

فسكن ما به وقال قد راعك صوته فالت صادق مني يا امير المؤمنين فحلف ليقتلنه فارسلت عبدا يحذره وقالت ان لحقته قبل فلك ديته وأنت حر فسبقت رسل سليمان فجاؤا به فنظر اليه مليا ثم قال أنت الحسني و يلك فقال أنا فارسلك فاستبقني فقال لا اقتلك ولكن ازيل تغزلك وأمر به فخصي وألقي في دير الخصيان قالوا وفي ذلك الوقت بلغ سليمان كثرة المخنثين المغنين بالمدينة فكتب الى عامله أن أحصهم يعني اضبطهم انظر في أمرهم فسبقت نقطة على الحاء فأمر العامل بخصيهم فقال كل عند خصيه كلمة سارت مثلا فقال طويس ما هذا الا ختان أعيد علينا وقال دلال بل هو الختان الاكبر وقال نسيم السحر بالخصي صرت مخنثا حقا وقال نومة الضحى بل صرنا نساء حقا وقال برد الفؤاد استرحنا من حمل ميزاب البول معنا وقال ظل الشجر ما نصنع بسلاح لا يستعمل و يروى ان الذي سمعه سليمان لم يكن سنان الكاتب بل كان سمير الايلي وفي الرواية بدل محجوبة وعادت سمعت و بدل قوله في ليلة النصف في ليلة البدر وهو اليق في هذا المقام لان القمر وان لم ينقص ليلة النصف فهو في ليلة البدر أبهج ولم يلهج الشعراء الا به وان سليمان قال حين وجع في خصيه ان الفرس يصهل فتستودق الحجرة والفحل يخطر فتضبع الناقة والتيس ينب فتستحرم العنز والرجل يغني فتشبق المرأة * (ومن الثاني) * ما حكي انه كان في بني اسرائيل رجل صالح يعمل بالمسحاة افقره وكان عنده امرأة مفرطة في الجمال وكان اذا قدم قامت لخدمته من فرش وتقديم طعام ونحوه وان عجوزا دخلت عليها فتأملت حسنها وذهبت فوصفتها للملك فعشقها ووعد العجوز بمال كثير على ان تخلصها له فقالت لها كيف تذهبين هذا الجمال مع رجل يعمل بالمسحاة ولو طاوعتيني لزوجتك بالملك وأمرتها أن تعصيه وترجع عن خدمته فجاء فلم تقم اليه على العادة ولم تقدم له شيأ فقال ما هذا يا هناء قالت هو ما تراه فقال أطلقك قالت نعم ففعل وتزوج بها الملك فحين نظر اليها كف ومد يده فشلت فرفع الامر الى نبي ذلك الزمان فجاء الوحي ان يعني ما فعل بصاحب المسحاة وقد ساق هذه الحكاية في النزهة في باب من عشق بالسماع وذكر ان المرأة ايضا فلجت وانها ماتت بعد سبعة أيام (ومنه) الزرقاء جارية ابن رامين كانت من المشاهير بالجمال والحسن والغناء وافتتن بها غالب اهل زمانها وكان الناس يقصدونها السماع صوتها و يبذلون لها مالا خطيرا فاشتد ولوع يزيد بن عون الصيرفي بها فدخل عليها ومعه لؤلؤتان فقال لها قد بذل لي فيهما ار بعون الف درهم فقالت هبهما لي فقال أفعل ان شئت قالت شئت فحلف لا يعطيهما لها الا من فمه الى فمها فغمزت الخادم فخرج وكان يزيد واقفا منكسرا بين يديها يعني كالقابل به فجلس مقعيا يعني على رؤس اصابعه وتقدم اليها فأقبلت لتتناولهما فجعل يزوغ بفمه ليستكثر من مقابلتها

ولولا الذي قد خفت من قطع كفه * لالفيت في امره غير ناطق
رأى القطع خير من فضيحة عاشق
اذا بدت الرايات للسبق في العلا
فانت ابن عبد الله اول سابق
فلما قرأ خالد الابيات علم صدق قوله فاحضر أولياء الجارية فقال زوجوا يزيد فتاتكم فقالوا أما وقد ظهر عليه ما ظهر فلا فقال ان لم تزوجوه طائعين لتزوجونه كارهين فزوجوه ونقد خالد المهر من عنده (وذكر) احمد بن الفضل الكاتب ان غلاما وجارية كانا في كتاب فهويها الغلام فلم يزل يتلطف بغلامه حتى صيره قريبا منها فلما كان في بعض ايامه في غفلة من الغلمان كتب في لوح الجارية

ماذا تقولين فيمن شفه سقم
من طول حبك حتى صار حيرانا

فلما قرأته الجارية اغرورقت عيناها بالدموع رحمة له وكتبت تحته

اذا رأينا محبا قد اضر به
طول الصبابة اوليناه احسانا

فجاء المعلم فسمع ذلك منهما فاخذ اللوح وكتب هذين البيتين

صلي العريف ولا تخشين من احد
امسى العريف صغير السن ولهانا
أما الفقيه فلا يسطو عليه اذى
فانه قد بلي بالعشق الوانا

وذكر الخرائطي عن ابي عساف قال مر ابو بكر رضي الله عنه بجارية وهي تقول

وهويته من قبل قطع تمائمي
متمايسا مثل القضيب الناعم

فسألها احرة انت ام مملوكة فقالت مملوكة فقال من هواك فتلكأت فاقسم عليها فانشدت

وانا التي لعب الغرام بقلبها
فقتلت بحب محمد بن القاسم

فاشتراها من مولاها وبعث بها الى محمد بن القاسم بن جعفر بن ابي طالب وقال هؤلاء فتن الرجال فكم والله قد مات بهن كريم وعطب بهن سليم ودخلت عزة على ام البنين اخت عمر

فاقتضت

فانقضت عليه فأخذتهما وقالت المغلوب في أسته عود فقال أما أنا والله لا يزال طيب هذه الرائحة في انفي وفي ماحييت ابدا وانها افضت الى جعفر بن سليمان وأبوه عامل المنصور فدخل على ابنه يعتبه على شرائها واشتغاله بها في هذه الايام وقد خرج عليهم خارجي فغمز جعفر الخادم فأخرجها اليه فقبلت رأسه واجتليته فرضي ولم يعتب بعدها وان جعفرا قال للزرقاء يوما هل تمكن احد من محبيك يوما منك بشئ فخشيت ان تكتمه ما عساه ان يكون بلغه فأخبرته بواقعة الصيرفي فاحتال عليه حتى حصل عنده فضربه حتى مات (ومن الثاني) ما حكي انه كان في بني اسرائيل رجل اسمه عبود كلف بابنة عمه حتى كان لا يصبر عنها ساعة فتزوج بها واقاما مدة فماتت فاشتد وجده وطار عقله فمضى الى المسيح عليه السلام وساله ان يحييها له فقال لا يتيسر الا ان تهبها من عمرك شيأ فقال قد وهبتها نصف عمري فأحياها الله ومضيا وقد لحق عبودا تعب شديد فجلسا يستريحان فوضع رأسه على ركبتها فنام فمر ملك الناحية فرآها فعلقت بقلبه وهوا يضا بقلبها فأعرض عليها ان تكون معه فأجابته فحملها في قبة وانتبه عبود فلم يجد احدا فقام مرعوبا فوجد قوما من المارة ينعتون حسنها فسألهم فأخبروه بانها مع الملك فلحقها وجعل يذكرها بما صنع وهي ساكتة فقال لها قد كنت مت وسألت المسيح في احيائك ووهبتك نصف عمري على ان تكوني معي فحيث لم ترضي فردي على ما وهبتك فقالت قد رددته فما خرجت الكلمة حتى ماتت (ومن الثالث) ما حكي من لقمان بن عاد الذي كان يضبط عمره بان يمسك النسر من حين خروجه من البيضة الى ان يموت فيؤتى بالآخر كذلك حتى عاش عمر سبعة كل واحد على ما قيل مائة عام انه كان مغرما بالنساء ومع طول عمره وكثرة تزوجه كان شديد الاحتراس وهن يخنه فتزوج جارية صغيرة وجعلها في بيت نقره في جبل لا يصعد عليه الا بالسلاسل وان عملقا نظرها فوقعت من قلبه فأمر قومه فشدوه في سيوف حزمة واستودعوه لقمان مدة فوضعها في بيته فلما خرج تحرك العليق فخانته الجارية فكان يكون معها الى ان يأتي لقمان فيجعله في السيوف حتى انقضت المدة وطلبوا سيوفهم فدفعها ثم جلس فنظر الى نخامة في سقف بيته فسألها عن فعلها قالت انا فأمرها تفعل فقصرت لان النساء لا يقدرن على رفع النخامة الى الاعلى لضعف مزاجهن فقال يا ويلتاه والسيوف ذهبتني ثم رمى بالمرأة من اعلى الجبل ونزل فلقيته ابنته فكلمته فضربها بالحجر فكسر رأسها فضربت العرب امرها مثلا لمن يؤخذ بلا ذنب فكان يقول المظلوم منهم ما اذنبت الا ذنب صحر يعني ابنة لقمان (ومن الثاني) ما حكي ان رجلا عشق ابنة عمه حتى فني في حبها فتزوج بها فكان لا يصبر عنها ساعة وكان يجالس الناس فلم يصبر الى انقضاء غرض المجالس حتى يدخل فينظرها ثم يرجع وان ابن عم لها غيرها اكترى دارا الى جانبها وراسلها فوقع حب كل عند الآخر فنزلت اليه ودخل زوجها فلم يجدها وسأل امها فقالت تقضين حاجة فطلبها مكان الحاجة فلم يجدها واذا هي قد أتت من الدار فعزم عليها ان تصدقه اين كانت فقالت اما اذ عزمت على فاني اصدقك وحدثته القصة فرمى عنقها وعنق امها وهرب فكان كثيرا ما يتمثل عند ذكر ذلك بشعر ديك الجن الآتي

(الصنف الثاني في ذكر من اشتدت به الغيرة الى ان خامرته الحيرة فحرته الى تهمة محبوبه فأثر قتله على نيل مطلوبه)

ابن عبد العزيز وكانت من العابدات فقالت لها ما معنى قول كثير قضى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

ما كان هذا الدين قالت وعدته قبلة ومطلته ثم خرجت منها فقالت الجزيها وعلى اثمها (حدث) محمد بن عبد الله بن أبي مليكة عن أبيه عن جده قال دخل عبد الرحمن بن أبي عمار وهو يومئذ فقيه الحجاز على نخاس يعرض جواري فعشق منهن واحدة واشتهر بذلك حتى مشى اليه عطاء وطاوس ومجاهد يعذلونه فكان جوابه

يلومني فيك أقوام أجالسهم
فما ابالي أطار اللوم أم وقعا

فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر فلم يكن همه غيره فبعث الى سيد الجارية فاشتراها منه باربعين ألف درهم وأمر قيمة جواريه ان تطيبها فغعلت ودخل الناس عليه فقال مالي لا أرى ابن أبي عمار فاخبر انه منقطع في منزله لفرط ما به فأتاه ابن جعفر فلما رآه أراد أن ينهض فاستجلسه وقال ما فعل حب فلانة قال هو في اللحم والدم والعصب والعظام قال أتعرفها ان رأيتها قال أو اعرف غيرها قال فانا قد ضممنا اليك واحدة والله ما نظرت اليها وامر بها فخرجت في الحلي والحلل فقال هي هذه قال نعم بأبي أنت وامي قال فخذ بيدها فقد جعلتها لك أرضيت قال أي والله وفوق الرضا فقال له ابن جعفر لكن والله لا أرضى أن أعطيكها هكذا احمل اليه يا غلام مائة ألف درهم

(الباب السابع عشر في ذكر دواء علة الجوى)

أقول هذا باب عقدناه لذكر دواء الحب الذي اعجز اهل الطب فهم فيه حيارى سكارى وما هم بسكارى على ان الذي اجمعوا عليه واشاروا اليه انه لا شفاء من هذا الداء العضال الا بطيب الوصال

مثل غمز النهدين وقرع الشفتين والتصاق البدنين رايت الحب ليس له دواء *

(حكى) ان عبد الله بن رغبان الكلبي وقيل عبد السلام المشهور بديك الجن الحمصي كان اديبا حاذقا شاعرا لبيبا كانما تنطق قريحته بالرقة واللطافة والغزل والظرافة الا انه كان من اعظم الفساق بين العشاق واجمعهم للقساوة والاشتياق وانه عشق جارية وغلاما واشتد بهما كلفه وتهالك في حبهما حتى حان تلفه فاشتراهما وكان يجعل الجارية عن يمينه والغلام عن شماله ويجلس للشرب فيلثمهما ويشرب من يدها تارة والغلام اخرى ولم يزل كذلك الى ان قام في نفسه من شدة الحب انه سيموت ويصيران الى غيره فذبحهما واحرقهما وعمل من رمادهما برنيتين فكان يشرب فيهما ويقبلهما عند الاشتياق واشعاره في ذلك متظافرة ومن احسن ما كان ينشده عند تقبيل برنية الجارية قوله

يا طلعة طلع الحمام عليها * فجنى لها ثمر الردى بيديها
حكمت سيفي في مجال خناقها * ومدامعي تجري على خديها
رويت من دمها الثرى ولطالما * روى الهوى شفتي من شفتيها
فوحق نعليها المواطي الحصى * شيء اعز علي من نعليها
ما كان قتليها لاني لم اكن * ابكي اذا سقط الذباب عليها
لكن بخلت على العيون بلحظها * وانفت من نظر العيون اليها

(ومن لطيف شعره ايضا)

جاءت تزور فراشي بعد ما قبرت * فظلت الثم نحرا زانه الجيد
وقلت قرة عيني قد بعثت لنا * فكيف ذا وطريق القبر مسدود
قالت هناك عظامي فيه مودعة * تعيث فيها بنات الارض والدود
وهذه الروح قد جاءتك زائرة * هذا زيارة من في القبر ملحود

(وعند تقبيل برنية الغلام)

اشفقت ان يرد الزمان بغدره * او ابتلى بعد الوصال بهجره
قمر قد استخرجته من دجنه * لبليتي وآثرته من خدره
فقتلته وله علي كرامة * ملء الحشا وله الفؤاد باسره
عهدي به ميتا كاحسن نائم * والطرف يسفح دمعتي في نحره
لو كان يدري الميت ماذا بعده * بالحي منه بكى له في قبره
غصص يكاد يفيض منها نفسه * ويكاد يخرج قلبه من صدره

(ومن لطيف شعره في الدعاء على المحبوب)

كيف الدعاء على من جار أو ظلما * ومالكي ظالم في كل ما حكما
لا آخذ الله من اهوى بجفوته * عني ولا اقتص لي منه ولا ظلما

(ومما ارخه الفرس) عن أردشير ملك الطوائف انه لما حاصر ثرثار وهي قلعة في برشنجار من مدن الشرق استعصم بها ملكها المعروف بالساطرون وطال الامر فصعدت ابنته يوما على القلعة فرأت أردشير فعلقته فرمت اليه بكتاب في نشابة فيه ان انت شرطت لي ان تتزوجني عرفتك كيف تاخذ القلعة فراجعها اني شرطت لك ذلك فدلته فلما اخذ القلعة وتزوج بها واقام مدة ضجرت ذات ليلة من شيء تؤلمها في الفراش فكشفوا فاذا هي باقة نرجس فتفكر في رقة جلدها فقال لها ما كان يطعمك ابوك قالت الشهد ومخ العظم والزبد

سوى وضع الصدور على الصدور ولاسيما ممن بدت نهوده وتوردت خدوده وعذب مذاقه وطاب عناقه

اعانقه والنفس بعد مشوقة
اليه وهل بعد العناق تداني
والثم فاه كي تزول حرارتي
فيشتد ما القى من الهيمان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله
سوى ان ترى الروحان يمتزجان

(وقال الآخر)

شفاء الحب تقبيل وشم
ووضع للبطون على البطون
ورهز تذرف العينان منه
وأخذ بالمناكب والقرون

(وقال آخر)

اسقم قلبي ثم لم يبره
عاقد زنار على خصره
لا تلتقي روحي مع جسمه
حتى أرى صدري على ظهره

(وقال أبو جعفر العذري)

فسكر الهوى أدوى لعظمي ومفصلي
اذا سكر الندمان من لذة الخمر
واحسن من قرع المثاني ونقرها
تراجع صوت الثغر يقرع للثغر

(وقال أبو دهقان)

حدثنا عن بعض أشياخه
أبو هلال شيخنا عن شريك
لا يشتفي العاشق مما به
بالشم والتقبيل حتى ينيك

وقال في الاغاني قال أبو العيناء أنشدت أبا العبر قول المأمون

ما الحب الا قبل
وغمز كف أو عضد
من لم يكن ذا حبه
فانما يبغي الولد
ما الحب الا هكذا
ان نكح الحب فسد

فقال كذب المأمون وأكل من خراي رطلين وبعا بالميزان وأخطأ وأساء الادب هلا قال كما قلت انا وباض الحب في قلبي * فواويلا اذا فرخ وما ينفعني الحب * اذا لم اكسر البربخ فقال

فقال اذا كنت غدرت بمن هو عليك بهذه الصفة من الشفقة والدلال فكيف بي واشتد عنده التخيل والغيرة والحساب فقتلها (وحكى) صاحب محاسن البلدان ونزهة الازمان ان لكل اقليم اختصاصا بصفة وتمييزا بحالة تغلب عليه من قبل ما تتغير به الكائنات الفاسدة من العلويات وغيرها ان مصر وضعت في طالع الجوزاء وهي تعرف عندهم بالتوأمين والعذراء والمؤنثة ومقتضاها الرقة وسرعة التأليف واللطف وعدم الانضباط على حالة وقلة الغيرة وكثرة الغفلة وقد ظهر أثر ذلك في أفعالهم قال ألا ترى الى لطف العزيز وتغافله وقد رأى زوجته متهيئة للخلوة من غلق الباب ونحوه ولم يكن عالما بعصمة يوسف عليه السلام ليقال انه استند الى ذلك ومع هذا قال للرجل أعرض عن هذا وقال للمرأة استغفري لذنبك وعكس ذلك الاقليم الخامس فقد وضع في طالع المريخ ومقتضاه الغلظة واليبس والقسوة وسفك الدم ألا ترى ان ملكا من ملوك الاندلس كان شديد الكلف بجارية عنده حتى انه كان لا يستطيع عنها صبرا فجلس مع ندمائه يوما وغنت الجارية فاستعاد منها بعض خواصه صوتا فلما انقضى المجلس جيء بطست فوضع بين يدي مستعيد الصوت وقال له الملك اكشفه فاذا فيه رأس مقطوع فقال له استعد الصوت منها فقام مريضا وقد نقل الحكاية ابو حيان في تفسيره ملخصا

(الصنف الثالث في ذكر من عانده الزمان في مطلوبه حتى شورك في محبوبه فصنع من الحيل ما افضى الى قتله وقتل من شاركه في فعله)

حكى لي رجل بحلب سنة ثلاث وستين وتسعمائة ان رجلا موصليا علق امرأة فزاد بها وجده فكان لا يصبر عنها ساعة وتلطف بها حتى فارقت زوجها وتزوج بها واقاما مدة وجاء يوما فوجدها تأكل في طعام لم يكن جاءبه هو فسألها عنه فقالت من بعض أهلي فداخله من ذلك شيء وقوي عنده وتجسس عن أمرها فلم يقع على شيء فمضى وركب دواء مسموما ثم جاءبه اليها فقال احتفظي بهذا فانه باهي فقالت كل منه فأكل ورفعت الباقي ومضى فعالج نفسه من السم وعاودها بعد يوم متمرضا فوجدها والرجل ميتين ففرح وقد اتفق عليه الغم وباقي السم فمات من ليلته (ورأيت) في الشهنامة الفارسية ما ترجمته ان ابرويز احد ملوك الفرس تزوج امرأة صغيرة بديعة في الحسن وقد بلغ ثمانين سنة فوجد بها وازداد عشقه لها وهي تظهر حبه وتخفي بغضه وعلقت ولده واشتد ميلها اليه وان الملك دخل فرآهما على الحالة المنكرة فكادت نفسه أن تزهق وعلم انه ان اظهر أنه رآهما أمرت المرأة ولده بقتله فرجع وأخذ في تدبير الحيلة فأخذ كتابا وسم ورقه وجلده بالذهب ورصعه بالجواهر وأودعه صندوقا وجاءبه الى المرأة فقال لها قد علمت ما حوت يدي من الذخائر والنفائس غير انه لم يكن يعدل نفسي الا هذا الصندوق فاحتفظي به وعلم انها تستطلع عليه ولده فلما خانت به اخبرته القصة فقال علي بالصندوق فاحضرته ففضه فلم يجد الا الكتاب مطبوقا فحاول فتحه فوجد ورقه متلاصقا بعضه ببعض فجعل يبل أصبعه من ريقه ويتصفح الاوراق فلعب السم فيه وعلم بالحيلة فأخذ السيف وخرج فضرب أباه فسقطا ميتين (ووقفت) في سنة خمس وستين وتسعمائة بمحروسة دمشق على كتاب لم أعرف مؤلفه سماه ضرر الافكار في التحريض على تزويج الابكار ذكر فيه ما ملخصه ان قدماء الفرس كانوا يمنعون التزوج بالثيب لان حكماءهم يقولون ان المرأة لا تأتي مقاليد طاعتها ولا تصدق لطائف شهوتها ولا تمحض حسن

وان لم يطرح الاصلاح * فزجيه عن المطبخ ثم قال لي كيف رأيت قلت عجبا من العجب قال كنت ظننت انك تقول غير هذا فابل يدي فارفعها فان قول المأمون ان نكح الحب فسد هذا على قول من يرى ذلك كما ذكر المرزباني ان اعرابيا قال علقت امرأة كنت آتيها فاخذتها وما جرت بيننا ريبة قط الا اني رأيت بياض كفها في ليلة ظلماء فوضعت يدي على يديها فقالت مه لا تفسد ما صلح فانه

ما نكح الحب الا فسد

وحكي عن بعض الادباء انه كان يعشق جارية فقالت أنت صحيح الحب كامل الوفاء فقال نعم قالت فامض بنا حيث شئت فلما حصل في منزله لم يكن همه الا أن رفع ساقيها وجعل يجامعها بجميع جوارحه فقالت له وهي في القالب

أسرفت في نيكنا والنيك مصلحة
فارفق بفضلك ان الرفق محمود
فاجابها وهو في عمله لا يفتر
ولم أنلك نيك من تبقى مودته
لكن نيكي هذا نيك مجهود

فنفرت من تحته وقالت يا فاسق أراك على خلاف ما قلت كانك تجعل جماعي سبب الذهاب حبك والله لا تجمعني واياك سقف بعد هذا أبدا وعلى هذا القول جماعة أعني ان الحب اذا نكح فسد ومنهم من قال لا يستحكم الحب الا بعد ايقاع الوطء وأنه اذا وقع الوطء ازدادت المحبة ويسمونه مسمار المحبة كما قيل

لم يصف حب لمعشوقين لم يذقا
وصلا يحل على كل اللذاذات

(وقال هدبة بن الخشرم)

والله ما يشفي الفؤاد الهائما
نفث الرقى وعقدك التمائما
ولا الحديث دون ان تلازما
وتعلق القوائم القوائما

(وقال آخر)

قولا لعاتكة التي * في نظرة قضت الوطر
اني اريدك للنكاح * ولا اريدك للنظر
لو كنت مقتنعا بذا * لك كان هذا القمر

مودتها الا من يفض ختام بكارتها لانه القاطف لزهر محاسنها والمجتلى على اول مطالع بدر مواطنها فان وقع منها الغيره ودفنادر لا يعتد به ونزر لا ينبغي التمسك بسببه ولم تزل هذه الوصايا عندهم محفوظة وبعين الكمال ملحوظة وان ملكا جاوز الستين ولم يرزق ولدا وكان ذا ملك عظيم ومال ورزق جسيم فكان يتأسف على خروج ذلك منه وانتقاله عنه فجمع اهل التنجيم والخطوط وامرهم بالنظر في ذلك فرؤا انه ان تزوج من الحبشة رزق ولدا يكون له الملك فارسل فجيء له ببنت فاختار واله طالعا يبني بها فيه وواقعها فحملت وجاءت بذكر صحيح سوى حسن الخلقة فاولم الملك اربعين صباحا ونشأ الولد فحفظ الادب والحكمة وان اباه طلب تزويجه ونادى بعرض البنات عليه فوقع اختياره على واحدة لنسب بالشريفة المناسبة للملك فارادوا تحويله عنها فابى فزوجه بها على غضاضة في نفسه ودخل فوجدها ثيبا فكتم اباه ذلك لشدة عشقه وشغفه بها وان امه ودهاة النساء من خدمتها جعلن ينظرن في حب كل منهما لصاحبه فيجدنه اعظم حبا لها منها له فكن يخبرن الملك فيقول ان صدق الحدس فانها ثيب ولا يستطيع احدان يكلمه في امرها فلما افضى الملك اليه بعد والده دخل يوم فوجدها كانى فرغت من الجماع وكان له مدة لم يتغشاها وكان اذا جامعها تدوم حمرة وجهها مصفرة يوما وهذه والتى تغيب حال الفعل تسمى الربوخ فسالها عن العلة فاجابت انها تشكو صداعا وكان عارفا بالطب فلم يرض بذلك ولكن كره ان يغضبها فامسك وتكرر منه رؤيتها كذلك وكان قد برع في الدهاء فصنع قارورة طيب نفيسة واتى بها الى بيتها فوضعها في صندوق محرز في خزانة سره واخذ مفتاحها وجعل كلما جامعها اخرج من الطيب ودهن مذاكيره وسرته وامرها فتدهن فرجها واخبرها ان ذلك ذخيرة لم يظفر بها سواه وانه يقوي الاعضاء ويعين على الفعل ويحفظ الصحة والصبا والقوة وخرج عنها فجاء صاحبها فكانت تطيبه من الطيب الى ان علم ثبوت ذلك عندها فجاء بسم قاتل لوقته فاوهمها الاخذ من الدهن ووضع ذلك فيه واعلمها انه خارج في شغل يقيم فيه سبعة ايام وخرج بعسكره من البلد ثم عاد من الغد على غفلة مستخفيا فدخل عليها فوجدها والرجل فيهما رمق الحياة فرمى عنقهما وسال عن الرجل فاذا هو جارها نشأ معها صغيرا فعلم انه الذى ازال بكارتها ثم اقام مدة فكان يعاوده من حبها وهو على سرير ملكه ما يذهب عقله فيقوم الى الخلوة ويذكر عشقها السوقة عليه وايثارها الارذال فيسكن ما به ويعود فلم يزل اياما على ذلك حتى غلب الحب على التأسي فمات

(الصنف الرابع في ذكر من عوقب بالفسق ولم يشتهر بالعشق)

قد خلط المصنف هؤلاء بالعشاق وعقد لكل باب عقوبة الفساق واهل العشق الصحيح بريؤن من الاثم خارجون عن التسمية بهذا الاسم * فمن اهل هذا الصنف ما حكى عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه آلى ان لا يهدر دم مسلم فاتى يوما بشاب امرد مقتول فعرف المكان الذى وجد فيه واستكتم من جاءه امره وقال ارجوان لا يفوتني فلما كان بعد حول راى طفلا ملقى موضع الشاب فقال قد ادركت ما اطلب واخذه فسلمه الى من ترضعه واجرى عليها ما تحتاج اليه وقال لها اذا رأيت امرأة تقبله وتضمه فاعلميني فجاءت جارية يوما الى المرأة فقالت ان سيدتى تطلب الغلام ساعة فمضت به اليها فرشفته وضمته ثم دفعته الى المرأة فجاءت الى عمر فاعلمته بذلك فاخذ سيفه ومضى الى الباب فاذا ابوها شيخ من الانصار قد كبر فقال ابن

كان زهير بن مسكين يهوى جارية واستهام بها فلما امكنته من نفسها لم تر عنده ما يرضيها فذهبت ولم ترجع اليه بعد فقال فيها اشعارا كثيرة منها

تقول وقد قبلتها الف قبلة
كفاك اما شيء لديك سوى القبل
فقلت لها حب على القلب حفظه
وطول سهاد تستفيض له المقل
فقالت وايم الله ما لذة الفتى
من الحب في قلب يخالفه العمل

(واما نكاح الطيف) فاختلفوا فيه فذهب ابو تمام الطائي الى انه لا يفسد الحب بخلاف نكاح الحقيقة وخالفه في ذلك جماعة ومنهم من اذا افضى الى معشوقه اقتصر على الرشف والشم والعناق دون تعرض لنكاح والمانع له من ذلك امران احدهما التورع وعفة النفس وخوف الوقوع في الكبيرة اذا كان محبوبه ممن لا يجوز له نكاحه كما قيل

ولرب لذة ليلة قد نلتها
وحرامها بحلالها مدفوع

(وقال آخر)

أتأذنون لصب في زيارتكم
فعندكم شهوات القلب والبصر
لا يضمر السوء ان طال الوقوف به
عف الضمير ولكن فاسق النظر

(وقال آخر)

خود حرائر ما همن بريبة
كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الحديث زوانيا
ويصدهن عن الخنا الاسلام

وسيأتي ما ورد في هذا المعنى في باب العفاف والثاني ما قاله العلماء في اسباب الباه وهو ان شهوة القلب ممتزجة بلذة العين وحب النفس معقود باختيار الطبائع الا ان يكون الحب تكلفا لاستفراغ ماء الشهوة فيصير الحرص على الجماع على قدر الهوى والهوى على قدر المؤانسة فمن وافقت عينه قلبه ونفسه طباعه ممن يحب تمكن حبه وارتفعت عنه شهوة الجماع فوقع فيما

ابتلت

ابنتك فقال بالبيت فقال كيف سيرتها فقال على أحسن حال من طاعة الله ورسوله والقيام بحق فقال مكانك حتى أدخل عليها وأعظها فقال افعل فاستأذن عليها فحين صار عندها قال اصدقيني ما فعلت والارميت عنقك فقالت يا أمير المؤمنين اني والله محدثتك بما كان لا أكذبك شيأ اعلم ان عجوزا كانت تدخل على من الصغر وتخدمني الى ان صرت كما ترى وانا أظنها اصالحة فقالت لي يوما قد عزمت على مكة وعندي ابنتي ولا آمن ان أتركها في البيت فاريد أن اجعلها عندك حتى أعود فقلت كرامة فمضت واحضرت شخصا مؤزرا مبرقعا فلما كان الليل ونمت آمنة وثب على صدري فنال مني فعمدت الى شفرة بالقرب مني فبعجت بها بطنه وجعلناه حيث رأيت فبعد مدة رأيت اني حامل فلما وضعت جعلته مكانه فدعاها وجزاها خيرا وأوصى أباها بها

(ومنهم اعرابي من أسد) خرج لحاجة فنزل على باهلة عند امرأة فقدمت له ما يحتاج اليه فلما لم ير عندها احدا سامها نفسها فقالت على رسلك لا اصلح من شأني وغابت ثم جاءت وقد أخفت مدية فوثب ليعانقها فضربته بها في نحره فخر ميتا وسقطت حين رأت الدم وجاء بعض اهلها وهي على تلك الحالة فأجلسها حتى سكن ما بها وحدثته القصة فشاعت حتى قال فيها شاعرهم قيل جعفر بن علبة وقيل صيفي بن سعيد الباهلي وقيل غيرهما هذه الابيات

لعمري لقد أخفت معاداة ضيفها * وسوت عليه مهده ثم برت
فلما بغاها نفسها غضبت لها * عزوق نمت وسط الثرى فاستقرت
وشدت على ذي مدية الكف معصما * وضيئا وعزت نفسها فاستمرت
فأمت بها في نحره وهو يبتغي النكاح ومرت في حشاه وجرت
فنجع كان الغيل في جوف صدره * وأدركها ضعف النساء فخرت

ويقرب منه ما حكى ان رجلا اضاف بني هذيل فحين خرج عن البيوت رأى جارية فتبعها فراودها عن نفسها فتعاسفا فأخذت حجرا فضربته به فقصمت كبده وبلغ عمر فقال هو قتيل لا يودى * وغزا رجل فخرج جاره فرأى في بيته مصباحا وانصت فسمع قائلا يقول

واشعث غره الاسلام مني * خلوت بعرسه ليل التمام
أبيت على ترائبها ويمسى * على جرداء لاحقة الحزام
كأن مواضع الربلات منها * فئام ينهضون الى فئام

فدخل فقتله وكان في عهد عمر ايضا فلما اصبح اعلمه فنشد عمر عن سيرة الرجل فلم يقل الا خيرا فقال له اقتله فقال قد فعلت فجزاه خيرا واقتدى به في عدم ايذاء الفاسق عبد الملك بن مروان وقد جعل اليه رجل راود امرأة عن نفسها فاغلقت بينها وبينه فادخل رأسه فشدخته وقال لا يودى واما مصعب بن الزبير فأخذ دية رجل وجده رجل مع زوجته فقتله

(ومنهم ما حكى عن عبد الله بن سبرة) ان امرأة مغيبة يعني غاب عنها زوجها ارسلت اليه فلما جاء اخبرته ان رجلا يسومها نفسها فقال ابعثي اليه واختفى فلما جاء قام فقتله وامر الجارية فحفرت حفرة والقاه فيها وقتل الجارية وجعلها معه واعطى المرأة سبعين دينارا وقال اشترى بها خادما وقال * وكل حديث جاوز اثنين شائع * وكان عبد الله هذا من اعظم الناس مروأة حتى قيل ان شاميا اسمه فير وخرج الى العرب يبيع العطر فوضع يده على عجيزة امرأة فقالت يا عبد الله بن سبرة وبلغه فخرج من أذربيجان في طلب العطار الى

تكره المرأة من الرجل كما قيل رأت حي سعاد بالاجماع * فقالت حبانا حبل انقطاع اذا المحبوب لم يك ذا امر * رأى المشوق كالشئ المضاع

وزعم بعضهم ان من جملة ما يتداوى به من لم يفز بالظفر السفر كما قال بعضهم

اذا ما شئت أن تسلو حبيبا
فأكثر دونه عدد الليالي

(وقال الآخر)

وقد زعموا ان المحب اذا دنا
يمل وان النأى يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا
على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع
اذا كان من تهواه ليس بذي ود

(وقال الآخر)

وقالوا دواء الحب حب يزيله
لآخر وطول التمادي على الهجر

(وقال آخر)

تداويت من ليلى بليلى من الهوى
كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وذكر الحافظ أبو عبد الله البخاري في تاريخه باسناده ان محمد بن داود صنع خاتما ونقش عليه سطرين الاول وما وجدنا لاكثرهم من عهد الثاني فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكان اذا رأى رجلا يلج بالنظر الى الاحداث قال له اقرأ ما على الخاتم فلعله ينتهي عن ذلك والله أعلم * وقال شمس الدين بن الاكفاني في كتابه غنية اللبيب عند غيبة الطبيب ما نصه اذا شرب العاشق طبيخ الحرمل سلا العشق وكذلك النيلج الهندي اذا شرب العاشق منه أربع شعيرات بالماء قبل ان يتمكن منه العشق سلا وكذلك الحجر الموجود بعض الاوقات في اجواف الدجاج اذا رمي في ماء وشرب به العاشق سلا وكذلك ان علق عليه أيضا وكذلك حجر السلوان ويحكه بالابن ومن علق عليه حجر القلق وهو عاشق سلا وان كان حزينا زال حزنه ومن كان عاشقة الذكر وراغ في مناخ بغلة زال عشقه انتهى (تنبيه) التداوي بالجماع لا يبعـة

الشام حتى قتله

(ومنهم ماحكي عن جويرية بن اسماء عن عمه) قال خرجنا نريد الحج فبتنا ليلة وبالقرب منا امرأة فلما اصبحنا اذا حية قد التفت على عنقها ففزعنا من ذلك فلم تزل الى ان دخلنا الحرم فانسابت فلما قضينا المناسك سمعنا الغريض يقول للمرأة اى شقية اين حيتك فقالت في النار فقال ستعلمين من في النار فلما أردن الخروج عزمت على صديق لي وبينه وبين الغريض صداقة ان يمضي بنا اليه لنسمع من غنائه فلما سرنا عنده ذكرنا وسأله صاحبي الغناء فغنى

مرضت فلم تحفل علي جنوب * وادنيت والممشى الي قريب

فلا يبعد الله الشباب وقولنا * اذا ما صبونا صبوة ستتوب

واستعدناه الصوت فغنى قول المجنون عفا الله عن ليلى الابيات السابقة فتخيلنا ان الجبال ترقص طربا ثم استزدناه عند الوداع فغنى ابيات ابي الاسود الدؤلي التي اوصى بها ابنته عند الزفاف

خذي العفو مني تستديمي مودتي * ولا تنطقي في سورتي حين اغضب

فاني رايت الحب في الصدر والاذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فلما رجعنا اذا بالمرأة وقد جاءت الحية حيث انسابت فالتوت عليها وصفرت واذا بالوادي كله حيات فاقبلن ينهشنها حتى ماتت فسألت جاريتها فقالت بغت ثلاث مرات كل مرة تلد ولدا فتحرقه

(القسم السادس في ذكر من حل عقد المحبة وخالف سنن الاحبة)

وهو بالنسبة الى من استدرك الغلط واستقال ما فرط والى من تمادى على نقض العهد واخلاف الوعد ينحصر في صنفين اردفهما بثالث من هذا الكتاب اذ لم يكن مناسبا للباب قد سبق لك في الخطبة ان المؤلف رحمه الله قد اكثر في كتابه من التخليط في تبويبه وذكر غير المناسب لمطلوبه ولكن لعمري لم يقع له بهذه الاوصاف اكثر من الباب السابع حيث ترجم بمن استخفه الملل والضجر لطول الزمان فغدر المحبوب وهجر فان الواقف على هذه الترجمة يفهم منها انه يذكر متحابين نكث احدهما عهد الآخر ثم اما عادوا اما دام ولم يذكر من ذلك الا قصة كثير التي ترجم لها في الباب بمن تاب عن معشوقه ورجع الى معشوقه فمات في نادي الهوى وسوقه وها انا اذكر ما وقع لي من ذلك على الشرط المتقدم ان شاء الله تعالى

(الصنف الاول في ذكر من تاب عن الخلاف ورجع الى حسن الائتلاف وكان محبوبه في الوجود فتراضيا على ضم شمل العهود)

حكى المسعودي في جزء لطيف سماه اقتداح زناد الاشواق واسترجاع شوارد العشاق ان المجنون اخبر بعد توحشه بزواج ليلى فجاء ولبس اثوابه وأقام مدة يظهر انحلال العشق وانه لم يبق له فيها أرب لما كان قد عاهدها انها تدوم معه على المحبة ولا تنقض عهد الصحبة فبينا هو ليلة نائم اذ رآها باكية فدنا منها فولت وجهها وقالت اى غادر لو ملكت امري ما تملكه انت من أمرك ما فعلت وأيم الله اني لم امكن منه الا كمفترش النار في الهواجر او متوسد السعدان عاريا فانتبه مرعوبا باكيا ثم نزع ما عليه وعاد الى التوحش * وفيه ايضا ان قيس ابن ذريح حين تزوجت لبنى خرج متصفحا احياء العرب حتى ظفر بامرأة تشبه لبنى فتزوج بها وقال عشق بعشق وامرأة بامرأة واقام معها والصحيح ان ذلك لم يكن باختياره وانما وقع

الشرع بوجه ما اذا كان المحبوب ممن لا يجوز نكاحه واما التداوي بالضم والقبلة فان تحقق الشفاء به كان نظير التداوي بالخمر عند من يبيحه بل هذا أسهل من ذلك فان شربه من الكبائر وهذا الفعل من الصغائر *(شربة)* يستعمل البوس والعناق والشفاه الرقاق في قاعة وايوان وبركة وشاذروان وطعام سبعة ألوان وبنفسج ونرجس وآس ومنثور وورد وريحان ودنان خندريس وألف دينار في كيس وجارية من بني الاتراك بساق سمين وطرف كحيل تستعمل هذه الحوائج على نطع أحمر ذي نقش أخضر وبعد هذا يدخل الحمام فانه مجرب والسلام *(شربة أخرى)* يؤخذ ثلاث مثاقيل من صافي وصال الحبيب ومثقال من عيدان الجفاء وخوف الرقيب وثلاث مثاقيل من نوى الاجتماع منقاة من غلث الهجر والانقطاع واوقية من خالص الود والكتمان منزوعة من عيدان الصد والهجران ويؤخذ عقار النحور ولثم الثغور وضم الخصور من كل واحد مثقالان ويؤخذ مائة بوسة رمانية محكوكة مرضوضة منها خمسون صغار اسكرية وثلاثون زق الحمام وعشرون عصافيرية ويؤخذ غنج حلبي وشخير عراقي من كل واحد مثقالان ويؤخذ أوقيتان من مص اللسان ولثم الفم مع الشفتين ويدق الجميع ويخلط ويذر على وزن ثلاثة دراهم غلمة مصرية ويضاف اليها حسن الاعكان المطوية ويغلى الجميع بماء المحبة على شراب الانس وحطب الطرب في مرجل العجلة ويصفى الجميع على مقعد دمشقي سلطاني ويحل فيه أوقيتان من شراب الرضاب ويشرب على الريق ثلاثة أيام ويكون الغذاء مزورة من يقطين الاشتياق ويضاف اليها قلب لوز العناق وماء ليمون الاتفاق ويتناول بعد ذلك ثلاثة ارطال من المدام وتتبع برطلين من

بحيلة ولم يقم معها وقد بسطت الخبر في قصته * وفيه ونقله المصنف هنا ان عزة أرادت ان تعلم ماله عنده كثيرا فتنكرت له ومرت به متعرضة فقام اليها وكلمها فقالت اين حبك عزة قال جعلت فداك لو أنها أمة لي لوهبتها لك قالت لا تفعل فقد بلغني انها لك مخلصة وفي المحبة صادقة فقال دعيني منها فهل لك في المخالاة قالت وكيف تصنع بما قلت فيها قال أديره فيك ثم انشد يقول

ماوصل عزة الا وصل غانية * في وصل غانية عن وصلها خلف

فكشفت عن وجهها فبهت فقالت الى هنا يا فاسق فهلا كنت مثل جميل حيث يقول

محا الله من لا ينفع الود عنده * ومن حبله ان مد غير متين

ومن هو ذو وجهين ليس بدائم * على العهد خلاف بكل يمين

ثم لم يزل يعتذر ويتنصل الى أن قبلته ولا مناقضة بين هذا وبين ما تقدم من انه انشد من جميل لقوله هنيئا مريئا البيت وقول جميل رمى الله في عيني بثينة الابيات لان تلك أدل على الاشفق وهذه على الاعشق واما قصة ذي الرمة حيث عابت عليه المرأة تشبيهه محبوبته بالعنز في الابيات التي منها

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل * وبين النقا أأنت ام ام سالم

فتنصل واعترف حتى وهبها الراحلة فاعادتها وصفحت فليس من هذا القبيل اذ ليس بنقض عهد وانما هو غفلة عن مقام الحبيب المحبوب قاد اليه التوغل في التشبيب ونظيرها ما سبق في قصة كثير من اعتراض العجوز عليه في قوله فما روضة بالحزن البيتين واما من رجع نادما على المفوات فوجد الحبيب قد فات فجرعته الغصص من ذلك كأس الممات فقليل *(ومنهم ما حكاه في النزهة ونقله هنا مجهولا) * ان كعب بن مسعدة الغفاري قال خرجت أنا ومالك بن غفيلة العذري نمشي في القمر اذا بنسوة تقول احداهن اي والله هو ثم قربن منا فقالت احداهن قل لصاحبك

ليست لياليك في حاج بعائدة * كما عهدت ولا أيام ذي سلم

فقلت قد سمعت فاجب قال قد انقطعت فاجب انت فقلت ولم يحضرني غيره

فقلت لها يا عز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

وانصرفنا فما استقريت الا وجارية تقول اجب المرأة التي كلمتك فلما صرت اليها قالت انت المجيب قلت نعم قالت فما اقصى جوابك قلت لم يحضرني غيره فقالت لم يخلق الله أحب الي من الذي كان معك فقلت على ان احضره اليك فقالت هيهات فضمنته في الليلة القابلة ورجعت فرأيته في منزلي فاخبرني بالقصة كالكاشف فقلت له قد ضمنت لها حضورك الليلة القابلة فلما كان الوقت مضينا فاذا بالمجلس قد طيب وفرش فجلسنا فتعاتبا فانشدته ابيات اميمة امرأة ابن الدمينة

وانت الذي أخلفتني ما وعدتني * واشمت بي من كان فيك يلوم

وأبرزتني للناس ثم تركتني * لها غرضا أرمى وانت سليم

فلو كان قول يكلم الجسم قد بدا * بجسمي من قول الوشاة كلوم

(فاجابها) غدرت ولم اغدر وخنت ولم اخن * وفي بعض هذا للمحب عزاء

جزيتك ضعف الود ثم صرمتني * فحبك في قلبي الى اذاء

سبيل السالفين ويدخل الحمام فانه نافع والسلام * سيف قاطع وبرق لامع ساطع فيما يتعلق بتداوي علة الجوى وهو ماحكاه ارباب الرياضي في الاعداد المتحابة وذلك أن في الاعداد أربعة وثمانين ومائتين وتسمى العدد المحب وصورته بالقلم الطبيعي هذه ٢٠ ماما وحروف نطقه دفر وفي الاعداد عدد يقال له المحبوب وهو مائتان وعشرون وصورته بالقلم الطبيعي هذه ما ما وحروف نطقه كر فعدد عشرين ومائتين يحبه ابدا عدد اربعة وثمانين ومائتين فاذا كان عند انسان خاتم اولوح فضة اوما امكن من المعادن يكون وزنه ٢٢٠ وعند انسان خاتم ثان اولوح زنته زنة الثاني من العددين فان الذي عنده اربعة وثمانون ومائتان يحب الذي عنده عدد عشرين ومائتين فان أردت الاستعطاف وجذب القلوب واخذ النفوس فاكتب في رقعة صورة الاعداد الاربعة وثمانين ومائتين بالقلم الطبيعي المتقدم صفته واكتب في رقعة أخرى صورة الاعداد المائتين وعشرين وامسك الرقعتين بين اللذين قد تباغضا فانهما يتحابان وما يكون بينهما شر ما دامت الرقعتان معهما فان لم يمكن ذلك فالق الرقعتين في حق نظيف واكتب اسم كل واحد منهما ولقبه المشهور وضع الحق في موضع يران عليه فانهما يقلبان وان كتبت الاعداد المتحابة بماء وسكر وسقيت كلا منهما فانهما يتحابان واعجب من ذلك انك تطعم انسانا قد ابغض آخر اربعة وثمانين حبة رمان ومائتين وتطعم الآخر المبغوض في ذلك الوقت بعينه مائتين وعشرين حبة من الرمان فانهما يتحابان ومما يؤكد المحبة فيما ذكر بعض الحكماء انه اذا وصلت بلة من ريق كل المتحابين الى معدة الآخر اختلط ذلك بجميع البدن ووصل الى جرم الكبد وكذا اذا تنفس كل واحد

فالتفتت الي وقالت الا تسمع فغمزته فكف ثم انشدت

تجاهلت وصلي حين لاحت عمايتي * فهلا صرمت الحبل اذ انا ابصر
ولي من قوي الحبل الذي قد قطعته * نصيب ولي رأي وعقل موفر
ولكنما آذنت بالصرم بغتة * ولست على مثل الذي جئت اقدر

(فأجابها) لقد جعلت نفسي وانت اخترمتها * وكنت أعز الناس عنك تطيب

وفي روضة القلوب بدل هذا البيت

لقد كنت انهى النفس عنك لعلها * اذا وعدت بالنأي عنك تطيب

وفيها انه قبلها وانشد

دمعي عليك من الجفون سكوب * والقلب منك مروع مكروب
لا شئ في الدنيا ألذ من الهوى * ان لم يخن عهد الحبيب حبيب

(فأجابته) خلوتم بأنواع السرور وهنا كم * وافردتموني للصبابة والحزن
وعذبتموني بالصدود وانني * لراض بما ترضونه لي من الغبن

والمشهور انهما لم يأتلفا بعد بل حين انشد لقد كنت انهى النفس البيت قالت له او كنت تفعل ما قبل خير بعدها وافترقا فقالت لكعب ما قالت لك انك لا تفي بضمانك ولكن اذا كان السحر فائتني قال كعب فجئت فاذا انا بالصياح فسألت جارية فقالت حين خرجتما جعلت في عنقها انشوطة وخنقت نفسها فلحقناها فخلصناها فجلست ساعة تحادثنا وتفكره فتقول انه لقاسي القلب ثم شهقت فماتت وبلغ الشاب فلزم قبرها فجاءته في النوم فقالت هلا كان هذا قبل فمات من وقته * قال في النزهة واصل هذه الحكاية ان هذه المرأة كانت من عذرة واسمها سعدى وكانت وهذا الفتى على اعظم رتبة من شدة تعلق كل منهما بصاحبه وكان في الحي رجل يحبها وهي لا تحبه فغار منهما فوشى به الى اهلها فحجبوها منه فتراسلا بالمحبة وبلغه فارسل زوجته عن لسانها الى مالك بشتم وقطيعة ولم يعرف انها زوجة ذلك الرجل ولم تدر الزوجة تفصيل الامر وكانت عند مالك انفة فخرج الى مكة ناقضا للعهد فلما بلغ زوجة ذلك الرجل وجه الحيلة وما اخفاه زوجها اخبرت سعدى بما تم فخرجت على وجهها الى مكة حتى اجتمعت به وتم بينهما ما سمعته

(الصنف الثاني في ذكر من تمادى على نقض العهد ومات على خلاف الوعد)

اخرج في اقتداح زناد الاشواق عن الاصمعي قال نزلت على رجل من بني هذيل فاكرمني واطرفني بلطائف الاخبار فكان يوم أقصر ما يكون بالسمر فلما كان الليل فرش لي موضعا لطيفا فلما اوطانا وغمت وجلس فقلت هل بقي لك أرب في السهر فقال لا وعافاك الله ثم ودعني الى فدنت ان له شأنا فاوهمته النوم فقام وفتح مخدعا فاخرج منه كلبة عليها الحرير وأطواق الذهب فقدم لها طعاما وشرابا فلما اكتفت غسلها بماء الورد وبخرها بالعود ثم مكث ساعة ونزع ما كان عليها ورشها بالرماد والزيت وعاقبها طويلا وهو مع الفعلتين يبكي بشهيق أخال فيه ان نفسه زهقت ثم أعاد عليها ما كان عليها وأدخلها المخدع وجلس يبكي وينشد

أأحبابنا لو تعلمون بحالنا * لما كانت اللذات تشغلكم عنا
تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا * وأبديتم الهجران ما هكذا كنا
وآليتم ان لا تخونوا عهودنا * فقد وحياة الحب خنتم وما خنا

منهما في وجه صاحبه فانه يخرج من ذلك النفس شيء يختلط باجزاء الهواء فاذا استنشقاه دخل في الخياشيم فوصل بعضه الى الدماغ فسرى به كسريان النوم في جرم القلب ووصل بعضه الى الرئة ثم الى القلب فيسري الى العروق الضوارب في جميع البدن فينعقد من بدن هذا ما تحلل من بدن هذا فيصير مزاجا فيتولد العشق وتتأكد المحبة قال الشيخ مغلطاي وهذا الذي أميل اليه ويوشك أن يدوم ويثبت ولا يغيره مر الليالي وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان

(فصل) اختلف الفقهاء هل يجب على الزوج مجامعة امرأته فقالت طائفة لا يجب عليه ذلك لانه حق له فان شاء استوفاه وان شاء تركه بمنزلة من استأجر دارا ان شاء سكنها وان شاء تركها وهذا من أضعف الاقوال لان القرآن والسنة والعرف والقياس يرده قال الله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف فاذا كان الجماع حق الزوج عليها فهو حق لها على الزوج بنص القرآن وقال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف ومن ضد المعروف أن يكون عنده شابة شهوتها تعدل شهوته أو تزيد عليها باضعاف مضاعفة ولا يذيقها لذة الوطء مرة واحدة ومن زعم ان هذا من المعروف كفاه طبعه في الرد عليه وقالت طائفة يجب عليه أن يطأها في كل اربعة اشهر وتخير المرأة بعد ذلك ان شاءت تقيم معه وان شاءت تفارقه فلو كان لها حق في الوطء اكثر من ذلك لم يجعل للزوج تركه في تلك المدة وهو امثل القولين مع ما فيه وقالت طائفة يجب عليه أن يطأها بالمعروف كما ينفق عليها ويكسوها ويعاشرها بالمعروف قالوا وعليه أن يشبعها وطأ اذا أمكنه كما عليه أن يشبعها قوتا وكان ابن تيمية يرجح هذا القول ويختاره قال تلميذه ابن قيم الجوزية وقد حض النبي صلى الله عليه وسلم على استعمال هذا ورغب فيه

غدرتم ولم نغدر وخنتم ولم نخن * وحلتم عن العهد القديم وما حلنا
وقلتم ولم توفوا بصدق حديثكم * ونحن على صدق الحديث الذي قلنا

ودام كذلك حتى طلع الفجر فجاء ليوقظني فرآني منتبها فلما ودعته تفرس ان في وجهي كلاما فقال انشدك الله هل رأيت من حالي شيأ انكرته قلت اللهم نعم قال أوتحب أن اطرفك به قلت اي والله فتنفس الصعداء وكفكف دمعه فلم يملك ذلك وخنقته العبرة فارسلها وانشد

أكفكف جفن العين والدمع سافح * كشبه غدير فوق خدي جاريا
فياليت شعري ذا البكاء الى متى * وحتى متى ذا الحزن والجسم باليا

ثم غيض دمعه وقال يا اخا العرب كانت لي ابنة عم لا املك الصبر عنها فتزوجت بها فكانت بي أبر من امي واقنا مدة لم آل جهدا في الانفاق عليها فتعاهدنا على عدم التفرق والاستبدال فلما املقت أنفت مني فأخذت في التحامل والتجنب فقلت لها ماذا تريدين قالت أوفاعل أنت ما أقول قلت نعم قالت تطلقني فخامرني حبها فقلت قد فعلت فاعتزلتني وعاودني القلق فتألمت طويلا وجئت فشكوت اليها ذلك وذكرتها العهود والمواثيق فطيبت نفسي وحلفت انها لا تتزوج ولا تتزين لغيري فقمت وجئتها يوما فوجدتها على احسن ما يكون من أنواع الزينة فكلمتها فلم تجب فسألت فقيل لي تزوجت فحلفت لها أن لا آخذ بدلها لبسها وزينتها التي عندي الا كلبة وفعلت فأنا الآن أمثلها بتزيين هذه الكلبة واذكر غدرها فاسلبها وأعاقبها كما رأيت قلت فهل وقع بينكما بعد ذلك مراسلات قط قال نعم قد كلفها الذي تزوج بها شططا وسامها نقصا فندمت فراسلتني فلم اجب مع انه لم يكن على البسيطة اعز علي منها ولكن الغيرة تمنعني قال الاصمعي فلم أر أغرب منها * واخرج في النزهة عن الرياشي قال اتجر صديق لنا فحمل الصندل الى شهرزور وقد بلغه انه نافق بها فلما حل بها صادف كسادا فمكث مغموما فبيناه كذلك اذ مرت به عجوز فسلمت عليه بلطف وسألته عن حاله فشكى اليها ما يجد من الغربة والوحدة وكساد متجره فقالت أما الكساد فسيزول ولم تزل الناس على هذا وأما وحدتك وغربتك فلا ارى لهما دواء الا ان تتزوج بمن تحفظك اذا غبت وتؤانسك اذا حضرت وتفرج عنك اذا حزنت قلت ومن اين لي بما ذكرت قالت وأنا الضامنة لك ما تطلب ابتغاء لوجه الله تعالى فشكرت صنيعها وأمرتها ان تفعل فما مضت عني الا وقد جاءت الدلالون فاشتروا البضاعة باحسن ربح الى اجل فتوسمت فيها الخير وجاءت فقالت قد هيأت لك ما تطلب فقم لتنظرها فمضينا الى دار لطيف وقد فرش لي قطيفة برة فجلست وجاءت امرأة تسر القلب وتملأ العين الا ان عليها آثار الحزن وشعار الفرقة فسلمت بحشمة وجلست فقالت العجوز ها هي فتراضينا ودخلت بها ودمت أسبوعا في انعم حال غير اني اجدها تقوم من الصباح فتجلس في موضع يشرف على الاشجار وتبكي حتى ترتفع الشمس فلم أسألها عن ذلك فلما كان يوم وقد أخذها النوم حتى طلعت الشمس انتبهت مرعوبة ترتعد ثم ذهبت الى المشرف وقادت فزوقت اثوابها وجلست تبكي فلم تلهج يومها كله الا بهذه الابيات

أيا عين نوحي بالدموع السواجم * على طامس بالشرق خاف المعالم
وبحي دما ان شح دمعك واسعفي * حليف الهوى من قبل حل التمائم

وعاق عليه الاجر وجعله صدقة لفاعله فقال وفي بضع أحدكم صدقة ففي هذا كمال اللذة وكمال الاحسان وحصول الاجر وفرح النفس وذهاب أفكارها الرديئة عنها وخفة الروح وذهاب كثافتها وغلظها وخفة الجسم واعتدال المزاج وجلب الصحة ودفع المواد الرديئة فان صادف ذلك وجها حسنا وخلقا دمثا أي سهلا وعشقا وافرا ورغبة تامة واحتسابا للثواب فذلك اللذة التي لا يعادلها شئ ولا سيما اذا وافقت كمالها فانها لا تكمل حتى يأخذ كل جزء من البدن بقسطه من اللذة فتلتذ العين بالنظر الى المحبوب والاذن بسماع كلامه والانف بشم رائحته والفم بتقبيله واليد بلمسه وتعتكف كل جارحة على ما تطلبه من لذاتها وتقابله المحبوب بنظير ذلك فان فقد من ذلك شئ لم تزل النفس متطلعة اليه متقاضية له فلا تسكن كل السكون ولذلك تسمى المرأة سكنا لسكون النفس اليها ولذلك فضل جماع النهار على جماع الليل وله سبب آخر طبيعي وهو أن الليل وقت تبرد فيه الحواس وتطلب حظها من السكون والنهار محل انتشار الحركات فذلك قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وكان محمد بن المنكدر يدعو في صلاته ويقول اللهم قوم لي ذكري فان فيه صلاحا لاهلي وقال عبد الله بن صالح كان الليث بن سعد اذا غشي أهله يقول اللهم شد لي أصله وارفع لي صدره وسهل علي مدخله ومخرجه وارزقني لذته وهب لي ذرية صالحة تقاتل في سبيلك قال وكان جهوريا فكان يسمع ذلك منه وقال علي بن عاصم حدثنا خالد الحذاء قال لما خلق الله آدم وخلق حواء قال يا آدم اسكن الى زوجك فقالت حواء يا آدم ما اطيب هذا زدنا منه انتهى

* (الباب الثامن عشر في تعنت المعشوق على الصب المشوق وغير ذلك من أقسام الهجر وصبر القابض فيه على

اذا ناحت الورقاء على فقد الفها * ولم تك ذا عقل فما حال عالم

حرام على النوم اذ فاتني به * زمان البكا والنوح قبل الحمائم

فضاق صدري لحالها وراجعت نفسي في سؤالها ثم غلب على عدم التصبر بعد ايام وهي تجالسني كالمشغولة وتقوم بما أحتاجه حتى اذا تمت مكثت جالسة حتى يسفر الفجر فتروح الى المكان الذي يشرف على الشجر كعادتها فقلت يا سيدتي قد ضاق صدري لحالك وانا اعزم عليك الا ما اخبرتني بما انت فيه فقالت اولا بد قلت اي والله قالت قد كان ابي ذا ثروة وعز وكان لي ابن عم قد كفله ابي صغيرا فنشأت واياه ليس عند احدنا اعز من الآخر فزوجني منه فاتفقنا الا نستطيع صبرا وكان في هذا البستان زوج حمام يبيت فيه ويصبح فيغرد بانواع التغريد فاذا اختفت واحدة في شجرة دارت الاخرى عليها حتى تكاد أن تموت فاذا التقيا تعانقا وغردا فلما كان يوم مر بهما حمام فطارت احداهما اليه ومضت فلم ترجع فاقامت الاخرى تغرد كل صباح الى ارتفاع الشمس ثم تلقي نفسها كالميتة حتى ذهبت نضارتها وذوي ريشها فقلت له يوما ان فارقتني لا كونن كهذه فقال انا لا افارقك أو اموت فقلت له قد تجد أحسن مني قال معاذ الله ان يكون في الدنيا مثلك فاردت أن اعرف صدقه وكانت لي صديقة قد احتوت على ارفع رتبة من الجمال فاستحضرتها وأريته اياها من خلال السجف فوقعت بقلبه فراسلها فاجابته فتزوج بها فلم توافقه فرجع يطلب مني ما كنت عليه فابت نفسي ان تطيع كما كانت وتشفع فلم يفد فقال اطلقك مرة قلت نعم ففعل وخرج فلم اعرف خبره وانما اخذتك لانك غريب تفارقني فان رضيت هذا الحال والا فشأنك قلت فلأي شيء هجرك النوم قالت كفارة لنومي عن مناوحة الحمامة وسبقها الي

(الصنف الثالث في ذكر من اشبه العشاق في محبته وشا كلهم في مودته فتعاهدا لشدة كلفه بالمحبوب على عدم الفراق فنكث احدهما عهد الآخر بعد التلاق)

وهذا هو الذي عقد له المصنف الباب ووعدنا بزيادته لان الترجمة له خلاف الصواب وقصة عاتكة مع عبد الله وان كان لها بهذا الباب اعتلاق الا انها بمعنى مضى الصق (فمنهم صخر بن عمرو) * وكان من اشجع العرب واكرمهم واجلهم وكانت تحته سلمى بنت عوف ابن ربيعة بن حارث الرياحي وصخر هذا هو أخو الخنساء المشهورة فيه بالشعر وكان عاهد سلمى على ان لا تتزوج بعده وهو كذلك عاهدها وكان يقول اذا نظر اليها لا اكره الموت الا انه يفرق بيني وبين هذه فلما كان اليوم المشهود بيوم الكلاب وهو الذي تحارب فيه بنو عوف وبنو الحرث التقى صخر مع ربيعة بن ثور العوفي الاسدي بعدما غلبت بنو الحرث على بني اسد ونهبتهم فطعن ربيعة صخرا وكان رمح صخر قصيرا فاصابه ربيعة فادخل في بطنه حلقا من الدرع فرض صخر سنة بالطعنة فكانت امه تلاطفه وقصرت سلمى في خدمته فسمع يوما امرأة تقول لامه كيف حال صخر فقالت نحن بخير ما دمنا نرى وجهه وسألت امرأة اخرى فقالت لا حي فيرجى ولا ميت فينعى فغم لذلك وانشد

فاي امرئ ساوى بأم حليلة * فلا عاش الا في عنا وهوان

(وحكى) في النزهة انه جلس يوما يستريح وقد رفع له سجف البيت فرأى سلمى واقفة تحادث رجلا من بني عمها وقد وضع يده على عجيزتها فسمعه يقول لها أيباع هذا الكفل فقالت عن قريب فقال صخر لامه علي بسيفي لانظر هل صدئ أم لا فاتته به فجرده وهم بقتل سلمى فلما

الجر) اقول هذا باب عقدناه لذكر التجني وقول المحبوب اليك عني فهو باب لمن قربه حلو المذاق عطر الخلاق بالاتفاق لا يعرف طعمه الا من ذاقه وعرف وصل الحبيب وفراقه ولم تزل العشاق يستحلي تجني الحبيب وتقول ضرب الحبيب زبيب

شرط المحبة عند ارباب الهوى

ان الملح على التجني يعشق

لا يصدهم صد ولا يتقون من سيوف اللحاظ عند حد فكم راجوا والحبيب صدلا وقالوا الخده اذا اقبل اهلا وسهلا لا يأخذهم فيه لومة لائم ولا يعدون جور بارد الظلم من المظالم

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه

حلوا فقد جهل المحبة وادعى

والعلم المشهور في هذا الباب قول علية بنت المهدي

حبل الحب على الجور فلو

أنصف المحبوب فيه لسمج

ليس يستحسن في شرع الهوى

عاشق يحسن تأليف الحجج

كانها ذهبت في البيت الاول الى قول العباس بن الاحنف

واحسن أيام الهوى يومك الذي

تروع بالهجران فيه وبالعتب

اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا

فاين حلاوات الرسائل والكتب

وقد زاد النميري على هذا فقال

راحتي في مقالة العذال

وشفائي في قولهم لا تبال

لا يطيب الهوى ولا يحسن الحب الا بخمس خصال

بسماع الاذى وعذل نصيح

وعتاب وكاشح ومطال

وقال جميل بن معمر

لا خير في الحب وقفا لا تحركه

عوارض اليأس او يرتاحه الطمع

لو كان لي صبرها او عندها جزعي

لمكنت املاك ما آتي وما أدع * ومن أبلغ ما قيل في منت الاحباب قول بعض الاعراب في محبوبته

دخلت

شكوت فقالت كل هذا تبرما * بحبي أراح الله قلبك من حبي فاما كتمت الوجد قالت تعنتا

دخلت ورفع السيف فلم يستطع حمله فبكى وانشد

اهم بأمر الحزم لو استطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

وهذا مثل يضرب للعجوز والبيت والذي قبله من قصيدة لصخر واولها

ارى ام صخر لا تمل عيادتي * وملت سليمى مضجعي ومكاني
وما كنت اخشى ان اكون جنازة * عليك ومن يغتر بالحدثان
اهم بأمر الحزم لو استطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان
لعمري لقد نبهت من كان نائما * واسمعت من كانت له اذنان
فللموت خير من حياة كأنها * محلة يعسوب برأس سنان
فاى امرئ ساوى بأم حليلة * فلا عاش الا في شقى وهوان

ولما اشتد غمه وطال مرضه نتأت قطعة موضع الطعنة فقيل له اقطعها فحموا له حديدة فادخلوها فيها فقيل كيف صبرك فانشد

فان تسأليني هل صبرت فانني * صبور على ريب الزمان اريب

ثم مات فتزوجت سلمى بعده وقيل سبب موته انه سكر مع البلغاء بن ربيعة وكان الآخر جميلا عندهم وذي يحسدهما على الحسن فسقاهما في الشراب سما والصحيح الاول

(ومن لطيف شعر الخنساء في صخر قولها)

قذى بعينك ام بالعين عوار * ام اقفرت اذ خلت من اهلها الدار
كأن عيني لذكراه اذا خطرت * فيض يسيل على الخدين مدرار
تبكي لصخر هي العبرى وقد ثكلت * ودونه من جديد الترب استار
تبكي خناس على صخر وحق لها * اذ رابها الدهر ان الدهر ضرار
وما عجول على بو تحن له * لها حنينان اعلان واسرار
ترتع ما غفلت حتى اذا ذكرت * فانما هي اقبال وادبار *
يوما بأوجع مني حين فارقني * صخر وللدهر احلاء وامرار
لا بد من ميتة في صرفها غير * والدهر في صرفه حول واطوار
يا صخر وراد ماء قد تبادره * اهل الموارد ما في ورده عار
يمشي السبنتى الى هيجاء معضلة * له سلاحان انياب واظفار
وان صخرا لمولانا وسيدنا * وان صخرا اذا يشتو لنحار
وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار
لم تره جارة يمشي بساحتها * لريبة حين يخلي بيته الجار
ولا تراه وما في البيت يأكله * لكنه بارز بالصخر مهمار
طلق اليدين بفعل الخير ذو فخر * ضخم الدسيعة بالخيرات امار

(وقالت ايضا)

الا يا صخر ان ابكيت عيني * فقد اضحكتني زمنا طويلا
بكيتك في نساء معولات * وكنت احق من ابدى العويلا
رفعت بك الخطوب وانت حي * فمن ذا يرفع الخطب الجليلا
اذا قبح البكاء على قتيل * رأيت بكاءك الحسن الجميلا

صبرت وما هذا بفعل شجي القلب
وادنو فتقصيني فابعد طالبا
رضاها فتعتد التباعد من ذنبي
فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها
وتجزع من بعدي وتنفر من قربي
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها
أشيروا بها واستوجبوا الاجر من ربي

وقد قسموا الهجر على اربعة اقسام فقالوا هجر دلال وهجر ملال وهجر مكافاة على الذنب وهجر يوجبه البغض المتمكن في الصدور فاما هجر الدلال فهو الذي من كثير من الوصال وعليه عقدت هذا الباب قال كشاجم

لولا اطراد الصيد لم تك لذة
فتطاردي لي بالوصال قليلا
هذا الشراب اخو الحياة وماله
من لذة حتى تصيب غليلا

وقال المتنبي

واحلى الهوى ما شك في الوصل ربه
وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

وقال ايضا

زيدي اذى مهجتي ازدك هوى
فاجهل الناس عاشق حاقد

(وقال آخر)

لئن ساءني ان نلتني بمساءة
لقد سرني اني خطرت ببالك

ويستحب لمن وسم بالجمال واخذ بقلوب النساء والرجال ان يكون كثير التدلل قليل التبذل فقد قال ابن وكيع

قالوا عشقت كثير التيه معتديا
فقلت هيهات عنكم غاب اطيبه
لو جاد هان وقلت الجود عادته
وانما عز لما عز مطلبه

فاذا تبذل واجاب كل من دعاه صار عرضة للظنون لان النفس الحرة لا تنفك عن غيره وقد قال العباس بن الاحنف

ياقوم لم اهجركم لملالة * مني ولا لمقال واش حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم * لا تصبرون على طعام واحد

وادركت الخنساء الاسلام وحسن اسلامها فقالت لها عائشة يوما اتبكين صخرا وهو في النار فقالت هو اشد لجزعي عليه وادعى للبكاء فعد من الاجوبة المسكتة * (ومنهم هدبة بن الخشرم) * وكان معروفا بالشجاعة والنجدة والجلادة والصبر والمروأة وله أخ اسمه حوط وأخت اسمها سلمى تزوج بها زيادة بن اليزيد الذبياني وهو رئيس قومه فراهنه أخو هدبة يوما على اطلاق جملين يوما وليلة في القيظ وحملوا الماء فاخذت أخت هدبة ماء زوجها الى أخيها فقصرت لذلك ابل زيادة فسبها فغضب حوط فثار بينهما شر وعلم هدبة ببيت زيادة فقتله ورفع الامر الى سعيد بن العاص عامل معاوية على المدينة وقد هرب هدبة فحبس عمه فجاء وسلم نفسه ومضى أخو زيادة فشكا الى معاوية فارسل الى سعيد أن يقود هدبة ان قامت البينة فسكر سعيد الحكم وأرسلهم الى معاوية فسأل هدبة عن الخبر فقال تريد نثرا أو نظما فقال نظما فانشد

ألا يا لقومي للنوائب والدهر * وللمرء يردي نفسه وهو لا يدري
وللأرض كم من صالح قد تراكمت * عليه فوارته بلماعة قفر

الى ان ذكر القصة التي ذكرناها وانه قتله فقال معاوية قد أقررت فهل للمقتول ولد قالوا نعم قال ردوه حتى يبلغ فحبس ثلاث سنين فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها ارسل الى زوجته وكانت من أجمل النساء وكان بها مغرما فحضرت اليه في طيب وثياب فاخرة فخادنها ليلة وراودها عن نفسها فاجابت فحين تمكن وسمعت الحديد اضطربت فتنحى عنها وأنشد

أأدنيتني حتى اذا ما جعلتني * لدى الخصر أو أدنى استقلك راجف
رأت ساعدي غول وتحت ثيابه * جآجئ يدمي حزها والحراقف

وحين اخرج للقتل مر على زوجة مالك بن عوف فقالت في سبيل الله شبابك وصبرك وشعرك فانشد ارتجالا

تعجب حبي من أسير مكبل * صليب العصا باق على الرسفان
فلا تعجبي مني حليلة مالك * كذلك يأتي الدهر بالحدثان

ونظر الى زوجته فجزع وأنشد

أقلي علي اللوم يا أم بوزعا * ولا تجزعي مما أصاب فأوجعا
ولا تنكحي ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بأنزعا
كليلا سوى ما كان من حد ضرسه * لدى الزاد مبطان العشيات أروعا
ضروبا بلحييه على عظم زوره * اذا الناس هشوا للفعال تقنعا
وحلي بذي أكرومة وحمية * وصبرا اذا ما الدهر عض فاسرعا
وكوني حبيبا أو لأروع ماجد * اذا ضن أعشاش الرجال تبرعا

وجعل الناس يستخبرون خبره وهو يجيب كلا عن سؤاله وينشد الاشعار وهم يتعجبون فقال له عبد الرحمن بن حسان أتزوج هذه بعدك يريد زوجته فقال ان كنت بالشروط التي ذكرتها وأنشد أقلي على اللوم الابيات ثم نظر الى زوجة مالك وقد قالت له كيف تصبر عن هذه فانشد

وجدت بها ما لم تجد أم واحد * ولا وجد حبي بابن أم كلاب
رأته طويل الساعدين شمردلا * كما اشترطت من قوة وشباب

فمالت الى شفرة جزار فجدعت بها انفها وشفتيها قال ابن عساكر وأذنيها وأقبلت عليه فقالت

واما هجر الملال فيبسطه مرور الايام والليالي اما بتنائي الدار او بطول الاختبار حكي ان متيم الهاشمية لما اشتراها علي ابن هشام حظيت عنده وأحبها حبا شديدا فاتفق انها غضبت عليه في وقت من الاوقات وتمادت في غضبها فترضاها فلم ترض فكتب اليها الادلال يدعو الى الملال ورب هجر دعا الى الصبر وانما سمي القلب قلبا لتقلبه وقد صدق عندي قول العباس بن الاحنف

ما أراني الا سأهجر من ليـ
س يراني أقوى على الهجران
ملني واثقا بحسن اخاه
ما أضر الاخاء بالانسان

فلما قرأت الرقعة خرجت اليه من وقتها ورضيت وأما الهجر الذي يتولد عن الذنب فالتوبة تزيله من القلب عند الاعتراف بالذنب ولا سيما اذا كان المحبوب

ملكه ملك رحمة ليس فيه
جبروت منه ولا كبرياء
يتقي الله في المحب وقد أفـ
لح من كان همه الاتقاء

وأما الهجر الذي يوجبه البغض الطبيعي فهو الذي لا دواء له قال الحصري وهذا لا يصح بين ذوي الاخلاص وذوي الاختصاص اذ حقيقة المشاكلة تمنعه وصحة المناسبة تدفعه والذي أقوله أنا أيضا ان هذا القسم مرضه من لا يمكن علاجه ولا يعذب أجاجه فالمحبوب فيه لا يلام ومحبته كمن يرقص في الظلام ويسلم على من لا يرد عليه السلام

(أحبابه كم يفعلون بقلبه
ما ليس يفعله به أعداؤه)

أخذه الارجاني فقال

أأحبابنا لم تجرحون بهجركم
فؤادا يبيت الدهر بالهم مكمدا
اذا رمتم قتلي وأنتم أحبة
فلا فرق ما بين الاحبة والعدا

وقال آخر يطالبني قلبي بكم كل ساعة * إذا أفلس المديون لج المطالب . ويشتاقكم شوق الذي مسه الظما *

فقالت أهذا حال من تتزوج قال لا الآن طاب الموت ثم التفت الى ابويه فرآهما في اسوأ حال قد تهيأ للحزن فانشدهما

ابليانى اليوم صبرا منكما * ان حزنا ان بدا بادئ شر
لا أراني اليوم الا ميتا * ان بعد الموت دار المستقر
اصبرا اليوم فاني صابر * كل حي لقضاء وقدر

وأراد سعيد ان يفديه بمائة ناقة حمراء سلمية فقال أخو زيادة لو ملأت لي قبتك هذه مالا ما فديته لقوله لنجدعن بايدينا أنوفكم * ويذهب القتل فيما بيننا هدرا

فسلمه اليه فلما أراد قتله ارسل الى عائشة لتستغفر له ثم صلى ركعتين واقبل على الناس وقال لولا ان يقال جزع لاطلتهما قال السيوطي في شرح الشواهد ثم قال للقاتل أحد سيفك وثبت جنانك وباعد بين قدميك واجد الضربة ثم قال بلغني ان القتيل يعقل فان كان كذلك فاني قابض رجلي وباسطهما ثلاثا فلما رمى عنقه فعل ذلك وفي شرح الشواهد انه أول قتيل في الاسلام قودا وخطبت بعد ذلك زوجته على ما بها من التشويه فتزوجت وتزينت ورؤيت واما ولدان قد قاربا الترعرع

* (ومنهم حمزة بن عبد الله بن الزبير) * تزوج بفاطمة بنت القاسم بن جعفر بن ابي طالب وكانت ذات جمال ففتن بها فلما حضرته الوفاة أظهر انه لم يكن جازعا على شئ غير تزويجها بعده بطلحة بن عمرو فحلفت له بصدقة مالها وعتق رقيقها ان تزوجت فلما مات خطبها طلحة فاخبرته فقال ان حنثت وفيت عنك بضعف ما عليك فتزوجته فوفى لها فولدت له ابراهيم وكان أوجه الناس ورملة فزوجها بمائة الف دينار فقيل له انت أتجر الناس تزوجت فاطمة باربعين ألف دينار وكفرت عنها بعشرين فربحت ابراهيم واربعين الفا

* (ومنهم الحسن بن الحسن) * خيره عمه الحسين بين احدى بنتيه سكينة وفاطمة فاستحيا وكان يحب فاطمة لانها كانت منقطعة القرين في الجمال فقال الحسين رضي الله عنه قد اخترت لك فاطمة لانها اشبه الناس بامي فزوجه بها فلما حضرته الوفاة جزع جزعا شديدا فقيل علام هذا وانما تقدم على جدك وآبائك فقال هو كذلك ولكني أجد كربا غير الموت ثم قال لبعض أصحابه كأني بعبد الله بن عمرو بن عثمان وقد جاء في كبكبة يظهر جزعا علي وما هو الا يخطب فاطمة فلما سمعت حلفت ان لا تتزوجه فان فعلت لزمها عتق ما تملك فما كان الا ان مات فاقبل عبد الله كما قال فرأى فاطمة تضرب وجهها فارسل اليها ان أبقي عليك فان لنا فيك رأيا فلما خطبها ضمن لها التكفير بضعف ما عليها وقيل ان أمها التي الجأتها الى تزوجه بان وقفت في الشمس وحلفت لا تدخل حتى تجيب

* (ومنهم غسان بن جهضم) * وكان مفتونا بابنة عمه ام عقبة لانها كانت من اجمل النساء واحياهن وافضلهن خصالا فلما حضرته الوفاة فجعل ينظر اليها ويبكي ثم قال لها اني منشدك ابياتا اسألك فيهن عما تصنعين بعدي واعزم عليك ان تصدقيني فقالت قل فوالله لا أكذبك فانشد

اخبري بالذي تريدين بعدي * ما الذي تضمرين يا أم عقبه
تحفظيني من بعد موتي لما قد * كان مني من حسن خلق وصحبه
ام تريدين ذا جمال ومال * وانا في التراب في سجن غربه

عشر في الدعاء على المحبوب وما فيه من الفقه المقلوب) *

كقولي

دعوت على الحبيب بعشق ظبي
يقاسي منه أنواع الجفاء
فواصله وبالغ في صدودي
فكان اذا على نفسي دعائي

أقول هذا باب عقدناه لذكر من قارب حلول رمسه وأراد أن يدعو على روحه فدعا على نفسه فهو يشتهي ويشتكي ويتشفى ويتنكي لا يثبت على حال ولا يفرق بسيف اللحظ بين الماضي والحال فبينا هو يشكو من محبوبه اذاه ويشكو اليه وبينا هو يدعو له اذا هو يدعو عليه فمن أحسن ما قيل في الدعاء للمحبوب قول بلديّنا محمد بن العفيف التلمساني رحم الله شبابه وجعل من الرحيق المختوم شرابه

أعز الله أنصار العيون
وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا
وان تك أضعفت عقلي وديني
وصان حجاب هاتيك الثنايا
وان ثنت الفؤاد الى الشجون
وأسبغ ظل ذاك الشعر يوما
على قد به هيف الغصون
وخلد دولة الاعطاف فينا
وان جارت على القلب الطعين

وقوله أيضا

أدام الله ايام الوصال
وخلد عمر هاتيك الليالي
وأسبغ ظل اغصان التداني
وزاد قدودها حسن اعتدال
ولا زالت ثمار الانس فيها
تزيد لطافة في كل حال
ولا برحت لنا فيها عيون

واغنى الله روضة كل خد * اذا اشتحيت عن الديم الغزار ولازالت مباسم كل ثغر * لشائم برقها ذات افترار

(فأجابته) قد سمعنا الذي تقول وما قد * خفته يا خليل من ام عقبه
أنا من احفظ النساء وارعا * هن ما قد أوليت من حسن صحبه
سوف أبكيك ما حييت بشجو * ومراث اقولها وبندبه
(فقال) انا والله واثق بك لكن * ربما خفت منك غدر النساء
بعد موت الازواج يا خير من عو * شر فارعي حقي بحسن وفاء
انني قد رجوت ان تحفظي العهـ * ـد فكوني ان مت عند رجاء

فلما مات خطبت من كل جانب فقالت

سأحفظ غسانا على بعد داره * وارعاه حتى نلتقي يوم نحشر
واني لفي شغل عن الناس كلهم * فكفوا فما مثلي من الناس يغدر
سأبكي عليه ما حييت بعبرة * تجول على الخدين مني فتكثر

فلما طالت الايام قالت من مات فقد فات واجابت الخطاب فلما كانت الليلة التي زفت فيها جاءها في النوم فانشد

غدرت ولم ترعي لبعلك حرمة * ولم تعرفي حقا ولم تحفظي عهدا
ولم تصبري حولا حفاظا لصاحب * حلفت له يوما ولم تنجزي وعدا
غدرت به لما ثوى في ضريحه * كذلك ينسى كل من سكن اللحدا

فانتبهت مرعوبة كأنما كان معها فقالت النساء لها ما دهاك فقالت ما ترك غسان في الحياة اربا ولا في السرور رغبة اتاني في المنام فانشدني هذه الابيات ثم جعلت ترددها وتبكي فشاغلنها بالحديث فلما غفلن عنها اخذت شفرة فذبحت نفسها فتعجبن منها وقد نقل هذا في مجلس هشام حين تذاكروا غدر النساء فقضى منه عجبا

(ومثل هذا ما حكي من موقى الهادي) انه كان مفتونا بجارية من جواريه اسمها غادر فروى يوما يبكي فقيل علام تبكي يا امير المؤمنين فقال كأني بي وقد مت واخذ اخي هرون الخلافة فتزوج بغادر فقيل له حاشاك من هذا الخاطر فزاد في البكاء وبلغ هرون فحضر وحلف له بالطلاق انه لا يتزوج بها وحلفت هي ايضا فلم يمض شهر حتى مات وافضت الخلافة الى الرشيد فكفر عنه وعنها وتزوجها فلما كان ذات ليلة انتبهت من منامها مرعوبة وذكرت انه أتاها فعاتبها وانشدها

اخلفت عهدي بعدما * جاورت سكان المقابر
ونكحت غادرة اخي * صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الالف الجديـ * ـد ولا تدر عنك الدوائر
ولحقت بي قبل الصبا * ح وصرت حيث غدوت صائر

فقال لها الرشيد لا بأس عليك انما هو اضغاث احلام وجعل يغمزها وهي تضطرب في يده حتى ماتت

(الباب الثالث في ذكر عشاق الغلمان واحوال من عدل الى الذكور عن النسوان وتفصيل ما جرى عليهم من تصاريف الزمان)

اعلم ان اصل هذا قد نشأ في قوم لوط زينه لهم الشيطان فاخرجهم به الى العدوان (وحكى) بعضهم ان اصل ذلك من يأجوج ومأجوج ونقله بعض المفسرين في قوله عز وجل ان

ولا برحت على العشاق تضفو
ثياب العار في خلع العذار

وقال ابن ابي الحديد

لاعانقتك من البرية كلها
الا يدي اليمنى وبند قباكا
كلا ولا رشفت رضابك بعدما
قد ذقته من فيك الا فاكا

(وقال آخر)

يارب ان قدرته لمقبل
غيري فللمسواك أو للاكؤس
واذا قضيت لنا بصحبة ثالث
يارب فليك شمعة في المجلس
واذا حكمت لنا بعين مراقب
يارب فليك من عيون النرجس

ومن احسن ما قيل في الدعاء على المحبوب قول شهاب الدين بن غانم

والله ما ادعو على هاجري
الا بان يمعن بالعشق
حتى يرى مقدار ما قد جرى
منه وما قد تم في حقي

(وقال الآخر)

يا ذا الذي كل يوم * يزيد عقلي خبالا
ولمني فيه حتى * أعاد رشدي ضلالا
ادعو عليك وقلبي * يقول يارب لالا

وقال الآخر واحسن ما شاء

قد قلت لا مت حتى
أراك في العشق مثلي
وقلت في السر مني * يارب لا تستجب لي

وقال الآخر

أيها المعرض صفحا
عن خطابي وجوابي
لا ازال الله هجري * أو يريني بك ما بي
رب فاجعله دعاء * خائبا غير مجاب
رق قلبي أن يرى قلـ
ـبك في مثل عذابي

وقال الآخر

يارب ان لم يكن في وصله طمع * ولم يكن فرج من طول جفوته فاشف السقام التي في طرف مقلته

ياجوج وماجوج مفسدون فى الارض فيجب على كل ذى نفس شريفة وهمة منيفة الزجر والردع عن هذه الفعلة الخبيثة التى ضجت الملائكة الى الله منها وحسم المادة الموصلة الى ذلك كالنظر فاذلك حرمه النووى رحمه الله تعالى مطلقا وقدوردانه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد وفيهم امرد فاجلسه وراء ظهره ونهى ان يحد الرجل النظر الى وجه الامرد وعن ابن المسيب اذا رأيتم الرجل يلح بالنظر الى وجه الامرد فاتهموه واخرج الخطيب عن انس مرفوعا لاتجالسوا اولاد الملوك فان الانفس تشتاق اليهم مالا تشتاق الى الجوارى العواتق وحرض النخعى والثورى على عدم مجالستهم وعن الخدرى قال رأيت ابليس فى النوم فقلت له تعالى فقال لاحاجة لى بمن رمى الدنيا وان لى فيكم لطيفة فقلت وما هى قال مجالسة الاحداث فأخذت العصا لاضربه قال انا لاتخوفنى العصا وانما يخوفنى نور القلب وعن الموصلى قال نهانى ثلاثون من الابدال عن صحبة الاحداث وعن بعضهم قال نظرت الى شاب جميل فقلت ايعذب الله هذه الصورة فقال لى استاذى اورأيته سوف ترى غبها فانسيت القرآن بعد عشرين سنة والآثار فى هذا المعنى كثيرة ولله درمن قال فى المتصفين بهذا الشأن من هذا الزمان

فان لم تكونوا قوم لوط حقيقة * فما قوم لوط منكم ببعيد
وانهم فى الخسف ينتظرونكم * على مورد من جهلكم وصديد
يقولون لا أهلا ولا مرحبا بكم * ألم يتقدم ربكم بوعيد
فقالوا بلى لكنكم قد سننتم * صراطا الى الفسق غير حميد
أتيناه الذكران من عشقنا بهم * فاوردنا ذا العشق شر ورود
فأنتم بتضعيف العذاب احق من * يتابعكم فى ذاك غير رشيد
فقالوا وانتم رسلكم أنذرتكم * بما قد لقيناه بصدق وعيد
فما لكم فضل علينا فكلنا * نذوق عذاب الهون غير مزيد
كما كلنا قد ذاق لذة وصلهم * ويجمعنا فى النار غير بعيد

وقد انتظم شمل هذا الباب بما يتبعه من الاحكام منقسما فى ثلاثة أقسام

(القسم الاول فيمن استلب الهوى والعشق نفسه حتى اسلمه رمسه)

وهو نوعان الاول فيمن عرف اسمه واشتهر فى العشاق رسمه

(أخبار محمد بن داود وصاحبه محمد الصيدلانى)

هو ابو بكر محمد بن داود بن على المعروف بالفقيه الاصفهانى كان اديبا حاذقا وفقيها شاعرا وله فى فقه الظاهرية والاحاديث والتواريخ اليد الطولى قال الخطيب انه كان ملازما للهوى ومتعلقاته منذ دخل المكتب وانه شرع فى كتاب جمع فيه طرائف العشاق ولطائفهم وسماه كتاب الزهرة وشاربه عمره وصاحبه هذا هو محمد بن جامع الصيدلانى كان يبيع العطر ببغداد وكان من أجمل اهل زمنه فعلقه محمد بن داود فكان له ألوفا وعليه عطوفا وبه رؤفا واشتهر امرهما فلم ينكراه واتضح فلم يخفياه وقيل انه لم يعمل الكتاب المذكور الا بسبب عشق هذا وان اليه الاشارة فى اول الكتاب المذكور بقوله ونشكو من تغير الزمان وأنت احد مغيريه ومن جفاء الاخوان وانت المقدم فيه ومن عجب ما يأتى الزمان ظالم يتظلم وغاضب يتندم ومطاع يستظهر وغالب يستنصر ومن أدلة عطفه عليه انه خرج من الحمام يوما فنظر فى المرآة فأعجبه

فتوقفت ثم ناديت ذا هل
لاشفى الله طرفه من سقام
وأرانى عذاره وهو سائل
وقال ابن سنا الملك
أسر اطول اسرى فى يديه
فيغضب اذ أسر اطول اسرى
سألت الله أن يبلى بعشق
فيصبح عاشقا لكن لهجرى
وقال ابن وكيع
ان كنت تعلم مابى
وأنت بى لاتبالى
فصار قلبك قلبى * وصرت فى مثل حالى
بل عشت فى طيب عيش
تفديك نفسى ومالى
دعوت اذ ضاق صدرى
عليك ثم بدالى
وقوله أيضا
فهم غالط منى فهما
جاءنى يسأل عما علما
مقسما ما بلغته علتى
كاذب والله فيما زعما
رزق المظلوم منا رحمة
ثم لا أدعو على من ظلما
وقال ابن منقذ
ياظالما يعرض عنى اذ
دعوت غضبان على ظالمى
أظنه أنت والاظلم
تخشى دعائى دون ذا العالم
يارب لاتسمعه فيه وان
كان دعاء المغرم الهائم
(وقال الآخر)
قلت لمحبوبى وقد مربى
محبوبه كالقمر السارى
هذا الذى يأخذ لى طرفه
من طرفك الوسنان بالثار
(وقال الآخر)
ولما بدا لى انه غير زائرى

وان هواه ليس عنى بمنجلى تمنيت أن يهوى سواى لعله * يقاسى مرارات الهوى فيرق لى *(الباب العشرون فى الخضوع

وجهه فبرقعه واتى ابن داود فلما رآه غشي عليه فقال له لا بأس عليك اني لم أبرقع وجهي لسوء أصابه ولكن رأيته غب حمام فأعجبني فأحببت ان لا أمتع به احدا قبلك ففداه وسر بذلك قالوا ولم يعلم فيما سلف معشوق ينفق على عاشق سوى ابن جامع ومن لطف ابن داود ورقته انه كان يدخل الجامع من باب الوراقين دهره أيامًا فسئل في ذلك فقال دخلت يوما فرأيت متحابين يتحادثان فتفرقا مذرايانى فآليت أن لا ادخل مكانا فرقت فيه بين محبين وكان يجتمع مع ابن شريح الشافعي في مجلس الوزير ابن عيسى فسبقه ابن داود يوما فسأله حدث من الشافعية عن العود الموجب بالكفارة في الظهار فقال هو اعادة القول ثانيا فطالبه بالدليل ودخل ابن شريح فلم يقف على القصة قال لابي بكر قول من هذا من المسلمين غيركم فقال له وقد استشاط غضبه غاية امرنا ان نعد قول من خالفنا خلافا فغضب ابن شريح وقال له انت أعزك الله بكتاب الزهرة أمس من غيره فقال أبكتاب الزهرة تعيرني والله لا تصلح للنظر فيه لم اقل فيه

أنزه في روض المحاسن مقلتي * وامنع نفسي ان تنال المحرما

واحمل من ثقل الهوى مالو انه * على جامد الصلد الاصم تهدما

ويظهر سري عن مترجم خاطري * فلولا اختلاس الطرف عنه تكلما

رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم * وما ان أرى حبا صحيحا مسلما

فقال له ابن شريح بم تفتخر علي ولو شئت لقلت

ومسامر بالشهد من نغماته * قد بت أمنعه لذيذ سناته

صبابه وبحسنه وحديثه * وانزه اللحظات في وجناته

حتى اذا ما الصبح لاح عموده * ولى بخاتم ربه وبراته

فقال ابن داود يحفظ مولانا الوزير قوله حتى يقيم بينة بالبراءة فقال يلزمني في ذلك ما يلزمك في قولك انزه في روض المحاسن فقال الوزير لقد حويتما ظرفا وعلما وقيل كانت المناظرة في مسئلة في الايلاء وان ابن شريح قال انت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته احذق ومن لطف ابن داود انه سئل يوما

يا ابن داود يا فقيه العراق * افتنا في فواتك الاحداق

هل عليها القصاص في القتل يوما * أم مباح لها دم العشاق

فأجاب عندي جواب مسائل العشاق * فاسمعه من قلق الحشى مشتاق

لما سألت عن الهوى اهل الهوى * اجريت دمعا لم يكن بالراقي

اخطأت في نفس السؤال وان تصب * بك في الهوى شفقا من الاشفاق

لو ان معشوقا يعذب عاشقا * كان المعذب انعم العشاق

وقيل له وهو في مرض موته ماذا تشكو فقال حب من تعلم صيرني الى ما ترى فقيل ما منعك وقد كنت قادرا على ذلك فقال التمتع اما نظر مباح وقد اخذت منه بحظ واما اللذة المحرمة فنعني منه قوله عليه الصلاة والسلام من عشق الحديث السابق في المقدمة وانشد

ما لهم انكروا سوادا بخديه * ولا ينكرون ورد الغصون

ان يكن عيب خده بذر الشعر * فعيب العيون شعر الجفون

فقيل له أنكرت القياس في الفقه وأثبته في الشعر فقال غلب الحب وتوفي نهار الاثنين تاسع

رمضان

وانسكاب الدموع)» اقول هذا باب عقدناه لذكر من أصبح دمعه مسكوبا على مسكوب فبات وهو من جريانه كالرمح كما قيل انبوب على انبوب ولا سيما اذا تمادى الهجر او كان عليه بعض جور هنالك يرى من انسكاب عبرته العبر وينشد اذا عزم الخليط على السفر

ومفارق سكن القلو

ب فلا خلت منه الربوع

بعث الرسول وقال لي

وأنا السميع له المطيع

بالله قل لي ما جرى

بعدي فقلت له الدموع

(وقال الآخر)

قال لي من أحببت والبين قد جد

وفي مهجتي لهيب الحريق

ما الذي في الطريق تصنع بعدي

قلت أبكي عليك طول الطريق

وما احسن قول القاضي الفاضل رحمه الله

قد استخدمت بالافكار سري

وما اطلقت لي بالوصل اجره

ولم أرلي على الايام الا

عقدت مودة وحللت صره

ولا استمطرت سحب العين الا

وصرت بادمعي في الشمس عصره

وقوله ايضا وهو من نثره الذي أصبح بين النجوم نثره فيصبر حتى تنجلي هذه الغمرة وتقلع سحائب هذه السكرة وتجف مناديل الجفون فانها صارت بالدموع عصره فقاتل الله البين ما أكثر فضوله بدخوله بين المحبين وفي هذا المعنى الباهر يقول ابن عبد الظاهر

لا تسلني عن اول العشق اني

انا فيه قديم هجر وهجره

من دموعي ومن جبينك ارخ

ت غرامي بمستهل وغره

ومن معاني المتنبي الغريبة قوله

إنراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة في المآق وقوله ايضا لا تعذل المشتاق في أشواقه

رمضان أو لايام بقين منه او سابع شوال سنة سبع وتسعين وماتين ومن لطيف اشعاره فى محبوبه قوله

يا يوسف الحسن تمثيلا وتشبيها * يا طلعة ليس الا البدر يحكيها
من شك فى الحور فلينظر اليك فها * صيغت معانيك الا من معانيها
ما للبدور وللتحريف يا املى * نور البدور عن التحريف يغنيها
ان الدنانير لا تجلى وان عتقت * ولا تزاد على النقش الذى فيها

ومنها

أشكو عليل فؤاد أنت متلفه * شكوى عليل الى الف يعلله
سقمى تزيد مع الايام كثرته * وانت فى عظم ما ألقى تقلله
الله حرم قتلى فى الهوى سفها * وانت يا قاتلى ظلما تحلله

ومنها

حملت جبال الحب فيك وانى * لاعجز عن حمل القميص واضعف
وما الحب من حسن ولا من سماحة * ولكنه شئ به النفس تكلف

ومنها

سقى الله أياما لنا ولياليا * لهن بأكناف الشباب ملاعب
اذ العيش غض والزمان بغرة * وشاهد آفات المحبين غائب

ومنها

انظر الى السحر يجرى فى لواحظه * وانظر الى دعج فى طرفه الساجى
وانظر الى شعرات فوق عارضه * كأنهن نمل دب فى عاج

(اخبار القاضى شمس الدين بن خلكان وصاحبه المظفرى)

هو قاضى القضاة ابو عبد الله شمس الدين محمد بن خلكان وصاحبه المظفرى احمد بن مسعود ابن الملك المظفر صاحب حماة وله معه حكايات غريبة وهو ما اشتهر به ان اباه دعاه ليلة فجلسا يتحادثان وخرج الغلام وعليه ثوب أسود وقد شد وسطه بمنديل مطرز بالذهب وفى يده شمعة ومعه دينار فجلس ليتناول من أبيه سكرجة كانت معه فسقط الدينار فاقام الشمعة لينظره فانطفأت الشمعة فنظر الى وجهه فرأى الدينار تجاهه فى الارض فالتهبت نار عشقه فى قلبه وخرج فكتم ذلك أياما فمرض واشتد به الحال فبينما هو كذلك اذ أرسل المظفر ولده يعوده فحين رآه وثب قائما كأن لم يكن به مرض وكان الغلام حاذقا فعرف ذلك منه فأخبر اباه بذلك فعجبه فقال من رأى القاضى بعد ذلك انه كان يبيت الليالى الى الصباح لا يعرف النوم وهو يقول

أنا والله هالك * آيس من سلامتى أو أرى القامة التى * قد أقامت قيامتى

وقيل مات وهو ينشدهما وحكى انه كان بعد حجبه لا يركب الا يوم الموكب وان القاضى كان يقصده مستخفيا فينظر اليه فبلغ أباه فمنعه المركب فكتب اليه ابن خلكان

يا سادتى انى قنعت وحقكم * فى حبكم منكم بأيسر مطلب
ان لم تجودوا بالوصال تعطفا * ورأيتم هجرى وفرط تجنبى
لا تمنعوا عينى القريحة ان ترى * يوم الخميس جمالكم فى الموكب
لو كنت تعلم يا حبيبى ما الذى * ألقاه من كمد اذا لم تركب
لرحمتنى ورثيت لى من حالة * لولاك لم يك حملها من مذهبى
قسما بوجهك وهو بدر طالع * وبليل طرتك التى كالغيهب
وبقامة لك كالقضيب وكبت من * أخطارها فى الحب أصعب مركب

مضرجا بدمائه

وهبت السلو لمن لامنى
وبت من الشوق فى شاغل
كان الجفون على مقلتى
ثياب شققن على ثاكل

(وقال الآخر)

شققت عليه يد الاسى
ثوب الدموع على الذيول

وقال الآخر فى الخضوع وانسكاب الدموع

ولم أنس لا نس ذاك الخضوع
وفيض الدموع وغمز اليد
وخدى مضاف الى خدها
قياما الى الصبح لم نرقد

(وقال ابراهيم بن المعمار)

وبى غضبان لا يرضيه الا
دموع ساكبات مستمره
فما عطفت معاطفه بوصل
وفى عينى بعد الهجر قطره

(وقال الآخر)

وقائلة ما بال عينك مذ رأت
محاسن هذا الشخص ادمعها هطل
فقلت زنت عينى بنظرة طالعة
فحق لها من فيض ادمعها غسل

(وقال السرى الرفاء)

بر وبحى من رد التحية ضاحكا
فجدد بعد اليأس فى الوصل مطمعى
وحالت دموع العين بينى وبينه
كان دموع العين تعشقه معى

(وقال ابن وكيع)

وسحاب اذا همى الماء فيه
الهب الرعد فى حشاه البروقا
مثل ماء العيون لم يجر الا
ظل يذكى على القلوب الحريقا

(وقلت من قصيدة حجازية)

خليلى روض الرقتين طرازه
اذا لمع البرق الحجازى مذهب

لولم أكن في رتبة أرعى لها الـ ... ـعهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت سري في هواك ولذلي * خلع العذار ولواح مؤنبي
لكن خشيت بأن يقول عواذلي * قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي
فارحم فديتك حرقة قد قاربت * كشف القناع بحق ذيالك النبي
لا تفضحن بحبك الصب الذي * جرعته في الحب أكدر مشرب

(أخبار أحمد بن كليب وصاحبه أسلم)

هو أحمد بن قزمان الشهير بابن كليب الكاتب كان أندلسيا شاعرا نحويا متفقها قرأ على محمد بن خطاب النحوي واجتمع بالمزني وبأبي عبد الله محمد بن الحسن وغيرهما وأسلم هذا هو ابن سعيد بن خلف كان جده وزير السلطان المظفر المعروف بالناصر ولي أسلم القضاء بالاندلس بعدما كان حاجبا وله يد في الادب وديوان شعر معروف ترجمه في الاحاطة بتاريخ غرناطة معروف بالرئاسة والفضل والعرافة فعشقه من مجلس ابن خطاب واشتد به كلفه فنظم فيه الاشعار الكثيرة وهو يكتم ذلك فلما غلب عليه حبه فشا امره واشتهر فيه على الالسنة شعره وقيل ان أول ما اشتهر من ذلك وسمع زامر السلطان يغني به قوله

أيسلاني في هوا * ه أسلم هذا الرشا غزال له مقلة * يصيب بها من يشا
وشى بيننا حاسد * سيسئل عما وشى ولوشاء ان يرتشي * على الوصل روحي ارتشى

فحين بلغ أسلم هذا الامر انقطع في داره عن جميع الاشياء فصار يجلس على بابه احيانا فجعل احمد لايبرح الا على بابه فانقطع وصار يجلس ليلا عند العشاء فمضى احمد واخذ دجاجا وبيضا وتزيا بزي بعض فلاحي أسلم واقبل فقبل يده وتسلم الهدية وجعل يسأله عن الضياع فاستلغاه فحين عرفه قال اما يكفيك قطعي عن الطلب والخروج حتى تبعتني الى هنا ثم حلف لايخرج من بيته ومضى احمد حزينا فكان يماجن فيقال له ذهب دجاجك وبيضك فيقول أود لو قبلت يده قبلة واذهبت كل ليلة مثل هذا ولما طال عليه الامر انقطع قال ابن خطاب فعدته فوجدته مشرفا على التلف فقال لو سعيت في ان تجمع بيني وبينه لاثابك الله على ذلك ثوابا عظيما فمضيت اليه فقلت له تعلم حرمتي عليك وحرمة ما ضمك مع ابن كليب من الطلب فقال نعم ولكن قد رأيت ما فشا من امرنا قلت ما عليك ان تزوره فتنقذه من التلف فامتنع فلم أزل به حتى اجاب ان يمضي من الغد فلما جاء الميعاد ذهبنا حتى صرنا بازاء بيته فتغير وقال في هذه الساعة أموت ورجع بعدما جاذبته الرداء وقطع منه في يدي قطعة ودخلت على احمد وقد بشره غلامه بقدومه فلما لم يجده معي تغير واختلط عقله فقمت عنه فأتت نفسه اليه فقال لي اسمع وانشد

أسلم ياراحة العليل * رفقا على الهائم النحيل
وصلك أشهى الى فؤادي * من رحمة الخالق الجليل

فقلت له استعذ من ذلك فقال قد كان فلم أخرج عنه الا وقد قام الصراخ عليه ومن شعره فيه وقد أهدى له فصيح ثعلب

هذا كتاب الفصيح * بكل لفظ مليح
وهبته لك طوعا * كما وهبتك روحي

ومنه وقد كتب الى ابن خطاب شعرا في أسلم يعرضه عليه فقال انه ملحون فراجعه ابن خطاب فكتب

ألحق لي التنوين في مطمع * فانني انسيت الحاقه
لاسيما اذا كان في وصل من * كدرني في الحب اخلاقه

جفني القريح على الخدين قد وكفا * فحسبه ما جرى من أدمعي وكفا
ان عز نظم دموعي حين أنثره
فالدر ما عز حتى جاوز الصدفا
لا تعجبوا من وفا دمعي غداة جرى
من عينه ما جرى فالبحر فيه وفا
ما زلت أبكي على وادي العقيق الى
ان قيل هذاك من عينيه قد رعفا

(وقلت ايضا من قصيدة)

بكيت على أرض بها كنت ماشيا
فاشبهت دمعي على صخرها الخنسا
تجرات يا دمعي فلم تجر دائما
فيا دمع ما أجرى ويا قلب ما أقسى

(وقلت ايضا من قصيدة)

ان عيني على العقيق اذا لم
يحك دمعي بلونه حمراه
منذ امسى لجين دمعي نضارا
صح عندي لعيني الكيمياء
لا تسل ما جرى من الدمع لما
صار من عاذلي على اجتراء
طلع الليل أدمعي فوق خدي
مثل ما تطلع النجوم السماء

(وقلت من قصيدة)

لئن فترت عيني بحر دموعها
فثغر الذي اهوى كما قيل بارد
وان حل طرفي بالدموع وكاؤه
فعهد الذي حلت بطرفي عاقد

(وقلت من قصيدة)

سقيت بحر الدمع باردا أرضها
وارسلته فيها على حين فترة
فيا طرف ان لم تسعف الصب بالبكى
قطعت حبال الدمع من حيث رقت

(وقلت من قصيدة)

خالفت فيك معنفا ونصيحا
واطعت جفنا بالدموع قريحا
فاعمل لقتلي محضرا فدامعي
كتبت لقلبي بالدماء مشروحا
صب على شفع المقطم دمعه
تجري العيون به دما مسفوحا
لو شاهدت عيناك أحمر دمعه * زكيت شاهد قلبه المجروحا (وقلت أيضا) الطرف من فقد الكرى

(اخبار مدرك وصاحبه عمرو)

هو مدرك بن على الشيبانى نسبة الى بنى شيبان عرب ببادية البصرة دخل بغداد صغيرا ونشأ بها فتفقه واحسن العربية والادب والخط وعمرو هذا هو ابن يوحنا النصرانى البغدادى كان بدير الروم من الجانب الشرقى وكان لمدرك مجلس علم لا يحضره فيه الا الاحداث وكان اذا دخله شيخ يخرجه وكان عمرو يحضره فعشقه و زاد فيه وجده فالقى اليه يوما رقعة فيها

بمجالس العلم التى * بك تم حسن جموعها * الا رثيت لمقلة
غرقت بماء دموعها * بينى وبينك حرمة * الله فى تضييعها

فاطلع الحاضرون عليها فاستحيا عمرو من ذلك وانقطع عن المجلس فكان مدرك يلزم دار الروم ويتبع عمرا و زاد به الوسواس حتى اختلط عقله ولزم الفراش ودخل الناس عليه يعودونه فقال اما بينكم و بينى حرمة وعشرة اما فيكم من يرحمنى بالنظر الى عمرو فمضوا اليه فاعلموه بحاله وما صار اليه من اجله فمضى معهم فحين سلم عليه أغمى عليه ثم أفاق وأخذ بيده وانشد

انا فى عافية الا من الشوق اليك   ايها العائد ما بى * منك لا يخفى عليك
لا تعد جسما وعد قلبا رهينا بيديك   كيف لا يهلك مرشو * ق بسهمى مقلتيك

ثم شهق شهقة فمات ومن أشعاره المشهورة قصيدته المعروفة بالمزدوجة وللطفها بالتخميس الحلى اياها أوردناه معها غير ان المصنف ابدل أبياتا يسيرة من التخميس وزاد آخر زعم ان الحلى لم يقف عليها وهذه القصيدة بالشرط المذكور غير انى أقول فى ابيات المصنف له وهى هذه

من عاشق ناء هواه دان * ناطق دمع صامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان * معذب بالصد والهجران
طليق دمع قلبه فى أسر
من غير ذنب كسبت يداه * غير هوى نمت به عيناه
شوقا الى رؤية من أشقاه * كأنما عافاه من أضناه
اذا كان أصل نفعه والضر
يا ويحه من عاشق ما يلقى * من ادمع منهلة ما ترقا
(له) ناطقة وما اجادت نطقا * تخبر عن حب له استرقا
اخبار من يعلم اخفى السر
لم يبق منه غير طرف يبكى * بأدمع مثل نظام السلك
تطفيه نيران الهوى وتذكى * كأنما قطر الدماء يحكى
هيهات هل قيس دم بقطر
(له) أآلى غزال من بنى النصارى * عذار خديه سبى العذارى
وغادر الاسد به حيارى * فى ربقة الحب به أسارى
تنشد قول مدرك فى عمرو
(له) ريم بدار الروم رام قتلى * بمقلة كحلاء لا عن كحل
وطرة بها استطار عقلى * وحسن وجه وقبيح فعل
وعظم ردف وتحيل خصر

أروح بالامانى الهم عنى * واعلم ان وصلك لا يرجى * ولكن لا أقل من التمنى

وذمع عينى لا تسل * عن حاله ياما جرى

(كان) المسعودى شارح المقامات رحمه الله تعالى كثيرا ما ينشد

قالت عهدتك تبكى
دما حذار التنائى
فلم تعوضت عنها * بعد الدماء بماء
فقلت ماذاك منى * لسلوة وعزاء
لكن دموعى شابت
من طول عمر بكائى

وقال الآخر

وقائلة ما بال دمعك أبيضا
فقلت لها يا علو هذا الذى بقى
ألم تعلمى أن البكا طال عمره
فشابت دموعى مثل ما شاب مفرقى
وعما قليل لا دموعى ولا دمى
يرينى ولكن لوعتى وتحرقى

وقال الآخر

وقائلة ما بال دمعك أسودا
وقد كان مبيضا وانت نحيل
فقلت لها جفت دموعى من البكا
وهذا سواد العين فهو يسيل

(وقال آخر)

كانت دموعى حمرا يوم بينهم
فذنا واقصرتها بعدهم خرقى
قطفت باللحظ وردا من خدودهم
فاستقطر البين ماء الورد من حدقى

(وقال الناشئ الاكبر)

بكت للفراق وقد راعنى
بكاء الحبيب لفقد الديار
كأن الدموع على خدها
بقية طل على جلنار

(الباب الحادى والعشرون فى الوعد والامانى وما فيهما من راحة المعانى)

اقول هذا باب عقدناه لذكر الامانى التى لا بد منها ولا غنى عنها فلا اقل منها

أعلل بالمنى قلبى لعلى

ولم يزل المحبون يعللون بالامانى نفوسهم

و يترعون براح راحتها كؤوسهم فمنهم من فاز بالامنية قبل حلول المنية ومنهم من مات باعظم غصة وما وقع له

ريم به أي هزبر لم يصد * يقتل باللحظ ولم يخش القود
متى يقل هاقات الالحاظ قد * كأنه باسونه حين اتحد
أفديه من ريم ومن هزبر

ما أبصر الناس جميعا بدرا * ولا رأوا شمسا وغصنا نضرا
احسن من عمرو فديت عمرا * ظبي بعينيه سقاني خمرا
فما أفقت ساعة من سكري

ها أنا ذا بفقده مفقود * والدمع في خدي له اخدود
ما ضر من فقري به موجود * لولم يقبح فعله الصدود
فديته لقد أطال هجري

ان كان ذنبي عنده الاسلام * فقد سعت في نقصه الآثام
واختلت الصلاة والصيام * وجاز في الدين له الحرام
يا خيبتي ان لم افز بغفر

ياليتني كنت له صليبا * أكون منه أبدا قريبا
أبصر حسنا واشم طيبا * لا واشيا أخشى ولا رقيبا
ولا أخاف ابدا من غدر

ياليتني كنت له قربانا * ألثم منه الثغر والبنانا
أوجاثليقا كنت أو مطرانا * كيما يرى الطاعة لي ايمانا
فلا يزال الدهر طوع أمري

ياليتني كنت لعمرو مصحفا * يقرأ مني كل يوم أحرفا
اوقلما يكتب بي ما ألفا * من ادب مستحسن قد صنفا
ويجعل الريق بديل الحبر

ياليتني كنت لعمرو عوده * اوحلة يلبسها معدوده
او بركة باسمه مخدوده * او بيعة في داره مشهوده
يدبج في ارجائها و يسري

ياليتني كنت له زنارا * يديرني في الخصر كيف دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا * صرت له حينئذ ازارا
اضمه الى طلوع الفجر

قد والذي يبقيه لي افناني * وابتز عقلي والضنا كساني
ظبي على البعاد والتداني * حل محل الروح من جثماني
فليس لي عن قربه من صبر

واكبدي من خده المضرج * واكبدي من ثغره المفلج
لاشيء مثل الطرف منه الادعج * اذهب للنسك وللتحرج
الاجمال ثغره بالدر

اليك اشكو يا غزال الانس * ما بي من الوحشة بعد الانس
يامن هلالي وجهه وشمسي * لاتقتل النفس بغير النفس

الحبيب على قصة
فمن نال من دنياه امنية
اسقطت الايام منها الالف
وهذا النوع الاخير كثير والسقيم به
من المحبين جم غفير
من كان يرعى عزمه وهمومه
روض الاماني لم يزل مهزولا
نعم منهم من بات من وعد الحبيب
مسلوب الرقاد بعيدا من لقاء الردى على
ميعاد يصدق قول الحبيب و يكذبه
و يمتحنه ويجربه و يقول
مازلت منتظرا لوعدك سيدي
في البيت ملتفتا لقرع الباب
يا كاذبا في وعده بلسانه
من لي ببعض لسانك الكذاب
فلما أيس من وعد المحبوب وتمسك
من رؤيته ساقه بمواعيد عرقوب كما قيل
وما بلوغ الاماني في مواعدها
الا كاسعت يرجو وعد عرقوب
(تنبيه) قولهم في المثل مواعيد
عرقوب يقال لمن وعد وعدا واخلف
واصل المثل المذكور ان عرقوبا كان
له اخ فسأله شيأ فقال له عرقوب اذا
اطلع نخلي فلما اطلع قال اذا ابلح فلما ابلح
قال اذا ازهى فلما ازهى قال اذا ارطب
فلما ارطب قال اذا صار تمرا فلما صار
تمرا اخذه من الليل ولم يعط اخاه شيأ
فضرب به المثل في خلف الوعد فقيل
مواعيد عرقوب (قال الشماخ)
وواعدتني مالا احاول نفعه
مواعيد عرقوب اخاه بيثرب
(وقال ابن حجاج)
فديت من لقيني مثل ما
لقيته والحق لا يغضب
فقلت يا عرقوب اطمعتني
فقال لم نفسك يا اشعب

(وقلت أنا من قصيدة حجازية) يهددني بالهجر في كل ليلة * أصدق فيها وصله وأكذب

وجد

وجد بوصل اسقام يبري

جد لي كما جدت بحسن الود * وارع كما ارعى قديم العهد
واصدد كصدي عن طويل العهد * فليس وجد بك مثل وجدي
وليس ذكرك مثل ذكري

ها انا في بحر الهوى غريق * سكران من حبك لا افيق
محترق ماسني حريق * برث لي العدو والصديق
من حر صدري وعظيم ضري

فليت شعري فيك هل ترثي لي * من سقم لي وضنى طويل
ام هل الى وصالك من سبيل * لعاشق ذي جسد نحيل
انحله حبك طول الدهر

في كل عضو منه سقم والم * ومقلة تبكي بدمع و بدم
شوقا الى بدور شمس وصنم * منه اليه المشتكى اذا ظلم
افديه من شمس ضحى و بدر

اقول اذ قام بقلبي وقعد * يا عمرو يا عامر قلبي بالكمد
اقسم بالله يمين المجتهد * ان امرأ واصلته اقد سعد
وكان من اشقيته في حر

يا عمرو وناشدتك بالمسيح * الا سمعت القول من فصيح
يخبر عن قلب له جريح * باح بما يلقى من التبريح
كسير قلب ماله من جبر

يا عمرو بالحق من اللاهوت * والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذي في مهده المنحوت * عوض بالنطق من السكوت
وانشر الميت ببطن القبر

بحق ناسوت ببطن مريم * حل محل الريق منها في الفم
ثم استحال في قنوم الاقدم * فكلم الناس ولما يفطم
مصرحا عن امه بالعذر

بحق من بعد الممات قمصا * ثوبا على مقداره ماقصصا
وكان لله تقيا مخلصا * يشفي و يبري أكمها وأبرصا
بما لديه من خفي السر

بحق محي صورة الطيور * و باعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور * يعلم ما في البر والبحور
ومابه صرف القضا يجري

بحق من في شوامخ الصوامع * من ساجد لربه وراكع
يبكي اذا ما نام كل هاجع * خوفا من الله بدمع هامع
ويهجر اللذات طول العمر

بحق قوم حلقوا الرؤسا * وعالجوا طول الحياة بوسا

والناس في الاماني على قولين فمنهم من يرى فيها راحة قلبه وتنفيس كربه فيريح بها النفس ويتعلق من ضيائها بحبال الشمس ومنهم يقول ليس الترجي مما يجي فيرى الاماني من الخداع والوقوع في النزاع ولكل من القول حجة ومذهب مسلوك المحجة ومن احسن ماسمعته في القول الاول قول بعض بني الحرث

أماني من سعدى حسان كانما
سقتني بها سعدى على ظما بردا
منى ان تكن حقا تكن احسن المنى
والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

(وقول الآخر)

ولما حللنا منزلا طله الندى
أنيقا وبستانا من النور حاليا
أجد لنا طيب المكان وحسنه
منى فتمنينا فكنت الامانيا

(وقال افلاطون) الاماني حلم المستيقظ وسلوة المحزون * وقال غيره الاماني رفيق مؤنس ان لم ينفعك فقد سالك * وقيل لاعرابي ما امتع لذات الدنيا فقال ممازحة الحبيب ومحادثة الصديق واماني تقطع بها أيامك * وقال القاضي الفاضل واحسن ماشاء وجدت ريح كتبه وروح قربه فرجعنا الى العادة وعادت أيامنا وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا وعاودتنا المنى وما كانت تخطر وان خطرت فانها كلامنا

أتمنى تلك الليالي المنيرا
ت وجهد المحب أن يتمنى

(وقال ياقوت الرومي)

لله ايام تقضت بكم
ما كان احلاها واهناها
مرت فلم يبق لنا بعدها
شيء سوى ان نتمناها

(وقال) الشيخ فتح الدين بن سيد الناس

اصبو الى البان بانت عنه ما جرتي * تهلا بيلي الى وصلها فيه عصر مضى وجلا بيت الصبا قشيب * لم يبق من طيبه الاتمنيه

وقرعوا فى البيعة الناقوسا * مشمعلين يعبدون عيسى
قد اخلصوا فى سرهم والجهر
بحق مارى مريم و بولس * بحق شمعون الصفا و بطرس
بحق دانيال بحق يونس * بحق حزقيل و بيت المقدس
وكل اواب رحيب الصدر
ونينوى اذ قام يدعو ربه * مطهرا من كل سوء قلبه
ومستقيلا فاقيل ذنبه * ونال عند الله ما احبه
اذ رام من مولاه شد الازر
بحق ما فى قلة الميرون * من نافح الادواء للمحزون
بحق ما يؤثر عن شمعون * من بركات الخوص والزيتون
خصب البلاد فى السنين الغبر
بحق اعياد الصليب الزهر * وعيد شمونى وعيد الفطر
وبالشعانين العظيم القدر * وعيد مرمار الرفيع الذكر
مواسم تمنح جل الاضر
وعيد شعيا و بالهيا كل * والدخن اللائى بكف الحامل
يشفى بها من خبل كل خابل * ومن دخيل السقم فى المفاصل
لكونها من كل داء تبرى
بحق سبعين من العباد * قاموا بدين الله فى البلاد
وارشدوا الناس الى الرشاد * حتى اهتدى من لم يكن بهادى
وحقق الحق بكشف الستر
بحق ثنتى عشرة من الامم * ساروا الى الاقطار يتلون الحكم
حتى اذا صبح الدجى جلا الظلم * ساروا ثم الى الله ففازوا بالنعم
ثم استداموها بفرط الشكر
بحق ما فى محكم الانجيل * من محكم التحريم والتحليل
وخبر ذى نبأ جليل * يرويه جيل قد مضى عن جيل
يسند و يدعامه عن عمرو
بحق مرعيد الشفيق الناصح * بحق لوقا ذى الفعال الصالح
بحق تليخا الحكيم الراجح * والشهداء بالفلا الضحاضح
الراغبين فى عظيم الاجر
بحق معمودية الارواح * والمذبح المشهور فى النواحى
ومن به من لابسى الامساح * وعابد باك ومن نواح
ينثر عقدا من دموع حمر
بحق تقريبك فى الاجساد * وشربك القهوة كالفرصاد
بما بعينيك من السواد * وطول تقطيعك للاكباد
وسلبك العشاق حسن الصبر

واتما عارف آمالى به مرح
يجرى بوعد الامانى مطلق الرسن
(وقال ابن خفاجة)
وليل اذا ما قلت قد بان وانقضى
تكشف عن وعد من الظن كاذب
ولا انس الا ان اضاحك ساعة
ثغور الامانى فى وجوه المطالب
بحسبت الدياجى فيه سود ذوائب
لمعتنق الآمال بيض الترائب
(وقال آخر)
فى المنى راحة وان علمنا
من هواها بعض مالا يكون
(وقلت أنا)
رقى لصب غدا مما يكابده
من دمعه الصب يجرى فى مجاريه
لم يبق فيه سوى روح يرددها
لولا المنى مات بالاقصى امانيه
(وقلت ايضا)
ياطيب ريح سرى من نحوهم سحرا
لولا تلافيه فى الهوى تلفا
كم ذا اعلل قلبى بالنسيم وما
أرى لداء غرامى فى هواه شفا
(وقال ابن زيدون)
لاسرحن نواظرى
فى ذلك الروض النضير
ولا كلنك بالمنى * ولاشربنك بالضمير
(وقال آخر)
علينى بوعد * وامطلى ما حييت به
ودعينى افوز منك بنجوى تطلبه
فعسى يعثر الزمان بحظى فيتنبه
(وقال آخر)
وشادن قلت له * هل لك فى المنادمه
فقال كم من عاشق * سفكت فى المنى دمه
(وقال ابو بكر الحاتمى)
لى حبيب لو قيل لى ما تمنى
ما تعديته ولو بالمنون

اشتهى أن أحل فى كل طرف * لاراه بلحظ كل العيون (وقال أيضا) أمانى قلبى فانت جميعه

بحق ماقدس شعيا فيه * بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور ومار ويه * عن كل ناموس له فقيه
متبع فى نهيه والامر
شيخان كانا من شيوخ العلم * وبعض اركان التقى والحلم
لم ينطقا قط بغير فهم * موتهما كان حياة الخصم
وعنهم اخبر كل حبر
بحرمة الاسقف والمطران * والجاثليق العالم الربانى
والقس والشماس والديرانى * والبترك الاكبر والرهبان
والمغرباني ذى الخصال الزهر
بحرمة المحبوس فى اعلى الجبل * ومارقولا حين صلى وابتهل
وبالكنيسات القديمات الاول * وبالسليح المرتضى بما فعل
وما اتاه من فعال البر
بحرمة الاسقوفيا والبيرم * وماحوى مغفر راس مريم
بحرمة الصوم الكبير الاعظم * وحق كل بركة ومحرم
من شرف سام عظيم الفخر
بحق يوم الذبح ذى الاشراق * وليلة الميلاد والتلاقى
والمذهب المذهب للنفاق * والفصح يامهذب الاخلاق
وكل ميقات جليل القدر
بكل قداس على قداس * قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم الخميس الناسى * وقدموا الكاس لكل حاسى
توقد فى راحته كالجمر
الا رغبت فى رضا اديب * باعده الحب عن الحبيب
فذاب من شوقى الى المذيب * اعلى مناه ايسر التقريب
من بسط اخلاق وحسن بشر
فانظر اميرى فى صلاح امرى * محتسبا فى عظيم الاجر
مكتسبا فى جميل الشكر * فى نثر الفاظ ونظم شعر
فيك نظمى ابدا ونثرى

قلت قد اودعت هذه القصيدة غالب مصطلحات دين النصرانية لكن باعتبار مطلق الملة النصرانية لم يسلك فيها مصطلح الفرقة التى هم ومنها وظاهر انه كان روميا ولكن مدرك لم يكن خبيرا بتفاصيل فرقهم واقل منه معرفة بذلك من نحس حيث تسلقوا على مناسبة الشعر دون زيادة الاحكام ولولا وجود هذا الباب فى الاصل والتزامى ذكر مافيه لحذفته اصلا لعدم الرغبة اليه لكن ساذكر لك البعض المناسب فى فصل المناسبة (قوله عن حب له استرقا) بتشديد القاف اى جعل الناس رقا والفاعل الحب (قوله فى ربقة) بكسر الراء والموحدة التحتية فى الاصل حبل يجعل فيه حلق صغار يدخل فيه رقاب صغار الضأن فاستعاره تخييلا كأن رتبة العشق جعلت المحبين فى سنن الاستقامة كالمنتظمين فى هذه

ياليتنى اصبحت بعض منالك * يدنى مزارك حين شط به النوى * وهما كاذبه اقبل فاك (وقال الحسين بن الضحاك)
وصف البدر حسن وجهك حتى
خلت انى وما اراك اراكا
واذا ما تنفس النرجس الغض
توهمته نسيم شذاكا
خدع للمنى تعللنى فيـ
ـك باشراق ذا وبهجة ذاكا
(ومما احتج به ارباب القول الثانى)
واكثر افعال الغوانى اساءة
واكثر ماتلقى الامانى الكواذبا
(وقال الخالدى)
ولاتكن عبد المنى فالمنى
رؤس اموال المفاليس
(وقال ابن شرف القيروانى)
علف تمنوا فى البيوت امانيا
وجميع اعمار اللئام امانى
(وقال ابن المعتز)
لاتأسفن من الدنيا على امل
فليس باقيه الامثل ماضيه
(وقال) على بن ابى طالب كرم الله وجهه تجنبوا المنى فانها تذهب بهجة ماخولتم وتصغر المواهب التى رزقتم وقال رجل لابن سيرين رايت كانى اسبح فى غير ماء واطير بغير جناح فقال انت رجل تكثر الامانى (وحكى) ان الحجاج مر ذات ليلة بدكان لبان وعنده بستوقة فيها لبن يقول متمنيا ان ابيع هذا اللبن بكذا وكذا واشترى كذا ثم ابيعه فاكسب فيه كذا وكذا فيكثر مالى ويحسن حالى واخطب بنت الحجاج واتزوجها فتلد لى ابنا وادخل اليها يوما فتخاصمنى فاضربها برجلى هكذا ورفس برجله فكسر البستوقة وتبدد اللبن فقرع الحجاج الباب ففتح له فضربه خمسين سوطا وقال انس لو رفست ابنتى هكذا فجعتنى فيها وقال على ابن عبيدة الامانى تخايل الجهل وقال غيره الامانى تخدعك وعند الحقائق تدعك اتفق ان الزكى عبد الرحمن القوصى حضر عند الملك المظفر قبل ان يلى حماة وانشده

الربقة وقوله ريم يعنى عز الاوالروم الفرقة الاصلية من النصارى التى تلقت عن المسيح عليه السلام ورئيسهم شمعون عليه السلام وفى البيت من البديع التجنيس فى ريم ورام والروم ويسمى الاشتقاق والمزبر الاسد يقول ان أشجع الوحش الاسد فلو كان العاشق أسدا لصاده هذا الغزال مع انه خلاف القياس والناسوت واللاهوت ألفاظ وقعت فى الانجيل فتأولها لوقا وهو البترك الاكبر الناقل عن بولس عن يوحنا عن شمعون عن المسيح عليه السلام وهو أول من قسم الفرق وتأول الرسائل والانجيل وذكر الاب والابن وروح القدس وقسم المثلثات فقال ان عيسى تدرع الناسوت يعنى الحصة البشرية وأخذ اللاهوت يعنى الحصة الالهية فى ناسوته كالمصباح فى الزجاجة وهذا جيد لولا انه قال فيستحيل تارة الى اللاهوت لان حصة العذراء يعنى مريم تفنى وفى هذا كلام طويل ذكرناه فى الفرق والصليب شئ ذو خطوط أربع تخرج على استقامة يجمع اصلها المحور واصل تبرك النصارى به انهم لعنهم الله اعتقدوا ان الذى أخذته اليهود بصقلية وصلبته هو المسيح وكان صلبه على شئ هذه صفته وانهم سقوه الخمر فى حنك الخنزير فلما قام بعد ثلاث حلل الخمرة وحرم الخنزير وحرض على عمل الصليب وقد كذبوا فى ذلك كله خصوصا ومدلول هذا ان الخمر حرام فى الانجيل وقد ذكر نسطوريون فى كتاب سماه تقسيم الصفائح وهو مرجع المتفقهة فى الملة النصرانية وقد طالعته ان الخمر حلال فى الاصل والقربان رغيف مستدير عليه صلبان كثيرة يخبز فى كل بيت كل يوم أحد من الصوم الكبير ويحمل الى الكنيسة فاذا فرغت الصلاة اخذ القسيس بعضه وفرق بعضه فتنصرف به النصارى فيفطرون عليه كل يوم الى الجمعة وهكذا والجاثليق الرئيس بالنسبة الى السلطنة الظاهرة واما المطران فهو الفقيه الورع المستحب للبس الصوف الاسود وأصل هذا الترتيب عندهم ان القارئ للانجيل من اول وهلة شماس فان تأوله واتقن حفظه صار قسيسا ويدوم كذلك مادام عنده زوجة وان بلغ فى العلم ما بلغ فان ماتت زوجته فان تزوج خرج عن مراتب العلم ويسمى ساخ القسوسية والا صار مطرانا فان تنزه عن الذفر وما يخرج من الارواح صار بتركا فى مذهب الارمن وأما الروم واليعاقبة والنسطورية فيرون انه لا يجوز ان يكون بتركا الا من تنزه عن النساء وأكل الارواح وما يخرج منها من أول عمره الا العسل والسمك لانه خليفة المسيح وطاعة هؤلاء فرض على النصارى وأما الاسقف والمرون والراهب فاسماء للمتعبدين خاصة فالماكث فى القلة ميرون وكثير السياحة أسقف وتارك النساء فقط راهب وشرط الروم ملازمته لبس المسوح وخدمة الدير وان لا يصلى خارج كنيسة ولو خمس قوله كما يرى الطاعة لى ايمانا * بقوله (يكشف الرأس اذا يجرى) لكان أليق لما فيه من ذكر الحكم الدينى الواجب فعله مع المذكورين والمصحف المراد به المعنى اللغوى والبيعة معبد صغير غير مرتفع والدير المعبد الكبير الكثير المرافق والمحاريب والكنيسة ما اشتملت على عواميد الاناجيل ولم يرتفع بناؤها طبقات والصومعة مكان رفيع دقيق الاسفل والقلة مثلها الا انها اتسع اكثر من واحد والزنار منطقة تشد فى الخصر وقت الصلاة مشتملة على صليب اذا شدت كانت على السرة ومن هنا الى آخر ما شرح مؤخر والمغرى بالشئ الخادم الملازم للبترك وباقى البيت تقدم استطرادا والمحبوس فى رأس الجبل هو الراهب تقولا وكان يانطا كية فى بيعة البرتز فارسله لوقا نذير الاهل السد فحبسه شعياء

متى اراك ومن تهوى وانت كما *

هنئت بالملك والاحباب والوطن

فوعده الملك المظفر اذا ملك حماة أن يعطيه ألف دينار فلما ملكها انشده

مولاى هذا الملك قد نلته

برغم مخلوق من الخالق

والدهر منقاد لما شئته

فذا أوان الموعد الصادق

فوقع له بألف دينار وأقام معه ولزمته اسفار فانفق فيها المال الذى أعطاه ولم يحصل بيده زيادة عليه فقال

ذاك الذى أعطوه لى جملة

قد استردوه قليلا قليل

فليت لم يعطوا ولم يأخذوا

وحسبنا الله ونعم الوكيل

فبلغ ذلك المظفر فاخرجه من دار كان قد انزله بها فقال

أتخرجنى من كسر بيت مهدم

ولى فيك من حسن الثناء بيوت

فان عشت لم أعدم مكانا يضمنى

وان مت تدرى ذكر من سيموت

فحبسه المظفر فقال ماذنبى اليك قال قولك حسبى الله ونعم الوكيل فامر بخنقه فلما احس بذلك قال

أعطيتنى الالف تعظيما وتكرمة

ياليت شعرى أم اعطيتنى ديتى

قلت وقد غضب على السلطان حقده عليه لاجل قوله حسبى الله ونعم الوكيل حتى قتله فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فكان حاله معه كما قيل

فكنت كالمتمنى ان يرى فلقا

من الصباح فلما ان رآه عمى

(ولله القائل)

ربما يرجو الفتى نفع فتى

خوفه اولى به من امله

رب من ترجو به دفع أذى

سوف يأتيك الاذى من قبله

(ذكرت هنا قول الآخر) لما بدا العارض فى خده * بشرت قلبى بالنعيم المقيم قلت هذا عارض ممطر

ذبانى فيه العـذاب الاليم وقال ابن سنا الملك من رسالة الى المحبوب وانت

الذى نقضـنى من يده ورفضنى من باله
وأنت الذى فصلنى قبل أن يستكمل
الوصل مدة حوله وفصاله
وأنت الذى اخلفتنى ماوعدتنى
واشمت بى من كان فيك يلوم
لعل عينا أصابتنا فلا نظرت
أو واشيا قال فيما بيننا كذبا
لعل عتبك محمود عواقبه
وربما صحت الاجسام بالعلل
لعل الرضا منكم وكيف مناله
يعمر فؤادا ساءه منكم الهجر
لعل صدى فى النفس يروى أوامه
وجمر جوى فى القلب تخمد ناره
لعل عاطفة تدنى الى أمل
قلبا تحير بين اليأس والطمع
لعل عين الرضى عن كلفت به
يوما تبهرج ماقالته حسادى
لعل زمانا قد تولى سيثنى
الينا وقلبا قد قسا سيلين
لعل ذيول العفو والعفو واسع
تجر رها الجافى على مفرق الذنب
لعل سلو الفؤاد يعوده
وذا غلط حاشى فؤادى أن يسلو
لعل وما تغنى لعل وانها
علالة صب واستراحة هائم
ولا أقل من التعلل بلعل
وما أقل غناها وأكثر عناها

(الباب الثانى والعشرون فى الرضى من المحبوب بأيسر مطلوب)

أقول هـذا باب عقدناه لذكر المحب المطبوع والعاشق القنوع عن يقنع من الحبيب بالنظر اذا حضر ويرضى منه بالسلام ولو مرة فى العام فهو فى الرضا منه بالنزر اليسير كما قيل

(قليلك لا يقال له قليل)

أنا راض منكم بأيسر شئ
يرتضيه من عاشق معشوق

بسلام على الطريق اذا ما ۞ جمعتنا بالاتفاق الطريق (وقال المعرى) لا قالك فى العام الذى ولى ولم

اليهودى فى جبل الغمام وضربه على أن يرجع عن النصرانية فابى ومات جوعا عند الارمن واليعاقبة تقول ان المسيح اخذه واصطفاه وتوقفت فيه الروم ومرقولا أول بترك بعد لوقا وهو الذى قسم الكنائس بين الارمن والروم والسليح بالمهملة رجل اقامه مرقولا فى خدمة الكنيسة الرومية ولو احسن المخمس لقال (ووضعه اليه وفوق المجر) لانها وظيفته والاسقوفيا هو الاسقف وقد تجوز فيها مدرك كما زاد الالف فى مرقولا والبيرم الفراش فى الدير وأشار بعفر رأس مريم الى بولس الذى نحر عن مريم يوم صورت فى القمامة ألف رأس وفرض خمسة عشر يوما صوما مبدؤها خامس عشر ايلول وهو تاسع عشر توت والصوم الكبير هو الصوم الذى تستفتح به السنة اليونانية وأوله من أول ادار يعنى برمهات وقد يتقدم أو يتأخر بخمسة عشر يوما واصله فى الانجيل ثلاثون يوما ثم زاده لوقا عشرة ايام لاجل خلاص النصارى من ولاية اليهود بافرنجة ثم زاده الوزير بواس عشرة لسلامة ابنته وكانت زمنة فاصبحت صحيحة وزعمت ان المسيح مسح عليها وكان ذلك ليلة العيد فامر بزيادة عشرة ففرضها على النصارى فكمل خمسين الى الآن والبركة محل ماء الغطاس والمحرم تكميل ولو احسن المخمس لقال (وبلسان عندها وعطر) لان بركة الغطاس لابد أن يحضر عندها القسيس ومعه شئ من دهن البلسان وأنواع الطيب لانهم يقولون ان مريم كانت تصنع ذلك فى تغسيل عيسى ويوم الذبح يريدون به يوم فراغ بختنصر من اليهود وذبحهم على دم يحيى بن زكريا وهو يفور حتى سكن وليلة الميلاد هى ليلة ميلاد المسيح وهى سابع كانون الاصم اعنى ثالث عشر طوبة والفصح بالمهملة وبعدها معجمة العيد الاكبر وهو ختام الصوم الكبير المعروف فى مصر بالخماسين والقداس هو المولود يأخذه القسيس حين يولد فيقدسه فى المعمودية يعنى يحطه فى الماء ومن هنا الى عند ما تقدم مقدم والاقنوم لفظة رومية ويراد بها المعنى وعندهم الاقانيم ثلاثة الله والمسيح ومريم ويعنون بها الآلهة وهو اصطلاح كازردشت عند المجوس وخاخان عند اليهود وأزدان عند الثنوية وآل شلع عند الصابئة الى غير ذلك مما استقصيناه فى الفرق والذى قص بعد موت المسيح كما سبق والذين حلقوا الرؤس وتشمعلوا يعنى اتبعوا شمعون وهم لوقا ويوحنا واميلخا وجرجس ودوبيل وبفيائيل وبولس ولهم قصة طويلة ذكرناها فى الفرق وحاصلها انهم تعاهدوا على مدارسة الانجيل والانفراد فى رؤس الجبال بالعبادة ولقد رأيت بعض بيعهم بالدير الكبير فى الجبل البحرى بالقرب من انطاكية وللنصارى فيهم اقوال عجيبة لا يسعها هذا المحل وما بعد ذلك أسماء انبياء من بنى اسرائيل والدواء الذى فى قلة الميرون هو دهن البلسان وغسالة ارجل البتاركة فى القمامة ليلة الغطاس يجمعها البترك ويجعلها فى الزجاجات عند أهل القال فيبرئ به المصروع والبرسم وصاحب الماليخوليا قال صح ذلك فاما فيها من دهن البلسان وكذلك عدم تغيره مدة الدهر ولقد قلت للبترك يوما انا أغسل رجلى بالماء وأرفعه فلا يتغير أبدا فبطل مزيتكم ثم ذكرت له العلة فاعترف والمأثور عن شمعون من الخوص والزيتون هو ان شمعون دخل الكنيسة يوم احد خامس يوم من الصوم الاكبر ومعه غصن من شجرة الزيتون وشئ من خوص النخل فلما فرغ من الصلاة وعنده جماعة منكرون فى الباطن دفع اليهم من ذلك شيأ وأمرهم بادخاره فبقى رطبا الى القابل فدنوا لملة العيسوية فاتخذ ذلك سنة فيهم يأتون به الآن فى اليوم المذكور ويطرح فى الكنائس فاذا فرغت الصلاة توزعوه فيكون

عندهم الى القابل ولو عرف المجس اقال (وخالص الكندر والمقر) يعني الميعة بلسانهم فانهم يأخذون من الكندر والميعة و ورق الزيتون ويعجنون الكل بخور الكنائس وغيرها و يداوون به امراضا كثيرة كالحميات نعم يأخذون ورق الزيتون ليلة عيد الصليب فيدفنونه في الارض أسبوعا ثم يخرجونه فان وجد أخضر حكموا ان السنة مخصبة وان كان غيرهذا فبالعكس وله احكام طويلة ذكرناها في كتاب الفلاحة وعيد الصليب معروف وعيد الشعانين عاشر نيسان وعيد الشعانين هو الذي يأتي في الصوم الكبير و يعقبه عيد الفطر بلا فصل باعياد وعيد مرماري هو الذي يأتي بعد صوم بولس وقد سبق وعيد شعياء يكون في صوم الميلادة بشباط يعني أمشير والارمن تسمي عيد الشعانين عيد شعياء واليعاقبة تسمي يوم الزيتون أيضا كذلك والعمدة على كلام الروم والهيا كل الاماكن التي فيها قبور مثل البتاركة والمطارنة والدخن المراد بها حصى اللبان الذكر والسبعين من العباد هم المختارون من القوم الذين أكلوا المائدة والاثنا عشر من الامم المراد بهم السبعة السابقة وشمعون وشمعان و بطرس ودانيال ويحيى وهؤلاء حواريون واتباع افترقوا للدعوة لما اختصوا به وعملوه ولسبب خروجهم أحكام ليس هذا محلها وبسطناها في الفرق ومرعيد عابد كان بدير شمعان وشعياء ونسطورون شيخا التفسير اول من حل الانجيل ولهما كتاب ذكرا فيه الصحف المنزلة على الانبياء وعددها مائة وثمانية عشر وجمعا بين احكامها واحكام الانجيل والزبور والتوراة ومواعظ وجعلاه قسمين وهو كتاب عزيز الوجود وقفت عليه وطالعته الى هنا انتهى الغرض منه

(النوع الثاني في ذكر من جهل حاله وكان الى الموت في الحب مآله وقد رأينا أن نبدأ منهم بعشاق النصارى تبعا للقصة المشهورة)

(فمنهم) سعيد الوراق وكان بالرها يبيع الورق ويجلس اليه الشعراء واهل الادب فيتحدثون عنده في الشعر كالصنوبري والمعري وغيرهما فلازمهم غلام نصراني اسمه عيسى يكتب ما عندهم من الادب فعلقه سعيد وزاد به وجده فانشد يوما

اجعل فؤادي دواة والمداد دمي * وهاك فابري عظامي موضع القلم
وصير اللوح وجهي وامحه بيدي * فان ذلك لي برء من السقم
ترى المعلم لايدري بمن كلفي * وأنت أشهر في الصبيان من علم

ثم اشتهر أمرهما فلما شب الغلام طلب الترهب فاجابه اهله بعد جهد فخرج الى دير زكي وأقام به وكان سعيد يأتيه فيجلس معه فكره الرهبان ذلك وتوعدوا الغلام بالخروج من الدير فمنعه أي صارت الرهبان تغلق باب الدير في وجه سعيد اذا أتى فلما أيس مضى فاحرق داره وثيابه وخرج عاريا ينشد الاشعار و يطوف بالدير و يبيت في ظله وان الصنوبري أتاه يوما وقد طال شعره وتشوهت خلقته فعنفه فقال يا أبا بكر ألا ترى الى هذا الطائر الذي على شرافة الدير قلت نعم قال لي اسأله حمل رسالتي الى عيسى فابى ثم قال هل عندك لوح قلت نعم فدفعته اليه فكتب

بدينك ياحمامة دير زكي * وبالانجيل عندك والصليب
قفي وتحملي مني سلاما * الى قمر على غصن رطيب
حماه جماعة الرهبان عني * فقلبي مايقر من الوجيب

أقلب طرفي في السماء لعله
يوافق طرفي طرفه حين ينظر
(وقال أيضا)
واني لارضى من بثينة بالذي
لواستيقن الواشي لقرت بلابله
بلا وبأن لا استطيع وبالمنى
وبالامل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي
أواخره لاتلتقي وأوائله

(قلت) انظر الى هذا الشاعر الظريف والعاشق العفيف قد قنع من مناهل أحبابه بالوشل واكتفى باللمع من خلال الاستار والكلل ومن هذا المعنى المبتز قول ابن المعتز

ألست أرى النجم الذي هو طالع
عليها فهذا للمحبين نافع
عسى يلتقي في الافق لحظي ولحظها
فيجمعنا اذ ليس في الارض جامع

(والعلم) المشهور في هذا الباب قول بعض الاعراب

أليس الليل يجمع أم عمرو
وايانا فذاك بنا تداني
نعم وأرى الهلال كما تراه
و يعلوها النهار كما علاني

كان الشيخ أثير الدين أبو حيان يقول من صاحب هذين البيتين هذا العاشق القنوع وقال الآخر

الى الطائر النسر انظري كل ليلة
فاني اليه بالعشية ناظر
عسى يلتقي طرفي وطرفك عنده
فنشكو اليه ما تجن الضمائر
(قال بعض الاعراب)
ومانلت منها وصلها غير انني
اذا هي بالت بلت حيث تبول

ذكرت هنا ما حكي عن بعضهم انه رأى امرأة حسناء في طاقة فاحبها ولازم المقام على بابها والمرور تحت الطاقة الى أن أعيا وقل صبره وحصل على اليأس منها فدق الباب عليها فخرجت

وقالوا رابنا المام سعد * ولا والله ما أنا بالمريب
وقولي سعدك المسكين يشكو * لهيب جوى أحر من اللهيب
فصله بنظرة لك من بعيد * اذا ما كنت تمنع من قريب
وان أنا مت فاكتب حول قبري * محبا مات من هجر الحبيب
رقيب واحد تنغيص عيش * فكيف بمن له الفا رقيب

ولم يزل كذلك حتى وجد عند الدير ميتا فأراد العامل بومئذ وهو العباس بن وكيع البطش بالرهبان وحرق الغلام فافتدوا وامنه بمائة الف درهم وصار الغلام اذا دخل المدينة لزيارة اهله تضربه الصبيان بالاحجار يقولون له يا قاتل سعيد فانتقل الى دير سمعان (ومنهم شرف العلاء) عاتق غلاما نصرانيا فلبس المسوح لاجله وتبعه الى الكنائس والبيع وهام به فبلغ ذلك الظاهر بن ايوب فاستحضره فلما دخل عليه تلقاه بقدح من خمر فشربه وانشد

جمعت بالكاس شملي * الله يجمع شملك
بحق رأسك دعني * حتى اقبل نعلك

وصار على ذلك هائما حتى مات ومنهم ما اخرجه ابن الجوزي عن سعيد قال كنت بخان التجار بالبصرة اذا بغلام يصيح وفي يده مدية فاجتمع الناس اليه فانشد

يوم الفراق من القيامة اطول * والموت من ألم التفرق اجمل
قالوا الرحيل فقلت لست براحل * لكن مهجتي التي تترحل

ثم بقر بطنه بمديته فسألت عنه فقيل عشق غلاما لبعض الملوك فحجب عنه يوما واحدا ففعل هذا (ومنهم) ما حكاه الثوري في روضة القلوب قال كان بحمص مؤدب يقال له ابن الدوري عشق غلاما وكلف به فلما علم ابوه بذلك نقله الى مؤدب آخر عدوله فضعف واشتد غمه فكتب الى ابي الغلام يستعطفه فأجابه بانه ان لم يرجع رفع امره الى الحاكم فتغير من وقته وتقايا الدم وحمل الى بيته وجاء الطبيب فأخبر ان كبده تفطرت فمات في الرابع (ومنهم) ما حكاه في ديوان الصبابة وهو نظير العشق المسلسل السابق في الباب الثاني قال عشق شاب بدمشق غلاما فلما اشتد به وجده قتله فحمل الى الحاكم فانكر فهدد بالضرب فجاء شاب كان يعشقه فقال ان هذا لم يقتل الغلام وانما انا قتلته فكتبوا عليه بذلك وخرجوا ليقتلوه فحدث الحاكم بباطن القصة وكان متأدبا فامسك عن قتله وحبسه لينظر فعزل بعد أيام وكان اول ما حكم الحاكم الجديد بان شنق الشاب المذكور وقال شهاب الدين الحاجبي كان شابا لطيفا جيد القريحة ذا نثر ونظم من العجائب الدالة على ان له اليد الطولى في الادب وكان من اولاد الجند عشق شابا من اولاد الحسينية وافرط في حبه حتى كان لا يصبر عنه ساعة فمرض الشاب وانقطع فمرض الحاجبي لمرضه فدخل أصحابه عليه ليعودوه فقال أريد من يوصل هذه الدراهم الى فلان يعني صاحبه فقيل له قد مات فتغير من وقته واختلط عقله وجعل يقول قدمات ثم قال احملوني من هنا والح عليهم فأخذوه من حارة بهاء الدين الى قناطر السباع فمات بها من يومه والتقت جنازته وجنازة محبوبه فصلي عليهما معا ومن شعره

ملأت فؤادي من محبة شادن * أميل اليه وهو كالظبي راتع
وقالت لقلبي قم لنعشق شادنا * سواه فقال القلب ما انا صانع

(ومنها)
ان السيوف كلها * قاطعة اذا انجلت
الا سيوف لحظه * اذا تصدت قتلت

الجارية اليه فدفع اليها الصحفة وقال دعي سيدتك تبول في هذه فبالت له في الصحفة وقالت للجارية اتبعيه وانظري ما يصنع بذلك فلم تزل تتبعه الى ان دخل بعض الخربات فوضع ابزه في ذلك البول وقال يا مشؤوم اذا فاتك اللحم فاشرب المرق (وحكى) ابن الجوزي في كتاب الاذكياء ان الهدهد قال لسليمان عليه الصلاة والسلام اريد أن تكون في ضيافتي فقال له سليمان أنا وحدي فقال له بل والعسكر في جزيرة كذا في يوم كذا فمضى سليمان وجنوده الى هنالك فصعد الهدهد الى الجو فصاد جرادة وخنقها ورمى بها في البحر وقال يا نبي الله كلوا فمن فاته اللحم نال من المرق فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولا كاملا أخذ بعضهم هذا المعنى فقال

وكن قنوعا فقد جرى مثل
ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

(الباب الثالث والعشرون في اختلاط الاشباح اختلاط الماء بالراح)

أقول هذا باب عقدناه لذكر من أفرط في العناق اذا التفت الساق بالساق فاصبح هو ومحبوبه كالشئ الواحد في رأي العين حتى عند الاحوال الذي يرى الشئ شيئين وذلك لفرط المحبة التي لا يشتفي قلب صاحبها بالوصال ولا تنقطع حبال دموعه بالاتصال كما قيل

وكدت وهو ضجيعي أن اقول له
من شدة الحب قد أبعدت فاقترب

(وقال ابن الرومي)

أعانقه والنفس بعد مشوقة
اليه وهل بعد العناق تداني
والثم فاه كي تزول حرارتي
فيشتد ما ألقى من الهيمان
ولم يك مقدار الذي بي من الجوى
ليشفيه رشف ما سوى الشفتان
كان فؤادي ليس يشفي غليله
سوى ان ترى الروحان يمتزجان
فلو أن روحي مازجت ثم روحه *

(وقال آخر) سريت اليه والظلام كانه * صريع كرى والنجم في الافق شاهد

(ومنها) وصفت خصره الذى * أخفاه ردف راجح
قالوا وصف جبينه * فقلت ذاك واضح

(ومنها) له عين لماغزل وغزو * مكحلة ولى عين تباكت
وحاكت فى فعالها المواضى * فيالك مقلة غزلت وحاكت

(ومنها) عودوا الصب بكى عليكم * يا جيرة ودعوا وساروا
فدمع عينيه صار بحرا * وقلبه ماله قرار

(ومنها) لا تيمنوا غير الصبا بتحية * ماطاب فى سمعى حديث سواها
حفظت أحاديث الهوى وتضوعت * نشرا فيا لله ماأذكاها

(ومنها) لم انس ليلة بتنا * والحب قد غاب عنا
وقد دوى منه لفظ * حتى حسدنا معنا

(وقال) لم انس ايام الصبا والهوى * لله ايام النجا والنجاح
ذاك زمان مرحلو الجنى * ظفرت منه بحبيب وراح

ومنها وهى من قصيدة طويلة ذكر ابن حجة فى شرح بديعيته انه مدح بها صاحب حماة
ثانى المعاطف كنت أول عاشق * فى حبه ولكل ثان اول
يدنو فيحلو للنسيم لحظه * اذ ذاك لحظ بالنعاس معسل
وتميس منه شمائل لم أدر من * مشمولة اوحركتها شمأل
متلون الاوصاف سيف لحاظه * ماض ولكن هجره مستقبل

(القسم الثانى فيمن اشتهر فى العشق حاله ولم يدر ما له)

(فمنهم) ماحكاه من له اعتناء بطرائف الاخبار قال نزلت دارا فوجدت مكتوبا على حائط

دعوا مقلتى تبكى لفقد حبيبها * ليطفئ برد الدمع حر كروبها
ففى حبل خيط الدمع للقلب راحة * فطوبى لنفس متعت بحبيبها
بعين لو رأته القاطعات أكفها * لما رضيت الا بقطع قلوبها

فسألت فقيل كان بها تاجر يهوى غلاما وانه أنفق عليه ثلاثين الف دينار حتى نفد مامعه فلم يدر ماتم من أمرهما (ومنهم) ماحكاه بعضهم قال دخلت درب الزعفرانى ببغداد فرأيت غلاما قد طرح شيخا على التراب وهو يعضه ويضربه فقلت لا تفعل ذلك بأبيك وأنا اظن انه ابوه فقال حتى أفرغ وأكلمك فلما افرغ اقبل على وقال هذا الشيخ يزعم انه يهوانى وله ثلاث مارآنى (ومنهم) ماحكاه عن الاصمعى عن ابى نواس قال رأى غلاما بمكة فعلقه وقال لاقبلنه عند الحجر فقلت اتق الله فى ذلك قال لابد منه فدنا وقبله حين أراد ان يلثم الحجر وأنا انظره فلما عنفته قال ان الله رحيم وانشد

وعاشقان التف خداهما * عند استلام الحجر الاسود
فاشتفيا من غير ان يأثما * كأنما كانا على موعد

(ومنهم) رجل بافريقية كان يهوى غلاما وازدادت محبته له حتى استغرقه الحال وانه انفرد ليلة يشرب فذكر تجنى الغلام عليه وهجره له فأخذ قبسا فأحرق بابه ورآه بعض جيرانه فحين اصبح رفعوه الى القاضى وكان لطيفا فقال لاى شئ فعلت هذا فأنشد

لما تمادى على بعادى * واضرم النار فى فؤادى

اقلت ادن منى ايها المتباعد (وقال ابو الحسين التونسي)
ثم اعتنقنا فترانا معا * فى ظلمة الليل ونو والعتاب
جسمين صارا فى الهوى واحدا
كشكلتين اختلطا فى كتاب
(وقال خالد الكاتب)
كانى عانقت ريحانة
تنفست فى ليلها البارد
فلو ترانا فى قميص الدجى
حسبتنا فى جسد واحد
(وقال نفطويه النحوى)
ولما التقينا بعد بعد بمجلس
تغازل فيه أعين النرجس الغض
جعلت اعتمادى ضمه وعناقه
فلم يفترق حتى توهمته بعضى
(وما احسن قول أبى بكر الاربلى)
هم الرقيب ليسعى فى تفرقنا
ليلا وقد بات من اهواه معتنقى
عانقته فتحدنا والرقيب أتى
فذرأى واحدا ولى على حنق
(وقال سيف الدين المشد)
ولما زار من أهواه ليلا
وخفنا ان يلم بنا مراقب
تعانقنا الا خفية فصرنا
كانا واحد فى عقد كاتب
(وقال آخر)
توهم واشينا بليل مزاره
فهم ليسعى بيننا بالتباعد
فعانقته حتى اتحدنا تعانقا
فلما أتانا مارأى غير واحد
قال قاضى القضاة كمال الدين بن العديم لما سمع هذين البيتين امسكه امساك أعمى (وقال ابو الفضل)
سقيا العيش مضى والدهر يجمعنا
ونحن نحكى عناقا شكل تنوين
فصرت اذ علقت كفى حبائلكم
بسهم هجرك ترمى ثم تنوينى
ومثل هذا القول فى عدم السلامة وتوجيه الملامة (قول ابن سناء الملك)
وليلة بتنا بعد سكرى وسكره * نبذت وسادى ثم وسدته يدى وبتنا كجسم واحد من عناقنا

ولم

ولم اجـــد من هواه بدا * ولامعينا على الســهاد

حامت نفسي عـلى وقوفي * ببـابه حـَـــلة الجـواد

فطار من بعض نار قلـبي * اكبر في الوصف من زناد

فأحرق الباب دون علمي * ولم يكن ذاك من مرادي

فاستظرفه القاضي وحمل عنه ما افسده

(القسم الثالث في ذكر من ساعده الزمان في المراد حتى بلغـه ما أراد) فمنهم ما حكي انه كان ببغداد رجـل صوفي معروف بالزهد والعبادة فهوي غلاما جنديا حتى امتزج حبـه بلحمه ودمه واشتهر امره عند غالب غلمان الغلام لان الصوفي كان يتقصده في الطرف والملوا كـب لينظره فبينما الصوفي ليلة يصلي على سطحه اذ سمع صوت الغلام مارا فسقط من على السطح فرآه الغلمان فضحكوا فقال مولاهم مالكم فقالوا لاشئ فاقسم عليهم فتقدم اليـه بعضهم وأسر الخبر اليـه واعلمه انه يهواه فقال منذ كم قالوا من زمان طويل فقـال بئس المرء الذي لا يعرف من احبه ثم نزل فاقعده ونفض عنه التراب فنقطت الشمعة على وجه الشيخ ففتح عينيه فرأى صاحبه فأنشد

ياحرقا بالنـار وجـه محبـه * رفقا فان مـدامعي تطفيــه

حرق بها جسدي وكل جوارحي * واشفق على قلبي فانك فيه

فحمله الى بيته ولم يفارقه بعـدها وساق الحجازي في روض الآداب الحكاية عن الخياط الدمشقي (ومنهم) البحتري المشهور كان يهوى غلاما اسمه نسيم فاشتراه حين اشتد به بلاؤه فلما اشتهر حاله مازحه ابو الفضل يوما وقال هل تبيعه قال لا قال خذ فيه ألف دينار فابى وكان لا يساوي أكثر من مائة فقـال خذ الفين فقال احضرهما فاحضرهما واشتراه ومضى به فلم يلبث البحتري أكثر من يوم حتى ذهب عقله واكثر التردد الى ابي الفضـل فلم يجبه وزاد به الوجد فكتب اليه

أبا الفضل في تسع وتسعين نعجة * غـنى لك عن ظبي بساحتنا فرد

أتأخـذه مني وقد أخـذ الهوى * فـؤادي له فيما أسر وما ابدي

وتغدو عليـه صبوتي وصبابتي * ولم يعـده وجدي ولم يأله جهدي

وقلت اسـل عنه فانيـة دونه * وكيف يسلوان الظمآن عن الورد

فقال أبيعكه بجميـع مالك في سائر البلاد فقال افعل فباعه بذلك فلما اصبح اقاله وقال اياك وهجر الاحرار فان لهم مكائد (ومنهم) ما حكي عن الصاحب بدر الدين وزير اليمن انه كان له أخ جميل فاختار له معلما ذا هيبة ووقار وأدب فكان يعلمه في بيته فامتحن الشيخ بحب الغلام وزاد به الحال فشكا يوما الى الغلام امره فقال ما أصنع واني لا يفارقني ليلا ولا نهارا فقال الشيخ ان داري ملاصقة لحائطكم فاذا كان الليل أتناولك فتجلس معي لحظة لطيفة ثم تعود فاجاب فلما كان الليـل أظهر الشاب انه نائم فقام اخوه ففتح الباب النافذ الى الحائط فوجد الشيخ واقفا فاخـذه ومضى فرآه قد هيأ مجلسا لطيفا ما بين فرش وسماط ومشروب ومشموم فجلسا يتعاطيان الـكاس وكانت ليلة البدر وأفاق الوزير فلم ير أخاه ورأى الباب مفتوحا فاطلع فرآهما على تلك الحالة والكاس في يد الشيخ وهو ينشـد

سقاني شربة من خمر فيـه * وحيانا بالعـذار وما يليه * وبات معانقي خد الخد

والا كحرف في الـكلام مشدد لو قال كحرف في النظام ماوقع في الملام لان الحرف المشـدد في اللفظ معدود عنـد العروضيين بحرفين وأما في الخط فلا فعلى هذا لا يتم له ما أراد ولو جعل ساعده للمحبوب كالوساد ولا عذر له لان الوزن ساعده وأعانه على تحصيل هذه الفائدة

وقال بعض شعراء الذخيرة

بتنا وراء الحجاب يلحقنا
برد وقار والشمل مشتمل

اثنان من شدة التعانق قد
صارا كفرد بالروح يتصل

لو أن غيث السماء أمطرنا
لم يصب الارض تحتنا بلل

قال محمد بن عروس اجتمعت انا وعلي بن الجهم في سـفينة ونحن غـير متعارفين فتذاكرنا ووجدته حلو المذاكرة فكان في بعض مقاله انا اشعر الناس فقلت له بماذا قال بقولي

الا رب ليل ضمنا بعد هجعة
وادنى فؤادا من فؤاد معذب

فبتنا جميعا لو تراق زجاجة
من الخمر فيما بيننا لم تشرب

فقلت له والله لقد احسنت ولكني اشعر منك قال بأي شئ قلت بقولي

لا والمنازل من نجد وليلتنا
بغيداذ جسدانا بيتنا جسد

كم رام فينا الـكرى من لطف مسلكه
يوما فما انفك لا خد ولا عضد

الاصل في هذا قول بشار بن برد وهو من الشعر الملوكي

ومرتجة الارداف مهضومة الحشا
تمور بصعر عنها وتدور

اذا نظرت صبت عليك صبابة
وكادت قلوب العاشقين تطير

خلوت بها لا الخاص المنا بيننا
الى الصبح دوني حاجب وستور

ذكرت بقولي في اول الباب الاحول الذي يرى الشئ شيئين قـول بعض المغاربة في مليح له رقيب أحول

بأبي رشا يحوي مع الاحسان * مليكة موضوعها النساني * احوى الجفون له رقيب احول *

مليح في الانام بلا شبيه * وبات البدر مطلعا علينا * سلوه لا ينم على اخيه

فكان من لطفه ان قال والله لا اثم عليكما وانصرف وذكر الحجازي بذكر هذا الاتفاق مناسبة لطيفة وذلك ان شخصا كان يهوى غلاما فمات فجلس يبكيه فطلع البدر فنظر اليه فلم يقدر ان يملأ عينه منه فأنشد

شقيقك غيب في لحده * وتطلع يا بدر من بعده

فهلا خسفت وكان الخسوف * لباس الحداد على فقده

فخسف من وقته (ومنهم الشيخ) مهذب الدين بن منير الطرابلسي وكان أديبا ظريفا عارفا بالشعر والادب وكان شيعيا وكان السيد المرتضى الموسوي نقيب الاشراف بالعراق والشام وغالب الممالك وكان بينه وبين مهذب الدين مودة قال ابن سعد في الطبقات لان السيد كان رئيس أهل هذا المذهب وغيرهم وكان مهذب الدين من أجلاء طرابلس فبعث الى الشريف بتحف مع عبد أسود فأرسل الشريف يعتبه في ذلك وكان معروفا بالشهامة فما قال له اما رأيت شرا من السواد حتى ترسله الينا وحكى قاضي القضاة ابن البراج ان مهذب الدين لم يرسل الى الشريف الا العبد فقط فكتب اليه اما بعد فلو علمت عددا أقل من الواحد اولونا أشر من السواد لبعثت به الينا والسلام وكان مهذب الدين يهوى مملوكا له اسمه تتر وكان لا يفارقه في نوم ولا يقظة وكان اذا اشتد غمه أو رمى بمحنة نظر اليه فزال ما به فحلف لا يرسل الى الشريف الهدايا الا مع أعز الناس عنده فجهزها مع مملوكه واخذ يقاسي مشاق فرقته فلما وصل المملوك الى الشريف توهم انه من جملة الهدايا فتعوض بضامن ذنب العبد فأمسكه وطال الامر فلم ير ما يشكي به الشريف ويبعثه على ارسال المملوك الا اظهار التورع عن التشيع والدخول في مذهب اهل السنة وان دليل ذلك امر عظيم اخرجه عن العقل حتى فارق مذهبه فأرسل اليه بهذه القصيدة يذكر فيها وجده بالمملوك وخروجه من المذهب وتلبسه بالتستر وهي

عذبت طرفي بالسهر * وأذبت قلبي بالفكر * ومزجت صفو مودتي

من بعد بعدك بالكدر * ومنحت جثماني الضنى * وكحلت جفني بالسهر

وجفوت صبا ماله * عن حسن وجهك مصطبر * يا قلب ويحك كم تخا

دع بالغرور وكم تغر * والام تكلف بالاغن * من الظباء وبالاغر

ريم يفوق ان رما * ك بسهم ناظره النظر * تركتك اعين تركها

من بأسهن على خطر * ورمت فأصمت عن قسي * لا ينساط بها وتر

جرحتك جرحا لا يخيط بالخيوط ولا الابر * تلهو وتلعب بالعقو

ل عيون أبناء الخفر * وكأنهن صوالج * وكأنهن لها اكر

تخفي الهوى وتسره * وخفي سرك قد ظهر * أفهل لوجدك من مدى

يقضي اليه فينتظر * نفسي الفداء لشادن * انا من هواه على خطر

عذل العذول وما رآه * فحين عاينه عذر * قمر يزين ضوء صبح

جبينه ليل الشعر * ترمي اللواحظ خده * فيرى لها فيه اثر

هو كالهلال ملثما * والبدر حسنا ان سفر * ويلاه ما أحلاه في

قلبي الشقي وما أمر * نومي المحرم بعده * ودبيب لذاتي صفر

دوبيت

قد بالغ في حديثه بالمين

من قال رأيت مثله بالعين

ما يبصر مثله سوى ذي حول

من حيث يرى الواحد كالاثنين

وقول صدر الدين بن الوكيل

يقولون لي لم ذا كلفت بأحول

يقلب بالزوجين قلت لهم عذرا

رأت كل عين حسن أوصاف اختها

فمادت بطول الدهر تنظرها شزرا

* (الباب الرابع والعشرون في عود المحب كالخلال وطيف الخيال وما في معنى ذلك من رقة خصر الحبيب وتشبيه الردف بالكثيب) *

أقول هذا باب عقدناه لذكر من أدى به النحول الى الذبول وأصبح كالطالل بين الطلول فهو من شدة الضر كما قال صردر

وكم ناحل بين تلك الخيا

م تحسبه بين اطنابها

فمحبوبه في الجفا واحد كالالف وهو في

رقته كالخيال يمشي الى خالف

ولما رأتني كعود الخلال

وجسمي كما نسج العنكبوت

فقالت تموت الى كم تنيك

فقلت اليك الى ان اموت

والعلم المشهور في هذا الباب قول المتنبي

أبلى الهوى اسفا يوم النوى بدني

وفرق الهجر بين الجفن والوسن

روح تردد في مثل الخلال اذا

أطارت الريح عنه الثوب لم يبن

كفى بجسمي نحولا انني رجل

لولا مخاطبتي اياك لم ترني

(وقال ايضا)

ولو قلم القيت في شق رأسه

من السقم ما غيرت من خط كاتب

(وقال ايضا)

بالمشعرين وبالصفا * والبيت اقسم والحجر * ومن سعى فيه وطا
ف به ولبي واعتمر * انى الشريف الموسوى * ابن الشريف ابى مضر
أبدى الجحود ولم يرد * الى مملوكى تتر * واليت آل امية الطـ
ـهر الميامين الغرر * وجحدت بيعة حيدر * وعدلت عنه الى عمر
واذا جرى ذكر الصحابة * بين قوم واشتهر * قلت المقدم شيخ تيـ
ـم ثم صاحبه عمر * ماسل قط ظبي على * آل النبي ولا شهر
كلا ولا صد البتو * ل عن التراث ولا زجر * وأثابها الحسنى ولا
شق الكتاب ولا بقر * وبكيت عثمان الشهيد بكا نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته * جنح الظلام المعتكر * وقرأت من أوراق مصـ
ـحفه براءة والزمر * ورثيت طلحة والزبير بكل شعر مبتكر
وأزور قبرهما وأز * جر من لحانى أوعذر * وأقول ام المؤمنيـ
ـن عقوقها احدى الكبر * ركبت على جمل لتصلح من بنيها فى زمر
واتت لتصلح بين جيش المسلمين على غرر * فأتى ابو حسن وسـ
ـل حسامه وسطا وكر * وأذاق اخوته الردا * وبعير امهم عقر
ماضره لو كان كف وعف عنهم اذ قدر * وأقول ان امامكم
ولى بصفين وفر * وأقول ان أخطا معا * وية فما اخطا القدر
هذا ولم يغدر معا * وية ولا عمرو مكر * بطل بسوءته يقا
تل لا بصارمه الذكر * وجنيت من رطب النوا * صب ما تمر واختمر
وأقول ذنب الخارجين على على مغتفر * لا ثائر بقتالهم
فى النهروان ولا أثر * والاشعرى بما يؤ * ل اليه امرهما شعر
قال انصبوا لى منبرا * فأنا البرىء من الخطر * فعلا وقال خلعت صا
حبكم وأوجز واختصر * واقول ان يزيد ما * شرب الخمور ولا فجر
وجيشه بالكف عن * أبناء فاطمة أمر * والشمر ما قتل الحسيـ
ـن ولا ابن سعد ما غدر * وحلقت فى عشر المحرم * ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره * وصيام أيام أخر * ولبست فيه أجل ثو
ب للملابس يدخر * وسهرت فى طبخ الحبو * ب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلا أصا * فح من لقيت من البشر * ووقفت فى وسط الطر
يق أقص شارب من عبر * وأكلت جرجير البقو * ل بلحم جرى الجفر
وجعلتها خير المآ * كل والفواكه والخضر * وغسلت رجلى كله
ومسحت خفى فى السفر * وآمين أجهر فى الصلا * ة كمن بها قبلى جهر
وأسن تسنيم القبو * ر لكل قبر محتفر * واذا جرى ذكر الغديـ
ـر أقول ما صح الخبر * ولبست فيه من الملابس * ما اضمحل وما اندثر
وسكنت جلق واقتديـت بهم وان كانوا بقر * وأقول مثل مقالهم
بالفاشريا قد قشر * مصطيحى مكسورة * وفطيرتى فيها قصر
بقمر ترى برئيسهم * طيش الظليم اذا نفر * وخفيفهم مستثقل

وانى لاعشق من عشقكم * نحولى وكل فتى ناحل ولو زلتم ثم لم ابككم * بكيت على حبى الزائل

(وقال المعمار)

ترك اصفرارى والنحول كلاهما
فى العشق جسمى ينظر العشاقا
فكأنه ألف بخط مذهب
جعل الدجى ارقى له أوراقا

(وقلت أنا من قصيدة)

كأن ضباب الافق ندسرت به
نسيم الصبا من نحو أرض الاحبة
كأن الصدا بين الجبال متيم
ولم يبق منه غير صوت وأنة

(وقال المتنفل)

ان جفانى الكرى وواصل قوما
فله العذر فى التخلف عنى
لم يخل الهوى بجسمى شخصا
فاذا جاءنى الكرى لم يجدنى

(وقال ابن لؤلؤ)

وأرقنى خيال من حبيب
تناءت داره لما رآنى
فمن سهرى لم أنا اراه
ومن سقمى يطوف فما يرانى

(وقال محيى الدين بن عبد الظاهر)

أيها العائد بالطيف ومن
هو من دون الورى مقتنصى
لا تسم طائر قلبى هربا
انه من أضلعى فى قفص

(وقال مضر المغربى)

أذابه الحب حتى لو توهمه
بالوهم خلق لاعياهم توهمه
لولا الانين ولوعات تحركه
لم يدره بعيان من يكلمه

(وقال محاسن الشواء)

ضنيت وضن من أهوى بوصلى
وعادانى الخيال وكان عائد
فاشبهت الذى للسقم نقصا
وان خالفته صلة وعائد

(وقال الارجانى)

ولولا سناها لم يرونى من الضنى
ولا اصبحوا من اجلها احصمائى ولكن تجلت مثل شمس منيرة * فلعت خلال الضوء مثل هباء

(وقال آخر)

وصـــواب قولهم هدر * وطباعهم كجبالهم * خبثت وقدت من حجر
ما يدرك التشـبيب تغـــريد البلابل في السحر * وأقـول في يوم تحا
ر له البصـيرة والبصر * والعصف ينشرطيها * والنـار ترمي بالشرر
هـذا الشريف أضاني * بعد الهداية والنظر * مالي مضل في الورى
الا الشريف أبو مضر * فيقال خذ بيد الشريـــف فمستقر كما سقر
لواحـــة تسـطو فما * تبقي عليه ولا تذر * والله يغـــفر للمسي
ء اذا تنصـــل واعتذر * فاخش الاله بسوء فعـــلك واحتذر كل الحذر
* واليك بدوية * رقت لرقتها الحضر * شامية لو شامها
قس الفصاحة لافتخر * وددى وأيقن انني * بحـــر والفاظي درر
حبرتها فغـــدت كزهـــر الروض باكره المطر * وبديهـة كبديعة
هـــذا ترفل في الحبر * والى الشريف بعثتها * لما قـــراها وانبهر
رد الغلام وما استمر * على الجحود ولا أصر وأثابني وجزيته * شكرا وقال لقد صبر
فلما وصلت القصيدة الى الشريف ضحك وقال قد ابطأنا عليه فهو معذور وجهز المملوك مع هدايا حسنة فمدحه مهذب الدين فقال

الى المـــرتضى حث المطي فانه * امام علـى كل البرية قد سما
ترى الناس أرضا في الفضائل عنده * ونجل الزكي الهاشمي هو السما

وذكر ابن حجة ان مهـذب الدين حين هادى الشريف كان ببغداد (قوله) وأقول مثل مقالهم بقصره ما بعده من الكلمات المهملة التي تستعملها أهل دمشق في الخلاعة والمصطحة خشبة في الاصل تجعل تحت دود القز وأهل دمشق يسمون الصولجان المنقوش مصطحة ويكون معهم في المواسم وقد تظرف في المبالغة في المجون والخلاعة حيث قلب اللفظ فنسب القصر الى الفطيرة والكسر الى المصطحة والمستعمل العكس فانهم يضعون الصوالج قائمة في لعبة فمن جاء وبجانبه قصير اخرج من اللعبة فيقول مصطحتي قصيرة وكذا في لعب الفطير يرد من فطيرته مكسورة وقوله والى الشريف بعثتها الى آخر القصـيدة قد يتوهم انه ملحق بعد رد المملوك وليس كذلك وانما قاله تفاؤلا وحسن ظن بالشريف واعتمادا على شهامته وهذا من مكر مهذب الدين لعلمه بسجايا الشريف

(القسم الرابع في ذكر من منعه الزهد والعباده أن يقضي من محبوبه مراده)

قد رأينا ان نجعل هذا القسم كالاستغفار بعد الذنوب والكفارة لمن عزم ان يتوب لاشتماله على ذكر أقوام عصمهم الله من الوقوع في الخطا وأسبل عليهم الغطا وهو نوعان (الاول فيمن سلم من القضاء الجاري فعصم عن الجواري) في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون اذا اصابهم مطر فاووا الى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض انه والله يا هؤلاء لا ينجيكم الا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم انه قد صدق فيه فقال واحد منهم اللهم ان كنت تعلم انه كان لي اجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه واني عمدت الى ذلك الفرق فزرعته فصار من امره اني اشتريت منه بقرا وراعيها وانه أتاني يطلب أجره فقلت اعمد الى تلك البقر فسقها فقال لي انما لي عندك فرق من أرز فقلت له اعمد الى تلك البقر فانها من ذلك الفرق فساقها فان كنت تعلم اني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا

قد كان فيما مضى خاتم * فدق جسمي فتمنطقت به
وزادني السقم فلو زج بي * في مقلة النائم لم ينتبه

(وقال أبو العتاهية)

لم يبق الا القليل في وما
أحسبها تترك الذي بقيا

(وقال ابن عبد ربه)

رأيت العاشقين لهم جسوم
براها الشوق لو نفخوا لطاروا

(وقال آخر)

ولما ان رأى اهلي سقامي
تجاوز جده حد السقيم
سددت منافس النسمات عني
مخافة أن أطير مع النسيم

(وقال آخر)

واذا عائدنا الكلامي
لعبت بي انفاسه في الفراش

(وقال آخر)

عبثت به أيدي الضنى فكانه
سر خفي في ضمير كتوم

(وقال ظافر الحداد)

انحلني حبك يا منتاقي
وزادني الشوق فلم أعرف
وذبت حتى لو رمى بي الهوا
في ناظر الناظر لم يطرف

(وقال ناصر الدين القفصي)

يقول جسمي النحول وقد
أفرط بي فرط ضني واكتئاب
فعلت بي يا سقم ما لم يكن
يا دبن والله عليه الثياب

ومما يفرط في هذا السلك ما وصفت به الشعراء الخصر من النحول وقد بالغ ابن اسرائيل فيه حيث قال وأحسن في المقال

واها على الخصر الرقيق وانما
قطع الطريق حديثه الموثوق
خصر أدير عليه معصم قبلة
فكان تقبيلي له تعنيق

وقال الشيخ صفي الدين الحلي

مليح يغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه * فما فيه معنى ناقص غير خصره

عنا فانساخت عنهم الصخرة فقال الآخر اللهم ان كنت تعلم انه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لى فابطأت عنهما ليلة فجئت وقد رقدوا أهلى وعيالى يتضاغون من الجوع وكنت لا اسقيهم حتى يشرب أبواى فكرهت ان أوقظهما وكرهت ان أدعهما فيستكنا الشر بتهما فلم أزل انتظر حتى طلع الفجر فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا الى السماء فقال الآخر اللهم ان كنت تعلم انه كانت لى ابنة عم من احب الناس الى وانى راودتها عن نفسها فأبت الا ان آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت عليها فأتيتها بها فدفعتها اليها فامكنتنى من نفسها فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فقمت وتركت المائة دينار فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا (وحكى) ان رجلا افتتن براهبة فتسور اليها وراودها فلم تمكنه الا بعد جهد فلما قدر عليها جعلت يدها فى مجمرة فاحترقت فقال لاى شئ فعلت هذا قالت خفت أن أشاركك فى اللذة فأشاركك فى المعصية فحلف لا يعصى الله بعدها وتاب (وحكى) ان رجلا عشق جارية فزاد حبه لها ولم يتمكن منها وان اهلها ارسلوها لحاجة فتبعها وراودها فقالت انى احب لك منك لى ولكنى أخاف الله فقال أتخافينه ولا اخافه ورجع فناله عطش كاد أن يأتى عليه فلقيه رسول لبعض الانبياء فشكا ذلك اليه فقال له هلم ندعو الله ان تظلنا سحابة حتى نصل القرية قال ليس لى عمل فقال الرسول انا ادعو وانت امن وفعلا فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فدعاه الرسول الى بيته فتبعتهما السحابة فقال له تقول مالى عمل وقد تبعتك اخبرنى مافعلته فاخبره فقال ان التائب عند الله احسن من العابد (وحكى) ان عمر بن عبد العزيز عشق جارية لزوجته فاطمة بنت عبد الملك وزاد فيها غرامه فطلبها منها فأبت عليه فلما أفضت اليه الخلافة زينتها بانواع الزينة ثم قالت يا امير المؤمنين قد كنت امسكت هذه عنك والآن فقد وهبتها لك فسر بها سرورا بالغا ثم قال لها اخلعى ثيابك فحين همت اجلسها ثم قال لها من اين جىء بك فى الاصل قالت اغتصب الحجاج مال عامل فاصطفانى منه وارسلنى لعبد الملك فوهبنى لابنته فقال أحى هو قالت لا قال هل له ورثة قالت ولد فاحضره وأمره أن يذكر ما اغرم الحجاج اباه واعطاه عمر رضى الله عنه ذلك مع الجارية وقال له احذر ان يكون ابوك نالها فقال هى لك يا امير المؤمنين فابى فقال اتبيعها فابى فقالت الجارية اين وجدك بى قال قد زاد ولكنى انهى النفس عن الهوى (وحكى) ان امرأة كانت فى بنى اسرائيل قد حازت ذات الحسن وكانت لا تمكن من نفسها الا بمائة دينار فأعجبت شخصا فمضى فجمع مائة دينار وجاء اليها فقالت ادفعها الى الجهبذ يعنى الناقد ففعل فلما نقدها تهيأت وجلست على سرير من ذهب فحين تمكن منها اخذته الرعدة فقالت خل عنك ولك المائة فقال اجبتك فجمعت المال وجاءت به وقالت لئن صدقت فليس لى زوج غيرك فخرج فباعت متاعها وجاءته فحين رآها شهق شهقة فمات فقالت اما هذا فقد فات فهل له أحد قالوا له أخ فتزوجت به اكراما له قال ابن عباس فجاء منها سبعة انبياء واما قصة بشر وهند فقد آلت بها الشهرة الى ان افردت بالتأليف وحاصلها ان بشرا رجل من اسد ذكره الحافظ ابن حجر فى القسم الاول من الاصابة وهند جهينة قيل ذكرت فى حديث ساقط وكانت بالمدينة فى ممر بشر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلقته وتعرضت اليه بمراسلات باشعار اظنها

وما فيه شئ بارد غير ريقه قلت أخذه من قول بلدينا محمد بن العفيف (١٧٧) التلمسانى وأراد قصره على الحسن فقصر وجرى خلفه ليعثر على المعنى فاعثر عليه بل تعثر والفرق بينهما كما بين الاجاج والكوثر والخصر والخنصر ألا ترى قول ابن العفيف وحلاوة منطقه الظريف

فكم يتجافى خصره وهو ناحل
وكم يتحالى ريقه وهو بارد
وكم يدعى صوما وهذى جفونه
بفترتها للعاشقين قواعد

(وقال أيضا)

شكوت الى ذاك الجمال صبابة
تكاد جفنى انه قط لا يفتر
فلانت لى الاعطاف والخصر رق لى
ولكن تجافى الشعر وانا قل الردف

(وقال أيضا)

تلاعب الشعر على ردفه
اوقع قلبي فى العريض الطويل
يا ردفه جرت على خصره
رفقا به ما انت الا ثقيل

وعلى ذكر الردف ما أحسن قول الا
للبدر من وجنته نكتة
وفترة فى الظبى من طرفه
اذا مشى جاذبه ردفه
كأنه يمشى الى خلفه

وقال الشيخ صفى الدين الحلى فى مليح راقص

جاء وفى قده اعتدال
مهفهف ماله عديل
قد خففت عطفه شمال
وثقلت جفنه شمول
ثم انثنى راقصا بقد
يثنى الى نحوه العقول
يجول ما بيننا بوجه
فيه مياه الحيا تجول
ونجم الرقص منه عطفا
خف به اللطف والدخول

(وقال ابن رشيد) أحمل أثقالى على ردفه
فقطفه داخل خفيف * وردفه خارج ثقيل

موضوعة لاهما لها فاذلك حذقتها فلما رأى بشر الحاحها هجر المرو وصار يأتي من غيره فلزمت الوساد وهم زوجها ان يدعو لها الاطباء فنهته وقالت أنا اعرف علتي فلما علمت الطريق التي يمر منها بشر اخبرت زوجها انها رأت في نومها انها متى سكنت في موضع كذا شفيت فنقلها من وقتها فكانت تنظر اليه فبرئت وأطاعت عجوزا على امرها فوعدتها ان تجمعها به ثم وقفت له فسألته ان يقرا لها كتابا او يكتبه ففعل وهند تسمع ثم قالت له العجوز اراك مسحورا وما قلت لك الا عن يقين ثم وعدته ان يأتيها وما تنظر فيما يصلح له وقالت لهند قد سمعت فتهيئي فلما خرج زوجها الى بعض القرى وقد وعدت العجوز بشرا فجاء فحين جلس ادخلت هندا عليه واغلقت الباب فجاء زوجها فحين رآها طلقها ثم مضى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سل هذا لم دخل بيتي فقال بشر والذي بعثك بالحق ما كفرت منذ اسلمت ولا زنيت منذ عرفتك ولكن القصة كذا وكذا فادب العجوز وقال انت اصل البلية وانصرفوا فلم يمكث بشر حتى ابتلي بحب هند وراسلها فامتنعت فلم يزل حتى مات فجاءت فحين رأته سقطت ميتة ودفنا معا فجاءت العجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم معتذرة فاخلصت توبتها (وفي امتزاج النفوس) عن رجل من اصحاب الحديث قال دخلت ديرا كنت اعرف فيه راهبا معروفا بالاخبار فوجدته مسلما وجميع من في الدير فسألته عن السبب فقال عشقت جارية مناغلاما مسلما عابدا وافتتنت به ودعته اليها فابى فلما ازادها الوجد اعطت مصورا مالا فنقش لها صورته فكانت تقبلها وتبكي كل يوم الى الغروب وتنصرف فبلغها موت الغلام فعملت مأتمه ثم التزمت لثم الصورة فلما اصبحنا وجدناها ميتة الى جانبها وعلى يدها مكتوب

يا موت دونك روحي بعد سيدها * خذها اليك فقد أودت بما فيها
أسلمت وجهي للرحمن مسلمة * ومت موت حبيب كان يعصيها
لعلها في جنان الخلد يجمعها * يوم الحساب ويوم البعث باريها
مات الحبيب وماتت بعده كمدا * محبة لم تزل تشفي محبيها

قال فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين فاخذوها ودفنوها الى جانبه فرأيتها في النوم فقلت ما فعل الله بك فانشدت

أصبحت في راحة مما جنته يدي * وبت جارة فرد واحد صمد
محا الاله ذنوبي كلها وغدا * قلبي خليا من الاحزان والكمد
لما قدمت على الرحمن مسلمة * وقلت انك لم تولد ولم تلد
آتاني رحمة منه وأسكنني * مع من هويت جنان آخر الابد

فعلمت ان الاسلام حق فاسلمت وأسلم أهل الدير بسببها (وحكى الشيزري في روضة العشاق) عن راهب أسلم وكان اسمه عبد المسيح قال سئل عن سبب اسلامه فحكى انه كان عندهم جارية نصرانية تبيع الخبز فهويها شاب مسلم واشتد حاله في حبها فسلطت عليه الصغار فضربوه فلما علمت صدقه عرضت عليه نفسها في الحرام فابى فعرضت عليه التنصر فابى فامرت الصغار بضربه حتى مات وهو يقول اللهم اجمع بيننا في الجنة فرأته في النوم وقد انطلق بها الى الجنة فمنعت لاجل الاسلام فاسلمت ودخل بها فأراها قصرا من اللؤلؤ وقال هذا لي ولك وستأتي بعد خمس ليال فاستيقظت فاسلمت ولزمت قبره حتى ماتت بعد خمس ليال

وامسك الخصر الا بضيع (وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة) سألت النقا والبان يحكي انا ظري *
زوادف أو أعطاف من طال صدها
فقال كثيب الرمل ما أنا جاها
وقال قضيب البان ما أنا قدها

(الباب الخامس والعشرون في ذكر ما يكابده الاحباب من الامور الصعاب وغير ذلك مما يقاسونه من تحمل المشاق وألم الفراق) كقوله

شكى ألم الفراق الناس قبلي
وروع بالنوى حي وميت
وأما مثل ما ضمت ضلوعي
فاني ما سمعت ولا رأيت

أقول هذا باب عقدناه لذكر ما يقاسيه المحب من ركوب الاخطار في طلب الاوطار فهو لا يزال مشغولا بحاله متقلبا تحت أحماله يقاسي في طلب الحبيب من الاهوال ما هو أثقل من الجبال ويسمح في مقابلة اللمحة اليسيرة منه بالنفس والمال (قال الطغرائي)

ومن طلب الاحبة كان أسخى
ببذل النفس من كعب بن مامه
ومن طلب الغنائم لم يهب من
نفي من دون مطلبه حسامه

(وقال ايضا)

لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت
برشقة من نبال الاعين النجل
ولا أهاب الصفاح البيض تسعدني
باللمح من خلل الاستار والكلل

وقال الامام محمد بن داود الظاهري

حملت جبال الحب فيك وانني
لأعجز عن حمل القميص وأضعف
وما الحب من حسن ولا من سماحة
ولكنه شئ به الروح تكلف

وهذا البيت الاخير مثل قول الآخر

وكم في الناس من حسن ولكن
عليك لشقوتي وقع اختياري

وقد أنصف هذا العاشق لاعترافه بان ثم من هو احسن من محبوبه ولكن غلبة الهوى وميل النفس اوقعاه

ليال فاسلمت لذلك (وحكى ابن عاصم) قال قال لي بعض اصحابي بالكوفة هل لك ان تنظر الى عاشق فقلت نعم فاني أسمع الناس يذكرون العشق فمضى بي الى دار فرأيت شابا مطرقا ساكتا يكلمه الناس ولا ينطق وعلى يده وردة حمراء فقال صاحبي كأن فلانة أرسلتها اليك فحين سمع ذكرها رفع رأسه وانشد

جعلت من وردتها * تميمة في عضدي
أشمها من حبها * اذا علاني كمدي
فمن رأى مثلي فتى * بالحزن اضحى مرتدي
أسقمه الحب وقد * صار حليف الاود
وصار سهوا دهره * مقارنا للكمد

فنهضنا فما بلغنا الباب حتى مات فرجعنا فشهدناه فحين دفناه اقبلت جارية مسفرة ما رأيت احسن منها فاتركت ترابا على القبر حتى جعلته على رأسها فجاء قوم فجروها فقالت ارفقوا بها فقالت دعهم يبلغوا همتهم فوالله لا ينتفعون بي فما انقضى اليوم حتى ماتت فسألت عن القصة فقالوا انه كان يعشقها فبذل في شرائها ملكه فأبوا عليه حسدا ان يكون عنده مثلها فارسلت اليه تقول مرني بما شئت فارسل اليها ان الزمي طاعة ربك ومولاك واقبل على الزهد وهو مع ذلك لا يفتر عن ذكرها حتى بلغ الى ما رأيت

(النوع الثاني في ذكر من بلغه زهده الامان فعصمه من الغلمان)

وهؤلاء قوم جرت عليهم خصال البشر حتى افتتنوا باستحسان بعض الصور ثم عند ارادة النزوع ومقاربة الوقوع كشفت لهم حقائق الاحوال عن قبيح عواقب الافعال فرجعوا الى انفسهم فذكروها خشية الله فزجر كل نفسه حتى غلب على هواه (قال) بعضهم مررت بمدائن قوم لوط فأخذت منها حجر الحاجة فحين نزلت في دار جعلته في طاقة فجاء رجل ومعه غلام ولم يشعر بي فقضى منه وطرا فسقط الحجر عليه فمات فتعجبت من ذلك * فمن المذكورين صوفي يسمى المهرجان كان مجوسيا ثم حسن اسلامه قال من شهده رأيته ببيت المقدس ومعه غلام جميل ينام الى جانبه ثم يقوم فزعا فيصلي ما شاء وينام يفعل ذلك مرارا كل ليلة فاذا طلع الفجر قال اللهم انت تعلم ان الليل قد مضى علي سليما لم اقارف فيه فاحشة ولا كتبت الحفظة علي فيه معصية وان الذي اضمره في قلبي لو حملته الجبال لتصدعت او كان بالارض لتدكدكت ثم بالليل اشهد بما كان مني فيك فقد منعني خوف الله عز وجل عن طلب الحرام والتعرض للآثام ثم يقول سيدي انت جمعت بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع الاحباب فقلت له قد سمعتك تقول كذا وكذا فما الذي يدعوك الى عشرة من تخاف على نفسك منه فبكى وذكر ان مقصوده بذلك امتحان نفسه * وعالج بعضهم نفسه في صحبة الاحداث بالهجر قال ابو حمزة رأيت صوفيا يصحب غلاما دهرا طويلا ثم هجره فسألته عن ذلك فقال وجدت نفسي عند الخلوة به تحدثني بما يسقطني من عين الله ففارقته ليثيبني الله ثواب الصابرين عن محارمه ويجمع بيننا في دار الكرامة قال ورأيت ايضا رجلا ومعه غلام يصحبه فمات الرجل فلم يبرح الفتى محزونا فقلت له ما اراك تسلو عن صاحبك فقال كيف أسلو عن شخص احسن تأديبي وعصمني من الفسق * وحكى ابو حمزة الصوفي قال نظر رجل صوفي الى غلام جميل فافتتن به فاقعد فكنا نأتيه ونسأله عن حاله فلا يخبر به وبلغ الغلام حاله فعاده فبش له وضحك فاكثر من زيارته فقام وذهب مرضه فعزم الفتى يوما فأبى ان يذهب معه فقلت له لاي شيء امتنعت فقال لست معصوما واخاف ان تحدثني نفسي عند

في هواه ومن أحسن ما سمعته في طلب الاوطار وركوب الاخطار قول ابن خفاجة

لقد جبت دون الحي كل تنوفة
يحوم بها نسر السماء على وكر
وخضت ظلام الليل يسود فحمة
ودست عرين الليث ينظر عن جمر
وجئت ديار الحي والليل مطرق
منمنم ثوب الافق بالانجم الزهر
اشيم بها برق الحديد وربما
عثرت باطراف المثقفة السمر
فلم ألق الا صعدة فوق لامة
فقلت قضيب قد أطل على نهر
ولا شمت الا غرة فوق أشقر
فقلت حباب يستدير على خمر
فسرت وقلب البرق يخفق غيرة
هنالك وعين النجم تنظر عن شزر

(قلت) انظر الى هذه الابيات التي أفرغت في قالب عجيب واسلوب غريب فبينا صاحبها يصف أدهم الليل اذ مالت عليه الخيل كل الميل وبينا هو يكافح الاسود اذا به يتهدد على النهود وبينا هو يقيم قدود الملاح مقام الرماح اذا به يقول لخدودها

من صدعن نيرانها
فانا ابن قيس لا براح

قد أحسن فيها الاستعارة وسار بنظمها العالي وعدها السبعة السيارة فنظمه في النجوم ودمع المتلبس بحالته كالرجوم ومن شعره في هذا النمط ودره الداخل في هذا السقط قوله أيضا

وليل طرقت المالكية تحته
أجد على حكم الشباب مزارا
فخالطت أطراف الاسنة أنجما
ودرست بهالات البدور ديارا

(وقال أيضا)

يعلى منه بوعد رشفة
خيال له يغري بمطل وليان
شققت عليه لجة من صوارم
علينا حباب من اسنة مران

(وقال ابن بسام) لقد صبرت على المكروه أسمعه * من معشر فيك لولا انت ما نطقوا
وفيك داريت قوما لا خلاق لهم

الخلوة بما يحجبني عن الله * وحكي ايضا قال صحب محمد بن قطن الصوفي غلاما زمنا طويلا فلما مات الغلام نحل حتى بدا عظمه فرايته يوما وقد وقف على قبره يبكي والسماء تمطر فما برح حتى جئت من الغد فوجدته ميتا فدفنته الى جانبه * وصحب ابو الحسن غلاما كانما خلق الحسن على صورته او خلق من نفس من ينظر اليه فكان ياتي به الى بيته فتحدث الناس فيهما فمنع الغلام اهله من صحبة ابي الحسن فنحل حتى شارف الموت فانشد

يامن بدائع حسن صورته * تثني اليه اعنة الحدق
لي منك ما للناس كلهم * نظر وتسليم على الطرق
لكنهم سعدوا بامنهم * وشقيت حين اراك بالفرق

ولم يزل حتى مات وغالب هذا الباب من رواية ابي حمزة عنهم والكل متقارب مكرر انتهى ما اردنا تحريره من احوال العشاق على اختلاف انواعهم

(خاتمة في ذكر ما عولج به العشق من الدوا وقصد به السلو عن الهوى) وهو الباب الرابع من الكتاب قد سبق في صدر الكتاب انه لا علاج للعشق على الاصح الا دوام الوصال مالم يمكن او يوقع في الخبال فمن العلاج ما ذكر عن عمر رضي الله عنه انه عالج بالتغريب وتشويه الخلقة وذلك انه مر ليلة في المدينة فسمع امراة تقول

هل من سبيل الى خمر فاشربها * او من سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل * سهل المحيا كريم غير ملجاج
تمته اعراق صدق حين تنسبه * أخي حفاظ عن المكروب فراج

فقالت لها امراة معها من نصر قالت رجل أود لو كان معي طول ليلة ليس معنا احد فدعا بها عمر فخفقها بالدرة ودعا بنصر فحلق شعره فما زاد احسن ما كان فقال له لا تساكني في بلد يتمناك النساء بها واخرجه الى البصرة وخافت المراة فكتبت الى عمر تستعطفه

قل للامام الذي تخشى بوادره * مالي وللخمر او نصر بن حجاج
اني غنيت أبا حفص بغيرهما * شرب الحليب وطرف غيره ساجي
ان الهوى ذمه التقوى فقيده * حتى اقر بالجام واسراج
امنية لم اطرفيها بطائرة * والناس من هالك فيها ومن ناجي
لا تجعل الظن حقا او تبينه * ان السبيل سبيل الخائف الراجي

وكان عمر قد سأل عنها فوصفت له بالعفاف فارسل اليها قد بلغني عنك خير فقربي ومضى على نصر مدة بالبصرة فاراد عاملها ارسال بريد الى المدينة فدس نصر بن حجاج كتابا يستعطف فيه عمر ويسأله العود وفيه يقول

لعمري لئن سيرتني او حرمتني * ومانلت من شئ عليك حرام
أئن غنت الذلفاء يوما بمنية * وبعض اماني النساء غرام
ظننت بي الظن الذي ليس بعده * بقاء فمالي في الندي كلام
فأصبحت منفيا على غير ريبة * وقد كان لي في المكتين مقام
ويمنعني مما تظن تكرمي * وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تظن صلاتها * وحال لها في قومها وصيام
فهذان حالانا فهل انت راجعي * فقد جب مني كاهل وسنام

لولاك ما كنت ادرى انهم خلقوا (وقال الآخر) تهون علينا في المعالي نفوسنا * ومن يطلب العليا لم يغله المهر

(وقال آخر)

يغوص البحر من طلب اللآلي
ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم المجد ثم تنام ليلا
لقد أطمعت نفسك بالمحال

(وقال المتنبي)

تريدين ادراك المعالي رخيصة
ولا بد دون الشهد من ابر النحل

(الباب السادس والعشرون في طيب ذكر الحبيب)

(اقول) هذا باب عقدناه لذكر من صال وجال وذكر محبوبه حين تكسرت النصال في كل موقف الوقوف فيه هزيمة والموت غنيمة ولا سيما اذا اقيمت القسي مقام الحواجب والتبست الخدود بنهود الكواعب واشتبهت الرماح بالقدود والبيض بحمرة الخدود وهنالك يجعل جبينه المشار اليه نصب عينيه لا يلهيه عنه ضرب الحسام ولا جعله غرضا للسهام وعلى هذا حكاية الطغرائي التي اربى فيها على عنترة العبسي وزاد بها في الوفاء بشرط المحبة على كل جني وانسي وهو ما حكاه غير واحد من ارباب التاريخ ممن خبر وخبر وتصدى وتصدر وذلك ان مؤيد الدين فخر الكتاب أبا اسمعيل الحسين الاصبهاني المنشئ المعروف بالطغرائي كاتب الانشاء للملك مسعود لما كانت الوقعة بين الملك مسعود وبين اخيه السلطان محمود بالقرب من همدان والري وانهزم الملك مسعود كان اول من اخذ الطغرائي فلما عزم السلطان او مخدومه على قتله بعد أن قيل له عنه اشياء من جملتها أنه ملحد وانه يحب المملوك الفلاني من مماليك السلطان ممن كان السلطان يحبه ويميل اليه فاغر وه عليه الى أن امر بقتله وان يشد الى شجرة وان يقف تجاهه جماعة ليرموه بالسهام ففعل ذلك واوقف انسانا خلف الشجرة من غير

فقال

فقال عمر أما ولي سلطان فلا وبعث اليه فأقطعه بالبصرة ما يعيش به وقيل نزل نصر على مجاشع بن مسعود السلمي من بني بهمة فأكرمه ورفع محله وسمي نصر بها المتمني وكان تحت مجاشع شميلة بنت ابي حيان بن ابي بهر وكانت من اجمل النساء فتولعت بنصر وتولع بها وزاد حبهما فأخفياه وكان مجاشع أميا فكتب لها نصر يوما في الارض أحبك حبا لو كان فوقك لاظلك او تحتك لاقلك فكتبت هي وأنا وقيل قالت ذلك بلفظ خفي فقال مجاشع ما قال قالت يقول ما احسن داركم فقلت وأنا فقال ما هذا هذا وجعل على الكتابة صحفة فلما أصبح دعا غلاما فقرأها فقال هي طالق الفا يا ابن اخي فقال نصر وهي طالق ان تزوجت بها وقيل ضعف نصر من حبها فارسلها مجاشع اليه بطعام فضت به فضمت نصرا الى صدرها وأطعمته بيدها فشفي من وقته فقال بعض الحاضرين قاتل الله الاعشى حيث يقول

لو أسندت ميتا الى صدرها * عاش ولم ينقل الى قابر

وقيل لما عادت عنه مات وعاشت شميلة طويلا وقتل مجاشع يوم الجمل وقيل اسمها خضراء وانها من بجيلة وانها أول من استن الشفوف وقيل ان مجاشعا حين طلقها اخبر ابا موسى بالقصة وكان عاملا على البصرة فقال لنصر ما اخرجك امير المؤمنين من خير اخرج عنا فاتى فارس فعلقته دهقانة فبلغ عثمان بن ابي العاص فقيل اخرجه الى الشام وقيل انه حين عزم على اخراجه قال ان اخرجتموني لحقت بالشرك فكاتبوا عمر فامر بجز شعره وتشمير ثيابه والزامه المسجد والمتمنية هي فريعة بنت همام كانت اذ ذاك تحت المغيرة بن شعبة ثم تزوج بها يوسف الثقفي فاولدها الحجاج وبها كان يضرب المثل فتقول العرب اصبأ من المتمنية وادنف منها * ومن السلو عن الهوى استعمال الحساب والخوض في المشاجرات ونحو ذلك مما سبق ومنه رقوات وكتابات قيل وجد على قبر الملك حجر او صحيفة ذهب مكتوب عليها

ما احسنت سلمى اليك صنيعها * تركت فؤادك بالفراق مروعا

قيل استخبرت كاهنة عن البيت قالت كانوا يكتبونه مقلوبا ويسقونه العاشق فيسلو ومن الشائع بين العرب ان تراب قبر العاشق اذا شرب منه في خشب الطرفاء يوم الاربعاء قبل طلوع الشمس احدث السلو (واخبرني) من أثق به بدمشق سنة خمس وستين وتسعمائة بالجامع الاموي قال عشق صديق لنا امرأة وازداد ولوعه بها حتى انفذ ما معه وهي تكثر التجني عليه ومرض من حبها حتى ايس من حياته وعزم على ان يشرب السم ليموت فشكا ذلك الى صاحب له فكتب له في كفه يوم الثلاثاء عشر صادات وأربع عينات وثلاث اآت وخمس هاآت وعشرين كافا وأمره ان يلحس ذلك وكرر الفعل ثلاثا فكأن الله لم يخلق حبها عنده (ورأيت في كتاب للبوني) سماه خزائن الاسرار في علم الحروف والاصفار انه من كتب سورة يس في نحاس ومحاها بماء المطر وشرب البعض واغتسل بالبعض سلا وقيل ان عين اليوم اليسار واظفار الخفاش اذا جعلت في جلد حمار وحش وجعلت على العضد الايسر احدثت السلو ويقال ان حجر الجزع اذا علق فعل ذلك ولكن قد جرب ان حمله يورث الهم

* (الباب الرابع في ذكر ما سوى البشر وما القوا من العبر) *

وهو نوعان (الاول) في الحب وما القوا من المحنة اسند المصنف عن الحافظ بن حجر العسقلاني يرفعه الى البيهقي انه قال تزوج سعد بن ابي وقاص امرأة فرأى عندها على الفراش ثعبانا فهم بقتله فقالت هذا كان يتبعني واني في عذرة عند أهلي فقال له سعد هذه امرأتي تزوجتها

ان يشعر به الطغرائي وأمره ان يسمع ما يقول وقال لارباب السهام لا ترموه الا اذا أشرت اليكم فوقفوا والسهام في ايديهم مفوقة لرميه (واخبرني) بعض من حكى لي هذه الحكاية من أهل الادب ان أول من فوق اليه السهم المملوك المتيم هو محبه فانشد الطغرائي في تلك الحالة يقول

ولقد أقول لمن يسدد سهمه * نحوي وأطراف المنية شرع
والموت في لحظات أحور طرفه * دوني وقلبي دونه يتقطع
بالله فتش عن فؤادي هل ترى * فيه لغير هوى الاحبة موضع
أهون به لو لم يكن في طيه * عهد الحبيب وسره المستودع

فامر السلطان باطلاقه وحل وثاقه لما رآه من ثبات جنانه وسحر بيانه وقد زاد هذا العاشق على من تقدمه من المتصفين بهذا الوصف كابن عطاء السعدي حيث يقول

ذكرتك والخطي يخطر بيننا * وقد نهلت مني المثقفة السمر
فوالله ما أدري وإني لصادق * أداء عراني من حبالك أم سحر

(وقال عنترة)

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(وما أرق قول الطغرائي ايضا)

اني لاذكركم وقد بلغ الظما * مني فاشرق بالزلال البارد
واقول ليت أحبتي عاينتهم * قبل الممات ولو بيوم واحد

(وقال آخر)

ذكرت سليمى وحر الوغا * كقلبي ساعة فارقتها
فشبهت سمر القنا قدها * وقد ملن نحوي فعانقتها

(وقال ابن تميم)

الا من يبلغ المحبوب اني * وقفت وللظبى حولي صليل

على كتاب الله وسنة نبيه فماذا تر يد منها فانساب حتى دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وصعد في السقف فلم ير بعدها (ويحكى) عن الربيع بنت معوذ بن عفراء من طرق مختلفة كثيرة (حكاية) حاصلها ان جنيا أتاها في هيئة ثعبان اسود فعالجها فاتى بكتاب أو قال رق او نحاس فيه بسم الله الرحمن الرحيم من رب الكبير الى الكبير أو قال من رب كعب الى كعب ليس لك على بنات الصالحين أو قال على أمتي بنت عبدي الصالح سبيل فقرصها قرصة بقيت الى الموت أو قالت جعل يده في حلقي فاسود واخبرت بذلك عائشة (وحكى) عن رجل انه سافر فجاء جني الى زوجته في زيه فلما جاء قال له لك ليلة ولي ليلة والا قتلتك فاني أحبها فاتفقا على ذلك فجاء الجني ليلة فقال انا نسترق السمع بالنوبة وهذه ليلتي فهل لك ان تكون معي قال نعم قال فحملني حتى اصق بالسماء فسمع قائلا يقول ماشاء الله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فوقع واحترق فصرت أقولها اذا جاء فيذهب الى ان مضي ولم أره وعندي في هذه بعد لانه كان راكبه فكيف جاء الى أهله حين سقط الجني في الخراب (واما حكاية الديك) فقد أورد المصنف بعضها واصل ذلك ان رجلا خرج لحاجة له فرأى شخصا يمشي فتحادثا الى ان قربا من القرية فقال الشخص للرجل انا جني وقد صار بيننا صحبة ولي اليك حاجة فهل تقضيها لي قال نعم فقال امض الى بيت فلان فان عندهم ديكا أبيض معشرا فاشتره بما عساه ان يكون واذبحه فقال له كرامة ولكن انا أيضا لي اليك حاجة فقال وما هي فقال تخبرني اذا استم الانس ما الذي يخرجكم فقال له الجني اني مفيدك ذلك بشرط ان تكتمه فلما وافقه قال له خذ عني من اخذ من بين عيني حمار وحشي قطعة كالسير فجعلها في عضده الشمال ولبس من حافره خاتما لم يقربه جني فمضى الانسي فاشترى الديك وكان عندهم جارية لم ير أحسن منها فحين ذبح الديك صرعت فجاؤا اليه وتعلقوا به فقال على برؤها فمضى وصنع لها الخاتم والسير فحين دنا بهما منها صاح الجني وقال له او على نفسي علمتك والله ان فارقتها مت فلم يلتفت اليه وألبسها ذلك فذهب عنها

* (النوع الثاني في ذكر من كلف وهو غير مكلف وأوهن العشق قواه حتى تلف او كاد ان يتلف) * قد أسلفت لك في صدر الكتاب كيفية ارتباط العالمين في التكاليف وتداخل اللطيف في الكثيف واختلاف القوابل والفواعل وقدر ذوي استعداد كل لصاعد أو نازل وان العشق سر يودعه الله في الارواح عند صفائها وسهولة انقيادها ثم يختلف باختلاف البواعث والدواعي وميل النفوس بحسب مرادها فعلى هذا لا يخص نوعا دون نوع من أحد الاجناس كما ترشد اليه أدلة التجربة القياس غير انه مختلف الرتب كما لا يخفى على ذوي الادب وقد صح كما سبق ان الانسان أفضل الموجودات لعلمه بأحكام الاحوال المختلفات فلذلك كان واسطة نظام هذا الشأن ثم ما يليه الاقرب فالاقرب من أنواع الحيوان حتى ينتهي القول الى الاجرام العنصرية وما بينهما وبين الطبقات السماوية وحيث انهينا الكلام في هذا المقام على ما يتعلق بالانسان فلنبين كيفية دخول العشق في باقي أنواع الاعيان فننظم هذا النوع في خمسة أصناف * (الصنف الاول في الطيور) *

هي ألطف الحيوان مزاجا لانحلال كثيفها بخرق الهوا وذهاب فضلاتها في نحو الريش فلذلك داخلها التألم بالنوى * حكى الحافظ عن بعض الثقات انه تفرد في معبد منقطع فوجد فيه حمامتين يبيتان فاذا برق الفجر ذهبتا فلا يأتيان الى الليل قال وكنت أشهد

واني جلت في جيش الاعادي * برجي
وهو في فكري يجول (وقال ايضا) ولقد ذكرتك والصوارم لمع
من حولنا والسمهرية شرع
وعلى مكافحة العدو ففي الحشا
شوق اليك تضيق عنه الاضالع
ومن الصبا وهلم جراشيمتي
حفظ الوداد فكيف عنه ارجع
(وقال الشريف البياضي)
ولقد ذكرتك والطبيب معبس
والجرح منغمس به المسبار
وأديم وجهي قد فرا بحديده
وعينه حذرا على يسار
فشغلتني عما لقيت وانه
لتضيق منه برحبها الاقطار
(وقال ابن رشيق)
ولقد ذكرتك في السفينة والردى
متلاطم متوقع الامواج
والجو مظلم والرياح عواصف
والليل مسود الذوائب داجي
وعلى السواحل للاعادي عسكر
يتوقعون لغارة وهياج
وعلت لاصحاب السفينة ضجة
وأنا وذكرك في ألذ تناجي
(وقال أبو الثناء محمود)
ولقد ذكرتك والسيوف لوامع
والموت يرقب تحت حصن المرقب
والحصن في شفق الدروع تخاله
حسناء ترفل في رداء مذهب
والموت يلعب بالنفوس وخاطري
يلهو بطيب ذكرك المستعذب
(وقال صفي الدين الحلي)
ولقد ذكرتك والعجاج كانه
مطل الغني وسوء عيش المعسر
والسوس بين مجندل في جندل
مناو بين معفر في مغفر
فظننت اني في صباح مسفر
بضياء وجهك او مساء مقمر
وتعطرت ارض الكفاح كانما
فتقت لنا أرض الجلاد بعنبر (وقال ايضا) ولقد ذكرتك والجماجم وقع * تحت السنابك والاكف تطير احداهما

احداهما تخلف فتأتيها الاخرى بقوتها ودامأ على ذلك مدة فلما كان يوم من الايام خرجتا فاذا بباشق انقض فاخذ الواحدة فرأيت الاخرى تتبعه حتى غاب وايست فعادت الى المبيت وفيه ريش فلقد رأيتها تميز ريش المخطوفة حتى جمعته وجعلت تضرب بجناحها الارض وتتمرغ على الريش وتضرب نفسها حتى نتفت ما امكنها من ريش نفسها فقدمت اليها اكلا وماء فلم تلتفت لشئ فلما طلع الصبح رأيتها ميتة والريش في فمها (ورأيت في كتاب) لا اعلم مؤلفه سماه لطائف الاسرار وكيفية جريان الاقدار طالعته سنة تسع وخمسين ولم يكن لي اذ ذاك اعتناء بهذه الاشياء ان غرابا كان يأوي الى حائط فيقيم به فجاء يوما فوجد حية قد استولت على محله فذهب فجاء بحجر صغير فرماه عليها فماتت فقال من رآه انه رمى به واخذ الحجر فتبعته فمضى حتى القاه في عش خطاف ثم صار يأخذ الماء والاكل فيمضي بهما الى افراخ الخطاف مدة طويلة ولم اشعر يوما الا وقد اقبل ومعه اثنان من الخطاطيف فبايتا معه ودام على ذلك اياما فبينما انا يوما اذا بالواحد منهما سقط فنزل الغراب فحمله فسقط فحمله عشر مرات فلم يستقر ساعة حتى رأيت الغراب يزق نفسه حتى مات فقمت الى العش فرأيت الخطاف ميتا والآخر الى جانبه يضطرب فمات وانا انظره قلت ولم ازل اتفكر في هذا الحجر حتى وقفت على خواص الاحجار فرأيت ان داخل الصين اغوارا يسيل الماء فيها فينعقد حجرا اذا ترك مدة غزل خيوطا كالحرير تنسج منه اهل تلك البقعة ثيابا اذا اتسخت القيت في النار فيذهب ما فيها وانه قيل ان يغزل اذا اخذ نفع من اليرقان والحصى وسائر السموم وانه يقتل الحيات بمجرد الرؤية وحذاق الحكماء تعمد الى اعشاش الخطاطيف فتدهن افراخها بالزعفران فتظن امهاتها ان اليرقان اعتراها فتمضي الى اماكن هذه الاحجار فتأتي بها فتأخذه الحكماء فسبحان من ألهم كل شئ رشده (وفي الكتاب المذكور) ان رجلا اشترى زوج بط فلما ذبح الواحد جعل الآخر يضطرب تحت المكبة حتى رفعت عنه فجاء الى الدم فلم يزل يتمرغ فيه حتى مات * وقالوا ان اوفى الطيور في المحبة القمري والشفنين اعني الفاخت وانه اذا مات احد الزوجين تعذب الآخر فلم يأنس حتى يموت وكثيرا ما سمعنا عن نحو البلبل والشحرور الحنين الى الغناء والملاهي والاصوات الحسنة وان بعض الطيور نزل على يد بعض الوعاظ حتى مات (وحكى) عن سفيان ان بلبلا كان لولده وانه اقام يرعى ويأتي البيت حتى قيل انه مضى مع الناس يوم موته الى القبور وجع فاضطرب حتى مات واما قصة الزاغ فمشهورة جدا وهي ان السعدي قال وجه الي يحيي بن اكثم بالمثلثة فدخلت واذا عن يمينه قمطر جلد يعني قفصا فقال اكشفه فكشفته فخرج شخص نصفه الاعلى انسان والاسفل زاغ فقال لي كلمه فاستسميته فانشد

أنا الزاغ ابو عجوه * أنا ابن الليث واللبوه * أحب الراح والريحا
ن والنشوة والقهوه * فلا عدوان لي يخشى * ولا يحذر لي سطوه
ولي اشياء تستظرف يوم العرس والدعوه * فمنها سلعة في الظه
ر لا تسترها الفروه * واما السلعة الاخرى * فلو كانت لها عروه
لما شكت جميع النا * س فيها انها ركوه

ثم قال يا كهيل انشدني غزلا فقال يحيي قد استنشدك فانشده فانشدته

أغرك ان اذنبت ثم تتابعت * ذنوب فلم اهجرك ثم ذنوب

والمسام في افق العجاجة حوم * فكانما فوق النسور نسور
فاعادني من طيب ذكرك نشوة * وبدت على بشاشة وسرور
فظننت اني في مجالس لذتي * والراح تجلي والكؤس تدور

(وقال آخر) وله حكاية مثل حكاية الطغرائي المتقدمة مذكورة في منازل الاحباب

ولقد ذكرتك والرماح تنوشني * عند الامام وساعدي مغلول
ولقد ذكرتك والذي انا عبده * والسيف فوق ذؤابتي مسلول

(وقال ابو طالب الرفاء)

ولقد ذكرتك والظلام كانه * يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

وللناس في هذا البيت كلام وقال الشيخ اثير الدين ابو حيان

ولقد ذكرتك والبحر الخضم طغت * امواجه والوري منه على سفر
في ليلة اسدلت جلباب ظلمتها * وغار كوكبها عن اعين البشر
والفلك في وسط الامواه تحسبها * عينا وقد اطبقت شفرا على شفر
والروح من حزن راحت وقد وردت * صدري فيالك من ورد بلا صدر
هذا وشخصك لا ينفك في خلدي * وفي فؤادي وفي سمعي وفي بصري

وقلت انا في رمل طريق مصر الى الشام من مقامة

ولقد ذكرتكم برمل روعه * في قلب كل مشرق ومغرب
وبنو بياضة كالدبى من حولنا * بسوادهم سدوا فسيح السبسب
والقضب تبري هام كل مدجج * من كف اشوس بالحروب مهذب
واسنة الارماح تلمع في الدجا * كوميض برق في الدجا متلهب
وعلى العوالي كل نسر واقع * يفري اديم الليث منه مخلب
والرعد للارماح رعد قاصف * والبحر يهدر كالهزبر الاغلب

واكثرت حتى قلت ليس بصارمي * وقد يصرم الانسان وهو حبيب

فجعل يقول زاغ زاغ ونزل القمطر فقلت ايهي اصلحك الله اوعاشق ايضا ثم سألته عنه فقال لا أعرف منه الا ما رأيت وقد وجهه صاحب اليمن الى امير المؤمنين ولم يره بعد ومعه كتاب لم أفضه اظن فيه امره ورويت هذه القصة عن سوى السعدى وانه كان عند احمد بن ابى داود ان الابيات التى انشدها للزاغ هى

وايـــل فى جوانبه فضول * من الاظلام أطلس غيهبان

كأن نجومـه دمع حبيس * ترقرق بين أجفان الغوانى

(الصنف الثانى فى ذكر بعض ما وقع للحيوان من أمور العشق فى اختلاف الازمان)

حكى الشيخ قدس الله سره ان اعظم الحيوان ادراكا من ذوات الاربع الخيـل وانها اقرب من غيرها الى مزاج الانسان وقد بسطنا احوال الحيوانات وما بينها من الاختلاف والاتفاق والقرب والبعد فى كتب الزردقة والخيل احسن الحيوان مزاجا وادراكا حتى انها لا تنزو على محرم ابدا قال الشيخ حتى لحصان باخته مبرقعة فلما نزل عنها انكشفت الثوب فعرفها فجعل يجرى حتى ألقى نفسه من جبل شاهق فتقطع * وفى لطائف الاسرار ان رجلا من اصفهان ولدت عنده فرس حصانا وأخرى أنثى فائتلفا فكان اذا فرق بين واحـدة وأخرى لا تمشى كل منهما ولا تأكل ولا تشرب وتصيح حتى تجتمعا قال وربما كان يطرح الاكل للواحدة قبل الاخرى فلم تذقه حتى يطرح للاخرى قال وشاهدت احـداهما تدفع بيـدها حشيشا الى الاخرى وان احـداهما مغلت فقصـدها البيطار فلما رأت الاخرى الدم قطعت الرباط وجاءت فرغت نفسها فيه حتى سقطت ميتة فلما رأتها المقصودة طرحت نفسها عليها فاذا هى ميتة (وحكى) فيه ايضا ان ملك الهند بعث الى صاحب بخارى بفيل فاحسن خدمته فلما كان يوم حرب بينه وبين قندهار وهم يركبون الافيال يقاتلون على ظهورها خرج به فحين اصطفوا نظر الفيل الى فيل آخر فى ذلك العسكر فعلم حتى طرح ما عليه واخترق الصفوف حتى جاءه فانطرحا الى الارض وجعـل كل منهما فنطيسته على الآخر وجاء الناس ليفرقوا بينهما فاذا هما ميتان * وفى اللطائف ايضا ان غزالا كان يأوى الى محل فى جبـل وان شخصا رآه يتردد الى ذلك المحـل فتبعه فرأى وعلا فى غار وبيده ألم لا يمكنه المشى ورأى مع الغزال قطفا من عنب وهو يلقيه فى فم الوعل فانصرف عنهما (وحكى فيه ايضا) عن شخص بغدادى خرج فى بعض اسفاره فبينما هو جالس فى القيلولة وقد بسط سفرة ليأكل واذا بكلب اقبل فاخذ رغيفا فقام وتبعه حتى انتهى الى غار فاذا فيه كلبة قد عطلت عن الحركة فجعل يكسر الرغيف ويضع فى فمها ويترضاها فتعجب التاجر وانصرف (وحكى) الجاحظ ان ملكا من أقيـال اليمن اعتنى بكلب فكان يلبسه الحرير ويطوقه الذهب ويجعـله معه حيث كان فألفه الكلب حتى كان اذا غاب عنه لا يستقر فاعتراه يوما ضعف فخرج الملك الى الصيد وتركه فى المطبخ وكان قد اوصى ان يطبخ له أرز باللبن فجعـل الطباخ اللبن فى القـدر وخرج ليأتى بالارز فخرجت حية من السقف فسقطت فى اللبن والكلب ينظر وجاء الطباخ فرمى الارز ولم يشعر حتى تهرت وخشى الطباخ سطوة الملك وقد فجأه بطلب الارز ونزل وطلب ان يأكل فى المطبخ فحين شرعوا فى وضع الطعام جعل الكلب يصرخ ويضطرب فقال الملك ماله فقالوا لا نعلم فقـدم له طعام فامتنع وجىء بالارز الى الملك فصاح الكلب واشتد وجده

والبر يخر بالدما والبحر بـ
سر بالفرنج وكل كاب أجرب * وعلى السواحل غادة شعواء ما

فيها لمن يرجو النجا من مهرب
وانا باونار القسى كأننى
فيه أغنى بالرباب وزينب
وأقول ليت احبتى يدرون ما
أنا فيـه من لهو وعيش طيب

وقال مجنون ليلى

ذكرتك والحجيج له ضجيج
بمكة والقلوب لها وجيب
فقلت ونحن فى بلد حرام
به لله أخلصت القلوب
أتوب اليك يا رحمن مما
جنيت فقد تكاثرت الذنوب
فاما عن هوى ليلى وتركى
زيارتها فانى لا أتوب

وللناس على هذا البيت الاخير كلام (وحكى) عن ليلى الاخيلية انها مرت مع زوجها بقبر توبة بن الحمير فقال لها هذا قبر الكذاب الذى قال

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت
على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا
اليها صدى من جانب القبر صائح

فقالت دعه فقال أقسمت عليـك الا ما دنوت منـه فسلمت عليـه فابت فكرر عليها ذلك فلما تقدمت الى القبر وقالت السـلام عليـك يا توبة طار من جانب القـبر طائر كان هناك وزقا ونفر منه جمل ليلى فوقعت من اعلاه فاندقت عنقها وماتت مـن وقتهـا ودفنت الى جانب توبة وهذا من العجائب لانه وفى لها بما التزمه بعد الموت وقد بالغ الآخر حيث قال

لو حز بالسيف رأسى فى مودتها
لمر يهوى سريعا نحوها رأسى
ولو بلى تحت أطباق الثرى جسدى
لكنت أبلى وما قلبى لكم ناسى
لو يقبض الله روحى صار ذكركم * روحا أعيش به مادمت فى الناس (وقال آخر)

حتى

حتى قطع السلسلة وعاجل الملك قبل ان يأكل فوضع فمه في الطعام واكل فتفزر جلده لوقته ومات فضرب الملك الطباخين واستقررهم فأقروا واعلم ان الكلب فداه بنفسه لمحبته فكفنه في حرير وبنى عليه قبة قال الجاحظ وهى الآن باليمن تسمى قبة الكلب (وحكى) عن ابى العيرانه كان عنده حمار فمات فرآه في النوم ينشده شعرا يقول فيه أنه مات عاشقا فسأله المتوكل ما الذى كان من شأنه قال يا أمير المؤمنين كان أعقل من القضاة ليس له هفوة ولا زلة فاعتل على حين غفلة فمات فرأيته في النوم فقلت له ألم أنق لك الشعير وأبرد لك الماء فما سبب موتك فقال أتذكر اذ وقفت بى على الصيدلانى يعنى العطار قلت نعم قال مرت اذ ذاك أتان فافتتنت بها ومت فقلت وهل قلت في ذلك شيأ قال نعم وانشد

هام قلبي باتان * عند باب الصيدلانى * تيمتنى يوم رحنا
بثناياها الحسان * وبخد ذى دلال * مثل خد الشيقران
فبها مت ولو عشت اذا طال هوانى

فقلت له يا أبا معاذ وما الشيقران فقال أنا مشغول بما أنا فيه وهذا كلام تعرفه الحمير فاذا رايتم حمارا ومن كان أولا حمارا فاسألوه فضحك المتوكل حتى سقط وامر له بعشرة آلاف درهم وتنسب القصة فيما حكاه صاحب نديم المسامرة الى بشار فهذا ما أردنا تلخيصه من أمور الحيوانات

(الصنف الثانى في ذكر ماجرى من القوة العاشقية والمعشوقية بين الانفس النباتية)

نقل في لطائف الاسرار وبه جزمت الحكماء ان اصح النبات وأعدله وأكمله خلقا جمع أمورا تسعة الورق والعود والثمر والنوى والصمغ والدهن والليف والقشر والاصول وقد كمل في النخل ذلك فهذا أعدل النبات وفي الاخبار انه من طينة آدم وورد أكرموا عماتكم النخل وفي الصحيحين أتعرفون شجرة هى كالرجل المسلم الحديث وفي الفلاحة النبطية ان النخلة تخاف وتفرح وتعشق نخلة أخرى فقد صح ان النخلة اذا لم تحمل ضرب في اصلها بفاس ويقول شخص آخر لاى شئ هذا فيقول الضارب دعني اقطعها فانها لم تحمل فيقول دعها في ضمانى العام فان لم تحمل فاقطعها فانها تحمل وقد جرب ذلك (وحكى) في النفائس قال زرع شخص اربع نخلات متقابلات فحسن ثمرهن سنين ثم أصيبت واحدة فيبست فلم تحمل التى في مقابلتها (وحكى) ايضا ان شخصا كان له نخل وكانت واحدة منهن تزهر وتسقط قبل الانعقاد وربما تثمر ويسقط قبل البلوغ فشكا ذلك الى حاذق فجاء حتى نظرها فقال انها عاشقة ثم دعا برصاص فصنع شريطا وربطه منها الى نخلة أخرى هناك فحسن ثمرها في تلك السنة ودامت كذلك وان صاحب البستان قطع الشريط لينظر فأسقطت الزهر فاعاده فصلحت (وحكى) بعض ذلك في الخزيدة واما ما بين الفلفل والكافور والتين والنفط والزنجبيل والازدارخت فاشهر من أن يحكى وغاية الامر أن يدعى فيه الخواص فيقال ان شدة الائتلاف بين العاشق والمعشوق من قبيل الخواص

(الصنف الرابع فيما ثبت من الاسرار بين أصناف الاحجار)

اعتلاق المغناطيس والحديد مما لم يشك في وجوده وهذا الكثرة وجود المغناطيس والا فلسائر المنطرقات أحجار من الجمادات تجذبها المشاكلة بينهما في الزئبقية والكبريتية وهذا ظاهر التعليل وأغرب منه ما حكى في اختصار الكائنات للعلم ان بالبحر دابة كالارنب

واقد ذكرتك والظلام معبس * وأنا قعيد في البيوت وحيدتي

والجو يصفر من فعو ذى في الهوا
مافيه من خل يكون عنيدتى
والبق والناموس حولى عسكر
يتقاتلون على شرب دميتى
والفار يلعب في الز وايا دائما
و ينط كالقعقاع فوق كويرتى
والعنكبوت يجول حول خيمة
يصطاد ذبابا تجوز كويتى
والاكل خبز مثل رأسى يابس
والشرب مر من دخين بليدتى
وسماع نغماتى طنين بعوضة
وصريرصرصرة وصفر بويمة
فوددت تعنيق الفويرة كلما
نطت لانك مثلها في الخفة
وحسدت أيدى العنكبوت اشبهها
باصابع لك شبهها في الرقة
وطربت من صوت الصراصر نغمة
اذ أشبهت نغمات صوت حبيبتى
فبكيت شوقا حيث لا أنت معى
تتنعمين تنعمى في غرفتى

(الباب السابع والعشرون في طرف يسير من المقاطع الرائقة والاغزال الفائقة مما اشتمل على ورد الخدود ورمان النهود وغير ذلك)

أقول هذا باب عقدناه لذكر طرف يسير من الغزل والنسيب ومحاسن التشبيب مما يطرب سماعه ويؤخذ لطالع الحسن ارتفاعه كقول بلدينا الشاعر الظريف محمد بن العفيف

أيسعدنى يا طلعة البدر طالع
ومن شقوتى خط بخديك نازل
نعم قد تناهى في الجفاء تطاولا
وعند التناهى يقصر المتطاول
وما كنت مجنون الهوى قبل أن يرى
لقلبي من صدغيك في الاسر عاقل
ولولا سنان من لحاظك قاتل
لما كنت أدرى ان طرفك ذابل

ولم لا يصح الوجد فيك وناظرى * لنسخة حسن من سناك يقابل ولوان قيسا واصفا منك وجنة *

يتولد فى رأسها حجر اذا أخذوا شير به الى اللحم أو الحيوان انجذب حتى يلصق بالحجر وفيه أيضا ان شخصا نزل بارض اللؤلؤ مما يلى جزيرة رامهرام فوجد الشمس اذا أشرقت على أرضها ترتفع منها أشعة ثم تتراقص أحجارها وتضطرب حتى تجتمع فاذا غربت الشمس افترقت الاحجار

(الصنف الخامس فيما بث من الاسرار الملكية بين الاجسام والاجرام الفلكية وهذا منتهى الكائنات وسر الموجودات ومن حيث بدئ الشئ عاد عند مفارقة الفساد)

اعلم ان الايام والاجرام والبروج والكواكب والاجسام والدوائر متطابقة التاليف متوافقة التكييف قد تربعت جهة وبحارا وأقطابا وطبعا وتشعبت قوى وجوانب ونقصا وزيادة الى غير ذلك فمثالها فى الانسان اثنا عشر مخرجا عينان وأذنان وفم ومنخران وسرة وثديان وسبيلان قد قيست بالبروج ونفس بالشمس اذ لا تزيد ولا تنقص وعقل بالقمر فى قبول الحالتين والخمس الحواس بالخمس البواقى وهكذا الى درج فى العروق ومفاصل بالجوزهرات والكل خدمة بلسان الشرع ملائكة ولسان الحكمة نفوس وعقول مجردة وفرع أهل الرياضة والروحانيات والارصاد على ذلك الاستخدام واستنزال الكواكب وتكليمها والطيران اليها وتحريك الجمادات الى غير ذلك مما بسطناه فى كتبنا الحكمية وجار ينافيه أهل كل فن على مقتضى قواعدهم مما لا يليق بهذا المحل وهل ذلك الا قوة عاشقية فليعتبر أولو الابصار وليتذكر أولو الالباب فسبحان من أوجد ذلك واستغنى عنه وأثر فيه ومنه لا تغيره الازمان ولا تفنيه الاوقات ولا يعجزه اختلاف الاكوان

(الباب الخامس فى تتمات يفتقر اليها الناظر فى هذا الكتاب ويحسن موقعها عند أولى الالباب) فذلك هو المشرع الجامع لما ذكر فى المصارع وينحصر فى فصول مختلفة وان كانت فى الجنس مؤتلفه

(فصل فى تحقيق معنى الحسن والجمال وما استلطف فى ذلك من الاقوال)

الاصل فى المحاسن والمطلوب عند العقلاء فى كل المواطن انما هو اصلاح السرائر وتهذيب البواطن لا الظواهر وانما ضم اصلاح الظاهر الى ما ذكر طلبا لتحصيل الكمال ودلالة فى الاغلب على الاعتدال ويتم الاول بتحسين المقاصد واصلاح العقائد وقصر القلب على عتبات الحق فى تلك المواقف مستمدا بالمراصد مستعدا للاوامر الالهية وتلقى ما فى تلك الصحائف وذلك كما قال محقق المقول ومهذب الفروع والاصول وجامع المراتب الباطنة والظاهرة وقطب دائرة الكائنات فى الدنيا والآخرة ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب وصلاحه استعداده لقبول ما يجب فعله وترك ما يجب تركه وذلك متعذر الا بعد الاخذ بالحظ الاوفر من أمهات الاخلاق وهى الحكمة والشجاعة والمروءة والعدالة فانها لهذا المورد كالاخلاط للمزاج افراطا واعتدالا وخير الامور سلوك الاعتدال للسلامة من الافراط والتفريط اللاحقين لكل من هذه كالتهور والجبن ولازم مما ذكرنا التخلق بالعفاف والزهد والصدق والورع والتسليم الى غير ذلك وعد قوم العفة أصلا بدل المروءة لانها تندرج فى العدالة وبعض المتصوفة جعل التسليم أصلا أيضا وبالجملة فهذه الخصال الداعية الى حفظ ما به النظام من النفس والعقل والعرض والمال فان المتخلق بها محال ان يقع منه قتل أو أخذ ما يزيل عقله أو زنا أو تناول غير ماهو

لاعجزه ثبت بها وهو باقل نعم هذا الباب من اوسع هذه الابواب مجالا واجراها جريا الا واخسها اخطابا واعذبها اصابا فيه يتميز سمين الشعر من غثه وجديده من رثه ولا يكاد يجود فيه الاذاك ولا يدركه الا كثير الدراية وما أدراك وقد تقدم ان أغزل بيت قالته العرب قول بشار

أنا والله أشتهى سحر عينيـ
ـك وأخشى مصارع العشاق

(وقال محمد بن العفيف) واحسن ماشاء

وعيون أمرضن جسمى وأضرمـ
ـن لقلبى لواعج البلبال
وخدود مثل الرياض فواه
ما لايام وردها من زوال
لم أكن من جناتها علم الله
وانى بجمرها اليوم صالى

وقال أيضا

يحكى الغزال نظرة ولفتة
منذ رآه مقبلا ولا افتتن
أحسن خلق الله لفظا وفما
ان لم يكن احق بالحسن فمن
فى ثغره وخده وشكله
الماء والخضرة والوجه الحسن

ولهذه الابيات حكاية اتفقت لابن تقى المقتول بالقاهرة

(وقال ايضا)

إذا مارمت حل البندقات
معاطفه ممانا لا يحل
وان حات بوجنته مدام
يرى لعذاره دور ونزل

(وقال ايضا)

بدا وجهه من فوق اسمر قده
وقد لاح من سود الذوائب فى جنح
فقلت عجيب كيف لم يذهب الدجى
وقد طلعت شمس النهار على رمح

(وقال ايضا)

أحلى من الشهد من هويت وكم
فتنت به فى الهوى مرارات
وكيف لا تستطاب ريقته * وثغره سكر سنينات

(وقال آخر) ومليح قال صفنى * انت فى القول فصيح

ماهوله فهذه أصول السياسة ونظام المدينة وموضع بسطها الحكمة بل ملازمة الشريعة المطهرة فقد أغنت عنها فهذه الاخلاق التى لا أجدر من وصف المتخلق بها بالحسن والجمال وأما المحاسن الظاهرة اللائق ذكرها بهذا المحل واليها الشارة المترسمين وفيها غالب النثر والنظم فالعبارات عنها كثيرة والالفاظ فيها غزيرة قال بعضهم الحسن الصريح ما استنطق بالتسبيح أو هو تناسب الخلقة واعتدال البشرة وصفاء المادة أو مركب من الوضاءة والتناسب والصباحة وقيل الحسن بياض اللون وسواد الشعر وكل منهما شطره والصباحة كالملاحة والبياض والجمال ما أخذ بالبصر أو هو السمن اشتقاقا من اسم الشحم انه معنى لا يدرك ويختلف باختلاف الاشخاص ودقة الانظار وصحة التأدى الى الافكار وهذا معنى قوله الحسن ما زين الزينة واستحسن دونها والى ذلك كله أشرت بقولى

جميلة أوصاف لطيفة منظر * مليحة عطف طاب منها المغارس

يدق عن الالباب ادراك حسنها * وجلت فزلت عن علاها المقايس

منعمة لم تلبس الوشى زينة * ولكن أحبت ان تزان الملابس

غرست بلحظى الورد فى وجناتها * ومن دمى المسفوك تسقى الغرائس

وجئت لاجنى ما غرست فصدنى * من الجفن أسياف هناك وحارس

فلو لم يكن الحسن فى نفس الامر كذلك ولكل ذى نظر دقيق ما لك ما اختلفت فيه العبارات ولا كثرت فيه الاستعارات ولا بالغ كل فى تحصيله بجده واعتقد التقصير عن حده والخلاف انما هو بالالفاظ والمعنى المطلوب واحد كما هو رأى التحقيق من سائر الموارد ومن ثم قال بعضهم

عبارا تناشتى وحسنك واحد * وكل الى ذاك الجمال يشير

ولله در أستاذ عطر الوجود فيض وجوده واستمدت الكائنات من بحر فضله وجوده حيث حقق هذا المعنى وسبكه فى أحسن مبنى بقوله

فكم بين حذاق الجدال تنازع * وما بين عشاق الجمال تنازع

هذا هو الحسن العام وقد خصوا كل عضو بصفة فقالوا الحلاوة فى العين والملاحة فى الفم والجمال فى الانف والظرف فى اللسان وقالوا اذا حسنت العين فتمامها الدعج والفم فتمامه الفلج يعنى فى الثغر وطلاوة الجبين البلج وبريق الوجنة الضرج واحسن ما تكون المرأة اذا طال منها الاطراف والعنق والشعر والقامة وقصر منها العين واللسان واليد والرجل والمراد بالقصر القصر المعنوى كعدم الطموح بالعين وأخذ شئ فوق الحاجة والخروج من بيتها وابيض منها اللون والفرق والثغر وبياض العين والمراد بالثغر الاسنان نفسها اما اللثة فقد مدحت العرب سوادها والى ذلك أشار طرفة بقوله

سقته أيات الشمس الا لثاته * أسف ولم تكدم عليه باثمد

اسود منها الهدب والعين والحاجب والشعر وأحمر منها اللسان والشفة مع اللعس يعنى يسير السواد والخد وتشريب البياض بيسيرها ودق منها الحاجب والانف والسنان والخصر وغلظ منها المعصم والعجيزة والفرج والساق واتسع منها الجبين والجبهة والعين والصدر وضاق منها المنخر والاذن والفم والفرج فهذه أوصاف بها اجماع الحسن اذ كل ما خرج عن ذلك كجعودة الشعر واستدارة الوجه ونعومة البدن راجع اليها وانما العبارات الكثيرة

قلت قولا باختصار * كل ما فيك مليح

(وقال ابراهيم المعمار)

ومليح قال صف حسنى ازداد سرورا
كم حوى جفنى معنى قلت ألفا وكسورا

(وقال أيضا)

حاكمت فى شرع الهوى قاتلى
ولى دم طل على خده
فاتهم الحاكم لحظا له بحقـ
ـق الفتنة من عنده
ومال للحق فلما رأى
قد غريمى مال مع قده

(وقال خطيب حمود)

قال لى من هويت شبه قوامى
وقد اهتز بالجمال دلالا
قلت غصن على كثيب مهيل
صافحته يد النسيم فمالا

(وقال السراج الوراق)

قلت للاهيف الذى فضح الغصـ
ـن كلام الوشاة ما ينبغى لك
قال قول الوشاة عندى ريح
قلت أخشى يا غصن ان يستميلك

(وقال آخر)

قال لى اهيف المعاطف صف لى
هيفى قلت يا رشيق القوام
لك قد لولا جوارح لحظيـ
ـك لغنت عليه ورق الحمام

(وقال النور الاسعردى)

قد قنعنا بالخبز والماء والخضرة
والاهيف الرشيق القوام
وتركنا مناصب الناس زهدا
فلماذا يؤذوننا بالكلام

(وقال ابن خفاجه)

ومهفهف طاوى الحشا
كالغصن يخطر ان خطر
فاذا رنا واذا شدا * واذا سقى واذا سفر
فضح الغزالة والحما
مة والغمامة والقمر

(وقال كثير عزة)

الله أعلم لو أردت زيادة
فى حب عزة ما وجدت مزيدا
رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها

تفنن في الاوصاف وأهل الفراسة تجعل الجمال الظاهر دليلا على اعتدال المزاج وقال بعض الحكماء من نعم الله على العبد تحسين خلقه وخلقه واسمه قيل وصوته حكي بعض المفسرين في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء يعني حسن الصوت وقال سقراط اذا احسن الله وجهك فلا تضف اليه قبيح المعاصي أو قبحه فلا تجمع بين قبيحين وقال عليه الصلاة والسلام ان الله جميل يحب الجمال وكان يختار لحاجته صبيح الوجه حسن الاسم طلبا لاجتلاب القلوب ومن ثم كانت الانبياء عليهم السلام أكمل الناس لان غاية بعثتهم الاتباع وعدم النفور فيجب انتفاءه وجبهما فيهم واوتي يوسف شطر الحسن وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فكل جمال بالنسبة الى بحره بلالة والى نوره ذبالة فقد اتفق له صلى الله عليه وسلم محاسن الاخلاق والشيم وهذا هو المطلب الذي تكل عنه البصائر ويقصر عنه كل ذي حد جائر واذا لم يتفق للعبد حسن السيرة والخلقة فالاول الاول فانه من مطالب الحكمة التي غايتها السعادة وهي من الاعراض اللازمة والثاني من مطالب الشهوة وقد توقع في المحنة ولا بد وأن تفارق

* (تنبيه) * قد وقع لهم تشبيه بعض الاعضاء بالحروف كالحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والفم بالصاد والميم والثنايا بالسين والطرة بالشين والقامة بالالف وربما شبهوا العين بالصاد أيضا وبالفواكه كالخدود بالتفاح والشفة بالعناب والثدي بالرمان وبالمشمومات كالوجنة بالورد والعين بالنرجس والعذار بالآس وبالمعادن كالشفة بالعقيق والاسنان باللؤلؤ وقد وقع تشبيه الشفة بالمرجان أيضا وباشياء مختلفة كالوجه بالبدر والفرق بالصبح والشعر بالليل ومرسله بالحية والصدغ بالعقرب والوجنة بالماء والنار والريق بالخمر والثدي والسرة بحق العاج الى غير ذلك وللشعراء في ذلك على اختلاف مراداتهم وتخيلهم المقدمات الشعرية كلام كثير فمن أبدع ما رأيت في التشبيه بالحروف وبعض الاشياء كلام الاديب الحاذق علاء الدين الشاهيني من قصيدة طويلة كلها محاسن أولها

تم العذار بعارضيه وسلسلا * وتضمنت تلك المراشف سلسلا

ومنها وقد حذف أداة التشبيه قصد المبالغة وهو من أساليبهم المشهورة قوله

صبح امح الجوزاء لاح لناظري * متبلجا فأزاح ليلا أليلا
من لي بغصن نقا تبدى فوقه * قمر تغشى جنح ليل فانجلى

ومنها

كتب الجمال على صحيفة خده * بيراع معناه البهيج ومثلا
فبدا بنوني حاجبيه معرفا * من فوق صادي مقلتيه واقفلا
ثم استمد فدأسفل صدغه * ألفا الفت به العذاب الاطولا
فاعجب له اذ هم ينقط نقطة * من فوق حاجبه فجاءت أسفلا
فتحققت في حاجرة خده * خالا فهم هواه قلبي المبتلى
قسما بفاء فتور جيم جفونه * لاخالفن على هواه العذلا

(وللشواء) من الاسلوب المذكور وقد جمع الحيوان والحروف بقوله

أرسل فرعا ولوى هاجري * صدغا فاعيا بهما واصفه
فخلت ذا من خلفه حية * تسعى وهذا عقربا واقفه
ذي ألف ليست بوصل وذي * واو ولكن ليست العاطفه

وقال آخر

لا تقولي لا فمكتوب على * وجهك المشرق بالنور نعم

خروا العزة ركعا وسجودا (وقال أيضا) في الكامل

من الخفرات البيض ود جليسها
اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

(وقال ابن الرومي)

وحديثها السحر الحلال لو انه
لم يجن قتل المسلم المتحرز
ان طال لم يملل وان هي أوجزت
ود المحدث انها لم توجز

(وقال ابن حمديس)

لا يمل الحديث منها معادا
كانتشاق الهواء ليس يمل

(وقال ابن أبي الحديد)

بالله ضع قدميك فوق محاجري
فلقد قنعت من الوصال بذا كا
وأطل محادثتي فان مسامعي
تهوى حديثك مثل ما اهوا كا

(وقال آخر)

ومليح قلت ما الاسم حبيبي قال مالك
قلت صف لي وجهك الزا
هي وصف اين اعتدالك
قال كالبدر وكالغصن وما اشبه ذلك

(وقال العطوي)

ذات خدين ناعمين صنيعيـ
ـن بما فيهما من التفاح
وثنايا وريقة كغدير
من عقار وروضة من أقاح

(وقال امرؤ القيس)

خليلي مرابي على أم جندب
نقضي لبانات الفؤاد المعذب
ألم ترياني كلما جئت طارقا
وجدت بها طيبا وان لم تطيب

وقال النميري واحسن في الوصف

وبيضاء مكسال كعوب خريدة
لذيذ لذي ليل التمام التزامها
كأن وميض البرق بيني وبينها
اذا حان من بعض البيوت ابتسامها

(وقال ابن أبي ربيعة)

طفلة باردة الصيف اذا ما * معمعان القيظ اضحى يتقد

بحروف

بحروف خلقت من قدرة * ماجرى قط عليها من قلم
نونها الحاجب والعين بها * طرفك الفتان ثم الميم فم

(نكتة) اعلم ان الاساليب في هذا الباب دائرة بين التشبيه المجرد وبين جعل الحروف ونحوها من المشبه به في العادة مشبها ومقابله في المحبوب مشبها به وفي كل ذلك اما ان تبقى الاداة أو تحذف وفي كل اما أن يرشح المعنى بأوصاف تزيده حسنا أولا وأرفع الكل جعل الممدوح مشبها به محذوف الاداة مرشحا بلطائف الاوصاف وقل سالكه وعكسه معلوم ولي من الفن الثاني

بروحي أتى من خالها حين اقبلت * على أثر حزن تنثر الدمع في الخد
قضيبا من الكافور يمطر لؤلؤا * من النرجس الوضاح في فرش الورد

ومنه وقد زدته على ما يلزمه التحسين الرد على اهل الاسلوب الاول

شمس الضحى كجبينك الوضاح * أف لمن جعلوه كالمصباح
يا قدها ما الغصن لولا الميل مع * داعي الهوى كالغصن بالارياح
أنا فيك سكران الفؤاد معذب * ابدا وان أظهرت فعل الصاحي
فدع الملام وعذل من لم يستمع * قول النصيح وخلني يا صاح

ومما لم يعرج فيه على ذكر تشبيه بل أشعر فيه باحتياج المشبه به في العادة الى المشبه ما قلت

يهنك يا قلب من زارتك في السحر * ولم تخف ثم من واش ولا ضرر
حسناء لولم تعاين نور طلعتها * شمس الضحى ما بدت يوما على بشر
ووجهها الورآه البدر واحتجب * عنه لما كان لم تخف نقصا على القمر

(فصل في خفقان القلب والتلون عند اجتماع المحبين)

اعلم ان مدار تلون البدن اما على صفاء الخلط او شدة الحرارة او ما تركب منهما والاول يلزم حالة واحدة اما البياض في البلغم أو الحمرة في الدم أو الصفرة في الصفراء أو السواد في السوداء وما تركب بحسبه مع مراعاة الطوارئ كقرب الشمس او جبل اوسد جهة وهذا المبحث هو المعروف عند الاطباء بالالوان وعند العامة بالسحنة وموضع تحقيقه الطب والثاني يلزم السمرة وان غلب البلغم واما الثالث فهو الذي تناط به امثال هذه الاحكام وحاصل القول فيه ان الجلد شفاف يحكي ما تحته وان الباعث اليه الاخلاط هو الحرارة فهي كالنار ان اشتدت صعدت ما لاقته وموضعها القلب ومحركاتها مختلفة ما بين غضب وحياء وقهر وغيرها اما الى داخل دفعة او تدريجا او الى خارج كذلك أو اليهما وموضع بسطه الحكمة والذي يخصنا من ذلك هنا أن نقول ان استيلاء سلطان المحبة والعشق من المعشوق على العاشق أعظم استيلاء من سلطان القهر والعظمة والناموس السلطاني حتى قال بعض الحكماء لكل مرتبة من مراتب المحبة حد الا محبة العشق فلا حد لها وقال بعضهم ان تعلق روح العاشق ببدنه كتعلق النار بالشمعة الا أنه لا يطفئها كل هواء اذا تقرر هذا وجمع الى ما قررناه من مراتب تحريك الحرارة ظهر علة اصفرار لون العاشق وارتعاد مفاصله وخفقان قلبه لان الاستبشار بالاجتماع الموجب للفرح المنتج لحركة الحرارة الى خارج لتوثر الحمرة وصفاء اللون يعارضه لشدة الشفقة الخوف من نحو واش وسرعة تفريق واليأس الموجب لانحياز الحرارة أو جذبها الى داخل المنتج لصفرة اللون أو الموت فجأة ومن ثم اذا أمن

في ليلة فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها
فأرتني القمرين في وقت معا

(وقال ابن المستوفي الاربلي)

رأت قمر السماء فأذكرتني
ليالي وصلها بالرقتين
كلانا ناظر قمرا ولكن
رأيت بعينها ورأت بعيني

(قلت) وللناس عليه كلام ولهم على فهمه زحام حتى ان بعضهم وضع فيه كتابا

(وقال آخر)

بروحي وجسمي ذلك العارض الذي
غدا مسكه فوق السوالف سائلا
درى خدها أني أجن من الهوى
فاظهر لي قبل الجنون سلاسلا

(وقال سعد الدين محمد بن عربي)

لما تبدى عارضاه في نمط
قيل ظلام بضياء اختلط
وقيل نمل فوق عاج قد سقط
وقال قوم انها اللام فقط

(وقال آخر)

رأيت الهلال على وجهه
رأيت الهلال على وجهه

(وقال آخر)

برزت فقابل ناظري من وجهها
مرآة حسن بالجمال صقيل
أبكي فانظر ادمعي في خدها
تجري فاحسب انها تبكي لي

(وقال ابن قلاقس)

فوق خديك دليل * ان نهديك ثمار
ما اختفى في الرمان الا * وتبدى الجلنار

(وقال الخبزارزي)

رأيت الهلال ووجه الحبيب
فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتي فيهما
هلال الدجى من هلال البشر
فلولا التورد في الوجنتين * وما راعني من سواد الشعر
لكنت اظن الهلال الحبيب * وكنت اظن الحبيب القمر

من ذلك لم يقع تغيير كما قيل

فلا تحسبن كل اجتماع مغيرا * فان اجتماعي بالامان أماني

وأما حمرة المعشوق فهي اما حيـاء واما خجل وكل منهما باعث للحرارة الى خارج ونتيجته احمرار الالوان وصفاؤها فافضل الالوان الاحمر الصافي المشرق مطلقا حتى في الثياب كالحلل والمشروب والمشموم كالورد والشقيق والحيوان كالخيل والمعادن كالذهب والياقوت الى غير ذلك ومنه اهلك الرجال الاحمران يعني الخمر واللحم والنساء الاحامر الذهب والزعفران والخمر واللحم ولبعض الشعراء

ان الاحامرة الثلاثة ضيعت * مالي وكنت بهن قدما مولعا

الخمر واللحم السمين كذا الطلا * بالزعفران فلا ازال مروعا

وقال المتنبي من الجآذر في زي الاعاريب * حمر الحلى والمطايا والجلابيب

واحب ما يكون اليهم منه ما كان في الوجنات والشفاه قال ابو نواس

يا قمرا ابصرت في مأتم * تندب شجوا بين أتراب

تبكي فتذري الدر من نرجس * وتلطم الورد بعناب

وأما وصفهم الموت بالاحمر والدمع الناشئ عن شدة الحرقة بالحمرة فليس طعنا فيهما بل مدح لانهم ارادوا انهما من المطالب التي لا تنال الا بالمشاق والصعوبة ومن ألطف ما وصف به الدمع قول عماد الدين

ارى العقد في ثغره محكما * يرينا الصحاح من الجوهر

وتكملة الحسن ايضاحها * رويناه عن وجنك الازهر

ومنثور دمعي غدا احمرا * على آس عارضك الاخضر

وبعث رشادي بغي الهوى * لاجلك يا طلعة المشتري

(ومن ألطف ما يعجبني) في وصف المعشوق بالاحمرار والعاشق بالاصفرار قول ابن ابي الحديد من قصيدته التي اولها

الصبر الا عن فراقك يجمل * والصعب الا من ملالك يسهل

يصفر وجهي حين أنظر حسنه * خوفا ويدركه الحياء فيخجل

فكأن ما بخدوده من حمرة * ظلت اليها من دمي تتنقل

(وقال بعض المتأدبين) لم يقع في هذا المعنى ألطف من البيتين المنسوبين الى ابليس وهما

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * بدت بين ثوبي نرجس وشقائق

حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

وقيل انشدهما الابن دريد في النوم فاعترضه بأنهما من اللف والنشر المشوش فقال له وما هذه المشاحة في هذا الوقت يا بغيض * (تنبيه) * قد توسع الناس في هذا المبحث فخرجوا منه الى التفضيل بين السمر والبيض وخاضوا بسبب ذلك في كلام مريض فمن قائل بتفضيل السمر مطلقا وقوم البيض وآخرون فصلوا فقالوا ان كلا يميل الى عكس لونه وهذا تحكم وحكم على الطبائع والامزجة بلا دليل والصحيح ان الميل اما بداعية الشهوة او النفع ولا ضبط للاول لاختلافه باختلاف الاشخاص وأما الثاني فالقول فيه اما بحسب معتدل المزاج فالروميات حينئذ في نحو الحجاز أنفع كما ان الحبشيات في نحو الروم اجود لان حرارة الابدان

فكل من رام لحظه رشقه

قد كتب الحسن فوق وجنته

هذا مليح وحق من خلقه

(وقال ابن رشيق)

معتدل القامة والقد

مورد الوجنة والخد

قل للذي يعجب من حسنه

اقرأ عليه سورة الحمد

(وقال ايضا)

شكوت بالحب الى ظالمي

فقال لي مستهزئا ما هو

قلت غرام ثابت قال لي

اقرأ عليه قل هو الله

(وقال شيخ الشيوخ بحماة)

سألته من ريقه شربة

أشفي بها من كبدي حره

فقال اخشى يا شديد الظما

أن تتبع الشربة بالجره

(وقال يحيى الخباز)

طلبت منه قبلة قال لي

اياك ان تطمع في القرب

البوس شاليش وقد اخشى

أن تتبع الشاليش بالقلب

(وقال ابن اسد)

أريقا من رضابك ام رحيقا

رشفت فلست من سكري مفيقا

والصهباء اسماء ولكن

جهلت بان في الاسماء ريقا

(وقال السراج الوراق)

قال من شبه ريقي * بالزلال العذب زلا

انما ريقي شهد * قلت ذا من فيك احلى

(وقال آخر)

ظبي ترى وجنات في وجهه

وتشرب الخمرة من فيه

(وقال آخر)

يا ناصحي والذاهبون شاربا

من بعدما اسوى القلبي اكلا (وقلت أنا) يا صاح سكري من هوى اغيد * قوامه كالغصن ان ماسا

تختبي في الاغوار زمن البرد وبالعكس واما بحسب المرضى فالسود للبرودين اجود والبيض للسمر ودين كذلك وعندي ان عكس هذا اجود لما سمعت من التعليل والصحيح ان الحبشة ألطف مما عداهم مزاجا وأرق بشرة وأعدل حرارة فلذلك هن اوفق مطلقا ولكنهن في معرض التغيير وموضع تحقيق ذلك في الطبيعيات وأما الحكم على المصريين بانهم الى السمر اميل فمن قبيل ما قررناه من التحكم ومن ألطف الاشعار المقولة في التفضيل قول علي ابن الجهم

وعائب للسمر من جهله * مفضل للبيض ذي عملك

قولوا له عني اما تستحي * من جعلك الكافور كالمسك

وقال ابو جعفر الشطرنجي

اشبهك المسك واشبهته * قائمة في لونه قاعده

لاشك اذ لونكما واحد * انكما من طينة واحده

وقلت في ذلك

أرى السمر أشهى منظرا عند عارف * وأشرف مطلوبا سما في المطالب

فقل للذي قد فضل البيض جاهلا * رويدك لا ترغب لغير مناسب

فكم بين قيراط من المسك قيمة * وقنطار ثلج بارد من مراتب

وقلت في عكس ذلك

بيضاء تجلو الهم عن ناظري * بعين حق لا يغين انتقاص

فقل لمن يرغب في أسمر * ما الفضة البيضاء مثل الرصاص

واذا أحكمت ما قررناه من علة اصفرار الالوان علمت ان خفقان القلب عند الاجتماع والرؤية من لازم ذلك الشان وقد لهج الشعراء بالاعتذار عن ذلك وأكثروا فيه من التشبيب والمسالك فمن ألطف ما قيل فيه قول الوراق

يقول حين وافى * قد ذبت ماتر تجيه * فما القلب قد جا

بخفقة تعتريه * فقلت وصلك عرس * فالقلب يرقص فيه

وألطف منه قول البهاء زهير

لا تنكروا خفقان قلبي والحبيب لدي حاضر

ما القلب الا داره * دقت له فيها البشائر

وتظرف ابن عنين بزيادة ظرافة على الاعتذار عن الخفقان حيث قال

ان كان لابد من رقادي * فاضلعي هالك كالوساد

فنم على خفقها هدوا * كنومة الطفل في المهاد

وكثيرا ما تتبعت كلامهم فلم أر من جمع بين الاعتذار من تغير اللون والخفقان فقلت في ذلك

قالت أراك اذا عاينتني وجلا * عديم لون بهيج كنت تملكه

والقلب منك خفوق لا يسكنه * شئ فياليت شعري ما يحركه

فقلت ما تدرين الشمس ان جمعت * بالبدر بعد تمام النور تنهكه

والطير ان الف الغصن الرطيب وقد * مادت به الريح هل يخفى تحركه

وفي الابيات مع ما ذكروصفها بالشمس فتكون هي المفيدة للمحاسن والآخذة لها كما بين الشمس والبدر ثم جعلها غصنا يميل مع الهواء والقلب طائر عليه وكل ذلك زيادة على المطلوب

فورد خدودها ما لاح الا
وأحرق عاشقيه بجلنار
فصف لي شعرها الليل وطول
وقل في الخصر قولا باختصار
تدير اناملا اشفتها عقارا
قريب العهد من كاس مدار

(ومنها)

عذمتك يا عذولي فيه قل لي
اذا لاح العذار فما اعتذاري
كأنك ما شعرت بان حبي
غدا بعذاره حسن الشعار
غدوت مكاتبا فيه بخط
قريب الشكل من قلم الغبار
سقاني من مقبله شرابا
طهورا والمدنس باعتصار
وأعقب وصله هجرا فقلبي
على حرف من الهجران هار
اذا ما قادني يوما هواه
مشيت وقطر دمعي كالقطار
أيطعمني بخفض العيش دهري
وجرى الدمع فيه على الجوار

(وقلت أيضا) من قصيدة أمدح بها مولانا السلطان حسن

ترادفت التهاني والسرور
وبشرنا بوصلكم بشير
وبات بقلعة الجبل انشراح
وافراح وأحباب حضور
بروح الافق فيها فرقدين
وافق بروجها فيه بدور
تغازل بالالواحظ في دجاها
فما نامت ولا فترالفتور

(ومنها)

أغار من النسيم بها اذا ما
تصافح كفه فيها الستور
اذا اشرقت ذوائبها تبدي
لميت الحب في الدنيا نشور

اما وصف خفقان القلب من غير نظر الى اعتذار عنه فكثير قال ابن سنا الملك

أما والله لولا خوف سخطك * لهان على ما ألقى برهطك

ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبي وقرطك

وقال معين الدين

لم أنسه اذ قال ابن محاسني * حذرا على من الخيال الطارق

فاجبت في قلبي فقال تعجبا * أرأيت عمرك ساكنا في خافق

وقد نسب ابن تقي الى الجفوة في قوله

ومهفهف مالت به سنة الكرى * زحزحته شيأ وكان معانقي

أبعدته عن أضلع تشتاقه * كي لا ينام على وساد خافق

فقيل انه لو قال باعدت عنه أضلعا لكان أولى بالمقام

* (فصل في مراتب الغيرة وما توقعه بالمحب من الحيرة) * وهي باعثة نفسية مادتها المروأة والمحبة ثم تزيد وتختلف بحسب الدواعي والاشخاص والمحمود منها ما كان واقعا عند مشاهدة نقص في ناموس الهي وحكم ديني ونمط شرعي فتبعث المتانة في الدين والمروأة على اصلاح ما نقص باليد ان أمكن ثم اللسان ثم القلب وهذا هو الذي ترجمه الشارع بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم توسع الناس فيها فأضافوا اليها سوء الظن فوقعوا بذلك في مفاسد كثيرة كنهي بعض جهلة المتصوفة عن ذكر الله غيرة عليه واحتجوا الصلاة وغير ذلك مدعيا انه ليس بأهل لها وقتل بعض العشاق من يتوهم منه ميلا الى محبوبه بل نفسه بل معشوقه ولهم فيها كلام كثير في قوالب شتى فبعضهم يغار من السواك والشربة والثوب وأمثال ذلك غير اني لم أر من غاص على لطائف هذا المعنى وتظرف في هذا المبنى الطف من بهاء الدين زهير حيث غار من التلفظ بالحروف التي في اسم محبوبه فلله دره من غائص على نفائس الجواهر الفكرية ومستخرج لها من بحور الاذهان الى بحور الالفاظ الرسمية وذلك قوله

وأنزه اسمك ان تمر حروفه * من غيرتي بمسامع الجلاس

فأقول بعض الناس عنك كناية * خوف الوشاة وأنت كل الناس

الا ان فيه بحسب ما يظهر مناقشة فان ظاهر كلامه انه يجوز التلفظ باسمها من فم نفسه بمسامع الجلاس وذلك غير جيد وأدق منه وأسلم وان كان هذا أسبق قول يزيد بن معاوية

الا فاملا لي كاسات خمر وغن لي * بذكر سليمى والرباب وتنعم

واياك ذكر العامرية انني * أغار عليها من فم المتكلم

أغار على أعطافها من ثيابها * اذا لبستها فوق جسم منعم

وأحسد كاسات تقبل ثغرها * اذا وضعتها موضع اللثم في الفم

ومن لطيف كلام ابن أبي الحديد في هذا المعنى

فيارب بغضها الى كل صاحب * سواي وقبحها الى كل ناظر

و بغض اليها الناس غيري كما أرى * قبحا سواها كل باد وحاضر

فيا جنة فيها العذاب ولم أخف * حلول عذاب في الجنان النواضر

ومما ينسب الى قيس

أرى الازار على ليلى فاحسده * ان الازار على ما ضم محسود

وذوات الحجال وما في معنى ذلك من ذكر موالاتهم ووصف آلاتهم (أقول) هذا باب عقدناه لذكر من استراح من العناء بسماع الغناء من كل محب يشبب بالشباب ويغني بالرباب فهو يضرب بالعود ويجمع من المذكر والمؤنث بين الشيء وضده لا يلهيه غير ملاهيه ولا سيما اذا كان في الغناء ممن يعرف الصواب ويقيم الاعراب ويشبع الالحان ويعدل الاوزان ويصيب أجناس الايقاع ويعطي النغم حقه من الاشباع ويختلس مواضع النبرات ويستوفي ما شاكلها من النقرات ويحسن الاختلاس وملء الانفاس وغير ذلك مما هو معروف عند أرباب هذا الشان من القيان ممن جمع في ذلك بين الحسن والاحسان كما قيل

ما تغنت الا تفرج هم
عن فؤادي وأقلعت أحزان
يفضل المسمعين طيبا وحسنا
مثل ما يفضل السماع العيان

والناس في الغناء كلهم عبيد معبد واسحق الموصلي اللذين هما أطبع المتقدمين في الغناء فيما حكاه غير واحد من أرباب التاريخ وفي معبد يقول حبيب

محاسن أوصاف المغنين جمة
وما قصبات السبق الا لمعبد

وقال البحتري يصف صهيل فرس

هزج الصهيل كأن في نغماته
نبرات معبد في الثقيل الاول

ومعبد هذا كان منقطعا الى البرامكة ومات في أيام الرشيد وأخباره أشهر من أن تذكر وقد ذكرها صاحب الاغاني وغيره وأما اسحق الموصلي فانه كان من أهل العلم والادب والرواية والتقدم في الشعر وسائر المحاسن أشهر من ان يوصف وهو الذي صحح اجناس الغناء وميز طرائقها تمييزا لم يقدر

وقال أبو تمام بنفسي من أغار عليه مني * وتحسد مقلتي نظري اليه
ولو اني قدرت طمست عنه * عيون الناس من حذري عليه
حبيب بث في قلبي هواه * وأمسك مهجتي رهنا لديه
فروحي عنده والجسم خال * بلا روح وقلبي في يديه

وبما سنح لي في ذلك قولي

نظرت اليها والسواك قد ارتوى * بريق عليه الطرف امسى باكي
تردده من فوق در منضد * سناه لانوار البروق يحاكي
فقلت وقلبي قد تفطر غيرة * أيا ليتني قد كنت عود أراك
فقالت أما ترضى السواك اجبتها * وحقك مالي حاجة بسواك

(فصل في أحكام اسرار المحبة وما فيها من اختلاف آراء الاحبة) قد اختلفت آراء الحذاق وتشعبت مرادات العشاق فمن ذاهب الى ان الافضل خزن الاسرار وان ذلك من فعل الاحرار ومن قائل ان افشاءها يسر القلب ويسري الكرب ومن قائل بالتفصيل وان الاذاعة الى المحبوب مطلوبة اذ هو الطبيب وكتم العلة عنه تعذيب وأما الاباحة لغيره فغير جائزة في مذهب المحبين وفاعلها ممقوت ومن أكبر المذنبين وهذا الطريق قد ادعى في ديوان الصبابة انه الكاشف عن وجهه نقابه ولا والله ما فيه ذره ولم يكن ارتضع من هذا الثدي دره وانا انبه على من استنتج هذه الآراء المحررة ودون هذه المذاهب المحبرة فاقول اعلم ان الطرق الثلاث موجودة في كلام صاحب النفحات القدسية والالطاف الربانية المعطر بنفثات فيه الاقطار القائم بأعباء المحبة والاسرار قطب دائرة الوجود على رغم كل معارض سيدي عمر بن الفارض أفاض الله علينا من امداداته وشملنا بالطاف عناياته فمن كلامه في المذهب الاول وهو الحقيق بالنصرة وعليه المعول

وللحب اقوام كرام نفوسهم * منزهة عما سوى الحب يا خلي
اذا أودعوا اسرا رأيت صدورهم * قبور الاسرار تنزه عن نقل

ومن قوله في المذهب الثاني وهو صريح في استيفاء الشروط المذكورة

وأبثثتها ما بي ولم يك حاضري * رقيب بها يغني سري بخلوة جلوتي

ومن قوله في المذهب الثالث بل هو أعم من هذا المشرب وقابل لكل مطلب

ويحسن اظهار التجلد للعدا * ويقبح غير العجز عند الاحبة

ثم لهج الناس بهذه الطرق فمن قول بعضهم في المذهب الاول

باح مجنون عامر بهواه * وكتمت الهوى فمت بوجدي
فاذا كان في القيامة نودي * من قتيل الهوى تقدمت وحدي

وأما كلام السهروردي فكأنه وقف عن كلا الطرائق وتردد وحيرة للعاشق وهو

وارحمة للعاشقين تحملوا * ستر المحبة والهوى فضاح
بالسر ان باحوا تباح دماؤهم * وكذا دماء العاشقين تباح
واذا هم كتموا تحدث عنهم * عند الوشاة المدمع السفاح

وللواثق في المذهب الثاني

ظهر الهوى وتهتكت أستاره * والحب خير سبيله اظهاره

عليه احد قبله ولا بعده من تدقيق المجاري وتمييز الاصناف التي جعلوها صنفا واحدا وهي في نفسها كذلك ولكنها تفترق عند متيقظ مثله ومن كلامه حدود الغناء اربعة النغم والتأليف والايقاع والقسمة وكان قد سأل المأمون أن يكون دخوله مع أهل العلم والادب لا مع المغنين فاذا أراد للغناء دعاه فاجابه الى ذلك وقال الواثق ما غناني اسحق قط الا ظننت انه زيد في ملكي وان اسحق لنعمة من نعم الملك التي لم يحظ احد بمثلها ولو أن العمر والنشاط مما يشترى اشتريته له بشطر ملكي وجلس عند ابراهيم بن مصعب للشرب فسقى الغلمان من حضر وجاء غلام قبيح الوجه بقدح الى اسحق فلم يأخذه منه فقال له ابراهيم الا تشرب فقال

أصبح نديمك أقداحا تسلسلها
من الشمول وأتبعها باقداح
من كف ريم مليح الدل ريقته
بعد الهجوع كمسك أو كتفاح
لا تشرب الراح الا من يدي رشا
تقبيل راحته أشهى من الراح

فدعا بوصيفة تامة الحسن في زي غلام عليها أقبية ومنطقة فسقته حتى سكر ثم أمر بتوجيهها اليه بكل ما معها في داره (ومما) لحنه اسحق وله حكاية ظريفة

قل لمن صد عاتبا * ونأى عنك جانبا
قد بلغت الذي أردت وان كنت لاعبا
واعترفنا بما ادعيت وان كنت كاذبا

وقد تركت حكاية هذه الابيات خوف الاطالة وهذا القدر كاف في أخبار اسحق في هذا الموضع (وحكى) أبو الفرج انه أهديت للرشيد جارية في غاية الجمال فخلا معها في قصره يوما واصطبح فكان من حضر من جواريه للغناء والخدمة ما يزيد عن ألفي جارية في احسن زي من الثياب والجواهر فوصل الخبر الى ام جعفر فعظم ذلك عليها وأرسلت الى علية أخت الرشيد تشكو اليها فارسلت اليها علية

عندك والبسيهن أنواع الثياب
والجواهر حتى ألقى عليهن الصوت مع
جوارى ففعلت أم جعفر ما أمرتها به
علية فلما صلى الرشيد العصر لم يشعر
الا وعلية قد خرجت عليه من قصرها
ومعها ما ينيف عن ألفى جارية عليهن
غرائب اللباس وكلهن فى نغمة واحدة
يغنين بهذين البيتين

منفصل عنى وما * قلبى عنه منفصل
يا قاطعى قل لى لمن
نويت بعدى أن تصل

قال فطرب الرشيد وقام على رجليه
حتى استقبل أم جعفر ومعه علية وهو
فى غاية السرور وقال لم أر كاليوم سرورا
قط وقال لمسرور الخادم لا تترك فى
الخزانة مالا الا نثرته فكان مبلغ ما نثره
فى ذلك اليوم ستة آلاف ألف درهم
وما سمع بمثل ذلك قط (وحكى) عن
القاضى أبى عبد الله محمد بن عيسى انه
خرج الى حضور جنازة وكان لرجل
من اخوانه منزل بالقرب من مقبرة
فعزم عليه فى الميل اليه فنزل واحضر له
طعاما فغنت جارية

طابت بطيب لثاتك الاقداح
وزهى بحمرة خدك التفاح
واذا الربيع تنسمت أرواحه
نمت بعرف نسيمك الارواح
واذا الحنادس أسبلت ظلماءها
فضياء وجهك فى الدجى مصباح

فكتبها القاضى طربا بها على ظهر يده
ثم خرج قال راويه فلقد رأيته يكبر على
الجنازة وهذه الابيات على ظهر يده
(وما أحسن قول بن تميم فى عوادة)

وفتاة قد راضت العود حتى
راح بعد الجماح وهو ذليل
خاف من عرك اذنه اذ عصاها
فلهذا كما تقول يقول

(وقال آخر)

سقى الله أرضا أنبتت عودك الذى * زكت منه أغصان وطابت مغارس

فنم

فاعص العواذل فى هواك مجاهرا * فألذ عيش المستهام جهاره

ولبعضهم فيه

فبح باسم من تهوى ودعنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

ولبعضهم فى المذهب الثالث

يا موقد النار الهابا على كبدى * اليك أشكو الذى بى لا الى احد
اليك اشكو الذى بى من هواك فقد * طلبت غيرك للشكوى فلم أجد

ومن ظريف قول بعضهم

وقائلة ما بال جسمك لا يرى * سقيما واجسام المحبين تسقم
فقلت لها قلبى بحبك لم يبح * لجسمى فجسمى بالهوى ليس يعلم

وللابرى فى نصرة الاول

فظن بسائر الاخوان شرا * ولا تأمن على سر فؤادا

والطف منه قول ابى جعفر الشطرنجى

فلا تخبر بسرك بل امته * وصير من حشاك له حجابا
فما أودعت مثل النفس سرا * ولا اغلقت مثل الصدر بابا

ولقد أحسن بعضهم والطف وأبدى ما هو ادق والطف حيث قال

ومستودعى سرا تقصيت سره * فاودعته من مستقر الحشا قبرا
وما السر فى قلبى كميت بحفرة * لانى أرى المدفون ينتظر الحشرا
ولكننى اخفيه حتى كأنه * من الدهر يوما ما احطت به خبرا

ولبعضهم

يا ذا الذى اودعنى سره * لا ترج ان تسمعه منى
لم أجره بعدك فى خاطرى * كأنه ما مر فى ذهنى

فهذا وامثاله من اكبر الدوال على ان المذهب الاول هو الصحيح المعتبر وما اتهم به بعض الشراح عارف الزمان ولسان الحضرة الالهية وموضع الاسرار الربانية سيدى عمر بن الفارض من انه نصر المذهب الثانى قوله

وليسوا بقومى ما استعابوا تهتكى * فابدوا قلى واستحسنوا فيك جفوتى
واهلى فى دين الهوى اهله وقد * رضوا فيك عارى واستباحوا فضيحتى

فممنوع لان التهتك الذى اراده هو الاشتهار بالعشق لا اذاعة الاسرار بدليل قوله رضوا فيك عارى يعنى ان اهل الهوى عندهم هم الراضون بعشقه العادون عاره فى ذلك خصلة جيدة فاين هذا مما نحن فيه وقد اسلفت فى المقدمة ان دقائق هذا الاستاذ ليس فى طوق البشر من حيث هو بشر الاحاطة بها فاذا استدلينا بشئ منه فهو استئناس لاهل الترسم فى مشربهم وفيما ذكرت من قصة المنام كفاية للتأمل وبالجملة فافشاء السر بلاء عظيم ومذلة لا يرتضيها عاقل واغرب بعضهم ففسر قول بعضهم (وكل حديث جاوز اثنين شائع) بان المراد بالاثنين الشفتان وقلت من الاول

لقد أودعتنى سرها فكتمته * ولولا الهوى ما غير البعد خاطرى
ولكن جوى الكتمان صعد مهجتى * وقطرها دمعا جرى من محاجرى
فشف نحول السقم جسمى من الذى * كتمت فابدته هنالك سرائرى

فنم به الواشـون بيني وبينها * فصـدت وقالت لا وفاء لغادر
فقلت وقد ضاقت هنالك مذاهبي * ومن كان قدما عاذلي صار عاذري
فمن شافعي يوما اليها ومالكي * هواها ومن سري بحدث ظاهري
ومن الثالث يا معشر العشاق اوصيكم * بكتم اسرار الهوى والغرام
الا مع المحبوب في خلوة * فنم كتم السر عندي حرام
ومنه ايضا بوصلك والود الذي كان بيننا * حلفت ولا والله ما انا غادر
لانت أعز الناس عندي وسرك * بقلبي باق يوم تبـلى السرائر
فان لم يجد لي الدهر منك بخلوة * ففي الحشر تشكوه اليك الضمائر

(فصل في ذكر المغالطة والاستعطاف واستدراك ما صدر عن المحبوب من الانحراف)

وهو عبارة عن احتيال بلطافة على المحبوب يبلغ من احكمه غاية المطلوب وموضوعه عود الالفة بعد النفور ومادته أقيسة شعرية غالبها الزور وغايته الوصول الى المطلوب واستمالة قلب المحبوب وما الطف ما قيل فيه لابن الاحنف

كأن لم يكن بيني وبينكم هوى * ولم يك موصولا بحبلكم حبلي
واني لأستحيي لكم من محدث * يحدث عنكم بالملالة والمطل
وقال آخر أتنسب لي ذنبا ولم آت مذنبا * وحملتني في الحب ما لا أطيقه
وما طلبي للوصل حرص على البقا * ولكنه أجل اليك أسوقه

وقال ابن أبي حجلة
لم أطلب الوصل من أجلي فديتك يا * من زاد قلبي سوادا منه شامات
لكن خشيت بان تبلى بحب رشا * يقتص لي منك والدنيا مكافاة
وقال جميل وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا * سوى ان يقولوا انني لك عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبيبة * الي وان لم تصف منك الخلائق

وقال ابن سنا الملك
وغانية لم تعد عشرين حجة * أقول لها قولا لديه صواب
عليك زكاة فاجعليها وصالنا * لانك في العشرين وهي نصاب
وقال بعضهم قم بنا يا نور عيني * نجعل الشك يقينا
فالى كم يا حبيبي * يأثم القائل فينا
وقلت تملكت أوصاف المحاسن والبها * وزينت أرباب اللطافة والعقل
فـذا أعجز الحساد شئ تقوله * رموك باوصاف القطيعة والبخل
فلا تثني بالهجر زور كلامهم * ولكن صلني وابطل الزور بالنقل
ولا تمطلني بالوعد قلبا معذبا * وان صح ان الشئ يعذب بالمطل

(فصل في ذكر الرسل والرسائل وتلطف الاحباب بالوسائل)

وهو باب قد لهج به لسان كل عاشق وترجمه كل رائق وموضوعه الاستعطاف بالانصاف ومادته زخرفة القول وغايته طلب الائتلاف ومن الطف ما وقع فيه كلام الواوا الدمشقي

بالله ربكما عوجا على سكني * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحدثاه وقولا في حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه

فانظر بدائع ما خصت به الشجر
فغنت على عوده الاطيار مفصحة
غضا فلما ذوى غنى به البشر
فلا يزال عليه أو به طرب
يهيجه الاعجمان الطير والوتر
(وقال ابن حجاج)
هذا ومحسنة بالعود عاشقها
بذلك الطيب في الاحسان مشرور
اذا انثنت وتغنت خلت قامتها
غصنا عليه قبيل الصبح شحرور
(وقال آخر)
وجارية اذا غنتك صوتا
فـالك من فراق الحلم بد
كأن يسارها في العود برق
ويمناها اذا ضربته رعد
(وقال آخر)
أشارت باطراف لطاف كأنها
أنابيب در قمعت بعقيق
ودارت على الاوتار جسا كأنها
بنان طبيب في مجس عروق
(وقال النور الاسعردي في جنكية)
لبنت شعبان جنك حين تنطقه
يغدو باصناف ألحان الورى هازي
لا غرو ان صاد ألباب الرجال لها
اما تراه يحاكي مخلب البازي
(وقال) الصلاح الاربلي وأحسن ما شاء
الجنك مركب عقل في تشكله
والرق قلع له الاوتار أطناب
يجري بريح اشتياقي في بحار هوى
يؤم ساحل وصل فيه أحباب
(وقال ابن دانيال في دفية)
ذات القوام الذي يهتز غصن نقا
لو مر يوما عليه طائر صدحا
تبدي على الدف كالجمار معصمها
انقره ببنان يشبه البلحا
غناؤها مرقص الريح تمزجه

فان تبسم قـولا في ملاطفة * ماضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا السكاني وجهه غضب * فعاطاه وقولا ليس نعرفه

وقال آخر
ألا يا نسيم الريح بلغ رسالتي * سليمى وعرض بي كأنك مازح
فان اعرضت عني فقوه مغالطا * بغيري وقل ناحت بذاك النوائح

وقال القاضي مجد الدين
شكر النسمة أرضكم * كم بلغت عني تحيه
كم قد أطالت بل أطا * بت في رسائلها الزكيه
لا غـرو ان حفظت أحا * ديث الهوى فهي الزكيه

وهو مأخوذ من كلام الصلاح الصفدي
يا طيب نشر هب لي من أرضكم * فاثار كامن لوعتي ونهتكي
أهدى تحية كم وأشبه لطفكم * ورويشذا كم ان ذاريح ذكي

و يجب اختيار الرسول وأن يكون ذا عفة وصيانة ومروأة وديانة لئلا ينقلب عند مشاهدة المحبوب عاشقا و يخاص من سلطان المحبة والمطلوب ان يكون بالحجة ناطقا وللعشاق في هذا المساق كلام لا تحصره الا وراق قال ابن سنا الملك

راح رسولا فجاءني عاشقا * وعاقه عن رسالتي عائق
وعاد لا بالجواب بل بجوى * اخرسه والهوى به ناطق

وقال ايضا
راح الرسول اليه وهو مفند * رجع الرسول الي وهو متيم

وما ألطف قول الارجاني في هذا المعنى
قسما لقد رجع النسيم عليلا * لما سرى مني اليك رسولا
ودرى بحبك انه قد خانني * فقد اعترمن الحياء ذبولا

ومن ألطف ماوقع في الرسائل من النكت العجيبة والطرق الغريبة الناشئة عن فرط الذكاء الذي يغلب نوره على ابن ذكاء ان ابن السلطان صلاح الدين افتتن بقينة حتى تملك حبها قلبه فعلم ابوه امره فنمعه عنها فازداد غمه فأرسلت اليه كرة عنبر فلما كسرها وجد فيها زرا من ذهب فلم يدر ما ارادت بذلك فأطلع على سره القاضي الفاضل فقال

اهدت لك العنبر في وسطه * زر من التبر قليل اللجام
فالزر والعنبر معناهما * زر هكذا مختفيا في الظلام

ومثله ان رجلا دعا محبوبته الى النزهة فارسل اليها مروحة وباقة نرجس وسكر نبات وشرابة وعودا فأرسلت اليه بخيط احمر وصبارة وثلاث كونات سود وغاسول وزر وفي ذلك من لطيف الاشارة مايدق عن الافهام فانه أراد بالمروحة نروح و بالنرجس الى الزهر و بالسكر النبات نبيت ليلة و بالشراب نشرب و بالعود الغناء وأرادت بالخيط الاحمر انها حائض و بالصبارة ان تصبر و بالثلاث كونات ثلاث ليال و بالغاسول الاغتسال و بالزر الزيارة بعد ذلك وقلت ولم اسبق الى هذا المعنى فيما اظن

رسولي تلطف واجهد كرى لما فان * رأيت الرضا في وجهها فابسط الشكوى
وان اعرضت فاطو الذي قد نشرته * ودعني بنيران الهوى في الهوى كوى
فقد ضرت أرضى كل ماترتضي به * واستعذب التعذيب في السر والنجوى

ما انثنت حين تغنى في مجالسهم * باطف ما عليه من مزيد
اذا ما اطربت نبا بالمثاني
تثنت بين رمان النهود
تغار السمر منها حين تبدو
كغصن البان في خدر البرود
باطراف من الحناء حمر
والحاظ كبيض الهند سود
سوالفها من الريحان أطرى
يواخيها الشقيق من الخدود

(وقال آخر)
يا بي اغاني مطرب
أبدا وترضاه النفوس
يشدو فنرنو بالكؤ
س له ونرقص بالرؤس

(وقال آخر)
و زامر يبعث في زمره
الى قلوب الناس أفراحا
كأن اسرافيل في نايه
ينفخ في الاموات أرواحا

(وقال آخر في مشبب)
ومطرب قد رأينا في انامله
شبابة اسر والنفس أهلها
كانه عاشق وافت حبيبته
فضمها بيديه ثم قبلها

(وقال ابن قرناص في مليح مشبب)
مشبب بجفاه راح يقتلنا
فان تداركنا بالنفخ أحيانا
هو يت تشبيبه من قبل رؤيته
والاذن تعشق قبل العين أحيانا

(وقلت أنا)
رعى الله أرباب اليراع فانهم
أزاحوا اعتذاري عنهم بالهوى العذري
مواصيلهم من نفخهم كل ساعة
جلبنا الهوى من حيث أدري ولا أدري

(وقلت أيضا ملغزا في شبابة)
ومأخوذة ان نطاقت رأينا

فعادرسولى بعدعقل وحكمة * باضعاف ماعندى من العشق والبلوى
ولم ارض ارسال النسيم لانه * يرى البث فى التدبير من سائر الادوا
فيفقت عليه عشقها ان يعله * فاجمل وزر السقت فى حمله أقوى

و يمكن تنزيل كلام عارف الوقت فى هذا المنوال وسبكه فى قالب هذا المثال حيث يقول

وتلطف واجرذ كرى عندهم * علهم ان ينظر واعطفا الى

فان فى قوله تلطف غاية الخضوع المستجلب لرضا المحبوب بعد نفور القلب وما احسن قوله واجرذ كرى فانه الطف من واذ كرنى لهم لانه طلب مطلق اجراء الذ كروهو يحتمل معانى كثيرة وكذا قوله عندهم اى ولو على سبيل الهذيان اومحادثة غيرهم فانى استاهل لمشافهتهم بذكرولهذا لم يقل واجرذ كرى اليهم الى غير ذلك مما لواخذنا فى بيان دقائقه لم تسعه دفاترولم تقم بحمله خواطر ومامن مشرب للعشاق باطن او ظاهر الا ويوجد فى مطاوى كلامه ولكن بلسان اهله

(فصل فى ذكر الاحتيال على طيف الخيال) وهو امر مهم عند اهل الغرام يتوصل اليه بالمنام وانما تدعو الحاجة اليه عند طول الهجر وشدة الضجر ومقاساة نار الملل والسهر ولم ار فيه ألطف من كلام أستاذ الوجود وقطب مراتب اهل الشهود وسيدى عمر بن الفارض نفعنا الله بمدده بل اظنه السابق الى هذا المنوال والفاتح فيه باب الاحتيال حيث قال

نصبت على عينى لتحصيل غمضها * لزورة زور الطيف حيلة محتال
فما اسعفت بالغمض لكن تعسفت * على بدمع دائم الصب هطال

ففى البيتين مع ماطلبه من التحسين البديعى مالايخفى

(وقال ابن النقيب فى المعنى)

نصبت جفونى للخيال حبائلا * لعل خيالا فى الكرى منه يسنح
وكيف اذا اغمضتهن أصيده * ومن عادة الاشراك للصيد تفتح

(وتلطف ابن نباتة فى اخذه فقال)

واقسم لو جاد الخيال بزورة * لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

(وتلطف ابن السروجى بقوله)

انعم بوصلك لى فهذا وقته * يكفى من الهجران ماقدذقته
انفقت عمرى فى هواك وليتنى * اعطى وصالا بالذى انفقته
يامن شغلت بحبه عن غيره * وسلوت كل الناس حين عشقته
انت الذى جمع المحاسن وجهه * لكن كنز تصبرى فرقته
قال العواذل يدعى بك نسبة * فسررت لما قلت قدصدقته
بالله ان سألوك عنى قل لهم * عبدى ومملوكى وما اعتقته
اوقيل مشتاق اليه فقل لهم * أدرى بذاوانا الذى شوقته
ياحسن طيف من خيالك زارنى * من فرحتى بلقائك ماحققته
فضى وفى قلبى عليه حسرة * لوكان يمكننى الرقاد لحقته

(وابن السروجى) هذا ذكره فى منازل الاحباب فى عشاق الغلمان وفى ثمرات الاوراق سماه تقى الدين ونقل عنه بعض هذا الشعر ولم يسم معشوقه والشاهد من شعره هنا البيتان

رأيت لهم معى فيها نصيبا ينازعنى هواها كل صب * وان لم تشبه الرشا الربيبا فكم من عاشق فيها
وكم جمعت بمجلسها حبيبا
تجدد لى اذا نطقت سرورا
يعيد زمانى البالى قشيبا
أرق من النسيم الرطب صوتا
واسرع فى الورى منه هبوبا
تغازل دائما بعيونها من
يطارحها التغزل والنسيبا
فدع لومى اذا ماهمت فيها
وانشدنى من الشعر الغريبا
وشبب لى بها أبدا وقل لى
ضروب الناس عشاق ضروبا
فاعذرهم محب ذو ملال
واعذرهم اشبهم حبيبا
(وقال) المصيص الخياط يهجوعوادا
واذتربع لاتربح بعدها
وغدا يحرك عوده متقاعسا
فكان جرذان المدينة كلها
فى عوده يقرضن خبزا يابسا
(وقال آخر)
غنى أبو الفضل فقلنا له
سبحان خالقه من الفضل
فناوله حدعلى شربه
فاشرب فانت اليوم فى حل
(وابلغ) ماقيل فى ذم المغنى قول كشاجم
ومغن بارد النغمة مختل اليدين
مارآه احد فى * دار قوم مرتين
(وقال آخر)
ومغن بارد * اذهب اللذات عنا
فسألناه سكوتا * فابى يسكت عنا
فشتمناه فغنى * فاشتفى الفؤاد منا
(وقال آخر)
مغنية ومالفاظها
يميت السرور ويحيى الكروبا
مقبحة الوجه مفلوجة
فلاللنكاح ولاللطروبا
(وقال آخر)

ولرب زامرة يهيج زمرها * ريح البطون فليتها لم تزمر
شبهت انملها على ضربانها * وقبيح مبسمها الشنيع الابخر

الاخيران وانما ذكرناه كله لحسنه ومن المكثرين من ذكر الخيال حتى ضربت به الامثال البحترى ومن قوله فيه

ولم انس اسعاف الكرى بدنوها * وزورتها بعد الهدو ولم تدر
اذا الليل أعطانا من الوصل بلغة * ثنتنا تباشير الصباح من الفجر

(وقوله) وليلة هومنا على العيس اقبلت * بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثى * بعطفى غزال بت وهنا اغازله
فكم من يد لليل عندى حميدة * وللصبح من خطب تذم هواثله

(وقال عبد الصمد)

واصل النوم بيننا بعد هجر * فاجتمعنا ونحن مفترقان
غيران الارواح خافت رقيبا * فطوت سرها على الابدان
منظر كان لذة القلب الا * انه منظر بغير عيان

(وقال ابن القطان)

زار الخيال نحيلا مثل مرسله * فما شفانى منه الضم والقبل
ما زارنى قط الا كى يوافقنى * على الرقاد فينفيه ويرتحل

وقد أنشدهما بوما عند الوزير الزينبى وادعى انه لايمكن تثليثهما فانشد الحيص بيص بديهة

ومادرى أن نومى حيلة نصبت * لطرفه حين أعيا اليقظة الحيل

(وقال ابن العفيف)

ياحبذا طيفك من قادم * يا أحسن العالم فى العالم * طيف تجلى نوره ساطعا
حتى رأته مقلة النائم * ياغائبا يحكم فى مهجتى * على طابت غيبة الحاكم
غاره على حسنك ان يشتكى * حظى منه انه ظالمى

(وأحسن كشاجم حيث قال)

لقد بخلت حتى بطيف خيالها * على وقالت وحشة لتحيبى
أخاف على طيفى اذا جاء طارقا * وسادك ان يلقاه طيف رقيب

(وقال آخر)

وزارنى طيف من اهوى على حذر * من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا
فكدت اوقظ من حولى به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بى شغفا
ثم انتبهت وآمالى تخيل لى * نيل المنى فاستحالت غبطتى أسفا

(وقال ابن المعتز)

أبصرته فى المنام معتذرا * الى مما جناه يقظانا
ولان حتى اذا هممت به * أنبهت عند الصباح لا كانا

(وقلت) مليكة الحسن ماشئ يقال له * نوم فان جفونى ليس تعرفه
هل تسمحين بشئ منه يطرقنى * فيه خيالك ان القلب يألفه
يحيا به ميت عشق لاحراك به * لطول هجرك كاد الشوق يتلفه

ثم تشعبت آراءهم فى التفنن فى الخيال (فمنهم) من رده ملالا وضجرا ويشبه هذا ماسبق من حمله الضجر على ترك من هجر (فمنهم) طرفة ويقال انه أول من ذكر الخيال وفى ديوان

(وقال آخر)

كانها فى حالة العيان
خنافس دبت على ثعبان

(ومااحسن) قول الوجيه الدروى فيمن يغنى بالرباب ويجمع بين الاحباب

لاتبعثوا بسوى المهذب جعفر
فالشيخ فى كل الامور مهذب
طورا يغنى بالرباب وتارة
يأتى على يده الرباب وزينب

(الباب التاسع والعشرون فى ذكر من ابتلى من اهل الزمان بحب النساء والغلمان) اقول هذا باب عقدناه لذكر عشاق زماننا هذا وهم ماهم تعرفهم بسيماهم فمنهم من اتصف بالانصاف وسلك طريقة السلف فى العفاف وهذا النوع فيما يظهر أعز من الكبريت الاحمر لم اره ولارأيت من رآه وان وجدت اسمه فأين مسماه فاشهد بصدق مقالتى

أولا فكذبنى بواحد

هيهات بل قصارى اهل هذا العصر ان يعشق احدهم بكرة ويواصل الظهر ويسلو العصر وعلى هذا حكاية بعض العلماء من اهل المدينة فيما حكاه عمرو بن شيبة قال كان الرجل يحب الفتاة فيدور بدارها حولا يفرح ان رأى من رآها فاذا ظفر بها فى مجلس تشاكيا وانشدا الاشعار واليوم يشير اليها وتشير اليه فيعدها وتعده فاذا التقيا لم يشكوا حبا ولم ينشدا شعرا وقام اليها كانه على نكاحها امين الامناء كما قيل

لم يحظ من داخل الدهليز منصرفا
الا وخلخالها قد قارب الشنفا

وقال الاصمعى قلت لاعرابية ماتعدون العشق فيكم قالت العناق والضمة والغمزة والمحادثة ثم قالت ياحضرى فكيف هو عندكم قلت يقعد ما بين رجلى معشوقته ثم يجهدها قالت ياابن اخى ما هذا عاشق هذا طالب ولد

الصبابة ان أول من ذكره عمرو بن قمئة وان طرفة أول من طرده فقال

فقل لخيال الحنظلية ينقلب * اليها فاني واصل حبل من وصل

(وتلاه جرير فقال)

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعي بسلام

وسيأتي لهذا البيت حكاية في الخاتمة نذكر هنالك من رد عليه (ومنهم) من اعتذر عن قدم بعث الخيال بقوله

سامحت كتبك في القطيعة عالما * ان الصحيفة أعوزت من حامل

وعذرت طيفك في الجفاء لانه * يسري فيصبح دوننا بمراحل

(ومنهم) من ذم النوم في قالب الاعتذار عن طيف الخيال كأنه يقول ان المنغصات في الدنيا لا تنفك عن الانسان حتى في النوم ألا ترى ان من يحلم بمحبوبه أو شيء من مطلوبه ينتبه فلا يرى الا الاسف والقلق وزيادة الحرق وان حلم انه أحدث أو ضرب رأى ذلك في الصباح ولما كان خيال المحبوب من التلذذات لم يأت النوم به جريا على عوائد الزمان في الاتيان بغير الملائم للانسان وما أحسن قول المتنبي في هذا المعنى

واحسب اني اذ هويت فراقكم * أفارقكم والدهر أخبث صاحب

فياليت ما بيني وبين أحبتي * من البعد ما بيني وبين المصائب

ومن ذم المنام والرؤية فيه قول بعضهم

أرى في منامي كل شيء يسوءني * ورؤياي بعد الصبح ادهى وأقبح

فان كان خيرا فهو أضغاث حالم * وان كان شرا جاءني قبل أصبح

(وقال المعري)

الى الله أشكو انني كل ليلة * اذا نمت لم أعدم خواطر أوهام

فان كان شرا فهو لاشك واقع * وان كان خيرا فهو أضغاث احلام

(وقال الاحنف العكبري)

واحلم في المنام بكل خير * فاصبح لا أراه ولا يراني

ولو ابصرت شرا في منامي * لوافى الشر من قبل الاذان

(وقلت) لك الحمد اني لم أبت قط ليلة * من الدهر خلوا من أليم النوائب

وفي النوم ان أحلم بشيء يسوءني * من الصبح يأتيني بسوء العواقب

وان كان خيرا لا أرى منه ذرة * لسوء مزاج أو قران كواكب

(ومنهم) من تظرف في وصف النوم وابليس بالقيادة قال ابن المعتز

ألم الخيال بلا عده * وابدا لي الوصل من صده

وكم نومة لي قوادة * أنت بالحبيب على بعده

(وقال آخر) تركت هجا ابليس ثم مدحته * وذلك الامر عز عند سلوكه

يقرب من أهواه حينا فان أبى * حكاه خيالا في الكرى فانيكه

وعما يصلح ايراده هنا للمناسبة ان بعض المغفلين أحب امرأة واجهد نفسه حتى اجتمع بها فنام فقالت له لم تفعل ذلك قال من شوقي اليك لعلي أراك في النوم فقالت انا عندك بنفسي فقم فانظرني

(وسئل) اعرابي عن ذلك فقال هو مص الريقة ولثم الثغر والاخذ من اطايب الحديث بنصيب فكيف هو عندكم ايها الحضري فقال العض الشديد والجمع بين الركبة والوريد وهز يوقظ النيام ويوجب الآثام فقال تالله ما يفعل هذا العدو فكيف الحبيب قلت وقد تقدم ان الملوك ليسوا كغيرهم في العشق وان الملك العظيم قد يعشق ولا يذهب به عشقه الى ترك تدبير ملكه وهنالك طبقة أخرى دون الملوك اذا عشقوا لم يتفرغوا لاشتغالهم بصنائعهم وطبقة اخرى يخلون بأديانهم ومروءتهم فمن شغل قلوبهم بما لا يحل لهم ويحرم عليهم وما سوى هؤلاء فان عشقهم عرض من الاعراض بل مرض من الامراض اذا وصلوا اليه أسرعوا بانصرافهم عنه وربما صار هجرانا بل عداوة الى آخر العمر وهذا هو الغالب على أهل زماننا هذا وهو افسد انواع الحب اذ يوجد عند الفراغ ويذهب عنه الشغل ويحدث عند غلبة الشهوة ويتلاشى بتلاشيها فهو واضعف الاعمالة وامر صاحبه سهل اذ هو يسلو بالجفاء ويحب بقليل الوفاء ومن كانت هذه حاله سهل أمره وانطفأ بالبولة جمره فمن أهل هذا العصر من اقتصر على دمية القصر فهام بالحسناء من النساء ومنهم من خلع في الامرد العذار وقال للسلو فمن وجنته الحمراء النار ولا العار ومنهم من قرن بين الفريقين وجمع من المذكر والمؤنث بين الضدين فتراه يأتي على ما حضر ولا يتوقف عند صورة من الصور كما قيل

انا الرجل البصير بكل امر

دخلت من التصابي كل باب

فيهوى المرد والشبان قلبي

ولا يأبى مواصلة الكعاب

(وقد زاد ديك الجن على هذا حيث قال) أعشق المرد والنكاريش والشيب وعندي مثل البنين البنات حذ ما يشتهي ويعشق عندي

بعدما يشكو عندي حيوان فيه روح
(وقال ابن تميم مضمنا)
ومعشر عدلوا لما ركبت على
أحوى محاسنه قبحن فعلهم
دع يعذلوا ما استطاعوا واتى رجل
لو استطعت ركبت الناس كلهم
(وقال بعض مشايخ العصر)
وعارض قد لام في عارض
وطاعن يطعن في سنه
وقال لي قد طالت ذقنه
فقلت لا افكر في ذقنه
(وقال ايضا)
شيب وجدي بشائب
من سني البدر أوجه
كلما شاب يحيى * بيض الله وجهه
(وقال ايضا بعض مشايخ العصر)
وقد عنفوني في هواه بقولهم
ستطلع منه الذقن فاصبر على الحزن
فقلت لهم كفوا فاني واقع
وحقكم بالوجد فيه الى الذقن
(وقال ايضا بعض مشايخ العصر)
وكامل العارض قبلته
فصد في وازور من قبلتي
وقال كم انهاك عن فعل ذا
وانت ما تفكر في لحيتي
(وكتبت انا الى بعضهم)
ليهن مولانا حبيب لم يزل
بوصله في كل حين محسنا
كم زينته لحية في وجهه
انبتها الله نباتا حسنا
(فكتب الى الجواب عن ذلك)
يا مادحا اللحية سلوانيا
عن روضها المانزها ان يحسنا
مذ انبتت فيه نباتا حسنا
قبلتها منه قبولا حسنا
(فكان كما قيل)

* (فصل في أحكام الليل والنهار وذم قصرهما عند الوصل وطولهما عند الهجر والنفار وتمني طول زمن الوصل والرضا وقصر الهجر وقطعه أسرع من القضا وما تشعب في ذلك بين العشاق وذهبوا كل مذهب على اختلاف الاذواق) * فمما قال متحمسهم بعد الجهد والغلبة ومرارة الصبر بعد فراق الاحبة

يا ليل طل أولا تطل * لابد لي ان أسهرك لو بات عندي قمري * ما بت أرعى قمرك

وما ألطف قول بعضهم في طول الليل وهجر الحب

رقدت ولم ترث للساهر * وليل المحب بلا آخر

(وقال آخر)

مات الظلام بليل * أحييته حين عسعس
لو كان لليل صبح * يعيش كان تنفس

(وقال ابن منقذ)

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه ثباتا
وبنات نعش في الحداد سوافر * أيقنت ان صباحهم قد ماتا

(وقال بعضهم)

وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها * وهجره النار يصليني بها النارا
فالشمس بالقوس امست وهي نازلة * ان لم يزرني وبالجوزاء ان زارا

(حكي) ان محمدا سئل عن معنى هذين البيتين فقال هذا راجع الى النجوم وقام مسرعا وآلى على نفسه ان لا يجلس في حلقة حتى ينظر في النجوم (وقال بعضهم) في قصر ليل الوصال

يا ليلة كادمن تقاصرها * يعثر فيها العشاء بالسحر

وقال بعضهم وقد جمع وصف الزمانين

تهدي بنا ورداء الليل مشتمل * والليل أطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلي مذ بانوا فديتهم * ليل الضرير فصبحي غير منتظر

وقال الشريف بن الهبارية

لقد ساهرتني عيون الدجى * وقد نام عني عيون الملاح
اذا ما اشتكى الليل هجر الصباح * شكوت الى الله هجر الصباح

(وقال الفاضل في زمن الوصل)

بتنا على حال يسر الهوى * وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل وقلنا له * ان غبت عنا هجم الصبح

وقال الارجاني معتذرا عن طول ليل الهجر

لا ادعي جور الزمان ولا ارى * ليلي يزيد على الليالي طولا
لكن مرآة الصباح تنفسي * لهم اصدا وجهها المصقولا

(وقال امرؤ القيس)

وليل كموج البحر ارخى سدوله * علي بأنواع الهموم ليبتلي

(وقال المتنبي)

كم زورة لك في الاعراب خافية * ادهى وقد رقدوا من زورة الذيب
ازورهم وسواد الليل يشفع لي * وانثني وبياض الصبح يغري بي

تحاشي لتلى عن هواه بتوب * هو دون كل العالمين حبيب اهواه طفلا في القماط وأمردا * وبلحية واذا علاه مشيب

في هذا البيت من الانواع حسن المقابلة وفيه مقابلة خمسة بخمسة ولكن نقد عليه في مقابلة الصبح بالليل لان الجزء لا يقابل بالكل فلو قال النهار كان اولى وللمتنبي دقائق لطيفة ألا ترى الى قوله

وكم لظلام الليل عندي من يد * تخبران المانوية تكذب

فان المانوية فرقة تقول ان الآلهة اثنان اله الظلمة واله النور والاول لا يفعل الا الشر والثاني لا يفعل الا الخير فنقول ان زيارة المحب اعظم خير فعلته الظلمة وقد كذبوا في قولهم

(وقال ابن رشيق)

ايها الليل طل بغير جناح * ليس للعين راحة في الصباح
كيف لا ابغض الصباح وفيه * بان عني نور الوجوه الملاح

وانما اكثروا من ذكر الليل دون غيره لانه محل سكون الحواس وهدو الانفاس وخلو النفس بعد انطباق مسالك التشعبات عنها فتستجلب الافكار الخفيات فيما مضى وما هو آت واما النهار فالافكار فيه منتشرة والشواغل مستكثرة فهو محل الاستغراق وقلة الاعلاق ومحل التسلية عن الاشواق اللهم الا شخصا قد ملك الحب قياده فلا يلهيه شيء ولا ينسيه مراده (وقلت جامع الغالب هذه المعاني)

بذكرك يا من في هواها مضى حالي * شغلت فما منه أرى ابدا خالي
فنيت عن الاغيار فيك صبابة * فغيرك لم يخطر مدى الدهر في بالي
ولو زارني طيف الخيال لقال لي * ألا انعم صباحا ايها الطلل البالي
سوى قصر أعوام الوصال وصدها * دقيقة هجران تقطع اوصالي
فيا من لها بالحسن يوسف قد حبا * ووالده بالحزن في الدهر اوصى لي
متى تنعمي والشمس بالقوس ليلة * وفي ضده يوما على رغم عذالي

(وقلت ايضا مخترعا فيما اظن)

ألوم جميع العاشقين لذمهم * ضيا الصبح في تفريق شمل الحبائب
وما الصبح بل ما الشمس لولا جبينها * يفيض الضيا في شرقها والمغارب
وهلا سألتم شعرها ستر وجهها * اذا شئتم طول اختبالك الغياهب

(فصل) فيما ذكروا شتهر على ألسنتهم من لوم العذول وسوء عقله الذي اوقعه في الفضول وكيف ادخل نفسه بين الاحباب حتى ابتغضت منه اهل الآداب فوجهوا اليه سنان اللسان والاقلام فامتحن طعنا بكل نثر ونظام فقد قيل ليس من العدل كثرة العذل ومن تكلم بما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه ومن لم يسلك مسلكا استغنى عنه من الكلام فهو احق بالملام وليس في هذا الباب الطف من كلام سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته حيث قال

دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى * فاذا عشقت فبعد ذلك عنف

(وقال بعضهم)

يا عاذلي في هواه * اذا بدا كيف اسلو
يمر بي كل وقت * وكلما مر يحلو

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

يا من اذا باعت الابصار اسودها * بحبة فوق خديه فقد ربحت
يزيد في العذل تبريحا لسر به * فليت عذالي في فيك ما برحت

وقال ابن العفيف التلمساني

(وقال ايضا) بعض مشايخ العصر وقد عشق شيخا
كلفت به شيخا كان مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد
أخو العقل يدري ما يراد من الفتى
امنت عليه من رقيب ومن ضد
وقالوا الورى قسمان في شرعة الهوى
لسود اللحى ناس وناس الى المرد
فقلت لهم لو كنت أصبو لامرد
صبوت الى هيفاء مياسة القد
وسود اللحى أبصرت فيهم مشاركا
فاثرت أن أبقى بابيضهم وحدي

(وقال آخر وقد عشق عجوزا)

كلفت بها شمطاء شاب وليدها
وللناس فيما يعشقون مذاهب

(وقال) ياقوت الحموي وقد ظلم اهل الموصل من خصهم بالنسبة الى اللواط حتى ضرب بهم المثل (وقال فيهم الشاعر)

كتب العذار على صحيفة خده
سطرا يلوح لناظر المتأمل
بالغت في استخراجه فوجدته
لا رأي الا رأي اهل الموصل

ولقد جبت البلاد ما بين جيحون النيل فما رأيته لا يخرج عن هذا المذهب فلا أدري لم يخص به أهل الموصل قيل وليس الامر كذلك كما ادعى ياقوت من كل وجه لان مجرد الميل الى الذكر لا تخلو منه بقعة انما أهل الموصل يزيدون على ذلك بانهم يميلون الى أصحاب الذقون وربما مالوا الى من في عذاره شيب ويقولون هنا شعرة وشعرة أي شعرة سوداء وشعرة بيضاء وبعضهم يسميه ذرزور يا وهذا قل ان يوجد في غير بلادهم وقد رموا بهذا من بين أهل البلاد وأهل الاسكندرية لانهم يقولون ما نعطي فلسنا الا لمن ينفقها على عائلته وليداته ما نعطيها لمن يأكل بها حلاوة قال الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية في كتابه روضة المحبين بعد ذكر قصة عاد وما افضى اليه بهم الهوى من الهلاك الفظيع والعقوبة المستمرة ثم قصة قوم صالح كذلك ثم قصة العشاق أئمة الفساق كما

اسرفت في اللوم ولم تقصر * وزدت في ذلك يا ذا العذول
قد رضيت نفسي بمحبوبها * وانما المولى كثير الفضول

(وقال والده) ولي على عاذلي حقوق هوى * شكري عليها من بعض ما يجب
لام فلما رآه هام به * فكنت في عشقه أنا السبب

(وقال بعضهم)

قد اقتصر اللاحي وجاء يلومني * وزخرف لي زور الكلام بعينه
وقال سل عن هذا وعد عن غرامه * فقلت له هذا الفضول بعينه

وانشد ابن وكيع وقد عشق غلاما نصرانيا ولامه عليه صاحبه فمر بهما المعشوق ولم يدر العاذل انه هو فقال له لو عشقت هذا ما لمتك عليه فانشد

أبصره عاذلي عليه * ولم يكن قبلها رآه * فقال لي لو عشقت هذا
ما لامك الناس في هواه * قل لي الى من عدلت عنه * فليس اهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدري * يأمر بالحب من نهاه

وقال شيخ الشيوخ بحماة

زعموا انني هويت سواكم * كذبوا ما عرفت الا هواكم
قد علمتم بصدق مرسل دمعي * فسلوه ان كان قلبي سلاكم
قال لي عذلي متى تبصر الرشد وتسلو فقلت يوم عماكم

(وقال بعضهم)

ان قوما يلحون في حب سعدى * لا يكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها فلاموا عليها * اخذوا طيبا واعطوا خبيثا

(وقال آخر) من منصفي من عاذل جاهل * يخون باللوم لمن لا يخون
ان قلت ما نصحك الا أذى * قال وما عشقك الا جنون

وقال محمد بن شرف الدين القيرواني

يقول لي العاذل في لومه * وقوله زور وبهتان
ما وجه من أحببته قبلة * قلت ولا قولك قرآن

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

ايها العاذل الغبي تأمل * من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان في الليل والنهار عجائب

(وقال ابن عبد الظاهر)

كم على عاذلي وكم لحبيبي * ذاك تكبيرة وذا تهليله * يا ثقاتي وأين مني ثقاتي
أين من يبتغي الى الوسيلة * أنا ان مت قبلوني اليه * فحياتي وحقه تقبيله

(وقال قابوس)

من عاذري في عاذل * يلوم في حب رشا اذا طلبت وصله * قال كفى بالدمع شا

(وقال الوداعي)

يا لائمي في هواه * أفرطت في اللوم جهلا ما يعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

(وقال البهاء زهير)

الذكران وتاركي النسوان وكيف أخذهم * وهم في خوضهم يلعبون وقطع دابرهم وهم في سكرة عشقهم يعمهون وكيف جمع عليهم من العقوبات ما لم يجمعه على أمة من الامم اجمعين وجعلهم سلفا لاخوانهم اللوطية من المتقدمين والمتأخرين قال لما تجرؤا على هذه المعصية وتمردوا ونهجوا لاخوانهم طريقا وقاموا بها وقصدوا ضجت الملائكة الى الله من ذلك ضجيجا وعجت الارض الى ربها من هذا الامر عجيجا وهربت الملائكة الى أقطار السموات وشكتهم الى جميع المخلوقات وهو سبحانه قد حكم أنه لا يأخذ الظالمين الا بعد اقامة الحجة عليهم والتقدم بالوعد والوعيد اليهم فلما خالفوا الرسول المرسل اليهم ووقعت الحجة عليهم فعل الله تعالى بهم ما اخبر به في كتابه العزيز فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد فهذه عاقبة اللوطية عشاق الصور وهم السلف واخوانهم بعدهم على الاثر

فان لم يكونوا قوم لوط بعينهم
فما قوم لوط منهم ببعيد
وانهم في الخسف ينتظرونهم
على مورد من مهلة وصديد
يقولون لا اهلا ولا مرحبا بكم
ألم يعدكم ربكم بوعيد
فقالوا بلى لكنكم قد سننتم
صراطا لنا في العشق غير حميد
أتيتنا به الذكران من عشقنا لهم
فاوردنا ذا العشق شر ورود
فانتم بتضعيف العذاب احق من
متابعكم في ذلك غير رشيد
فقالوا وأنتم رسلكم انذرتكم
بما قد لقيناه بصدق وعيد
فما لكم فضل علينا فكلنا
يذوق عذاب الهون ذوق مزيد
كما كلنا قد ذاق لذة وصلهم * ويجمعنا في النار غير بعيد (وحكى) قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان

وظني

وظبي حكى ريم الفلا في نفاره * فما باله لم يحكه في التلفت
يدافعني عن وصله بتعهم * فياليته لو كان يدفع بالتي

(وقال شيخ الشيوخ بحماة)

أبغض العشاق منه انني * لم أبح في حبه وشدي بغي
قلت قد أضنيت جسمي قال قد * قلت كي تذهب روحي قال كي

(وقال أيضا) اليكم هجرتي وقصدي * وفيكم الموت والحياة
(حشوا) أمنت أن توحشوا فؤادي * فآنسوا مقلتي ولاتو

(وقال ابن مطروح)

والله ماخطر السلو بخاطري * مادمت في قيد الحياة ولا اذا

(وقال آخر) لورأى وجه حبيبي عاذلي * لتفارقنا على وجه جميل

(وقال آخر) قل للعذول أطلت اللوم في قمر * يزيد في كل يوم حسنه نورا
ان كنت تزعم مافي حسنه عجب * قم فانظر الورد في خديه منثورا

(وقال محيي الدين البغدادي)

ان لامني من لاراه فقد * جار على الغائب بالحكم
وان نهاني من لاراه فقد * أضله الله على علم

(وقال البهاء زهير)

أنت الحبيب الاول * ولك المنا المستقبل
عندي لك الود الذي * هو ماعهدت وأكمل
القلب فيك مقيد * والدمع فيك مسلسل
يامن يهدد بالصدو * دنعم تقول وتفعل
قد صح عذرك في الهوى * لكنني أتعلل
قل للعذول لقد أطلت الى من تقول وتعذل
عانيت من لايرعوى * وعذلت من لايقبل
غضب العذول أخف من * غضب الحبيب وأسهل

(وقال ابن أبي حجلة)

وعاذل بالغ في عذله * وقال لما هاج بلبالي
بعارض المحبوب ماتنتهي * قلت ولا بالشيب والوالي

(وقال آخر) وشادن مبتسم عن شنب * مورد الخد مليح الشنب
يلومني العاذل في حبي له * ومادرى شعبان اني رجب

المراد بشعبان العاذل وبرجب الاصم وهي أسماء كانت مشهورة في الجاهلية

(وقال السراج الوراق)

قلت اذ جرد لحظا * حده يدني الاجل ياعذولي كف عني * سبق السيف العذل

هذا مثل سائر أصله ان سعدا وسعيدا ابني ضبة خرجا لحاجة فرجع سعد دون أخيه فكانت العرب اذا عاد الرجل منهم من سفر يقول له سعد ام سعيد فيقولون سعد ان رجع بفرصة وان عاد بدون فرصة يقول سعيد وان أباهما خرج مع رجل حتى بلغ موضعا فقال له

عن الاصمعي انه قال دخلت يوما أنا وأبو عبيدة المسجد فاذا على الاسطوانة التي يجلس اليها أبو عبيدة مكتوب على نحو سبعة أذرع

صلى الاله على لوط وشيعته
أبا عبيدة قل بالله آمينا
فانت عندي بلا شك بقيتهم
منذ احتلمت وقد جاوزت سبعينا

قال لي يا أصمعي امح هذا فركبت ظهره ومحوته بعد ان أثقلته فقال اثقلتني وقطعت ظهري انزل فقلت له بقيت الطاء فقال هي شر حروف هذا البيت وقيل انه لما ركب على ظهره وأثقله قال له عجل فقال قد بقي لوط فقال من هذا يهرب وكان الذي كتب ذلك ابو نواس (قلت) وقد جاء في تفسير قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض ان فسادهم كان اللواط

(فصل في النظر الى وجه الامرد) ذكر الحافظ محمد بن ناصر من حديث مجالد عن الشعبي قال قدم عبد القيس على النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم غلام امرد ظاهر الوضاءة فاجلسه عليه الصلاة والسلام وراء ظهره وقال كانت خطيئة من مضى النظر (وفي الكامل) عن ابي هريرة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحد الرجل النظر الى الغلام الامرد وكان سعيد بن المسيب يقول اذا رأيتم الرجل يلح بالنظر الى غلام امرد فاتهموه وصرح الشيخ محيي الدين النووي في المنهاج بتحريم النظر الى وجه الامرد بشهوة او بغير شهوة وذكر الخطيب من حديث عبد الرحمن ابن واقد عن عمرو بن ازهر عن ابان عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتجالسوا اولاد الملوك فان الانفس تشتاق اليهم مالا تشتاق الى الجواري العواتق * وكان ابراهيم النخعي وسفيان الثوري وغيرهم من السلف ينهون عن مجالسة الامرد وقال النخعي مجالستهم فتنة وانما هم بمنزلة النساء (حكى) عن أبي سعيد الخزاز وكان من المشايخ

ابليس فى منامى وهو يمر عن ناحيته فقلت تعالى فقال أى شئ أعمل بكم أنتم

المعروفين بالزهد والعبادة أنه قال رأيت طرحتم عن نفوسكم ما اخادع به الناس قلت وما هو قال الدنيا ثم قال غير ان لى فيكم لطيفة قلت وما هى قال صحبة الاحداث فاخذت العصا الاضر به فقال أنا ما اخاف من العصا انما اخاف من نور القلب (قال فتح الموصلى) صحبت ثلاثين شيخا من الابدال كلهم يقولون اياك ومعاشرة الاحداث (وحكى) ابو عبد الله احمد بن الجلا فقال كنت امشى مع استاذى فرأيت حدثا جميل الصورة فقلت اترى يعذب الله هذه الصورة بالنار فقال او نظرت اليه سوف ترى غبها قال فنسيت القرآن بعد عشرين سنة ومن المعلوم أن النظار الى الامرد يوقع فى سكرة العشق كما قال تعالى من عشاق الصور لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون فالنظر كاس من خمر والعشق هو سكر ذلك الشراب وسكر العشق اعظم من سكر الخمر فان سكران الخمر يفيق وسكران العشق لم يفق الا وهو من عسكر الاموات

سكران سكر هوى وسكر مدامة
ومتى يفيق فتى به سكران

(انشدنى بعض مشايخ العصر)

يا من غدا بالمرد ذا الوعة
ما انت فى جبهم بالمصيب
فى الخرد العين الذى تشتهى
منهم و يفضلن بحب الحبيب

(وقال آخر)

حبك الغلمان ان أمـ
ـكنك النسوان غبن
انما يفسق فى الظهـ
ـر اذا اعوز بطن

على ان عشق النسوان ايضا والنظر الى من لا يجوز النظر اليها فيه ما فيه مما لا يدرك تلافيه وقد ثبت فى الصحيحين من حديث اسامة بن زيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء وكان

الرجل قد قتلت هنا رجلا وأخذت منه هذا السيف وناوله ضبة فعرفه فجرده وضرب الرجل فعذل فقال ضبة سبق السيف العذل (وقال شيخ الشيوخ بحماة)

أعاذلى ليس مثلى من تفنده * وليس مثلك مأمونا على عذل
مادمت خلوا فما تنفك متهما * اعشق فقولك مقبول على ولى

(وقالت) لقد ضلت العشاق عن سنن الهوى * تلومهم العذال وهو عجيب
أما ذو الجنون مع ذى جهالة * لدى الشرع حتى يرعوى ويتوب
وما عاذل ذاق الهوى فيذمه * ويعذل صبا ان جفاه حبيب

(فصل فى أحكام الزيارة وما جاء فى قضاها من البراعة والعبارة وتفنن العشاق فى فضل زيارة الحبيب وايثار أنفاسه على نفائس الطيب) * قيل كان الشافعى رضى الله عنه يكثر من زيارة أحمد وكان احمد يقل من زيارته هيبة له فقيل للشافعى انك لتزوره أكثر وهو المحتاج اليك فانشد

قالوا يزورك أحمد وتزوره * قلت الفضائل لا تفارق منزله
ان زارنى فبفضله أو زرته * فلفضله فالفضل فى الحالين له

وقد أبدع لسان الحقيقة وواسطة عقد الطريقة سيدى عمر بن الفارض أفاض الله علينا من مدده فى هذا الباب حيث يقول

ولما توافينا عشاء وضمنا * سواء سبيلى دارها وخيامى
فرشت لها خدى وطاء على الثرى * فقالت لك البشرى بلثم لثامى

جعل الزيارة تفضلا منها ثم أشار الى أخذه فى أسباب السعى اليها بل شروعه فى ذلك رفعا لجانبها من التكاليف الكلى كأنه يقول انه ليس أهلا لها ثم فرش خده فى مقابلة السعى ولم يقل لها فقط بل أطلق فى جعله على الثرى المحتمل انها وطئته وانها لم تطأه وفى ذلك غاية رفع شأنها لمن يتأمل فلذلك عقبه أيضا بغاية رفع شأنه منها بما كثر مما كان يؤمله ولذلك لم تسمح نفسه بما سمعت له به غيرة كما صرح به هضما لجانبه عن هذا المقام كما أشار اليه ولما أعطى المقام حقه ونقلته العنايات الى محل الكرامات والحظوة بنيل المرادات اشار الى ذلك بقوله بعد البيت الذى تضمن ما ذكرنا

منت ولم تعتب كأن لم يكن قلى * وما كان الا ان أشرت واومت

فانظر الى هذا الانتقال وصريح هذا المقال بعد ما قال

ومنت ما ضنت على بوقفة * تعادل عندى بالمعرف وقفتى

حيث عدد بارتهانه عليه الا بتوهم ما يأتى هضم جانبها ثم نفى عنها البخل ثم عتب بعد ذلك فاين هذا مما سبق فسبحان واهب الفضل لمن أحسن فى خدمته وقام بحقوق محبته ومن ألطف ما قيل فى الزيارة والعجلة قول العكوك

بابى من زارنى مكتتما * خائفا من كل شئ فزعا * زائر نم عليه عرفه
كيف يخفى الليل بدرا طلعا * رصد الغفلة حتى أمكنت * ورعى السامر حتى هجعا
ركب الاخطار فى زورته * ثم ما سلم حتى ودعا

(وقال ابن المعتز)

زارنى والدجى احم الحواشى * والثريا فى الغرب كالعنقود

وكأن الهلال طوق عروس * بات يجلى على غدائر سود
ليلة الوصل ساعدينا بطول * طول الله فيك غيظ الحسود
(وقال آخر) زارت على غفلة الرقيب * كظبية روعت بطيب
وكان وقت الوصال منها * اقصر من جلسة الخطيب
وقال عبد العزيز ويقال انه أصدق ماقالت الاواخر
يقولون لي بالله ما أنت فاعل * اذا زارك المحبوب قلت أنيكه
(قال ابن النبيه)
قلت لليل اذ حباني حبيبي * بعتاب يسبي النهى وعقارا
انت ياليل حاجبي فامنع الصبح وكن أنت يادجى بردا دارا
(وقال ابن العفيف)
ومليح كالبدر زار بليل * فجلى حسنه الدجى اذ تجلى
مادرى منزلي ولكن قلبي * بلهيب الجوى هواه ودلا
وعجيب منه فقيه ذكي * جهل النزاع كيف استدلا
وقال بشار ياأطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة اطراف المساويك
قد زرتنا زورة في الدهر واحدة * عودي ولا تجعليها بيضة الديك
انما قال ذلك لانه قد اشتهران الديك يبيض في عمره مرة ولم يذكر الطبيعيون ذلك واقول ان القياس لايأباه لما تقرر في الطبيعة من أن البيض الريحي فضلات غليظة هيأتها الحرارة والذكور يتوفر فيها ذلك على نحو المني الفاضل ولولا الحرارة الحلالة لكثر ذلك فيهم والممنوع بيض يولد النوع لعدم الزرع النامي ومن له يد في الفلسفة سهل عليه علم هذا وقال ابن ابي حجلة
زار الحبيب ووجهه الورد خجلان * فاصفر حين تثنى قده البان
قد كان ما كان من هجرانه زمنا * وقد وفى الآن فالعذال لا كانوا
ماضر في ضيق عيشي حين واصلني * سم الخياط مع الاحباب ميدان
(وقال ابن سكرة)
اهلا وسهلا بمن زارت بلا عدة * تحت الظلام ولم تحذر من الحرس
تسترت بالدجى عمدا فما استترت * وناب اشراقها ليلا عن الغلس
ولو طواها الدجى عنا لاظهرها * برق الثنايا وضوء البرق في الغلس
ومما ادرجوا اليه من ذكر زيادة الحبيب وصف عمره بالطيب قال ابن النبيه
ان جاء من يبغي لهم منزلا * فقل له يمشي ويستنشق
(وقال الطغرائي) فسر بنا في ظلام الليل معتسفا * فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل
(وقال آخر) لو كان يوجد ريح مسك فائحا * لوجدته منهم على أميال
(وقال المتنبي) ويفوح من طيب الثناء روائح * لهم بكل مكانة تستنشق
ومما ينخرط في سلك الزيارة وينتظم في عقد الاشارة ذكر العيادة ومايشير الى المحب فيها من الافادة وهي في الحقيقة زيارة بحيله تستعطف بها النفوس البخيلة قال الطغرائي
خبروها اني مرضت فقالت * أضني طارفا شكا أم تليدا

والخروج بعد زوجها من الباب أو الطاق كما قيل في معنى ذلك
شغل المرد بالبدال وأضحى
نسوة الناس شغلهم بالسحاق
كل جنس بجنسه قد تكفى
فعزاء يامعشر الفساق
(وحكى) عن بعضهم أنه قال لجارية تساحق ارجعي الى الحق فقالت الحق بعض مرادي تريد ان اسحق بعض حروفه الحق وهذا من الاجوبة اللطيفة فما احقها ان يقال في حقها
مغرمة بالسحاق أضحت
تبكي عليه بكل عين
فما كنفت في المتوك الا
تضيف اسحاق في حنين
(حكى) أن رجلا دخل الى بيت فوجد امرأتين وهما في السحاق فذهب التي هي من فوق وقعد مكانها وقال هذا عمل يحتاج الى حبال ورجال * وقال شيخنا زين الدين بن الوردي في نساء أهل العصر هذا الشعر
قولوا لمن تهوى السحاق الذي
حرمه الله ومافيه خير
أخطأت ياكاملة الحسن اذ
أقمت اسحاق مقام الزبير
(وقال آخر)
قل لمن تدعي السحاق الى كم تساحقي
ليس يشفي غليلك من جميع الخلائق
غير ذي الاضلاع الفقير الحايق الجوالق
(وقال ابن سناء الملك)
يامنه لاتستحي
مني قد انكشف المغطى
ان كان كسلك قدتنا
عب ان ارى قد قطى
(وقال بعض مشايخ العصر)
ارى اذا نديته * لحاجة تختص بي

قام لها بنفسه * ما هو الا مصيبه (وسألني) بعض الاصحاب ان أنظم له مثل هذا فقلت واستغفر الله وأتوب اليه تأخرت لحيضها

وأشار وابان تعود وسادى * فابت وهى تشتهى أن تعودا
وأتتنى فى خفية وهى تشكو * ألم الشوق والمزار البعيدا
ورأتنى كذا فلم تتمالك * ان أمالت على عطفا وجيدا

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)

ومملولة فى الحب لما أن رأت * أثر السقام بعظمى المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

(وقال آخر) لا تهجروا من لا تعود هجركم * وهو الذى بلبان وصالكم غذى
ورفعتمو مقداره بالابتدا * حاشا لكم أن تقطعوا صلة الذى

وعلى ذكر الذى والصلة قيل كتب ابن عنين وقد مرض الى الملك المعظم

انظر الى بعين مولى لم يزل * يولى الندى وتلاف قبل تلافى
أنا كالذى احتاج ما يحتاجه * فاغنم ثوابى والثناء الوافى

فحضر اليه وصحبته ثلثمائة دينار فقال أنت الذى وهذه الصلة وأنا العائد

(وما ألطف قول البهاء زهير فى المعنى)

يقولون لى انت الذى شاع ذكره * فمن صادر يثنى عليه ووارد
فقالت له هبنى الذى قد ذكرته * فاين صلاتى منكم وعوائدى

(وقال ابن عباد)

مرضت فاشفقت الزيارة عامدا * وما عن قلى أمسكتها لا ولا هجر
ولكننى اشفقت من أن أزوركم * فابصر آثار الكسوف على البدر

(الشهاب محمود)

رأتنى وقد نال منى النحول * وفاضت دموعى على الخد فيضا
فقالت بعينى هذا السقام * فقلت صدقت وبالخصر أيضا

(وقال الارجانى)

غالطتنى اذ كسا جسمى الضنى * كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت انت عندى فى الهوى * مثل عينى صدقت لكن سقاما

(ابن أبى حجلة) شكوت الى الحبيبة سوء حظى * وما قاسيت من ألم البعاد
فقالت انت حظك مثل عينى * فقلت نعم ولكن فى السواد

(ابن النقيب) ومابى سوى عين نظرت لحسنها * وذاك لجهلى بالعيون وفرقتى
وقالوا به فى الحب عين ونظرة * فقلت نعم عين الحبيب ونظرتى

(والكل مأخوذ من قوله)

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو عقلوا قالوا به نظرة الانس

(شمس الدين بن العفيف)

اسم حبيبى وما يعانى * قد خير خاطرى وابى
قالوا على فقلت قدرا * قالوا كوافى فقلت قلبى

(ابن الوكيل) وبى من قساقلبا ولان معاطفا * اذا قلت أدنانى يضاعف تبعيدى

يبادر بالقيام على الحراره
فاصبح لا يقوم لبدر تم
كأن النحس قد ولى الوزاره

(وقلت أنا)

يا ايران مرالحبيب مسلما
واشار نحوك دون كل الناس
فانهض لخدمته ولا تك احمقا
مافى وقوفك ساعة من باس

(وقلت) ايضا واستغفر الله العظيم من كل ذنب

لما وفى فى الصيام الحب انشدنى
ايرى وقال اشترط ماشئت واحتكم
فالامر أمرك ما عندى مخالفة
ان صمت صمنا وان افطرت لم نصم

(وحكى) قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان بعد أن رد قول بعضهم

ولقد قال لى صديقى لما
أن رآنى اضر بى الافلاس
قم تسكع بذا العمود فهذا الـ
ـايز يرجى بمثله ويراس
قلت قد كان ذا ولكن دهرى
أهله كله اثام خساس
أين من كان عندهم يرفع الايـ
ـر على الراحتين ثم يباس
أين من كان عالما بقادير
الايور الكبار مات الناس

فقال قيل ان الامير فخر الدين بن الشيخ رأى هذه الابيات مكتوبة على ظهر كتاب بخط شرف الدين بن قسيم الشام فكتب تحتها من خلف مثلك مامات

(وقال آخر)

زعموا أننى خسرت عليها
ليت شعرى من اين تلك الخساره
من مغل من ضيعتى من قماشى
من بقايا اموال تلك التجاره
حضرتنى فقام ايرى اذا
لك يحاكى بقطينة او خياره (وقال آخر) ويحك يا ايرى اما تستحى * تخجلنى ما بين جلاسى

تطلع من طوقي كذا عامدا * تنكس العمة عن راسي (وقال ابن مطروح)

أقر برق اذا أقول أناله * وكم قالها أيضا ولكن لتهديدي

(ومما أورده صاحب الدمية له)

عذيري من شاطر اغضبوه * فجرد لي مرهفا فاتكا

وقال أنا لك يا ابن الوكيل * وهل لي رجا سوى ذلكا

وتشبيهاته في نوع الزيارة كثيرة ذكرنا منها ما سمعت اذ لا يمكن استيعاب ذلك

(وقلت في اصل الزيارة)

زارت وقد أخفى نهار جبينها * ليل الشعور مخافة الرقباء

فوثبت اجلالا اقبل نعلها * بل تربه للبرء من أدوائي

قالت لك البشرى فطب نفسا بما * اوليت من نعم وحسن وفاء

بتنا وكل جوارحي تشكو لها * شوقي وما صنع الهوى بحشائي

فسكرت من ألفاظها ورضابها * مع لينها ومحاسن الحسناء

ونسيم انفاس لقلبي ارسلت * سحرا فأحيا ميت الاحياء

لله من وطر قضيت مؤازرا * معها بثوبي عفة وحياء

يا ليلة غلط الزمان بها ولو * وصلتها بالعمر كان مناقي

(وقلت ايضا) افدي التي زارت بلا موعد * في غفلة الواشين والجاني

والوجه منها روضة اينعت * ما استنهارا حة الجاني

قلت لاجني الورد من خدها * وهي بسيف اللحظ ترعاني

فقلت ماهذا وقد راعني * قالت حديد يمنع الجاني

واما كلام سيدي عمر بن الفارض في وصف طيب الحبيب فغاية لا يدركها اللبيب وذلك قوله ولو عبقت في الشرق انفاس طيبها * وفي الغرب مزكوم لعاد له الشم

فانه مع ذكر البعد فيما بين الجهتين مرصع بلطائف لا يهتدي اليها الا من خص بالعناية الا ترى الى وصفه الشام بالزكام المانع من الشم عادة وجعله في الغرب الذي يكثر الهواء منه لا اليه كما في القرينة الثانية وجعل المحبوبة في القطر الحار الذي تقوى فيه الرائحة اذا عبقت لشدة تحليل الشمس لما يحمله الهواء من تصعد البخار ومع ذلك يشم ومنه اخذت فقلت

لو اشتاقها في الغرب فاقد شمه * وكانت بأقصى الشرق شم نسيمها

(وقلت في العيادة)

اقول لها هل تسعفي بعيادة * مريضا كواه البين بالهجر والسقم

فقالت اذا ما فارق الروح زرته * لان محالا جمع روحين في جسم

ومما يتخرج على الزيارة تخريج الفروع على الاصول ويهتدى الى الحاقه بها اهل العقول ما جرى على ألسنة الاحباب من احوال العتاب وانقسام الناس فيه الى مادح له لانه أكيد المحبة وذام له بين الاحبة * والصحيح انما كذب الناقل وميز الحق من الباطل وأكد المحبة بعد النفور وبين للحبيب الزور فهو احق بان ينصر ومنه يستكثر قال في احياء علوم الدين ما معناه ان العتاب شأن اولي الالباب وقاطع لقطيعة الاخلاء والاصحاب وكان الرجل اذا وقع في نفسه من اخيه شيء لم يهجره حتى يوضح له ذلك فان انتهى والا هجره واما عتاب يفضي الى المقاطعة ويحدث الهجر والممانعة فقبيح يجب اجتنابه عقلا ونقلا وتركه فصلا

سألت من أمرضني * في قبلة تشفي الالم

فقال لا لا أبدا * قلت له نعم نعم

فقال غصبا قلت لا * الا سماحا وكرم

قال فسرا قلت لا * الا على رأس علم

قال فخذها بالرضا * مني حلالا وابتسم

فلا تسل عما جرى * واستغفر الله ونم

(الباب الثلاثون في ذكر من اتصف بالعفاف وباحسن الاوصاف) أقول هذا باب عقدناه لذكر أكثر المحبين ميلا وأطهرهم ذيلا وأحسنهم سيرة وأزكاهم سريرة وأعفهم مع القدرة ولا سيما بنو عذرة الذين هم أشد الناس غراما وأعظمهم هياما ولذلك قلت

وأقول العشق مع العفة في بني عذرة كثير والمقتول منهم عشقا جم غفير فان ذكر أحدهم بالعفة فجميل جميل الصفات صادق العزمات وسنورد من أخباره في هذا المقام ما يصدق هذه الدعوى ويحقق أن التسلي بالمحبوب عن غيره ضرب من السلوى (فمن ذلك) ما حكاه محمد بن جعفر الاهوازي قال مرض جميل بمصر مرضه الذي مات فيه فدخل عليه العباس بن سهل فقال له جميل ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ولم يقتل النفس ولم يسرق يشهد أن لا اله الا الله قلت أظنه قد نجا وأرجو له الجنة فمن هذا الرجل قال أنا فقلت له ما أحسبك سلمت وأنت منذ عشرين سنة تشبب ببثينة فقال اني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا فلا نالتني شفاعة محمد يوم القيامة ان كنت وضعت يدي عليها لريبة قط فما قنا حتى مات سنة اثنتين وثمانين من الهجرة ومن غريب ما حكاه الزبير من أخبار جميل أن بثينة المذكورة من بني عذرة وبنو عذرة قبيلة مشهورة بالعشق في قبائل العرب واليهم ينسب الهوى العذري لانهم اشد سائر خلق الله عشقا (قال سعيد بن عقبة) لاعرابي ممن انت قال من قوم اذا عشقوا ماتوا قال عذري ورب الكعبة

و وصلا وفيه قيل من سوء الآداب كثرة العتاب ومن امثالهم في الاول العتاب مفتاح الوصال قاطع للهجر والملال والى سلوك الطريقة الحسنة فيه اشار من امر بقتله وهو سعيد الكاتب بقوله

اقلل عتابك فالبقاء قليل * والدهر يعدل تارة ويميل
ولعل ايام الحياة قصيرة * فعلام تكثر عتبنا وتطيل

(وقال آخر) وبعض العتاب اذا ما رفقت * يباعد هجرا ويدني وصالا
فعاتب اخاك ولا تجفه * فان لكل مقام مقالا

(والى مكثر التقاطع اشار بالترك من قال)

لا تقرعن سماع من * تهوى بتعداد الذنوب
ما ناقش الاحباب الا * من يعيش بلا حبيب

(والى تأييد الاول أشار من قال)

فلا عيش كوصل بعد هجر * ولا شيء ألذ من العتاب
فلا هذا يمل حديث هذا * ولا هذا يمل من الجواب

(وقال آخر) وأحسن أيام الهوى يومك الذي * تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا * فأين حلاوات الرسائل والكتب

(ابن سنا الملك) وأملي عتابا يستطاب فليتني * أطلت ذنوبي كي يطول عتابه
ومن غرتي ذكر العذيب وبارق * وما هو الا ثغره ورضابه

(ابو نواس) أساء فزادته الاساءة حظوة * حبيب على ما كان منه حبيب
تعد على الواشيات ذنوبه * ومن أين للوجه المليح ذنوب

(الحكم بن قنبر)

كأنما الشمس في أعطافه طلعت * حسنا او البدر من أزراره طلعا
مستقبل بالذي يهوى وان عظمت * منه الاساءة معذور بما صنعا
في وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

(ابو فراس) قل لاحبابنا الجناة علينا * درجونا على احتمال الملال
أحسنوا في عتابكم أو أسيئوا * لا عدمناكم على كل حال

(وقال آخر) اذا مرضنا أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

(وقال آخر) عجبي عليك اذا خلوت كثيرة * واذا حضرت فانني مخصوم
لا استطيع اقول أنت ظلمتني * الله يعلم انني مظلوم

(وقال آخر) ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى * فؤادي ولكن للعتاب مواضع

(ابن المعتز) اقبل معاذير من يأتيك معتذرا * ان بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا

وقد قيل ان أفضل العتاب ما غرس العفو وأثمر المحبة وعتب يوجب العفو والصفاء أفضل من ترك يعقب الجفاء وجاء في تفسير قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل عن علي يعني اعف واصفح بلا عتاب وورد عنه صلى الله عليه وسلم من لم يقبل من متنصل عذرا صادقا او كاذبا لم يرد على الحوض (وما احسن قول القائل)

ذنبي اليك عظيم * وانت أعظم منه
فخذ بحقك أولا * فاصفح بفضلك عنه
ان لم أكن في فعالي * من الكرام فكنه

ثم قال ولم ذلك قال لان في نسائنا صباحة وفي فتياننا عفة (وقال) رجل لعروة بن حزام يا هذا بالله أصحيح ما يقال عندكم أنكم أرق الناس قلوبا قال نعم والله لقد تركت ثلاثين شابا في الحي قد خامرهم الموت ما لهم داء الا الحب (وقال) رجل من بني فزارة لرجل من بني عذرة تعدون موتكم بالحب مزية وفضيلة وانما ذلك ضعف بنية وضيق روية ورق وخور تجدونه فيكم يا بني عذرة فقال له والله لو رأيتم النواظر الدعج من فوقها الحواجب الزج من تحتها المباسم الفلج والشفاه السمر تفتر عن الثنايا الغر لاتخذتموها اللات والعزى ثم أنشد

تتبعت مرمى الوحش حتى رميتني
من النبل لا بالطائشات الخواطف
ضعائف يقتلن الرجال بلا دم
فيا عجبا للقاتلات الضعائف

(وقيل لبعضهم) ما كنت صانعا لو ظفرت بمن تحب فقال احل الخمار وأحرم ما وراء الازار واظهر للحب ما يرضي الرب (وقال) الحافظ ابو محمد الاموي ان امرأة يثق بها حدثته ان فتى علقها وعلقته وشاع امرهما فاجتمعا يوما خاليين فقال لها هلي نحقق ما يقال فينا فقالت لا والله لا كان هذا أبدا وانا أقرأ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (وقيل) لبعضهم وقد طال عشقه لجارية من قومه ما انت صانع ان ظفرت بها ولا يراكما الا الله قال والله لا جعلته أهون الناظرين لا افعل بها خاليا الا ما افعله بحضرة اهلها حنين طويل ولحظ من بعيد واترك ما يكره الرب ويفسد الحب (وقيل) لآخر ما كنت صانعا لو ظفرت بمن تحب فقال ضمها واثمها وعصيان الشيطان في اثمها ولا افسد عشق عشرين سنة بلذة ساعة تفنى ويبقى حسابها اني ان فعلت هذا للئيم ولم يلدني كريم (قلت) ومن اتصف من العفاف بأحسن الاوصاف من الخلفاء هرون الرشيد

وقال

(وقال آخر) ما احسن العفو من قادر * لاسيما من غير ذي ناصر
يا غاية القصد وأقصى المنى * وخير مرعى مقلة الناظر
ان كان لي ذنب ولا ذنب لي * فما له من غيرك غافر
أعوذ بالود الذي بيننا * ان يفسد الاول بالآخر
(وقال آخر) وزعمت اني ظالم فهجرتني * ورميت في قلبي بسهم نافذ
ونعم ظلمتك فاغتفر لي زلتي * هذا مقام المستجير العائذ
(ابن زيدون) يا قمرا مطلعه المغرب * قد ضاق بي في حبك المذهب
ألزمتني الذنب الذي جئته * صدقت فاصفح أيها المذنب
فان من أغرب ما مر بي * ان عذابي فيك مستعذب
(وقلت) رأيت أساليب العتاب كثيرة * وألطفها ما أكد الحب في القلب
اذا ما خلونا لم أجد ما أقوله * بلاذ سوى الشكوى اليها مع العتب
ومن ذكر المحبوب شيأ منفرا * عقوبته الهجران في مذهب الحب
ومن يرد ذنبا من حبيب فدع * وما الحب الا ان تنعم بالذنب

وهذا مستمد من مدد قطب هذا الوجود وانسان عين أهل هذا الشهود سيدي عمر بن الفارض حيث قال وكل الذي ترضاه البيت السابق وقد قال بعضهم عتاب المحبين الذلة في الاعتاب وخدمة الابواب وقال بعضهم كن اذا قابلت الحبيب مرآة ينتقش فيك ذنبك فتراه منك وتطلب صفحه عنك ولم يوضح هذا الطريق احد اجل من لسان العارفين وترجمان المحبين سيدي عمر بن الفارض حيث يقول

ولو عز فيها الذل ما لذ لي الهوى * ولم تك لولا الذل في الحب عزتي

(فصل ومما يلحق بالعتاب ويصلح ان يكون معه في باب) الصبر على تعنت المعشوق وتجنيه على الصب المشوق والصفح من التجني حين يذوق جناه ونسخ سخطه وظلمه بظلمه ورضاه وهو أصل عند العشاق يبنى عليه ويرجع في قواعد مذهب المحبين اليه كما قيل

شرط المحبة عند ارباب الهوى * ان المليح على التجني يعشق

لا يصدهم صدود ولا يثقون من سيوف اللحظ عند حد ولا تأخذهم فيه لومة لائم ولا يعدون جور ما يرد من الظالم من المظالم

(ابن النبيه) من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه * حلوا فقد جهل المحبة وادعى

ولقد تلطفت علية بنت المهدي في هذا المعنى حيث تقول

جبل الحب على الجور فلو * انصف المحبوب فيه لسمج
ليس يستحسن في شرع الهوى * عاشق يحسن تأليف الحجج

(وقال بعض الاعراب)

شكوت فقالت كل هذا تبرما * بحبي أراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الحب قالت لشد ما * صبرت وما هذا بفعل شجي القلب
وأدنو فتقصيني فأبعد طالبا * رضاها فتعتد التباعد من ذنبي
فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها * وتنفر من بعدي وتجزع من قربي
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها * أشيروا بها واستوجبوا الاجر من ربي

وذلك انه عشق جارية فلما راودها عن نفسها قالت ان اباك ألم بي فتركها وشغف بها حتى كاد يخرج على وجهه فكان ينشد

أرى ماء وبي عطش شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

فقال له القاضي أو كلما قالت جارية شيأ تصدق قولها فقال الرشيد ما فوق الخلافة مرتبة فانظر ما أحسن عفة الجارية وامتناع هرون الرشيد مع شدة شغفه بها (ودخل عليه) منصور بن عمار فاستدناه حتى ألصق ركبتيه بركبتيه فقال له منصور يا أمير المؤمنين تواضعك في شرفك أحب الينا من شرفك فقال عظني فقال من عف في جماله وواسى من ماله وعدل في سلطانه كتبه الله من الابرار فبكى الرشيد وقال زدني فقال لو طلبت شربة ماء فلم تجدها الا بنصف الدنيا أكنت تشتريها به قال نعم قال فلو تعسرت عليك بعد شربها أكنت تشتري خروجها بالنصف الآخر قال نعم قال قبح الله دنيا تشترى بشربة ماء وبولة (وحكى) عن السلطان ملكشاه السلجوقي انه حضرت بين يديه مغنية فأعجب بها واستطاب غناءها فهم بها فقالت يا سلطان العالم اني أغار على هذا الوجه المليح الجميل أن يعذب بالنار وان الحلال أيسر وبينه وبين الحرام كلمة فقال صدقت واستدعى القاضي وتزوجها وأقامت في عصمته حتى مات رحمه الله (وحكى) سهيل أكبر خدام السلطان نور الدين الشهيد أن السلطان المذكور اشترى مملوكا بخمسمائة دينار وخلعة وبغلة وكان جميل الصورة وسلمه الي وكنت قد ربيت السلطان فقلت في نفسي انا لله وانا اليه راجعون هذا ما اشترى مملوكا قط بخمسين دينارا فلم اشترى هذا بخمسمائة دينار ثم تركني أياما وقال أحضره مع المماليك يقف في الخدمة كل يوم فلما كان بعد أيام قال احضره بعد العشاء الى الخيمة وهم انت واياه على باب البرج

ولما كان التجني من المحبوب وتعنته الذي يكاد أن يفوت الغرض المطلوب يشتبه بالهجر والقطيعة ويعسر التفريق بينهما على من لم يخض لجة هذه الشريعة وجب بعد اذ أشرنا الى حقيقة الاول ان نشير الى الثاني ونذكر ماله من الاقسام والمباني سالكين في ذلك مسالك ديوان الصبابة اذلا مزيد في هذا المحل على تقسيماته المستطابة فنقول وقد قسم الهجر عند أهل المحبة بعد الاستقصاء الى اربعة اقسام

(القسم الاول هجر الدلال)

وهو الممدوح الصفات المقصود بالذات وسببه علم المحبوب بمكانته عند المحب وانه يتلذذ بالاساءة كما يتلذذ بالحسنة ولا تغيره الحوادث على اختلاف الازمنة ولهذا اذا صفت مرآة أهل المحبة اتحدوا في كل رتبة فيقبح لاحدهم بعد المبالغة في هذا الصفاء ان يعتقد ارتفاع الخلاف واتصاف كل أحد بما عنده من الاوصاف فانظر الى قول بهاء الدين زهير في قوله

عتب الحبيب فلم اجد * سببا لذاك العتب حادث

ما كنت اعلم انه * ممن تغيره الحوادث

فهو وان لم يقع منه ما يوجب التغير كما افهمه البيت الاول لم يعتقد تغير المحبوب بما يقع منه لانه هو كذلك وفي هذا الاصل كلام للعارفين وكل يأخذ ما يناسبه من الاشارات والبهاء زهير لا يكثر عليه مثل هذا اذ لقد سمعت مولانا عارف الوقت الشيخ شمس الدين البكري ادام الله مدده يقول انه كان اماما عارفا او ذا لسان عارف وعلامة هذا القسم الاسعاف بالمطلوب وان لم يكن كل آن والتلطف بالعاشق ورفع محله في غصون الهوان وهم يزون اليسير خطيرا والقليل كثيرا قال استاذ الوجود في هذا المعنى

ففي نظرة منها ولو عمر ساعة * ترى الدهر عبدا طائعا ولك الحكم

وفوق ذلك قوله رضي الله عنه

وان لم افز يوما اليها بنظرة * لعزتها حسبي افتخارا بتهمتي

ودون اتهامي ان قضيت أسى فما * اسأت بنفس بالشهادة سرت

فانظر كيف ارتضى بان يموت محبا وان لم يعلم به احد ويكون شهيدا مع ذلك فائزا بالسعادة في غاية الرضا بذلك بعد اذ سأل الوصل اولا ثم نظرة ما في يوم ما ثم التهمة بالمحبة الصادقة على العدم ثم هذه المرتبة وما احسن التكميل بعزة النظرة في هذا المقام وعلاج هذا القسم ينحصر في الصبر المقرون بالرضا ثم التسليم الخالي عن الشوائب المكدرة ومعنى قوله رضي الله عنه ولو عز فيها الذل يحقق ذلك واما قوله

ونفس ترى في الحب ان لا ترى عنا * متى ما تصدت للصبابة صدت

فزجر ينفي ويمنع غير النفوس الزكية والهمم العلية عن سلوك هذه المرتبة السنية (رجع الى كلام المترجمين) قال بعضهم هجر الدلال أعذب من الوصال

ويدل هجركم على * انى خطرت ببالكم

(وقال آخر) انى ساءني ان لتني بمساءة * لقد سرني انى خطرت ببالك

ويستحب لمن وسم بالجمال واخذ بقلوب النساء والرجال ان يكون كثير التدلل قليل التبذل فان ذلك ادعى للسلامة وأبعد عن الملامة (ابن وكيع)

قالوا عشقت كثير التيه ممتنعا * فقلت هيهات عنكم غاب اطيبه

فقلت في نفسي هذا الشيخ في زمان شبابه ما ارتكب كبيرة ولما كبر سنه يقع فيها والله لاقتلنه قبل ان يقع في المعصية فأخذت كتارة فأصلحتها وجئت بالمملوك وانا في قلق فسهرت عامة الليل ونور الدين في اعلى البرج ثم غلبتني عيني فنمت ثم استيقظت فوقعت يدي على وجه الغلام فاذا به مثل الجمرة وعليه حمى شديدة فرجعت به الى خيمتي واحضرت الطبيب فمات وقت الظهر فغسلته وكفنته ودفنته فدعاني نور الدين في اليوم الثاني وقال يا سهيل ان بعض الظن اثم فاستحييت فقال قد عرفت حالي وانت ربيتني هل عثرت لي على زلة قلت حاشا الله قال فلم جئت بالكتارة وحدثتك نفسك بالسوء ما انا معصوم لما رأيت المملوك وقع في قلبي منه مثل النار فقلت اشتريه امله يذهب عني ما انا فيه فلم يذهب فقالت لي نفسي أريد كل يوم أن أراه فأمرتك باحضاره فقالت اريد أن تحضره الى البرج بالليل فأمرتك باحضاره فلما حضر ما تركتني النفس انام وبقينا في حرب الى السحر فهممت ان اصعده الى عندي فتداركني الله برحمته فكشفت رأسي وقلت الهي عبدك محمود المجاهد في سبيلك الذاب عن دين نبيك صلى الله عليه وسلم الذي عمر المساجد والمدارس والربط تختم اعماله بمثل هذا فسمعت هاتفا يقول قد كفيناك يا محمود فعلمت انه قد حدث به حدث وأما انت فجزاك الله عني خيرا والله ان القتل عندي اهون من المعصية ثم احسن الي (وحكي) عن فاطمة بنت الخثعمي انها دعت عبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلى الله عليه وسلم الى نفسها للنور الذي رأته بين عينيه فأبى وقال

اما الحرام فالممات دونه

والحل لا حل فاستبينه

فكيف بالامر الذي تبغينه يحمي الكريم عرضه ودينه قلت قصة عبد الله مع فاطمة هذه مثل قولهم في المثل لو

لو جادها ان وقلت الجود عادته * وانما عز لما عز مطلبه

(العباس بن الاحنف)

ياقوم لم اهجركم لملالة * مني ولا لمقال واش حاسد

لكنني جربتكم فوجدتكم * لاتصبرون على طعام واحد

(وقلت) عدي واضمري خلفا يلذ بخاطري * كوصلك وعد منك غايته الخلف

فعندي موتي في هواك وعلمك * بذلك وصف لا يعادله وصف

(القسم الثاني هجر الملال)

هو هجر منشؤه الملازمة مع اختلاف الخصال وتكون المحبة فيه غير عريقة بل منشؤها علة على الحقيقة وسببه ماذكر من الاختلاف وتحري النفس طلب الاعتساف وعلامته تأثير مباعدة المكان وطول الازمان وعلاجه التحبب والتخلق بخلق المراد وسلوك كل ما اراد وربما عالجته المدية والملاطفة بالاخلاق المرضية والصفح مع حسن الصبر والمجاوزة عن الزلة وان عظم الامر وبعض العشاق من المترسمين صرح في علاجه بتباعد المكان والغيبة الممتدة الى مدة من الزمان وفيه انشد

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

هذا لايحسن على اطلاقه الا بعد تحقيق وثاقه وهو أن يكون للمحبة اصل وانما ضعف بالملازمة والا فالبعد مع عدم ذلك غاية مطلوبه وصفة محبوبه

(القسم الثالث الهجر المعروف بهجر الجزاء والمعاقبة)

هو هجر سببه وقوع في ذنب ولو خطأ وعلامته قبول التوبة عند صدق التوبة وعلاجه تصديق الحبيب في دعواه والنزول على حكمه والرضا بما يهواه والاعتراف بالذنب وان لم يكن صدر وطلب العفو عن قدر والى هذا المشرب وسلوك هذا المأرب أشار سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه بقوله

عبد رق مارق يوما العتق * لو تخليت عنه ما خلاكا

فقد حقق في هذا الباب أن لامحيص له عن هذا الجناب وانه يطلبه بكل حال ولا ينحيه عنه في سائر الاحوال سوى طلب أو منع أو جذب أو دفع ثم دل على صدق كلامه وانعقاد قلبه على مطاوعته في مرامه فقال

وبما شئت في هواك اختبرني * فاختياري ما كان فيه رضاكا

ثم ارتفع من هذه المرتبة ايضاحا لمراتب السالكين ودلالة على التنقل الموصل للناسكين حيث قال وقد صرت مستدعا قضاك وما به * رضاك ولا اختار تأخير مدتي

فانه أبلغ من قوله

وان هددوا بالهجر ماتوا مخافة * وان أوعدوا بالقتل حنوا الى القتل

خلافا لبعض الشراح لعموم ما في الاول بالنسبة الى هذا وبيانه يستدعي طولا وأما قوله

وما غدرت في الحب اذ هدرت دمي * بشرع الهوى لكن وفت اذ توفت

فاصرح من جميع ذلك فيما نحن فيه بل ربما تمشي على القسم الاول او هو له حقيقة

(القسم الرابع الهجر الخلقي)

ومما بعض الصوفية الازلي يقال ان الجنيد رضي الله عنه فسر قوله صلى الله عليه وسلم

واحد يشتهي التين وآخر يقطفه فحاله معها كحال توبة مع ليلى الاخيلية وهو ما حكي انه راودها عن نفسها فنفرت منه وأنشدت

وذي حاجة قلنا له لاتبح بها

فليس اليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه

وأنت لأخرى صاحب وخليل

فكانت كما قيل

جننا بليلى وهي جنت بغيرنا

وأخرى بنا مجنونة ما نريدها

ومثل قول الآخر

علقتها عرضا وعلقت رجلا

غيري وعلق أخرى غيرها الرجل

وممن اتصف بالعفاف من ذوي الغرام الامام ابن الامام محمد بن داود الظاهري وله في ذلك حكايات مشهورة وهذا موضع ايرادها ونشر أبرادها فمن ذلك قوله لكل شيء زكاة وزكاة الوجه الحسن امكان أهل العفة من النظر اليه (وحكي) محبوبه محمد وقيل اسمه وهب بن جامع الصيدلاني أنه دخل على أمير المؤمنين فسأله عن ابن داود هل رأيت منه ما تكره فقال لا يا أمير المؤمنين الا اني بت عنده ليلة فكان يكشف عن وجهي ثم يقول اللهم أنت تعلم اني أحبه واني أراقبك فيه قال فما بلغ من رعايتك له فقلت دخلت الحمام فلما خرجت نظرت في المرآة فاستحسنت صورتي فوق ما عهدت فغطيت وجهي وآليت أن لا ينظر أحد الى وجهي قبله وبادرت اليه فلما رآني مغطي الوجه خاف أن يكون لحقني آفة فقال ما الخبر فقلت رأيت الساعة وجهي في المرآة فاحببت أن لا يراه أحد قبلك فغشي عليه قال الليث بن سكرة كان محمد ابن واسع ينفق على محمد بن داود وما عرف فيما مضى من الزمان معشوق ينفق على عاشقه ويتقرب الى قلبه بانواع البر الا هذا مع ما هو فيه من الصيانة وحسن الديانة فالحمد لله الذي رأينا في زماننا من يتخلق باخلاق الناس ولهذا العاشق مع هذا

الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف بان الله حيث أخرج عالم الذر جعله فى كفه ثم اخذ العهد عليه ثم بذره فوقع بعضه متقابلا وهؤلاء هم المشتركون فى نسب أوجب الصحبة وحقق المحبة وتدابر الآخر فحققت بين افراده المقاطعة وجبلوا على الممانعة اه وهذا التقابل والتدابر يجوز حمله على حقيقته ويجوز أن يراد به أمر معنوى غايته الاختلاف وأسباب هذا كثيرة اعظمها عند المتمسكين بالشرائع اختلاف الاديان وعند مطلق العالم يستند الى الارادة الالهية حيث صرح بعجز أكمل مخلوقاته وعين أعيان سر صفاته عن قيام الناموس بدونها فقال عز من قائل لو أنفقت ما فى الارض جميعا الآية وهذا القسم والذى قبله لا تعلق للعشاق بهما على ما اخترناه * وبعضهم يرى ان الثلاثة الاول من متعلقات العشق ويجمع بين الكلامين بتفاوت المراتب فان من بلغ الى قول الاستاذ رضى الله عنه وكل الذى ترضاه البيت لم يكن القسم الثانى فضلا عن الثالث من متعلقاته واذا عرفت ما قررناه ثبت عندك ان هذا القسم لا علاج له اصلا الا بالارادة الالهية ثم الهجر من المحب الصادق قد يؤول الامر فيه بالعاشق الى ان يخرج كلامه مخرج الدعاء عليه ويكون فى الحقيقة ثناء لديه وقد يستخير عند تمادى الهجر وحكم الغرام حلول رمسه فيجعل ذلك الدعاء على نفسه وألطف ما سطر فى الاول وعليه عند الظرفاء يعول قول الشاب الظريف المعروف بابن العفيف

أعز الله أنصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وان تلك أضعفت عقلى ودينى
وخلد دولة الاعطاف فينا * وان ثنت الفؤاد الى الشجون
وأسبغ ظل ذاك السعد يوما * على قد به هيف الغصون
وصان حجاب هاتيك الثنايا * وان جارت على الفذ الطعين

(وقال أيضا)
أدام الله ايام الوصال * وخلد عمر هاتيك الليالى
وأسبغ ظل أغصان التدانى * وزاد قدودها حسن اعتدال
ولا زالت ثمار الانس تجنى * تزيد لطافة فى كل حال
ولا برحت لنا فيها عيون * تغازل مقلتى خشف الغزال

(وقال آخر)
يارب ان قدرته لمقبل * غيرى فللمسواك أو للاكؤس
واذا قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فليك شمعة فى المجلس
واذا حكمت لنا بعين مراقب * يارب فلتك من عيون النرجس

(وقال شهاب الدين بن العائم)
والله ما أدعو على هاجرى * الا بان يمعن بالعشق
حتى يرى مقدار ما قد جرى * منه وما قد تم فى حقى

(وقال آخر)
أيها المعرض صفحا * عن خطابى وجوابى
لا أراك الله عمرى * او يرينى بك مابى
رب فاجعل له دعاء * خائبا غير مجاب
رق قلبى ان يرى قلبك فى مثل عذابى

(وقال آخر)
كم جفانى فرمت أدعو عليه * فتوقفت ثم ناديت ذاهل

المعشوق حكاية غريبة اضربت عنها خوف الاطالة وكان محمد بن داود قد وضع كتاب الزهرة لاجل محبوبه محمد بن جامع المذكور وهو مجموع أدب اتى فيه بكل غريبة ونادرة وشعر انيق وقال فى أوله وكيف تنكرت من تغير الزمان وأنت احد مغيريه ومن جفاء الاخوان وأنت المقدم فيه ومن عجيب ما تأتى به الايام ظالم يتظلم وغابن يتندم ومطاع يستظهر وغالب يستنصر ومن كلامه ما انفككت من هوى منذ دخلت الكتاب وبدأت فى كتاب الزهرة وأنا فى الكتاب ونظر أبى فى اكثره * ومن ألطف ما حكى عنه أنه التقى هو وأبو العباس ابن سريج فى مجلس أبى الحسن ابن عيسى الوزير فتناظرا فى مسئلة من الايلاء فقال له ابن سريج أنت بقولك
من كثرت لحظاته دامت حسراته
أحذق من أن تتكلم فى الفقه فقال له محمد بن داود ان قلت ذلك فانى أقول
أنزه فى روض المحاسن مقلتى
وأمنع نفسى ان تنال محرما
وأحمل من ثقل الهوى ما لوانه
يصب على الصخر الاصم تهدما
وينطق طرفى عن مترجم خاطرى
فلولا اختلاسى رده لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم
فلست أرى حبا صحيحا مسلما
فقال له ابن سريج بم تفتخر على ولو شئت لقلت
ومساهر بالغنج من لحظاته
قد بت أمنعه لذيذ سناته
شغفا بحسن حديثه وعتابه
وأكرر اللحظات فى وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عموده
ولى بخاتم ربه وبراته
فقال محمد احفظ عليه أيها الوزير ما أقر به من الاجتماع حتى يقيم البينة بشاهدى عدل على البراءة فقال له ابن سريج يلزمنى فى هذا ما يلزمك فى قولك أنزه فى روض المحاسن مقلتى * وأمنع نفسى ان تنال محرما

لاشقى

قال فضحك الوزير وقال لقد جمعتما علما وفهما وظرفا ولطفا (ومن لطيف

لاشفى الله طرفه من سقام * واراني عذاره وهو سائل

(ابن وكيع)

ان كنت تعلم مالي * وانت بي لا تبالي * فصار قلبك قلبي
وصرت في مثل حالي * بل عشت في طيب عيش * تفديك نفسي ومالي
دعوت اذ ضاق صدري * عليك ثم بدا لي

(وقال آخر) ولما بدا لي انه غير راثي * وان هواه ليس عني بمنجلي
تمنيت ان يهوى ويحيا لعله * يذوق مرارات الهوى فيرق لي

(وقلت) الى طلعة بالحسن واللطف ناضره * أرى كل ارباب المحاسن ناظره
لقد بطنت في كل معنى وصورة * من الكون لما اصبحت فيه ظاهره
تضن على العشاق بالقتل في الهوى * فما طالبي للوصل الا مكابره
ولكنني ارجو تبدل ما بنا * من الميل واستكشاف حجب المساتره
فتطلبني من بعد ما انا طالب * لها وتحييني بحسن المحاضره
فيا رب خذ منها بحقي وانتصر * لنفس غدت في ابحر الشوق حائره
ولا تستجب مني وسلطان عزها * ادمه وان كانت على الناس جائره

ثم قد يتمادى الهجر ولا يسمع الدعاء ويعز الوصل ويصعب الرضاء فيأخذ العاشق في سح الدموع والانحطاط من اوج الارتفاع الى حضيض الخضوع واقطاب هذه الدائرة وبدر تمام هذه الكواكب السائرة ذي المرتبة التي لا تلحق وقصب السبق التي لا تدرك والجواد الذي لا يسبق قوله

ومن درجات العز امسيت مخلدا * الى دركات الذل من بعد نخوتي
فلا باب لي يغشى ولا جاه يرتجى * ولا جار لي يحمي لفقد حميتي

فقد اشار في هذين البيتين الى طرح حظوظ نفسه التي قد تكون مانعة من الوصول باشارة يدق ادراك كنهها عن العقول فقد اثبت له رتبة رفيعة بين ان تركها بعد علاج عظيم ومن ثم كان تدريجا لعدم امكان طرحها دفعة كما افهمته الدرجات والاضافة الى العز وعكس الحكم في الطرف الآخر لانه في غاية المقابلة وكذلك بالاشارة الى غاية المحو الذي به تحقق اثباته كما اشار بعده بقوله والفقد مثبتي واما اشارته الى الدموع وانسكابها فالغاية التي لا يدرك منها الناس الا القشور فمنها قوله

فسهدي حي في جفوني مخلد * ونومي بها ميت ودمعي له غسل

فانظر الى غرابة هذه الاستعارات ولطف هذا التركيب وصحة هذا السبك الخالص من الزيف مع بلوغ المقصود ثم بالغ في تحقيق هذا المرام وارتقى في مسالك هذا المقام بقوله

وادمع هملت لولا التنفس من * نار الجوى لم اكد انجو من اللجج

وابلغ منه قوله

فطوفان نوح عند نوحي كادمعي * وايقاد نيران الخليل كلوعتي
فلولا زفيري اغرقتني مدامعي * ولولا دموعي احرقتني زفرتي

لعكس التشبيه كما سبق في صدر هذا الباب وتكافؤ الضدين هنا ومن قال بتساوي المعنيين في القصيدتين لم يعرف معنى الطوفان بالنسبة الى اللجج في الاول لانه انقلاب العناصر كلها

ما يحكى عن محمد) ايضا ما حكاه ابو القاسم الصائغ قال قال لي محمد بن داود ما دخلت جامع المدينة مما يلي باب خراسان منذ عشرين سنة قلت ولم قال لاني دخلت ذات يوم فرأيت غلامين من احسن الناس وجها يتعاتبان فلما رأياني تفرقا فآليت ان لا ادخل من باب كنت فيه السبب في الفرقة بين المتحابين ودخل عليه مخلب فقال له اسمعنا شيأ من صوتك فانشد

سقى الله اياما لنا ولياليا
لهن باكناف الشباب ملاعب
اذا العيش غض والزمان بغرة
وشاهد آفات المحبين غائب

(ومن شعره)

لكل امرئ ضيف يسر بقربه
ومالي سوى الاحزان والهم من ضيف
يقول خليلي كيف صبرك بعدنا
فقلت وهل صبر فيسئل عن كيف

(وقال ابن السراج) في كتاب مصارع العشاق وعن ابي عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة النحوي قال دخلت على محمد بن داود الظاهري في مرضه الذي مات فيه فقلت كيف تجدك فقال حب من تعلم اورثني ما ترى قلت له ما منعك عن الاستمتاع به مع القدرة عليه فقال الاستمتاع على وجهين احدهما النظر المباح والثاني اللذة المحظورة فانه منعني منها ما حدثني ابي قال حدثني سويد بن سعيد قال حدثنا علي بن مسهر عن ابي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله ذنبه وادخله الجنة ثم انشد

انظر الى السحر يجري في لواحظه
وانظر الى دعج في طرفه الساجي
وانظر الى شعرات فوق عارضه
كانهن نمال دب في عاج

وانشدنا لنفسه

ما لهم انكروا سوادا بخديه ولم ينكروا سواد العيون
ان يكن عيب خده بذر الشعر

الى واحد وهذا فى الدقة كقوله رضى الله عنه وان لم يكن مما نحن فيه

وتخفت أخفافها فهى عتى * من جواها فى مثل جمر الرماد

حيث نسب تحقية الاخفاف الى حرارة الجوى التى شأنها الصعود عكس الاخفاف فكانه يقول لشدة هذه الحرارة أستوعب الاحياز كلها وأما قوله

فلو بكى فى قفار خلتها الجبا * وان تنفس عادت كلها يبسا

وغيره فكثير لا يمكننا ادراك اقله وانى للبشر من حيث انه بشر ادراك دقائق الفيوضات الالهية والكرامات التى خلفت المعاجز النبوية كما صرح به رضى الله عنه حيث قال

فما المنام منهم نبى ومن دعا * الى الحق منا قام بالرسلية

واصرح منه قوله فما كان منه معجزا صار بعده * كرامة صديق له اوخليفة

(رجع الى كلام المترجمين) قال القاضى الفاضل

قد استخدمت بالافكار سرى * وما اطلقت لى بالوصل أجره

ولم أرها على الايام الا * عقدت مودة وحللت صره

ولا استمطرت سحب العين الا * وصرت بادمعى فى الشمس صره

(ابن عبد الظاهر)

لا تسلنى عن اول العشق انى * أنا فيه قديم هجر وهجره

من دموعى ومن جبينك ارخت غرامى بمستهل وغره

(المتنبى) أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة فى الاماقى

(وله ايضا) وهبت السلو لمن لامنى * وبت من الشوق فى شاغل

كأن الجفون على مقلتى * ثياب شققن على ثاكل

(وقال آخر) ولم أنس لا أنس ذاك الخضوع * وفيض الدموع وغمز اليد

وخدى يضاف الى خدها * قياما الى الصبح لم نرقد

(ابراهيم بن المعار) وبى غضبان لا يرضيه الا * دموع ساكبات مستمره

فما عطفت معاطفه بوصل * وفى عينى بعد الهجر قطره

(وقال آخر) وقائلة ما بال عينيك مذ رأت * محاسن هذا الظبى ادمعها هطل

فقلت زنت عينى بنظرة طلعت * فحق لها من فيض ادمعها غسل

(السرى الرفاء)

بروحى من رد التحية ضاحكا * فجدد بعد اليأس فى الوصل مطمعى

وحالت دموع العين بينى وبينها * كأن دموع العين تعشقه معى

(وقال آخر) وقائلة ما بال دمعك أسودا * ولونك مصفرا وأنت نحيل

فقلت لها ان الدموع تجففت * وهذا سواد المقلتين يسيل

(ابن وكيع) وسحاب اذا همى الماء فيه * ألهب الرعد فى حشاه البروقا

مثل ماء العيون لم يجر الا * ظل يذكى على القلوب الحريقا

(المسعودى شارح المقامات)

قالت عهدتك تبكى * دما حذار التنائى فلم تعوضت عنها * بعد الدماء بماء

فقلت ماذاك منى * ولم يكن بتناسى لكن ضلوعى شابت * من طول عمر التنائى

ترفعيب العيون شعر الجفون فقلت له نقيت القياس فى الفقه وأثبته فى الشعر فقال غلبة الهوى وملكة النفس دعوا اليه ومات فى ليلته رحمه الله (قلت) وقد اختلف الناس فى قوله عليه الصلاة والسلام من عشق وكتم وعف الحديث فقال بعضهم كتم عشقه عن الناس وقال بعضهم كتم اسم محبوبه وقال الحصرى احب فكتم ووصل فعف وهجر فمات فهو شهيد وقال عثمان بن زكريا المؤدب احد رواة الحديث عن سويد كتم محبوبه انه يحبه قال الشيخ الامام العلامة الحافظ علاء الدين ابو عبد الله مغلطاى فى كتابه الواضح المبين هذا حديث إسناده صحيح وان كان جماعة من العلماء اعلوه بما ليس بعلة يردبها يعنى قوله صلى الله عليه وسلم من عشق فكتم الحديث ونقل فى كتابه المذكور ايضا ان هذا الحديث سنده كالشمس لا مرية فى صحته ولا لبس قلت ولهذا عد جماعة من الفقهاء ميت العشق من الشهداء اخذا بهذا الحديث منهم الرافعى وغيره فبعضهم اشترط الشروط المذكورة وبعضهم اطلق كالشيخ محيى الدين النووى فانه اطلق ولم يشترط شيأ فقال والميت عشقا والميت طلقا يعنى من الشهداء هذا مع شدته فى الدين وعدم مساهلته فى هذه الاشياء وما احسن قول ابن الاثير دمع العاشق ودم القتيل متساويان فى التشبيه والتمثيل الا ان بينهما بونا لانهما يختلفان لونا وقال الامام العلامة ابو الوليد الناجى

إذا مات المحب جوى وعشقا

فتلك شهادة ياصاح حقا

رواه لنا ثقات عن ثقات

الى الحبر ابن عباس ترقى

وقال عبد الكريم القشيرى

ان المحب اذا توفى صابرا * كانت منازله مع الشهداء * برويه اقوام غدوا فى صدقهم وقال

(وقال آخر) كانت دموعي حمرا يوم بينهم * فذا أو اقصرتها بعدهم حرقي
قطفت باللحظ وردا من خدودهم * فاستقطر البين ماء الورد من حدقي

(ابن الناشئ الاكبر)

بكيت الفراق وقد راعني * بكاء الحبيب لفقد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

(وقال) ومحبوبة مذ كلمتني كأنت * فؤادي وألقت بين سمعي وناظري
الى ان رأتها مقلتي فاض دمعها * على الارض أمثال العقود الزواخر
فقالت عقيقا ما أرى قلت بل دمي * جرى عندما من هجرك المتواتر

(فصل) في نفي كدر الهم والصدود باستجلاب الاماني والوعود والتعلل بالاماني والطمع في التهاني وهو أصل انقسمت فيه العشاق الى قسمين قسم وفى له محبوبه وحصل له بعد الوعد مطلوبه وهو العزيز النادر وغير الوافي الوافر وقسم مات بغصته وحالت المنية بينه وبين أمنيته وانتهاز فرصته وأعجب ما فيه ان الراضين به مع العلم ورد أكثر العشاق وأغلب من نودي عليه في هذه الأسواق وقد كشف عن غامض هذه الطريقة واستثنى الرضا ورهذه الحقيقة الاستاذ رضي الله عنه فقال

عدني بوصل وامطل بنجازه * فعندي اذا صح الوفا حسن المطل
وما الصد الا الود ما لم يكن قلى * وأصعب شيء دون اعراضكم سهل

ثم تجرد من ثياب هذه الطريقة وانغمس في بحار الحقيقة فانطوت نفسه الآتية في مطاوي الحقائق القدسية فقال

ان لم يكن وصل لديك فعد به * أملي وماطل ان وعدت ولا تفي

وأما المترسمة فقد أكثروا في هذا الباب الأقوال واختلفوا باختلاف الاحوال قال بعضهم

أعلل بالمنى قلبي لعلي * أروح بالاماني الهم عني
واعلم ان وصلك لا يرجى * ولكن لا اقل من التمني

(وقال آخر) وما بلوغ الاماني في مواعدها * الا كشعب يرجوه وعد عرقوب

ومن كلام أفلاطون الاماني حلم المستيقظ وسلوة المحروم وقال غيره التمني مؤنس ان لم ينفعك فقد ألهاك * قيل لأعرابي ما أمتع لذات الدنيا قال ممازحة الحبيب ومحادثة الصديق وأماني تقطع بها أيامك (ياقوت الرومي)

لله أيام تقضت بكم * ما كان أحلاها وأهناها
مرت فلم يبق لنا بعدها * شيء سوى ان نتمناها

(ابن الوردي) وشادن قلت له * هل لك في المنادمه
فقال كم من عاشق * سفكت في المنى دمه

(الحسين بن الضحاك)

وصف البدر حسن وجهك حتى * خلت اني وما أراك أراك
واذا ما تنفس النرجس الغض * توهمته نسيم شذاك
خدعات المنى تعللني فيـ * ـك باشراق ذا وبهجة ذاك

(ابن أبي حجلة) رقي اصب غداما يكابده * من دمعه الصب يجري في مجاريه

من سعيد بن المسيب
ان سعد بن عباده
قال من مات محبا
كان من أهل الشهاده

(وقال ابن زواحة الجموي) واحسن ماشاء

لا مواهلك ومادروا
ان الهوى سبب السعاده
ان كان وصل فالمنى
او كان هجر فالشهاده

وانه عكس قوله هذا فقال

يا قلب دع عنك الهوى واسترح
ما أنت فيه ما هذا أرا
اضعت دنياي بهجرانه
ان نلت وصلا ضاعت الاخرى

(وقال آخر)

خليلي هل خبرتما أو سمعتما
بأن قتيل الغانيات شهيد

(وقلت كاني حاضر اخاطبه)

نعم قد سمعنا ان من كتم الهوى
وعف الى ان مات فهو شهيد
فخذ عن مقال أنت فيه مذبذب
فذلك ما قد كنت منه تحيد
سياق الذي يروي به ركب ذوي الهوى
به كل يوم سائق وشهيد
يطوفون بالاحباب خلف بيوتهم
فهم قيام حولها وقعود
يعومون في بحر المدامع عندها
تميل بهم سفن الهوى وتميد
أتبكي دوين العام من عام منهم
وقد حد حولا للبكاء لبيد

قلت وقد انقضى الكلام على هذه الابواب المحكمة العقود النقية النقود المعمورة الكسور العالية القصور ومشتملا كل باب منها على بيت قصيد وبحر مديد يسقى ثمر غروسها ويروي الجدب من طروسها بعينين نجلاوين لو رقرقتهما * لنوء الثريا لاستهل سحابها وما بقي الا ذكر مصارع العشاق واخبار من اصبح من المحبين

لم يبق فيه سوى روح يرددها * لولا المنى مات باقصى امانيه

(وقلت) عدى فتى شفت الاسقام مهجته * بزورة منك يا أقصى تمنيه

فالهجر منك اكاس الموت يسلمه * والوعد منك ولو بالزور يحييه

وقد ذم قوم الرضا بالوعد والامانى وعدوا ذلك جنونا ومشى على ذلك جمع كثير (الخالدى)

ولا تكن عبد المنى فالمنى * رؤس أموال المفاليس

(ابن المعتز) لا تأسفن من الدنيا على أمل * فليس باقية الامثل ماضيه

قال على كرم الله وجهه اجتنبوا المنى فانها تذهب ما خولتم وتصغر المواهب التى رزقتم وقال رجل لابن سيرين انى رأيت كانى أسبح فى غير ماء وأطير بغير جناح فقال انت رجل تكثر الامانى وسمع الحجاج ليلة لبانا يقول أبيع اللبن بكذا واشترى بضاعة فاكسب فيها كذا فيكثر مالى فاتزوج ابنة الحجاج وتلد لى ولدا وآمرها يوما بشئ فلم تطع فارفسها هكذا ورفع رجله فكب اللبن فدخل الحجاج فضربه خمسين سوطا وقال ألست تفجعنى فى ابنتى لو فعلت بها هذا

(وقال آخر) لما بدا العارض فى خده * بشرت قلبى بالنعيم المقيم

وقلت هذا عارض ممطر * فجاء فى فيه العذاب الاليم

وأما الرضا بالدون من المحبوب والقناعة باليسير من المطلوب وان طال الوعد وكثر الخضوع وامتد البعد وانسكبت الدموع فصفة العاشق القانع الماقى عن نفسه المطامع المنزه محبوبه عن التكليف المشفق عليه من نحو التعنيف وقد اتصف به جم غفير رعدوا فيه أقل القليل أكثر الكثير وليس فى هذا النمط ألطف من جميل فى قوله وانى لارضى من بثينة الابيات السابقة فى قصته (وقوله)

ألست أرى النجم الذى هو طالع * عليها فهذا للمحبين نافع

عسى يلتقى فى الافق طرفى وطرفها * فيجمعنا اذ ليس فى الارض جامع

(وقال بعض الاعراب)

أليس الليل يجمع ام عمرو * وايانا فذلك انا تدانى

نعم وأرى الهلال كما تراه * ويعلوها النهار كما علانى

(وقال بعضهم)

الى الطائر النسر انظرى كل ليلة * فانى اليه بالعشية ناظر

عسى يلتقى طرفى وطرفك عنده * فنشكو اليه ما تكن الضمائر

(وقال بعض الاعراب)

وما نلت منها وصلها غير اننى * اذا هى بالت بلت حيث تبول

(وقال بعضهم) وكن قنوعا فقد جرى مثل * ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

هذه اشارة الى مثل يضرب للقناعة باليسير واصله ان الهدهد قال لسليمان عليه السلام انت فى ضيافتى بجميع عسكرك فى جزيرة كذا فلما حضر واخذ جرادة ورمى بها فى البحر وقال يا نبى الله من فاته اللحم فليشرب المرق فكان سليمان عليه السلام يضحك من ذلك اذا ذكره وعكس هؤلاء من مد الى المحبوب باعه وأوسع آماله واطماعه فلم يرض الا بامتزاج الاشباح فضلا عن الارواح والتأليف الذى لا يمكن تمييزه كالماء والراح حتى يراهما واحدا فى العين الاحول الذى يرى الشئ اثنين (قال بعضهم)

لا سيما بسيوف الاعين النجل

يا صاحبى اذا امت بينكما

دون الشهيين وردا الخد والقبل

فاستغفرا لى وقولا عاشق غزل

قضى صريع القدود الهيف والمقل

(وقال بالدينا محمد بن العفيف التلمسانى رحمه الله)

للعاشقين بأحكام الغرام رضا

فلا تكن يا فتى بالعذل معترضا

روحى الفداء لاحبابى وان نقضوا

عهد الوفا الذى للعهد ما نقضا

قف واستمع راحما أخبار من قتلوا

فمات فى حبهم لم يبلغ الغرضا

رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا

فسام صبرا فاعيا نيله فقضى

(وقال جرير)

ان العيون التى فى طرفها حور

قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به

وهن أضعف خلق الله اركانا

(وقال آخر)

ما زال يهوى المقلا * قلبى الى أن قتلا

الحمد لله الذى * مات وما قيل سلا

(وقال آخر)

ترى المحبين صرعى فى ديارهم

كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

قوم اذا هجروا من بعد ما وصلوا

ماتوا فان عاد من يهوونه بعثوا

(وقال محمد الواعظ)

دعاوى قلوبكم معاد

وقتل العاشقين له معاد

ولو قتل الهوى اهل التصابى

لما ماتوا ولو ردوا لعادوا

(خاتمة الكتاب فى ذكر من مات من حبه وتقدم على ربه) من صغير وكبير وغنى وفقير على اختلاف ضروبهم وتباين مطلوبهم ولاجل ذكرهم اسست قواعد هذا الكتاب ودخلت فيه من باب وخرجت من باب لا تواصل منه الى

وكدت

وكدت وهو ضجيعي ان أقول له * من شدة الحب قد أبعدت فاقترب

(ابن الرومي) أعانقه والنفس بعد مشوقة * اليه وهل بعد العناق تدانى

والثم فاه كى تزول حرارتي * فيشتد ما ألقى من الهيمان

كأن فؤادي ليس يشفي غليله * سوى ان ترى الروحان يمتزجان

ولم يشف مقدار الذي بي من الجوى * سوى ان ترى الروحان يمتزجان

(خالد الكاتب) كأنني عانقت ريحانة * تنفست في ليلها البارد

فلو ترانا في قميص الدجا * حسبتنا في جسد واحد

(نفطويه النحوي)

ولما التقينا بعد بعد مجالس * تغازل فيه أعين النرجس الغض

جعلت اعتمادي ضمه وعناقه * فلم نفترق حتى توهمته بعضي

(ابو بكر الاربلي)

هم الرقيب ليسعى في تفرقنا * ليلا وقد بات من أهواه معتنقي

عانقته فاتحدنا والرقيب أتى * فذرأى واحدا ولى على حنق

(وقال بعضهم) توهم واشينا بليل مزاره * فهم ليسعى بيننا بالتباعد

فعانقته حتى اتحدنا تعانقا * فلما أتانا ما رأى غير واحد

(ابو الفضل)

سقينا العيش مضى والدهر يجمعنا * ونحن نحيى عناقا شكل تنوين

فصرت اذا علقت كفي حبائلكم * بسهم هجرك تنوى ثم تنويني

(ابن سناء الملك) وليلة بتنا بعد سكري وسكره * نبذت وسادي ثم وسدته يدي

وبتنا كجسم واحد في عناقنا * وكالحرف في لفظ الكلام المشدد

قيل اعترض هذا بكون العروضيين تعد الحرف المشدد بحرفين فلو قال في الخط لحسن مطلوبه واجتمع ابن الجهم وابن عروس في سفينة فتذاكرا الشعر فقال ابن الجهم انا أشعر منك حيث أقول

ألا رب ليل ضمنا بعد هجعة * وادنى فؤادا من فؤاد معذب

وبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تشرب

فقال احسنت ولكني اشعر منك حيث أقول

لا والمنازل من نجد وليلتنا * بعيد اذ جسدانا بيننا جسد

كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه * نوما فما انفك لا خد ولا عضد

(بشار بن برد)

ومرتجة الاعطاف مهضومة الحشا * تمور بسحر في عينيها وتدور

اذا نظرت صبت عليك صبابة * وكادت قلوب العاشقين تطير

خلوت بها لا يخلص الماء بيننا * الى الصبح دوني حاجب وستور

وكلام بشار وان كان في الحقيقة اصلا للبيتين الا ان ابن الجهم تلطف حيث ابدل الماء بالخمر لانه اشد نفوذا واما ابن عروس فلا الطف منه اذ لا شئ اشد سريانا من النوم وحاصله انه يمكن الجمع بين اهل القناعة باليسير من المحبوب ومن لم يقف على غاية في المطلوب

ذكر من ساقه الهجر الى السياق وتحمل من العشق ما لا طاقة له به من الباب الى الطاق ومن هنا أشرع في ذكر مصارعهم وعرض بضائعهم اذ منهم الخاسر والرابح والصالح والطالح (فمنهم شقي وسعيد) ومنهم قتيل وشهيد (فمنهم شقي وسعيد) * (حكى) ابو الفرج ابن الجوزي قال ذكر لي شيخنا أبو الحسن على بن عبد الله ان رجلا عشق نصرانية حتى غلب على عقله فحمل الى البيمارستان وكان له صديق يترسل بينهما فلما زاد به الامر ونزل به الموت قال لصديقه قد قرب الاجل ولم ألق فلانة في الدنيا وأخشى ان أموت على الاسلام ولا ألقاها فتنصر فمات فمضى صديقه الى النصرانية فوجدها عليلة فقالت انا ما لقيت صاحبي في الدنيا وأريد أن ألقاه في الاخرى وانا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ثم ماتت قلت لم أسمع بأغرب من هذه الحكاية ولا أعظم من هذه النكاية قد سبق على صاحبها الكتاب وضرب بينه وبين محبوبته بسور له باب فابتلى من فراق محبوبته ودينه بداءين ودارت عليه دائرة السوء في الدارين وكيف لا وقد ورد بكساده في الحب دار البوار وأصبح بكفره واسلامها على شفى جرف هار

سارت مشرقة وسرت مغربا

شتان بين مشرق ومغرب

ذكرت بهذه الحكاية قول عبد الوهاب الازدي يرثي حبيبا له نصرانيا وأحسن ما شاء حيث قال

أخي نودا لا أخي بديانة

ورب أخ في الود مثل نسيب

وقالوا أتبكي اليوم من ليس صاحبا

فقلت إن هذا فعل غير لبيب

باختلاف الامكنة وصفاء الايام والخلو من نحو واش وغمام ومجالس الورد والنمام فان من الحزم انتهاز الفرص ومن الحمق الوقوع في ضيق القفص ومن صفا له الزمان فجبن عن مطلوبه فهو زاهد في محبوبه ومن رأى العوائق دون مرامه فالحزم تقييد غرامه وقلت من الاول

لقد صار يشفيني الهوا امزجه * بانفاسها من ان داني من الهوى

ويفرحني ماجد في الصبح والمسا * لاني واياها بدركه سوا

ومن الثاني

ورب ليل ضمنا متهاتقيه حتى * لو فرقنا كنا هيولي وصوره

مع اني سألتها القرب مني * بخضوع وان تمن بزوره

وهو معنى فوق ماقصد من لطف الخمر والسكر اذ لا يتصور افتراق الهيولي والصورة بوجه وقد جعلت ذلك كالحال وقت الفرقة فلا ابلغ منه

(فصل في ذكر مكابدة الامور الصعاب عند طلب رضا الاحباب وخوض الاهوال واستهلال قضاء الآجال فضلا عن بذل الاموال ليحصل من محبوبه على مطلوبه ويرضى باليسير كما سلف ولو كان ذلك يفضي الى التلف وقد فتح للفريقين هذا المجال ونسج على هذا المنوال من شيد هذه الشريعة كلامه وصار بدر سمائها بل شمس آفاقها نظامه سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته وهدانا الى ادراك دقائق نفحاته فقال

وناقس ببذل النفس فيها أخا الهوى * فان قبلتها منك يا حبذا البذل

ومن لم يجد في حب نعم بنفسه * وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل

فانظر كيف أضرب عن ذكر ماسوى النفس وان عز وأمر ببذلها من بادئ الرأي فكم طوى في ذلك من المراتب وهذا في الحقيقة اجمال بالنسبة الى قوله

بكل قبيل كم قتيل بها قضى * أسى لم يفز يوما اليها بنظرة

فانه اشار الى قطع كل رتبة بحيث ينتهي السالك الى ذهاب النفس وليس ذلك بشئ اذ قال انه لم يفز ولا بنظرة مع ذهاب نفسه وشرح ذلك واضعافه قوله

بحيث ترى ان لا ترى ماعددته * وان الذي اعددته غير عدة

فانه يقول ان هذا المرام لا يعظم عنده شئ ومتى عد الشخص بذلا لنحو نفس فقد جعل له شيأ بالنسبة الى المحبوب وهو خلاف المطلوب ودقائقه في هذا الباب معجوز عن حصرها كما تشهد به أولوا الالباب فلنرجع الى كلام المترجمة (الطغرائي)

لا اكره الطعنة النجلاء قد شفعت * برشقة من نبال الاعين النجل

ولا اهاب الصفاح البيض تسعدني * باللمح من خلل الاستار والكلل

(ابن خفاجة) وليل طرقت المالكية تحته * أجد على حكم الشباب مزارا

فغالطت أطراف الاسنة أنجما * ودست بهالات البدور ديارا

(ابن بسام) لقد صبرت على المكروه أنفسنا * من معشر فيك لولا انت ما نطقوا

وفيك داريت قوما لاخلاق لهم * لولاك ما كنت أدري انهم خلقوا

(وقال آخر)

يغوص البحر من طلب اللآلي * ومن طلب العلا سهر الليالي

تروم المجد ثم تنام عنه * لقد أطمعت نفسك بالمحال

واعظم من ذلك الملازمة على ذكر المحبوب عند نزول البلاء وتلف النفس وشدة الابتلاء وامام

هذا

فقلت لهم هذا أوان تلهفي

وشدة أعوالي وفرط تحيبي

ومن أين لي أبكي حبيبا فقدته

اذا خاب منه في المعاد نصيبي

وكان هذا النصراني موسوما بالجمال تجارا فعلقه عبد الوهاب المذكور واشتهر به وأقام ببابيته في الخانة ثلاث سنين ويدخل معه الكنيسة في الاعياد والحدود وطول هذه المدة حتى حفظ كثيرا من الانجيل وشرائع اهله وهجره مرة فلم يجد سبيلا اليه وزعم أن عليه قسما شديدا أن لا يكلمه الى مدة شهر فلما يئس دعا بالفاصد فافتصد في احدى يديه ودعا فاصدا آخر فافتصد في اليد الاخرى ودخل داره وأغلق باب بيته وهجر الفصادين فما شعر اهله الا والدم يدفع من سدة باب المحل الذي هو فيه فادركوه وقد أشرف على الموت فصالحه محبوبه النصراني خوفا على نفسه (ومن شعره فيه)

انظر الى الشامة في خده من

الحاظه باللحظ جراحه

كأنها من حسنها اذ بدت

حبة مسك فوق تفاحه

(ومنهم شهيد)

ذكر التميمي في كتاب الامتزاج عن أبي زيد القعوي عن رجل من أصحاب الحديث قال دخلت ديرا في بعض المنازل ذكر لي ان فيه راهبا حسن المعرفة باخبار الناس وأيامهم فسرت اليه فوجدته في حجرة وعليه زي المسلمين فسألته عن سبب اسلامه فحدثني انه كان في هذا الدير جارية نصرانية من بني تغلب كثيرة الاموال وأنها هويت فتى مسلما فكانت تبذل اليه الاموال والرغائب والغلام يأبى عليها فلما أعيتها الحيلة أعطت رجلا مصورا

هذا الشان والمنفرد بالسبق فى هذا الميدان الطغرائى قيل انه علق مملوكا لمؤيد الدين كان يهواه فخبن بالخبر فنقم على الطغرائى فاراد قتله واشهر شفقة على المملوك من الالسنة ان الطغرائى ملحد فشده الى شجرة وأمران تفوق اليه السهام وان لا يرموا حتى يأمرهم والمملوك امام الكل ثم أمر رجلا يسمع ما يقول الطغرائى وهو لا يشعر فاذا هو يقول

ولقد أقول لمن يسدد سهمه * نحوى واطراف المنية شرع
والموت فى لحظات احور طرفه * دونى وقلبى دونه يتقطع
بالله فتش فى فؤادى هل ترى * فيه لغير هوى الاحبة موضع
اهون به لولم يكن فى طيه * عهد الحبيب وسره المستودع

فاطلقه ورفع شأنه (ابو عطاء السندى)

ذكرتك والخطى يخطر بيننا * وقد نهلت منى المثقفة السمر
فوالله ما ادرى وانى لصادق * بداء عرانى من حبابك ام سحر

(عنترة العبسى)

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(الطغرائى) انى لأذكركم وقد بلغ الظما * منى فاشرق بالزلال البارد
واقول ليت احبتى عاينتهم * قبل الممات ولو بيوم واحد

(وقال بعضهم) ذكرت سليمى وحر الوغى * بقلبى ساعة فارقتها
فشبهت سمر القنا قدها * وقد ملن نحوى فعانقتها

(ابن رشيق) ولقد ذكرتك والطبيب معبس * والجرح منغمس به المسبار
وادير وجهى قد فراجديده * ويمينه حذرا على يسار
فشغلتنى عما يليق وانه * ليضيق عن برحائها الاقطار

(الشريف البياضى)

ولقد ذكرتك فى السفينة والردى * متوقع بتلاطم الامواج
والجو يهطل والرياح عواصف * والليل مسود الذوائب داجى
وعلى السواحل للاعادى عسكر * يتوقعون لغارة وهياج
وعلت لاصحاب السفينة ضجة * وأنا وذكرك فى الذ تناج

(ابو الثناء محمود)

ولقد ذكرتك والسيوف لوامع * والموت يرقب تحت حصن المرقب
والحصن فى شفق الدروع تخاله * حسناء ترفل فى رداء مذهب
سامى السماء فمن تطاول نحوه * للنجم مسترقا رماه بكوكب
والموت يلمع بالنفوس وخاطرى * يلهو بطيب ذكرك المستعذب

(الصفى الحلى) ولقد ذكرتك والعجاج كأنه * مطل الغنى وسوء عيش المعسر
والشوس بين مجدل فى جندل * منا وبين معفر فى مغفر
فظننت انى فى صباح مسفر * بضياء وجهك أو مساء مقمر
وتعطرت ارض الكفاح كأنما * فتقت لنا ارض الجلاد بعنبر

مائة دينار على أن يصور لها صورة الغلام كهيئته ففعل ذلك فمازالت تأتى كل يوم الى تلك الصورة فتلثم ماتحب منها ثم تجلس بازائها تبكى فاذا أمست قبلتها وانصرفت فمازالت على ذلك مدة فتوفى الغلام فعلمت فلحقها عليه وله حتى صارت به مثلا ثم رجعت الى الصورة فلم تزل تلثمها وتقبلها وبكت الى ان أمست فباتت الى جانبها فلما أصبحنا وجدناها ميتة ويدها ممدودة على الحائط وقد كتبت عليه

يا موت دونك روحى بعد سيدها
خذها اليك فقد أودت بما فيها
اسلمت روحى للرحمن مسلمة
ومت موت حبيب كان يعصيها
لعلها فى جنان الخلد يجمعها
يوم الحساب ويوم البعث باريها
مات الحبيب وماتت بعده كمدا
محبة لم تزل تشفى محبيها

قال فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين فاحتملوها ودفنوها الى جانبه واخذوا ما لها فبت معهم وما آل اليه أمرها فرأيتها فى المنام فقلت فلانة ما فعل الله بك فقالت

أصبحت فى راحة مما جنته يدى
وبت جارة فرد واحد صمد
محا الاله ذنوبى كلها وغدا
قلبى خليا من الاحزان والكمد
لما قدمت على الرحمن مسلمة
وقلت انك لم تولد ولم تلد
أثابنى رحمة منه واسكننى
مع من هويت جنانا آخر الابد

فعلمت ان الذى صارت اليه خير من الذى أنا عليه فاسلمت واسلم معى اهل الدير فكانت رحمها الله السبب

(ومنهم شهيد) وهو ما اخبرنا به الشيخ الامام العلامة الحافظ علاء الدين

(وقلت) لقد رد روحي عند مادام نزعها * ملائكة ذكراك حين تلوته
فلولم يكن موت البرية لازما * اذا فرقت آجالهم مانسيته

(تتمة) تشتمل على ذكر مقاطيع فائقة وأبيات رائقة يشير مجموعها الى جميع الاصول السابقة وتترجم عندهم بالغزل والنسيب لاعراب مضمونها عن نحو محاسن الحبيب وتهييجها الاشواق المستقرة حيث يذكر الشعر والطرة وتفصيلها الثلاث الجملة من حيث وصف الحاجب والمقلة واثارة ماقر من البلبال عند ذكر الوجنة والخال واستمالتها نفوس الاحباب عند ذكر الثغر والرضاب واتيانها باعذب الموارد بعد ماحال الصدر اذا ذكر النهد والصدر ونشر مطاوى الاشواق اذا سمع مدح الخلخال والساق الى غير ذلك مما اقترحته افكارهم الدقيقة اللطيفة وتخيرته في هذا الباب اذهانهم الشريفة وبها نختم هذا المورد اللطيف ومايتعلق بالعشق من هذا التأليف (ذكروا) ان اغزل بيت للمتأخرين قول بشار أناوالله اشتهي سحر عينيك واخشى مصارع العشاق

(شمس الدين بن العفيف)

يحكي الغزال مقلة ولفتة * من ذا رآه مقبلا ولا افتتن
احسن خلق الله وجها وفما * ان لم يكن احق بالحسن فمن
في ثغره وشكله وخده * الماء والخضرة والوجه الحسن

ولما وصلت هذه الابيات الى القاهرة والشاعر المشهور يومئذ بها الحلي اقترح عليه بعض اعيان الدولة محاكاتها فقال

كم قد سفكنا من دموع ودما * على ربوع للديار ودمن
وكم قضينا للبكاء منسكا * لما ذكرنا بهن من سكن
وكم اقمنا بالبكاء مأتما * اذ بعتهم روحي بغير ماثمن

فاستحسن الجل ابيات الحلي ودامت الناس مدة طويلة مفترقين في ذلك والغزل كما سمعت كثير الفنون والشعب وقد توسعت فيه اهل الادب فمن الاول قول ابن نباتة

أيها العاذل الغبي تأمل * من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان في الليل والنهار عجائب

(وله ايضا) قالت وقد ابدى جبينا واضحا * وفوقه ليل دلال قد سجا
افدي الذي جبينه وشعره * طرة صبح تحت أذيال الدجى

(ابن مطران) ظباء اعارتها المها حسن مشيها * كما قد أعارتها العيون الجآذر
فمن حسن ذاك الشيء جاءت وقبلت * مواطئ من اقدامهن الغدائر

(اسمعيل السكندري) لم ار قبل شعره ووجهه * ليلا على صبح نهار عسعسا
والسكر في وجنته وطرفه * يفتح وردا ويغض نرجسا

(حسام الدين الحاجري)

ومهفهف من شعره وجبينه * تغدو الورى في ظلمة وضياء
لاتنكروا الخال الذي في خده * كل الشقيق بنقطة سوداء

(ابن الصائغ) مشى قصنا ومد عليه فرعا * كعظي حين اطلب منه وصلا
وبلبله على الارداف منه * فلم ار مثل ذاك الفرع اصلا

أبوعبدالله مغلطاي اجازة سنة سبع وثمانين وسبعمائة بالقاهرة المحروسة قال رأيت في المكتبيين غير مرة شيخا مغربيا وله ولد يكنى أبا يزيد يحمل على ظهره الخضر من باب زويلة فكان يأتي المكتبيين فيما نزعم يستكتب شعرا يقوله ليس موزونا ولا معنى له ملخصه ان حاكمامهم اخذ مالا كان والده خلفه وحصل من الاوراق المكتتب فيها هذا الشعر شيأ كثيرا جدا فيما يقال وانه جاء مرة والمحدث في الليل يقرأ سيرة البطال فاستمع اليه فذكر المحدث ان جماعة قتلوا في المعركة فقال له ابويزيد يامولاي كيف قتل هؤلاء فقال له ماتوا في سبيل الله تعالى فقال أمولاي وانا الآخر اموت في سبيل الله تعالى فقال له المحدث افعل قال فتمدد الى جانب الحلقة على دكان فحسبوه يتوله فحركوه فاذا هو ميت واشتهر هذا وحكاه لي غير واحد ممن شاهده

(ومنهم شهيد)

ذكر ابن داود في كتاب الزهرة ان فتى يقال له امرؤ القيس هوى فتاة من حيه فلما علمت محبته له هجرته فزال عقله واشرف على التلف وصار ترحمه الناس فلما بلغها ذلك أتت فأخذت بعضادتي الباب وقالت كيف تجدك يا امرأ القيس فقال

ولما أتتني في السياق تعطفت
علي وعندي من تعطفها اشغل
اتت وحياض الموت بيني وبينها
وجادت بوصل حيث لاينفع الوصل

ثم اغمي عليه فمات (ومنهم شهيدان)

ذكر السراج بن العلاء بن عبد الرحمن التغلبي قال كان رجل من اهل الادب والطرب يقال له علي عشقته جارية من

(السراج الوراق) ذو طرة يعيذها رب الدجى * وطلعة يعيذها رب الفلق
الماء والنار معا فى خده * اما ترى الماء طغى ثم احترق

(شمس الدين بن العفيف)

بدا وجهه من فوق اسمر قده * وقد لاح من سود الذوائب فى جنح
فقلت عجيبا كيف لم يظهر الدجى * وقد طلعت شمس النهار على رمح

(المتنبى) كشفت ثلاث ذوائب من شعرها * فى ليلة فأرت ليالى أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فارتنى القمرين فى وقت معا

(آخر) برزت فقابل ناظرى من وجهها * مرآة حسن بالجمال صقيل

(ابن المعتز) سقتنى فى ليل شبيه بشعرها * شبيهة خديها بغير رقيب
فامسيت فى ليلين للشعر والدجى * وشمسين من خمر وخد حبيب

(البجلى) رقت محاسنها ورق اديمها * فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
تندى بماء الورد مسبل شعرها * كالطل يسقط من جناح الطائر

(الخبزارزى) رأيت الهلال ووجه الحبيب * فكانا هلالين عند النظر
فلم ادر من حيرتى منهما * هلال الدجى من هلال البشر
فلولا التورد فى الوجنتين * وماراعنى من سواد الشعر
لكنت اظن الهلال الحبيب * وكنت اظن الحبيب القمر

(التهامى) وفى كتابك فاعذر من يهيم به * من المحاسن مافى اجمل الصور
الطرس كالخد والنونات دائرة * مثل الحواجب والسينات كالطرر

(آخر) ارى سهم لحظ تحت عقرب سالف * وكيف نجاتى بين سهم وعقرب
واللحظ ماطلته باللحظ من دمى * على وجنتيها والبنان المخضب

(وقالت) لله بالناس لطف فى معايشهم * لولاه لم تر موجودا من البشر
اذ كف شعرك عنهم يوم حاجتهم * للشمس فى نحو نضج الحب والثمر
وعند حاجة ليل يسكنون به * من المتاعب ابدى مسبل الشعر

(ومن الثانى قول ابن نباتة)

وأغيد جارت فى القلوب لحاظه * واسهرت الاجفان اجفانه الوسنى
اجل نظرا فى حاجبيه وطرفه * ترى السحر منه قاب قوسين او ادنى

(الواوا الدمشقى)

يامن هو الماء فى تكوين خلقته * ومن هو الجمر فى افعال مقلته
ومن بزرقة سيف اللحظ طل دمى * والسيف ما فخره الابزرقته
علمت انسان عينى ان يعوم فقد * جارت سباحته فى بحر دمعته

(علاء الدين الوداعى)

رمتنى سود عينيه * فاصمتنى ولم تبطى وما فى ذاك من بدع * سهام الليل لاتخطى

(الصلاح الصفدى)

بسهم اجفانه رمانى * فذبت من هجره وبينه ان مت مالى سواه خصم * لانه قاتلى بعينه

(ابن نباتة) نسبوه حسنا للهلال وحسنه * للبدر ينسب لا بليت ببينه

جوارى القينات ووصلته فكان يظهر لها ماليس فى قلبه وكانت الجارية على غاية العشق له والميل اليه فلم يزالا على ذلك حتى ماتت الجارية عشقا ووجدا به فذكرها بعد ذلك وأسف على ما كان من جفائه لها واعراضه عنها فرآها فى المنام ليلة وهى تقول له

أتبكى بعد قتلك لى على
فهلا كان ذا اذ كنت حيا
سكبت دموع عينك لى وفاء
ومن قبل الممات تسى اليا
فيا قرا برى جسمى وروحى
وأهلكنى وما أبقى عليا
أقل من النياحة والمراثى
فانى لا أراك صنعت شيا

قال فزاد ما كان عليه من الاسف والغم والبكاء حتى فاضت نفسه فمات رحمه الله (ومنهم قتيل) أخبرنا الشيخ علاء الدين مغلطاى فى التاريخ المذكور اجازة قال حدثنى طقطاى مملوك نائب الكرك الساكن بالخرنفش ان أخاه تزوج امرأة اسمها قطلوملك وانها كانت تحبه وجدا شديدا وولدت له ولدا وأقامت عنده مدة سنين فحنث فيها يوما فلما بلغها ذلك ألقت نفسها من سطح دارها أسفا عليه وعشقا فلم تدرك الا وهى مادة اصبعها بالتشهد واستشهد بحضوره علاء الدين استاذ دار نائب الكرك وغيره من الساكنين هناك فقالوا نعم هى قصة معروفة فى تلك الحارة شهدها الرجال والنساء ومكثوا احيانا يأسفون عليها ويبكون وكذلك زوجها اشتد حزنه وأسفه لفقدها وندم على طلاقها ندما شديدا (ومنهم شهيد) ذكر أبو القاسم التنوخى انه كان ببغداد صوفى يعرف بأبى الفتح الاعور يجلس فى مجلس أبى عبد الله البهلول يقرأ بالالحان قراءة

حسنة وصبي يقرأ ولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فزعق الصوفي بلى بلى دفعات واغمي عليه طول المجلس وتفرق الناس عن الموضع وكان الاجتماع في صحن دار كنت أنزلها فلم يفق الصوفي الى ان قرب العصر ثم قام فلما كان بعد أيام سألت عنه فعرفت انه حضر عند جارية في الكرخ تقول في القضيب

وجهك المأمول حجتنا
يوم تأتي الناس بالحجج

فتواجد وصاح ودق صدره الى ان اغمي عليه وسقط فلما انقضى المجلس حركوه فوجدوه ميتا فغسلوه ودفنوه قال التنوخي واستفاض الخبر بهذا وشاع واخبر به جماعة من الناس والابيات لعبد الصمد بن المعذل وهي

يا بديع الدل والغنج
لك سلطان على المهج
ان بيتا أنت ساكنه
غير محتاج الى السرج
وجهك المأمول حجتنا
يوم تأتي الناس بالحجج

قال والصوفية اذا قالوا وجهك المأمول حجتنا نقلوه الى ما لهم في ذلك من المعاني وكانت قصة هذا الرجل وموته سنة خمسين وثلثمائة وأمره من مفردات الاخبار (ومنهم قتيلان) قال الجاحظ طلب المتوكل رجلا لتأديب ولده فذكروني له فاحضرني بين يديه فلما رأى قبح صورتي كره النظر الي وامر لي بعشرة آلاف درهم فأخذتها وخرجت من عنده فلقيت محمد بن اسحق بن ابراهيم الموصلي وهو يريد الانصراف الى مدينة السلام فعرض علي الخروج معه والانحدار في حراقته وكنا بسر من رأى فركبنا في الحراقة وكانت دجلة في غاية الزيادة والمد فدعا بالغداء فاكلنا

فاذا بدا فالى هلال اصله * واذا رنا فهو الغزال بعينه

(الشيخ برهان الدين القيراطي)

بابي سلطان حسن حسنه * لقتال القلب في الحب نوى
صال في العشاق منه ناظري * هو والسيف على حد سوى

(ابن نباتة)

ويح قلبي من كاسر الطرف أضحى * فيه قلبي كما ترى مكسورا
قد حمى ثغره بعينيه عني * وكذاك السيوف تحمي الثغورا

(الصلاح الصفدي)

سيوف لحاظه المرضى سفكن دمي * ولم يطق دفعها حولي ولا حيلي
لولا السقام الذي فيها لما فتكت * ورب ما صحت الاجسام بالعلل

(الفرزدق) ومقلة شادن اودت بنفسي * كأن السقم لي ولها الباس
يسل اللحظ منها مشرفيا * لقتلي ثم يغمده النعاس

(بدر الدين بن حبيب)

عيناه قد شهدت باني مخطئ * وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتئد في قتلتي * فالخط زور والشهود سكارى

(جلال الدين ابن خطيب داريا)

شهدت جفون معذبي بملاله * مني وان وداده تكليف
لكنني لم أنا عنه لانه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

(أمين الدين كاتم سر الشام)

ان كان قيد هواك اطلق ادمعي * فوكيل شوقي عاجز عن حبسه
او كان منك الطرف اسهر ناظري * فلكل شئ آفة من جنسه

(الصلاح الصفدي)

غزال من الاتراك ماضاق لحظه * لحظي الا كي تضيق مذاهبي
كان الحشى طير وكاسر لحظه * تصيدها من جفنه بالمخالب

(ابن اسد الدين)

الى الله أشكو حب أهيف فاتن * وقمت فما لي من يديه خلاص
جرحت بلحظي خده وهو جارح * بلحظيه قلبي والجروح قصاص

(وقلت) يقولون ان الشمس تحرق كل ما * تحاسده من كانسات الكواكب
فهاخدها المريخ مع شمس وجهها * قد اقترنا في سمت قوس الحواجب
نعم قضيا لي بالشقاوة منهما * بسهم لحاظ عاقني عن مطالبي

(ومن الثالث قول ابن قلاقس)

فوق خديك دليل * ان نهديك ثمار ما اختفى الرمان الا * وتبدى الجلنار

(الصنوبري)

ذات خد يكاد يدميه وهم * من مشير بالجد او بالمزاح
في بياض وحمرة فكان قد * صيغ حسنا من ماء مزن وراح

(محمد

(محمد بن ياقوت) مالي بجور الحبيب من قبل * هل حاكم عادل فيحكم لي
حمرة خديه من دمي صبغت * ويدعي انها من الخجل

(علاء الدين المدني)

يا حسن وردطلي في ماء وجنته * فزاد أهل الهوى في حبه شغفا
وراح يجني ثمار الوصل عاشقه * لما تمكن من خديه واقتطفا

(وقال آخر) وأغيد تدمي وجناته من اللمح * تخاف الامن صدودي بالشح
غدا قاتلي ان ظلت أجرح خده * متى صار بالقتل القصاص من الجرح

(كمال الدين بن النبيه)

صنعة الكيمياء صحت لعيني * حين يزداد ذبراني احمرارا
فاذا ما القيت اكسير لحظي * في لجين الخدود عاد نضارا

(مظفر الاعمى) قبلته فتلظى جمر وجنته * وفاح من عارضيه العنبر العبق
وحال بينهما ماء ومن عجب * لا ينطفي ذا ولا ذا منه يحترق

(وقال بعضهم) فتنت بتركي جاني عناقه * عقارب صدغيه على خده صرعى
ألم ترأني كلما رمت لثمه * تخيل لي من سحرها انها تسعى

(عز الدين الموصلي) كالزرد المنظوم أصداغه * وخده كالورد لما ورد
بالغت في اللثم وقبلته * في الخد تقبيلا يفك الزرد

(ابن الوردي)

قال من أهواه صف صدغي بما * فيه توجيه وحبه الي
قلت ان الصدغ لام قد كوى * نصبها قلبي فهذي لام كي

(برهان الدين القيراطي)

عنقود صدغ الذي أهواه تيمني * وقال لي ريقه لما رأى وصبي
ان كان في الصدغ عنقود فتنت به * فان في الخمر معنى ليس في العنب

(وقال آخر) وبين الخد والشفتين خال * كزنجي أتى روضا صباحا
تحير في الرياض فليس يدري * أيجني الورد أم يجني الاقاحا

(الصلاح الصفدي)

بروضة خده الحمر اضحت * عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

(وهذا مأخوذ كما ذكره ابن حجة من قول ابن نباتة)

بروحي فاتر الالحاظ ألمى * ملي الحسن حالي الوجنتين
له خال على دينار خد * تباع له القلوب بحبتين

(العفيف التلمساني)

أدنته لي سنة الكرى فلثمته * حتى تبدل بالشقيق السوسن
ما راعني الابلال الخال من * خديه في صبح الجبين يؤذن

(شهاب الدين الخيمي)

وعذولي لج في عذلي اذ * لم ير الخال على الخد الاسيل

ثم امر بالنبيذ والغناء فناشدته ان لا يفعل فأبى ومد الستارة بيننا وبين جواريه فغنت جارية عوادة ما سمعت أحسن من صوتها ولا احذق منها بصناعة الغناء وطرائقه تقول برفيع صوتها

كل يوم قطيعة وعتاب
ينقضي دهرنا ونحن غضاب
ليت شعري أنا خصصت بهذا
دون ذا الخلق أم كذا الاحباب

ثم سكتت فامر الطنبورية فغنت

وارحمة للعاشقينا * ما ان أرى لهم معينا
كم يعذلون ويهجرو * ن ويبعدون فيصبرونا
وتراهم مما بهم * بين البرية خاشعينا
يتعذبون ويظهرو * ن تجلدا للعاشقينا

فقالت لها العوادة يا فاجرة فيصنعون ماذا قالت يصنعون هكذا وضربت بيديها في الستارة فهتكتها وبدرت علينا كالقمر ثم القت نفسها في الماء وكان على رأس محمد غلام وهي الجنس يضاهيها في الحسن والجمال وبيده مذبة يذب بها فلما رأى ما صنعت الجارية ألقى المذبة من يده واتى الى الموضع الذي طرحت نفسها منه ونظر اليها وهي تمر بين الماء فقال

انت التي عرفتني
كيف القضا لو تعلمينا
لا خير بعدك في البقا
والموت ستر العاشقينا

ثم القى نفسه في اثرها فادار الملاح الحراقة فاذا بهما متعانقان ثم غاصا فلم ير احد منهما فاستعظم محمد ذلك وهاله الامر ثم قال يا عمرو أتحدثني حديثا تسليني به عن فعل هذين والا الحقتك بهما قال فحضرني حديث يزيد بن عبد الملك وقد قعد للمظالم وعرضت عليه القصص فمرت به قصة فيها ان رأى امير المؤمنين

لو رأى وجه حبيبي عاذلي * لتفارقنا على وجه جميل

(شمس الدين الصائغ)

بروحي أفدي خاله فوق خده * وما أنا ذو مال فأفديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن في ذلك الخال

(جمال الدين بن نباتة)

لله خال على خد الحبيب له * بالعاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثه حبة القلب القتيل به * وكان يهدى بأن الخال لا يرث

(الصلاح الصفدي)

أفدي حبيبا له في كل جارحة * مني جراح بسيف اللحظ والمقل
تقول وجنته من تحت شامته * لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(ابن الوردي) لحبيبي شامة في خده * لا علا شان حسود شانها
رب عين دهشت منه فقد * نسيت في خده انسانها

(وقال آخر) يا سالبا قمر السماء جماله * ألبستني في الحزن ثوب سمائه
أشعلت قلبي فارتمى بشرارة * علقت بخدك فانطفت في مائه

(ابن تميم) رأيت حبة قلبي حين لاح لها * محبوبها نفرت من حر أفكاري
ثم استجارت بخدمته فهي به * كالمستجير من الرمضاء بالنار

(وقال بعضهم) له على حاجبه شامة * تنزهت في الحسن عن عائب
مثل طواشي زاد في حقه * يعلو على الناظر والحاجب

(تقي الدين بن حجة) قلت للخال اذ بدا * في نقا جيده السعيد
فزت يا عبد قال لي * أنا عبد لكل جيد

(وقال آخر)

غدا خاله رب الجمال لانه * على عرش كرسي الخدود قد استوى
وأرسل في الاصداغ رسلا اعزة * على فترة تدعو القلوب الى الهوى

(وقال آخر) يريك بوجنتيه الورد غضا * ونور الاقحوان من الثنايا
تأمل منه تحت الصدغ خالا * لتعلم كم خبايا في الزوايا

(وقال آخر) أبو طالب في كفه وبخده * أبو لهب والقلب منه أبو جهل
وبنتا شعيب مقلتاه وخاله * الى الصدغ موسى قد تولى الى الظل

(وقال آخر) لهيب الخد حين رآه طرفي * هوى قلبي عليه كالفراش
فأحرقه فصار عليه خالا * وها أثر الدخان على الحواشي

(القيراطي) انظر الى سطر عذار بدت * من فوقه الشامات مثل النقط
صحت به نسخة حسن وكم * قد راحت الارواح فيها غلط

(وقال آخر) ومهفهف يحمي ورود رضابه * بصوارم سلت من الاجفان
كتب العذار بليقة مسكية * في خده سطرا من الريحان

(أبو غالب) سأصنع في ذم العذار بدائعا * فمن شاء فليقص الدليل كما أقضي
ألا انه كاللام واللام شأنها * اذا التصقت بالاسم صار الى الخفض

(البدر

ان يخرج الى جاريته فلانة تغني ثلاثة
اصوات ففعل فاغتاظ يزيد من ذلك
وامر من يخرج اليه ويأتيه برأسه ثم اتبع
الرسول برسول آخر يأمره بان يدخل
اليه الرجل فادخله فلما وقف بين يديه
قال له ما الذي حملك على هذا قال الثقة
بحلمك والاتكال على عفوك قال فامره
بالجلوس بعد ان لم يبق احد من بني
امية حتى خرج ثم امر بها فخرجت
ومعها عودها قال لها الفتى غني

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل
وان كنت قد ازمعت هجري فاجملي

قال فغنت قال له يزيد قل الثاني فقال
لها غني

تألق البرق نجديا فقلت له
يا برق اني بروحي عنك مشغول

قال فغنته فقال له يزيد قل الثالث قال
تامر لي برطل من شراب فامر له به فلما
شربه أشار اليها بأبيات فغنتها ثم انه وثب
وصعد على قبة ليزيد فرمى نفسه على
دماغه فمات فقال يزيد انا لله وانا اليه
راجعون أكان الاحمق يظن اني أخرج
اليه جاريتي تغنيه وأردها الى ملكي
يا غلمان خذوا بيدها واحملوها الى اهله
ان كان له اهل والا فبيعوها وتصدقوا
بثمنها عنه فانطلقوا بها الى اهله فلما
توسطت الدار ونظرت الى حفرة في وسط
دار يزيد قد اعدت للمطر فجذبت نفسها
من بين ايديهم وانشدت

من مات عشقا فليمت هكذا
لا خير في عشق بلا موت

والقت نفسها في الحفرة على دماغها
فماتت (ومنهم قتيل) حكى ابن عبد ربه
في العقد الفريد عن محمد بن الحجاج
وكان راوية بشار قال قال بشار ذات يوم
وكان قد مات له حمار قبل ذلك رأيت
حماري البارحة في النوم فقلت له ويلك

(البدر الدماميني) تحدث ليل عارضه بأني * سأسلوه وينصرم المزار
فقال جبينه لما تبدى * حديث الليل يمحوه النهار

(سيدي أبو الفضل ابن وفاء)
على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها تزاحما
حمى ورد خديه حماة عذاره * فياحسن ريحان العذار حمى حما

(ابن النبيه) جنت بنظره البديع عيوننا * فتسلسلت بمدامع الاجفان
واخضر فوق الخد آس عذاره * فعجبت للجنات في النيران

(تاج الدين اليماني)
بخلت لواحظ من رآني مقبلا * برموزها ورموزهن سلام
فعذرت نرجس مقلتيه لانه * يخشى العذار لانه نمام

(الصلاح الصفدي)
عذارك والطرف يا قاتلي * يحاكيهما الآس والنرجس
وقد صار بينهما نسبة * فهذا يدب وذا ينعس

(الطنبغا الجاولي)
عذارك والطرف قد أظهرا * جميع الذي فيهما يرمز
واني يصان الهوى عنهما * وهذا ينم وذا يغمز

(وله أيضا) من قال عما قد بدا في خده * أحببته شعرا به ما انصفا
هذاك نمل رام شهد ريقه * فرأى تلهب خده فتوقفا

(محمد بن الرعاد)
أعد نظرا فما في الخد نبت * حماه الله من ريب المنون
ولكن رق ماء الخد حتى * أراك خيال أهداب الجفون

(عز الدين الموصلي)
لقد كنت لي وحدي ووجهك جنتي * وكنا وكانت للزمان مواهب
فعارضني في ورد خدك عارض * وزاحمني في ورد ريقك شارب

(ابن نباتة) واحربا من هوى رشيق * معتدل كالقضيب مائل
عذاره لا يجيب دمعي * وسائل لا يجيب سائل

(الشهاب الحجازي)
سال العذار بخده فاذا الـ * مبيض في خديه مسود
ولسان حال الخد ينشدنا * هل بالطلول لسائل رد

(الزين المصري)
ان ماس فالغصن بالاوراق مستتر * أو لاح فالبدر بالانواء محتجب
عذاره بسواد القلب منتقش * وخده بدم العشاق مختضب

(وقلت) يا وجنة من تحت أصداغها * لانفس العشاق كم تجتذب
وهاجة كادت بإبريقها * تذهب بالابصار لم تحتجب
أهل المجسطي لو رأوها قضوا * بشرف المريخ في العقرب

ما الأثمت قال لانك ركبتني يوم كذا وكذا فمررنا على باب الاصبهاني فرأيت أتانا عند بابه فعشقتها فتوقفت وأنشدني

سيدي شمت أتانا * عند باب الاصبهاني
تيمتني يوم رحنا * بثناياها الحسان
وبغنج ودلال * سل جسمي وبراني
ولها خد أسيل * مثل خد الشيقراني
فبها مت ولو عشـ * ـت اذا طال هواني

فقال له رجل من القوم يا أبا معاذ ما الشيقراني قال هذا من لغة الحمير فاذا لقيتم حمارا فاسألوه (قلت) وذكر جماعة من أهل السير من حديث عبد الله بن حبيب الهذلي عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي منصور وكان له صحبة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح الله تعالى عليه خيبر أصاب حمارا أسود فكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي ما اسمك قال يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدي ستين حمارا كلهم لم يركبهم الا نبي ولم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام غيرك وأنا أتوقعك ان تركبني وكنت قبلك لرجل من اليهود فكنت أعثر به عمدا فكان يجيع بطني ويضرب ظهري فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قد سميتك يعفورا أتشتهي الاتان قال لا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يركبه في حوائجه واذا نزل عنه بعثه في حاجته فيأتي باب الرجل فيدفعه برأسه فاذا خرج صاحب الدار عرفه وأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فلما قبض عليه الصلاة والسلام جاء الى بئر كانت لابي الهيثم فتردى فيها جزعا على النبي صلى الله عليه وسلم فصارت قبره (ومنهم قتيل) (قال محمد بن هرون) حدثني فيما أذكره السراج قال اشتريت زوج بط فذبحت الذكر وتركت الانثى فمكثت

(وقلت) ياعجبا للخال فى خدها * كيوان بالمريخ يستمسك
نحسان دلا فى اقتران على * ان دم الصب هنا يسفك
يا مطلب طلسمه مانع * هل مطلب الا له مهلك

(وقلت) سألتها عن بياض * فى وجنتيها وحمره
اذا طربى اجتماع * قالت وراية نصره

(وقلت فى العذار)

جرى الخلف فى نبت العذار فذاهب * الى انه مسك على الورد منثور
ومن قائل آس فقلت كلاهما * غدا مصلها اللورد اذ فيه كافور

(ولبعضهم) ولا تحسبن الخال فى الشفة التى * يتيه بها المحبوب نقصا ولا خال
ولكنه ختم على ما بثغره * من الدر والياقوت والخمر والعسل

(ومن الرابع قول بعضهم)

سألته فى ثغره قبلة * فقال ثغرى لم يجز لثمه
فها كها فى الخد واقنع بها * ما قارب الشئ له حكمه

(وقال آخر)

وموعدي بقبلة * ارشفها من مبسمه سوف بى ولم يزل * يوعد لكن بفمه

(وقال آخر)

ذكرت ريق حبيبي * بشرب راح معطر وليس ذا بعجيب * فالشئ بالشئ يذكر

(جمال الدين بن نباتة)

وأغيد فى فيه المدام ولحظه * وفى وفى اعطافه نشوة السكر
تداويت من الحاظه برضابه * كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

(وقال آخر) نقل الاراك بان ريقة ثغره * من قهوة مزجت بماء الكوثر
قد صح ما نقل الاراك لانه * يرويه حقا عن صحاح الجوهرى

(الصلاح الصفدى) يا ثغره ليس الثناى التى * تفضى على غير الانجم الغر
فليقل المسواك ما عنده * فهو عن الضحاك والزهرى

(ابن قلاقس) جمعت نكهته فى ثغره * عبقا فى نسق يسبى الحدق
وبدت خيلانه فى خده * شفقا فى فلق تحت غسق

(وقال آخر) خد وثغر فجل رب * بمبدع الحسن قد تفرد
فذا عن الواقدى يروى * وذاك يروى عن المبرد

(شمس الدين بن الصائغ)

يروح من ولى فولى بمهجتى * وولى منامى فهو كالوصل شارد
حمى ثغره عنى بسيف لحاظه * وحتام يحمى ريقه وهو بارد

(الصلاح الصفدى)

رشفت ريقك حلوا * فلم يكن لى صبر وسوف أحظى بوصل * وأول الغيث قطر

(ابراهيم بن المعمار)

عزمت على رقيا محاسن وجهه * بانوار آيات الضحى حين أقبلا

المكبة فجعلت تضطرب تحت المكبة حتى كادت أن تقتل نفسها فقلت ارفعوا عنها المكبة فرفعت فجعلت فلم تزل تضطرب فى دم الذكر حتى ماتت (وقال) أبو عبد الله محمد بن محمد التميمى فى كتاب امتزاج النفوس ليس فى جميع الطير أوفى من القمرى والقمرية وذلك انه اذا مات أحد الزوجين تعذب الآخر بعده ولا يأنس الى غيره ولا يألف رفيقا ولا يزال باكيا فردا الى أن يموت (ومنهم قتيل) ذكر المكيخى فى تاريخ القدس عن ابراهيم بن فاتك قال بينما سمنون يتكلم فى المحبة فى المسجد اذ جاء طائر صغير فقرب منه ثم قرب فلم يزل يدنو حتى علا على يده ثم ضرب بمنقاره الارض فسال منه الدم ثم مات (ومنهم شهيد) ذكر العتبى قال جلست يوما وعندى جماعة من أهل الادب فنزع بنا الحديث الى أخبار العشاق وفى الجماعة شيخ ساكت فسئل فقال كانت لى ابنة وكانت تهوى شابا ولا نعلم بذلك وكان الشاب يهوى قينة وكانت القينة تهوى ابنتى فحضرت فى بعض الايام مجلسا فيه ذلك الشاب والقينة فغنت

علامة ذل الهوى
على العاشقين البكا
ولا سيما عاشق * اذا لم يجد مشتكا

فقال لها أحسنت يا سيدتى أتأذنين لى أن أموت فقالت نعم مت راشدا ان كنت عاشقا قال فنام وغمض عينيه ومات فانصرفنا مهمومين الى منازلنا فاخبرت اهلى بما كان من شأن الفتى فلما سمعت ابنتى كلامى نهضت الى مجلس لنا مبادرة فانكرت ذلك منها فقمت فوجدتها توسدت كما كنت وصفته عن الفتى فحركتها فاذا هى ميتة فاخذنا فى

فلما بدا يفتر عن نظم ثغره * بدأت ببسم الله في النظم أولا

(الصلاح الصفدي)

أحببته كالغصن كم شاعر * له عليه نوح ورقاه
وثغره الصادي من حسنه * مجاز في تشبيهه الطائي

(يوسف بن مسعود)

رأى ثغر من أهوى عذولي فلامني * ولم يدر أن اللوم في حبه يغري
شغفت بهذا وارتبطت بحسنه * وأحسن ما كان الرباط على الثغر

(النواجي) لله ثغر للحبيب تجمعت * في ضمنه للعاشقين نفائس
فيه الرحيق وخاله المسك الختا * م وفيه فليتنافس المتنافس

(الصلاح الصفدي)

قد شبه الخال على ثغره * تشبيه من لا عنده شك
بسبحة من جوهر أودعت * حق عقيق ختمه مسك

(ابن ريان) لاحت على مبسمه المشتهى * ثلاث شامات غدت في النثام
لا تعجبوا ان كثرت حوله * فالمنهل العذب كثير الزحام

(ابن الوليد) أريقا من رضابك ام رحيقا * رشفت فلست من سكري مفيقا
وللصهباء أسماء ولكن * جهلت بان في الاسماء ريقا

(شيخ الشيوخ بحماة)

سألته من ريقه شربة * أشفي بها من كبدي حره
فقال أخشى يا شديد الظما * ان تتبع الشربة بالجره

(الحريري) نفسي الفداء لثغر مبسمه * وزانه شنب ناهيك من شنب
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

(ابن عنين) يا غزالا اورى الغواية رشدا * في هواه واحسب الرشد غيا
ما رأينا قبل ابتسامك بدرا * لا يتم يفتر عن نجوم الثريا

(ابن سناء الملك) له فم ينعمه ضيقه * ان يخرج اللفظ بتقويم
ولفظه سكران من ريقه * فهو لهذا غير مفهوم
ما فهمه ميم ولكنه * علامة الجزم على الميم

(وقال آخر) كان على انيابها الخمر مجه * بماء الندى في آخر الليل عابق
وماذقته الا بعيني تفرسا * كما شيم من أعلى السحابة بارق

(ابن الرئيس) لئن كان من لؤلؤ ثغرها * فان له صدفا من عقيق
وان كان من أقحوان النبات * فان مشاربه من رحيق

(ابو العشائر) ثغر كلمع البرق حسن بريقه * يشفي فؤاد المستهام بريقه
قد بت ألثمه وارتشف المنى * من دره ورحيقه وعقيقه

(وقال آخر) بأبي فم شهد الضمير له * قبل المذاق بانه عذب
كشهادتي لله خالصة * قبل العيان بانه رب
والعين لا تمل بنظرتها * حتى يكون دليلها القلب

جهازها وغدونا بجنازتها وجنازة الشاب فاذا نحن بجنازة ثالثة فسألنا عنها فاذا هي جنازة القينة بلغها قول ابنتي ففعلت مثل ما فعلت فماتت فدفنا الثلاثة في يوم واحد (ومنهم شهيدان) ذكر الشيزري في روضة العشاق انه كان بعمورية راهب يسمى عبد المسيح اسلم فسئل عن اسلامه فقال كان عندنا شاب فهوى جارية نصرانية تبيع الخمر فكان لا يبرح ناظرا اليها فلما علمت به سلطت عليه الصغار يضربونه ويصيحون عليه فكانت تفعل به ذلك كل يوم فلما علمت صدقه دعته الى نفسها حراما فأبى فعرضت عليه التنصر ويتزوجها فأبى فسلطت عليه الصغار فأثخنوه قتلا قال عبد المسيح فادركته وهو يقول اللهم اجمع بيننا في الجنة ومات فلما كان من الليل رأت الجارية الشاب قالت فأخذ بيدي وانطلق بي الى الجنة فلما أردت ادخلها منعت لاجل الكفر قالت فاسلمت ودخلت معه فرأيت شيأ عظيما ورأيت قصرا من الجوهر فقال هذا لي ولك وأنا لا أدخله الا بك والى خمس ليال تكونين عندي فلما استيقظت اسلمت وجلست عند قبره وماتت في الليلة الخامسة فكان ذلك سبب اسلامي (ومنهم قتيل) ذكر أبو محمد عبد الحق ان رجلا كان واقفا بازاء داره وكان يشبه الحمام فمرت به امرأة جميلة وهي تقول أين الطريق الى حمام منجاب فاشار اليها به فلما دخلته دخل معها فلما رأت ذلك أظهرت له السرور وقالت تشتهي أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا فخرج مبادرا اليها بما سألت وغفل عن الباب فلما جاء وجدها قد خرجت فتكثر ولهه بها فكان يمشي في

(أبو عبادة ويعزى الى يزيد بن معاوية وهو الصحيح)
واستمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وهو من قصيدة كلها ملح وعيون وسأذكرها في الغزل المطلق وأما بيت أبي عبادة الذي بنى عليه الحريري المقامة الحلوانية فهو

كأنما تبسم عن لؤلؤ * منضد أو برد او اقاح

(الحريري) سألتها حين زارت نضو برقعها القاني وايداع سمعي اطيب الخبر
فزحزحت شفقا غشى سنا * قمر وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر
واقبلت يوم جد البين في حلل * سود تعض بنان النادم الحصر

(وقلت) أقول لمن بالطب أصبح جاهلا * مقالا صحيحا قيما غير ذي عوج
برى ثغرها خضراء على ذي حرارة * لان به شهدا مع الخمرة امتزج
أغرك أن الخمراني مزجتها * بشهدا تت بالحرفي رابع الدرج
أما اعتدلت اذجاورت برداته * تنضد والجريال في ذلك الفلج
وهبك جهلت الطبع ماذا تقول في * عقيق ويلو رمعا فيه قد نتج
و بينهما خلف طويل مفصل * بكتب أرسطو والذي قبله درج

(وقلت) أرى ريقها عند الشفاء لكل ما * تعذر من داء عن البرء أو فسد
عليك به فهو النجاة لشارب * وان جاوز القانون فيه أو اقتصد
فهذي اشارات كفت كل عاقل * وان قيل شئ غيرها ليس يعتمد

(وقلت) عجبت من المسواك يرشف ريقها * مدى الدهر لا يحميه من ذاك مانع
و يبقى جمادا كيف لم يحي بالحيا * وتفنى الليالي وهو أخضر يانع
رضاب يقوم الميت ان شم عرفه * ولو قطعت اوصاله والاضالع
فقال خشيت الهجر منها فعانني * فحسبك عذر في جوابي قاطع
بنفسي ثغر قلت اذلاح نوره * ابرق بدا من جانب الغور لامع
و برد رضاب قلت عند وداعه * زمان اللقا يا خيف هل انت راجع

وقد أكثروا من هذا النمط اعني التشبيب بالوجه وأعضائه البسيطة والمركبة لكونه أشرف وأبهج وأعلى والطف وأما ما عداه فنادر ان تيسر لشاعر بيت او بيتان أو أكثر في عضو بعينه أما في ضمن غيره فكثير سنورد منه ما تيسر حسبما شرطنا وأما مطلق القامة بما فيها فأكثر من أن يحصى ما فيه وما قيل من ان اول من وصف الثدي عمرو بن كلثوم

وثديا مثل حق العاج رخصا * حصانا من أكف اللامسينا

فأمر يحتاج الى مزيد استقصاء واحاطة لان العرب تغزلت كثيرا غاية الاغراق المتأخرين الطف فمن وصفهم الجيد في ضمن غيره قول بعضهم

لما جيد أم الخشف ريعت فأقبلت * ووجه كقرن الشمس ريان مشرق
وعين كعين الظبي فيها ملاحة * هي السحر أو ادهى التباسا وأعلق

(دعبل) أتاح لك الهوى بيض حسان * سلبنك بالعيون وبالنحور
نظرت الى النحور فكدت تقضي * فأولى لو نظرت الى الخصور

(ابن الرومي) صدور فوقهن حقاق عاج * وحلي زانه حسن اتساق

الطريق ويقول

يا رب قائلة يوما وقد جهلت
كيف الطريق الى حمام منجاب

وبقي على ذلك مدة حتى جاوبته امرأة من طاق

قرنان هلا جعلت اذ ظفرت بها
حرزا على الدار أو قفلا على الباب

فزاد هيمانه واشتد هيجانه ولم يزل كذلك بالبصرة حتى حضرته الوفاة فقيل له قل لا اله الا الله فجعل يقول يا رب قائلة يوما البيت حتى مات (ومنهم شهيد) ذكر أبو القاسم الشروطي في كتاب التسلي عن أبي الفرج الصوفي وغيره انه كان عندهم رجل صوفي يعرف بأبي القاسم الشوا وكانت له عنيزات يرعاهن وقال بعضهم انه لم يكن يحضر معهم مجالس السماع و يجذبونه الى ذلك ولم يكن له رغبة في ذلك قال فبينما هو يرعى يوما عنيزاته اذ سمع صبيا من صبيان الصحراء يغني في حقل

ان هواك الذي بقلبي
صيرني سامعا مطيعا
أخذت قلبي وغمض طرفي
سلبتني العقل والهجوعا
فابذ فؤادي وخذ رقادي
فقال لا بل هما جميعا
فراح مني بجانبيه
وبت تحت الهوى صريعا

قال فاعتراه طرب شديد فقال للصبي وأقبل نحوه كيف قلت فقال جيد وكان يقال له جيد الفاخوري فتردد اليه ثلاثة أيام وهو يردد عليه هذه الابيات ثم تخلف في منزله عليلا يصيح فؤادي فؤادي الى ان قضي عليه (ومنهم شهيدان) ذكر المفضل الضبي عن كامل انه عشق أسماء بنت عبد الله بن

يقول الناظرون اذا رأوها * اهذى الحلى من هذى الحقاق
وما تلك الحقاق سوى ثدى * قدرن من الحقاق على وفاق
نواهد ليس يفسدهن عيب * سوى منع المحب عن العناق

(المهلبي) أقاتلتى بفتور الجفون * ورمانتين على معصر
كحقين من ابن كافورة * برأسيهما انقطتا عنبر

(الرفاء) ومن وراء جيوب الحى شمس ضحى * تجول فى جنح ليل مظلم داجى
مقدودة حفظت ايدى الشباب لها * حقان دون مجال العقد من عاج

(الثعالبي) قد حجبت وجهها عن النظر * بمعصم حل عقد مصطبرى
كأنه والعيون ترمقه * عمود صبح فى دارة القمر

(وقال بعضهم) كان الثدايا اذا ما بدت * وزين منها النهود الصدورا
حقاق من الدر مخروطة * يسعن من المسك شيأ يسيرا

(الحسن بن هانئ)

بأبى غادة تميس بقد * تتثنى فتخجل الاغصانا
لمست صدرها فباهت وقالت * غصن قد ذى قد اثمر الرمانا

(وقلت) اذا ابليت الخدمنها بنساره * بجبينا فنه صيغ منبسط الصدر
وذلك برأى العين اما ملابس * فلسين حرير والنهود من الدر

ومن اوصافهم فى الارداف والخصور بالضمية كما سبق قول عبد الوهاب السندوبي

قام فكادت لين اعطافه * تقصها الارداف من نهضه
فكيف يرجو الغير انصافه * وبعضه جار على بعضه

(ابن قزل) واهيف القد بت اشكو * له تلافى وما تلافى
فمال عطفا ودق خصرا * وانما ردفه تجافى

(آخر) ياخصره كم جفاه * تبدى وأنت نحيل
يا ردفه ملت عنى * ما انت الا ثقيل

(ابن مكانس) كسلت ارداف حبى * فدموعى تتوالى
ايها المحبوب فارحم * رب دمع فيك سالا

(الصلاح الصفدى)

اقول له قد رق عيشى والصبا * وعقلى وكاساتى وصوت الذى غنى
وقال الذى اهواه خصرى نسيته * فقلت له والله قد جئت فى المعنى

(سيف الدين المشد)

مهفهف القد نحيل الحشا * يسبى الورى عمدا بطرف مريض
تلاعب الشعر على ردفه * أوقع قلبى فى الطويل العريض

(ابن سنا الملك)

تلاعب الشعر على ردفه * اوقع قلبى فى العريض الطويل
ياردفه جرت على خصره * رفقا به ما انت الا ثقيل

(ابن الوردى) اذا قيل ما ردفى وشعرى اجبته * كثيب مهيل فوقه حية تسعى

مسافرا بنته عمه فلم يزل به العشق الى ان صار كالشن البالى فشكا ابوه الى ابيها خالد فامر بحمله الى داره ليزوجها به ولم يعلم كامل فلما علم قال وان اسمعها لتسمع قيل نعم فشهق شهقة قضى مكانه فقيل لها مات بشجنه قالت والله لاموتن بعده مثله ولقد كنت على زيارته قادرة فمنعنى منها قبح ذكر الريبة ومرضت فلما اشتد مرضها قالت لاشقق نسائها اعليها صورى لى مثاله فانى احب ان ازوره قبل موتى ففعلت فلما وصلت الصورة اليها اعتنقتها وشهقت فماتت فطلب ابو الفتاة الى ابيه ان يدفنها الى جانب قبر ابنه ففعل وكتب على قبريهما

بنفسى هما ما متعا بهواهما
على الدهر حتى غيبا فى المقابر
أقاما على غير التزاور برهة
فلما أصيبا قربا بالتزاور
فياحسن قبر زار قبر الحبه
و يا زورة جاءت بريب المقادر

(ومنهم شهيدان) ذكر مصعب بن الزبير ان مالك بن عمرو الغسانى تزوج بنت عم النعمان بن بشير وكلف كل واحد منهما بصاحبه وكان ملكا شجاعا فاشترطت عليه ان لا يقاتل شفقة عليه وضنا به فباشر القتال فاصابته جراحة فقال وهو مثقل منها

ألا ليت شعرى عن غزال تركته
اذا ما أتاه مصرعى كيف يصنع
فلو أننى كنت المؤخر بعده
لما برحت نفسى عليه تقطع

ومكث يوما وليلة ومات فلما وصل خبره الى زوجته بكته سنة ثم اعتقل لسانها وامتنعت من الطعام والكلام وكثرت خطابها فقال من يلى امرها زوجوها لعل لسانها ينطلق ويذهب حزنها فلما هى من النساء فزوجوها بغض

وان قيل هل ترعى عذارى موريا * أقول له اى والذى أخرج المرعى

(الصلاح الصفدى)

لولا شفاعة شعره فى صبه * ما كان زار ولا أزال سقاما
لكن تنازل فى الشفاعة عنده * وغدا على أقدامه يترامى

(البهاز هير وهو مما شاع ولم نره فى ديوانه)

حبذا نفحة ريح * فرجت عنى غمه * ضربت ثوب فتاة
اظهرت تيها وحشمه * فرأيت البطن والسرة والخصر وثمه

(الباخرزى فيما يكتب على التكة)

لم لا أتيه ومضجعى * بين الروادف والخصور * واذا نسجت فاننى
بين الترائب والنحور * ولقد نشأت صغيرة * بأكف ربات الخدور

(بشار) نظرت فى القصر عينى * نظرا وافق حينى
شترت لما رأتنى * دونه بالراحتين * فضلت منه فضول
تحت طى العكنتين * ليتنى كنت عليه * ساعة أو ساعتين

ولها حكاية حاصلها ان المهدى دخل على بعض جواريه وهى مجردة فلما استترت منه بيديها فاض عنهما فانشد * نظرت فى القصر عينى * وارتج عليه فاستدعى بشارا فقال له اجز وأنشد الابيات

(العباس بن الاحنف)

ومثلك لم ار فى العالمين نصفا قضيبا ونصفا كثيبا
وانت اذا ما وطئت الترا * ب كان ترابك للناس طيبا

(ابو الحسين الجزار)

وكم ليلة استغفر الله بتها * بخد وثغر بين ورد وجريال
سرت راحتى غورا ونجدا الى الضحى * وما ذاك الا فى خصور وأكفال

(الصفى الحلى) اذا انثنت باعطاف يجاذبها * مدار غصن من الكثبان مطور
رأيت امواج ارداف اذا التطمت * فى لج بحر بماء الحسن مسجور

(وقال آخر) واذا السوالف بالبنفسج جاورت ورد الخدود
وتموجت كثب الروا * دف تحت أغصان القدود
شاهدت فى ايدى الظبا * قياد أعناق الاسود

(ابن نباتة) سألت النقا والبان ان يحكيا لنا * روادف اوعطاف من زاد صدها
فقال كثيب الرمل ما أنا حاملها * وقال قضيب البان ما انا قدها

(الصلاح الصفدى)

اقول وقد نامت على سر وجهها * ومالى عليها فى الظلام رقيب
وان الكثيب الفرد من جانب الحمى * الى و ان لم آته لحبيب

(ابن ابى حجلة)

مالت كغصن مع الارواح مياس * مصرية الحلى تبدو لى بمقياس
ماجن ليلى وأمسى حليها قلقا * الاوثار بهاجنى و وسواسى
ولا بدا ردفها الراسى اذا قعدت * الا وبانت يدى منه على راسى

ابناء الملوك فساق لها ألف بعير فلما كانت الليلة التى اهديت اليه فيها أقامت على باب القبة وقالت

تقول رجال زوجوها الامها
تقر وترضى بعده بخليل
فاخفيت فى النفس التى ليس بعدها
رجاء لهم والصدق أفضل قيل
وحدثنى اصحابه أن مالكا
صروم كماضى الشفرتين صقيل

فلما فرغت من انشاد الشعر شهقت شهقة فماتت * (ومنهم شهيدان) * قال احمد بن محمد الغنوى فيما ذكره فى ذم الهوى دخلت الكوفة فجاءنى طرفاؤها فقالوا هنا فتيان تحابا وقد اعتل احدهما فتريد أن نعوده فذهبت معهم ليعودوا العليل ونعود الصحيح فوجدنا فتى ملقى على سرير وآخر متكئا عليه يذب عنه وينظر فى وجهه فلما رآنا فرج انسانا عن صاحبه فجلس اصحابى حول العليل وجلست بازاء الصحيح فكان العليل اذا قال أواه قال الصحيح أواه فاذا قال العليل أواه من فخذى قال الصحيح أواه من فخذى واذا قال أواه من يدى قال الصحيح أواه من يدى الى أن قالوا قد قضيا رحمهما الله فشد اصحابى لحيى العليل وشددت لحيى الصحيح وما برحنا حتى دفناهما (ومنهم شهيد) قال أبو مسهر كان وضاح اليمن والمقنع الكندى وابو زبيد الطائى يردون مواسم العرب متبرقعين يسترون وجوههم خوفا من العين وحذرا على انفسهم من النساء لجمالهم وكان وضاح اليمن هو وام البنين بنت عبد العزيز ابن مروان صغيرين فاحبها واحبته وكان لا يصبر عنها فلما تزوجت بالوليد بن عبد الملك ذهب عقل وضاح

شمس الدين بن جابر النحوي وهو الشهير بالاعمى والبصير فى شرح الالفية يعنى باعتبار البصر فى الاول والبصيرة فى الثانى وبالعميان فى البديعية يعنى انه مفرد ناب عن جمع فلا يغتر بقول ابن حجة والعميان لم ينظموا ولم يقولوا أمثال ذلك مما يدل على الجمع وطالما كلفت بمعرفة هذا وسألت عنه فلم أظفر بمن يشفى العلة حتى رأيته فى كلام العلامة السيوطى رحمه الله تعالى

مقدمة الارداف ركب فوقها * مقدمة الخصر الذى هو ذابل
فتم قياس الحسن لما تركبا * وجاء على النظم الذى هو كامل
فانتج حسنا لم يلم فيه عاشق * بوجه ولم يوجد من الناس عاذل

(وله ايضا) سبب خفيف خصرها وورآءه * من ردفها سبب ثقيل ظاهر
لم يجمع النوعان فى تركيبها * الالان الحسن فيها وافر

(وله ايضا) ردف يقيم لنا بها فتن الهوى * واذا أتت لتقوم قال لها اقعدى
أبصرتها من بين ذاك و بين ذا * فوقعت منها فى المقيم المقعد

(وله ايضا) تعليق ردفك بالخصر الخفيف له * ذات الجمال وقد وقته اجفان
خد عليه رياض الحسن قد خلعت * وفى حواشيه للصدغين ريحان
محقق نسخ صبرى فى هواه ومن * توقيع مدمعى المنثور برهان
ياحسن ما قلم الاشعار خط على * ذاك الجبين فلا يسلوه انسان
اقسمت بالمصحف السامى واحرفه * ما مر بالبال يوما منك سلوان
ولا غبار على حبى فعندك لى * حساب شوق له فى القلب ديوان

(وله ايضا) وقفت يوم الوداع ملتفتا * أطمع فى نظرة اردها
فاعرضت والظباء تغبطها * فى حسن اعراضها وتحسدها
وكلفت لدن خصرها كفلا * يكاد عند القيام يقعدها

(وله ايضا) رقم الخال خدها فى اناه * قرالافق فيه نقطة ليل
قلت اين الكثيب والغصن قالت * كلما قد ذكرته تحت ذيلى

(وله ايضا) ان شئت ظبيا أو هلالا أو دجى * أو زهر بان فى الكثيب الاميد
فالحظها ولو جهها واشعرها * ولخدها والقد والردف اقصد

(وله ايضا) اقبلت فى لاز وردى علـى * ناعم ابيض لدن معجب
والحلى والوجه والثغر وما * لبست والعطف والردف حبى
انجما حفت ببدر فى دجى * فى سماء فوق بان الكثب

(ابن نباتة) افدى التى تشتكى فى مشيها ولما * بالردف والخصر تثقيل وتخفيف
تدعو على الكثب والاغصان لاعنة * فالكثب مهتوكة والغصن مقصوف

(الشهاب الحجازى)

قصدت رؤية خصر مذ سمعت به * فقال لى بلسان الحال ينشدنى
انظر الى الردف تستغنى به وأنا * مثل المعيدى فاسمع بى ولا ترنى

(وقالت) ما اخطأ الفيلسوف فيما * قرر من دقة اللطافه
ما الخصر هل قد علا بافق * جوا وفى الظرف والترافه

فلما طال عليه البلاء خرج الى الشام فجعل يطوف تحت قصر الوليد بن عبد الملك فى كل يوم ولا يجد حيلة حتى رأى يوما جارية صفراء فلم يزل يكلمها و يأنس بها الى أن قال لها هل تعرفين أم البنين قالت انك لتسأل عن مولاتى فقال انها الابنة عمى وانها لتسر بموضعى لو أخبرتها قالت نعم فانى أخبرها فمضت الجارية فاخبرت أم البنين فقالت ويلك هو حى قالت نعم قالت قولى له كن بمكانك حتى يأتيك رسول ثم انها ادخلته فى صندوق فمكث عندها حينا اذا أمنت أخرجته فقعد معها واذا عبر رقيب أدخلته الصندوق وأهدى يوما للوليد جوهر فقال لبعض خدمه خذ هذا الجوهر فامض به الى أم البنين قال فدخل الحمام من غير أن يستأذن ووضاح معها فلمحها ولم تشعر أم البنين فادى الخادم الرسالة وقال لها هبى لى من هذا الجوهر حجرا فقالت لا أم لك وما تصنع أنت بهذا فخرج وهو عليها حنق فجاء الوليد فاخبره بما رأى و وصف له الصندوق الذى رأى وضاحا دخله فقال له كذبت لا أم لك ثم نهض الوليد مسرعا فدخل عليها وهى فى ذلك البيت وفيه عدة صناديق فجاء حتى جلس على ذلك الصندوق الذى وصفه له الخادم فقال لها يا أم البنين هبى لى صندوقا من صناديقك قالت يا أمير المؤمنين هى لك وانا لك أيضا فقال أريد هذا الصندوق الذى تحتى فقط فقالت ان فيه شيأ من أمور النساء قال ما أريد غيره فقالت هو لك فامر به فحمل ثم دعا بغلامين فامرهما بحفر بئر فحفرا حتى بلغا الماء فوضع فمه على الصندوق وقال قد بلغنا عنك شئ فان كان حقا فقد دفنا خبرك ودرسنا أثرك وان كان

ودونه الردف حط وصفا * مذ كان في غاية الكثافه

(وقلت) قد غرت من عشاقها * وتركهم للغزل * في خصرها وشبهوا
ردفها والكفل * قلت الى كم تلهوا * بسافل لا يعتلى

(وأما الاغزال المطلقة التنصيص العامة من غير تخصيص) فكثيرة لا تحصى وغزيرة لا تستقصى فلنورد منها ما حسن وقعه في الاسماع وجاب القلوب السليمة الاذواق عند السماع شمس الدين بن العفيف

قف واستمع سيرة الصب الذي قتلوا * فراح في حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا * فسام صبرا فاعيا نيله فقضى

(وقال آخر) لو كان مالك عالما بذوي الهوى * ومحله من أضلع العشاق
ما عذب العشاق الا بالهوى * وان استغاثوا غاثهم بفراق

(المظفر الآمدي) قل للذين جفوني اذ لهجت بهم * دون الانام وخير القول أصدقه
أحبكم وهلاكي في محبتكم * كعابد النار يهواها وتحرقه

(ابن الوردي) دهرنا أضحى ضنينا * باللقا حتى ضنينا
يا ليالي الوصل عودي * واجمعينا أجمعينا

(ابن نباتة) أهلا بسائرة الصبا من نحوكم * وبما عهدنا من تعاهد طولها
أملت على الزهر المقطب ذكركم * حتى تبسم ضاحكا من قولها

(الصفي الحلي) لا غروان يصلى الفؤاد بحبكم * نارا تؤججها يد التذكار
قلبي اذا غبتم بصور شخصكم * فيه وكل مصور في النار

(وقال آخر)

صلوا مدنفا قد واصل السقم جسمه * ومن بعدكم طيب الرقاد فقد فقد
باحشائه نار يهب ضرامها * ومن لي باطفاء الغرام وقد وقد

(الارجاني) تمتعتما يا مقلتي بنظرة * وأوردتما قلبي أمر الموارد
أعيناي كفا عن فؤادي فانه * من البغي سعي اثنين في قتل واحد

(الملك الصالح داود)

عيون عن السحر المبين تبين * لها عند تحريك الجفون سكون
اذا أبصرت قلبا خليا من الهوى * تقول له كن مغرما فيكون

(ابن اسرائيل)

وقلت شهودي في هواك كثيرة * وأصدقها قلبي ودمعي مسفوح
فقال شهود ليس يقبل قولها * فدمعك مقذوف وقلبك مجروح

(القيراطي) لما حدا بالركب حاديهم * واسمع الداني والقاصي
أطاعني دمع جرى نهره * فدمعي الطائع كالعاصي

(لؤلؤ) وأرقني خيال من حبيب * تناءت داره لما أتاني
فمن سهري لم فلا أراه * ومن سقمي يطوف فلا يراني

(وقال آخر) قد كان لي فيما مضى خاتم * فرق جسمي فتمنطقت به
وزادني السقم فلو زجني * في مقلة النائم لم ينتبه

كذبا فعاليناقي دفن صندوق من خشب حرج ثم أمر به فالقي في الحفرة وأمر بالخادم فقذف به فوقه وطم عليهما جميعا التراب قال أبو مسهر فكانت أم البنين لا تزال توجد في ذلك المكان تبكي الى أن وجدت فيه يوما مكبوبة على وجهها ميتة وذكر المعافى بن زكريا ان الخليفة الفاعل لذلك هو يزيد بن عبد الملك وفيه نظر * (ومنهم شهيد) * ذكر الشيزري في كتاب روض القلوب انه رأى بحلب سنة خمس وستين وخمسمائة رجلا تركيا له جارية رومية يهواها وانها أحبت شابا خياطا فعملت الحيلة في وصاله فلم تقدر فطلبت من سيدها أن يعتقها ويتزوجها ففعل ثم أراد تزويجها فاظرته حتى ارسلت الى الخياط فتزوجته عند القاضي محيي الدين أبي حامد محمد بن محمد الشيزري فلما بلغ التركي ذلك صاح صيحة عظيمة ثم اختلط ذهنه ووسوس فحمل الى البيمارستان فاقام مقيدا بالحديد خمسة أيام لا يأكل ولا يشرب حتى مات في تلك الايام (ومنهم شهيد) عن الحسن قال كان شاب على عهد عمر ملازما للمسجد والعبادة فعشقته جارية فأتته في خلوة فكلمته فحدث نفسه بذلك فشهق شهقة فغشي عليه فجاء عم له فحمله الى بيته فلما أفاق قال يا عم انطلق الى عمر فاقرئه مني السلام وقل له ما جزاء من خاف مقام ربه فانطلق عمه فاخبر عمر فقال جنتان فلما بلغه ذلك شهق شهقة فمات رحمه الله * (ومنهم شهيد) * قال أحمد ابن أبي الحواري فيما ذكره الخطيب بينما أنا في بعض طرقات البصرة اذ سمعت صعقة فاقبلت نحوها فرأيت رجلا مغشيا عليه فقلت ما بال هذا قالوا سمع آية من كتاب الله فقلت وما هي قالوا قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا

(شمس الدين بن العفيف)

فكم يتجافى خصره وهو ناحل * وكم يتحالى ريقه وهو بارد

وكم يدعى صونا وهذا جفونه * تفسر للعشاق منها مواعد

(وله أيضا) اذا مارمت حل البندقات * معاطفه حمانا الأكحل

وان جليت بوجنته مدام * يرى لعذاره دور وتزل

(وقال آخر)

قال لى أهيف المعاطف صف لى * هيفى قلت يارشيق القوام

لك قد لولا جوارح لحظيك لغنت عليه ورق الحمام

(ابن خفاجة) ومهفهف طاوى الحشا * كالغصن يخطران خطر

فاذا رنا واذا شدا * واذا سقى واذا سفر

فضح الغزالة والحما * مة والغمامة والقمر

(ابن ابى الحديد)

بالله ضع قدميك فوق محاجرى * فلقد قنعت من الوصال بذا كا

وأطل محادثتى فان مسامعى * تهوى حديثك مثل ماتهوا كا

(ابن المستوفى) رأت قمر السماء فاذ كرتنى * ليالى وصلنا بالرقتين

كلانا ناظر قمرا ولكن * رأيت بعينها ورأت بعينى

(ابن نباتة) علقتها هيفاء حالية الطلى * تجنى على طرف المحب وقلبه

بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم * فغدت مطوقة بما بخلت به

(الدمياطى) وفتانة الالحاظ معسولة اللمى * أهيم بها شوقا اذا هى اعرضت

تصاممت لما ان سمعت كلامها * لتشفى قلبا بالاعادة امرضت

(الوداعى) قلت للعاذل المفند فيها * يوم زارت وسلمت مختاله

قم بنا ندعى النبوة فى العشق فقد سلمت علينا الغزاله

(ياقوت) وعدت أن تزورليلا فالوت * وأتت فى النهار تسحب ذيلا

قلت هلا صدقت فى الوعد قالت * كيف صدقت أن ترى الشمس ليلا

(وقال آخر) تجلى محياها فشافت رقيبها * فارخت عليه من ذوائبها سجفا

محيا رآه الصب للحسن جامعا * فأجرى عليه من مدامعه وقفا

(ابن الرومى)

نظرت فاقصدت الفؤاد بسهمها * ثم انثنت عنه فكاد يهيم

ويلاه ان نظرت وان هى أقبلت * وقع السهام ونزعهن أليم

(شمس الدين)

حتى اذا طاش عنها المرط من دهش * وانحل بالضم عقد السلك فى الظلم

تبسمت فاضاء الجو فالتقطت * حبات منتثر فى ضوء منتظم

(ابن الساعاتى)

قبلتها ورشفت خمرة ريقها * فوجدت نار صبابة فى كوثر

ودخلت جنة وجهها فاباحنى * رضوانها الرجو شرب المسكر

ان تخشع قلوبهم لذكر الله قال أحمد فافاق عند سماعها وهو يقول

الم يأن للهجران أن يتصرما
وللغصن غصن البان أن يتسكما
وللعاشق الصب الذى ذاب وانحنى
أما آن أن يبكى عليه ويرحما
كتبت بماء الشوق بين جوانحى
كتابا حكى نقش الوشى المنمنما

ثم خر مغشيا عليه فحركناه فاذا هو ميت (ومنهم شهداء) عن صالح المرى قال قدم علينا محمد بن السماك مرة فقال أرنى عجائب عبادكم فذهبت به الى رجل فى بعض الاحياء فى خص له فاستأذن عليه فاذا هو رجل يعمل خوصا فقرأت اذ الاغلال فى اعناقهم فشهق شهقة فاذا هو قد يبس فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى آخر فاستأذنا عليه فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا تبارك وتعالى فاذا رجل جالس فى مصلى له فقرأت ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد فشهق شهقة وبدر الدم من منخريه ثم جعل يتشحط فى دمه حتى يبس فخرجنا من عنده وتركناه على حاله قال صالح حتى ادرته على ستة انفس كل نخرج من عنده وهو على هذه الحال ثم اتيت به السابع فاستأذن فاذا امرأة من وراء خص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس فى مصلاه فسلمنا فلم يعقل سلامنا فقلت بصوت عال ان للخلق غدا مقاما فقال الشيخ بين يدى من ويحك ثم بقى مبهوتا فاتحا فاه شاخصا ببصره يصيح بصوت ضعيف ثم انقطع فقالت امرأته اخرجوا عنه فانكم لا تنتفعون به فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فاذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى واما

الشيخ فانه مكث ثلاثة ايام على حاله مبهوتا متحيرا لا يؤدي فرضا فلما كان بعد ثلاثة ايام عقل (ومنهم شهداء) ذكر ابن أبي الدنيا عن خالد قال كررت ليلة هذه الآية كل نفس ذائقة الموت فنادى مناد كم تردد هذه الآية فلقد قتلت بها اربعة نفر من الجن لم يرفعوا رؤسهم الى السماء حتى ماتوا (ومنهم شهيد) قال محمد ابو يحيى التميمي كان يختلف معنا شاب من النساك يقال له ابو الحسين الى مسعر بن كدام وكان معه فتى حسن الوجه يفتن الناس اذا رأوه فاكثر الناس القول فيه وفي صحبته اياه فمنعه اهله صحبته وكلامه فذهل عقل ابي الحسين حتى خشي عليه التلف فبلغ ذلك مسعرا فقال لي قل له لا تقربني ولا تأت مجلسي فاني له كاره فاخبرته بذلك فتنفس الصعداء ثم أنشأ يقول

يا من بدائع حسن صورته
تثني اليه اعنة الحدق
لي منك ما للناس كلهم
نظر وتسليم على الطرق
لكنهم سعدوا بامنهم
وشقيت حين اراك بالفرق

قال ثم صرخ صرخة فاذا هو ميت رحمة الله عليه

(ومنهم قتيل) ذكر الشيرازي رحمه الله في كتاب روضة القلوب انه رأى بحماة مؤدبا يقال له الوردي واصله من حمص وكان فاضلا شاطرا في فنه فافتتن بصبي من صبيانه وهام به الى الغاية حتى لم يبق يصبر عنه اللحظة الواحدة فبلغ ذلك اباه فمنع الصبي من المضي اليه ثم انه ارسله الى مؤدب آخر غيره وكان عدوا له فاشتد ما به من الغرام والهيام ثم انه

(الارجاني) وفتانة صاغت سلاسل صدغها * قيودا على أعداد عشاقها الاسرى
تبسم عن در تنظم مثله * فلم أر أحلى منه نظما ولا نثرا

(وقال آخر) نظرت اليها نظرة فتحيرت * دقائق فكري في بديع صفاتها
وأوحى اليها الوهم اني أحبها * فاثر ذاك الوهم في وجناتها

(ابن مكانس) علقتها معشوقة خالها * ان عمها بالحسن قد خصصا
ياوصلها الغالي ويا جسمها * لله ما أغلى وما أرخصا

(أمين الدين السليماني)
أضيف الدجى معنى الى لون شعرها * فطال ولولا ذاك ما خص بالجر
وحاجبها نون الوقاية ماوقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

(ابن الوردي)
ردفها والخصر منها * جل من ربي ودق نهدها يطفي لهيبي * فهو رمان محقق

(أبو الحسين الجزار)
تكلف بدر السما اذ حكى * محياك لو لم يشنه الكلف
وقام بعذري فيك العذار * فأجرى دموعي لما وقف

(وله أيضا) حمت خدها والثغر من لاثم شج * له أمل في مورد ومورد
وكم هام قلبي لارتشاف رضابها * فاعرض عن تفصيل نحو المبرد

(ابن النقيب)
يامالكي ولديك ذلي شافعي * مالي سألت فما أجبت سؤالي
فوخدك النعمان ان بليتي * وشكايتي من جفنك الغزالي

(شيخ الشيوخ بحماة)
لنا من ربة الخالين جاره * تواصل تارة وتصد تاره
تعاملني بما يحيي سلوى * ولكن ليس في جوفي مراره

(وله أيضا) حروف غرامي كلها حرف اغراء * على ان سقمي بعض أفعال اسماء

(وله أيضا) وبدر دجى لم ينتقل كسميه * ولكنه مازال في القلب والطرف
يلوح لعيني ماشقا نون صدغه * فاعجب دخلا في على ذلك الحرف

(وله أيضا) قلت وقد عقرب صدغاله * عن مشقة الحاجب لم يحجب
قدست يارب الجمال الذي * ألف بين النون والعقرب

(وله أيضا) سبحان مورثه من حسن يوسف ما * لم يبق في الصبر لي والصبر من حصص
أقام للشعراء العذر عارضه * فكم له في دبيب النمل من قصص

(وله أيضا) يا ناظره ما جلت لي حسن طلعته * حتى انقضت واذا متني على وجل
عاينت انسان عيني في تسرعه * فقال لي خالق الانسان من عجل

(مجير الدين الدمشقي)
لما لبست لبعده ثوب الضنا * وغدوت من ثوب اصطباري عاريا
أجريت واقف مدمعي من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

(ابن لؤلؤ الذهبي)

رفقا بصب مغرم * أبليته صدا وهجرا وافاك سائل دمعه * فرددته في الحال نهرا

(ابن قرناص)

وو جنة قد غدت كالورد حمرتها * وأشبه الآس ذاك العارض النضر
كأن موسى كليم الله اقبسها * نارا وجر عليها ذيله الخضر

(وله أيضا) ان الذين ترحلوا * نزلوا بعين ساهره
أنزلتهم في مقلتي * فاذا هم بالساهره

(شمس الدين بن العفيف)

أسعدني يا طلعة البدر طالع * ومن شقوتي خط بخدك نازل
ولو انقسا وأصف منك وجنة * لاعجزه نبت بها وهو باقل

أخذه الشيخ جمال الدين ابن نباتة مضمنا (فقال)

تطاولت الاغصان تحكي قوامه * وعند التناهي يقصر المتطاول
وأعيا فصيح الوقت نبت عذاره * وعير قسا بالفهاهة باقل

(وله أيضا) وافى بوجه كالهلال مركب * في قامة غصنية هيفاء
وبقلبه خفق الفؤاد وقد دنت * وكذا الجنون يكون عن سوداء

(وله أيضا) أسكرني باللفظ والمقلة الـ * ـكحلاء والوجنة والكاس
ساق يريني قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاسي

(وله أيضا) بأبي شادنا غدا الوجه منه * يخجل النيرين في الاشراق
سلب القضب لينها فهي غيظا * واقفات تشكوه بالاوراق

(وله أيضا) لولم تكن ابنة العنقود في فمه * ما كان في خده القاني ابولهب
تبت يدا عاذلي فيه فوجنته * حمالة الورد لا حمالة الحطب

(سيف الدين بن المشد)

مسكية الانفاس عللا الصبا * عنها حديثا ساقط لم يعلل
جنت لما ان سرى عرفها * وما ترى من جن بالمندل

(وله أيضا) وشادن أوردني هجره * لهيب حر الشوق والفرقه
أصبحت حوان الى ريقه * فليت لي من قلبه رقه

(علاء الدين الوداعي) يفتن بالفاتر من طرفه * وريقه البارد يا جار

(وله أيضا) الحاظه وهي السيوف كليلة * ويكون تعذيب الكليلة أطولا

(وله أيضا) ما كنت أول مغرم محروم * من باخل بادي النفار كريم

(وله أيضا) فديت من مبسمه * زهر لغصن قده
قصد غصه مطوق * في روضة من خده

(وله أيضا) وذي دلال أهيف احور * أصبح في عقد الهوى شرطي
طاف على القوم بكاساته * وقال ساقي قلت في وسطي

(ابن نباتة) بروحي مشروط على الخد اسمر * دنا وفي بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا ترد * فقبلته الفا على ذلك الشرط

(وله) وضعت سلاح الصبر عنه فقاله * يقاتل بالالحاظ من لا يقاتله

الحاتمه القمر وردة الى ان كتب الى أبيه يستعطفه فاجابه بانه متى ذكره شكاه للسلطان فلما قرأ الرقعة أطرق الى الارض ساعة واحمرت عيناه ووجهه حتى كاد يقطر منه الدم ثم جاشت نفسه وجاءه القيء فخرج مبادرا الى باب المسجد فتقايأ قيئا أسود ومضى الى بيته والدم يخرج من حلقه ساعة بعد ساعة فجيء له بطبيب فأخبر أن كبده تقطعت فعالجه فلم ينقطع الدم ومات في اليوم الرابع (ومنهم قتيل) قال ابن الجوزي كان ببغداد سنة ثمانين وأربعمائة غلام يقال له ابن الرواس يهوى امرأة فماتت فحزن عليها وبقي لا يطعم ثم خنق نفسه فمات (ومنهم شهيدان) ذكر العتبي عن الاخفش سعيد بن مسعدة صاحب النحو قال خرجت في سفر فنزلنا على ماء لطيء فبصرت بخيمة من بعيد فقصدت نحوها فاذا فيها شاب على فراش كأنه الخيال فلما أبصرني أنشأ يقول

الا ما للمليحة لا تعود
أبخل بالمليحة أم صدود
مرضت فعادني عوادي قومي
فما لك لم ترى فيمن يعود
فلو كنت المريض ولا تكوني
لعدتكم ولو كثر الوعيد
وما استبطأت غيرك فاعليه
وحولي من ذوي رحمي عديد

قال ثم أغمي عليه فمات فوقعت الصيحة في الحي فخرج من آخر الماء جارية كأنها فلقة قمر فتخطت رقاب الناس حتى وقفت عليه فقبلته وأنشأت تقول

عداني ان أعودك يا حبيبي
معاشر فيهم الواشي الحسود
أذاعوا ما علمت من الدواهي

وسال عـذار فوق خديه جائر * على مهجتي فليتق الله سائله

(وله أيضا) لاتخف عيلة ولاتخش فقرا * يا كثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة في البرايا * تلك غزالة وذي قتاله

(وله أيضا) بروحي معسول اللمى متجنب * اذا لم يزرلم يهن عيش ولا اذا
وان ذقت منامن حلاوة ريقه * أتانا رقيب يتبع المن بالاذى

(وله أيضا) بابي نائم على الطرق راحت * في هواه وليس يعلم روحي
فاتح في الكرى فما سكرنا * باله من مسكر مفتوح

(وله أيضا) ومن الشقا ان الجفا وتشوقي * لا ينتهي هذا وذاك الى الطرف
ما بال غصن قوامه عن فكرتي * يوما ولا ديشار وجنته انصرف

(الصلاح الصفدي)

وطي معانيه بيان بديعها * له حار فكري اذ رأى كل معجز
قرأت مقامات الحريري كلها * على خده مشروحة للمطرزي

(وله أيضا) قالت وقد مادت كغصن النقا * اسرفت في العشق بلا فائده
فقلت منهوم الهوى لم يكن * يشبع ان مدت له المائده

(ابن الوردي) ومليح اذا التحاة راوه * فضلوه على بديع الزمان
برضاب عن المبرد يروي * وثهود تروي عن الرمان

(وله أيضا) عجبت في رمضان من مسحرة * بديعة الحسن الا انها ابتدعت
جاءت تسحرنا ليلا فقلت لها * كيف السحور وهذا الشمس قد طلعت

(وله أيضا) أنحلني حبيبه * انحل الله خصرها كسرتني جفونها * ضاعف الله كسرها

(وله أيضا) مليح ردفه والساق منه * كبنيان القصور على الثلوج
خذوا من خده القاني نصيبا * فقد عزم الغريب على الخروج

(وله أيضا) بقوم ثغرك صحيا من ثغره * در بقصر دونه التقويم
اني لابكي من جفاك ولي اب * والثغر يضحك منك وهو يتيم

(وله أيضا) ووعدت امس بان تزور فلم تزر * فغدت مسلوب الفؤاد مشتتا
لي مهجة في النازعات وعبرة * في المرسلات وفكرة في هل أتى

(ابن الصائغ) ياأحبار والناعية حسنا * وقبيح ان لم يكن ثم حسنا
طبت لفظا مع الرواة ولكن * ينبغي ان تطيب في الدهر معنى

(ابن مكانس) بابي عقيقة مرشف * برت وكانت قبل عقت
فلثمتها ورشفتها * وقطعتها من حيث رقت

(وقال والده) يقولون هل من الحبيب بزورة * ومنا كم المطلوب قلت لهم مني
فقالوا الناغوصوا على دره وما * يحيا كي اذا ما اهتزقانا لهم غصنا

(وله أيضا) بحق الله دع ظلم المعنى * ومتعه كما يهوى بانسك
وكف الصد يا مولاي عني * بيوم لك رحت تهجره بامسك

(وله أيضا) يا لائمي اذ فقدت الصبر في قمر * أضنى لقد سلبت أهل الهوى وسبت
نبت سيوف اصطباري عنه حين بدا * آس العذار ضحى في وجنته ونبت

وقابونا وما فيهم رشيد
فاما اذا حلت ببطن أرض
وقصر الناس كلهم اللحود
فلا بقيت لي الدنيا فواقا
ولا لهم ولا أثر جديد
قال ثم شهقت شهقة فخرت ميتة
فخرج من بعد الاخبية شيخ فوقف
عليهما وقال والله لئن كنت لم اجمع
بينكما حيين لاجمعن بينكما ميتين
فدفنهما في قبر واحد (ومنهم شهيد)
قال ذو النون المصري فيما ذكره
عبد الله محمد بن جعفر القنطري في
أماليه بينا أنا في ساحل البحر اذ بصرت
بجارية عليها أطمار شعر فاذا هي ناحلة
ذابلة فدنوت لاسمع ما تقول فرأيتها
متصلة الاحزان فلما عصفت الرياح
واضطربت الامواج وظهرت الحيتان
صرخت ثم سقطت الى الارض فلما
أفاقت قالت سيدي لك تقرب المتقربون
في الخلوات ولعظمتك سبحت الحيتان
في البحار الزاخرات ولجلال قدسك
تساقطت الامواج المتلاطمات انت
الذي سجد لك سواد الليل وبياض النهار
في الفلك الدوار والبحر الزخار والنجم
الزهار وكل شي عندك بمقدار لانك
العلي الغفار ثم أنشأت تقول
يامؤنس الابرار في خلواتهم
ياخير من حطت به النزال
من ذاق حبك لا يزال متيما
فرح الفؤاد وحشوه بلبال
فقلت لها مهي أن تزيدينا من هذا
فقالت اليك عني ثم رفعت طرفها نحو
السماء وقالت
أحبك حبين حب الوداد
وحبا لانك أهل لذا كا

(سيدى أبو الفضل بن وفاء)

ماخادم واسمه فى درمسه * الاغن غضيض الطرف مكحول
وريقه مع ثناياه التى انتظمت * كأنه منهل بالراح معلول

(البدر الدماميني)

وبى وجنة حمراء زاد صفاؤها * فابدت صفات أبدع الحسن كونها
فدع لائمى ينهى عن الحب جهده * فما أنا بالسالى صفاها ولونها

(وله ايضا) تناسبت أوصاف من وصله * ينفى عن القلب جميع الكرب
فى الخد تسهيل ومن ثغره * يطيب للصب ارتشاف الضرب

(وله ايضا) لاماعذار يلك هما اوقما * قلب المحب الصب فى الحين
فجدله بالوصل واسمح به * ففيك قد هام بلا مين

(وله ايضا) قلت لعطاربه صبوتى * محمودة والصبر لا يستطاب
أسقيتنى كأس غرام به * ذبت وما احسن هذا الشراب

(الحافظ ابن حجر)

سألوا عن عاشق فى * قربادسناه اسقمته مقلتاه * قلت لا بل شفتاه

(وله ايضا) رسول اتى عمن احب فقال لى * ترفق وهن واخضع تفز برضانا
فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا * فصار عزيزا حين ذاق هوانا

(وله ايضا) ضنيت جوى فواصلنى حبيبى * وعاد الى الجفاء فعادمابى
فقلت اعد وصالى قال كلا * فها انا ذبت من رد الجواب

(وله أيضا) محبوبتى واصلتى * والهم عنى تشتت
وذاب قلب حسودى * لما دنت وتفتت

(وله ايضا) وأهيف حيانى بطيب وصاله * ومن ريقه الخمر الحرام حلالى
ادار لى الكاسين خمرا وريقة * ونزهنى عن جفوة وملالى

(وله ايضا) تجرد من احب فقال لى من * يلوم وأظهر الحسد المكتم
أجادلك الحبيب باثم جسم * له كالخز قلت نعم وانعم

(التلعفرى من قصيدة) رشأ عهده وجفناه والخصر وجسمى كلا أراه عليلا
أشبهته البدور نورا ولكن * ماحكته لونا وخصرا نحيلا
قرجاءل من القلب والطر * ف له فى سعوده اكليلا
كما ضل عن طريق جفاه * ظل فيه من الدليل ذليلا
بعث الصدغ منه فى فترة الجفن لانذار عاشقيه رسولا

(وله ايضا من قصيدة)

هذا العذول عليكم مالى وله * أنا قد رضيت بذا الغرام وذا الوله
شرط المحبة ان كل متيم * صب يطيع هوى ويعصى عذله

(يزيد بن معاوية)

الليل داجام شعرك الفاحم الجعد * وبدر بدا أم وجهك المشرق السعد
وترجسة ماتيك ام فى مقلة * وتفاحة ذاك المضرج ام خد

فاما الذى هو حب الوداد
فحب شغلت به عن سواكا
وأما الذى أنت أهل له
فكشفك للحجب حتى أراكا
فما الحمد فى ذا ولا ذاك لى
ولكن لك الحمد فى ذا وذاك

ثم شهقت شهقة فاذا هى ميتة فبقيت أتعجب مما رأيت منها فاذا أنا بنسوة قد اقبلن علىّ من مدارع الشعر فاحتملنها فغيبنها عنى فغسلنها ثم اقبلن بها فى أكفانها فقلن لى تقدم فصل عليها فصليت عليها ومن خلفى ثم احتملنها ومضين

(ومنهم شهيد) عن حماد المركبى فيما ذكره المعافى فى كتاب الاندلس قال وصفت للمأمون جارية بكل ماتوصف امرأة من الكمال والجمال فبعث فى شرائها فاتى بها وقت خروجه الى بلاد الروم فلما هم ليلبس درعه خطرت ببياله فأمر فخرجت اليه فلما نظر اليها أعجب بها واعجبت به فقالت ماهذا قال أريد الخروج الى بلاد الروم فقالت قتلتنى والله ياسيدى ثم جرت دموعها على خدها كاللؤلؤ وانشأت تقول

سأدعو دعوة المضطر ربا
يثيب على الدعاء ويستجيب
لعل الله أن يكفيك حربا
ويجمعنا كما تهوى القلوب

فضمها المأمون الى صدره وانشأ متمثلا يقول

فيا حسنها اذ يغسل الدمع كحلها
واذ هى تذرى الدمع منها الانامل
صبيحة قالت فى العتاب قتلتنى
وقتلى بما قالت هناك تحاول

ثم قال لخادمه يامسرور احتفظ بها

نقابرد فى فيك هذا منضد * أبيتى لنا ام لؤلؤ ضمه العقد
وحقان من عاج اطيفان ركبا * بصدرك ام ثديان هذان أم نهد
ودعصان اذ وليت ام كفل يرى * وكثبان رمل فى الغلائل ام قد
وانك لو عاينت مابى من الاسى * لقلت جنون ثابت بك ام وجد
اذا ما اتى من نحو ارضك مخبر * تضوع من ارجائه المسك والند
وقفت فاخبرت الرسول مسائلا * وانشدته بيتا له المثل الفرد
وحدثتنى ياسعد عنهم فزدتنى * شجونا فزدنى من حديثك ياسعد

(وله من قصيدة سلف صدرها فى الغيرة)

خذوا بدمى ذات الوشاح فاننى * رأيت بعينى فى أناملها دمى
ولا تقتلوها ان ظفرتم بقتلها * بلى خبروها بعد موتى بمأتمى
وقولوا لها يامنية النفس اننى * قتيل الهوى والعشق لو كنت تعلمى
لها حكم لقمان وسورة يوسف * ونغمة داود وعفة مريم
ولى حزن يعقوب ووحشة يونس * وآلام أيوب وحسرة آدم
ولما تلاقينا وجدت بنانها * مخضبة تحكى عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدى وهكذا * يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت وابدت فى الحشى حرق الجوى * مقالة من فى القول لم يتبرم
وعيشك ماهذا خضابا عرفته * فلا تك بالبهتان والزور متهمى
ولكننى لما رأيتك نائيا * وقد كنت لى كفى وزندى ومعصمى
بكيت دما يوم النوى فمسحته * بكفى وهذا الاثر من ذلك الدم
ولو قبل مبكاها بكيت صبابة * بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهيج لى البكى * بكاها فكان الفضل للمتقدم
خفاجية الالحاظ مهضومة الحشى * هلالية العينين طائية الفم
منعمة الاعطاف يجرى وشاحها * على كشح مرتج الروادف اهضم
ومشوطة بالمسك قد فاح نشرها * بثغر كان الدر فيه منظم

(وله ايضا من قصيدة طويلة)

نالت على يدها مالم تنله يدى * نقش على معصم اوهت به جلدى
كانه طرق نمل فى أناملها * اوروضة رصعتها السحب بالبرد
مليحة لو رأتها الشمس ماطلعت * من بعد رؤيتها يوما على احد
سألتها الوصل قالت لاتكن عبثا * من رام منا وصالا مات بالكمد
واسترجعت سألت عنى فقيل لها * مافيه من رمق دقت يدا بيد

واستمطرت البيت السابق فى الثغر (البهازهير)

رقت شمائله فقلت شمول * وحوى الجمال فقلت ثم جميل
ودنا فما للبين فيه مطمع * ونأى فما للقرب فيه سبيل
أهواه اما خصره فمهفهف * ظمآن وأما ردفه فثقيل
ريان من ماء الشباب مهفهفا * أرأيت غصن البان كيف يميل
حدثنا لو التثنى والثنا لم يزل * لى منهما العسال والمعسول

وأكرم محلها وأصلح لها كل ماتحتاج
اليه من المقاصير والخدم والجوارى
الى وقت رجوعى فلولا ماقال الاخطل
قوم اذا حاربوا اشدوا ماآزرهم
دون النساء ولو باتت باطهار
لكان لى ولها شأن ثم خرج فلم يزل
يتعاهدها ويصلح من حالها ماامره به
فاعتلت الجارية علة شديدة اشفق
عليها منها وورد نعى المأمون فلما بلغها
ذلك تنفست الصعداء وأنشأت وهى
تجود بنفسها
ان الزمان سقانا من مرارته
بعد الحلاوة أنفاسا وأردانا
أبدى لنا تارة منه فأضحكنا
ثم انثنى تارة أخرى فأبكانا
انا الى الله فيما لايزال لنا
من القضاء ومن تلوين دنيانا
دنيا نراها ترينا من تصرفها
مالايدوم مصافاة وأحزانا
ونحن فيها كأنا لاتزايلها
للعيش أحياؤنا يبكون موتانا
(ومنهم شهيدان) ذكر ابو الحسن
القارى ان على بن صالح ذكر له ان
جارية من جوارى القيان عند أهل
البصرة كانت تميل اليه وتحبه وتكلف
به وكانت موصوفة بالادب شاعرة
فكره مراسلتها فحضر يوما عند بعض
أهل البصرة وكانت عنده قال فلما
طاب عيشنا فى يومنا فلم التفت اليها
فأطرقت هى ايضا فلم تنظر اليه ثم
دعت بدواة فكتبت على منديل كان
معها ثم تغفلت اهل المجلس والقت
المنديل فأخذه فاذا فيه
لعل الذى ابلى بحبك باقى
يردك لى يوما الى احسن العهد
قال على فناه والآن قرأت الشعر حتى

احبابنا ان الوشاة كثيرة * فيكم وان تصبري لقليل
ايخاف قلبي فقدكم مع انه * جار أقام لديكم ونزيل
فاصدتي لا يقال متيم * وازورتي لا يقال ملول

(وله ايضا) رعى الله من لم يرع لي حق صحبتي * وسلم من لم يسمح لي بسلامه
وفي ذمة الرحمن من ذم صحبتي * ولم أك يوما نافضا لذمامه
واني على صبري على فرط هجره * وقرب مغانيه وبعد مرامه
يحاول طرفي لحظه في خياله * ويشتاق سمعي لطفه في كلامه
ويوم وقفنا للوداع وقد بدا * بوجه يحاكي البدر عند تمامه
شكوت الذي القى فظل مقابلا * بكائي وشكوى حالتي بابتسامه
فارق من شكواي غير خدوده * ولا لان من نجواي غير قوامه

(وله ايضا) كأنني والمدام في فمه * قد عبقت من حباب مبسمه
وراحك الراح في تمايله * سكران يشتط في تحكمه
بالله يا برق هل تحدثه * عن نار وجدي وعن تضرمه
وهل نسيم سرى يبلغه * رسالة من فتى الى فمه
عجبت من بخله علي وما * يذكره الناس من تكرمه
هم علموه فصار يهجرني * رب خذ الحق من معلمه

(وله ايضا) يا من لعبت به شمول * ما الطف هذه الشمائل
نشوان يهزه دلال * كالغصن مع النسيم مائل
لا يمكنه السلام لكن * قد حمل طرفه رسائل
ما طيب وقتنا واهني * والعاذل غائب وغافل
عشق ومسرة وسكر * العقل ببعض ذاك زائل
كالبدر يلوح في قناع * والغصن يميل في غلائل
والورد على الخدود غض * والنرجس في الجفون ذابل
والعيش كما احب صاف * والانس بمن احب كامل
مولاي يحق لي بانى * من مثلك في الهوى اقاتل
لي فيك وقد علمت عشق * لا يفهم سره الاوائل
في حبك قد بذلت روحي * ان كنت لما بذلت قابل
لي عندك حاجة فقل لي * هل انت اذا سئلت باذل
في وجهك للرضا دليل * ما تكذب هذه المخايل
ما اطلب في الهوى شفيعا * لي فيك غنى عن الوسائل
ذا العام مضى وليت شعري * هل يحصل لي رضاه قابل
ها عبدك واقف ذليل * بالباب يمد كف سائل
من وصلك بالقليل يرضى * الطل من الحبيب وابل

(وقلت وجيعه جناس خطي)

هو الشمازج روحي قبل تكويني * وانت ظلما بنار الهجر تكويني
صبرت فيك على اشياء ايسرها * ذهاب نفسي وقوم عنك تلويني

وجدت في قلبي من امرها مثل النار فقمت وانصرفت خوفا من الفضيحة ثم لم ازل اعمل الحيلة في ابتياعها من حيث لا تشعر فتيه بذلك حتى ملكتها فلم اوثر عليها احدا من حرمي ولا اهلي ولم يبق عندي شئ بعدها فتوفيت فانا لا عيش لي ولا سرور بعدها والله ما لبث بعد هذا الكلام الا اياما يسيرة حتى مات اسفا عليها وكذا فدفن الى جانبها (ومما يحسن هنا)

ققي اخبرك ما صنع الغرام
عشية قوضت تلك الخيام
سروا والليل في ثوبي حداد
وقد القى مراسيه الظلام
وقد هتكوا الاكلة عن بدور
كوامل لا يفارقها التمام
وفي الاحداج ذو لعس لماه
لنا كاس وريقته مدام
رمى وقلوبنا الاغراض فانظر
بعينك هل يطيش له سهام

(ومنهم شهيدان) ذكر المرزباني عن ابي الحسن علي بن الحسين الصوفي المعروف برماح قال حدثني بعض اصدقائي انه دخل بيمارستان ببغداد فرأى شابا حسن الوجه نظيف الثياب جالسا على حصير نظيف وعن يساره مخدة وفي يده مروحة والى جانبه كراز فيه ماء فسلمت عليه فرد احسن سلام فقلت له هل لك من حاجة قال نعم اريد قرصتين عليهما فالوذج قال علي فمضيت وجئته بذلك وجلست مقابله حتى اكل ثم قلت له هل بقي لك من حاجة قال نعم ولا اظنك تقدر عليها فقلت اذكرها فلعل الله تعالى أن ييسرها فقال تمضي الى نهر الدجاج الى درب احمد الدهقان الى دار على باب زقاق الغلام

وكلما قلت صحت لى محبتها * أرى ودادك ممزوجا بتلوين
قد حل مقدا اصطبارى طول هجرك لى * وليس غير وصال منك يبرينى
اذا شممت شذار بالك منتشقا * فما نسيم أتى من نحو يبرين
(وقلت) هيفاء كالغصن الرطيب اذا انثنت * تختال فى ثوبى حيا ودلال
تسبى القلوب باسرها فجميعهم * فى اسرها لكن بقيد جمال
ياوجهها الحاوى لبهجة روضة * أنواره أنت العزيز الغالى
اذ فيك كل عجيبة مابين تفاح وورد ياسمين ولآلى
والشهد والجمر الحلال وقرقف * مع برده يسلى ولست بسالى
ياجفنها الغزال كم من عاشق * بك فى المحبة مثل شن بالى
عجبا لعيت العاشقين ونحن * نعرف سوى الاحياء للغزالى
(وقلت) وسالبة بالحسن عقل ذوى النهى * اطلعتها اسنى الدرارى آفل
اذا ما تجلت دك طور قلوبهم * وخروا الى الاذقان والعقل زائل
فيا كعبة العشاق هل ثم مطلب * سوالك اليه تستحث الرواحل
ويا طلعة أصبحت للحسن جامعا * له القلب وقف والتبدل باطل
عذولى اتئدوا قصر فكل جوارحى * لها من سماع الزور والعذل شاغل
اذا ما اطلت اللوم لابد ينتهى * وعند التناهى يقصر المتطاول
لئن لم تزرنى او تمن بنظرة * وينعم دهرى بالذى أنا آمل
فياموت زران الحياة ذميمة * ويانفس جدى ان دهرك هازل
(وقلت) أفدى فتاة فتنت مهجتى * وقد أذيب القلب من صدها
مالى وللدنيا اذا لم تزر * اذ ليس يحلو العيش من بعدها
يقول لى الآسى وقد راعه * ما بفؤادى من جوى بعدها
خذ ماء ورد ولسانا معا * تشرب بالماء من شهدها
قد صدق الآسى هذا الدوا * هو الشفا لو كان من عندها
بان يكون الشهد من ثغرها * يجنى وماء الورد من خدها
(وقلت وفيه نكتة حكمية)
نار بوجنتك التى حرق الورى * منها كنار فى فؤاد مسعره
لكن يقول الفيلسوف الحران * افنى الرطوبة محرق ما اضمره
فلذاك أحرق مهجتى تصعيدها * قطرته اجفانى وخدك جمره
اذ فيه ماء نحيا العشاق غدت * فيه الحرارة باعتدال مزهره
انتهى ما أردنا ايراده من لطائف الغزل الخاصة والعامة فى الذاتيات والاعراض اللازمة وقد تغزل العشاق فى الاعراض المفارقة نحو الزينة والوظائف ببديع النكت واللطائف فلنورد منها ما الطف (قال بعضهم فى النقش)
كأن خضرة نقش فوق معصمها * شباك مسك على كف من البرد
فمن ملامقلتيه من محاسنها * كأن الامان اعينيه من الرمد
(ابن المعتز فى الخلخال) اشرن على خوف باغصان فضة * مفوفة أثمارهن عقيق

سلام

فاطرق وقل ان فلانا قال لى
سر للحبيب وقل له
محبوبكم من اهله
قال فمشيت وسألت عن الدرب والزقاق
قال فطرقت الباب فخرجت الى عجوز
فابلغتها الرسالة فدخلت وغابت ساعة
ثم خرجت فقالت ارجع اليه وقل له
هاليكم من اهله فرجعت الى الفتى
فاخبرته بالجواب فشهق شهقة فمات
وعدت الى القوم فاخبرتهم بذلك فوجدت
الصراخ فى الدار وقد ماتت الجارية
(ومنهم شهيدان) ذكر الاصمعى انه
رأى بالبادية رجلا قد دق عظمه ونحل
جسمه ورق جلده فتعجبت منه ودنوت
منه لاسأله عن حاله فقالوا اذكر له شيأ
من الشعر يكلمك فقلت
سبق القضاء بانى لك عاشق
حتى الممات فاين منك المذهب
فشهق شهقة ظننت ان روحه قد فارقته
ثم انشأ يقول
أخلو بذكرك لا اريد محدثا
وكفى بذلك نعمة وسرورا
أبكى فيطربنى البكاء وتارة
يأتى فيأتى من احب اسيرا
فاذا أتى شيء يفرقه بيننا
اعقبت منه حسرة وزفيرا
فقلت له اخبرنى عنك فقال ان كنت
تريد علم ذلك فاحملنى والقنى على باب
تلك الخيمة ففعلت فانشأ يقول بصوت
ضعيف
الا ما المليحة لا تعود
ابخل ذاك منها ام صدود
فلو كنت المريضة كنت اسعى
اليك ولم ينهنى الوعيد
فاذا جاريه مثل القمر قد خرجت
فالقت نفسها عليه فاعتنقا وطال ذلك

سلام كاسقاط الندى تحت ليلة * سرى حيث لم يعلم اليه طريق

(ابن نباتة) خضبت باحمر كالنضار معاصما * كالماء فيه رونق وصفاه

واها لمن معاصما مخضوبة * سال النضار بها وقام الماء

(الشريف المقدسى)

تقمعت بسويداقلب عاشقها * أنامل بدم العشاق تختضب

فى كل أنملة ليل به شفق * كأنه السرفى اطرافه الرطب

(الشواء) مخضبة لها خال كمسك * على خد أشف من الزجاج

بدت والنقش يحكى فى يديها * محزم آبنوس فوق عاج

(على بن عباس الرومى)

سقى الله قصرا بالرصافة شاقنى * باعلاه قصرى الدلال رصافى

أشار بقضبان من الدر قمعت * يواقيت حمرا تستبيح عفافى

(الصنوبرى)

بسطت أنامل لؤلؤ اطرافها * فيها تطاريف من المرجان

وتقنعت لك بالدجى فوق الضحى * وتنقبت بشقائق النعمان

(محمد بن عياض)

علقتها فتانة أعطافها * تزرى بغصن البانة المياد

من للغزالة والغزال بحسنها * فى الخد أوفى العين أوفى الهادى

خضبت أناملها السواد وقلما * ابصرت أقلاما بغير مداد

(ابن الوردى)

مصرية كأنها * بدر فجل من خلق تملقت مكراولا * ينكر من مصر الملق

(وله ايضا) ياليتنى حاشيت زركشت * يوما بكف هذه الجاريه

قد أصبحت فى الحسن سلطانة * تفرق التبر على الحاشيه

(وله ايضا) عوادة عوادة * بالنغم الملذ قالت لنا اوتارها * أنطقنا الله الذى

(الشهاب الحجازى)

فى ثوبها الخمر قد اقبلت * بوجنة حمراء كالجمر

فقلت سكرا حين ابصرتها * لاتنكروا سكرى من الخمر

(ابن تميم) جاءت بعود كلما العبت به * اعبت بى الاشجان والتبريح

غنت فجاوبها ولم يك قبلها * شجر الاراك مع الحمام ينوح

(الصلاح الصفدى)

أتتنا بعود حركته أنامل * هى الماء لطفا فى اتباع الاناشيد

يكاد وقد جست ملاويه يكتسى * بأوراقه لما جرى الماء فى العود

(ومما يلحق بهذا الفصل التلميح)

وهو نوع لطيف جليل المقدار فى البديع عظيم الفائدة فى الايصال الى المطلوب من نحو نكاية الخصم وبلوغ الارب من ذوى الفهم ولم تدر الاغبياء وحمل علماء المعانى على ان التلميح يراد فوه والصحيح انه اخص فن طريق ما حكى فيه أن أبا العلاء المعرى حضر مجلس

وسترتهما بثوبى خشية ان يراهما الناس فلما خفت عليهما الفضيحة فرقت بينهما فاذا هما ميتان فسألت عنهما فقيل هذا عامر بن غالب وهذه جميلة ابنة عمه قال الاصمعى فتركتهما وانصرفت ذكرهما الحافظ أحمد بن محمد بن على الابنوسى فى اخباره (ومنهم شهيدان) ذكر ابن دريد عن الرقاشى قال قال عسكر بن الجميح الاسدى كان لى صديق من الحى وكان شابا جميلا يعشق ابنة عم له وكانت له محبة وكانت هيبة عمه تمنعه ان يخطبها فحجبت عنه فكان يأتينى فيشكو شوقه الى فالبث ان مرض عمه مرضا شديدا فكان الفتى يدخل اليه فيشتفى بالنظر اليها ثم يخرج الى مسرورا الى أن برئ عمه فقال

أبكى من الخوف ان يرى فيحجبها
واست أبكى على عمى من الجزع
لامات عمى ولا عوفى من الوجع
وعاش ماعاش بين اليأس والطمع

فخطبت الجارية فزوجها أبوها فجاءنى الفتى فودعنى وقال هذا وداع لانتلاقى بعده أبدا فناشدته فاذا الجزع قد حال دون فهمه فقلت واين تذهب فقال أذهب ما وجدت ارضا ونهض وكان آخر العهد به ولقد التمس عمه أفاق البلاد فما قدر عليه ولم يطل عمر الجارية بعده حتى ماتت حزنا عليه (ومنهم قتيلان) ذكر الجاحظ ان محمد بن حبيب الطوسى كان جالسا مع ندمائه وقد اخذت الشراب برؤسهم اذ غنت جارية له من وراء ستارة

ياقمر القصر متى تطلع
أشقى وغيرى بك يستمتع
ان كان ربى قد قضى كل ذا
منك على رأسى فما اصنع

الشريف الموسوى فنال من المتنبي وكان أبو العلاء ينتصر له فقال للشريف لو لم يكن من شعره الا قوله * لك يا منازل فى القلوب منازل * لكفاه فأمر به فسحب على وجهه وعوتب الشريف فى ذلك فقال انما قصد قوله فى القصيدة

واذا أتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي بانى كامل

واثنى سيف الدولة يوما على المتنبي فبالغ وكان الرفاء حاضرا فقال اشتهي ان تنتخب قصيدة من كلامه وتأمرني بمعارضتها لتعلم انك اركبته فى غير سرجه فقال بديهة عارض قوله * لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقى * قال الرفاء فتصفحتها فلم اجدها كبيرا فعلمت ان هناك نكتة فاعملت الذهن فى اخراجها فاذا إنا به قد أراد قوله

اذا شاء ان يلهو بلحية احمق * أراه غباري ثم قال له الحق

(وحكى) أن ولادة بنت عبد الرحمن بن الحكم كانت من اظرف نساء زمنها وكان لها بعد ان قعد بها الدهر ولوع بالوزير ابى الوليد فكتبت اليه وقد غضبت منه

ان ابن زيدون على فضله * يلهج بي شتما ولا ذنب لي
يلحظني شزرا اذا جئته * كانني جئت لاخصي على

أشارت بذلك الى عبد للوزير كان متهما به * ودعت امرأة للرشيد يوما فقالت أتم الله امرك وفرحك بما آتاك وزادك رفعة لقد عدلت فأقسطت فقال لجلسائه ما أرادت هذه قالوا خيرا فقال انها تدعو على فان قولها أتم الله امرك تريد قول الشاعر

اذا تم أمر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

وقولها فرحك الله بما آتاك تريد قوله عز وجل حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وقولها وزادك رفعة تريد قول الشاعر ما طار طير وارتفع * الا كما طار وقع وقولها لقد عدلت فأقسطت تريد قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم استقرها فأقرت فقال وما ذنبي اليك قالت قتلت رجالي واخذت أموالي فقال ممن انت قالت من بني برمك فقال أما الرجال ففاتوا واما المال فيأتيك ورده اليها وسأل احد الظرفاء امرأة ملفوفة فى كساء فقال من انت قالت أنا السادس فى السابع تريد قول ابن سكرة

جاء الشتاء وعندي من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلا * مع الكباب وكس ناعم وكسا

ومثله ما حكاه ابن الجوزي قال التقى رجل وامرأة على جسر بغداد فقال الرجل رحم الله ابن الجهم فقالت المرأة رحم الله أبا العلاء المعري وافترقا فتبعهما رجل فقال لها اقسمت عليك الا ما أخبرتني ما أراد وأردت فقالت أراد بابن الجهم قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وأردت بقول ابى العلاء قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك اهوال

ومن دقيق الاشارات ان المتنبي مدح بعض اعداء ملكه فغضب عليه وهم ان يقتله به فهرب فأمر الملك بعد مدة كاتبه ان يلطف له القول ليأتي فيخدمه وكان الكاتب يحب المتنبي ولم تسعه المخالفة فكتب فى آخر الكتاب قد عنونا ان شاء الله وشدد النون فلما وقف عليه رحل وارسل الى الكاتب الكتاب وقد زاد الفا بعد النون المشددة وهذه من الطف

قال وعلى رأس محمد غلام على احسن ما يكون من الجمال وبيده قدح فوضع القدح من يده وقال تصنعين مثل ذا ورمى بنفسه من الدار الى الدجلة فلما رأت الجارية ذلك هتكت الستارة ورمت بنفسها على اثره فغرقا جميعا قال الجاحظ فقطع محمد الشراب بعد ذلك شهرا (ومنهم شهيد) قال محمد بن بشر الانصاري وليت صدقات بني عذرة فبينما أنا بينهم واذا بشئ يختلج تحت ثوب فاقبلت فكشفت عنه واذا رجل ليس نرى منه سوى رأسه وعينيه فقلت ما بك فقال

كان قطاة علقت بجناحها
على كبدي من شدة الخفقان
جعلت لعراف اليمامة حكمه
وعراف نجد ان هما شفيان

قال ثم تنفس حتى ملأ الثوب الذي كان فيه ثم خمد فنظرت فاذا هو قد مات فقيل هذا عروة بن حزام العذري (ومنهم شهيد) يروى ان الحكم ابن عمر الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير ببعض كور خراسان وهو واليها فسمع رجلا يتغنى

تعز بصبر لا وربك لا ترى
بشام الحمى أخرى الليالي الغوابر
كان فؤادي من تذكره الحمى
واهل الحمى يهفو به ريش طائر

فوقف وقال على بالرجل فجئ به فقال ويحك من انت قال أنا رجل من اهل نجد بن عامر بن صعصعة فقال له فهل لك فى الحمى فقال ما لي الى ذلك سبيل ولي بتلك البلاد أهل وولد قال انى أحملك الى اهلك وولدك فقال لا حاجة لي فى هذا قال ليس من ذلك بد وأمر به

الاشارات فان الكاتب أراد بان قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك
من الناصحين وأراد المتنبي بزيادة الالف قوله تعالى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها

(ومما ينسج في هذا النمط ما سمته العرب بالملاحن)

قال العلامة السيوطي عن ابن دريد انه مشتق من اللحن يعني الفطنة وان فائدتها التخلص
من ان شوطة التعسف مع الامن من المؤاخذة عند الالجاء (قيل) اسر شخص من تميم عند
بكر بن وائل اوسعد بن ضبيعة وعزموا على غزو قومه فطلب من يرسله الى اهله لحاجة
فقالوا اليكن بحضرتنا لئلا تنذرهم قال لكم ذلك فجاؤه بولد فقال اخاف ان يكون احمق فقال
الرسول ما انا احمق واني لابلغ ما تقول فقبض من الرمل قبضة فقال له كم هذه قال لا ادري
وانها لكثيرة فقال له النيران اكبرام الكواكب قال الكواكب وكل كبير فأوما الى
الشمس فقال ما هذه قال الشمس فقال انك عاقل بلغ قومي التحية وان يكرموا الاسير فان
قومه يكرمونني وان يعروا ناقتي الحمراء فقد اطالوا ركوبها ويركبوا جملي الاصهب وقل لهم
قد ادبى العرفج واشتكت النساء بآية ما كلت معكم الحيس واسألوا الحرث عن خبري
فلما وقفوا على الكلام قالوا قد جن الاعور بعدنا اذ لم نعرف له ناقة ولا جملا وصرفوا
الرسول ودعوا الحرث فلما قصوا عليه القول قال قد أنذركم فقوله اكرموا الاسير يعني
استكثروا من الزاد ومن علف الدواب وتهيؤا للرحيل فانهم عازمون على ان يدهموكم بخيل
ورجل والرمل عدد القوم الذين يغزونكم منهم وان ذلك واضح كالشمس والناقة الحمراء
الدهناء والجمل الاصهب الصمان يقول اعدلوا عن السهل الى الجبل وادبى العرفج يعني
لبس الرجال السلاح واشتكت النساء جاءت الشكاء وهي قرب صغار يحمل فيها
المسافرون الماء والحيس كناية عن اختلاط الرجال فعملوا بقوله فنجوا (ومن ذلك)
أمثلة ينتفع بها في التورية عند الحاجة كقولك ما سألت فلانا حاجة ضربا من شعر شائك
ولا رأيته أي ضربت رئته ولا كلمته اي جرحته ولا اعلمته اي شققت شفته العليا ولا أخذت
له شعيرة اي راس مسمار فضة ولا ثوبا اي قطعة من أقط ولا كسرت له سنا اي قطعة عشب
ولا ضرسا اي قطعة من المطر ولا لبست له جبة شئ يستتر به السنان ولا اخذت له حمارا ولا
أتانا صخرتان معروفتان ولا عنزا اكمة سوداء ولا دجاجة كبة من غزل ولا فروجا دراعة
ولا جبة صوف كالحلقة ولا ظلمته اي ما سقيته لبنا ولا جلست له على حصير محمة في جنب
الفرس ولا اخذت له جرابا ما حول البئر ولا بيضة يعني الخوذة ولا فرخا هامة الدماغ ولا فروة
جلدة الراس ولا ابرة عظم المرفق ولا فأسا عظم القفا ولا كتبت جمعت ولا لي هناك خط سيف
البحر ولا وطئت له أرضا باطن حافر الفرس ولا اعبت سال اعاني ولا رويت الحديث شددته
بالرواء وهو الحبل ولا رأيت بطنا ولا نخذ اقبائل ولا ساقا ذكر الحمام ولا رجلا قطعة الجراد
ولا وجها اي قصدا ولا أبصرته اي رأيت قشرا على الجلد *(خاتمة)* تشتمل على لطائف
متفرقة تروق بها المسامع وتزين بها المجامع (حكى ولد الفرزدق) قال اجتمع ابي وجميل
وجرير وكثير ونصيب بالموسم فقال بعضهم لبعض لا نجتمعون مثل هذه فهلموا نفعل شيا
نذكر به في الزمان فقال جرير هل لكم أن نسلم على سكينة بنت الحسين فلعلها ان تكون
سببا لما أردتم فقالوا نعم الرأي وانطلقوا فطرقوا الباب فخرجت جارية ظريفة فبلغها كل
السلام فدخلت ثم عادت فقالت أيكم القائل

ان يحمل فاضطرب في ايديهم حتى مات
(ومنهم شهيد) عن الاصمعي قال
خرجت اريد بعض أحياء العرب
فادركني الليل فأويت الى جبانة
فتوسدت قبرا فسمعت بالليل قائلا
يقول من القبر

أنعم الله بالحبابين قبرا
وبممراك ياسعاد الينا
وحشة ما لقيت من خلل القبر
رعيي ان نراك اوان ترينا

قال فأرقت ليلتي فلما اصبحت دخلت
الحي واذا بجنازة قد أقبلت فسألت
عنها فقيل هذه سعاد كانت تحب ابن
عم لها فتعاقدا على الوفاء فلم تزل باكية
بعد ان مات وها هي قد لحقت به فتبعتهم
حتى دفنت الى جانب القبر الذي بت
عنده واذا هو قبر ابن عمها فاخبرتهم
بما سمعت فتعجبوا من ذلك (ومنهم
شهيد) حكى الفرزدق قال ابق غلام
لرجل من بني نهشل فخرجت في طلبه
أريد اليمامة فلما صرت على ماء لبني
حنيفة ارتفعت سحابة وامطرت فعدلت
الى بعض ديارهم فسألتهم القرى فاجابوا
فانخت ناقتي تحت بيت لهم من جريد
النخل وفي البيت جويرية سوداء
فخرجت جارية كأنها قمر فسألت
الجارية السوداء لمن هذه الناقة فاشارت
الي وقالت اضيفكم فعدلت الي وسلمت
وقالت ممن الرجل قلت من بني نهشل
قالت فانتم الذي تقول فيكم الفرزدق

ان الذي سمك السماء بنى لنا
بيتا دعائمه اعز واطول

قلت نعم فضحكت وقالت فان جريرا قد
هدم عليه بيته حيث يقول

اخزى الذي سمك السماء مجاشعا
واحل بيتك بالحضيض الاوهد

سرت الهموم فبتن غير نيام * واخو الهموم يروم كل مرام
درست معالمها الرواسم بعدنا * وسجال كل مجلجل سجام
ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الايام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * حين الزيارة فارجعي بسلام
يجري السواك على أغر كأنه * برد تحدر من متون غمام
لو كنت صادقة بما حدثتنا * لوصلت ذاك وكان غير لمام

قال جرير أنا قلته قالت فما أحسنت ولا أجملت ولا صنعت صنع الحر الكريم لاستر الله عليك كما هتكت سترك وسترها اما أنت بكاف ولا شريف حين رددتها وقد تجشمت اليك هول الليل هلا قلت

طرقتك صائدة القلوب فرحبا * نفسي فداؤك فادخلي بسلام

خذ هذه الخمسمائة درهم فاستعن بها في سفرك ثم انصرفت الى مولاتها وقد أفحمتنا وكل من الباقين يتوقع ما يخجله ثم خرجت فقالت أيكم القائل

الا حبذا البيت الذي انا هاجره * فلا انا ناسيه ولا انا ذاكره
فبورك من بيت وطال نعيمه * ولا زال مغشيا وخلد عامره
هو البيت بيت الطول والفضل دائما * واسعد ربي جد من هو حاذره
به كل موشي الذراعين يرتعي * اصول الخزامي ما ينفر طائره
هما دلياني من ثمانين قامة * كما انقض باز اقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الارض قالتا * أحي يرجى ام قتيل نحاذره
فاصبحت في اهلي واصبح قصرها * مغلقة ابوابه ودساكره

قال ابي يعني الفرزدق انا قلته فقالت ما وفقت ولا اصبت اما انست بتعريضك من عودة صدق محمودة خذ هذه الستمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم عادت فقالت أيكم القائل

فلولا ان يقال صبا نصيب * لقلت بنفسي النشأ الصغار
بنفسي كل مهضوم حشاها * اذا ظلمت فليس لها انتصار

فقال نصيب انا قلته فقالت اغزلت واحسنت ولا كرمت لانك صبوت الى الصغار وتركت الناهضات بأحمالها خذ هذه السبعمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم عادت فقالت ايكم القائل

واعجبني يا عز منك خلائق * كرام اذا عد الخلائق اربع
دنوك حتى يذكر الجاهل الصبا * ومدك اسباب الهوى حين يطمع
وانك لا تدري غريما مطلته * أيشتد ان لاقاك او يتضرع
وانك ان واصلت اعلمت بالذي * لديك فلم يوجد لك الدهر مطمع

قال كثير انا قلته قالت اغزلت واحسنت خذ هذه الثمانمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم خرجت فقالت ايكم القائل

لكل حديث بينهن بشاشة * وكل قتيل بينهن شهيد
يقولون جاهد يا جميل بغزوة * وأي جهاد غيرهن اريد

وافضل

قال فاعجبتني فلما رأت ذلك في وجهي قالت اين تريد قلت اليمامة فتنفست الصعداء ثم قالت

تذكرت اليمامة ان ذكري * بها اهل المروءة والكرامه
ألا فسقى الاله سحاب غيث * يجود بسحه بلد اليمامه
وحيا بالسلام أبا نجيد * واهلا للتحية والسلامه

قال فانست بها وقلت أذات خدر أم ذات بعل فقالت

اذا رقد النيام فان عمرا * لك القمر المنير المستنير
ومالي في التبعل من مراد * ولو رد التبعل لي اسيري

ثم سكتت كانما تسمع كلاما ثم انشأت تقول

تخيل لي أبا عمرو بن كعب * كانك قد حملت الى السرير
فان تك هكذا يا عمرو اني * مبكرة عليك الى القبور

ثم شهقت شهقة فماتت فتصارخ النساء وسألت عنها فقيل انها عقيلة بنت الضحاك بن النعمان بن المنذر وسألت عن عمرو فقيل لي ابن عمها كان يحبها وتحبه فدخلت اليمامة فسألت عن عمرو فاذا به قد مات في ذلك الوقت من ذلك اليوم قال صاحب منازل الاحباب وهذه الحكاية اعجب من جميع ما تقدم فان كلا من أولئك حصل له الموت عند تحقق اليأس من محبوبه اما بمعاينة موته أو اخباره بذلك لان من الحكما من يذكر ان روعة فقد الالف وتحقق اليأس يغمران القلب وهلة واحدة فتحقن عنه مادة النفس فيضعف القلب عن دفع مادته فيفيض الدم

وافضل ايامي وافضل مشهدي * اذا هيج بي يوما وهن قعود

فقال جميل انا قلته قالت اغزلت واحسنت وكرمت وعففت ادخل فلما دخلت سلمت فقالت سكينة انت الذي جعلت قتيلنا شهيدا وحديثنا بشاشة وافضل ايامك يوم تذب عنا وتدافع ولم تتعد ذلك الى قبيح خذ هذه الالف درهم وابسط لنا العذر وانت اشعرهم وهذه الحكاية هي التي سبقت الاشارة اليها في فصل الخيال من الباب الخامس واجتمع كثير وجميل وعمر بن ابي ربيعة عند عبد الملك فقال انشدوني أرق بيت قلتم فانشد جميل

حلفت يمينا يا بثينة صادقا * فان كنت فيها كاذبا فعميت
فلوان جلدا غير جلدك مسني * وباشرني دون العشار شريت
ولوان راقي الموت يرقى جنازتي * لينطقها في الناطقين حييت

(وانشد كثير) بابي وأمي انت من مظلومة * طابن العدو لها فغير حالها
لوان عزة خاصمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها
وسعى الي بصرم عزة نسوة * جعل المليك خدودهن نعالها

(وانشد ابن ابي ربيعة)

ألا ليت قبري يوم تقضى منيتي * بتلك التي من بين عينيك والفم
وليت طهوري كان ريقك كله * وليت حنوطي من مشاشك والدم
ألا ليت أم الفضل كانت قرينتي * هنا او هنا في جنة او جهنم

فقال اعط صاحب جهنم عشرة آلاف درهم * وسمع الحسن جارية تنشد وهي طائفة بالبيت

لا يقبل الله من معشوقة عملا * يوما وعاشقها غضبان مهجور
وليس يأجرها في قتل عاشقها * لكن عاشقها في ذاك مأجور

فقال لها افي هذا المكان يقال هذا قالت استظريفا قال بلى قالت هل تروي الشعر قال نعم قالت اما سمعت قولهم

بيض غرائر ما هممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام زوانيا * ويصدهن عن الخنا الاسلام

واستحضر الرشيد الرقاشي ومصعبا وابانواس فقال أجيزوا * كلام الليل يمحوه النهار * البيت الذي قالته الجارية التي لقيها بعد غضبه عليها فاسالها الوصل فوعدته الى وقت فلما جاء انشدته المصراع المذكور فقال الرقاشي ومصعب ابياتا لم تناسب المقام وانشد ابو نواس

وليلة اقبلت في القصر سكرى * ولكن زين السكر الوقار
وقد سقط الردا عن منكبيها * من التخميش وانحل الازار
وهز الريح اردافا ثقالا * وغصنا فيه رمان صغار
فقلت الوعد سيدتي فقالت * كلام الليل يمحوه النهار

فقال له كانك كنت حاضرا معنا وامر له بعشرة آلاف درهم ولكل من الآخرين بخمسة وأرق الرشيد ليلة فقام يمشي في المقاصير فرأى جارية لطيفة الشكل بديعة المنظر فايقظها فقالت وقد علمت به (يا امين الله ما هذا الخبر) فقال

هو ضيف طارق في حيكم * يرتجي المأوى الى وقت السحر

وتذهب الروح واما هذه فلطفت نفسها الى ان رفع بينها وبين محبوبها حجاب البعد ولم يبق لنفسها مادة الاجما ردعليها من ذلك الامين فكان بمنزلة المصباح الذي للبصير فلما ذهب عن القلب احس بفقده كما يحس البصير بذهاب نور المصباح اذا طفئ (ومنهم شهيد) قال في منازل الاحباب ومن ألطف ما وجدته من أخبار المتأخرين في تحليهم بالعفاف واتصافهم باحسن الاوصاف ما يحكى عن بعض الفضلاء المغاربة وهو محمد بن القاسم النحوي انه هوى فتى من ولد الجند فكتم هواه واخفى ضناه الى ان عيل صبره ونفث الدم فبل صدره ومات على كتمانه ولم يبح بشانه فمن قوله فيه

هذا الخيال في الجفون يلوح * لو كان في الجسم المعذب روح
يا سالما مما اكابد في الهوى * هل يشتفي من قلبي التبريح
غادرتني غرض الردى وتركتني * لا عضو لي الا وفيه قروح
لله ما فعلت لحاظك في دمي * لو بلغت جسمي الردى فتريح
لو عاينت عيناك قدفي من في * كبدي ودمعي مع دمي مسفوح
لرأيت مقتولا ولم تر قاتلا * وعلمت اني من هواك مذبوح
قل للذي علقت منه منيتي * أأباح قتلي يا ظلوم مبيح
كبدي على صدري جرت والى متى * أغدو واعزب في الهوى وأروح

(ومنهم شهيد) قال عبد الحق في العاقبة مما ابتلى الله به الهادي من المحبة وعاقبه به ان كان مغرما بجارية له تسمى غادرا وكانت احسن الناس

(فقالت) بسرور سيدي اخدمه * ان رضي بي وبسمعي والبصر

فلما اصبح احضر ابانواس وقال له اجز (يا امين الله ما هذا الخبر) فانشد

طال ليلي حين وافاني السهر * فتفكرت فاحسنت الفكر
قمت امشي في مكاني ساعة * ثم اخرى في مقاصير الحجر
واذا وجه جميل حسن * زانه الرحمن من بين البشر
فلمست الرجل منها موقظا * فرنت نحوي ومدت لي البصر
واشارت وهي لي قائلة * يا امين الله ما هذا الخبر
قلت ضيف طارق حيكم * يرتجي المأوى الى وقت السحر
فاجابت بسرور سيدي * اخدم الضيف بسمعي والبصر

فقال له اكنت معنا قال لا ولكن الجاني الشعر الى ذلك فاحسن صلته

(فصل في النوادر والحكم)

(نادرة) قال اسحق غنيت الرشيد ليلة حتى نام فجلست انتظر انتباهه والعود في يدي واذا بشاب على اجمل ما يكون من الهيآت قد دخل على فاصلح العود بعد ما شرب وانشد

الا غنيالي قبل ان تتفرقا * وهات اسقني صرفا شرابا مروقا
فقد كاد ضوء الصبح ان يفضح الدجى * وكاد قميص الليل ان يتمزقا

ثم قال هكذا غن الخلفاء وغاب وقد ذهب عقلي من حسن غنائه فلما افاق الرشيد قصصت عليه القصة وغنيته الصوت فاحسن صلتي وقال ليته متعنا بغنائه ولم يرنا شخصه قال اسحق فذكرت بهذه ما حكاه لي ابي انه استوهب الخليفة يوما يخلو به مع اهله فوهبه السبت لانه كان يستثقله فخلا ابراهيم يوما وقد زين بيته وحرمه واتقن طعاما وشرابا واوصى بحفظ الابواب من احد يدخل فبينما هو جالس على احسن ما يكون اذا بشيخ عليه قلنسوة وثياب ناعمة وبيده عكازة وقد عبقت رائحة الطيب منه فسلم بلطف ثم جلس قال ابراهيم فكدت ان اقضي فروضت نفسي فذاكرني الادب وايام العرب حتى ظننت ان غلماني حيوني به لما رأوا من ظرفه ثم قال بعد ما ابي من الطعام واخذ شيأ من الشراب هل لك ان تغني شيأ مما فقت به فتجشمت المشقة وغنيت فقال احسنت يا ابراهيم فزاد غضبي ثم استأذنني في الغناء فاذنت له متعجبا من تجريه بحضرتي فاصلح العود وانشد

ولي كبد مقروحة من يبيعني * بها كبدا ليست بذات قروح
اباها على الناس ان يشترونها * ومن يشتري ذا علة بصحيح
أئن من الشوق الذي في جوانحي * أنين غصيص بالشراب جريح

(ثم غير الصوت وغنى)

الا يا حمامات اللوى عدن عودة * فاني الى أصواتكن حزين
فعدن فلما عدن كدن يمتنني * وكدت باسراري لهن أبين
دعون بترداد الهدير كانما * شربن حميا او بهن جنون
فلم ترعيني مثلهن حمائما * بكين ولم تدمع لهن عيون

فوالله ما سمعت باحسن منه ولقد خلت ان العود والجدار ينطقان معه ثم غاب فخرجت مغضبا وسألت عن الشيخ فقالوا نعيذك بالله لم يدخل أحد فرجعت واذا بهاتف من جانب

واطيبهم غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقيل له ما بال امير المؤمنين فقال وقع في فكري اني اموت وان اخي هرون يلي الخلافة ويتزوج غادر فامضوا فأتوني برأسه ثم رجع عن ذلك وأمر باحضاره وحكى له ما خطر بباله فلم يزل هرون يترفق له فلم يقنع بذلك وقال لا أرضى حتى تحلف لي بكل ما حلفت به انني اذا مت لا تتزوج غادر فرضي بذلك وحلف ايمانا عظيمة ثم قام ودخل الى الجارية وحلفها ايضا على مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك شهرا حتى مات وولي هرون الخلافة وطلب الجارية فقالت يا امير المؤمنين كيف نصنع بالايمان التي حلفنا بها فقال قد كفرت عني وعنك ثم تزوج بها ووقعت في قلبه موقعا عظيما وافتتن بها احسن من اخيه الهادي حتى كانت تسكر وتنام في حجره فلا يتحرك ولا يتقلب حتى تنتبه فبينما هي في بعض الليالي في حجره اذا انتبهت فزعة مذعورة فقال لها ما بالك فدتك روحي فقالت رأيت اخاك الهادي في المنام وانشدني

أخلفت وعدي بعدما * جاورت سكان المقابر
ونسيتني وحنثت في * ايمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة أخي * صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد * ولا تدرعنك الدوائر
ولحقتني قبل الصبا * ح وصرت حيث غدوت صائر

قالت ثم ولى عني وكأن الابيات مكتوبة في قلبي ما نسيت منها كلمة

البيت يقول لا باس عليك ما كان ضيفك الا ابليس فركبت الى الرشيد فحدثته بالقصة وأخبرته ان الشيخ أخبرني اني احكمت الغناء وغنيته كما سمعت فاحسن صلتي (وحكي) عنه في الاصل ايضا وفي غيره عن والده اسحق قال اصبحت في يوم مطير ايقنت فيه ان لا يأتيني احد فصنعت لنفسي ما شئت من طعام وشراب وجلست في سرور وحدي ولي الى ارفذ كرت جارية أهواها فقلت لو كانت عندي لكمل سروري فيما أكملت القول حتى جاء في غلام فقال فلانة بالباب فوثبت لم املك نفسي فاذا بعرس التمني قد اغمر فاعتنقتها وقد بلها المطر فخلعت ما عليها والبستها بدلة تليق بها وجئت بماء ساخن وغسلت رجليها بيدي وقلت ما الذي جاء بك في هذا الوقت قالت جاءني رسولك مرتين يخبرني انك تشكو الحرقة فكرهت ان أقول ما ارسلت احدا فجلست واخذت العود فغنيت

توسدها كفي وبت ضجيعها * وقلت لليلي طل فقد رقد الفجر
بوجه اذا ما غاب عني حكاه لي * وان لم يكن في حسن صورته البدر
فلما اضاء الصبح فرق بيننا * وأي نعيم لا يكدره الدهر

فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا شيخ حسن الهيئة فجلس معنا فقالت هذا رسولك الي فانكرت اذ لم اعرفه وعجبت من دخوله لان المفاتيح عندي هكذا في الاصل وفي غيره ان الجارية حين استقر بها الجلوس قالت أريد من يغني قال اسحق انا قالت لا انت ولا انا ولكن أخرج فالتمس لنا احدا فخرجت طاعة لها فاذا أنا بشيخ اعمى وهو يقول لا جزى الله من كنت عندهم خيرا ان غنيت لم يسمعوني وان سكت استخفوا بي فقلت له هل تكون عندنا الليلة فقال خذ بيدي ان شئت فلما دخلنا وجلس قال لي غن فحين غنيت قال قاربت ان تكون مغنيا فكدت ان اموت ثم سأل الجارية فغنت فقال ما جئت بشيء فقالت هذا ما عندنا فهات ما عندك فطلب عودا جديدا فاصلحه وكانت الجارية حين طرقت الباب قالت ايدخل محبوب على الباب واقف فانشد الشيخ

سرى يخبط الظلماء والليل عاكف * حبيب باوقات الزيارة عارف
وما راعني الا السلام وقولها * أيدخل محبوب على الباب واقف

فحين سمعت ذلك الجارية قالت قد ضاق صدرك بكامة فلم ازل اترضاها واحلف اني لم اقل واقرب اليها بالتقبيل ودغدغة الثديين حتى ضحكت فغنى الشيخ

الا ربما زرت الملاح وطالما * لمست بكفي البنان المخضبا
ودغدغت رمان الصدور ولم ازل * أعضعض تفاح الخدود المكتبا

فقلت لها انا اعلمته بذلك فاطمأنت ثم قام الى الخلاء وابطأت فطلبناه فلم نجده فعلمت انه ابو مرة فتمثلت بقول ابي نواس

عجبت من ابليس في كبره * وخبث ما اظهر من نيته
أبى على آدم في سجدة * وصار قوادا لذريته

(قال بعض الادباء) كان ابو نواس اول من فتح هذا الباب على ابليس فكثرت فيه الاقوال من الشعراء

(لطيفة ووصية) قال بعض الحكماء لولده ونقله في الاحياء لا تتزوج حنانة يعني الى ولدها الذي من الزوج السابق ولا منانة يعني ذات المال التي تعطي الزوج شيئا ثم تمن به

فقال هذه أحلام الشيطان فقالت كلا والله يا امير المؤمنين ثم انها اضطربت بين يديه حتى ماتت في تلك الساعة فلا تسأل عن حال هرون وما لقي بعدها (ومنهم قتيل) أخبرنا الشيخ الامام الحافظ علاء الدين أبو عبد الله مغلطاي بسنده عن ابي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي الطبيب الاديب قال كنا نختلف في النحو الى محمد بن الخطاب في جماعة وكان معنا عنده ابو الحسن اسلم ابن سعيد الاسلمي قاضي قضاة الاندلس وكان اجمل ما رأته العيون واحمد بن كليب كان من اهل الادب والشعر فاشتد كلفه باسلم وفارق صبره وصرف فيه القول متسترا بذلك الى ان فشت اشعاره وجرت على الالسنة ونوشدت في المحافل فلعهدي بعرس في بعض شوارع قرطبة والزامر يغني بقول احمد بن كليب

اسلمني في هوا * اسلم هذا الرشا
غزال له مقلة * يصيب بها من يشا
وشا بيننا حاسد * سيسئل عما وشى
ولو شاء ان يرتشي
على الوصل روحي ارتشي

ومغن محسن يساره فيها قال فلما بلغ اسلم هذا المبلغ انقطع عن جميع مجالس الطلب ولزم بيته والجلوس على بابه وكان احمد بن كليب لا شغل له الا المرور على بابه سائرا ومقبلا نهاره كله فامتنع اسلم من الجلوس على باب داره نهارا فاذا صلى المغرب واختلط الظلام خرج مستروحا وجلس على باب داره فعيل صبر احمد فتحيل في بعض الليالي ولبس جبة صوف من جباب اهل البادية واعتم بمثل عمائمهم واخذ باحدى يديه دجاجا وبالاخرى قفصا

عليه ولا اناته يعني على زوجها الاول وعليه انقل في تحفة العروس ان الغدور بنت قيس بن
خالد لما تزوج بها عمرو بن الجون بعد لقيط بن زرارة لم تزل تظهر الاسف على لقيط فخنق
عمرو وقال لها ويلك انه لم يجئ من بعض عبيدي فصفي لي بعض ما رأيت من حسنه قالت
تطيب يوما وجلس يتناول الشراب ولم يوقظني شفقة حتى انتبهت فاركبني وخرج الى الصيد
والزهو فلاحت غابة فيها اسدان فشد حتى قتل واحدا ورجع الى فضمني ضمة وددت لو مت
فيها ففعل عمرو ذلك وضمها قال اين انا من لقيط فقالت ماء ولا كصداء ومرعى ولا
كالسعدان وهو مثل سبق تقريره * وعن بعضهم كن فوق المرأة بالسن والمال والحسب
والا احتقرتك ولتكن هي فوقك بالصبر والجمال والادب والا احتقرتها

* (عجيبة) * قيل اعظم الولائم الاسلامية اثنتان احداهما وليمة زفاف الرشيد على زبيدة
كانت الهبات فيها غير محصورة حتى انهم كانوا يهبون اواني الذهب مملوأة بالفضة واواني
الفضة مملوأة بالدنانير ونوافج المسك وقطع العنبر وجليت في درع من الدر لم يقدر احد على
تقويمه وضبط ما خرج فكان خمسا وخمسين الف الف وثانيتهما وليمة بوران على المأمون
فرش فيها حصير منسوج بالذهب ونثر عليها من اللآلي ما اغنى خلقا كثيرا قال شارح
المقامات تقرر ما خرج من بيت المال فكان اربعين الف الف وقال غيره عن زبيدة سبعة
وثلاثين واوقد فيها شمعة من العنبر زنتها ثمانون رطلا وكتب رقاعا باسماء ضياع ودساتيق
وصلات وجعلها في بنادق المسك في النثار فكان الذي يلتقط شيئا منها يحبس عليه وقيل
كان الحطب الذي اوقد فيها قد نقل باربعة آلاف بغل اربعة اشهر فلم يكف حتى اوقد
الكتان (فائدة) في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من العجز
في الرجل ان يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعرف اسمه وان يكرمه اخوه فيرد عليه
كرامته وان يقارب المرأة فيصيبها قبل ان يحادثها ويؤانسها فيقضي حاجته منها قبل ان
تقضي حاجتها منه وبهذا وافقت الحكمة السنة فان ابقراط يقول اكثر آفات قلة الولادة
من عدم الموافقة فمن لم يدركها بالمعرفة فعليه بالملاعبة ويكره الجماع في المحاق واول الشهر
ما عدا رمضان قيل وليلة النصف

(لطيفة ووصية) قال بعض الحكماء خير النساء ما عفت وكفت ورضيت باليسير
واكثرت التزين ولم تظهره لسوى زوجها وخير الرجال الذي لم يكل المرأة الى طلب شيء ولم
يعصها في الخلوة ولم يطعها في شهوة قال بعض من شرح هذا الكلام المراد بعفت يعني
حصنت الزوج من حسنها ان يطمح الى غيرها وكفت لسانها عن الاذى وبالتزين مطلق
التلطف ولو بالكلام المضحك المطفئ للغضب فان غاية النساء السكون اليهن من الوصب
وبقوله لم يطعها في الشهوة يعني المفضية الى تبذلها كالخروج ورفع الصوت لا فيما تشتهيه
من مأكل وملبس فان قطع ذلك عنها اعانة لها على الفساد وزاد بعضهم ان لا يذكر الرجل
محاسن المرأة لاحد فان ذلك يؤول الى نزعها منه وعلى ذكر التحبب ولو بالكلام نقل ابن
الجوزي عن بعضهم قال قلت لجاريتي الا تلبسين الحلي قالت لا لانه يستر المحاسن كما يستر
القبائح وقلت لها اجلسي بنا في القمر فقالت ما اولعك بالجمع بين الضرائر وكسفت الشمس
يوما فقالت ما كسفت الا حياء مني

(لطيفة) اللذات اربع لذة ساعة وهي الجماع ولذة يوم وهي الحمام ولذة جمعة وهي

فيه بيض وتحين جلوس اسلم عند اختلاط
الظلام على بابه فتقدم اليه وقبل يده
وقال يا مولاي تأمر من يقبض هذا
فقال له اسلم ومن انت فقال اجيرك في
الضيعة الفلانية فامر اسلم بقبض ذلك
منه على عادتهم وكان احمد قد عرف
اسماء ضياع اسلم والعاملين فيها عند
ورودهم منها فجعل يسأله عن الضياع
ضيعة ضيعة فلما جاوبه انكر الكلام
فتأمله فعرفه فقال له يا اخي بلغت
بنفسك الى ههنا تتبعني اما كفاك
انقطاعي عن مجالس الطلب وعن
الخروج جملة وعن القعود على بابي
نهارا حتى انقطعت عن جميع مالي فيه
راحة وقد صرت كاني في سجن والله
لا فارقت بعد هذه الليلة قعر منزلي ولا
جلست بعدها على بابي ليلا ولا نهارا ثم
قام فانصرف احمد بن كليب كئيبا قال
محمد بن الحسين واتصل ذلك بنا فقلنا
لاحمد خسرت دجاجك وفصلك قال
هات كل ليلة قبلة في يده واخسر اضعاف
ذلك قال فلما يئس من رؤيته البتة
نهكته العلة واضجعه المرض قال محمد
ابن الحسين فاخبرني شيخنا ابو عبد الله
محمد بن الخطاب انه عاده قال فوجدته
باسوأ حال فقلت له الا تتداوى فقال
دوائي معروف واما الاطباء فلا حيلة
لهم في البتة فقلت له ما دواؤك قال
نظرة من اسلم فلو سعيت في ان يزورني
لاعظم الله اجرك بذلك وكان هو والله
يؤجر قال فرحمته وتقطعت نفسي له
فنهضت الى اسلم فاستأذنت عليه فاذن
لي وتلقاني بما احب فقلت له لي اليك
حاجة فقال وما هي قلت قد علمت
ما جمعك مع احمد بن كليب من ذمام
الطلب عندي فقال نعم ولكن قد

النورة ولذة حول وهي تزويج البكر

(نادرة) جاءت امرأة الى عمر فقالت يا امير المؤمنين ان زوجي يصوم النهار و يقوم بالليل وكررت ذلك وعمر يقول في كل مرة جزاك الله خيرا من مثنية على بعلها فقال كعب انها يا امير المؤمنين تطلبه بحق الفراش فقال حيث فهمت ذلك فاقض بينهما فاحضر الزوج وقال ان امرأتك تشكوك فقال لم اقصر في شئ فانشدت

يا أيها القاضي الحكيم رشده * الهى خليلي عن فراشي مسجده
نهاره وليله ما يرقده * فلست في حكم النساء احمده
زهده في مضجعي تعبده * فاقض القضايا كعب لا تردده

(فقال زوجها)

زهدني في فرشها وفي الحجل * اني امرؤ اذهلني ما قد نزل
في سورة النمل وفي السبع الطول * وفي كتاب الله تخويف جلل

(فقال كعب) ان لها حقا عليك يا رجل * تصيبها في اربع لمن عقل
قضية من ربنا عز وجل * فاعطها ذاك ودع عنك العلل
فان خير القاضيين من عدل * وقد قضى بالحق جهرا وفصل

ثم قال ان الله قد احل لك اربع نساء فاجعل لها ليلة من اربع فقال عمر رضي الله عنه لا ادري اعجب من حالك ام من فهمك و ولاه البصرة

(وصية) قيل كانت العرب توصي بناتها بما يوجب الالفة فتقول للواحدة كوني له ارضا يكن لك سماء وكوني مهادا يكن عمادا وامة يكن عبدا وفراشا يكن معاشا ولا تقربي فملك ولا تبعدي فينساك ولا تعاصيه شهوته وعليك بالنظافة ولا يرى منك الا حسنا ولا يشم الا طيبا ولا يسمع الا ما يرضي ولا تفشي سره فتسقطي من عينه ولا تفرحي اذا غضب ولا تغضبي اذا فرح *(لطيفة)* قال ابو العلاء اغزل بيت قول الاعشى

غراء فرعاء مصقول عوارضها * تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوحل

واشجع بيت قوله

قالوا الطعان فقلت الكل عادتنا * او تنزلون فانا معشر نزل

(اخرى) قيل تزوج اليزيد بن عبد الملك بالحرباء فحين زفت اليه دخلت القهرمانة لتصلح من شأنها فلطمتها فسالت دمها فقالت له اترسلني الى مجنونة فدخل عليها فقال لاي شئ فعلت بالمرأة ما فعلت قالت احببت ان لا ينظر لي غيرك فان رأيت حسنا كنت اول من نشره او قبيحا كنت اول من ستره فعظمت عنده

(نادرة) قيل جلس المنصور في قصره وقت ظهيرة فاشرف على رجل يتردد في الطريق وعليه امارة الكرب فاحضره وسأله عن حاله فقال يا امير المؤمنين انا تاجر املك الف دينار وقد احضرتها بالامس الى زوجتي وطلبتها اليوم فلم تجدها فقال هل تعلم على امرأتك شيأ قال لا فاستدعى الخليفة بقارورة طيب كان يصنع له بالخصوص فدفعها الى الرجل وقال له اجعلها عند زوجتك واعلمها اني حبوتك بها وعاودني ففعل وامر المنصور حراس الابواب ان يأتوه بمن يشمون منه رائحة هذا الطيب فما كان باقرب من ان جاؤه بشخص فهدده وقال لئن لم تأتني بالالف دينار التي اخذتها من موضع كذا لاضربن عنقك فجاء بها واحضر

قلت أنه تزوج بي وشهر اسمي فآذاني فقلت كل هذا مغتفر في مثل هذه الحالة التي هو فيها فنعوده فقال لي والله ما أقدر على ذلك فلا تكلفني هذا فقلت له لا بد من ذلك فليس عليك في ذلك شئ وانما هي عيادة مريض قال فلم أزل به حتى اجاب فقلت فقم الآن فقال والله أفعل ذلك ولكن غدا فقلت له بلا اخلاف قال نعم قال فانصرفت الى أحمد بن كليب فاخبرته بوعده بعد امتناعه فسر بذلك سرورا شديدا فلما كان من الغد بكرت الى اسلم فقلت له الوعد فوجم وقال والله لقد حملتني على خطة صعبة على وما أدري كيف أطيق ذلك قال فقلت له لا بد ان توفي بوعدك لي فاخذت رداءه ونهض معي راجلا فلما أتينا منزل أحمد وكان يسكن في آخر درب طويل وتوسطت الزقاق فوقف واحمر وخجل وقال لي يا سيدي الساعة والله أموت ولا أقدر أنقل قدمي ولا استطيع أعرض هذا على نفسي قال فقلت لا تفعل بعد ان بلغت المنزل تنصرف فقال لا سبيل والله اليه ورجع هاربا فاتبعته فاخذت بردائه فتمادى وخرق الرداء وبقيت منه قطعة في يدي لشدة امساكي به ومضى ولم ادركه فرجعت ودخلت على أحمد بن كليب قال وقد كان غلامه دخل اليه اذ رآنا من اول الزقاق مبشرا قال فلما رآني تغير وجهه وقال واين اسلم فاخبرته القصة فاستحال من وقته واختلط وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منه أكثر من التوجع فاستشنعت الحال وجعلت أتوجع وقمت قال فثاب اليه ذهنه وقال لي يا عبد الله قلت نعم قال اسمع مني واحفظ عني ثم أنشأ يقول

أسلم يا راحة العليل
رفقا على الهائم النحيل
وصلك اشهى الى فؤادي
من رحمة الخالق الجليل

قال فقلت له اتق الله ما هذه العظيمة فقال لي قد كان قال فخرجت من عنده فوالله ما توسطت الزقاق حتى سمعت

الخليقة التاجر وقال له هذا مالك قال نعم وقبل الارض فدفعه له وحكمه في زوجته

(فصل في المجون) قيل حضرت سوق عكاظ امرأة بنحيين اعني ظرفين من عسل فأتاها خوات بن جبير وكان فاتكا في الجاهلية فحل احدهما وذاقه واعاده فامسكته باحدى يديها وفعل الآخر كذلك ثم امسك رجليها وقضى وطره فحين فرغ قالت لا هنئت قال بل هنئت وانشد

وشدت على النحيين كفي ضنينة ❊ واعجلتها والفتك من فعلاتي

وبهما ضرب المثل فقالوا اشغل من ذات النحيين واظلم من خوات (قال الاصمعي) بينا نحن بطريق مكة اذا باعرابي يقول من احس من بعير بعنقه علاط وبأنفه خزامة يتبعه بكرتان سمراوان عهد العاهد به عند البئر فقالت جويرية على حوض اعزب يا فاسق لا رد الله عليك ضالتك فقلنا ما لك وان ينشد ضالته قالت انما ينشد ايره قوله علاط بالمهملة حبل يجعل في عنق البعير وسمراوان يريد اللون المعروف ويحتمل انه تثنية سمرا يعني الناقة وجيء لابن ابي مساحق بابن اخته وقد احبل جارية فقال له هبلت ابتليت بالفاحشة فهلا عزلت فقال جعلت فداءك بلغني ان العزل مكروه فقال وما بلغك ان الزنا حرام ❊ وكان بمكة رجل تجتمع الرجال والنساء عنده للفساد فشكوه فنفاه الوالي الى عرفات فقال لاصحابه يوما ما يمنعكم ان تأتوا الي على العادة فقالوا كيف لنا بذلك فقال حمار بدرهمين وقد صرتم الى الامن والنزهة فقالوا صدقت وفعلوا فعادا مره اعظم فرفعوه الى الوالي فقال الم انهك فقال اصلحك الله انهم يكذبون علي فقالوا للوالي اجمع حمير مكة وارسلها فان لم تأت بيته فنحن كاذبون عليه ففعل فمضوا الى بيته فجرده ليضربه فقال او ضاربي انت قال نعم فقال افعل فوالله ما بي الا قول اهل العراق ان اهل مكة يحكمون بشهادة الحمير فضحك وخلى سبيله (وفي منازل الاحباب) قال غلام جئت حيا قد ازمعوا الرحيل وامرأة على احسن ما يكون من الحسن والهيئة والشباب قد تخلفت تهيئ امرها فاجئتها يسيرا فقالت ايما احسن عاريا الرجل ام المرأة فقلت الرجل قالت بل المرأة وان شئت علمت ذلك بان اتجرد وامشي الى تلك الاكمة واعود وتعاهدني ان تفعل كذلك فعاهدتها وكنت حين بقل وجهي وانا على اجمل ما يكون فتجردت عن محاسن تسر القلب وتملأ العين ومشت كما ذكرت وعادت وسألتني الوفاء ففعلت فلم امش المسافة حتى تدرعت ثيابي واعتقلت سيفي واستوت على جملي ومضت فلم اجد حيلة الا اخذ ثيابها وجملها كذلك فكنت استحي ان الحق القوم وهم يصرخون علي حتى جاءت جارية فجذبت زمام البعير حتى اوصلتني اليهم فجاءت امها فقالت اي بنية كم اتعبتنا في هذه الليلة وادخلتني الستر فلما عرفوني واستخبروني عن القصة اخبرتهم بها فقالت لي امها انها ذهبت الى صاحب لها وهذا وقت زفافها على رجل به لوثة تعني خبالا في عقله فهل لك ان تكون مكانها ساعة ولك عندي اليد البيضاء فأجبت الى ذلك فحين دخلت عليه ما نعته ساعة واتت المرأة فخرجت ❊ اشترى بعضهم عجلا فكان كلما ركبه يصرعه وهو يحسبه مهرا حتى نجمت قرناه ❊ وفي الحلية عن الشافعي قال قيل للحطيئة وقد حضرته الوفاة بم توصي للمساكين قال بالمسئلة قيل في مالك قال للذكور دون الاناث فقالوا ما قال الله هذا فقال لكني اقوله ثم احملوني على حمار فانه لم يمت عليه كريم ❊ وتزوج رجل اسمه سعاد بامرأة من ولد دارا فاعجب بها فامرته بتغيير اسمه فسمى نفسه بغلا فقالت هو خير لكنك لم تخرج من الاصطبل بعد ❊ واتى كفيف نخاسا فقال له اطلب لي حمار اليس

الضراخ عليه وقد فارق الدنيا وقال الحافظ أبو محمد وهذه قصة مشهورة عندنا ومحمد بن الحسن ثقة واسلم هذا من بني خلف وكانت فيهم وزارة وحجابة وكان شاعرا وابنه الآن بالحياة وقال أبو محمد ولقد ذكرت هذه الحكاية لابي عبد الله محمد بن سعد الخولاني الكاتب قال فعرفها وقال لقد أخبرني ثقة أنه رأى اسلم هذا في يوم شديد المطر لا يكاد أحد يمشي في طريق وهو قاعد على قبر احمد بن كليب زائرا له وقد تحين غفلة الناس في مثل ذلك النهار ومما كتب به احمد بن كليب الى اسلم المذكور وقد اهدى اليه فصيح ثعلب

هذا كتاب الفصيح بكل لفظ مليح
وهبته لك طوعا كما وهبتك روحي

(ومنهم قتيل) حدث الخالدي في كتاب الزيارات باسناده عن ابي بكر احمد ابن محمد الصنوبري قال كان بالرها وراق يقال له سعيد وكان في دكانه مجلس كل أديب وقد كان احسن الادب والفهم يعمل شعرا رقيقا فما كنا نفارق دكانه أنا وابو بكر المعوج الشامي الشاعر وغيرنا من شعراء الشام وديار مصر وكان لتاجر بالرها نصراني من كبار تجاره ابن اسمه عيسى من أحسن الناس وجها وأحلاهم قدا واظرفهم منطوقا وكان يجلس الينا ويكتب عنا من اشعارنا وجميعنا نحبه ونميل اليه وهو حينئذ صبي في الكتاب فعشقه سعيد الوراق عشقا مبرحا وكان يعمل فيه الاشعار كل يوم فمن ذلك وقد جلس عنده في دكانه

اجعل فؤادي دواة والمداد دمي
وهاك فابري عظامي موضع القلم
وصير اللوح وجهي وامحه بيدي
فان ذلك لي برء من السقم
ترى العوالم لا تدري بمن كلفي
وانت اشهر للصبيان من علم

ثم شاع خبره بعشق الغلام في الرها فلما كبر وشارف الاحتلام احب الرهبنة وخاطب اباه وامه في ذلك وألح عليهما حتى اجاباه وخرجا به الى دير زكى

بالصغير

بالصغير المحتقر ولا الكبير المشتهر ان خلى الطريق تدفق وان كثر الزحام ترفق لا يصادم في السواري ولا يدخلني تحت البواري ان أقللت علفه صبر وان اكثرته شكر وان ركبته هام وان ركبته غيري نام فقال له النخاس اصبر فان مسخ الله القاضي حمارا قضيت حاجتك وشدد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في النهي عن المعاصي كشرب الخمر فقال لصاحبي عسسه وخبره اذا رأيتما سكران فائتيان به فطافا الى آخر الليل فاذا هما بشيخ حسن الهيئة بهي المنظر قد أخذ منه السكر وهو يقول

سقوني وقالوا لا تغني ولو سقوا * جبال حنين ما سقوني اغنت

فقالا له اما تستحي وانت بهذه الحالة فقال ارفقا بي فقد شربت مع اخوان احداث فحين اخذ الشراب مني اخرجوني فقال صاحب العسس لصاحب الخبرا كتم علي وأنا أطلقه قال قد فعلت فقال له اذهب يا شيخ ولا تعد قال نعم وأنا تائب فلما كان في الليلة الآتية رأياه كما ذكروهو يغني

انما هيج البلى * حين عض السفر جلا * فرماني وقال لي
كن بعيني مبتلى * ولقد قام لحظه * لي على القلب بالقلى

فقالا له اين التوبة فقال ان اخواني الذين ذكرتهم لكما البارحة عدوا علي وحلفوا أن لا يخرجوني اذا عمل بي الشراب فغلب علي وعليهم فخرجت فاطلقاه فلما كان الثالثة رأياه في تلك الحالة وهو يغني

ارض عني فطالما قد سخطت * أنت ما زلت جافيا مذ عرفت
انت ما زلت قاطعا الوصولا * بل بهذا فدتك نفسي الفت
ما كذا تفعل الكرام بنو النا * س باحبابهم فلم كنت انت

فقالا له هذه ثالثة ولا عفو فقال اخطأتما قالا ولم ذلك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم تقبل له صلاة اربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الثانية لم تقبل له صلاة اربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الثالثة لم تقبل له صلاة اربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الرابعة لم تقبل له صلاة اربعين ليلة فان تاب لم يتب الله عليه وكان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال وهي عصارة اهل النار فقالا له اذهب فلما كانت الرابعة رأياه على الحكم وهو ينشد

قد كنت ابكي وما حنت لهم ابل * فما اقول اذا ما حل الثقل
كأنني بك نضوا لا حراك به * تدعى وانت عن الداعين مشتغل
فقلبوك بايديهم هناك وقد * سارت باجمالك المهرية الذلل
حتى اذا استيأسوا من ان تجيبهم * عضوا عليك وقالوا قد قضى الرجل

فقالا له لم يبق عفو فقال افعلا ما بدا لكما فحملاه الى عمر فاستنكهه فوجد الرائحة فحبسه حتى افاق وجلده ثمانين ثم قال له لا تعد فقال قد ظلمتني يا امير المؤمنين لاني عبد وقد جلدتني حد الاحرار فقال اخطأت اذ لم تعرفني وغم عمر فقال له الشيخ لا تحزن يا امير المؤمنين واجعل الاربعين سلفا عندك فضحك حتى استلقى على ظهره ثم قال لصاحب العسس اذا رأيت مثل هذا فارفعه الي واجتمع قوم عند بصيص جارية ابن نفيس وكانت اعجوبة وقتها في الحسن والغناء يتمنى كل أحد رؤيتها ولو بذهاب نفسه فتذاكروا الحل مزيد فقالت

كئيب مات من هجر الحبيب وقيب واحد ينغص عيشي * فكيف من له مائتا رقيب

بنواحي الرقة وهو في نهاية حسنه فابتاعا له قلاية ودفعا الى رئيس الدير جملة من المال منها فاقام الغلام فيها وضاقت على سعيد الدنيا بما رحبت فاغلق دكانه وهجر اخوانه ولزم الدير مع الغلام وسعيد في خلال ذلك يعمل فيه الاشعار فانكرت الرهبان الما سعيد به ونهوه عنه وجرموا عليه أن يدخل قلايته وتوعدوه باخراجه من الدير ان ادخله اليه فاجابهم الى ما سألوه فلما رأى سعيد امتناعه منه شق عليه وخضع للرهبان ورقق لهم القول فلم يجيبوه وقالوا علينا في هذا اثم وعار ونخاف السلطان فكان اذا وافى الدير أغلقوا الباب في وجهه ومنعوه من دخوله اليه ولم يدعوا الغلام يكلمه فاشتد وجده وزاد عشقه حتى صار الى الجنون فخرق ثيابه وانصرف الى داره فضرب جميع ما فيها بالنار ولزم صحراء الدير وهو عريان يهيم ويعمل الاشعار قال أبو بكر الصنوبري ثم عبرت أنا والمعوج الشامي ببستان بتنافيه فرأيناه جالسا في ظل الدير وهو عريان وتغيرت خلقته فسلمنا عليه وعذلناه وعنفناه فقال دعاني من هذا الوسواس اترياني ذلك الطائر الذي على هيكل الدير واوما بيده الى طائر هناك فقلت نعم قال وحقكما يا اخواني أنا أناشده منذ الغداة أن يسقط فاحمله رسالة الى عيسى ثم التفت الي وقال يا صنوبري معك ألواحك قلت نعم قال اكتب

بدينك يا حمامة دير زكى
وبالانجيل عندك والصليب
قفي وتحملي مني سلاما
الى قمر على غصن رطيب
وقولي سعدك المسكين يشكو
لهيب جوى أحر من اللهيب
فصله بنظرة لك من بعيد
اذا ما كنت تمنع من قريب
وان أنا مت فاكتب حول قبري

ثم تركناه وقام يغدو الى باب الدير وهو

انا آخذ منه درهما فقال مولاها ان فعلت جعلتك حرة وكسوتك ثوب وشي واولمت لك يوما بالعقيق فقالت ارفع الغيرة فقال ولو دفع رجليك لم أقل شيأ فخرج ابن مصعب فرآه في مسجد المدينة فقال له يا ابا اسحق اما تحب ان ترى بصيص جارية ابن نفيس فقال امرأته طالق ان لم يكن الله ساخطا على فيها وان لم اكن اسأله ان يرنيها منذ سنة فما يفعل فقالت له اليوم اذا صليت العصر فوافني ههنا قال امرأته طالق ان برحت من ههنا حتى تجي صلاة العصر قال فتصرفت في حوائجي حتى كان العصر فدخلت المسجد فوجدته فيه فاخذت بيده وأتيتهم به فأكلوا وشربوا وتساكر القوم وتناوموا فاقبلت بصيص على مزيد فقالت يا ابا اسحق كأن نفسك تشتهي ان أغنيك الساعة لقد حثوا الجمال ليهربوا منا فلم يئلوا فقال امرأته طالق ان لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ قال فغنته ثم سكتت ساعة وقالت يا ابا اسحق كأن نفسك تشتهي أن تقوم فتجلس الى جانبي وتقرصني قرصات واغنيك

قالت وأبثثتها وجدي فبحت به ✵ قد كنت عندي تحب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولي فقلت لها ✵ غطى هواك وما ألقى على بصري

فقال امرأته طالق ان لم تكوني تعلمين ما في الارحام وما تكسب الانفس غدا وباي أرض تموت فغنته ثم قالت برح الخفاء أنا أعلم انك تشتهي ان تقبلني شوق البين واغنيك هزجا

انا ابصرت بالليل ✵ غلاما حسن الدل كغصن البان قد أصبح ✵ مسقيا من الطل

فقال انت نبية مرسلة فقبلها وغنته ثم قالت يا ابا اسحق أرأيت أسقط من هؤلاء يدعونك ويخرجونني اليك ولا يشترون ريحانا بدرهم يا ابا اسحق هلم درهما اشتري به ريحانا فوثب وصاح واحرباه اي زانية اخطأت استك الحفرة انقطع والله عنك الوحي الذي كان يوحي اليك وعطعط القوم وعلموا ان حيلتهم لم تنفذ فيه ثم خرج ولم يعد اليهم واعاد القوم مجلسهم فكان اكثر شغلهم فيه حديث مزيد والضحك منه (وحكى) أبو يعقوب قال حضرت مجلس حماد عجرد ومعنا غلام جميل فجعل يرمقه حتى حرز المكان الذي ينام فيه فلما هجر الناس وقد اختلف النوام فكنت موضع الغلام قام حماد فدب على فاخذت يده وجعلتها على عيني العوراء فلما عرف ولى وهو يقول وفديناه بذبح عظيم وروي ان نصرانيا وجد مع مسلمة آخر يوم صومه فاكره على الاسلام فاسلم وضرب مائة سوط واخذ منه مائة دينار وكان أول يوم من رمضان فصام مع الناس فقيل له بعد ايام كيف حالك فقال كيف حال من صام خمسين وابعها بلاثنين وضرب مائة ووزن مائة وخرج من ملة الى اخرى وزوج فاجرة وسأل رجل عالما فقال افطرت يوما من رمضان سهوا فقال صم عوضه قال صمت عوضه واتيت اهلي وعندهم طعام فسبقتني يدي اليه فاكلت منه قال تقضي يوما آخر قال قضيته واتيت اهلي وقد عملوا هريسة فاكلت ساهيا فاترى قال أرى أن لاتصوم الا ويدك مغلولة الى عنقك ودخل رجل على الشعبي وعنده امرأة فقال أيكما الشعبي فقال هذه واشترى جحا يوما دقيقا واعطاه لحمال فلما دخلوا في الزحام هرب الحمال بالدقيق فرآه جحا بعد أيام فتوارى منه فقيل له لم ذلك فقال أخاف أن يطالبني بالاجرة وقدم الى أبي خازم القاضي سكران ليمتحنه فقال له من ربك فقال أصلحك الله ليس هذا من مسائل القضاة انما هو من مسائل منكر ونكير فضحك وخلى سبيله وولي رجل تفرقة مال على العميان والايتام والقواعد من النساء فدخل عليه رجل ومعه ولده فقال اثبتني في القواعد فقال ويلك انهن

مغلق دونه وانصرفنا عنه ومازال كذلك زمانا حتى وجد في بعض الايام ميتا الى جانب الدير وكان أمير البلد العباس ابن كيغلغ فلما اتصل ذلك به وبأهل الرها خرجوا الى الدير وقالوا ما قتله غير الرهبان فقال لهم ابن كيغلغ لابد من ضرب رقبة الغلام واحراقه بالنار ولابد من تعزير جميع الرهبان بالسياط في قتله وتصعب في ذلك فافتدى النصارى نفوسهم وديرهم بمائة ألف درهم وكان الغلام بعد ذلك اذ دخل الرها زيارة أهله صاح به الصبيان هذا قاتل سعيد الوراق وشدوا عليه بالحجارة يرجمونه وزاد عليه الامر في ذلك حتى امتنع من دخوله المدينة ثم انتقل الى دير سمعان وما أدري ما كان منه (ومنهم شهيد) قال ياقوت في تاريخه كان مدرك ابن علي الشيباني شاعرا أديبا فاضلا وكان كثيرا ما يلم بدير الروم ببغداد ويعاشر نصاراه وكان بدير الروم غلام من أولاد النصارى يقال له عمرو ابن يحيى وكان من أحسن الناس صورة وأكملهم خلقا وكان مدرك بن علي يهواه وكان لمدرك مجلس تجتمع فيه الاحداث لاغير فان حضر شيخ أو صاحب لحية قال له مدرك قبيح بك ان تختلط بالاحداث والصبيان فقم في حفظ الله فيقوم وكان عمرو يحضر مجلسه فعشقه مدرك وهام به فجاء عمرو يوما الى المجلس فكتب مدرك رقعة وطرحها في حجره فقرأها فاذا فيها

بمجالس العلم التي
بك تم حسن جموعها
الارثيت لمقلة
غرقت بفيض دموعها
بيني وبينك حرمة ✵ الله في تضييعها

قال فقرأ الابيات ووقف عليها من كان في المجلس وقرؤها فاستحيا عمرو وانقطع عن الحضور وغلب الامر على مدرك فترك مجلسه ولزم دار الروم وجعل يتبع عمرا حيثما شاء وقال فيه شعرا كثيرا قال الحريري وقد رأيت عمرا أبيض الرأس واللحية

تماه

نساء لا أزواج لهن وانت رجل فقال اثبتني في العميان قال صدقت فان الله تعالى يقول فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال واثبت ولدي ايضا في الايتام فقال افعل ذلك لان من انت ابوه فهو يتيم * دخل جحا على المهدي يوما فقال له كم عيالك قال ثمانية فامر له بثمانية آلاف درهم فاخذها وخرج فلما بلغ الباب رجع وقال نسيت واحدا من عيالي قال من هو قال انا فضحك المهدي وامر له بمثل ذلك * مر يهودي في سوق وكان كاتبا فصاح به صبي يا عم قف حتى اصفعك فالتفت اليه وقال انا مستعجل اصفع اخي عني وقال له بعض السوقة هذه النعل في قفاك فقال له اذا كان في رجل اختلف ومثل ذلك رجل قال لامرأة في يدها خف ليته على كتفي فقالت بشرط ان يكون فارغا * وقال رجل لآخر اني اعرف صناعة الفضة وأريد ان أعلمك ولكن احتاج الى ألف درهم لآلات فاعطاه فمضى ولم يعد فقيل له قد خدعك وكذب عليك قال لا لانه علمني كيف صناعة الفضة اي اخذها وكيفية الحيلة فان شئت ان افعل مثله فعلت

(فصل في ذكر نبذة من لطائف الاشعار ملتقطة مما ختم به الكتاب)

وفي غضون الحكايات قد سلك الخاطر بقتنا المعروفة من نحو حذف المكرر وانتقاء المستلطف

(بعض الاعراب)

الا يا حمام الشعب شعب مؤنس * سقيت الغوادي من حمام ومن شعب
سقيت الغوادي رب خود خريدة * اصاخت لخفض من غنائك او نصب
فان يرتحل صحبي بجثمان أعظمي * يقم قلبي المحزون في منزل الركب

(ابن المرزبان)

لئن كنت لا اشكو هواك فانني * اخو زفرات والفؤاد كئيب
فان كان قلبي فيك يضنى صبابة * وقد مرضت من مقلتيك قلوب
فما عجب موت المحبين في الهوى * ولكن بقاء العاشقين عجيب

(أبو عكرمة الضبي)

فلو ان ما بي بالحصا فلق الحصا * وبالريح لم يسمع لهن هبوب
ولو انني استغفر الله كلما * ذكرتك لم تكتب علي ذنوب
ولو ان أنفاسي اصابت بحرها * حديدا اذا ظل الحديد يذوب

(صاحب الاصل)

وروض اتيناه عشية اقبلت * ملاح البرايا من غضيض وغضة
حكى لونه والبيض محدقة به * زمردة خضراء في وسط فضة

(محمد بن وهيب)

اذا اختلجت عيني رأت من تحبه * فدام لعيني ما حييت اختلاجها
وما ذقت كأسا مذ تعلقني الهوى * فاشرب بها الا ودمعي مزاجها

(صاحب الاصل)

أخا الكاسات اني في انتظام * وبنت الكرم واسطة العقود
وقد منا تزوجها ابن مزن * فهل لك ان تكون من الشهود

(وله ايضا) ولما رأيت البدر ألقى شعاعه * على نيل مصر والسفين بنا تجري

من عاشق ناء هواه دان *
ناطق دمع صامت اللسان
معذب بالصد والهجران
موثق قلب مطلق الجثمان
من غير ذنب كسبت يداه
يشكو هوى نمت به عيناه
شوقا الى رؤية من اشقاه
كأنما عافاه من اضناه
يا ويحه من عاشق ما يلقى
من ادمع منهلة ما ترقا
ناطقة وما اجادت نطقا
تخبر عن حب له استرقا
لم يبق منه غير طرف يبكي
بأدمع مثل نظام السلك
تطفئها نار الهوى وتذكي
كأنها اقطار السماء تحكي
الى غزال من بني النصارى
عذار خديه سبى العذارى
وغادر الاسد به حيارى
في ربقة الحب له اسارى
ريم بدا في الروم رام قتلي
بمقلة كحلاء لا من كحل
وطرة بها استطار عقلي
وحسن وجه وقبيح فعل
ريم به أي هزبر لم يصد
يقتل باللحظ ولا يخشى القود
متى يقل ها قالت الالحاظ قد
كأنها ناسوته حين اتحد
ما ابصر الناس جميعا بدرا
ولا رأوا شمسا وغصنا نضرا
احسن من عمرو فديت عمرا
ظبي بعينيه سقاني خمرا
ها انا ذا بعده مقدود
والدمع في خدي له اخدود
ما ضر من فقدي به موجود
لو لم يقبح فعله الصدود
ان كان ذنبي عنده الاسلام
فقد سعت في نقضه الايام

وانحلت الصلاة والصيام * وجاز في الدين له الحرام * يا ليتني كنت له صليبا * أكون منه ابدا قريبا

تخيلته نسرا بسيرا بسيرنا * من الفضة البيضاء في لجة البحر
(وله ايضا) ولما رأيت الشمس عند طلوعها * ونحن بوسط البحر في النيل من مصر
تخيلت هاتيك القلوع وسقفها * قصور نضار والقصور بنا تجري

(ولبعضهم)

اذا نحن خفنا الكاشحين فلم نطق * كلاما تكلمنا باعيننا شزرا
نصد اذا ما كاشح مال طرفه * الينا ونبدي ظاهرا بيننا هجرا
فان غفلوا عنا رأيت خدودنا * تصافح اوثغرا اقرعنا به ثغرا
ولو قذفت اجسادنا ما تضمنت * من الضر والبلوى اذا قذفت جمرا

(صاحب اصل الاصل)

لحى الله يوم البين كم مات عاشق * أرى قومه لا يطلبون بثاره
وعاذلة اضحت تلوم على الهوى * أخا لوعة لم يستفق من خماره
واغيد في جيش من الحسن يقتدى * لماه وعيناه وخط عذاره
حكى الظبي ظبي الرمل جيدا ومقلة * فياليته لم يحكه في نفاره

(أبو العلاء الرقي)

أحبك يا سامي على غير ريبة * ولا بأس في حب تعف سرائره
فقدمات قلبي اول الحب فانقضى * فان مت أمسى الحب قد مات آخره

(عبد الرحمن العقيلي)

هذي الخدود وهذه الحدق * فليدن من بفؤاده يثق
لوانهم عشقوا لما عذلوا * لكنهم عذلوا وما عشقوا
عنفوا على بلومهم سفها * لو جرعوا كاس الهوى رفقوا
ليس الفؤاد معي فاعلما * قد نال منه الشوق والقلق
ما الحب الا مسلك خطر * عسر النجاة وموطئ زلق

(احمد بن يحيى)

اذا انت رافقت الرجال فكن فتى * كانك مملوك لكل رفيق
وكن مثل طعم الماء عذبا وباردا * على الكبد الحرا لكل صديق

(صاحب اصل الاصل)

اذا كنت من اسر الهوى غير منفك * فدع جسدي يضنى ودع مقلتي تبكي
الا قاتل الله الرقيب وموقفا * بكيناه والبين يغتر بالضحك
وغرب غربان النوى حين بشرت * نعيبا من البين المفرق بالوشك
فياويح ذي العشاق أمست دماؤهم * تطل غراما وهي هينة السفك

(وقال بعضهم)

وما الحب الا شعلة قدحت بها * عيون المها باللحظ بين الجوانح
ونار الهوى تخفى وفي القلب فعلها * كفعل الذي جادت به كف قادح

(وقال آخر)

يقول أناس لو نعت لنا الهوى * ووالله ما أدري لهم كيف انعت

أو جاثليقا كنت أو مطرانا
كيما يرى الطاعة لي ايمانا
ياليتني كنت لعمرو مصحفا
يقرأني كل يوم أحرفا
أو قلما يكتب بي ما ألفا
من أدب مستحسن قد صنفا
ياليتني كنت لعمرو عوده
وحلة يلبسها مقدوده
أو بركة باسمه معدوده
أو بيعة في داره مشهوده
ياليتني كنت له زنارا
يديرني في الخصر كيف دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا
صرت له حينئذ ازارا
واكبدي من خده المضرج
واكبدي من ثغره المفلج
لاشئ مثل الطرف منه الادعج *
أذهب للنسك وللتحرج
اليك أشكو ياغزال الانس
مالي من الوحشة بعد الانس
يامن هلالي وجهه وشمسي
لا تقتل النفس بغير النفس
جدلي كما جدت بحسن الود
وارع كما ارعى قديم العهد
واصدد كصدي عن طويل الصد
فليس وجد منك مثل وجدي
ها أنا في بحر الهوى غريق
سكران من حبك لا أفيق
محترقا مامسني حريق
يرثي لي العدو والصديق
فليت شعري فيك هل ترثي لي
من سقم ومن ضنى طويل
أم هل الى وصالك من سبيل
لعاشق ذي جسد نحيل
في كل عضو منه سقم وألم
ومقلة تبكي بدمع ودم
شوقا الى شمس وبدر وصنم
منه اليه المشتكى اذا ظلم

فليس لشئ منه حد أحده * وليس لشئ منه وقت مؤقت

(وقال آخر) لى فى محبته شهود اربع * وشهود كل قضية اثنان
خفقان قلبى وارتعاد مفاصلى * وصفار لونى واعتقال لسانى

(وقال آخر) فسألتها باشارة عن حالها * وعلى فيها للوشاة عيون
فتنفست صعدا وقالت ما الهوى * الا الهوان ازيل عنه النون

(ذو النون المصرى)

شوق اضر بمهجة المشتاق * اجرى سوابق عبرة الآماق
لعبت يد العبرات فى وجناته * وكذا به لعبت يد الاشفاق

وانشد ابن دريد وقد اورده فى الباب الثانى فى قصة رملة مستشهدا به على الفرقة

أقول لو رقاوين فى فرع ايكة * وقد طفل الامساء او جنح العصر
وقد بسطت هذى لتلك جناحها * ومر على هاتيك من هذه النحر
ليهنكما ان لم تراعا بفرقة * ولا دب فى تشتيت شملكما الدهر
فلم ار مثلى قطع الهجر قلبه * على انه يحكى قساوته الصخر

(وقال آخر) قالت ومدت يدا نحوى تودعنى * وروعة البين تأبى ان امد يدا
اميت انت ام حى فقلت لها * من لم يمت يوم بين لم يمت ابدا

(الشهاب محمود)

أأحبابنا هل لى اليكم وقد نأت * بى الدار من بعد الديار رجوع
وهل شمس هذا الانس بعد فراقنا * يكون لها بعد المغيب طلوع
وهل لى ولا والله ماذا لى كم كان * فؤاد اذا حان الفراق يطيع
وقد كنت ادرى والحياة شهية * تروق بكم ان النوى سيروع

(العباس بن الاحنف)

يا بعيد الدار عن وطنه * مفردا يبكى على شجنه
كلما جد النحيب به * زادت الاسقام فى بدنه
ولقد زاد الفؤاد شجا * هاتف يبكى على فننه
شاقه ما شاقنى فبكى * كلنا يبكى على سكنه

(وله ايضا)

جرى السيل فاستبكانى السيل اذ جرى * وفاضت له من مقلتى غروب
وما ذاك الا حين اخبرت انه * يمر بواد انت منه قريب
يكون اجاجا دونكم فاذا انتهى * اليكم تلقى طيبكم فيطيب
ايا ساكنى اكناف دجلة كلكم * الى القلب من اجل الحبيب حبيب

(الشريف الرضى)

ومن حذرى لا اسأل الركب عنهم * واعلاق وجدى باقيات كما هيا
ومن يسأل الركبان عن كل غائب * فلا بد ان يلقى بشيرا وناعيا

(وقال آخر)

ايا ظبية الوادى التى سفكت دمى * بلحاظها بل يا مهاة الاجرع
لى ان ابث اليك ما القاه من * الم الجوى وعليك ان لا تسمعى

يبيح عن قلب له جريح
ناح بما يلقى من التبريح
يا عمرو بالحق من اللاهوت
والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذى فى مهده المنعوت
عوض بالنطق عن السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم
حل محل الريق منها فى الفم
ثم استحال فى قنوم الاقدم
يكلم الناس ولم ينفطم
بحق من بعد الممات قمصا
ثوبا على مقداره ما قصصا
وكان لله تقيا مخلصا
يشفى ويبرى اكمها وابرصا
بحق محيى صورة الطيور
وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور
يعلم ما فى البر والبحور
بحق من فى شامخ الصوامع
من ساجد لربه وراكع
يبكى اذا ما نام كل هاجع
خوفا من الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الرؤسا
وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرعوا فى البيعة الناقوسا
مستعملين يعبدون عيسى
بحق مارمريم وبولس
بحق شمعون الصفا وجرجس
بحق دانيال بحق يونس
بحق حزقيل وبيت المقدس
بحق ما فى قلة الميرون
من نافع الادواء للمجنون
بحق ما يؤثر عن شمعون
من بركات الخوص والزيتون
بحق أعياد الصليب الزهر
وعيد اشموني وعيد الفطر
وبالشعانين العظام القدر

(ابو نواس) يا نظرة ساقت الى ناظري * اسباب ما يدعوا الى حتفه
من حسن ظبي حسن دله * يقصر الواصف عن وصفه
في البدر من صفحته لمحة * ولمحة في الظبي من طرفه
مقاتل الانفس في ثغره * وفي ثناياه وفي كفه

(سعد بن الدهان)

قل للبخيلة بالسلام تورعا * كيف استبحت دمي ولم تتورعي
هل تسمحين ببذل ايسر نائل * ان اشتكي بثي اليك وتسمعي

(أبو الحسن السلامي)

ظبي اذا لاح في عشيرته * يطرق بالهم قلب من طرقه
سهام الحاظه مفوقة * فكل من رام وصله رشقه
بدائع الحسن فيه مفترقه * وأنفس العاشقين متفقه
قد كتب الحسن فوق عارضه * هذا مليح وحق من خلقه

(محمد بن موسى) يا جفونا سواهرا اعدمتها * لذة النوم والرقاد جفون
ان لله في العباد سهاما * سلطتها على القلوب العيون

(الحسين بن الضحاك)

ألا انما الدنيا وصال حبيب * وأخذك من مشموله بنصيب
ولم أر في الدنيا كخلوة عاشق * وبذلة معشوق ونوم رقيب

(وقال آخر)

ليس المحب الذي يخشى العقاب ولو * كانت عقوبته في الهب النار
بل المحب الذي لا شيء ينفعه * أو يستقر ومن يهواه في النار

(وقال آخر)

أراني منحت الحب من ليس يعرف * فما أنصفتني في المحبة منصف
وزادت لدينا حظوة يوم اعرضت * وفي أصبعيها اسمر اللون أهيف
أصم سميع ساكن متحرك * ينال جسيمات العلا وهو اعجف
عجيب له اني ودهرك معجب * يقوم تحريف العباد محرف

(بشار بن برد) وكاعب قالت لا ترى بها * يا قوم ما اعجب هذا الضرير
هل يعشق الانسان ما لا يرى * فقلت والدمع بعيني غزير
ان كان عيني لا ترى وجهها * فانها قد صورت في الضمير

(ابن أبي الدنيا)

اذا المرء لم ينصف اخاه ولم يكن * له غائبا يوما كما هو شاهد
فلا خير فيه فالتمس غيره أخا * كريما على فضل الكريم يعاهد
وان غبت يوما او حضرت فوجهه * على كل حال أينما كنت شاهد

(لطيفة وخاتمة) تشتمل على لطائف ما نقش على الخواتم والتكك وغيرهما * وجد على اكليل برأس جارية

والله يا طرفي الجاني على كبدي * لتطفئن بدمعي لوعة الحزن

بحق سبعة من العباد * قاموا بدين الله في البلاد

ومن دخيل السقم في المفاصل
وارشدوا الناس الى الرشاد
حتى اهتدى من لم يكن بهاد
بحق اثنى عشر من الامم
ساروا الى الاقطار يتلون الحكم
حتى اذا اصبح الدجى جلا الظلم
ساروا الى الله ففازوا بالحكم
بحق ما في محكم التنزيل
من محكم التحريم والتحليل
وغيره من نبأ جليل
يرويه جيل قد مضى عن جيل
بحق مرعيد الشفيق الناصح
بحق لوقا ذي الفعال الصالح
بحق تمليخا الحكيم الراجح
والشهداء بالفلا اصحاح
بحق معمودية الارواح
والمذبح المشهور في النواحي
ومن به من لابسي الامساح
وعابد باك ومن سياح
بحق تقريبك في الاعياد
وشربك القهوة كالفرصاد
وطول تغنيتك للاكباد
بما بعينيك من السواد
بحق ما قدس سعيا فيه
بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور ومايرويه
عن كل ناموس له فقيه
بحق جمع من شيوخ العلم
وبعض اركان التقى والحلم
لم ينطقوا قط بغير فهم
موتهم كان حياة الخصم
بحرمة الاسقف والمطران
والجاثليق العالم الرباني
والقس والشماس والديراني
والبطرك الاكبر والرهبان
بكل قادس على قداس
قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم الخميس الناسي
وقدموا الكاس لكل حاسي

بكل ناموس له مقدم * يعلم الشماس ولما يعلم
بالله

بالله تطمع ان ابكى اسى وجوى * وأنت تلتذطيب العيش والوسن

(وعلى عود) يا أيها الزاعم الذى زعما * ان الهوى ليس يورث السقما
لو ان ما بى بك الغداة لما * مت محبا اذا اشتكى ألما

(وعلى ميل) لو كان يدرى مالك ما الذى * ألقى من الاحزان والكرب
وما الاقى من اليم الهوى * عذب أهل النار بالحب

(وعلى كاس) الحمد لله على ما قضى * قد كان ذا فى القدر السابق
ما تحمل الارض على ظهرها * أشقى ولا اوثق من عاشق
فبينما يمشى على مرمر * و بينما يسقط من شاهق

(وعلى اترجة) يا للناس اترجة مطيبة * توقد نار الهوى على كبدى
لو ان اترجة بكت لبكت * اترجتى هذه التى بيدى

(وعلى تكة) ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله انسانا

(وعلى خاتم) قلبان فى خاتم الهوى جمعا * فأرغم الله انف من قطعا

(وعلى آخر) تمنيت القيامة ليس الا * لالقى من هويت على الصراط

وعلى آخر الموت فى الحب جميل ونقش ابن داود على خاتم سطرين احدهما وما وجدنا لا كثرهم من عهد والثانى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكان يرمى به الى من ينظر الى حدث وكان ابن شمعون يعارضه فيما يفعل فقال له يوما تعارض هذا قال نعم وجاء بعد قليل وقد نقش على خاتم سطرين احدهما وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وعلى الثانى ولنصبرن على ما آذيتمونا ومما ينخرط فى هذا السلك ما يكتب على الكتب قيل ان صاحب المصارع كتب على اول جزء منها

هذا كتاب مصارع العشاق * صرعتهم يوم النوى بفراق
تصنيف من لذع الفراق فؤاده * وتطلب الراقى فعز الراقى
فاذا تصفحه اللبيب رثى لهم * اسرى هوى أيسوا من الاطلاق

(وعلى الثانى) مصارع العاشقين صرعهم * هوى الظباء الفواتر الحدق
تصنيف من صدره تصونه * عن كشف ما فى الفؤاد من حرق
فهو يسر الهوى ويكتمه * والقلب قد تاه منه فى الطرق

(وعلى الثالث) مصارع العشاق مجموعة * فيها لمن يقرؤها عبره
جمع عفيف الحب يطوى الهوى * لو لم تكن تنشره العبره
غرامه ناء مقيم وان * أعدمه يوم النوى صبره

(وعلى الرابع) كتاب مصارع اهل الهوى * ومن فتكت فيه ايدى النوى
تكلف تصنيفه عاشق * عفيف الضمائر جم الجوى
اضل برمل اللوى قلبه * فهل ناشد قلبه باللوى

(وعلى الخامس) مصارع قتلى من العاشقين * ما لدمائهم طالب
تكلف جمع أحاديثهم * عفيف هوى وجده غالب
سقاه الهوى صرف صهبائه * فأصبح سكران الشارب

بحرمة الصوم الكبير الاعظم
وما حوى مفرق راس مريم
بحق يوم الذبح فى الاشراق
وليلة الميلاد والتلاقى
بالذهب الابريز فى الاوراق
بالفصح يا مهذب الاخلاق
الا رغبت فى رضا أديب
باعده الحب عن الحبيب
قد ذاب من شوق الى المذيب
أعلى مناه أيسر القريب
فانظر أميرى فى صلاح أمرى
محتسبا فى عظيم الاجر
مكتسبا فى جميل الشكر
فى نثر ألفاظ ونظم در

قيل ثم ان مدركا وسوس وسل جسمه وذهب عقله وانقطع عن اخوانه ولزم الفراش قال حسان بن محمد بن عيسى فحضرته عائدا مع جماعة من أصحابه فقال ألست صاحبكم القديم العشرة لكم فما منكم احد يسعدنى بنظرة الى وجه عمرو وقال فضينا باجمعنا الى عمرو وقلنا له ان كان قتل هذا الرجل دينا فان احياءه مروءة قال وما فعل قلنا قد صار الى حال ما تحسبك تلحقه قال فلبس ثيابه ثم نهض معنا فلما دخلنا عليه وسلم عليه عمرو واخذ بيده وقال كيف تجدك يا سيدى فنظر اليه ثم أغمى عليه ثم أفاق وهو يقول

أنا فى عافية الا * من الشوق اليكا
أيها العائد ما بى * منك لا يخفى عليكا
لا تعد جسما وعد قلبا رهينا فى يديكا
كيف لا يهلك مرشوق بسهمى مقلتيكا

ثم انه شهق شهقة فارق فيها الدنيا فما برحنا حتى دفناه رحمه الله تعالى (ومنهم قتيل) قال العلامة أبو القاسم محمد بن عبد الرحمن الشيرزى فى كتاب روضة القلوب ونزهة المحب والمحبوب وشاهدت امرأة كانت من أهل شيراز تزوجت

(وعلى السادس) كتاب صرعى الهوى وقتلاه * ومن صحاهم وسكراه
تصنيف من كاد ان يشاركهم * لكن وقاه بفضله الله
فضم مما منه وابه طرفا * يعجب قاريه حين يقراه

(وعلى السابع)

مصارع من جادت يد البين والنوى * عليهم فأضحوا في ديارهم صرعى
دماؤهم مطلولة قد اباحها * لاحبابهم شرع الهوى حبذا شرعا
تدرعت من نيل الهوى الصبر جنة * فجاءت سهام منه انفذت الدرعا

(وعلى الثامن) كتاب مصارع قوم سقوا * كؤس الهوى مترعات دهاقا
شكوا صرفها طالبين المزاج * فشيبت على الرغم منهم فراقا
جمعنا احاديث صرعاهم * وسكراهم فيه لا من افاقا

(وعلى التاسع)

مصارع ابناء الهوى جمع عاشق * تجرع من راح الهوى ما تجرعا
فلما رأى الفودين قد حل فيهما الـ * ـمشيب منيخا والمفارق اقلعا
واضحى مصيخا للنذير الذي علا * مفارقه ينعي الشباب المودعا

(وعلى العاشر)

كتاب من دارت كؤس الهوى * عليه صرفا ليس فيها امزاج
فصرعتهم اذ حسوها فهم * مرضى ينادون ألا من علاج
تصنيف من شاركهم في الهوى * فليته مما لقى اليوم ناج

(وعلى الحادي عشر)

مصارع اللابسين قمص الهوى * ضفت عليهم كل يجر جرها
تصنيف من ذاق من سلافته * الصفو وما فاته مكدرها
يطوي احاديث وجده ودمو * ع العين في فيضهن تنشرها

(وعلى الثاني عشر)

كتاب تضمن اخبار من * اطاع الهوى وعصى العذلا
فلما تمكن من قلبه * اعاد حلاوته حنظلا
تكلف تصنيفه عاشق * سلا العاشقون وما قد سلا

(وعلى الثالث عشر)

مصارع اقوام توالت عليهم * كؤس هوى ممزوجة بفراق
فالوا سكارى مالهم من افاقة * الى حين شمل جامع وتلاقي
فرقاهم مما لقوا عاشق أبت * تجف له بعد الفراق أماقي

(وعلى الرابع عشر)

كتاب مصارع من جهزت * بظلم اليه النوى جندها
جمعناه لما سقينا الهوى * افاويق لم نستطع ردها
وسقنا احاديث من جاوزت * به فجعات النوى حدها

(وعلى الخامس عشر)

وجلا جنديا اعجميا وكانت تجد به وجدا
شديدا حتى كانت لا تصبر لحظة وكان اذا
مشى الى نوبته الى القلعة تأتزر وتظل
قائمة قبالته حتى ينصرف فاذا دخل عليها
لاعبها وقبلها فيسكن بعض ما تجده
فدخل عليها يوما مغضبا من كلام جرى
بينه وبين مقدمه فلما دخل ارادت
منه العادة فلم يلتفت اليها فظنت ان
ذلك لسبب حدث منها فارتاعت وجزعت
فمكثت ساعة عنها لم يرفع طرفه اليها
فقوي عندها التخيل فلما خرج خرجت
خلفه كعادتها فانتهرها فلم تشك ان
غضبه لاجلها فرجعت وجعلت في
رقبتها حبلا وشدته في السقف فاختنقت
به وماتت (ومنهم شهيد) قال الوداعي
حكى الامير شهاب الدين احمد العقيلي
ان شرف العلا هوى غلاما نصرانيا
وتهتك فيه حتى لبس المسح وتزيا بزي
الرهبان وكان يتبع الغلام حيث توجه
فاتفق ان الملك الظاهر صلاح الدين
نمي بحاله فبينما هو يتصيد في نواحي
حلب قيل له ان شرف العلا في هذه
الارض فارسل اليه من يحضره على
هيئته فلما حضر وكان السلطان في
مجلس الشراب قال لبعض ندمائه املأ
قدحا كبيرا والق شرف العلا به فلما
رأى القدح أخذه بيده وشربه وأنشد في
الحال ارتجالا يخاطب الملك الظاهر

جمعت بالكاس شملي * فالله يجمع شملك
بحق رأسك دعني * حتى أقبل نعلك

(ومنهم قتيل) وهو مما رأته عيناي
وسمعته اذناي ووعاه قلبي وذلك اني لما
كنت في دمشق سنة اثنتين وخمسين
وسبعمائة اتفق ان شابا من ابناء دمشق
جميل الصورة عدا على انسان كان يحبه
فقتله فحمل الى الوالي فلما سأله أنكر
فعراه ليضربه بالسياط فتقدم انسان
كان يعشق ذلك الشاب وقال للوالي

كتاب مصارع العشا * ق من عرب ومن عجم * ليعتبر الخلي بما
لقوا شكرا على النعم * مصنفه عفيف هوى * مصون غير متهم

(وعلى السادس عشر)

مصارع ابناء الهوى كل عاشق * رماه الهوى عن قوسه فأصابا
رثى لهم من خاف يلقى الذي لقوا * فألف فيما قد لاقوه كتابا
وجمع من اخبارهم في هواهم * احاديث مثل الروض جيد سحابا

(وعلى السابع عشر)

كتاب تضمن ابوابه * مصارع قتلى من العاشقين * سقاهم سلافته مازجا
هواهم فالوابه خاضعين * غرام تلوم العيون القلو * ب فيه وتلحى القلوب العيون

(وعلى الثامن عشر)

كتاب جمعناه عانيين * مصارع من قتل الحب صبرا * اذا ما تصفحه سالم
من الحب اخلص لله شكرا * جمعناه صاحين حتى اذا * خبرناه ملنا من الحب سكرا

(وعلى التاسع عشر)

مصارع قتلى الهوى مثبت * لعينيك ما كان من حالهم
تضمن من كل اعجوبة * وكيف تفانوا باّجالهم
فلو ذقت ماذاق اهل الهوى * لكنت لحقت بامثالهم

(وعلى العشرين)

كتاب جمعت به كل ما * تفرق من قصص العاشقين
وكنت الومهم عاذلا * فصرت لهم احد العاذرين
فكم عاشق ذاق يوم النوى * وقد غرد الحاديان المنون

(وعلى الحادي والعشرين)

مصارع قتلاء الهوى صرعتهم * سلافته يسقونها اصافيا صرفا
فمنهم عفيف ظل يكتم وجده * فنم عليه ماء اجفانه وكفا
جمعت كتابا في مصارعهم اذا * تصفحه ذو اللب رق تألفا

(وعلى الثاني والعشرين)

قد صنف الناس حقا في الهوى كتبا * فيمن صحا بعد سكر منه او عطبا
واكثروا غير اني قد جمعت لهم * وما اختصرت كتابا رائقا عجبا
ذكرت فيه باسناد مصارعهم * عجما وجدتهم في الناس او عربا

ونظائر ذلك كثيرة لا مطمع في استقصائها ولا قدرة على احصائها فلنختم الكلام الذي اقتطفناه من هذه الازهار وارتضيناه ومن هذه الاثمار وجنيناه مستغفرين الله مما جنيناه انه هو كرم كريم يقبل التائب والطف لطيف يؤوب اليه الاواب قائلا

كتبت وقد ايقنت ان جوارحي * ستبلى ويبقى كل ما انا عامله
فان كان خيرا سوف احمد غبه * وان كان شرا او بقتني غوائله
فاستغفر الله العظيم من الذي * كتبت ومما قلت او انا قائله
فيا رب بالهادي النبي محمد * نبي على كل الورى فاض نائله

لاتضربه فانه ما قتله وانما قتلته أنا فاحضر الوالي الشهود وكتب عليه محضرا باقراره بالقتل وأطلق الشاب وكان ايتمش نائب دمشق يومئذ فلما حكيت له هذه القصة واطلع على باطنها توقف في قتله وأمر بحبسه فلم تمض الأيام قلائل حتى حضر ارغون الكاملي من حلب عوضا عن ايتمش في نيابته بدمشق فكان أول شيء حكم فيه من الدماء فشنق ذلك العاشق المسكين بمقتضى المحضر المكتتب عليه ولقد رأيته تحت القلعة وهو مشنوق والناس حوله يتأسفون عليه ويذكرون حكايته ويتعجبون منها وحكيت هذه الحكاية للقاضي كمال الدين بن النحاس فتعجب منها وأخبرني عن القاضي زين الدين ابن السفاح وأخيه القاضي شمس الدين وجماعة من أهل حلب الموجودين الآن انهم أخبروا ان ناصر الدين محمد بن بكتوب أحد كتاب المنسوب المعروف بالقلندري انه كان يهوى مغنية لا تزال ذرموزتها معه في كيس حرير أطلس معلق في رقبته تحت ثيابه فاذا حضر في مجلس ولم يتفق حضورها فيه أخرج الزرموزة من الكيس ووضعها قدامه وجعل يبكي فان لم يتفق له بكا شديد أنشد

لا متعت عين محب بما
يسرها ان هي لم تسجم

ثم انه يأمر من حضر بربط رجليه وضربه عليهما حتى يبكي انتهى ما أخبرني به القاضي كمال الدين قلت ولهذا البيت المتقدم حكاية غريبة وهي ما حكاه المبرد عن النميري أن رجلا قدم على الملك كسرى أنوشروان وكان عالما بجميع الفلسفة وعلم الموسيقى فتعجب الملك من كمال أخلاقه المحمودة فحبسه عن وطنه مدة من دهره فشكا اليه غلبة الوجد وطول الكمد بالف فارقه في بلده

وبالآل والاصحاب ترحم عاجزا * كليلا من الذنب الذى هو حامله
أتى تائبا من غفلة اللهو قائلا * (صحا القلب عن سلمى واقصر باطله)
ولما وجل العمر قد فات وانقضى * (وعرى أفراس الصبا ورواحله)
تفضل عليه وارحم الآن ذله * وتختم بخير كل ما هو فاعله

فهذا اقصى ما أردنا تحريره وانهى نهاية ما أردنا تسطيره معتذرين عن التقصير بما أسلفنا في صدر الكتاب تقريره فليثق الناظر فيه بانا لم ندع من اصله شيئا يعتد به الا وقد أودعناه في مطاويه اللهم الا أن يأتى غبي يتكل على المباني دون المعاني ويؤثر التصريح في كل المواطن على التلويح ويقيس الابواب الاصلية على تقاسيمنا الكلية فيضل ويتهم ويخطئ وما علم ولو سلكنا ذلك لتركنا الكتاب بحاله ولم يظهر تميز بين أقوالنا وأفعاله ولم يتيسر ان يكون كتابنا بالنسبة الى اصله كنصفه مع احتوائه على زيادات مثل ضعفه فالحمد لله على اتمامه والشكر له على جزيل انعامه وعلى خاصته من خلقه محمد وآله وأصحابه أفضل صلاته وسلامه

(قال مؤلفه) رحمه الله تعالى وقد وافق ختامي له يوم الاربعاء خامس عشر
شوال وايار الموافق لعشرين بشنس وخامسة الجوزاء للشمس
من شهور سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة هجرية
نبوية على مشرفها أفضل الصلاة
والسلام والتحية

(ترجمة المؤلف رحمه الله مختصرة من خلاصة الاثر في ذكر أعيان القرن الحادى عشر)

هو داود بن عمر البصير الانطاكي نزيل القاهرة الحكيم الطبيب المشهور رئيس الاطباء في زمانه شيخ العلوم الحكمية وأعجوبة الدهر وقد أطال في توصيفه ابو المعالي الطالوي في سانحاته ثم قال وقد سألته عن مسقط رأسه ومشتعل نبراسه فقال ان مولدي بانطاكية وولدت بعارض ريح تحكم في الاعصاب يمنع قوائمي من حركة الانتصاب وكان والدي رئيس قرية سيدي حبيب النجار له كرم وخيم وطيب نجار فاتخذ قرب مزار سيدي حبيب رباطا للواردين فيه حجرات للفقراء والمجاورين ورتب له رواتب وكنت احمل كل يوم الى صحن الرباط حتى حفظت القرآن ولقنت مقدمات تثقيف اللسان الى ان نزل بساحة الرباط رجل من أفاضل العجم ذو قدر منيف يسمى محمد شريف فاستأذنه بعض المجاورين في القراءة عليه فابتدأ في بعض العلوم الالهية فكنت أسابقه اليه فلما رأى ما رأى مني استخبر من هنالك عني فاجبته ولم يكن غير الدمع سائلا ومجيبا فعند ذلك اصطنع لي دهنا مدني به في حر الشمس ولفني بلفافة من فرقي الى قدمي حتى كدت أفقد من الحس وكرر ذلك فثبت الحرارة الغريزية في مجرى الحس في المفاصل ثم شد وثاقي وفصدني من عضدي وساقي فقمت بقدرة الواحد الاحد بنفسي لا بمعونة احد ودخلت المنزل على والدي ففرح بي وضمني الى صدره وسألني فحدثته بالقصة فذهب الى الاستاذ ودخل حجرته وشكر سعيه وأجزل عطيته فقبل منه شكره واستعفاه بره ثم قرأت عليه المنطق واتبعته بالرياضي ثم اللغة اليونانية ثم سافر وانقطعت عنا اخباره وخلت الديار من اهلها واقفرت بتنكرها على

فقابله كسرى بالاذن وحمله على التسويف فبينما هو على هذه الحالة اذ قدم عليه رجل من بلده ونعى اليه حبيبه ودفع اليه خاتمه فاذا فيه كتابة بالهندية فترجمت لكسرى فاذا هي كلام موزون بالموسيقى يشاكل من الشعر العربي
لامتعت عين بعدما
بصرها ان هي لم تسجم
على حبيب تلفت نفسه
من التباريح ولم يصرم
فلما قرأها هالك نفسه خوفا وجزعا فاسعدته عينه اليسرى ولم تسعده اليمنى فاقسم أن لا ينظر بها ما عاش في الدنيا ان لم تسعده بالبكا على حبيبه وهي أقوى حاسة من اليسرى فكان يسمى الصابر (قلت) ومن غريب ما يحكى أن ناصر الدين القلانسي المتقدم ذكره كان يضع المحبرة في يده الشمال والمجلد من الكتاب على زنده ويكتب منه وهو يغني ويضرب برجله الارض ويكتب في هذه الحالة ما شاء ولا يغلط ولا يلحن وأخبرني بعض من كتب عليه ان من غريب ما شاهد من حاله أنه كان يهوى شابا من أولاد الجند بطرابلس كان يكتب عليه وكان آخر ما تغزل به ومات عقبه سنة خمس وثلاثين وسبعمائة قول الصاحب بن عباد
يا من وهبت له نفسي فعذبها
ورمت تخليصها منه فلم أطق
أدرك بقية نفس فيك قد تلفت
قبل الممات فهذا آخر الرمق
قلت وليكن هذا ما وقع عليه الاختيار وطابت به لابن أبي حجلة حين سقط بمصر أوطار وكيف لا وقد سقطت منه على الخبير وأتيت من أخبارهم غفر الله لنا ولهم بالجم الغفير فشهداؤهم من أعيان المشاهد وقتلاه وان اختلفت أسباب موتهم فداؤهم واحد في ذلك والحمد لله كفاية وان كان التقصير قصر اقصير

لانقلاب أبوى فكان ذلك داعية المهاجرة لديار مصر القاهرة فسافرت وهبطت مصر هبوط آدم من الجنة فوجدتها كما قال ابو الطيب ملاعب جنة غير انها تنبو عن قبول الحكمة فيها طباع الرجال تنبو فتياتهم الحسان عن حى شيب القذال ينفر احدهم عن كماله السرمد نفرة الظليم رأى الظلام فهو دهم ثم تمثل بقول المتنبى

ما مقامى بدار نخلة الا ❊ كمقام المسيح بين اليهود

انا فى امة تداركها الله ❊ غريب كصالح فى ثمود

وكان اذا سئل عن شئ من الفنون الحكمية والطبيعية والرياضية املى على السامع ما يبلغ الكراسة والكراستين وقد سأله رجل عن حقيقة النفس الانسانية فاملى عليه رسالة عظيمة فى ذلك وله كثير من التآليف الكبيرة والرسائل كالتذكرة وكتاب البهجة والدرة المنتخبة فيما صح من الادوية المجربة وله رسالة فى الحمام الفها باسم الاستاذ البكرى وشرح قصيدة النفس المشهورة للشيخ الرئيس ابن سينا التى اولها

هبطت اليك من المحل الارفع ❊ ورقاء ذات تدلل وتمنع

(وله) منظومة فى هذا المعنى تشعر باعتراضه فيها على الشيخ الرئيس واولها

من بحر انوار اليقين بحسنها ❊ فلو صل او فصل تنوب كما ادعى

وكان كثيرا ما يتمثل بقصيدة الفاضل والفيلسوف الكامل ابى على الحسين بن سطراء البغدادى التى خاطب بها الفلك وتشتمل على مباحث حكمية ومسائل فلسفية وهذا اولها مع ابيات منها

بربك أيها الفلك المدار ❊ اقصد ذا المسير ام اضطرار

مسيرك قل لنا فى اى شئ ❊ ففى افهامنا منه انبهار

وفيك نرى الفضاء فهل فضاء ❊ سوى هذا الفضاء به تدار

وعندك ترفع الارواح ام هل ❊ مع الاجساد يدركها البوار

وموج ذى المجرة ام فرند ❊ على لج الدروع له أوار

وفيك الشمس رافعة شعاعا ❊ بأجنحة قوادمها قصار

الى آخر ما قال (وله) غاية المرام فى تحرير المنظوم من الكلام ونزهة الاذهان فى اصلاح الابدان وزينة الطروس فى احكام العقول والنفوس والفية فى الطب ونظم قانونجك وشرح عليه وله تآليف كثيرة لا نطيل بذكرها ومن اعجب ما يحكى عنه فى قوة معرفته بعلامات الامراض ما اخبرنى به من اثق به بالقاهرة المعزية قال كان له حجرة بالمدرسة الظاهرية اتخذها للاجتماع بالناس ومداواة أصحاب الباس فورد عليه فى بعض الايام رجل من الاجناد جاهرا بالسلام فلما سمع سلامه عرف مرامه وقال اذهب فلا شفى الله

لك علة ولا برد الله لك غلة تشرب الخمر وتفعل ذلك الامر حتى يحدث لك هذا الداء

وتأتى الضرير تروم منه الدواء ثم استتابه وشفاه من دائه بعدما اشفاه

وما فهم كنه علته الا من تحرك شفته وعجائبه فى هذا الباب

لا تحصى وغرائبه لا تستقصى واذا أردت

تفاصيل أحواله ومعتقداته وأقواله

فعليك بكتاب خلاصة الاثر

المذكورة تجد أوصافه

فيها مسطورة

مقصود من الغاية على أن فى رحلتى نشر العلمين فى زيارة الحرمين ما هو كنص الخاتم لهذه الخاتمة والامواج العظيمة لهذه الابحر المتلاطمة لا جرم انى لم اذكر من أخبار أهل الحجاز الا ما أشار اليه هذا الكتاب ببنان بيانه وبدا من رقمه وقلمه على صفحات وجهه وفلتات لسانه فكم فى الرحلة المذكورة فى ذكر من مات على هذه الصورة من أخبار متيم امتنع من هجوعه وأصبح غريقا بسحاب دموعه لدى سمرات الحى برق يسامره

يذكره بالثغر ما هو ذاكره

يذكره عهد العذيب وما حوى

على حاجر سالت عليه محاجره

اذا ما بدا البرق اليمانى لعينه

فما هو الا وشيه وحبائره

سقى السفح من ذيل المقطم عارض

تعارضه من دمع عينى مواطره

فكم فيه من صب قضى وغرامه

أوائله لا تنقضى وأواخره

تطاول ليلى فى هواه ولو يشا

لقصره من هجته مقاصره

فيا للهوى العذرى ما العذر عندما

تغادر يومى مثل ليلى غدائره

صحا ما صحا من زال فى الحب عقله

بسكرة حب لا تزال تخامره

أيبرد ما ألقاه يا جارتى وقد

سبانى ظبى فاتن الطرف فاتره

أحاول منه وصله كل ساعة

فتمنعنى استاره وستائره

ولو لم يكن سلطان حسن لسامرى

بمصر وكل العاشقين عساكره

يجود عليهم حين يسرى جواده

فيحفر فى قلب المتيم حافره

فلولاه ما أمضى أمير ذوى الهوى

ولا نفذت فى العاشقين أوامره

ولولا سطا السلطان فى مصر ما مشى

مع الذئب ظبى كان قبل يحاذره

هو الناصر المنصور والعادل الذى
بباطنه ما جار فى الملك ظاهره
له فى سبيل الله خير ذخيرة
وحسن الثنا بين الملوك ذخائره
ودر ياقه فى الثغر أقرب نيله
وسمر عواليه زهر نواشره
جزى الله عنه مصر ما هو أهله
فكم امنت فى قطرها من يجاوره
جواد غدت نعماه منا قريبة
وان بعدت فى السبق عنا ضوامره
فما عابه أن الجنود جنائب
وناصره ان البروق ضرائره
له من بياض الصبح والليل ادهم
وأشهب كالبازي ينقض كاسره
فلا جابر يوما لما هو كاسر
ولا كاسر يوما لما هو جابره
ولله سر فى علاه لاجل ذا
تباهى به فوق السرور سرائره
وتستقبل الآمال كعبة جوده
كما استقبل البيت المعظم زائره
فأى نوال ما اضاءت شموسه
وما هى ان حققت الا دنانره
هو البحر الا أن منهل جوده
موارده راقت به ومصادره
ولو لم يكن بحرى ونظمى دره
لما عرضت يوما عليه جواهره
أجود فيه المدح كل عشية
واذ كار فكرى بالثناء تباكره
اذا تاه مدحى فى دجى ليل نقسه
عن القصد دلته عليه مآثره
عبرت على الشعرى العبور فأومأت
الى وقالت أنت والله شاعره
فدحى له مدح المحب حبيبه
اذا زاره والليل قد نام ساهره
وحبى له ما ان يقاس بغيره
لانى قيس الحب فيه وعامره
وقدمات قلبى أول الحب وانقضى
ولومت أمسى الحب قد مات آخره
وصلى الله وسلم على خاتم الانبياء والمرسلين
والحمد لله رب العالمين

(يقول راجى عفو القريب المجيب محمد عبد اللطيف الخطيب)

الحمد لله الذى زين بالادب اهل محبته ورفع لهم منابر العز فى دار كرامته سبحانه نحمده بالغدو والآصال وهو الموصوف بالكمال والجمال والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله واصحابه الذين أسسوا قواعد الدين ومن بهم اقتدى وبهديهم اهتدى (وبعد) فقد تم بحمده تعالى طبع هذا الكتاب المستطاب المسمى بتزيين الاسواق فى تفصيل اشواق العشاق للامام الجليل والحبر النبيل والكوكب المنير العلامة الشهير داود الانطاكى وهو كتاب قد كشف قناعه عن العشق بسائر انواعه مطرز هامشه بديوان الصبابه للحبر البارع والاديب البازغ اللامع شهاب الدين احمد بن ابى حجلة المغربى ولعمرى انهما الكتابين طريقين جديرين بان يكتبا بالتبر على صفحات اللجين فرحم الله مؤلفيهما وجعل الفردوس مقرهما وذلك الطبع الزاهى والوضع الباهى بالمطبعة الازهرية المصريه الكائنة بخان جعفر بجوار الساحة الحسينية ادارة الراجى من الله الغفران
(حضرة السيد محمد رمضان) وفاح مسك
الختام وتم سلك النظام أواخر شهر
رمضان المعظم سنة ١٣١٩
هجريه على صاحبها
افضل الصلاة
وازكى
التحيه

(فهرسة تزيين الاسواق بتفصيل اشواق العشاق)

(تمت)